بروتوكولات حكماء صهيون

نصوصها ، رموزها ، أصولها التلمودية

(مجموعة الأجزاء الأربعة)

عجاج نويهض

دار الاستقلال
للدراسات والنشر

المؤسسة العربية
للدراسات والنشر

بيروت

الطبعة الرابعة
١٩٩٦

الطبعة الأولى، بيروت ـ ١٩٦٧
الطبعة الثانية، بيروت ـ ١٩٨٠
الطبعة الثالثة، بيروت ـ ١٩٩٠

المحتويات

الجزء الثاني

الجزء الثالث

الجزء الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا

صدق الله العظيم

(سورة الأحزاب ٣٣ : ٢٣)



المؤرخ العلامة عجاج نويهض

١٨٩٦ - ١٩٨٢

سِيرَة المؤلِّف

هو واحد من الرعيل العربي الأول، من الخطباء اللامعين، ومن كبار المؤرخين، وصفوة المترجمين (عن الانكليزية).

عاش منذ شبابه في العشرين من عمره، وحتى وفاته في الخامسة والثمانين، مجاهدا بالقلم واللسان. نشر مقالاته الأولى في مجلة «القلم» التي أصدرها في دمشق سنة ١٩١٩، وأما مقاله الأخير فقد نشر بعد وفاته في مجلة «العربي» سنة ١٩٨٢، وتناول فيه سيرة مفتي فلسطين الحاج محمد أمين الحسيني.

١ ـ المراحل العامة والدراسة

■ ولد عجاج نويهض في بلدة رأس المتن، في أعالي جبال المتن في لبنان سنة ١٨٩٦. وفي منتصف الحرب الكبرى، كان قد أنهى دراسته الثانوية في مدرسة برمانا، ثم مدرسة سوق الغرب. وكان من أول الذين غادروا لبنان الى دمشق، كعبة الحركة العربية، وهو يحمل في ذاكرته صورة لا تنسى لسراي عاليه حيث اعتقل جمال باشا السفاح أحرار العرب.

■ في إثر معركة «ميسلون» واستيلاء الفرنسيين على سوريا، كان لا بد له من مغادرتها؛ فهو من أعضاء «النادي العربي» المغضوب عليهم، فقادته الأقدار الى القدس، مدينة التاريخ، وهناك استقر حتى عام النكبة سنة ١٩٤٨، أو عام «الانهيار» كما سمّاه هو.

■ درس «الحقوق» في «مدرسة الحقوق في فلسطين»، ونال شهادتها سنة ١٩٢٤.

■ انتقل بعد «الانهيار» الى عمان، وعاش فيها حتى سنة ١٩٥٩ حين قرر العودة نهائيا الى الوطن الأول، الى لبنان.

■ عاش آخر عقدين من عمره، بعيدا عن أضواء الحياة السياسية، مكتفيا بالأصدقاء الذين كانوا يقصدون زيارته في بيته العتيق الموروث عن ابيه الشيخ «أبو قاسم» يوسف نويهض، ومنصرفا الى مكتبته وحديقته الخضراء التي كانت العناية

بها متعته الكبرى. كان ينتظر، دائما، ساعي البريد الذي يحمل اليه رسائل الأصدقاء من العالمين العربـي والاسلامي.

■ توفاه الله صباح ٢٥ حزيران/يونيو ١٩٨٢، في مستشفى الجامعة الأميركية ببيروت، في إثر غيبوبة دامت ثلاثة أيام. ووري الثرى في حديقة منزله ـ كما أوصى ـ بعد اسبوع من وفاته، وذلك بسبب الأوضاع القاهرة التي نجمت عن الغزو الاسرائيلي.

٢ ـ الوظائف والأعمال الحرة

■ ابتدأ حياته العملية في دمشق (١٩١٨ ـ ١٩٢٠)، حيث عمل في «ديوان الترجمة» التابع لوزارة المعارف، وهناك توثقت معرفته برائد الفكر القومي العربـي ساطع الحصري الذي كان الوزير المسؤول.

■ عمل في فلسطين، في المجلس الشرعي الاسلامي الأعلى، فكان سكرتير المجلس من سنة ١٩٢٣ الى سنة ١٩٢٧، ثم مساعد مفتش المحاكم الشرعية الاسلامية (بادارة المجلس) من سنة ١٩٢٧ الى سنة ١٩٣٢.

■ أنشأ مجلة «العرب» الأسبوعية السياسية (١٩٣٢ ـ ١٩٣٤)، وقد جمعت على صفحاتها أقلام العرب من مختلف ديارهم، أمثال أحمد عزت الأعظمي، وسعيد ثابت، والأمير شكيب أرسلان، وعبد الرحمن عزام، وأسعد داغر، وصبحي ابو غنيمة، وناجي معروف، وعزّة دروزة، وأكرم زعيتر؛ وقد عالجت «العرب» الشؤون القومية المتعددة، وكانت أعدادها تصل الى مختلف أقطار العرب.

■ راسل جريدة «الأهرام»، وكان ممثلا لها في فلسطين والأردن من سنة ١٩٣٢ الى سنة ١٩٤٠.

■ مارس المحاماة في فلسطين على مرحلتين: من سنة ١٩٣٧ الى سنة ١٩٤٠، ومن سنة ١٩٤٤ الى سنة ١٩٤٨.

■ عمل مديرا للقسم العربـي في دار الاذاعة الفلسطينية من سنة ١٩٤٠ الى سنة ١٩٤٤.

■ عمل مساعدا لرئيس الديوان الملكي الهاشمي بعد انتقاله من القدس الى عمان سنة ١٩٥٠، ثم مديرا للاذاعة الأردنية الهاشمية من سنة ١٩٥٠ الى سنة ١٩٥١.

■ وكانت آخر وظيفة شغلها مديرا للمطبوعات في الحكومة الأردنية الهاشمية، وذلك سنة ١٩٥١.
وانصرف منذ سنتئذ الى المطالعة والكتابة فقط.

٣ ــ المعتقد والنضال السياسي

■ انتمى الى «النادي العربي» في دمشق ما بين سنة ١٩١٨ وسنة ١٩٢٠، حيث تعرف الى صفوة الرجال الوطنيين.

■ شارك في تأسيس حزب «الاستقلال العربي» في فلسطين، الذي أُنشيء سنة ١٩٣٢، والذي يعتبر امتدادا طبيعيا للفكر القومي العربي في «الجمعية العربية الفتاة»؛ فعميد الحزب المحامي عوني عبد الهادي وعزة دروزة، من الأعضاء المؤسسين، كانا من العاملين في «الفتاة» والحركة العربية السرية في آخر العهد العثماني. وحين أنشأ مجلته «العرب» كانت منبرا مفتوحا للاستقلاليين ولسان حالهم.

■ تتلخص عقيدته بكلمتين: العروبة والاسلام. فلقد آمن بهما إيمانا عميقا لم تزعزعه الكوارث القومية او النوازل السياسية.

٤ ــ المشاركة في المؤتمرات الوطنية والاسلامية

■ شارك في مؤتمر العالم الاسلامي في مكة المكرمة سنة ١٩٢٦، وكان سكرتير وفد فلسطين برئاسة المفتي الحاج محمد امين الحسيني. وضم المؤتمر صفوة العلماء والزعماء المسلمين، وفيه اجتمع الى الزعيم الهندي شوكت علي وشقيقه الزعيم محمد علي، وقد توثقت بينهم أواصر الصداقة.

■ شارك في العديد من اللجان الوطنية، ولا سيما «اللجنة المركزية لاعانة منكوبي سوريا» التي تألفت برئاسة المفتي في القدس سنة ١٩٢٥، وكان هدفها المعلن تقديم المساعدات الانسانية لمنكوبي الثورة العربية في سوريا، وهدفها الحقيقي دعم الثورة العربية بقيادة المجاهد الكبير سلطان باشا الأطرش.

■ ساهم في العديد من المؤتمرات الوطنية والاسلامية في فلسطين، منها مؤتمر «الشبان المسلمين» في يافا سنة ١٩٢٧، والمؤتمر الاسلامي العام للدفاع عن البراق سنة ١٩٢٧، والمؤتمر الاسلامي الكبير الذي عقد في نهاية سنة ١٩٣١ ومطلع سنة ١٩٣٢، والمؤتمر العربي المنعقد في القدس في أثناء المؤتمر الاسلامي الكبير.

■ اشتـرك في جميع المهرجانات التي أقامها حزب الاستقلال في الثلاثينات، في مختلف المناسبات الوطنية، وكان من خطبائها اللامعين. وقد نشرت الصحف اليومية في فلسطين قسما كبيرا من خطاباته في حينه.

■ كان سكرتير المؤتمر العربـي الفلسطيني الأول بعـد نكبة فلسـطين سنة ١٩٤٨، في عمان.

■ كـان سكرتير المؤتمر العربـي الفلسطيني الثاني في أريحا سنة ١٩٤٨.

■ في إثر انتقاله نهائيا الى لبنان، وعزلته في بلدته الهادئة رأس المتن، لم يكن يقطع عزلته إلا لتلبية الواجب بحضور المؤتمرات القومية والوطنية والفكرية الاسلامية، في العراق والمغرب العربـي والكويت. وكان آخر مؤتمر شارك فيه «الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامي» الذي عقد في الجزائر سنة ١٩٧٣.

المَجمُوعَة الكَامِلَة
لِلمُؤرِّخ العَلاّمَة عجّاج نوَيهِض

القسم الأول: الأوراق الخاصة

أولا: المخطوطات

١ ــ ستون عاما مع القافلة العربية (سيرة حياة ذاتية مسجلة على أشرطة كاسيت، سنة ١٩٨٠، وهي في قيد الإعداد للنشر، وسوف تصدر عن دار الاستقلال).

٢ ــ شهادات من تاريخ العرب المعاصر (كتب المؤرخ شهادات مستفيضة لنخبة من رجال الرعيل الأول، وخصوصا فيما يتعلق بالثورة العربية. وقد كتبها في الفترة ١٩٥٣ ــ ١٩٥٩).

٣ ــ أبحاث متعددة وتراجم لعدد كبير من رجال العرب.

٤ ــ مجموعة من الرسائل المتبادلة مع رجال الفكر العربي (منذ سنة ١٩٤٨ حتى وفاته. وأما ما قبل ذلك من رسائل ومخطوطات، فقد فقده مع مكتبته الخاصة في القدس الشريف بسبب النكبة).

ثانيا: الوثائق

١ ــ مجموعة من الوثائق الأصلية للحركة العربية.

القسم الثاني: المنشورات

أولا: مجموعة الكتب التي صدرت (او أُعيدت طباعتها) في السنوات العشرين الأخيرة:

١ ــ «حاضر العالم الاسلامي». مترجم عن لوثروب ستودارد، والتعليقات والاضافات للأمير شكيب أرسلان. مجلدان / ٤ أجزاء.
الطبعة الأولى (مصر: المطبعة السلفية، ١٩٢٥).

الطبعة الرابعة (بيروت: دار الفكر، ١٩٧٣).

٢ ـ «أبو جعفر المنصور وعروبة لبنان» (بيروت: مطابع دار الصحافة، ١٩٦٢).

٣ ـ «التنوخي: الأمير جمال الدين والشيخ محمد أبو هلال المعروف بالشيخ الفاضل».

الطبعة الأولى (القدس، ١٩٣٤).

الطبعة الثانية مع التنقيح والاضافة (بيروت: مطابع دار الصحافة، ١٩٦٣).

٤ ـ «بروتوكولات حكماء صهيون». مجلدان / ٤ أجزاء.

الطبعة الأولى (بيروت، ١٩٦٧).

الطبعة الثانية (بيروت: منشورات فلسطين المحتلة، ١٩٨٠).

الطبعة الثالثة (بيروت: دار الاستقلال للدراسات والنشر، ١٩٩٠).

٥ ـ «نفاق اليهود». نقله الى العربية لمؤلفه بالألمانية مارتن لوثر. تقديم شفيق الحوت.

الطبعة الأولى (بيروت: دار الفكر، ١٩٧٤).

٦ ـ «رجال من فلسطين». (فصول الكتاب ـ في أصلها ـ مقالات نشرت في جريدة «الأنوار» اللبنانية، ١٩٦١). تقديم شفيق الحوت.

الطبعة الأولى (بيروت: منشورات فلسطين المحتلة، ١٩٨٠).

٧ ـ «فتح القدس».

الطبعة الأولى (بيروت: منشورات فلسطين المحتلة، ١٩٨٠).

ثانيا: مجموعة المنشورات التي صدرت في القدس في الثلاثينات والأربعينات، والتي لم تُطبَع ثانية.

١ ـ مجلة «العرب» مجلة سياسية اسبوعية صدرت في القدس خلال سنتي ١٩٣٢ و ١٩٣٣.

٢ ـ «العراق او الدولة الجديدة». السير نيجل داودسون. مترجم الى العربية. تقديم اسعد داغر، ١٩٣٢.

٣ ـ القسم العربي في دار الاذاعة الفلسطينية. «حديث الاذاعة». كتاب يحتوي على المختار من دار الاذاعة الفلسطينية لعدد من العلماء والأدباء في البلاد العربية. الجزء الأول، القدس، ١٣٦١هـ/١٩٤٢م.

٤ ــ «النظام السياسي». ج. د. هـ. كول. مترجم الى العربية، ١٩٣٤.

ثالثا: المقالات المنشورة

يصعب حصر المجلات والصحف التي نشر المؤلف فيها مقالاته منذ العشرينات حتى الثمانينات، من دون دراسة شاملة. وتعتبر اللائحة التالية المدخل لجمع المقالات وتبويبها.

١ ــ صحف ومجلات متعددة في دمشق، وخصوصا مجلة «القلم» التي أصدرها المؤلف مع الأستاذ عبد الله النجار، ١٩١٨ ــ ١٩٢٠.

٢ ــ صحف مصر ١٩٢٠ ــ ؟، وأهمها: جريدة «كوكب الشرق»، ومجلة «الفتح»، و«الزهراء»، و«الأهرام».

٣ ــ صحف فلسطين ١٩٢٠ ــ ١٩٤٨، وأهمها: «لسان العرب»، و«فلسطين»، و«الدفاع»، و«الكرمل»، و«بيت لحم»، و«النفائس»، و«الجامعة العربية»، و«الوحدة»، ومجلة «العرب».

٤ ــ صحف الأردن ١٩٤٨ ــ ١٩٥٩، وأهمها: «فلسطين»، و«الدفاع»، و«النهضة»، و«الجزيرة».

٥ ــ صحف لبنان وسوريا ١٩٥٠ ــ ١٩٨٢، وأهمها: «الحياة»، و«الأنوار»، و«البيادر»، و«الجبل»، ومجلة «الصياد».

٦ ــ صحف المهجر، وأهمها: «البيان» في نيويورك، و«نهضة العرب» في ديترويت، و«الاستقلال» و«العَلَم العربي» في الأرجنتين.

٧ ــ الدوريات العربية في السبعينات، وأهمها: مجلة «العربي»، وجريدة «الأنباء» الكويتية، ومجلة «الأديب» اللبنانية الشهرية.

رابعاً: الكتُب الصادرة للمؤلف بعد رحيله (١٩٨٢)

أ- «مذكرات عجاج نويهض: ستون عاماً مع القافلة العربية». إعداد بيان نويهض الحوت (بيروت: دار الاستقلال للدراسات والنشر، ١٩٩٣).



مقدمة الطبعة الرابعة

عندما أصدر المؤرخ العلامة عجاج نويهض الطبعة الأولى من كتاب «بروتوكولات حكماء صهيون» سنة ١٩٦٧، لم يكن يعلم أن هذا الكتاب سوف تكون له الصدارة، من مجموعة مؤلفاته التي صدرت طيلة حياته الغنية بالعطاء الفكري.

قد يتبادر الى الذهن أن «البروتوكولات..» الشهيرة في العالم، وفي مختلف اللغات، هي السبب، ولكن هناك أكثر من ترجمة عربية للبروتوكولات، لم تلق أي منها انتشار مماثلاً؛ لقد صدرت عشرات المقالات في هذا الكتاب بالذات، اشادة واقتباساً، وخصوصاً اثر الطبعة الأولى، وتميز نقد الشاعر والمفكر اللبناني سعيد عقل بطرح أهمية الكتاب من منطلقات متعددة، فكتب في جريدة «المحرر» بتاريخ ١٠/٨/١٩٦٨، يقول:

«... الآن لا أجد الكلمات التي بها أعرب لكتابتك عن إجلالي وحبي.

«إنه ثلاثة: المقدمة واللغة التي كالصبح والبروتوكولات. ودعنا من سائره.

«الأولى آية تمهيد لا أجمل منه موضحاً ومهمما. واللغة هي مدرسة بلاغة تقول إن كتابة التاريخ والسياسة تتطلب بياناً مشرقاً، تماماً ككل معالجة قصد بها أن تفعل. وبشأن ترجمة البروتوكولات أجد أنه ولا مرة أفرغت ترجمة بهذه الدقة وبهذا الألق.

«لكن كل هذا قد يكون ثانوياً.

«الرئيسي أنك تعرضت للبروتوكولات وأذعتها على الرأي عندنا كما لم يفعل قبل أحد. هذه الإذاعة بما أحيطت منه من تهميم لتكاد تكون انفجار لإسرائيل في الوعي. بلى اسرائيل قبلك كوتنا بنارها وأذلتنا ولكنها لم تكن قد انفجرت في الوعي.

«.. اسرائيل قبل إذاعة ما أذعت، كان يمكن أن تعتبر خطراً عسكرياً وحسب، بعده صارت خطراً حضارياً وميتافيزيقيا.

«البروتوكولات صحت بحرفها أم لم تصح، هي الصهيونية كما تتوجب معرفتها على مفكرينا والقادة وشرفاء يخططون بجدية واستهوال. لا يحق لأحد أن يشتغل في السياسة في هذه الحقبة من تاريخ الشرق الأدنى إن لم يقرأ كتابك.

«أنا شخصياً دقت على بابي هذه البروتوكولات دقاً عنيفاً. على بابي؟ لا وإنما

على ضميري وقالت جديداً. شكراً لك من أجل ذلك فوق ما في مكنة الكلام.

«... وبعد، فإليك، بالثلاثة التي اكتسبتها من قراءة سفرك الإعلامي الذي لا يضارع:

«أولا: البروتوكولات، صحت نسبتها الى حكماء صهيون أم دست عليهم.

«هي هي أكبر درس للميكيافيلية الحديثة، الميكيافيلية بالمعنيين الخيّر والشرير، وقراءته تعطي فكرة عن أكبر عدو وللبشر قام بين البشر. وتفرض على رجل العلم أن يصطنع له درعاً ضدها بقوة الموت والحياة.

«ثانياً: كتابتك وإيمانك يجعلان الواعي يزداد اقتناعاً بأن العالم محكوم من قبل المال. فلا خلاص، في المائة سنة المقبلة على الأقل، لبلاد لا يخصص كل مواطن من مواطنيها طواعية، لمؤسساتها وصيانة مؤسساتها ولو نصف دخله.

«ثالثاً: نبذات من البروتوكولات الرهيبة توقظ في الفرد ما يحفزه الى أن يكون رجل أخلاق أشبه بهنيبعل، وتفعلها بقوة حتى لتشعره بأنه إن لم يصر هذا الهنيبعل، كان عبداً، أو دولاباً صغيراً في آلة يسيّرها عدو.

«وختاماً، يا سيدي العلامة، أكرر أنني لا أجد كلمة ترتفع الى مستوى الشكر لك.».

ونحن الناشرين نشيد بـ«المقدمة»، قبل الكتاب، كما أشاد سعيد عقل.

إن من يقرأ مقدمة المؤرخ الكبير الراحل للطبعة الأولى، يعرف هدفه الكبير، فهو ليس مؤرخاً وحسب، بل هو صاحب رسالة أولاً وأخراً، ورسالته إيقاظ العالم العربي من كبوته، وأما من يقرأ الكتاب بأجزائه الأربعة، فيصبح واثقاً عبر الأسلوب الفريد المتميز للمؤرخ الكبير، من أنه رجل مجاهد صلب صاحب رسالة. هو حقاً معلم ومرشد.

هذه الطبعة الرابعة مطابقة للطبعة الثالثة التي صدرت سنة ١٩٩٠، وهي تلك الطبعة التي تميزت عما سبقها بدمج المجلدين في الطبعات السابقة في مجلد واحد يضم الأجزاء الأربعة كاملة، ولما كانت الطبعة الثالثة قد صدرت بعد ثماني سنوات من رحيل المؤرخ، فقد تضمنت سيرة حياته، وإنتاجه الفكري، وهو الانتاج الذي أضيف اليه سنة ١٩٩٣ سيرته الذاتية بعنوان: «ستون عاماً مع القافلة العربية».

رحم الله المؤرخ المجاهد. ورحم الله كواكب الشهداء والمجاهدين. وبعون الله ومشيئته تحيا الأمة... وتستمر القافلة.

دار الاستقلال
للدراسات والنشر

المؤسسة العربية
للدراسات والنشر

مقدمة الطبعة الثالثة

صباح الخامس والعشرين من حزيران/يونيو ١٩٨٢، وبينما كانت بيروت تقصف برا وبحرا وجوّا، ويضيق من حولها حصار الغزاة الاسرائيليين، رحل المؤرخ العربي عجاج نويهض بصمت وهدوء، بعد غيبوبة استمرت ثلاثة أيام بلياليها، جاهد خلالها ان لا يسمع وأن لا يرى ما آلت اليه أحوال العرب، مما امضى عمره في التحذير من مخاطر الانحدار اليه.

فالقلب الذي أثخنته جراح نكبة ١٩٤٨، فصمد وكابر حتى استقام نبضه مع اندلاع الثورة الفلسطينية، لم يكن ليحتمل نكبة ثانية تلحق لبنان بمصير فلسطين.

لم يكن بيد الرجل الجليل، ابن الخامسة والثمانين، من حول ولا قوة يرد بهما على أعداء العمر، سوى تغييب حواسه كي لا تشهد لهم بانتصار، فكانت الغيبوبة ثم توقف القلب عن الخفقان.

وإذا لم يكن للمرء من شأن في تحديد اسمه او يوم ميلاده ويوم رحيله، فلا شك في ان الأقدار كانت رحيمة بأمة العرب في اختيارها له يوم جاء، رؤوفة به يوم رحل. فمن كان اسمه يعني «غبار الخيل العائدة بانتصار من المعركة»، ومن امضى عمره يدق نواقيس الخطر الصهيوني ويعبّىء الأجيال من بعده، لم تخذله أقداره فرحلت به بقلب مفعم بالأمل والقدرة العربية على تحقيق النصر. ولذلك لم يكن غريبا عليه وهو يكتب وصيته الأخيرة ان يخص مكتبته وهي جلّ وأهم ما ملكت يداه، فيقول: «المكتبة التي تعود لي والتي جمعت كتبها طوال حياتي، سواء الموجود منها في بيتي الآن في رأس المتن، ام الذي استولى عليه الاسرائيليون في القدس الشريف سنة ١٩٤٨، وفي حال إفراجهم عنه وإعادته، فجميع هذه الكتب أهبها لمؤسسة فكرية او تربوية تابعة للثورة الفلسطينية. . .». [1]

---

(١) وصية عجاج نويهض، ملحق المكتبة، ٦ شعبان ١٤٠٠هـ/١٩ حزيران (يونيو) ١٩٨٠م.

ومع ان الهدف من إصدار هذه الطبعة الثالثة من كتاب «بروتوكولات حكماء صهيون»، وفي هذا الوقت بالذات (حزيران/يونيو ١٩٩٠)، هو تكريم صاحبه الراحل منذ ثمانية أعوام، فان من المستحيل على هذه المقدمة ان تفي العلامة الفقيد ما تستحق حياته من ترجمة وتوثيق لسيرته الحافلة بالانتاج الفكري القومي والاسلامي، وبالمواقف النضالية المشرفة. فتلك مهمة لا بد من ان تنتظر؛ فللرجل من المعارف والأصدقاء على مستوى العالمين العربي والاسلامي من يعرفون عنه الكثير ويهمهم المساهمة في الكتابة عنه وإيفاؤه حقه. ولولا هذه الأوضاع الشاذة وهذا الزمن الرديء الذي تعاني منه أمتنا العربية، ولا سيما في لبنان وفلسطين، لصدر عن عجاج نويهض عشرات المقالات والدراسات التي تشهد له، بأنه «إذا عُدّ العلماء العاملون كان عجاج منهم في الطليعة، وإن حُسب المجاهدون المناضلون الذين أصابهم النفي والتشريد كان هو في المقدمة، وإذا ذُكر الاخوان الأصفياء كان هو في الصفوة المنتقاة.»[٢] كما ستشهد له انه كان «علما وشيخا فاضلا ومناضلا عربيا شريفا ورسولا للقضية الفلسطينية طوال ستين عاما. . . وهو الصحافي والأديب والمحامي والمؤرخ والسياسي والانسان المتحلي بالايمان والأخلاق والعلم والمحبة.»[٣]

هو «رجل من بني معروف قلّ نظيره، عصامي بتحصيله، مثالي بأخلاقه، متميز بعروبة مؤمنة عاملة. ولد في بلدة رأس المتن سنة ١٨٩٧، وهو ينتمي الى عائلة معروفة يتحلى أفرادها بمكارم الأخلاق والنخوة وطيب الأرومة. والده المرحوم الشيخ أبو قاسم يوسف سليم نويهض. . . تزوج في مدينة القدس من الآنسة الأديبة جمال ابنة الطبيب الذكر الدكتور يوسف سليم من جباع الشوف. . . أشقاؤها البطل الشهيد فؤاد سليم والمجاهدان نصري وعارف. . . وله منها خمسة أولاد، خلدون الأستاذ في احدى جامعات فنزويلا، وأربع كريمات متزوجات، وقد نشأ الجميع على ما كان الوالد عليه من جميل الصفات وصدق الوطنية.»[٤]

---

(٢) جعفر الخليلي، «كلمة عابرة عن عجاج نويهض»، نقلا عن روكس العزيزي، جريدة «الدستور» الأردنية، ٩ تموز (يوليو) ١٩٨٢.

(٣) الأب أنطوان ضو، «عجاج نويهض: هـذا القلم وحامله الصحافي والأديب والمحامي والمؤرخ السياسي»، جريدة «النهار» اللبنانية، ٤ تموز (يوليو) ١٩٨٢.

(٤) أمين أبو عز الدين، «عجاج نويهض»، رسالة بتاريخ ١٢ تموز (يوليو) ١٩٨٢، مجلة «الميثاق»، ص ٥٧ ـ ٦١.

وليس هذا سوى غيض من فيض مما قيل في الراحل الكبير مما لم يجمع بعد. وإذا كان من الممكن تسجيل وتوثيق مؤلفاته وترجماته ومقالاته التي تم نشرها، فان الصورة لن تكتمل عن الفقيد العلامة إلا بعد نشر أوراقه ومخطوطاته وما أكثرها وأغناها. حتى رسائله الشخصية كانت امتدادا لفكره السياسي وتطلعاته القومية ومشاعره الوطنية.

وفي إحداها يقول: «لست إقليميا من ناحية بلاد الضاد، فكل موطن عربي اللسان هو موطني، أقمت فيه أم لم أقم.»[٥] لقد كان عروبيا حتى النخاع، ولبنانيا رافضا للتعصب والتمذهب. «ولست في لبنان آخذا بعصبية المدينة او القرية، فكل حبة تراب من لبنان هي لي، وكل حبة تراب من بيتي هي للبنان.»[٦]

ولعل ترفعه هذا عن كل ما هو طائفي، كان السبب في ان يمضي آخر أربعين سنة من عمره، رافضا حمل «هوية» تصر على تكريس طائفة حاملها، وماضيا في ولائه القومي وتسامحه الاسلامي وتفانيه في الدفاع عن قضية فلسطين وكشف المخطط الصهيوني الخبيث الهادف الى استلاب الأرض العربية ووأد طموحات الأمة في تحقيق وحدتها وتقدمها.

لقد كانت قضية فلسطين وتحريرها «حلما» لم يفارق عقله ولا ضميره او وجدانه. وبالقدر نفسه، وربما بحدّة اشد، كانت الصهيونية «كابوسا» تلبسه فبات صراعه ضدها شغله الشاغل ومهمته اليومية.

ومن هنا كان انصبابه الدؤوب وملاحقاته المستمرة لكل ما هو صهيوني او يمت اليها بصلة مباشرة او غير مباشرة. ومن هنا أيضا كان هذا الانشغال الصبور والبحث العميق في «بروتوكولات حكماء صهيون»، التي امضى ربع قرن من عمره وهو يحللها ويردها الى أصولها ويبحث عن رموزها وطقوسها وأساليبها.

وبعد ان اصدر كتابه عن هذه البروتوكولات في طبعته الأولى سنة ١٩٦٧، قيل يومئذ انه لا يحق لأحد ان يشتغل في السياسة في هذه الحقبة من تاريخ الشرق الأدنى إنْ لم يقرأ كتاب هذا العلّامة.

---

(٥) جوزف نعمه، «رجال التراث: أرواحهم فوق رؤوسنا»، جريدة «النهار» اللبنانية، ٧ تموز (يوليو) ١٩٨٢.

(٦) المصدر نفسه.

ثم صدرت الطبعة الثانية من «البروتوكولات» في سنة ١٩٨٠ عن دار «منشورات فلسطين المحتلة» كنسخة عن الطبعة الأولى، اي بمجلدين، وكل مجلد في جزأين.

ولما كان للكتاب ما كان من صدى، ومن إقبال واسع لدى القارىء العربي المتلهف على معرفة الحقائق، فلقد عمد بعض دور النشر الى طباعة الكتاب طبعات متعددة، من دون استئذان «أصحاب الحق» الذين تمثلهم أرملته، مدّ الله بعمرها، السيدة جمال سليم نويهض، مما يتنافى مع مناقبية مهنة نشر العلم والمعرفة.

ووفاء لذكرى رحيله الثامنة، أقدمنا على إصدار هذه الطبعة الثالثة، لكن بشيء من التعديل، تجدر الاشارة اليه، كي يسهل على القارىء مطالعة الكتاب والافادة القصوى من مضمونه.

■ أولا، عمدنا في هذه الطبعة الثالثة الى دمج المجلدين الأول والثاني في كتاب واحد، وأبقينا على تقسيم واضعه له في أربعة أجزاء.

■ ثانيا، وبسبب دمج المجلدين، فلقد غيرنا ترقيم صفحات الجزأين الثالث والرابع (المجلد الثاني)، ليأتي متمما لترقيم صفحات الجزأين الأول والثاني (المجلد الأول).

■ ثالثا، وبسبب التغيير في أرقام صفحات الجزأين الأخيرين، كان لا بد من إعادة ترتيب فهرست الكتاب بما يتوافق وهذه الطبعة الجديدة.

■ أما آخر ما في هذه الطبعة من جديد، بالاضافة الى ما ورد فيها من تفصيل نسبي حول سيرة المؤلف، وتسجيل لإنتاجه المنشور وغير المنشور، فهو ذلك التصحيح الجزئي الذي قمنا به بالنسبة الى بعض ما ورد من أخطاء مطبعية في السابق، وذلك مع الحرص على عدم المساس إطلاقا بالمادة كما وضعها صاحب الكتاب.

ولعلنا في هذا العمل نكون قد أوفينا علاّمتنا الكبير الراحل بعض ما يستحق من تقدير، مع يقيننا بأن توعية القارىء العربي كانت اعز أمانيه. والله ولي التوفيق.

بيروت، ذو القعدة ١٤١٠هـ.

حزيران / يونيو ١٩٩٠م.

دار الاستقلال
للدراسات والنشر

مقدمة الطبعة الثانية

تحت شعار «اعرف عدوك» صدر العديد من الكتب والنشرات والمقالات التي تناولت الحركة الصهيونية والعدو الاسرائيلي من مختلف الجوانب والأبعاد.

ولكنها نادرة تلك المراجع التي اعتنت بجذور هذه الحركة العنصرية وبعلاقاتها مع التراث اليهودي ولا سيما التلمودي منه، وهي علاقات تعود ٢٥ الى ٣٠ قرنا الى الوراء.

وكذلك نادرة تلك المراجع التي تحدد بالوضوح الكامل وبالتفاصيل الضرورية، نشأة هذه الحركة الاجرامية وتطورها وما شهدته أرضيتها من صراعات بين عقول متسابقة الى تحقيق حلم «اليهودية العالمية» بالسيطرة الكاملة على العالم كله بعد تخريب بنياته القائمة وقيمه الانسانية المعروفة.

وكانت «بروتوكولات حكماء صهيون» التي انفضح أمرها سنة ١٨٩٧، عندما داهم الحرس القيصري الروسي مقر الحركة الصهيونية في بازل وضبط كل ما عثر عليه من أوراق، أول وثيقة تكشف خفايا النوايا الصهيونية وبرنامجها الاستراتيجي الشامل.

ولذلك لم يكن غريبا ان تشن الحركة الصهيونية حملة دعائية كبرى بهدف التشكيك بأصالة هذه الوثيقة والتنصل منها، وإلصاق تهمة «اللاسامية» التقليدية ضد من كشفها وترجمها ووزعها.

وسبق ان صدرت هذه «البروتوكولات» بالعربية، ولكن بشكل موجز وبترجمة ركيكة ومن دون اي شرح لها او لخلفيات الحركة التي صدرت عنها. كذلك فان الرواية الكاملة لعملية اكتشاف «البروتوكولات» وترجمتها وملاحقة الصهاينة المضادة، لم يسبق نشرها في غير هذا المجلد الشامل الذي بذل مؤلفه، الأستاذ المؤرخ عجاج نويهض، جهدا ضخما، في إعداده وربط أحداثه مع ما كان يجري في فلسطين من تهيئة لاغتصابها وتحويلها الى دولة يهودية بتواطؤ استعماري اوروبي كان قد تحالف مع الحركة الصهيونية.

عندما استأذنا المؤلف باصدار الطبعة الثانية رجوناه إعداد مقدمة جديدة، فقال: «وماذا تغير في البرنامج الصهيوني حتى نغير مقدمة الطبعة الأولى. ان بين الطبعتين مسافة زمنية تقرب الخمس عشرة سنة، كانت كلها زاخرة بالأحداث التي تقيم الدلائل غير القابلة للدحض على ان كل ما ورد في 'البروتوكولات'، كان من صنع 'حكماء' العدو الصهيوني، كما تؤكد تصميم العدو على الاستمرار في برنامجه الاجرامي.»

وحقا ان المؤلف كان مصيبا في إجابته، ولذلك اكتفينا بهذه المقدمة، تاركين للقارىء العربي فرصة التعمق بمعرفة العدو الصهيوني الذي شاءت أقدار الشعب الفلسطيني، كطليعة لأمته العربية، ان يتصدى له ويصارعه، لا انتصارا لحقه ولوطنه ولأمته وحسب، وإنما انتصارا للانسانية جمعاء ولكل القيم الرافضة للايديولوجيات الاستعمارية العنصرية وللقوى التي تجسد هذه الايديولوجيات وفي مقدمتها «الكيان العنصري الصهيوني» في فلسطين.

﴿وان ينصركم الله فلا غالب لكم﴾.

صدق الله العظيم

١٤٠٠هـ.

١٩٨٠م.

الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

كتاب مفتوح الى القارىء العربي

وأعنيه «العربي» في اي ارض عربية ومهجرية على وجه الأرض. والى «العربية» شقيقته، بيضاء او سمراء، او سوداء.

هذا الكتاب ليس للمتعة ولا للترويح عن النفس، ولا للتسلية. ليس هو رواية، ولا قصة، ولا مجموعة حكايات. ليست أبحاثه من باب الفلسفة، او اي علم من العلوم او الفنون او السياسة التي في الأسواق. إذاً، ما هو هذا الكتاب؟

هو من ألفه الى يائه يتعلّق بموضوع واحد: كَشْف الستار عن «اليهودية العالمية» التي من أدواتها الصهيونية والماسونية؛ وكشف الستار عن قاعدة «التجمع والاقتحام» الدموية المطبّقة في فلسطين منذ ١٩٢٠؛ وكَشْف الستار عن خفايا «اليهودية العالمية» التي «اسرائيل» قفّازها الخارجي، او محطتها الأولى.

«اليهودية العالمية» قوة إبليسية على شكل منظمة سرّية، لكنها ظاهرة خفية معا. شَبّهت نفسها «بالأفعى»، ولهذه الأفعى مخطط مؤلف من تسع مراحل نحو الغاية. بدأ هذا المخطط من وقت سبي بابل منذ ٢٤ ــ ٢٥ قرنا، وموعد انتهاء المرحلة الأخيرة، آخر القرن العشرين هذا، وفي فلسطين. هكذا يزعمون!

ولعلّ القارىء العربي تعروه وثبة شعورية: نحن على مرمى حجر من نهاية القرن! هي ثلاثون سنة المدة الباقية على حساب المخطط اليهودي لاتمام الوصول الى فلسطين، ويكون ذلك المرحلة التاسعة والأخيرة، عن طريق القسطنطينية. المرحلة الثامنة كانت ١٩١٧ في روسيا.

والمخطط اليهودي يذكر المراحل السابقة:

■ فالسابعة كانت، حسب قوله، في بطرسبرج سنة ١٨٨١ وقت اغتالت قنابل «عشّاق صهيون» القيصر اسكندر الثاني.

■ والسادسة، كانت سنة ١٨٧١ اثر «حرب السبعين» بين ألمانيا وفرنسا، فتغيرت إذ ذاك خريطة أوروبا. لاحظ مرحلتين في عشر سنوات.

■ والخامسة، كانت في لندن مبتدئة من سنة ١٨١٤ فصاعدا قبيل هُوِيّ نابليون.

■ والرابعة، كانت حوالي ١٧٩٠ في باريس قبيل ظهور نابليون. ولنلاحظ ان الأفعى قد اجتازت اربع مراحل في مدة ١٢٧ سنة او بين ١٧٩٠ و١٩١٧.

■ والثالثة، كانت سنة ١٥٥٢ في مدريد بعد طرد اليهود من اسبانيا والبرتغال، وإذ ذاك كان مجلس التفتيش.

■ والثانية، كانت حوالي سنة ٦٩ بعد الميلاد في أثناء حكم الرومان.

■ والأولى، كانت سنة ٤٢٩ قبل الميلاد في بلاد الاغريق وكان اليهود إذ ذاك تحت الحكم الفارسي في فلسطين قبل ان يجيء الاسكندر بنحو قرن.

سر القوة في «اليهودية العالمية» قدرتها على أن تُخْفي أجهزتها عن العالم، وتنشر الضباب من حولها نشرا متواليا لكي يبقى العالم في حيرة من امر الحقيقة اليهودية.

امهر اللصوص في العالم، ولو أتقنوا الحيلة الفنيّة في السرقة، وثقب الجدران، وإذابة الأقفال الحديدية، والتسلّق البهلواني في الظلماء، وسرعة الانتقال، وإيقاع المفاجآت المذهلة بفوهة المسدس، واستعمال المخدّرات، وتغطية الأكفّ بالقفاز والأدهان، هؤلاء ولو لاذوا بالفرار، لا بد ان يتركوا أثرا يكون مفتاح اكتشاف الجريمة؛ وهذا يكاد يكون قاعدة تصح على الفرد والجماعة. وما شذّ قليل، والقليل النادر لا حكم له.

«اليهودية العالمية» أُسقط في يدها سنة ١٨٩٧. وكان ذلك في مدينة «بازل» في سويسرا.

وفي ساعة مذهلة، مُزّق القناع عن وجه المجرمة العالمية، فانكشف مخططها التدميري الذي بدأ، كما تقول المجرمة، منذ نحو ٢٥ قرنا.

لعلّي أُحسن صنعا بين يدي القارىء، وأنا أسوق هذه المقدمة اليه مساق كتاب

مفتوح ان آتيه لا بكلمة من عندي، بل بكلمة السيد ج. ك. سكوت (J.C. Scott)، [1] وهو من خيرة الباحثين المدققين في «اليهوديات»؛ فقال ان سبب انكشاف المخطط الرهيب ان أقطاب الصهيونية العالمية لما كانوا يعقدون مؤتمرهم الخاص في بازل سنة ١٨٩٧، دهمهم نفر من الشرطة القيصرية الروسية القادمين من موسكو، بنار أُضرمت في البناء حيث يعقد المؤتمر، فحاقت الهلكة بالصهيونيين المؤتمرين، فلاذوا بالفرار فاقتحم رجال الشرطة القاعة وجمعوا ما على مناضدها من أوراق ومضابط ومذكرات، وانتقلوا بها الى موسكو، وهناك نُخِلَتْ ومُحِّصَتْ، وإذ مما فيها ما أُطلق عليه: «بروتوكولات حكماء صهيون».

المخطط اليهودي هذا، كناية عن ٢٤ فصلا جَمَعَت عصارة التفكير اليهودي الشيطاني، في الوصول الى التسلّط على العالم بحكومة يهودية، بعد تخريب «روسيا المسيحية الأرثوذكسية»، و«أوروبا الكاثوليكية»، و«البابوية»، ثم الاسلام. والحكومة العالمية اليهودية هي تنفيذ المطمح الذي إنما وجد اليهود (حسب اعتقادهم) ليحققوه بعد ان تحوَّلت مصائب السبـي البابلي الى بركات ساقت «الشعب المختار» الى ان يصل الى هذا المصير. فالحكومة اليهودية العالمية، هي أوتوقراطية من نسل داود، وأما الأمم والشعوب، على اختلاف الأديان والعروق واللغات والأقاليم والألوان، فهي حيوانات عجماوات.

وجرى الاصطلاح منذ ١٨٩٧ على تسمية هذا المخطّط ببروتوكولات حكماء صهيون.

وأما تفاصيل القصة هذه، قصة البروتوكولات وظهورها وتأخّر العرب في الاطلاع عليها، وأول ما بدا من أمرها في فلسطين منذ ١٩١٨ وما قيل في صحتها وكشف الغطاء عنها، ومن اشير اليه من اليهود بأنه هو واضعها وكيف تطبق في فلسطين، كل هذا ورد في الجزء الأول من هذا الكتاب.

---

(١) «سكوت»، هو ضابط في الجيش البريطاني برتبة لفتننت كولونـل. خدم في حرب البوير في جنوب افريقيا آخر القرن الماضي، وفي الحربين العالميتين الأولى والثانية، وأصيب بجراحات شوهت من جسمه تشويها كبيرا، فكوفىء بالأوسمة ثم انقطع الى الدراسات السياسية والاقتصادية العالمية. ومن جملة كتبه كتابه «الحكومة الخفية» ١٩٥٥ شرح فيه خفايا اليهودية العالمية والبروتوكولات (راجع ص ٣٤ ــ ٣٦ من هذا الجزء).

المبادىء والقواعد التي تغذّي الغرائز اليهودية الوحشية العاملة في المذابح التي أنزلها اليهود بالعرب، إنما تغذّيها بروح «التجمع والاقتحام»؛ و«التجمع والاقتحام»، كما سترى فلسفة دموية يهودية، «قَبَلية»[2] «تلمودية»، والتلمود فوق التوراة، والتلمود تقاليد وأخبار شفوية من عهد موسى! ورؤوس الصهيونية هم حكماء صهيون!

وقد كتب الله تعالى على الأمة العربية، وهي خير أمةٍ أُخرجت للناس، ان تتلقّى من المخطط اليهودي شرَّ أجزائه وهو محاولة اليهود بمعاونة الدولتين بريطانيا وأميركا الاستيلاء على فلسطين، وهي اعزّ رقعة من ارض العرب، ليتخذوها قاعدة لملكهم الذي مهما تشخّص منه بالباطل سيظل موهوما. الأمة العربية وُضِعَتْ على المحك، وهي منصورة بإذن الله وإن تعقّد السير وطال الليل!! (راجع ص ١٥٢ من الجزء الأول).

فهذا الكتاب لا يعنى بما هو خارج الستار من امر فلسطين. لا يعنى بتسجيل الحوادث مما هو مادة التاريخ الظاهر. وإنما يعنى هذا الكتاب بما هو وراء الستار، و«وراء الستار» هنا «اليهودية العالمية» التي، كما قلنا، سرّ قوتها في سَتْر أجهزتها. لا يعنى هذا الكتاب بقصة الكفاح العربي في فلسطين، فهذا يرجع الى باب خارج عن مطلوبنا هنا. كما أنه لا يعنى بوصف ما كان من العدو المزدوج، البريطاني والصهيوني، من تنفيذ منظم لوعد «بلفور»، وأيضا لا يعنى هذا الكتاب بالنضال العربي العام في العقود الخمسة الأخيرة. ان هذا الكتاب بمجاله ومراميه، وقوادمه وخوافيه، إنما غايته:

١ ــ كشف الغطاء عن المخطط اليهودي السري المرتبط بعقائد يهودية صهيونية مستمدة ومستقاة من التلمود.

٢ ــ كشف الغطاء عن الغرائز اليهودية العاملة بهذه العقائد على منهج جَمَع اليهود أطرافه وأفرغوه في دستور بربري سنة ١٨٩٧ وهو «البروتوكولات».

٣ ــ كشف الغطاء عن أسرار الغرائز اليهودية كما هي في «التلمود» والمنظمات السرية المهيمنة على تطبيق المنهج، كالقَبَالا والكَهَال والماسونية وسائر المنظمات الخفية الرهيبة.

---

(٢) نسبة الى لفظة القَبَلَة او القبالا العبرية، ولا صلة بين هذا والنسبة بالعربية الى قبيلة.

٤ ــ كشف الغطاء عن ينابيـع هذه العقائد الينابيع التي بالتالي كان منها التلمود، كأعمال نحميا وعزرا ودانيال وحزقيال في السبـي البابلي وبعيده.
٥ ــ كشف الغطاء عن انَّ اليهود يمثلون شذوذا بشريا استطاعوا الى آخر القرن التاسع عشر ان يبقوه مغطى.

وإذ قد انكشف هذا الغطاء الآن، وتَبَوتقت عناصره في قالب المحاولة للاستيلاء على فلسطين، فعلى العربي، النقي الدم والعرق والوجدان واللسان، في اي رقعة تحت الشمس، ان يساهم في الذود عن مصير التربة المقدسة ومصير التاريخ الذي لا يلتوي، وإنما التوى المرة الأولى وقت الصليبيين لكن لفترة ما، ثم عاد فاستقام، والمرة الثانية وهي هذه في دور المحاولة اليوم، ولكنه لن يلتوي، ولو جلّت الضحايا، وثقل العبء، فتاريخنا نصره من السماء والأرض: الاسلام والمسيحية، والعقل العربـي الجبار البنّاء.

نعم، ان هذا الكتاب يأخذ من الحـوادث التي وقعت في فلسطين أخـذا واسعا، لكن لا من باب الاحصاء والتسجيل التاريخي، بل من قبيل الشواهد على الموضوعات التي يسوقها الى القارىء، مما يشرح النواحي الصهيونية العقائدية، كعقيدة «التجمع والاقتحام» لآشر غنزبرغ، كما هي مطبقة في المذابـح التي يوقعها اليهود بعرب فلسطين، وهنا سر أسرار الوحشية اليهودية.

هذا كتاب قد تؤلم مطالعته، ولا اخفي هذا في هذه المقدمة التي جعلتها كتابا مفتوحا، لكنه الكتاب الذي يطوف بضميرك العربـي، لتساهم في الذود عن مصيرك! ان تخريب المحاولة الصهيونية على رؤوس المحاولين، يتطلب روحا عربية واحدة، في البيت والمنزل والمدرسة والمعهد والصحيفة والنادي والمحاضرة والمنبر والنشيد والشعر والمقالة والخطبة والموسم والعيد والقرية والبلدة والعاصمة والمعسكر وميدان المعركة، فضلا عن الاذاعة والتلفاز. اقرأ هذا الكتاب قراءة تدبّر ووعي، فتدرك ما اشد الضرورة ليتحلى عرب النصف الثاني من القرن العشرين بروح عربية واحدة. دم الجراحات، وروح الشهيد يوقظان من الضمير العربـي، والاطلاع على ما وراء الستار اليهودي يوقظ كذلك!.

أتراهن؟ ظنَّ ما تظنُّ ما هي عقيدة «التجمع والاقتحام» قبل المطالعة، فان انت

لم تشعر بأنك عربي آخر بعد مطالعتها، فأنا خاسر الرهان!

ونعتقد ان هذا الكتاب هو أول محاولة عربية من هذا النوع لكشف الغطاء عما وراء الستار اليهودي. فان البروتوكولات نفسها، وهي جديدة عليك في هذا العرض، ستمسي في نظرك مرحلة حصاد ونتائج، عندما تطّلع على الينابيع التي استقت منها القواعد والمبادىء والروح. ان كلمة «اسرائيل» ستبدو لك اسم قفاز مصبوغ صبغا كاذبا يلفّ كفا مجرمة تحاول ان تمتد الى ما هو ابعد. الاسم، «اسرائيل»، والعصب «يهودية عالمية».

لذلك اعتقد، وأنا أبسط ما في صدري في هذا «الكتاب المفتوح»، ان اطّلاع العربي والعربية على هذا الكتاب، الخالي من المتعة وسبب الترفيه، بل المشحون بما يبعث على الألم، شيء ضروري يدخل في باب المساهمة لبناء مصيرنا العربي. لو كانت حفنةٌ من الألم في كل صفحة، فلا بأس. العبرة ان يضاعف الايمان، وأن نفهم جيدا ما معنى «التجمع والاقتحام».

* * *

وهذا الكتاب في اربعة أجزاء:

الأول: يبحث في ماهية البروتوكولات، وكيفية ظهورها في أوروبا آخر القرن الماضي، ومن هو الذي وقعت عليه الترجيحات انه واضع دستورها، ومن هم تلاميذه في فلسطين، ومعنى قاعدة «التجمع والاقتحام» عمليا في المذابح الدموية في فلسطين أيضا. هذا الى تراجم فريق من رؤوس الصهيونية المعروفين في فلسطين وأوروبا، مثل جابوتنسكي ويوسف ترمبلدور وأوسشكين وسوكولوف وروتنبرغ وآشر غنزبرغ، والى المقابلات التي وقعت (١٩٠٣ ــ ١٩٢١) بين البابا ورؤوس الصهيونية في روما.

الثاني: يتضمن ترجمتنا للبروتوكولات ترجمة نقية واضحة.

الثالث: يبحث في ينابيع العقائد التلمودية وما هو مجمع السنهدرين والتلمود مع وصف محتوياته وإيراد (٨٠) جملة من أقواله الخبيثة. كما أتينا على صفوة القصة المتعلقة بالفرق اليهودية، والقبالا والنحمانية، والميمونية، وكتاب «الاشراق» وبالعبرية «الزوهر» وهو دستور القبالا، والبعلشامية والكهال، مع تراجم ثلاثة من رؤوس

الصهيونية او حكماء صهيون: يوسف منده (او الدوق او الدون يوسف ناسي) وموسى مونتفيوري ودزرائيلي.

الرابع: يبحث في التوراة وأسفار العهد القديم وهامان الأمير العماليقي العربي بطل قصة استير ومردخاي، كما يبحث أيضا في البناة الأول من حكماء صهيون: حزقيال ودانيال وعزرا ونحميا. ولأول مرة نخرج الى عرب القرن العشرين بعد الميلاد قصة الأمير «جشم العربي» ــ الموصوف بهذه الصفة في التوراة ــ المقاوم لنحميا وعزرا في إعادة بناء الهيكل. وتكملة للفائدة رأينا من الضرورة، بمناسبة هذه الأبحاث ومسافاتها، ان نوجز قصة ترجمة «الكتاب المقدس» الى العربية في بيروت ولندن في القرن الماضي، وهي ثلاث:

الترجمة البروتستنتية المعروفة بالأميركية، والترجمة اللاتينية المعروفة باليسوعية، وترجمة ثالثة اضطلع بعبئها في بلاد الانكليز احمد فارس الشدياق؛ وهذه الترجمة ــ لأمرٍ ما ــ طوي أمرها في بلاد الانكليز بعد إتمام طبعها، ولم تنشر او لم يؤذن لها ان تنشر في بلاد العرب، كما بيّنا هذا في موطنه.

وجعلنا اسم الكتاب الشامل للأجزاء الأربعة «بروتوكولات حكماء صهيون»، وألمعنا في صفحة الوسمة من كل جزء الى صفوة محتوياته. وجعلنا كل جزأين في مجلد واحد، وينتهي كل مجلد بفهرس عام للأعلام.

زادنا الله قوة «متحدة»، في عروبة مؤمنة عاملة، والله رقيب مهيمن.



رأس المتن ـ لبنان

١٩٦٧



الجزء الأوّل

يبحث في ظهور البروتوكولات وأسباب غفلة العرب عنها، وتطبيقها في فلسطين من سنة ١٩٢٠، مع تراجم رؤوسها المعروفين في فلسطين وأوروبا مع المقابلات الثلاث بين قداسة البابا وهـرتزل ووايـزمن وسوكولوف بين ١٩٠٣ ــ ١٩٢١.

١ – ما معنى بروتوكولات حكماء صهيون ؟

ما معنى « بروتوكولات حكماء صهيون » ؟ .

هذه الكلمات الثلاث ، ليس لهـا حتى اليوم مفهوم واضح في اذهان العرب ، وعمرها في العالم منذ انكشافها ٤٧ سنة ، اذ كان ظهورها في الانكليزية لاول مرة مترجمةً عن الروسية ، بعيد الحرب العالمية الاولى . وحتى الذين يحيطون بمعناهـا ومقاصدها الجهنمية ، من ساسة العرب ، في جميع العالم العربي والمهاجر في مختلف القارات هم قلّةٌ ضئيلةٌ ،واما الصحف العربية عامّة ، فيتفاوت مقدار وقوفها الصحيح على البروتوكولات ، وقليلٌ من كتّاب الصحف ومحرريها مَنْ حَذَق دراسة هذه المقررات اليهوديـة السرية ، واحاط بها ، وتابع انسيابها من مصادر « التلمود » الذي مضى عليه حتى اليوم نحو ١٨ قرناً منذ الابتداء بوضعه ، ونحو ١٤ قرناً منذ تكامله في بغداد في القرنين الرابع والخامس بعد الميلاد . وأمّا الرأي العـام العربي ، الخاص والعام ، فليس احسن حالاً من جمهرة الصحف العربية . هذا ، وقـد جاء في كتاب « الاستيلاء على العالم بحكومة عالمية – او بروتوكولات حكماء صهيون » في الطبعة الانكليزية الحادية والثمانين ١٩٥٨ ان ما بيع من مجموع الطبعات باللغة الانكليزية بلغ اكثر من مليون نسخة .

ومنذ ١٩٤٨ ونحن نردّد اخبار ما اقترفه اليهود في فلسطين من فظائـع وحشية دموية ؛ كمذبحة دير ياسين ، وطبريا ، وناصر الدين ، وقبية ، وغزة ، ونحّالين وغيرها ممّا يتكرّر ارتكابه ، ويختلف نطاقه ، لكنه يمثّل روحاً

واحدة من الهمجية الخلقية ، وقلما عنينا ، الا بالظاهر السطحي ، لنكشف الغطاء ما امكن عن السرّ الرهيب ، الكامن في النفسية اليهودية الصهيونية ، والباعث على ذلك . فاذا شئنا ان نقف على هـذا السر الموروث ، فلنقرأ « بروتوكولات حكماء صهيون » ، فعندها الخبر اليقين .

الصهيونية قفاز خارجي لليهودية العالمية .

الصهيونية والماسونية اليهودية العالمية ، سواء .

اليهودية العالمية حركة سرية نبتت من التلمود الرهيب الذي كان بأصله بضع مجلدات ، فصار منذ ٨ قرون ١٢ مجلداً ، ثم هو اليوم في الانكليزيـة ٣٦ مجلداً من القطع الوسط .

التلمود مستودع شرور اليهود ، وبدأوا يضعونه بعد جمع أسفار التوراة بنحو قرنين .

التوراة شيء أُقفل بابه منذ ٢٢ قرناً ، بعد جمـع الأسفار وتداولهـا والرجوع من بابل . وأمّا التلمود فهو الذي علا على التوراة بأساطيره الغريبة وفي التلمود البذور الشريرة كلها . والعرب لم يعرفوا بعد شيئاً من هذا كله ، الا نتفاً منتاشةً انتياشاً ، ماعدا الذين اختصّوا بدراسات علمية ، وهم نفرٌ قليل .

من التلمود الرهيب استمدّ واضعو البروتوكولات في العقـد الاخير من القرن الماضي ، روح سفك الدماء بأساليب بربرية ، تطبيقـاً لدستور البروتوكولات .

فانظر كيف تسري هذه الخيوط ، وهي سريّة .

اذا أحطتَ « بالبروتوكولات » الموضوعـة بين يديك الآن ، احطتَ بمقدارٍ كبيرٍ من الوقوف على الموروث من التلمود في اخلاق اليهود الصهيونيين . انما من هنا ، لا في ايّ موضعٍ آخر ، على العربي ان يبتدىء بذهن جديد في معرفة اخلاق التلمود واليهود .

* * *

البروتوكولات هي المخطط الذي وضعه رجال المـــال والاقتصاد اليهود لتخريب المسيحية والبابوية ، ثم الاسلام ، وبعد هـــذا التخريب الذي قرّر اصحاب البروتوكولات أن يَتِمّ في خلال مئة سنة ، اي قبل ١٩٩٧ ، يعتقد اليهود الصهيونيون انهم سيستولون على العالم ويقيمون ملكاً يهودياً داودياً ، له من الحيلة والوسيلة ما يمكنهم وهم اقلّية ضئيلة ، من حكم العـــالم بأسره حكماً اوتوقراطياً ، ولا يجـــاور الدينَ اليهوديَّ التلموديّ دينٌ آخر . لا مسيحية ولا اسلام .

وتُنْسف الحضارة القائمة نسفاً تاماً .

وكيفية الوصول الى هذا ، كله يفصّل تفصيلاً في البروتوكولات .

لم يسبق بعد ان دماغـاً بشرياً شريراً ، تخيّل مثل هذا الخيال الجهنمي الشيطاني . لا دماغ فرد ولا دماغ جماعة .

« اسرائيل » المصطنعة في الارض المحتلة ، فلسطين ، هي قفاز اليهوديـة العالمية .

* * *

هـــذه الكلمات الثلاث – « بروتوكولات حكماء صهيون » – تؤلف في مجموع الفاظها شيئاً اجنبي الزيّ والصفة ، حروفها من حروف الهجاء ، ولكن مؤداها غامض . فهي في العـــالم العربي اشبه بسائحٍ غريب بيننا ، اذا تكلم سمعنا منه رطانةً مختلطة ، واذا نظرنا الى لباسه رأيناه يختلف عن لباسنا ، دع عنك سحنته المتميزة بخصائص وفوارق . اذاً ، « بروتوكولات حكـــاء صهيون » تحتاج الى ايضاح .

اما لفظة « بروتوكول » فعديدة المعاني ، كمسودة الاتفاق او المعاهدة او الوثيقة بالمعنى الرسمي عند الحكومات ، موقعة من الفرقاء اصحاب الشأن ، وهي ايضاً في « الرسميـــات » تعني قواعد السلوك ، وأعراف الاصـول

الدبلوماسية ومصطلحاتها ؛ والصيغ الرسمية للوثائق الدبلوماسية ، ومضابط الصيغ التي تبنى عليهـا الوثائق . ونحن العرب جعلنا نقول منذ اكثر من ٢٠ سنة « بروتوكول الاسكندرية » ، مثلاً ، او « ميثاق الاسكندرية » الذي قامت عليه جامعة الدول العربية .

واما المعنى المقصود بها هنا في عبارة « بروتوكولات حكماء صهيون » ، فهو الصيغة التي دُوّنت بها مقررات العصابة المعروفة « بالحكماء » . ولذلك يصح ان نقول ايضاً « مقرّرات » ، بدلاً من بروتوكولات ، ولا يختلف المعنى ، لكن غلبت لفظة البروتوكولات في جميع اللغات الاجنبية التي بحثت مسائل اليهود ، فأصبحت المتابعة اولى .

ولفظة « حكماء » هنا ، ما هي إلا بمعنى الشيوخ أصحاب المقـــادة من الناحية الدينيـــة اليهودية ، وتشمل ما هو أوسع من المعنى الديني المجرّد ، لاختـــلاط الامور بين ظاهرٍ وخفيّ ، ومكشوفٍ ومستور ، وتشمل في معناها اليوم عند اليهود ، أصحابَ النفوذ في السياسة والاقتصاد والصناعة ، والأحزابَ الخفية ، والحركات الهـدّامة ، وخَلْع الملوك ونَسْف العهود ، والكيد ، والقتل، والاغتيال، والمؤامرة. وهي منحدرة عن كلمة «الحاخام»، او « الربّي » او « الربّاني » [1] . لكن في «بروتوكولات حكماء صهيون» ،

---

(١) وردت في القرآن الكريم لفظة « ربيّون » (سورة آل عمران ١٤٦) و « ربّانيين » (سورة آل عمران ٧٩ و « الربانيون » في سورة المائدة ٤٧ و ٦٦ . قال الامام الزمخشري في « الكشّاف » في تفسير «ربانيين» : و«الرباني» منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون ، كما يقال رقباني ولحياني ، وهو الشديد التمسك بدين الله ، وعن الحسن : ربانيين اي علماء وفقهـــاء . وقيل علماء معلّمين .

هذا ما قاله الزمخشري على خير ما كان يُعْلَم من هذا في ايامه. اما الكتّاب اليهود اصحاب الشأن فيقولون : - كلمة « راب » ، بمعنى معلم او استاذ او عالم، كانت تستعمل لعلماء التلمود العراقيين ، « راب حزقيال » ، مثلاً .

وكلمة « ربي » . بالاضافة الى ضمير المتكلم مع حذف الالف للتخفيف ، تستعمل لعلماء التلمود في فلسطين ، « ربي عزرا » ، مثلاً .

←

معناها عصابة كبراء اليهود السرية ، التي تجدد كيانها الخفي في أثناء الثورة الفرنسية ، ووالت سيرها في منتصف القرن الماضي في أيام كارل ماركس ، ونشطت نشاطاً خاصاً في روسيا القيصرية في الربع الأخير من القرن الماضي، ثم عقدت مؤتمرها الصهيوني العالمي الأول في العقـد الأخير من القرن المذكور برياسة الدكتور تيودر هرتزل في بازل (سويسرا) ١٨٩٧ ، وفي هـذا المؤتمر السري وضعت البروتوكولات ، بل كانت مُعَدَّةً من قبلُ ، من قِبَلِ احد كبرائهم الذي يَعتقد الباحثون الغربيون انه « اشرغنزبرغ » من يهود اودسّا، المشهور في عالم الكتابة اليهودية باسمه القلمي وهو « احدها عام » أي « احـد افراد الشعب » ، وجاء فلسطين بعد الحرب العالمية الاولى وأقام ومات فيها سند ١٩٢٧ بعد عمل استمر نحو ٦٠ سنة في سبيل الصهيونية. فهذه المقرّرات كانت أُعدّت لتبحث في المؤتمر وتُقَرَّ وتُبرم ، بعد تلاوتها في المؤتمر في بضع جلسات ، كما يؤخـــذ من نصّها ، دهمَ البوليس السرّي القيصري ، المؤتمر اليهودي في بازل ، دهمة الصاعقة يريد أن يغنم اوراقهم ، فكانت اوراق هذه المقررات من جملة ما استولت عليه أيدي المداهمين . وسيأتي تفصيل هذا في موضعه من هذه الصفحات .

← وأمّا كلمة « ربّاني » فهي اعلى من راب ورابي ، ولا يختص بها الا شوامخ العلماء ، مثلا غملائيل الاول ، وسيمون بن غملائيل ، ويوحنان بن زكّاي (القرن ١ و ٢ في فلسطين)

ويوحنان هذا كبير اليهود المشهور وقت كان الرومان يحاصرون القدس يريدون القضاء على الثوار اليهود المتصمين بداخل المدينة وامتد القتال من ٦٧ ــ ٧٠ ق.م وبن زكاي هو ز م « الفريسيين » الذين ناصبوا السيد المسيح العداء هم والفرقة الاخرى « الصدرقيون » واخبارهم مبسوطة في الانجيل . قال القائد الروماني لابن زكاي اثناء الحصار : « رجالكم يقاتلون كالافاعي في جحورها ، فعلينا ان نستخرجهم من كل جحر لدق اعناقهم » . وقد صدق القائد الروماني فسباسيان واستلّ تلك الافاعي من جحورها وهَدَم القدس وشتّت اليهود . والشتات الحقيقي هو هذا لاشتات نبوخذنصر البابلي في القرن السادس ق.م. وفي سيرة بن زكاي (٧٥ ب.) (ذكرٌ للعرب ولكنه ذكر المقت والكراهية . فذكر انهم كانوا يقيمون في عكا ولهم هناك الخيول والماشية . ثم ذُكروا مرةً اخرى بأن يهوديين احتكما الى اعرابي فقضى بينهما للذي كان الحق في جهته دون محاباة وسرّ الذي كان القضاء في مصلحته ، لان اليهود من عاداتهم وتقاليدهم الا يروا القضاء العادل الا نادرا وهم مردوا على قتل الانبياء حتى في الهيكل المقدس عندهم .

و « صهيون » بالأصل اسم تلّة او رابية في « اورشليم » او بيت المقدس زمن اليبوسيين « أبناء عمومة العرب » ، سكانها القدماء من الكنعانيين الذين بقيت منهم بقيـــة في بيت المقدس الى القرن الخامس او الرابع ق.م ، والكنعانيون هم أهل فلسطين بمعظمها قبل بني اسرائيل بقرون عديدة ، ولما عاد اليهود من سبي بابل في القرن الخامس ق.م وجـدوا بقايا اليبوسيين على حالهم في المدينة والارباض . فلفظة « صهيون » كما ترى كنعانية لا عبرية .

وعلى هذه التلة ، ابتنى داود قصره بعد انتقاله من حبرون (الخليل) الى بيت المقدس في القرن الحادي عشر ق.م وصارت كلمة صهيون مع الزمن معناها الحكومة اليهودية الدينية . و « عشاق صهيون » او «أحبّاء صهيون»، منظمة علنية خفية رهيبة ، أُنشِئَتْ في روسيا بعد منتصف القرن الماضي ، وانتشرت في داخل روسيا وقامت بالحركات السرية لهـــدم القيصرية ، كما انتشر لها فروع عديدة في الخارج ، وهذه المنظمة عُنِيَتْ بفلسطـــين قبل هرتزل بعدة عقود ، وانتهى اليها معظم يهود روسيا البارزين . فوالد ويزمن، وكيش ، وبن غوريون ، وبنتويش ، وسوكولوف صاحب كتـــاب « تاريخ الصهونية » وغيرهم ، كانوا جميعاً أعضاء عاملين في المنظمة المذكورة . وهــذه المنظمة العنيفة هي أول من اخذ يرسل جماعات اليهود الى فلسطين في الربع الاخير من القرن الماضي . واغتال الارهابيون القيصر اسكندر الثاني في ١٣ آذار (مارس) ١٨٨١ وكان هؤلاء من اليهـــود ويقول موسى سميلانسكي ، المعروف لعرب فلسطين جيداً ، ان حكومة القيصر اعترفت بمنظمة « عشاق صهيون » سنة ١٩٨٠ - ٩١ وسميلانسكي هــذا جاء فلسطين في ذلك الوقت وهو شاب في السادسة عشرة ، مُنْتَمٍ الى « عشاق صهيون » (كتاب « نفيل باربر » ص ١١٥) .

٢ ـ النكبات الاربع واسباب غفلة العرب عنها

وضعت الحرب العالمية اوزارها في خريف ١٩١٨ فبوغت العرب باربع نكبات كلها من صنع بريطانيا وامبركا وفرنسا واليهود الصهيونيين :

١ ـ ظهور وعد بلفور أواخر ١٩١٧ .

٢ ـ ظهور معاهدة سايكس ـ بيكو السرية المعقودة بين بريطانيا وفرنسا ١٩١٦ لاقتسام الأقطار العربية بعد الحرب (سوريا ولبنان والاردن والعراق وفلسطين) .

٣ ـ الاحتلال الاجنبي ـ الفرنسي البريطاني ـ تحت قناع الانتداب (مصر كانت محتلة منذ ١٨٨٢ والسودان منذ ١٨٩٨ وتونس منذ ١٨٨١ والجزائر منذ ١٨٣٠ والمغرب منذ ١٩١٢ . وكانت ليبيا جزءاً من المملكة العثمانية فتنزّت عليها ايطاليا ١٩١٢ فاحتلت سواحلها وكانت حتى حينئذ تعرف بطرابلس الغرب او طرابلس وبرقة) .

٤ ـ ظهور بروتوكولات حكماء صهيون سنة ١٩١٩ في بلاد الانكليز بعد الثورة البلشفية ١٩١٧ غير ان العرب لم يقفوا عليها ، ولم يتسن لهم ذلك الا" في منتصف هذا القرن والى حد قليل ، وعلى نطاق محدود .

***

اسباب غفلة العرب عن التنبه للبروتوكولات منذ ظهرت في بريطانيا ١٩١٩ :

١ – عناية اليهودية العالمية بألاّ ترى شيئاً من حديث البروتوكولات يتسرب الى الشرق ، وذلك بالحيلولة دون أن ينتقل شيء من الكتب او منشورات الصحف البريطانية الى فلسطين خاصة . ولم يسمع بذكر البروتوكولات في الدولة العثمانية حتى ١٩١٤ .

٢ – كانت بعض الصحف البريطانية قد شرعت في الخوض في هذا الموضوع « كالمورننغ بوسط » ، فاذا بها بعد قليل تسكت عن أيّ متابعة أو مزيد . وكان ونستون تشرشل نفسه ، قبل ان مال الى اليهودية العالمية وانتقل الى معسكرها ، قد نَشَر في مجلة « اللستراتيد صنداي هيرالد » في ١٩٢٠/٢/٨ مقالاً يستفظع به مؤامرة اليهود الملاحدة ، كما وصفهم ، لنسف الحضارة الاوربية ، وأشار الى ان الحركة عالمية ، رهيبة ، لكنه سكت بعد قليل كما سكتت « المورننغ بوسط » . ولم يبقَ في بلاد الانكليز الاّ جمعية بريطانية واحدة صامدة في وجه اليهودية العالمية الى اليوم . وسنأتي على ذكر هذه الجمعية في هذه الصفحات . وحوادث البطش اليهودي السري والعلني ، بكل جريدة او مجلة او كاتب او معلق او جمعية ، ممن تصدى لموضوع البروتوكولات ، حوادث مشهورة اكثر من ان تحصى . فاين للعرب وقتئذٍ ، وكل قطر في عراك مع الانكليز او الفرنسيين ، ان يتنبهوا لمثل هذه « الكماليات » في القضية العربية . وحوادث بطش اليهود لم تكن مجرد ارهاب صوري ، وقطع الاعلانات عن الصحف وتخريبات تجارية اقتصادية من وراء ستار ، بل تعدت ذلك كله ، الى احراق المطابع والقتل والاغتيال بطرق عجيبة في بريطانيا وفرنسا والمانيا . اما في روسيا فالقتل هو جزاء من توجد بحيازته نسخة ما من البروتوكولات بأية لغة .

٣ – هذه الغفلة من جهة العرب ، كانت عامّةً مُطْبِقة ، حتى ان الوفود العربية المختلفة التي توجهت من مصر وفلسطين والعراق

وسوريا ولبنان الى لندن وباريس في مدة ما بين الحربين ، ثم بعد الحرب الثانية الى ١٩٤٨ لم تسمع شيئاً حرّياً بالذكر من أمر البروتوكولات .

٤ً – كانت حكومة فلسطين ، وللصهيونية فيها النفوذ الكاسح ، الواسع ، يَقِظَةً كل اليَقَظَة دائماً كي لا يُسْمع شيء بهذا الموضوع . واننا في ايراد هذا الاجمال لا ينبغي ان نحث القارىء العربي في العالم الآسيوي والافريقي والمهجري كله ، على مطالعة هذه البروتوكولات ، وقد اصبحت الآن بين يديه منقولةً نقلاً صحيحاً من الانكليزية ، بقدر ما نود استرعاء انتباهه الى ناحية أخرى ، وهي ان قيام اليهودية العالمية واجهزتها على المتعرض للموضوع بالنقمة والاغتيال الاّ الدليل الطبيعي المحسوس على صحّة هذه الاوراق من حيث انها من صنع عباقرتهم الجهنميين . وسيأتي تفصيل هذا في موضعه .

٣ - ظهور البروتوكولات

ولدينا ثلاث حوادث تتعلق بالموضوع وهي حَرِيَّةٌ بأن توضع بين يدي القارىء : -

الاولى : وقعت في فلسطين في ربيع ١٩١٨ والحرب قائمة . وكان الجيش البريطاني بقيادة الجنرال اللنبي قد احتل القدس في السنة السابقة ، ولكنه لم يتمكن من التقدم شمالاً بعد ذلك الا قليلا . وكان باقي فلسطين والاردن ، فضلاً عن سوريا ولبنان ، بيد الترك والالمان . وكان قد مضى على صدور وعد بلفور بضعة اشهر . وكان ويزمن قد قَدِم فلسطين على رأس وفدٍ يهودي صهيوني، ومعه ماجور اورمبسي غور (بعدئذ وزير مستعمرات وصار لورد هارلخ) ضابط ارتباط بين الوفد والسلطة البريطانية العسكرية. وغاية هذا الوفد الصهيوني ، المسلح بكتب توصية من رئيس الوزارة ، لويد جورج ، ان يطّلع على الحالة في فلسطين تمهيداً لتطبيق السياسة اليهودية المنبثقة عن الوعد . وكان هذا الوفد شديد الحماسة لمهمته ، لا يصدق متى يضع قِدْره على النار . فاصطدمت هذه الحماسة وحالةَ الحرب القائمة ، وهنا المعارك والدم والقتال والكرّ والفرّ والهجوم والانسحاب ، وهناك في لندن من جهة الصهيونيين ولويد جورج ، المؤامرات والختل والخديعة . فأين مهمة الجيش البريطاني عسكرياً وقتئذ ، من مهمة وفد صهيوني قادم لتطبيق «وعد سياسي» كُتب في قصاصة ورق وهو عبارات مبهمة يتضارب بعضها مع بعض . فامتعض اللنبي من قدوم هذا الوفد عليه ، لكن لم يكن بد من انزاله في مخيّمه العام او « مقر القيادة » في « بئر سالم » قرب « الرملة» ، بين يافا والقدس ، في سهل من اجمل سهول بلاد العرب . جاء

ويزمن يريد الشروع في تطبيق سياسة التهويد ، ومعظم فلسطين لا يزال بيد الترك والالمان كما ترى .

غير ان اللنبي وان امتعض من مجيء هـذا الوفد وحلوله ضيفاً عليه بتوصية من لويد جورج ، لم يسعه ان يزيد على التجهّم شيئاً في وجه ويزمن ، سوى تضمين الاجوبـة منه الى ويزمن في مجرى تبادل الاحاديث ، بعض الابر الحادة . وكان من اعوان اللنبي وقتئذ في مقر القيادة ، الجنرال ديدز ، فكان ويزمن ينام في مخيّم ديدز ، ويقول ويزمن في مـذكراته انه كان مرتاحاً في مقامه في هذا المخيم، لأن ديدز كان يعطف على اليهود ويقدر قـَدْر وعد بلفور . وهذا من ويزمن نصف الوصف لديدز ، والنصف الآخر ، ان ديدز هذا هو من الشيعة البريطانية البروتستانتية التي يعتقد أهلها برجوع اليهود الى فلسطين تحقيقاً لما يسمى بنبؤآت التوراة . فالصلة بين ديدز وويزمن روحية عميقة . جرت هـذه الواقعة التي نحن بصددها الآن ، في ربيع ١٩١٨ كما قلنا ، وديدز أحـد أعوان اللنبي والحرب قائمة ، اما ما كانه ديدز بعد ذلك ، وما تقلد من عمل ، فانه بقي في الجيش الى سنة ١٩٢٠ ولما جـاء هربرت صموئيـل اليهودي الصهيوني ، اولَ مندوبٍ سامٍ على فلسطين وباشر عمله في اول يوليو ١٩٢٠ وانطوى بساط الحكومـة العسكرية ، وأنشئت ادارة مدنية يتولاها صموئيل هذا ، انتقل ديدز من الجيش الى ان يكون السكرتير المـدني الذي يلي المندوب السامي في ممارسة السلطة والمسؤولية في الحكم ، اي انـه هو ثاني رجـل في الحكومة . وقد اختاره صموئيل لهـذا العمل ، كما اختار رونالد ستورس حاكماً مدنياً على القدس ، وستورس هذا هو استاذ لورانس في مصر قبل ان يذهب لورانس الى الحجاز اواخر ١٩١٦ . وبقي ديدز سنتين في فلسطين يشغل هذا المنصب ، ثم آثر العودة الى بلده ليعمل هناك في مشروع عزيز عليـه يتعلق بالخدمات الاجتماعية . وكان ديدز يتقن التركيـة اتقاناً حسناً اذ هو كان احد رجال بعثة عسكرية بريطانية الى تركيا قبل الحرب العامة الاولى لتنظيم قوة الدرك العثماني ، فتعلم

التركية ووقف على كثير من مجاري السياسة العثمانية وقتئذ (١) .

إذن ، ديدز صديق الصهيونية عن عقيدة دينية . فلما كان ويزمن جالساً عنده ذات صباح ، ولا ثالث في المخيّم ، وانطلق الحديث بينهما ، وويزمن واثق ان محدّثه صديق الصهيونية ، فاذا بديدز يُخرج من الدرج جملة اوراق ويناولها ويزمن ويرجو منه ان يقرأ هذه الاوراق ، فلما تناولها ويزمن وهو لا يعلم ما فيها ، وهي مطبوعة بالمستنسخ ، امتقع لون وجهه منذ وقع نظره عليها وانكمش وابدى رغبته في ان يُعفى من قراءتها ، فعاد ديدز يطلب منه برفق الصديق المخلص ان يطيل أناته ويطّلع على هذه الاوراق ، فلم يسع الحال ويزمن حينئذ ، الا ان ابقاها بيده هنيهةً متظاهراً بأنه قرأها وفرغ من مطالعتها ، ثم توجه الى ديدز بهذا السؤال : من اين وصلت اليكم هذه الاوراق ؟ ولم يُخفِ عنه ديدز شيئاً من الحقيقة ، فقال له : هذه الاوراق موجودة هنا في حقائب الضباط وبعض الجنود ، ولما كانت قواتنا العسكرية تقاتل الى جانب الجيش الروسي القيصري في القفقاس ، كان الامير نقولا يقوم بتوزيع هذه الكراريس على الضباط الانكليز ، ولمّا انهارت جبهة القفقاس وانتقلت قواتنا الى فلسطين ، جاءت هذه الكراريس في الحقائب والجيوب . فصُعِق ويزمن وقال له ديدز ان لهذه الاوراق شأناً خطيراً يعرقل عملكم في فلسطين

وما هي تلك الكراريس ؟ هي « بروتوكولات حكماء صهيون » باللغة

---

(١) مؤلف هذا الكتاب ، وقد هبط فلسطين من دمشق في ايلول ١٩٢٠ يعرف ديدز معرفةً شخصيةً تامةً عن كَثَب وكان يخبرني عنه الصحافي العربي (اللبناني الاصل) الاستاذ ابراهيم النجار المشهور ، وكان النجار يومئذ يصدر اول جريدة عربية يومئذ في القدس وهي « لسان العرب » وله صلة وثيقة بديدز اذ كان يبغي النجار ان عثل دوراً صحافياً بين العرب والانكليز واليهود ففشل بعد تجربة نحو ثلاث سنوات ، ثم انتقل الى دمشق ، وسكنتْ الريح بينه وبين الانتداب الفرنسي ثم الى بيروت ، فاصدر جريدة وتولى احدى الوظائف وتوفي بعد ١٩٥٠ .

الانكليزية . ومن اعدّها ؟ يُرَجَّح ان الحكومة القيصرية هي التي أعَدَّتها . وماذا جرى بعدئذ من امر هذه الكراريس في الجيش البريطاني في فلسطين ؟ لا ندري شيئاً . هذا سنة ١٩١٨ .

الثانية : وقعت حوالي ١٩٣٠ في فلسطين ، وقد انقضى اكثر من عقد على المضي بسياسة تطبيق الوعـــد والتهويد . وكانت في سنة ١٩٢٩ وقعت ثورة عنيفة في فلسطين بدأت في القدس اولاً ، ثم انتقلت الى الخليــل وصفد وبيسان وغير منطقة . سبب هذه الثورة عدوان اليهود على « مربط البراق » بجوار المسجد الاقصى المبـارك فسميت هذه الثورة في تاريخ ثورات عرب فلسطين في عهد الانتداب « بثورة البراق » . وقتئذ انعقد المؤتمر الصهيوني في سويسرا وكانت مقرراته هائجاً لليهود في فلسطين ، فظنوا ان تجربة العنف قد تجديهم ، فجرّبوا ذلـــك فكانت الثورة التي استمرت سبعة ايام بلياليها ، [1] وفي السنة التالية ذهب وفد عربي فلسطيني الى لندن ، وبقي اليهود يعملون على الهياج في الداخل والخـارج ، وهم لا يلقون من حكومة فلسطين وسيدتهـا حـكومة لندن ، الا كل تلبية ومسايرة ، وفي اثر هذه الثورة بدأ العرب مقاطعة اليهود مقاطعة اقتصادية شاملة في مختلف انحـــاء البلاد . وغدا الاحتكاك بين الفريقين قابلاً للالتهاب في أي وقت . والى غاية ١٩٢٩ لم يكن دخل فلسطين من المهاجرين اليهود اكثر من نحو مئة الف نفس.

---

(١) وظلت بقايا منها اسبوعاً آخر ، فكانت خسائر اليهـــود في جميع انحاء فلسطين ١٣٣ قتيلاً و ٣٣٩ جريحاً، وخسائر العرب ١١٦ قتيلاً و ٢٩٣ جريحاً وانما بلغت خسائر العرب هذا الرقم لأن الجند البريطاني في هذه الثورة سنة١٩٢٩ صنع ما صنعه ١٩٤٨ من تحيزه السافر لليهود ، فمعظم خسائر العرب كان برصاص الجند الانكليزي وكان هذا من جملة العار الذي جلـّل رؤوس الانكليز في فلسطين مدى ٣٠ سنة ، بل الى الابد .

كنت وقتئذ اعمل في « المجلس الاسلامي الاعلى » ومركزه القدس ، ومكان البراق لا يبعد من مكاتب المجلس غير قليل وشهدنا مجرى الحوادث عن كثب ورأينا الكثير من الاعيب اليهود والانكليز معاً ، وفي دفاتري جمعت ما استطعت جمعه من راهن الاخبار والمعاينة والمشاهدة .

وكانت تقيم في يافا ثم في حيفا منذ ١٨٩٥ سيدة بريطانيـــة منتمية الى احدى جمعيات التبشير البروتستانتي ، او منظمة القديس يوحنا في القدس ، وهذه السيدة هي فرانس نيوتن التي عُرِفَت بشديد صداقتها للعرب بعد ان نَجَم قرنُ اليهود في فلسطين . والسيدة نيوتن لها مكانة علمية في بلدها ، فهي عضو في الجمعية الملـكية الجغرافية بلندن ، والجمعية الجغرافيـــة الاميركية . وطبعاً تعلمت العربية ، وطافت فلسطين طوافاً واسعاً من اجل الدراسة الدينية التاريخية ، وكانت في كل مـــدة تزور بلادها ثم ترجع الى فلسطين ، وتوطنت حيفـــا اخيراً وابتنت داراً فيها ، وكانت لا تتردد في المآزق الحرجة ان تسمع اصدقاءها في لندن صوتها احتجاجاً على الظلم النازل بالعرب ، وهي كما يستفاد من مذكراتهـــا من اعلم الناس بخفايا امتياز البحر الميت ، الامتياز الذي ناله اليهود سنة ١٩٢٩ ومن املاح هذا البحر الميت الحي تستخرج اسرائيل اليوم مقادير كبيرة من الاورانيوم مـــا عدا البوتاس وغيره ، والعرب غافلون عن هذا او متناومون ، لكن معذرتهم هنا ليست كمعذرتهم في عدم وقوفهم على بروتوكولات حكماء صهيون . وسنة ١٩٤٨ طبعت السيدة نيوتن مذكراتها بعنوان خمسون سنة في فلسطين ووشّحت غلافه بالعلم العربي الملون ، وضمّنت كتابها هذا كثيراً من المعلومات الخطيرة ، مما لا يوجد عند غيرها من اصحاب المذكرات السياسية من الانكليز الذين اقاموا في فلسطين في الزمن الحديث .

فكان من الطبيعي ان يقف لها اليهود بالمرصاد ، يأخذونها تارة بالمحاسنة ، وطوراً بالمخاشنة ، وهي لا تلـين ولا تنصاع الا الى جهة الحق ، وجهةُ الحق كلها للعرب كالفرق بين معتدٍ محض ، ومظلومٍ محض . لكنهم مـــع هذا جعلوا احـــد قادتهم السياسيين ، وهو موشه مرغوليس كلفرسكي ، رئيس حزب « بريتشالوم » [1] الذي يدعي التقرب من العرب ، يكون على صداقة

(١) كان ابرز شخصية صهيونية في فلسطين ايام الانتداب يحاول التقرب من العرب تحت قناع هذا الحزب ، وكان يعمل في شراء الارض وهو من ابرز يهود روسيا في اواخر القرن الماضي ، وهو خريج جامعة مونبليه في الزراعة وخاصة البرتقال .

ظاهرة معها ، وهي تعلم ماذا عنده وما وراءه .

وسنة ١٩٢٩ اشتدت نكاية اليهود لها في فلسطين وفي لندن . والسبب في هذا ان السيدة نيوتن بذلت اقصى جهدها في مساعدة صديقتها الدكتورة «آني هومر» الخبيرة بالعلوم الكيمائية ، ان تنال الامتياز لاستثمار املاح البحر الميت، العجيب الغريب في الثروة المعدنية ومعظمها يدخل في الصناعات الحربية[1]. وكثرت مساعي الدكتورة هومر في هذا السبيل لدى الحكومتين البريطانية في لندن، والفلسطينية في القدس ، ومن ورائها متمولون انكليز هم شركاؤها في المشروع . وكادت الدكتورة هومر ان تنال الامتياز ، لأنها قدّمت احسن شروط ، وقَبِلتْ هي من الحكومة البريطانية كل الشروط. لكن في اللحظة الاخيرة ، صارت حكومة لندن تتملص من موقفها ازاء الدكتورة هومر ، وتغلق الأبواب في وجهها ، وبالتالي رفعت حكومة لندن البرقع عن محيّاها ، واذا بها تعطي الامتياز الى الفريق اليهودي الصهيوني. وكان ذلك بطريقة خفّت فيها كرامة حكومة لندن . فجن جنون الدكتورة هومر . والقصة طويلة مليئة بالعبر ، لكننا لم نأخذ منها هنا الا ما هو ضروري لمساق كلامنا المتعلق بصلبه ببروتوكولات حكماء صهيون .

واسهبت السيدة نيوتن في التفصيل في مذكراتها وهي تبسط جملة الحقائق . ومما قالته، وهو لا يشرف الحكومة البريطانية ، ان النقطة المهمة في القضية كلها ، ليس اعطاء الامتياز الى اليهود الصهيونيين ، بل بالطريقة غير المستقيمة التي اتبعتها حكومة لندن وحكومة فلسطين ، وهذه بنيّة تلك وظلّها .

---

(٢) قالت السيدة نيوتن (ص٢١٢) ان الدكتورة هومر قدرت مادة البوتاس ، دون غيرها من المواد ، بأن في الامكان التام امداد الاسواق العالمية بمليون طن كل سنة ، من هذه المادة لمدة الفي سنة . وهي تقدر ثروة مجموع الاملاح بمئات الملايين من الاسترليني .

نعم ، نزلت باليهود سنة ١٩٢٩ ضربة ثورة البُراق» التي أشرنا اليها ، واولئك قتلاهم وجرحاهم ، وهؤلاء قتلانا وجرحانا ، لكنهم هم كانوا يعملون في الوقت نفسه ، العمل المتواصل العنيف لنيل الامتياز فنالوه [١] .

فبين السيدة نيوتن واليهود الصهيونيين شدُّ حبالٍ من زمنٍ طويل ، كما علمنا ، غير انه لما جاءت مسألة نيل امتياز البحر الميت سنة ١٩٢٩ امست (الصداقة) بين الفريقين لَدَداً حاداً . وهذا ما حصل ممـــا له صلة بالبروتوكولات :

يظهر ان السيدة نيوتن من شدة حنقهـا على حكومة لندن وحكومة فلسطين ، بعد الفشل في نيل الامتياز ، رأت ان ترفع طرف اللحاف قليلاً ليرى بعض العرب ما تحته مخبأ من (**البروتوكولات**) في بعض فصولهـا . والرواية الواقعية مدهشة .

فقد دعت الى بيتها عدداً من اصدقائها اهل القرى ، وبعد ان احسنت استقبالهم جعلت تُطْلعهم ، لُقمةً لقمةً ، على البروتوكولات وما تحتويه . وهذه الدعوة خاصة ، والمنزل منزلها ، وهي صاحبة الشأن فيه . ولعلهـــا

(١) في سنة ١٩٤٢ والحرب على اشدها، خطب احد اعضاء الوكالة اليهودية في مؤتمر صحفي في تل ابيب، ومما قاله : « في فلسطين اليوم (١٨٠٠) صناعة دائرة الدواليب ، والمال الموظف في هـذه الصناعات ١٤ مليون جنيه ينتج كل سنة من السلع ما قيمته مثل هـذا المبلغ؛ والصناعات اليهودية تعول اليوم ٤٥ الف نفس من يهود فلسطين ؛ ومن الممكن ان يضاعف عدد الصناعات في مدى خمس سنوات مقبلة ، بحيث تصبح فلسطين اقوى مركز صناعي في الشرق الاوسط ؛ وقسم كبير من رأس المـال القومي موظف في مشروع البحر الميت وشركة الكهرباء الفلسطينية وانما بوسعنا تنمية عدة مشروعات اخرى كبيرة اذا استطعنا ان نضع في فلسطين المواد الآليـــة اللازمة لمشروع البحر الميت ؛؛؛ وان كلا من تركيا ومصر تنمي صناعاتها الكبيرة ؛ فاذا شاءت فلسطين منافستها فعليها ان تزيد من عنايتها بالصناعات ؛ وانما بهذه الصناعات نستطيـع اعداد الاسباب لقبول المزيد من المهاجرين لا بمئـات الالوف بل بالملايين» . وهذا الكلام سنة ١٩٤٢ فليتأمل العربي سنة ١٩٦٦.

كانت تعتقد ان تسريب المعلومات عن البروتوكولات الى العرب بهذه الطريقة خيرٌ من اتباع اية طريقة اخرى . فأهل القرى هم ينقلون البضاعة بعدئذٍ الى سائر الجهات، فيعمّى الامر على الحكومة، وهؤلاء الاصدقاء لن يبوحوا بسر، فيطلع العرب على ما خفي عليهم حتى ذلك التاريخ ٢٢ سنة .

وهذا ما وقع : فبينما السيدة نيوتن في مجلسها في بيتهـــا ، تحدّث هؤلاء الاصدقاء بأمرٍ يَقِفُ منـــه شعر الرأس يسمعونه في حياتهم لأول مرة ، والكتاب بيدها ، فاذا رجلٌ يدخل بغير استئذان ودون ان يَقْرع جرس الباب ، وهو يهوديٌّ مليء الجسم ، جميل اللحية ، الصديق كلفرسكي ! فبغتت السيدة نيوتن . اما هو فاعتذر اسخف اعتذار لمخالفته قواعد السلوك في دخول المنزل . قال : انه يفتش عن اصدقاء له ظنهم انهم هنا . ثم انسحب ، وهي من حنقها لم تأبه به دخولاً ولا خروجاً . ثم بعد قليل ارفضّ المجلس وتفرق الزوّار . واصبحت السيدة حذرة .

وفي ثاني يوم ، طُلِبَت السيدة الى القدس ، مركز الحكومة ، لمواجهـة السكرتير العام للحكومة ، فحضرتْ ، وهناك سَمِعَتْ من العذل والتأنيب ما الله اعلم به . فعادت من القدس الى حيفا خائفة تترقب .

وقبل ذهابها الى القدس، كان الصديق كلفرسكي، قد اتصل بالكولونيل كيش رئيس المكتب التنفيذي للوكالة اليهودية **هي الحكومـــة الصهيونية داخل حكومة فلسطين** وبَسَط له ما رأى من امر السيدة نيوتن ، وهي **متلبسة بالجريمة** في بيتها ، تحدّث رهطاً من اهل القرى العرب ، عن البروتوكولات [١] .

---

(١) وهنا ملاحظة : فان السيدة نيوتن لم تذكر عن هذا الحادث شيئاً في مذكراتها . ولا ندري السبب ، اهو الخوف ام الحكمة ام شيء آخر . ومعلوماتنا عن هـــذه الواقعة ، من مصدرين : الأول ما سمعناه من عدّة اصدقاء عرب هم اصدقاء نيوتن في الوقت نفسه ، والآخر ما ذكره الكولونل كيش في مذكراته Palestine Diary .

لكن الكولونل كيش [١] ذكر في يومياته صفوة ما قام به كلفرسكي من الزيارة المفاجئة ، كما ذكر خطورة الجناية التي كانت تجنيهـا السيدة نيوتن مما يسبب سفح الدماء في فلسطين على رأيه ، فذهب الى السكرتير العـــام للحكومة محتجاً مطالباً بالاخذ على يد السيدة . وما عدا التأنيب الذي سمعته السيدة ، فقد صدرت وقتها التعليمات السرية الى دوائر الامن العام في فلسطين ، ولا سيما شمالي البلاد حيث تقع حيفا ، بأنّ عليهم أن ينتبهوا الى ما عسى ان يسمع من شائعات في القرى العربية تتعلق باليهود ، حتى اذا التقطت آذانهم على يد الجواسيس والعيون اي شائعة من هذا النوع فعليهم باطلاع القدس على ذلك فوراً ، درءاً لوقوع ما يخل بالامن ! .

---

(١) هو في العربية « قيس » وقد ورد هذا الاسم في التوراة بعض الورود ، وكان شاول وهو أولُ من جُعِل ملكاً ممسوحاً على اسرائيل ، اسم ابيه قيس .

هو يهودي انكلـــيزي ، وكان ابوه من المنتمين الى منظمة « عشاق صهيون » ومن رجال هذه المنظمة من كانوا من هيأة اليهود العالمية السرية التي هي منبع البروتوكولات . فنشأ في بيت غذاؤه فيه التلمود والصهيونية . وفي خلال الحرب العالمية الاولى قضى مدة ليست بالقليلة في العراق وهو وقتئذ احد المهندسين الملكيـــين ، فـُجرح ، وبعد شفائه ُنقل الى مكتب الاستعلامات البريطانية . ولما وَضَعَت الحرب اوزارها ، نـُدِب ليكون في باريز في الظاهر خبيراً عسكرياً لدى الرئيس ويلسون ، وانما الصهيونيون هم الذين ندبوه وهؤلاء تسيّرهم تعليمات اليهودية العالمية . وكان حول ويلسون ثلاثة يهود صهيونيين : القاضي برنديزي الاميركي المشهور وآخر تحت قناع مترجم اسمه « منتو » ، وكيش هذا ، وكان ويزمن قـــد اجتمع به في جبل طارق في خلال الحرب العامة وكيش هناك في مهمة تجسس . وسنة ١٩٢٢ اختاره ويزمن ليكون رئيس المكتب التنفيذي في القدس فبقي فيه الى ١٩٣١ ثم استقال وسكن جبل الكرمل ونشر مذكراته التي عنوانها « يوميات فلسطين » وفيها ذكر اشياء كثيرة عن العرب دلـّت على سخافة وسطحية مدهشة . والفرق بين مذكراته ومذكرات ويزمن ان كيش كقوس قزح ، محلي المدى اعمى الهوى ، ومذكرات ويزمن للخديعة العالمية على مستوى أعلى . وكنا نعرف كيش عن كثب معرفة لا بأس بها . ولما كان مولانا شوكت علي ، الزعيم الهندي في القدس يحضر المؤتمر الاسلامي (١٩٣١ ـ ٣٢) وقعت مقابلة بينه وبين الكولونل كيش في « كلية روضة المعارف الوطنية » المجاورة لمكاتب المجلس الاسلامي الاعلى ، وطـَلـَب مني مولانا شوكت علي ورئيس المجلس الاسلامي الاعلى ان احضر هذه المقابلة ممثلاً المجلس فحضرتها ، فعرفتُ هذا اليهودي الصهيوني ←

ومعلوماتنا التي اتينا بها هنا تتعلق بهـــذا الحادث مأخوذة من دفاترنا الخاصة ، ومن عدة مصادر انكليزية اهمها مذكرات كيش نفسه ومذكرات ويزمن ، ومعلومات اصدقائي العرب الثقات .

← ورروغانه. وكان موضوع البحث بين اكبر زعيم مسلم هندي وبين كيش احد قادة الصهيونيين ، فلسطين ومستقبلها. وبعد ان خرج كيش من اللجنة التنفيذية بقي في فلسطين حتى كانت الحرب الثانية. وكان يهم الصهيونيين ان ينتدبوا نفراً مختاراً منهم للخدمة في الجيش البريطاني في البلاد العربية ، لكن الغاية الخفية هي التجسس ومعرفة احوال البلاد ابتغاء الاستفادة من هذا في يوم آت ، وكيش احد هؤلاء ، كما كان شأنه في العراق في الحرب الاولى كذلك كان شأنه في شمال افريقيا في الحرب الثانية ، وكان في تونس في فرقة المهندسين الملكية، فقتل هناك في نيسان (ابريل) ١٩٤٣ ولما كان في باريز ملحقاً بالرئيس ويلسون تحت اسم خبير عسكري ، كان عمله الحقيقي المساهمة في صياغة معاهدات الصلح من جهة ويلسون . فانظر وتأمل !!

وذكر كيش في «يوميـــاته» من حوادث ايلول (سبتمبر) ١٩٢٩ وقت ثورة البراق ما يلي ننقله بالحرف : علمت اليوم بالحادث التالي وهو يدل على نشاط الدعاية المعادية لنا فقد دخل الدكتور أدَرْ من اساتذة الجامعة العبرية ، غرفة صاحب البيت الذي يسكنه ، وصاحبه مسيحي عربي ، فرأى بيده نسخة من بروتوكولات صهيون ، ولما ابدى الدكتور استغرابه قال صاحب البيت ان هذا الكتاب انما وصل اليه من صديق له ، واضاف انه علم ان هذا الكتاب يوزع على الجيش .

قلت : اكتفى كيش بهذا القدر من تدوين هذا الحادث السخيف من يومياته وكما قلنا سابقاً انّ هذه اليوميات محشوة بالسطحيات والاكاذيب المتعلق موضوعها بالعرب . ولا يفوت القارىء ، وقد مرّ به حادث السيدة نيوتن ، ان يلاحظ كيف يتفق ان يدخل كلفرسكي بيت السيدة بلا استئذان في حيفا ، واما في حادث الدكتور أدر في القدس فلا بد من ذكر اشياء تدل على ما في يوميات كيش من زور : اذا كان صاحب البيت يعلم خطورة الكتاب الذي كان بيده ولا بد له ان يعلم هذا ، وجاء جاره الدكتور أدر يزوره ، واستأذن هذا في الدخول ، فلا بد حينئذٍ ان يَطْوِيَ صاحب البيت الكتاب الذي بيده قبل ان يدخل عليه الزائر . واذا كان الجار أدر دخل بلا استئذان ، وهذا ما نرجّحه ، فالدخول هو لأجل التجسس ، كما فعل كلفرسكي تماماً . ولا نعتقد ان قول صاحب البيت انه علم ان هذا الكتاب يوزع على الجيش ، صحيح . بل نعتقد ان هذا من اضافات كيش للتهويل ، اذ لو كان صحيحاً لذكر في يومياته انه اكتشف شيئاً عظيما في نظره . واذا صحّ ان الكتاب كان يوزع على الجيش فالذي يصنع هـــذا هو الجيش نفسه على غرار ما قال ديدز لويزمن في بئر سالم ١٩١٨ ونعلم وكنا في القدس مدة الانتداب كلها ، ان بعض رجال اليهود كانوا يتعمّدون السكنى في اطراف الاحياء العربية لا في وسطها وداخلها ، من اجل التجسس وكان الدكتور أدر من ابرع اليهود والطفهم واكيسهم في هذا الامر .

الثالثة : وقعت في سويسرا منذ نحو ٣٣ سنة وهي من جنس آخر :

في سنة ١٩٣٣ بعد ظهور هتلر وتفكيكه هيكل اليهود في المانيا ، كما عرف العالم ، ضويق الصهيونيون في سويسرا ، وكانت **الجبهــة الوطنية السويسرية** هي المقاومة للصهيونيين وفاضحة البروتوكولات . فلجأ الصهيونيون الى القضاء ، لكن بعد ان نجحوا بوسائلهم المعلومة في اكتساب القاضي المنفرد الى جهتهم . وهم بهذا اصحاب خبرة وحذق .

سُجِّلت الدعوى في ٢٦ حزيران (يونيو) ١٩٣٣ وكان المدّعون يمثلهم **اتحاد الطوائف اليهودية في سويسرا** ، بشخص مندوب الطائفة اليهودية في مدينة برن . واختار اليهود خمسة اعضاء من الجبهة الوطنية السويسرية هم الذين توجهت اليه الشكوى بأنهم نشروا مـا يسمى **بروتوكولات حكماء صهيون** وقالوا في الشكوى ان هذه البروتوكولات تطعن على اليهود وتقدح فيهم . وطلبوا الحكم على الخمسة المدعى عليهم ، ومَنْع تداول الكراس ومصادرة نسخه التي في المكتبات .

وكان يعرف اليهود انهم في نهاية الشوط ، لن يربحوا الدعوى ، لكنهم عمدوا الى هذه الطريقة : فاستمالوا القاضي سلفاً ، وان يكن هذا سماعه غريباً يقع في سويسرا ، واستعدوا أن يستفيدوا من هذا الحكم بأن يذيعوا في العالم عند صدوره ان المحكمة السويسرية قضت بأن البروتوكولات مزوّرة ، ويملأ اليهود الدنيا بهذه الدعاية . وكانت هذه الدعوى هي الاولى والاخيرة اقامها اليهود ، في سويسرة ولم يقيموا دعوى مثلها في اي بلاد اخرى بينما الموت حتماً هو جزاء من توجد بحيازته نسخة من البروتوكولات في روسيا وجنوب افريقيا حتى هذه الساعة .

وأخذ القاضي يتصرف من الابتداء تصرفه الشاذ . فسمع ١٦ شاهداً زوراً مصطنعاً قدّمهم المدعون ، منهم سيدة معروفة بقبح السيرة ، وقد سبَقَ ان حُكِم عليها بجرم التزوير وهذه جاءت شهادتها متناقضة محشوة بالأكاذيب .

ومما قالته ان البروتوكولات وُضعت بعد الحرب الروسية اليابانية سنة ١٩٠٥ بينما من الثابت المعلوم الذي لا ينكر ، ان البروتوكولات أخـــذت تظهر في روسيا قبل هذا الوقت بأربع سنين او اكثر .

وبعد ان سمع القاضي الشهود المأجورين الستة عشر ، لم يسمع من شهود الدفاع إلا اثنين فقط .

ومن شذوذه انه سمح للمدعين بتعيين كاتب اختزال على حسابهم قام بعمل كاتب الضبط لوقائع الدعوى بينما الواجب أن يقوم بهـــذا كاتب المحكمة الموظف .

وبعـــد تمطّي الدعوى سنتين تقريباً ، صدر قرار هذا القاضي بأن البروتوكولات مزورة ، وكان صدور هذا القرار في ١٤/٥/٣٥ . أما الصحف اليهودية فقد نشرت هـــذا القرار قبل ان ينطق به القاضي من على المنصة بعدة أيام .

فاستأنف المدعى عليهم الحكم ، وهنا لم يستطع الصهيونيون التلاعب كما استطاعوه أمام القاضي المنفرد .

وفي نوفمبر ١٩٣٧ أبطلت محكمة الجزاء العليا القرار جملةً وتفصيلاً ، فباء الصهيونيون بالفشل الذريع والخِزيْ العظيم .

٤ – الفضائح الثلاث الكبرى

في العقد الاخير من القرن الماضي

لم يكن العالم بدينيه السماويين المسيحية والإسلام ، ولا العالم السياسي في جميع القارات ، يعلم شيئاً عن أوراق سرية رهيبة اسمها « بروتوكولات حكماء صهيون » قبل ١٩١٧ ، إلا في روسيا القيصرية التي انتهى أمرها على يد اليهود في تلك السنة ؛ وحتى في روسيا نفسها ، فقد كان وقوف الناس على هذا وقوفا ضيق النطاق ، محصوراً برجال الحكومة وبعض رجال الدين وأفراد من الناس . والمدة التي كان فيها يعرف عن البروتوكولات في روسيا معرفة محدودة ، هي الواقعة بين ١٩٠١ – ١٩١٧ . والصحف الروسية التي كتبت وقتها حول البروتوكولات قد انعدم كل اثر لكتابتها .

ونبتدىء لا بأصل المنبع للبروتوكولات ، بل من يوم انكشافها للعالم ، وهذا الانكشاف ينبغي ان يُعَدّ أعظم ارث انكشافي بدأ في العقد الأخير من القرن الماضي ، ثم انتقل الى القرن الحالي ، ولن يكون لقصته انتهاء ما دام في العالم بشر يقال لهم يهود ، « قبّاليون » ، « تلموديون » ، « ماسون » « صهيونيون » ، والمادة كلها واحدة .

وشاءت الأقدار ان يشهد العالم في العقد الأخير من القرن الماضي ثلاث فضائح عالمية كبرى ، تعاصرت في الحضانة والتفريخ والامتداد ، والثلاث هذه لليهود فيها حصة الأسد وبعضها كله لليهود ، وهذه الفضائح هي :

فضيحة مشروع قناة بناما (١٨٩٢) .

فضيحة الخائن اليهودي الكابتن درايفوس الفرنسي (١٨٩٤)

فضيحة « بروتوكولات حكماء صهيون » (١٨٩٧) ·

الأولى لليهود فيهـــا يد خفية . والثانية بطلها اليهودي الخائن الأكبر درايفوس . والثالثة كلها يهودية بل تمثل اكسير الخبث النامي على عروقـــه التلمودية مدة ألفي سنة .

٥ – السيد فيكتور مارسدن الصحافي البريطاني

اول من عثر عليها سنة ١٩١٧

السيد فكتور أ. مارسدن ، مراسل جريدة «المورننغ بوسط» البريطانية، كان يقيم في روسيا ممثلاً لجريدته ، فأقام في روسيا خلال الحرب العالمية الاولى ، واتقن الروسية وتزوج سيدة روسية . لما وقعت الثورة البلشفية ١٩١٧ كان نشيطاً نشاطاً فوق الحد في موافاة الجريدة بأنباء الانقلاب والثورة، وأعمال الثورة ومجرى تقلبها . لكن لم يَطُلْ به الأمر وهو على هذا النشاط، حتى قُبض عليه وطُرح في السجن ، في عهد « كيرنسكي » . وبقي مارسدن في سجن « بيتربول » سنتين . فلما أُخلي سبيله وسُمح له بمبارحة روسيا الى بلده ، كان المرض قد علق ببدنه ، ووهنت قواه . لكنه ، وهو المراسل الخبير، استطاع ان يخفي في امتعته كتاباً في الروسية مؤلفه العالم الارثوذكسي التقي البروفسور « سرجي نيلوس » . نيلوس عالم بحّاثة ، وهو من رجال الكنيسة ، غيور على الارثوذكسية وروسيا معاً .

مارسدن ، لمّا تحسنت حالته الصحية في لندن، عكف على ترجمة الكتاب الذي نقله سراً من روسيا ، فاذا بهذا الكتاب هو الذي ما اصطلح على تسميته فيما بعد « ببروتوكولات حكماء صهيون » . وتَعِب مارسدن في ترجمته وعانى كثيراً لأن العبارات العبرية باصلها محبوكة حبكاً وثيقاً ، وهي كحجارة الفسيفساء في احتشاد بعضها الى بعض . ومما زاد في صعوبة الترجمة ، دقة المقاصد وجهنمية الغايات والأهداف . وتخبرنا التفاصيل التي تمحّصت الى اليوم وتبلورت ، ان مارسدن قام بهذه الترجمة في مكتبة المتحف البريطاني في

لندن ، ملتزماً الصمت والسكون ، حتى تمّ له ترجمة البروتوكولات ، وهي ٢٤ فصلاً ، واقعة في نحو ٨٥ صفحة انكليزية من القطع المتوسط والحرف الصغير ، ما عدا المقدمة والفهرس .

هذا سنة ١٩١٩ والعالم خارج من معمعان الحرب الاولى ، ومؤتمر الصلح في باريز محوطاً بالخبراء والتراجمة و الامناء اليهود من قبل حكماء صهيون ، ينعقد لا لعقد صلح شريف يكفل السلم في العالم الى أمد بعيد بل للتحكم الانتقامي بالمغلوب ، وبالامم الضعيفة في العالم العربي والعالم الاسلامي وافريقيا ، وللوصول الى هذه الغايات وهي :

١ ـ تفكيك المانيا واستنزاف قواها .

٢ ـ الاتفاق على تجزئة الامبراطورية العثمانية عامة وتوزيع ارثها .

٣ ـ الاتفاق المهم على اقتسام الاقطار العربية خاصة ، المنفكة عن الامبراطورية العثمانية .

٤ ـ استلال فلسطين من الاحبولة كلها وتهيئتها لتكون الوطن القومي اليهودي .

في هذا الوقت نفسه كانت البلاد العربية على هذه الاوضاع ١٩١٩ : ـ

١ ـ مصر منغمسة في ثورتها الوطنية العارمة ، تحت لواء سعد زغلول ، تريد حريتها واستقلالها ، وكانت مفروضةً عليها الحماية البريطانية منذ ١٩١٤.

٢ ـ العراق ، شأنه كشأن مصر في الثورة على الانكليز يريد حريته.

٣ ـ سوريا والاردن ، وكانا وقتئذ بلداً واحداً ، بين فكي الكماشة ، فرنسا وبريطانيا .

٤ ـ لبنان تحت الاحتلال الفرنسي .

٥ ـ فلسطين ، تحت الاحتلال البريطاني . وكان وعد بلفور قد اخذ طريقه الى غاياته بالحراب البريطانية .

٦ – الجزيرة العربية ، تتمخض تمخضاً شديداً لعراك انتهى آخر ١٩٢٤ باستيلاء الملك عبد العزيز على الحجاز ثم على عسير حتى تم للبيت السعودي بعد عدة سنين ان يجعل معظم الجزيرة منضوية الى ملكه .

٧ – اليمن ، في حكم الامام حميد الدين ، منكمشاً ، مقمّطاً وهو يخشى بريطانيا وايطاليا .

٨ – السودان ، تحت الاحتلال او الحكم الثنائي المصري – البريطاني منذ ١٨٩٨ .

٩ – ليبيا ، وقد شرعت تعرف بهذا الاسم الجديد بـدلاً من طرابلس وبرقة ، وقد انفصلت عن الامبراطورية العثمانية نتيجة الحرب الأولى .

١٠ – اما تونس والجزائر والمغرب ، كل هذا كان يدور في أفلاكه المحلية مع فرنسا ، والصلة قليلة جداً بين هؤلاء الشقيقات والمشرق .

١١ – وكانت اطراف الجزيرة تهيمن عليها بريطانيا ، وكانت الكويت في الطريق الى ان تقبل على الوجود الحديث بالبترول ، لكن بعد عدة عقود .

ومثلها البحرين وقطر وسائر امارات الخليج العربي . وعلى الجملة كان العالم العربي مفكك الاوصال لكنه يتمخض تمخضاً شديداً عن ثورات دامية بعد قليل .

٦ ـ وضع البلاد العربية ١٩١٩ وعصبة الامم

في هذا الوقت نفسه ، كانت « عصبة الامم » قـــد أنشئت لتسيطر على الارث العالمي الجديد، ونقطة بيكاره الاقطار العربية ، وانشاء الوطن القومي اليهودي في « فلسطين » . وتسيطر بريطانيا وفرنسا على « العصبة » ، لكن اليـــد الخفية هي الصهيونية ، ومن ورائها اليهودية العالمية .

لم يَخْفَ على اليهودية العالمية ان العالم العربي الجديد قد اقتسمته الدولتان « المنتدبتان » واحتلّتاه وضيّقتا عليه مسالك الحياة ، وقـــد يبقى العالم العربي وقتاً طويلاً وهو يتحرك ، ويستيقظ ، ويتمطّى ، ويتحفّز، ويغالب المستعمر المحتلّ ، والتخلفَ الموروث من العهود القديمة داخل حدوده ، قبل ان يستطيع ان يثبت قدرته على الوجود الحديث ، وقبـــل ان تُعترف في النصف الاول من هذا القرن « الامة العربية » بالمعنى الصحيح . فكان مخطط اليهودية العالمية ان يبطش وعد بلفور بفلسطين ويعقّم حياة العرب فيها ، في خلال فترة الاستيقاظ والتمطي . فـــلا يتكامل ذلك او يشتد عصبه ، إلا والوطن القومي قد بلغ من القوة ما يكفيه ليمشي بعد ذلك وحده .

وكان هناك خطر من العرب على الوطن القومي بعيـــد الحرب الاولى ، وكان هذا الخطر شاغلاً بال اليهود الى حدٍّ بعيد . ذلك الخطر هـــو ان تقوم للعرب دولة في سوريا قاعدتها دمشق . ووجه الخطورة في هـــذا الخطر من وجهة نظر اليهود ، لا كون الحكومة العربية الهاشمية التي أنشئت في دمشق في خريف ١٩١٨ هي حصيلة الثورة العربية التي باشرها الحسين بن علي في سنة ١٩١٦ وانتهت بعد سنتين ونصف ، من جهة سوريا ، بانشاء الحكومة العربية التي كان على رأسها فيصل بن الحسين . كلا . فسياسة الحسين بن علي وسياسة

ابنائه تدور في الفلك البريطاني . وانما رأى اليهود احتمال الخطر ان يستوسق الامر للعرب العقلاء المسؤولين عـن تجديد كيان الامة العربية ، في دمشق . فاذا قامت دولة عربية في دمشق في سنة ١٩٢٠ فكيف ينـام الوطن القومي في فلسطين قرير العين . فلما وصـل غورو الى دمشق طربت اليهودية العالمية وأمِنَتْ جانب العرب ، وبهـذا انفطام لآمال العرب التي كانوا يعلقونها على الثورة وثمراتها . ولليهود رقصتان كبيرتان ، الاولى يوم دخـل غورو دمشق ١٩٢٠ والثانية ليلة التقسيم ١٩٤٧ .

الدكتور ويلسون رئيس الولايات المتحدة ، تلقّى من لويد جورج ، ومن ويزمن نصّ ما اتفق عليه من عبارات وعد بلفور ، فوافق على ذلك وباركه، قبل ان يصدر الوعد رسمياً في ٢ نوفمبر ١٩١٧ . اما فرنسا وايطاليا ، فانهما وافقتا عليه بعد اصداره ، وكان المتفق عليه سابقاً بين الحلفاء ان تكون فلسطين دولية ، فلما انتهى التفاهم على وعد بلفـــور ، فوّضت لندن الى ويزمن وسوكولوف في امر استجلاب فرنسا وايطاليا الى الموافقة . وقد كان ذلك.

وكان للدكتور ويلسون ، مع موافقته على وعـــد بلفور ، مخطط سلمي واسع ، فأراد إبطال المعاهدات السرية ، وإطلاق الحق للشعوب الضعيفة في اختيـار المصير ، وان تكون «الانتدابات» مجرد إرشاد ونصيحـة الى مدة موقوتة ، ونزع السلاح ، وتقوية « عصبة الأمم » ، وهي بالأصل فكرته ، لتكون الفيصل في المنازعات والمعضلات . فلما لم يوافق الشعب الأميركي سنة ١٩٢٠ على أن تنغمس اميركا في شؤون اوربا ، قضي على مخططه ولم يعد الى اوربا ، وانتهت رياسته ١٩٢١ وتوفي ١٩٢٤ . وبقيت العصبـة حية تسعى ، لكنها هي عصبة :

١ – بريطانيا وفرنسا . ٢ – واليهودية العالمية من وراء ستار .

لا يظنّن القارىء ان هذا الكلام كله هو من الاستطراد الذي يخرج بنا عن الصدد . كلا . فان رقبة الكلام « بروتوكولات حكماء صهيون » ، ووعد بلفور هو «ورقة المرور». وهذا كله عند اليهود قضية واحدة: العمل نحو الغاية.

٧ ـ «الاربعة الـكبار» في مؤتمر الصلح ١٩١٩

في نطـــاق يهودي

عند ذكر قصة السيدة البريطانية ، فرانس نيوتن ، والكولونل اليهودي كيش ، وكلفرسكي ، ذكرنا بمجمل سيرة كيش هذا ، وانه كان في باريز من أدوات اليهودية العالمية ، وساهم في صياغة معـاهدات الصلح ، مع ان صفته الظاهرة هي « خبير عسكري » ملحق بوفـــد الرئيس ويلسون الاميركي ، وكيش بريطاني ، افليس عند ويلسون من الاميركان مثل كيش حتى يأتي به من غير ابناء أمته ؟ نعم ، عنده مئات لا عشرات ، لكن الذي اتى بكيش لا ويلسون ، بل برانديزي القـاضي اليهودي الأميركي ، واليهودية العـالمية . ولمّا قدّم ويزمن مذكرة مسهبة سنة ١٩١٩ الى مؤتمر الصلح يطلب حـــدود فلسطين ان تكون واصلة في لبنان الى قرب صور مع جبل الشيخ ، وان تكون واصلة في سوريا الى قرب درعـــا ومن هناك على محاذاة سكة حديد الحجاز الى العقبة ، كان كيش هذا من العاملين على ترويج المطالب بكل وسيلة مستطاعة . اليهودية العالمية في العمل لمخططها لسانها البروتوكولات ، فعلينا ، اذا شئنا تصحيح معلوماتنا او التوسع فيها ، قدر الامكان .

* * *

اليك مثـالاً مهماً ، يريك « لوحة » واحدة من لوحات أدوات اليهودية العالمية في باريز سنة ١٩١٩ و ١٩٢٠ والعالم العربي وقتئذ في جراحاته ومخاضه .

« الاربعة الكبار » ، لفظٌ شاع في تلك الغضون ، وبه يراد رؤوس عصبة الامم الذين بيدهم القـــادة والاعنـّة . وهؤلاء هم ويلسون (اميركا) ولويد

جورج (بريطانيا) وكليمنصو (فرنسا) واورلندو (ايطاليا) . فانسحب ويلسون ، وايطاليا رتبتها في القضية ثانوية ، فبقي من ينطبق عليه القول : « حاميها حراميها » ، واليهودية العـــالمية . وكان مع لويد جورج سكرتير يهودي اسمه ساسون . ولْنَدَعْ هذا على الرف لأن لويد جورج هو مع بلفور معطي الوعد الملعون ، وكان لكليمنصو سكرتير اسمه مندل روتشيلد ، ثم اقتصره على مندل . ونـــأتي الى الرئيس ويلسون لنعلم من كان حوله ممن هم لباب العقيدة اليهودية الصهيونية .

الدكتور ويلسون في باريز كان حوله ثلاثة يهود :

١ – القاضي الاميركي برنديزي المشهور ، وهو الابرة المغنطيسية في دماغ ويلسون . ويزمن يشبهه « بابراهام لنكولن » . وكان برنديزي زار فلسطين ١٩١٩ واطلع على البلاد واحوالها ، واسلوبه في العمل الاسلوب الاميركي ، بينما اسلوب ويزمن اسلوب اليهودي الروسي .

٢ – مترجم يهودي لم يعرف إلا باسم « منتو » وما كان يجب ان يعرف بأكثر من هذا ، كأنه بلا أب ولا أم .

٣ - كيش « او قيس » الذي مرّ بك خبره .

وهؤلاء جميعاً ، يرمون عن قوس واحدة ، بسهام مختلفة ، الى هدف واحد .

هذه لوحة من أثر « البروتوكولات » وسيأتي المزيد من هذا .

فلما ظهرت البروتوكولات سنة ١٩١٩ كانت المرحلة التي يجتازها اليهود بمخططهم دقيقة للغاية . واذ قد استوفينا بايجاز وصف أوضاع العرب في تلك الفترة ، فلنعد الى قصة المستر مارسدن الذي ترجم البروتوكولات لأول مرة.

٨ - رواية اخرى لظهور البروتوكولات

وفضل العالـــم نيلوس

وقفنا بمارسدن عند فراغه من ترجمة البروتوكولات في مكتبة المتحف البريطاني . ونمضي فنقول ان بعضهم يعتبر هذه الرواية هي الواقعة المرجّحة تمثل كيفية خروج البروتوكولات من الظلمة الى النور ، بعد عمل نيلوس .

غير ان هناك رواية اخرى ذات وزن ، وهي ان السيد مارسدن قبل ان يتوجه الى روسيا منتدباً من المورننغ بوسط سنة ١٩١٧ كما سبق له الذهاب إلى روسيا من قبل ، والآن وقعت الثورة البلشفية ، لفت نظره الى ان في المتحف البريطاني كتاباً يبحث في مخطط يهودي بلشفي،ونُصِح بالاطلاع عليه قبل ان يبرح لندن توسيعاً لمعلوماته وتزوّداً بها ، وروسيا اصبحت في خضّم من دم . فاطلع عليه وعلم ايّ كتاب هو ، لكن ترجمه بعد عودته من روسيا . هذا الكتاب هو نسخة بالروسية من البروتوكولات ، مطبوعة في روسيا ١٩٠٥ ودخلت مكتبة المتحف البريطاني سنة ١٩٠٦ . هذه الروايـة الثانية لكيفية وصول مارسدن الى النسخة الروسية لا تغير من الجوهر شيئاً ، وانما اوردناها زيادة في بسط المعلومات لا اكثر . وتبقى الحقيقة الموجزة هي هذه .

١ - الفضل لسرجي نيلوس في ترجمتها من العبرية أو الفرنسية اول هذا القرن .

٢ - والفضل لمارسدن في ترجمتها الى الانكليزية بعد ذلك .

والترجمة الانكليزية التي لدينا لمارسدن ، ظاهرة الدقة ونقاوة التحرير وهي الوحيدة المعتمدة ، ويجوز ان لحقها شيء طفيف في متوالي الطبعات بعد ١٩٢٠ من تبديل لفظة بلفظة او عبارة بعبارة ، ابتغاء المزيد من الجلاء .

وعاود المرض مارسدن بعد سنتين ، فمات عليلاً من أثر ما ناله من الشدة وهو في سجن بيتربول ، وزاد في امر علته ما انكبّ عليه من عمل وهو يترجم البروتوكولات . فعمله هنا وهو خدمة للانسانية ، يفوق في نظرنا ما عمله كل حياته في سبل اخرى . ونعتقد ان العالم العربي كلما استيقظ وتنبه الى هذه المكيدة لليهودية الكبرى ، تذكرّ فضـــل هذين البطلين : نيلوس الروسي ، ومارسدن البريطاني .

ولنوجز خبر نيلوس ليكون ذكره لدى القارىء مقروناً بذكر مارسدن فهو ينتمي الى رجال الدين في روسيا ، وَوُصِفَ بخوف الله وحبه البحث العلمي وغيرته على الارثوذكسية والمسيحية . وسنة ١٩١٧ كان قد اعدّ طبعة جديدة من كتابه هذا ، فوقعت الثورة ، وجاء عهد كيرنسكي ، فصدرت الاوامر المشدّدة بمصادرة الكتاب وإحراقه ، وذلك قبل ان يوزع على المكاتب ثم بعد قليـــل اعتُقِل الرجل وسُجن ، وعُذّب ، ثم نُفي الى فلاديمير ، وقضى نحبه هناك في منفاه في ١٩٢٩/١/١٣ بعد مارسدن بعدّة سنين ولا نعلم اي شيء من حياته ، قبل النفي ولا بعده غير هذا . ولكننا نعلم انه ذهب بين ايدي اليهود ضحية ما ترجم من البروتوكولات .

هذا ما جمعـه البُحّاث البريطانيون من معـلومات تبين وصول أوراق البروتوكولات الى نيلوس :

ذكر نيلوس في مقدمة كتابه الذي نشره في روسيا ، وفي هـذا الكتاب فصل عنوانه « بروتوكولات حكماء صهيون » ان صديقاً له ، لم يذكر اسمه ، دفع اليه قبل نحو ٤ سنوات اوراقاً يَعتقد ذلك الصديق انهـا ترجمة صحيحة لوثائق أصلية سرقتها سيدة من زعيم ماسوني كبير في نهاية اجتماع ماسوني عقد

في فرنسا ، (وفي فرنسا عشّ المؤآمرات الماسونية) . نرى هنا ان صديقاً من أصدقاء نيلوس في روسيا دفع اليه الأوراق ، ودون ان نسأل هل تلك الاوراق مسروقة بحسب هذه الرواية ، او انها وصلت بطريقة اخرى الى نيلوس بواسطة ذلك الصديق ، فما هي اللغة المكتوبة بها الأوراق ؟ اذا كانت عبرية ، فيلزم ان نيلوس كان يعرف العبرية، واذا لم تكن بالعبرية ، أفكانت بالروسية ؟ فاذا صح هـذا فليس لنيلوس إذاً إلا فضل الدراسة والتعليق . واذا كانت وصلت اليه لا بالعبرية ولا بالروسية ، فيلزم ان تكون بلغةاخرى كالفرنسية مثلاً . وفي رواية اخرى ان أليكس نيقولافتس ، من رجالات روسيا البارزين ، هو الذي كلـّف نيلوس بالنظر في الاوراق او ترجمتها بعد ان اطلعه عليها ودفعها اليه. والكتب الانكليزية التي تبحث في البروتوكولات وسيأتي ذكرها عما قريب ، لم تعلمنا من هو السيد الروسي ذو المقام المرموق. ولعل انغلاق الابواب لم يمكن من معرفة هذا او ان الدراسة الكافية لم تتوفر للموضوع بعد ١٩١٧ .

٩ ـ الرواية الثانية التي اعتمدها «سكوت»

هناك رواية ثانية ، اعتمدها الكاتب لفتننت ج ك. سكوت في كتابه « الحكومة الخفية » الصادرة طبعته الثالثة سنة ١٩٦٠ (الطبعة الاولى سنة ١٩٥٤) وهي على ما ذكره سكوت ومع ما جمعناه من مصادر انكليزية اخرى ، كما يلي :

بعد ذيوع محاكمة الضابط درايفوس الخائن اليهودي الفرنسي في باريز ١٨٩٤ وانقلاب هرتزل من يهودي اندماجي ، او من لا صهيوني ، الى صهيوني ازدادت حركة « عشاق صهيون » في روسيا نشاطاً سياسياً خفياً ، وكان الحكم على درايفوس بالتجريم والخيانة والسجن والنفي الى جزيرة نائية والتجريد من الشرف العسكري ، محركاً لليهودية العالمية . وكان هرتزل مهتماً بوضع كتابه « الدولة اليهودية » الذي نشره بالالمانية ١٨٩٦ . وكان اليهود قد ضاعفوا جهودهم الخفية لدكّ القيصرية الروسية بعد مقتل القيصر اسكندر الثاني (١٨٥٥ - ١٨٨١) في ١٣ مارس من سنة ١٨٨١ ، وهذا على الراجح اغتاله الارهابيون اليهود بالقنابل . واتخذت حكومة القيصر اسكندر الثالث (١٨٨١ - ١٨٩٤) اشدّ التدابير ضد اليهود فجعلوا يهاجرون الى الاميركتين ومن هنا اخذت منظمة « عشاق صهيون » تهتم بأمر الهجرة الى فلسطين . ولما جاء القيصر نقولا الثاني (١٨٩٤-١٩١٧) وكان هو آخر القياصرة، وقتله اليهود في قصته المشهورة سنة ١٩١٧ ، كان هذا القيصر ضعيف الارادة فاخذت النقمة تشتد عليه في روسيا حتى كانت الثورة والحرب مع اليابان في العقد الاول من هذا القرن . ولعل اليهود اطمعهم ضعف القيصر نقولا ،

فعزموا على توسيع مخططهم . لكن كانت حكومة القيصر يقظة حـــذرة ، بمقدار ما كانت بطّاشة فتّاكة بغير هوادة .

ومن مخطط هرتزل سنة ١٨٩٧ ان يعقد المؤتمر اليهودي العالمي في بازل (سويسرا) فانعقد وكان هذا المؤتمر يستر عمـــله بجلسات سرية .

وطبعاً درت حكومة القيصر بما يبيّت لها اليهود فصمّمت من ناحيتها على ان تبطش اذا امكن ، فماذا فعلت ؟

انها اختارت عصبة مكينة من مهرة الجواسيس الروس المجربين، وانفذتهم الى « بازل » متنكرين . واتقنوا الخطة كل الاتقان . وبيـنما المؤتمر منعقد في جلسة سرية ، اقتحمت عصبة الجواسيس الروس القاعـة اقتحامة الضواري وهبّوا على المؤتمرين كالصاعقة ، وهؤلاء كما يقال ، من المصادر اليهودية ، بين ٢٥٠ - ٣٠٠ ممثل ، وكلهم رجال الاقتصاد والمال واساطين الفكرة اليهودية فذعروا ورأوا أنفسهم في لحظات ان قد احاطت بهم اسوأ هلكة ، فطلبوا السلامة والنجاة بنفوسهم واوراقهم ، وابذعروا كالارانب ، وفي لحظات ايضاً جالت عصبة المقتحمين جولة خاطفة فجمعت ما استطاعت جمعه من الاوراق المنشورة على المناضد ، وخرجت وتوارت عـن الانظار ، دون ان تلحق اي اذى « باشخاص » المؤتمرين . وانتهى كل هذا قبل ان يصل احـد من رجال الشرطة الى محل الحادث .

ثم انتهت هذه الاوراق الى بطرسبرج ، وهناك نُخِلت ومُحّصت ، فعثروا على الاوراق التي تحتوي « البروتوكولات » . هـذه الرواية الثانية . ويرجّح اكثر البحاث ان هــذه الروايـة هي الصحيحة . واذا كانت هي الصحيحة فتكون الاوراق انتهت الى الحكومـة الروسية بالعبرية ، الا اذا كان واضع البروتوكولات قد وضعها بلغة غير العبرية ، كالفرنسية مثلاً ، ولما كان اليهود حريصين على مصطلحاتهم العبرية ،منذ استعمل واضع البروتوكولات كلمات عبرية، فقدحافظت عليها الترجمة الروسية،واقتفت اثرها الترجمة الانكليزية ، ونحن هنا كذلك ، وهما لفظة « غويم » او « جويم » وهذه عنـــد اليهود

يعبّرون بها عن غيراليهود ولكنها الى التحقير اقرب،اذ ورد في البروتوكولات الفاظ « الحيوانات » و « الماشية » بمعنى « الغويم » ، والمعنيون بهـذا خاصة اهل اوربا . واللفظة الاخرى العبرية هي « اغنتير » او « اجنتير » ومعناها يتعلق بالسياسة . ومهما يكن من امر يتعلق بكيفية وصول الايدي الروسية الى هذه الاوراق ، قد انتهت الى نيلوس كما تقدم .

ويؤخذ من عبارة نيلوس التي قالها سنة ١٩٠١ من ان الاوراق دفعها اليه صديق له منذ اربع سنين سابقة ، ان تلك السنة هي الـتي انعقد فيها المؤتمر ١٨٩٧ ويكون نيلوس قدصرف في دراستها وترجمتها الى الروسية اربع سنين.

وقال سكوت صاحب « الحكومة الخفيـة » ان مداهمة العصبة الروسية القيصرية كان في اليوم الثاني او الثالث لانعقاد المؤتمر ، حسب تقديره ، غير اننا نحن نعتقد من التدقيق الذي قمنا به ان المداهمة ، اذا صحت ، كانت بعد اليوم الرابع او الخامس ، لوجود قرائن في نصوص البروتوكولات تدل على عدة ايام مضت قبل المداهمة اكثر من يومين او ثلاثة .

١٠ – المتهم بوضع البروتوكولات

اشر غنزبرغ المشهور باسمه القلمي « احد ها عام »

هل واضع البروتوكولات فردٌ ام جماعة ؟ ومن هو اذا كان فرداً ؟ ان ما اجمع عليه البحّاث الغربيون ان هذه البروتوكولات اعدّها قبل انعقـــاد المؤتمر احد كبراء اليهود ، اذ نَفَسُها نَفَس واحد ، لتقرأ في المؤتمر وتقرّ لا لتنشر ، بل لتكون بمثابة دستور يستنير به العاملون من اليهودية العالمية . ولا يراد توزيعه حتى على خاصة اليهود .

وبعد ان ترجمت البروتوكولات الى الانكليزية ، وجعل الكتاب يخوضون في امرها ، اتجهت التهمة الى اكبر مفكـّر عندهم ، هو اشر غنزبرغ من اودسّا ، وهذا الرجل هو بمثابـــة استاذ روحي لويزمن ، وويزمن يعترف باستاذية غنزبرغ عليه . اعترافاً كله مباهاة وافتخار واكبار .

وما هي القرائن التي يلاحظها المدقق اشارت الى اشر غنزبرغ ؟ ولا بد ان تكون هذه القرائن قائمة واضحة ، والقرائن ، ولا سيا المقنعة المعقولة ، تقوم مقام البينات المحسوسة في مثل هذه الحال . ويبدو ان التهمة توجهت الى اشر غنزبرغ بعد اجتياز مرحلتين في التدقيق عند الكتّاب الاوربيين ، وهما :

اولاً : تَخْلل ادمغة كبراء اليهود في الربع الاخير من القرن الماضي ، وحَصر من يتعلق بهم الاحتمال ان يكونوا هم الواضعين للبروتوكولات ، بأقل عدد ممكن .

ثانياً : دراسة انتاج هؤلاء في كتبهم المنشورة ، ودراسة اتجـــاهاتهم ومذاهبهم الفكرية السياسية ، ونوع نشاطهم ، ومستواهم في كل ذلـــك ، وتأثيرهم في توجيه التيارات اليهودية ، والفرق بين كل واحد من هؤلاء وآخر.

ولمّا وقع يهود روسيا في الضنك ، بعد ان اغتيل القيصر اسكندر الثاني سنة ١٨٨١ ، وتوجهت التهمة الى جمعياتهم الارهابية السرية ، وهي جمعيات على نحو ما رأى عرب فلسطين منهـــا في فلسطين منذ ١٩٢٠ ولا سيما منذ ١٩٤٣ فصاعدا ، اتسع تفكير كبراء اليهود في الوصول الى غايتهم ، وازداد نشاطهم الارهابي الخفي ، فالذين عنوا بنخل الادمغة اليهودية ليستجلوا من هو الاقرب منها الى التهمة ، ولا ريب انهم فعـــلوا ذلك على ضوء روح البروتوكولات ، وشمولها ، وغايتهـــا ، فظهر من هذا الربط بين روح البروتوكولات وبين من عساه ان يكون هو الواضح ، ان الذي ينطبق عليه ذلك اكثر ما يمكن بالقرائن هو اكبر مفكّر عندهم ، اشر غنزبرغ .

١١ – من هو «احدها عام»؟

استاذ ويزمن الروحي

ومن هو هذا الرجل الخطير في مخططه وغايته ؟

١ – انــه برز اول ما برز في البيئة اليهودية كاتباً ناقداً عميقَ الفكرة ، واختار اسماً قلمياً احدها عام وبهذا الاسم عرف في كل حياته فيما بعد.

٢ – وغنزبرغ يهمه امر الاسس ، والغايات ، وصحة الاساليب ، ولا تهمه الجزئيات .

٣ – لم يكن متفقـاً مع هرتزل في اساليب العمل نحو الغاية . حضر المؤتمر الصهيوني العـالمي الاول ١٨٩٧ لكنه كان صاحب رأي مستقل غير منسجم مع رأي هرتزل .

٤ – يقول اشر غنزبرغ ان بعث اليهود في هذا العصر ، يجب ان يستند الى بعث الروح اليهودية العنيفة ، كالروح التي نَمَتْ في التيه على يد موسى ويشوع ، وانمـا بهؤلاء الذين كانوا الجيل الثاني بعد الخروج من مصر ، استطاع يشوع دخول فلسطين من جهة أريحا بعد عبور الاردن من جهة الشرق ، ولولا ما تشبع به بنو اسرائيل من روح الاقتحام والفتك ، لَمَا استطاعوا دخول فلسطين من شرق ولا من غرب ، وربمـا بقوا في التيه وأكلتهم الصحراء وفنوا .

٥ – فعنده انه يجب خلق روح الاقتحام اولاً ، وهذا يعقبه العمل للوصول الى ارض يجتمع فيها اليهود . اما هرتزل فمخططه الارض اولاً ، ولو في

شرق افريقيا ، ثم التدرج الى فلسطين ، ثم عاد هرتزل فوضع فلسطين نصب عينيه توّاً .

٦ - ومع ان هرتزل مضى بعد مؤتمر ١٨٩٧ بخططه حتى مات ١٩٠٤ فقد بقي اشر غنزبرغ يعمل على طريقته من خَلْق **روح الاقتحام** ، وهـذا معناه الدم والسيف والتدمير والهيئات السرية وما الى ذلك . ووَضَع الرجل كتابين من اجل تحقيق غاياته،وانشأ منظمة **بني موسى** لتخريج عـــدد من الشبان اليهود كل سنة ، يحملون روحه وعقائده . ووبزمن انتهى الى ان يكون احد تلاميذه .

٧ - ولبيان الفرق بينه وبين هرتزل ، فان هرتزل بعد وضعه كتابه **الدولة اليهودية** وعقده المؤتمر ١٨٩٧ صار يبـني خطته على نقطتين : الهجرة الواسعة النطاق ، وامتلاك ارض يكون اليهود فيها احراراً . فلذلك ، هو لم يعـارض اول الامر في ان تكون هذه الارض في الارجنتين او شرق افريقيا ، لكنه عاد فتمسك بفلسطين ، لمّا هبّ في وجهه يهود روسيا يطلبون فلسطين لا غيرها ، فكان له إمّا ان يذعن واما ان يستقيل فاذعن ، وفي اثناء المؤتمر اقتربت منه سيدة يهودية ، وقالت له وهو نازل من على المنبر : يا خـــائن ! ويرجح ان هذه السيدة كانت مدفوعة من الفئة التي كان يقودها ويزمن الشاب في المؤتمر . اما ويزمن فأخذ من الاثنين : الروح الاقتحامية من احد ها عام والهجرة الواسعة وامتلاك الارض من هرتزل . واول من زرع هذه العقائد في فلسطـين بعد الحرب الاولى جابوتنسكي استاذ مناحـــيم بيغن وشترن وسائر العاملين في صناعة الإرهاب والدم والتدمير .

٨ - والارهاب الذي قـام به اليهود في فلسطين في خلال الحرب الثانية من ١٩٤٢ فصاعداً وظهور عصابة **المنظمة القومية العسكرية** (ارغون زفاي ليومي) يرأسها الارهابي مناحيم بيغن السفاك المشهور ، ثمّ من هذه العصابة اشتقت وظهرت عصابة فرعية يرأسـها السفاح **شترن**

كل هـذا ينطبق كل الانطباق على مخطط احد ها عام . ثم كانت مذابح ١٩٤٨ الوحشية قام بها هؤلاء المناكيد ، فكانت تحمل الروح نفسها . وكذلك جميع المذابح الاخرى ، بعد مذبحة دير ياسين ، وطبريا ، وناصر الدين ، (١٩٤٨) جاءت مذابح وادي عربة (١٩٥٠) ومذبحة شرفات (١٩٥١) ومذابح عيد الميلاد في منطقة بيت لحم (١٩٥٢) ومذبحة قبية (١٩٥٣) ومحاولة تدمير نحّالين (١٩٥٤) ومذبحة الاطفال في وادي فوكين ودير ايوب (١٩٥٤) والهجوم البربري على غزة (١٩٥٤) ، والهجوم المركز على خان يونس (١٩٥٥) ثم تكرر الهجوم على غزة ١٩٥٦ ثم المذبحة الرهيبة في كفر قاسم آخر ١٩٥٦ ليلة الهجوم الثلاثي على سينا ، ثم عدوان اليهود على قرية التوافيق (١٩٦٠) ثم على قرية النقيب (١٩٦٢) ثم تكرار العدوان على قرى « المثلث » ثم على الاردن وسوريا ، كل هذا يحمل روحاً واحدة وعقيدة احد ها عام .

٩ – وهناك نقطة في غاية الخطورة ، وهي ان الوكالة اليهودية ايام الانتداب الى ١٩٤٨ ثم اسرائيل بعد ذلك ، وكلتاهما واحد ، كانتا دائماً وراء حوادث تخطيط الارهاب وتنفيذه ، واوسع هذا المجازر كشفاً عن هذا ، مذبحة كفر قاسم . فهذه الروح سارية في المنظمات الصهيونية ، ولما انقلبت تلك المنظمات الى اسرائيل او اندمجت فيها ، صارت عقائد الوحشية تسلك الى غاياتها مؤيدة في ذلك من المنظمة الكبرى او ما يسمى اسرائيل .

* * *

نبت ونشأ احد ها عام – وهو يعرف بهـذا الاسم كما قلنا ، معرفة استغرقت اسمه الحقيقي اشر غنزبرغ – في مدينة اودسا (على البحر الاسود في اقليم اوكرانيا ، واودسا دائماً موئل من موائل اليهود في العنف والارهاب منذ قرون) .

ولد سنة ١٨٥٦ فهو اكبر من هرتزل باربع سنين ، ومات في تل ابيب

سنة ١٩٢٧ فعاش بعد موت هرتزل (١٩٠٤) ٢٣ سنة . ولما جعل يشتغل في الحركة اليهودية كان شائعاً وقتها مذهب **الاندماج** – ان يندمج يهود كل بلاد بأهل تلك البلاد التي يقيمون فيها ، مجتمعاً ولغةً وثقافةً واتجاهاً ، ولا تبقى العبرية الا لغة الصلاة – فنُبِذ هذ الاتجاه وصار يُحمل عليه حملات شعواء . أمّا هرتزل فقد كان في اول أمره اندماجياً لكنه تحول عن هذا بعد محاكمة درايفوس الخائن اليهودي، الى الصهيونية السياسية المكشوفة.

وسيطر **احد ها عام** بمقالاته العميقة الروح والدعوة ، على التيار الروسي فازداد قوة اجتذاب للشباب . وعــلا شأنه اكثر فأكثر بعد موت هرتزل (١٩٠٤) . وحل في التأثير والاستمالة محل **عشاق صهيون** التي سبقت الاشارة اليها في عدة مواضع .

وكان يعاصر **احد ها عام** من اهل الفكر على هذا الطراز ، يهودي آخر ومن اودسا ايضاً ، وكان له اثر في التوجيه ، هــو الدكتور ليون بنسكر . فهذا المفكر اليهودي كان متأثراً بالاصلاحات الــتي منحها القيصر اسكندر الثاني (١٨٥٥ – ١٨٨١) فقال بنسكر باعتناق الثقافــة الروسية واحلالها محل اللغــة **اليديش** في شرق اوروبا وجنوبها (اليديش خليط اكثره من كلام عبري والماني ، وكلمــة **يديش** هذه مثل **جويش** في الانكليزية) فتحل الروسية محل هذه اليديش ومحل العبرية ايضاً. وهذا الاتجاه من بنسكر في قبول الاندماج كان مجاله في المانيا ، اذ هناك تبقى العبرية مــع الاندماج لغة الصلوات والطقوس الدينية . لكن بعد مقتل القيصر ١٨٨١ ، واليهود هم المتهمون باغتياله ، وبعد ان راحت الحكومة القيصرية تبطش باليهود ، تراجع بنسكر عن مخططه ودعوته الى التمسك بعرى يهوديته تماماً ، كما فعــل مثله من بعد ٢٣ سنة هرتزل اثر محاكمة دريفوس .

فوضع بنسكر كتاباً سنة ١٨٨٢ سماه « التحرر الذاتي » دعا فيه اليهود الى ان يوقظوا وعيهم في آفاق نفوسهم ووجدانهم ، قبــل ان يطلبوا انشاء وطن مادي ، ورفض ان تكون فلسطين هي الرقعة المختارة ، اذ شرطه في

اختيار الارض ان لا تكون مشغولة بسكان يقطنونها، ولا نزاع عليها ، وهي مأمن ، والوصول اليها سهل ميسور بغير عنف . ودعا الى عقد مؤتمر عـــام يبحث هذا المبدأ . فكان لكتابه صدى بعيـــد ، لكن لم يؤدّ الى خطوات عملية . ثم صـار بنسكر على جانب المسرح . وبقي احدها عام في طريقه وعلى منهاجه [١] . ولم يعقد المؤتمر ، وكان مخطط بنسكر نحـو المؤتمر الذي اقترحه ان تنبثق من المؤتمر مؤسسة كبيرة تعنى بجمع الاموال وتبحث عـن الارض المناسبة ، حتى اذا تم هـذا ، كفلت المشروع جهات دولية . وهذا تعبير غـامض تفسيره . ويتفق بنسكر وهرتزل على هذه النقطة وهي ان تكون الارض في كنف دوليّ من الكفالة والضمان .

وتشبع احدها عام بروح التلمود والى الآن لم نطلع بعد في جميع ما كتب لنا ان نقوم به من دراسات يهودية ، على ان يهوديـاً برز في الحركة اليهودية إلا ان يكون تلمودياً من قمة رأسه الى اخمص قدميه . والتلمود ، كما قلنا في وصفه ، منبع الروح التدميرية كلها . والبيت اليهودي الذي فيـه التلمود يمتلىء بتقاليد التلمود ونزعاته . وهنـا التوراة لا شأن لها يقارب شأن التلمود . وعندما يطالع القارىء العربي **بروتوكولات حكماء صهيون** وهي هنا بين يديه ، يتأكد هذا ويدرك لماذا استعمل واضع البروتوكولات كلمة **حيوانات** او **ماشية** للتعبير عن غير اليهود .

وكان لأحدها عام صفة تجارية . فقد كان وكيلاً لشركة وسوطزكي

---

(١) من الفائدة ان نذكر هنا اتماماً للصورة، ظهور يهودي آخر وقف حياته على احياء العبرية في هذا الوقت ، هو اليعازر بن يهودا . انفق حياته في روسيا ثم انتقـــل الى فلسطين وسكن في حيّ عربي ، وعكف على الاستعانة بالعربية في ما هوبسبيله فكان عمله هذا ، من الناحية الثقافية، بمثابة جواب ينقض حركة الاندماج الثقافي ، وانتهى به الامر الى ان وضع معجماً عبرياً مستلاً اصـــوله وجذوره للكلمات من العبرية القديمة ، ومن العربية الخالدة . وحـتم على اهل بيته الا يتكلموا الا العبرية ، وعاش في القدس بعد الحرب الاولى سنين ، وفي الحيّ اليهودي في القدس اليوم شارع باسمه « شارع بن يهودا » ، وفي حوادث النسف قبـــل ١٥/٥/٤٨ نسف ثوار العرب معظم هذا الشارع ودمّروه .

اليهودية ، وهي اكبر شركة للشاي في اودسّا ولهـا فروع في الخارج ، فلما
نـَمَتْ فروع الشركة في الخارج ، نـُدب احد ها عام ليتولى ادارة اعمالها
في لندن . ولا يُعلَم هل هذه التجارة كانت عملاً حقيقياً له ، ام انها كانت
قناعاً استتر به واتخذ منه وقاء لعمله الخفي ؟ ولمـــا جاء احد ها عام الى
لندن ، كانت الصلة بينه وبين ويزمن قد مضى عليها وقت طويل ، فقدبدأت
الصلة بينهما لما كان ويزمن يتعلم في المانيا ، وابتداء انتقال ويزمن من بنسك
الروسية الى المانيا كان سنة ١٨٩٤ أي لما كان هرتزل يحضر محاكمات الخـائن
درايفوس في باريز . ولما جاء ويزمن يحدّثنا في مذكراته عن استاذه الروحي
لم يذكره في المانيا إلا ايجازاً، وانما شرع يتوسع في الكلام عليه لـَمّا استأنف
لقاءه له في لندن ١٩٠٥ — ٦ والفرق في السن بينهما طبعاً كبير ، ٢١ سنة .

١٢ ـ دفاع ويزمن عنه

ولما وضع ويزمن مذكراته سنة ١٩٤٨ كان علية ان يفي استاذه حقه لا من حيث ما لاحد ها عام من فضل عليه ، فضل الاستاذ على تلميذه ، بل من حيث الدفاع عن احد ها عام انه ليس هو واضع بروتوكولات حكماء صهيون ، اذ لا يليق بالتلميذ ان يجعل كتاب مذكراته خالياً من هـذا ، والا ّ قال الناس ان خلو المذكرات من نفي التهمة الكبيرة عن المتهم، من شأنه أن يكون سكوتاً بمعنى الاثبات ، ولا حيلة أخرى . وكان قد مضى على وفاة احد ها عام في تل ابيب ٢١ سنة ، لمّا وضع ويزمن مذكراته .

وهذا ما وصف به ويزمن استاذه مما نوجزه ايجازاً في مواضع ، ونأتي به كاملاً في مواضع : —

١ ـ لطيف الخلق ، ناعم ، يميل الى الانزواء ، متواضع ، يكره حب الظهور ، ومن هنا اختار اسمه القلمي احد ها عام — احد افراد الشعب .

٢ ـ مفكر عميق الفكر ، لا يعنى بالجزئيات في القضايا والمسائل ، وانما يهمه القواعد والمبادىء والاتجاهات .

٣ ـ ميله للنقد يرمي الى البناء ، والاصلاح فى الحركة الصهيونية . َنقد اتجاهات عشاق صهيون ، كما َنقَد هرتزل ، وَنقَد عرض بريطانيا المتعلـّق بيوغندا . عبارته موجزة ، ولغته وُصفِت بانها طراز أول ، وأسلوبه آسر . منذ أخذ يكتب وينشر ، تلقاه القرّاء بالاقبال عليه ووعي ما يقول .

٤ – يقول ويزمن : « ثم اكتشفت معادن اليهودية في منشستر وتوطدت صلتي بالصهيونية البريطانية سنتي ١٩٠٥ و ١٩٠٦ لكن انفتاح الآفاق امامي كانت على يد احد ها عام ، وكان هو قد جاء لندن واتخذ مقامه فيها ، وكنت ازوره متحملاً نفقات الانتقال الثقيلة ، واقضي عنده نهاية الاسبوع ، وهو يسكن في بيت متواضع في هامب ستيد .

٥ – ثم قال ويزمن : « عرفته منذ سنين خلت أولاً باسمه وشهرته الفكرية والكتابية ، لمّا كنت طالباً في برلين ، ثم بعد برلين كنت القـــاه على فترات ، وهو عامل من العوامل الفعالة في صياغة حياتي ، وصار الآن (في لندن) صديقي ، وهو اكبر مني بعشرين سنة » .

« فاكتشفت شخصيته عن كثب ، شخصيته التي تركت أثراً واسعاً في الجيل الحديث من ابناء الصهيونية ... وكنت أنظر اليه فيلسوفاً لا رجلاً كسائر الرجال يعمل في حلبة المعترك ... حضر المؤتمرات الاولى، ثم عزَف عن حضور ما تلاها من مؤتمرات أخرى... واذا كان بعضهم قد غالى كثيراً في مؤآزرة هرتزل والاطناب فيه بغير حساب ، وبحماسة مفرطة ، فأحد هاعام كان متـّزناً معتدلاً ، وفي أول اجتماع في بازل ، جلس جلسة الثاكل الناحب ، فقال ان القيم الصحيحة المعنوية للحركة هي : الكرامة اليهودية ، والحرية الذاتية اليهودية ، والتحرر الذاتي اليهودي ، كل هذا لا ينال بالمظاهرات العامة وشقاشق الألسنة ، وانما بالانضباط النفسي اليهودي ، والارادة اليهودية ، وهو كما انتقد عشاق صهيون وادارة روتشيلد للمستعمرات في فلسطين ، كذلك انتقـــد المؤتمر الاول ، لاعتقـــاده بفراغ برنامجه ، اذ لا طائل تحته كما كان يعتقد » .

٦ – ويقول ويزمن : « ومرّ على الحركة دور كانت فيه تحت الظلال المزدوج: هرتزل واحد ها عام ، فكانت هناك صهيونيـــة هرتزلية تمتاز بعظمة نظرتها السياسية البعيدة المدى ، بين خطين متوازيين ، الى غاية قصيّة ،

لكن هرتزل كان يميل الى اهمال **الصهيونية العملية** ، بالارجــاء والتأجيل ارتقاباً لفرصة مقبلة يأتي بها الزمن . وهناك صهيونية احد ها عام ، منصبّة على تنميـــة الروحية الخلقية في مشروع العودة الى فلسطين . وهاتان النظرتان لم تأتلفا معاً ، الا بعد سنين » . ثم يعقّب ويزمن على هذا بقوله :«وصرفتُ معظم جهودي في سبيل تحقيق الوفاق بين الرجلين . أما مظهر الحال بينهما فغاية الاحترام المتبادل . احدها عام ليس له قضية شخصية، متجرّد ، غير متحيّز في نقده ،ويهتدي بمقل وهاج ، َنزِه . وجذوره عميقة . وكان يهود روسيا الصهيونيون يتقبلون نقده خير قبول مع الاخلاص له ... ومع انه في الاصل يعتبر مفكراً ، فيلسوفـــاً ، غير ان طاقته في التطبيق العملي ، ومباشرة الامور ، عظيمة جداً ... وكان دقيقاً في كل شيء ، في عاداته وآداب سلوكه ، وقيامه بأعماله،واني اذكر انه تأخر مرة عن موعدٍ دقيقتين، فلما دخل اخذ يزجي مزيد الاعتذار » .

٧ ـ الى هنا انتهى ويزمن من وصف استاذه من النواحي التي ذكرهـــا . ثم اتى الى **النقطة السوداء** المتعلقة بالبروتوكولات ، فقال :

« ولا اعلم لمـاذا اختار دعاة اللّاسامية هذا الشخص ، والمفكّر المتنزّه ، ليرموه بأنه زعيم تلك المؤامرة الغامضة ؛ والمسرحية المحزنة التي عرفت باسم **حكماء صهيون** ، فكان دعاة اللّاسامية كلمــا ارادوا لصق التهمـــة بأحد ما ، اختاروا واشاروا الى اشرغنزبرغ ، كأنه هو الذي وراء هذه المؤامرة اليهودية الشريرة للتسلط على العالم . وهل السبب في هذا كون البروتوكولات قد ظهرت اول ما ظهرت في مكان مـــا جنوبي اودسا ، حيث كان **احد ها عام** سكرتير **لجنة اودسا لفلسطين** ، وهذه الهيئة قديمـة كانت في ايام عشاق صهيون . ومهمـا يكن السبب ، فلا يمكن ان يكون هناك تناقض اشدّ مما في قضية تهمته هذه : بين الحابك الرئيسي لشبكة المؤامرة على

المدنية الغربية ، والمفروض في هذا الحابك ان يكون هو رئيس حكماء صهيون ، وبين رجل رصين العقل كبيره ، محشوّ بالآراء والعقائد الفلسفية ، ولم يسبق له قط ان تدخّل في شؤون غير اليهود . لكن ما عوّدنا دعاة السّلاسامية ان نرى منهم شيئاً معقولاً ، فدأبهم اثبات الاعمال المستهجنة ، . هذا ما قاله ويزمن في مذكراته ينفي ان استاذه احد ها عام هو واضع البروتوكولات ، وقد نقلناه بما نستطيع من دقة ولنا تعليق عليه . راجع مذكرات ويزمن Trial and Error ص ١٠٤ – ١٤١ .

١٣ ـ اعتراف ويزمن بأن البروتوكولات

هي : « المؤامرة اليهودية الشريرة للتسلط على العالم »

بالاضافة الى ما قلناه في موضع قريب ان ويزمن لا بد له من الدفاع عن استاذه خير دفاع يستطيع ، لم يخف عليه ، وقد فرغ من وضع مذكراته ١٩٤٨ ، ان العالم الذي اطلع على البروتوكولات بات مقتنعاً بصحة ما فيها ، من حيث ان المخطط الذي اشتملت عليه هو مخطط اليهودية العالمية ، لا ريب في ذلك . فلم يجازف بأن يتخذ جانب الانكار ، فيستهزىء ، لكنه اختار اهون الشرين عليه ، فاعترف بأن المؤامرة هي **المؤامرة اليهودية الشريرة للتسلط على العالم** . ونعتها **بالشريرة** واعتراف ويزمن هذا قضى على كل جدل حول هذه النقطة المهمة ، ولن يقوم بعد اليوم جدل آخر من هذا النوع .

* * *

والعالم عامة ، والعرب خاصة ، لا يهمهم ايكون غنزبرغ استاذه ، هو نفسه واضع البروتوكولات ، ام اي يهودي آخر من وزنه وطرازه . حتى لا يهمّ العالم ولا العرب ، ان تجتمع قوى شرّ مثل هذه وتستقيها من ينابيع **التلمود** ، وتتهيأ بها للقيام بأرهب مشروع يتخيله عقل شيطاني : ان يسيطر اليهود على العالم قاطبة بعد محو المسيحية والقضاء على البابوية **ونترك القارىء يطلع بنفسه على العبارات الواردة في البروتوكول السابع عشر** ، مما نرباً بنقله بحروفه ، والاسلام ، عن طريق استنبول ، ويقيموا ملكاً داودياً

في اوروبا وفلسطين ، اذ ليس بوسع اليهودية العالمية ان تصل الى هذا ، والعالم الانساني اليوم بادياته السماوية وغير السماوية ، اكثر من ثلاثة آلاف مليون ، ولهم الآلة والحضارة والعلم والعقل والتاريخ كله ، والسلطان على الكرة الارضية ، واليهود حفنة صغيرة في هذا الخضمّ . دعهم في غيهم يعمهون . فاليهودية العالمية قدرت في البروتوكولات ان يتمّ مخططها في بحر مئة سنة من ١٨٩٧ ، والانقلابات البشرية من اول هذا القرن فصاعداً ، مهما يكن لليهودية العالمية من يد خفية لعينة في مشكلات العالم من حروب وازمات ، فقافلة هذه الانقلابات ستمتصّ اليهودية العالمية وتمعّمها شيئاً فشيئاً ، لااليهودية العالمية ستمتصّ تيار القافلة البشرية بأثني عشر – الى اربعة عشر مليوناً من اليهود

* * *

وما يهم العالم هو هذا :

١ – لماذا لم يعلن احد ها عام و ويزمن ومن في صفهما استنكارهما لمحتوى البروتوكولات ؟ .

٢ – لماذا لم يقولا : اننا براء من هذا ؟ .

٣ – واضع البروتوكولات دماغ يهودي كبير لا يخفى على ويزمن ، فلماذا لم يشأ ويزمن الكشف عن هذا الدماغ والاشارة اليه باليد والاصبع ؟ ومن يصدق ان ويزمن لا يعرف من هو صاحب ذلك الدماغ الجبار «اليهودية من ابرع ماخلق الله في سرقة الاسرار من الملوك والرؤساء والاحزاب والجمعيات والقصور والمعاهد؟ فويزمن يعرف اسم واضع هذه المؤامرة الشريرة بنعته هذا لها ، والواضع استاذه ، وهم كلهم شركاء فيها . أفيعترف ؟ كلا .

٤ – ان ويزمن في دفاعه عـــن استاذه المتهم ، وقف عند حد قوله ان البروتوكولات هي المؤامرة اليهودية الشريرة ، لكن ألم يخطر بباله سنة ١٩٤٨ وهو يكتب مذكراته ان العالم سيسأل : واي فريـــق من

اليهود هم الواضعون لهذه البروتوكولات ؟ فان مؤامرة كهذه يراد بها نسف البابوية والمسيحية والاسلام ، لا تتصدّى لها عقول اقل وزناً من العقل الوهاج . هذه البروتوكولات فيها عنصر من اينشتين في هذا العصر ، وعنصر آخر من باروخ سبينوزا بالامس ، وآخر من موسى بن ميمون منذ قرون ، وعناصر من بيت روتشيلد . فهي عصارة عقـــل يهودي كائناً من يكون،لكن الذي جمعها وصاغها في قالبالبروتوكولات هو حسب نقاد اوروبا : اشر غنزبرغ او احد ها عام .

ماهي آثار «احد هاعام» الاخرى ؟

هي «التجمع والاقتحام» و «نادي بني موسى»

نعود الى تمام خبره من جهة ما له من آثار قلمية وكتب ، وعمل تنظيمي :

١ – له مقالاته المشهورة في النقد والتوجيه ، كان يطلع عليها اليهود بشغف زائد في جميع أنحاء العالم . وكان قراؤه يرتقبون وصول البريد اليهم ليقرأوا ما يكتب احد ها عام . وتأثير هذه المقالات في خلق روح الدم الجديد ، تأثير واسع ، ظهر أثره في فلسطين في الحركات السرية كلها منذ اعلن وعد بلفور ، **فالهاجناه** (الدفاع القومي) وحزب جابوتنسكي ومناحيم بيغن وشترن ، كل هذا جرى ويجري على مبادىء **الاقتحام** البربري والقوة العسكرية اليوم في **اسرائيل** كلها ملحقة بهذه العقائد .

٢ – **لأحد ها عام** كتابان مهمّان وضعهما بالعبرية ، الاول عنوانه **موسى** والآخر عنوانه **على مفترق الطرق** . والاول ترجم الى الفرنسية ، والآخر لم يترجم الى لغة اخرى بعد ، على ما نعلم، والعرب لم يعرفوا شيئاً بعد عن هذين الكتابين [١] . هذان الكتابان خطيران

---

(١) علمنا (١٩٦٥) ان العلامة الدكتور حسن ظاظا الاستاذ في جامعة بيروت العربية نقل الى العربية كتاب « على مفترق الطرق » لكن لم يطبع هذا الكتاب بعد . فعسى يرى هذا الكتاب ، والكتاب الآخر (موسى) ، عما قريب على يد الدكتور ظاظا الاختصاصي في الآداب العبرية وتاريخ اليهود وسبق له ان اقام في القدس و « الجامعة العبرية » هناك مدة خلال الحرب الثانية ، فهو في ما يبحث حجة وثقة .

←

للغاية ، اذ هما يختلفان في الروح اختلافاً واسعاً عن جميع الكتب الاخرى التي ألّفها امثال موسى هس ، وموسى مندلسون ، وبنسكر وكتاب عشاق صهيون ، وهرتزل ، وزنكويل ، وسوكولوف ، وبنويش ، والدكتور الحاخام غاستر . ولعل هذا الاختلاف ، يكاد ينحصر على الجملة في نقطة واحدة ، وهي ، انصباب **احد ها عام** على فكرة **التجمع والاقتحام** .

٣ - الى جانب كتبه ومقالاته ، عني **احد ها عام** بناحية عملية بالغة حد الخطورة ، فأنشأ مع فريق من صحبه نادياً يهودياً او جمعية يهودية تحت اسم **بني موسى** واراد بهذه الحركة ان يخرّج الشباب اليهود على الروح الجديدة : **التجمع والاقتحام** . ويؤخذ من جملة كتابات متفرقة ان هذا النادي سرّي الى جانب مظهره الخارجي . وكانت السلطة القيصرية في روسيا شديدة الحذر منه . ولم يشأ ويزمن في مذكراته ان يأتي على ذكر هذا النادي الا بعبارة جد مقتضبة ، وانما قال ان اشر غنزبرغ انشأ جمعية سماها **بني موسى** وهي لتخريج الشباب ليتولوا قيادة الحركة الصهيونية الروسية ،وما كان اشرغنزبرغ يقبل اكثر من مئة شاب في الدورة الواحدة . وكان يعاونه في هذا العمل اصدقاؤه المختارون . ولم يزد ويزمن على هذا .

هذا ، ويؤخذ من اقوال ويزمن في مذكراته ، وهو يذكر زميله مناحيم

← هذا ما علقناه السنة الماضية ١٩٦٥ ،ونقول اليوم اواخر ١٩٦٦ وكتابنا هذا في طريقه الى المطبعة انه يسرنا ويسر القارىء العربي ان يعلم ان الدكتور ظاظا قد اخرج في السنة الحالية كتاب « حول تاريخ الانبياء عند بني اسرائيل » ، مترجماً من العبرية ترجمة نقية واضحة ، والكتاب هذا هو لأحد كبراء اليهود وعلمائهم م. ص. سيجال الاختصاصي بدراسة التوراة والعقائد اليهودية.ومن هذا الكتاب يستطيع القارىء العربي ان يطّلع لاول مرة باسلوب علمي سهل على شأن النبوة عند اليهود . فهذه خدمة كبيرة من الدكتور ظاظا وعساه يتمكن قريباً من نقل الكتابين اللذين ذكرناهما « لأحد ها عام » .

مندل اوسشكين ، الزعيم اليهودي الروسي والذي كان مرشحاً ليكون هو ، لا ويزمن، زعيم الحركة الصهيونية ، ان اوسشكين هذا كان في تمرسه بانشاء الخلايا السرية ، مثل احد ها عام بعمله في نادي بني موسى . ويقول ويزمن ان اوسشكين كان الزعيم العملي للصهيونيـــة الروسية ، كما كان احد ها عام الزعيم الروحي . ومن قبل كان اوسشكين منتمياً الى منظمة عشاق صهيون وهو مثال نموذجي لروح هذه المنظمة ، ولكنه انتمى في الوقت نفسه الى نادي بني موسى . ومن المهم ملاحظته في مذكرات ويزمن وهو في معارض الكلام يتناول هذا أو ذاك من زملائه ، انه اذا ذكر واحداً من هؤلاء ، قال انه كان خريج نادي بني موسى -التجمع والاقتحـــام .

ويطلع القارىء على ترجمة وافية لاوسشكين في كتابنا هذا .

١٤ ــ هرتزل وتعاليم « التجمع والاقتحام »

هرتزل لكرومر ١٩٠٢ :

« افضل ان آخذ فلسطين بالفتح واراقة الدماء »

اذا كان هناك فرق في الاساليب العملية والنظرية بين هرتزل واحد ها عام ، فلا فرق بينهما في الغاية الكبرى . وسمعنا الآن من ويزمن يصف رأيه فيهما ، وهو من احد ها عام كالتلميذ من استاذه ، وهو نفسه ، ويزمن ، استطاع بوسع الحيلة والتصوير ان يخبر قرّاءه بأساليب ضمنية، ان بعد هرتزل اليهودي الالماني الاندماجي في اول امره ، انتقلت مقاود الحركة الى ايدي اليهود الروس الاشكناز (الشطر المقابل للسفارديم وهؤلاء هم يهود المشرق والذين خرجوا من اسبانيا) الذين قاموا بالعبء كله بعد ذلك . ومع ثنائه على هرتزل الثناء الذي تقتضيه الحال ، لم يمنعه ذلك من القول في موطن آخر ان هرتزل انقلب بعد موته الى ان يكون بمثابة اطار لصورة الحركة ، لا اكثر . وويزمن هو الذي ذكر في كتابه ان امرأة يهودية تصدّت لهرتزل وهو نازل من على المنبر ايام المؤتمر الذي عقد سنة ١٩٠٣ في لندن لبحث عرض بريطانيا المتعلق بيوغندا ، وقالت له يا خائن ! . و احد ها عام استاذه ، يقول ويزمن ، كتب مقالاً مقيماً مقعداً في تلك الغضون ، حَمَل فيه على الذين يميلون الى قبول العرض ، اذ في ذلك تخلٍّ عن فلسطين . وكان في اثناء المؤتمر عدد ضخم من المندوبين اليهود الروس . فهؤلاء لما رأوا هرتزل يحاول بنعومة اساليبه ، ان يحمل المؤتمر يقبل دراسة العرض ولو ابتداءً بايفاد لجنة خبراء الى يوغندا، خرجوا من قاعة المؤتمر الى الممشى الخارجي وانطرحوا ارضاً وجعلوا يبكون . فاتخذ احد ها عام عنوان مقاله ايها

الباكون ! محرضاً على التمسك بالرفض ويعد هذا المقال من انفس ما كتب احد ها عام في بابه ، كما يقول كتّاب اليهود .

وعلى كل حال ، يلتقي هرتزل و احد ها عام في فكرة التجمع والاقتحام التقاءً واضحاً. فقد ذكر كريستوفر سايكس ، ابن مارك سايكس المشهور ، في كتابه دراسة مأثرتين المطبوع ١٩٥٣ واقعة لولاه ، كما نعتقد ، لما خرج خبرها الى النور . فان كريستوفر هذا كاتب ممحّص ، احبّ ان يسجل تسجيلاً واقعياً علمياً ما لأبيه من يد وجهد في سبيل الصهيونية بعد ان اعتنقها في لندن اواخر سنة ١٩١٦ او قبل هذا التاريخ على يد الدكتور موسى غاستر الحاخام ، الربّي الاكبر للطائفة السفرديم في لندن ، وأصل غاستر هذا من رومانيا وكان يقيم في بخارست . فلما طغى على الحكومة الرومانية بتطرفه اليهودي اخرجته الحكومة من البلاد فجاء لندن وتوطنها ، ولما كان هو عضواً في جمعية المستشرقين كما كان مارك سايكس ايضاً ، فهنا كان لقاؤهما الاول قبل ١٩١٤ ولما كان مارك سايكس يمثّل دوره في بوتقة السياسة البريطانية العربية من يوم دخلت تركيا الحرب الى جانب المانيا في خريف ١٩١٤ ، كان في بواطنه ومنازعه قد اصبح عاشقاً الصهيونية . ولما كان يقوم بدوره هذا ، كان يعتقد انه هو باسم حكومته طبعاً ، في سبيل غاية سيفسح لها التاريخ كثيراً من صفحاته[1]. وربما من غاستر تشرب سايكس عقائد الصهيونية كلّها .

وفي سنة ١٩٠١ وهرتزل يتقلب بين عبد الحميد السلطان الخليفة العثماني ، وملوك اوروبا ورؤسائها وامرائها ، انعقد المؤتمر الصهيوني الخامس برئاسة

---

(١) اشار كريستوفر في هذا الموطن ان محاولات الحكومة البريطانية الأخذ بنصرة اليهود الى ما يشتهون ، وقعت ثلاث مرات ، الاولى ، على يد اوليفر كرمويل ، الحاكم الدكتاتور في القرن السابع عشر . والثانية على يد بالمرستون رئيس الوزراء في القرن التاسع عشر . والثالثة هي هذه الآن . قلنا اما كرمويل فينتمي الى شيعة البيوريتان البروتستانت ، وبالمرستون كذلك من هذه الشيعة الموالية لليهود . والمرة الثالثة ليست من صنع رجل واحد بل من صنع بريطانيا اشترك فيها لويد جورج وبلفور وتشرشل وغيره لكن غلب اسم بلفور لانه كان وزير الخارجية .

هرتزل ، فوجد هرتزل ان في طريقه عراقيل ، وكانت مفاوضاته الخفية مع الحكومة البريطانية قد بدأت وهي حول قضيته اليهودية .

فحاول لورد لنسدون وزير الخارجية البريطاني ١٩٠٢ ان يكون هو بطل الوصول الى ايجاد حلٍّ مُرْضٍ لهرتزل . وكان هرتزل قد ألـّف في لندن شركة مالية كبرى منذ ١٨٩٨ ، ووضع عينه على قبرص ، فأشار اليه لنسدون بأن هذا لا يكون . غير ان انسداد الامل من جهة قبرص ، فتح باباً جديداً في وادي العريش في مصر ، ومصر وقتئذ عليها لورد كرومر المستعمر الخبير . وقيل وقتئذ ان الاستعمار اليهودي لوادي العريش امر ممكن ، اذا تيسر جر المياه الى هذه المنطقة من النيل . فوافق لنسدون على اساس الفكرة، وصارت تجري الامور حول هذا المحور بين الثلاثة : وزارة الخارجية ، وهرتزل ، وكرومر . واوفدت لجنة خبراء الى العريش لدراسة الحال عن كثب . ثم بعد ذلك جاء هرتزل مصر ليباحث كرومر . يقول كريستوفر انه استطاع بأبحاثه ان يلتقط شيئاً من العلم بما دار بين كرومر وهرتزل من حديث ، لا ريب فيه، وهما الى مائدة العشاء في دار المعتمد البريطاني في القاهرة. وهنا بيت القصيد . ويظهر ان الداهية كرومر احبّ ان يعطي اذنه الى هرتزل ليقول هذا كل ما في جعبته وقلبه ، حتى قال هرتزل : « بوسعك ان تتأكـّد ان بوسعي ان اغنم فلسطين بالفتح واراقة الدماء ، ولو اني اخذت بما تميل اليه نفسي ، لآثرت هذه الطريقة على أيّ طريقة غيرها » . قال كريستوفر عند هذا الكلام : اما كرومر فتأثر واطرق وانكمش . والاوراق التي دقـّقها كريستوفر من ارث أبيه تؤيد هذا . وبعد تبادل الحديث حتى النهاية بين لنسدون وكرومر ، انتهى الامر الى الفشل . وبعد هذا جاء جوزيف تشمبرلين وزير المستعمرات ، اثر رحلة قام بها الى افريقيا الشرقية ، ودعا هرتزل اليه وتلطـّف معه ثم عرض عليه يوغندا . ولا نتناول من الكلام المتعلق بقبرص والعريش اكثر من هذا، اذ الغرض ان نبين ان هرتزل هو مثل احد ها عام في عقيدة التجمع والاقتحام . وحزب جابوتنسكي في فلسطين ،

كان يجاهر بهذه العقيدة ولا يهمه من الامر شيء منذ سنة ١٩٢٠ وبدأ اليهود من تلك السنة يؤلفون سراً منظمة عسكرية سموها الهاجناه (الدفاع) واتوا بالسلاح الوافر وخبأوه في مكامنه . ومن يدقق اليوم في منهاجهم الذي مشوا عليه منذ صدور وعد بلفور ، والحرب قائمة في سوريا والعراق وفلسطين ، يدرك بجلاء ان المخطط المبني على عقيدة التجمع والاقتحام هو المخطط الوحيد الذي اعتمد اليهود عليه ، وما كان من جنس العمل السياسي الظاهر والاخذ والعطاء والجدل ومناقشات الوفود وما الى ذلك إلا تمثيلاً مسرحياً لا اكثر . وبعد هذا يسهل على ايّ قارىء عربي ان يستجلي ما وراء البروتوكولات بغير ابهام ولا غموض .

١٥ ــ جابوتنسكي

اول من حاول تطبيق « التجمع والاقتحام » سنة ١٩٢٠

وصف السيدة فرانس نيوتن لغرائز جابوتنسكي

وقف القارىء على ما سبق من الكلام المتعلق بالسيدة فرانس نيوتن صاحبة كتاب خمسون سنة في فلسطين وقصة محاولتها اطلاع بعض اصدقائها من العرب على مضامين البروتوكولات في حيفا .

ورأينا ان من الفائدة الآن ان ننقل الى القارىء بعض صفحات من كتابها هذا . وهذه الصفحات تبين ما بدأ به اليهود من غطرسة فظيعة من يوم جاءهم ويزمن على رأس وفد صهيوني من لندن ، ليتفاهم مع القائد اللنبي حول الشروع في تطبيق سياسة التهويد ، وكان مجيء ويزمن الى فلسطين في ربيع ١٩١٨ . وذكرت السيدة نيوتن خبر اول اصطدام دموي بين العرب واليهود في القدس في موسم عيد الفصح سنة ١٩٢٠ ، او في موسم اعياد ما يعرف في فلسطين بالنبي موسى [1] وان جابوتنسكي هذا تلميذ آخر من

---

(١) موسم النبي موسى في فلسطين من المفيد تلخيص امره : بعد الحروب الصليبية بقي هناك خطر يجب الاستعداد لدرئه واتقائه ، وهو ظهور الاجانب من البحر غفلةً ومهاجمتهم البلاد وعبثهم فيها . وكانت فلسطين الهدف ولا سيما القدس . فرأت الدولة زمن صلاح الدين او زمن المماليك ان ينشأ نظام ظاهره وحقيقته خطة عسكرية للدفاع عن البلاد . فانشىء مزار للنبي موسى في الغور قرب اريحا والبحر الميت على بعد نحو ٣٦ ك م من القدس ورتّب له موسم عظيم كل سنة بحيث تجتمع الالوية في القدس من جبل القدس وجبل الخليل وجبل نابلس على ثلاثة ايام وهي تتوارد هازجة راقصة كأنها في عرض عسكري . ثم تهبط هذه الوفود الى مزار النبي موسى فتمكث اياماً ثم تعود الى القدس وتتفرق والقصد ان تظل روح النخوة في النفوس. وهذا اعظم ←

تلاميذ عقيدة التجمع والاقتحام ، هو الذي اقتدح نار الفتنة ، والحكومة وقتئذ عسكرية ، واستعمل جابوتنسكي السلاح الذي اخرجه من مكنه ،ثم ما جرى له من محاكمة عسكرية وكيف كان يتصرف في المحكمة وهو مجرم . وتحتوي مجموعة هذه الصفحات التي ننقلها من كتاب السيدة نيوتن على لوحة لا بأس بها في التعبير عن كل ذلك . وما نترجمه هو من الفصل الثامن عشر وعنوانه الادارة العسكرية ، قالت :

« ان وصول الوفد الصهيوني الى فلسطين ، مخوّلاً من الحكومة البريطانية ان يحصل على جميع التسهيلات من الحكومة العسكرية في تنقله في البلاد ، وجولاته ودراسة الاحوال ، وطلب التقارير ، حول مشروع الوطن القومي وانشاء الصلات الودية مع العرب [1] وغيرهم من الاهالي ، كل هذا وقع في وقت اثار مخاوف العرب وفتح عيونهم على الحقيقة البادية الراهنة . فبرزت هذه الطليعة اليهودية في الميدان وحدها ، دون ان يكون هناك فريق آخر من العرب يقابلها للدفاع عن وجهة النظر العربية . ولا شك ان التحمس الذي ظهرت به الطليعة الصهيونية للقضية الصهيونية المباغتة ، كان تجاهلاً لشعور العرب ، من حيث كان ينبغي حسن التصرف بدقة ، ولباقة ، وهذا من الضرورة بمكان . ومحاولات الدكتور ويزمن لتدارك هذا جاءت بعد فوات الوقت فلم تثمر شيئاً . ومعظم المطالب التي نادى بها اليهود قوبلت بالصدّ والنبذ . فهم ألحّوا بأن يشتركوا فوراً في الادارة العسكرية ، وان تؤلف لجان للأراضي من الخبراء اليهود لدراسة أحوال البلاد ومصادر ثروتها

ـــــــ

← موسم قومي ديني له صبغة عسكرية بهذا المعنى الذي ذكرنا . والدولة العثمانية اعتنت به وحافظت على رسومه . وهناك على هذا الغرار مواسم اخرى على سواحل فلسطين انشئت من اجل هذه الغاية تمتد من صفد شمالاً الى غزة جنوباً في اماكن متعددة . وموسم النبي روبين في يافا يمتد الى اسابيع ويخرج الناس فيه بأمتعتهم وزادهم كأنهم في عيد وكذلك في غزة . ومما هو جدير بالملاحظة ان هذه المواسم ذات الصبغة الدينية في ظاهرها انما تقع على الحساب الغربي لا الهجري والسبب واضح وهو استراتيجي .

(١) انظر الى هذا النوع من الكذب والنفاق الذي يدعيه ويزمن ! .

الطبيعية وهم يؤلفون هذه اللجان لا غيرهم . وتمسكوا بأن ليهود يافا الحق بموجب نصوص وعد بلفور ان يستقلوا بانشاء مستودعات جمركية تكون لهم دون سواهم ، وان بنك انجلو – بالستين ، هو شركة يهودية ، يقدم القروض اللازمة الى المزارعين اليهود ، وطلبوا ان يكون لهم حق اختيار الأفراد ليعملوا في سلك البوليس ، وهم يوفّون ما ينقص موازنة الحكومة من مال لهذا . وطلبوا – وهذا باشروه فعلاً قبل الطلب – ان ينشئوا قوة دفاع يهودية الهاجناه ولهم الأمر في التدريب وكل ما يتعلق بهذهالقوة. وطلبوا ان يعترف بالعبرية لغة رسمية . طلبوا كل هـذا في فترة الحكم العسكري الموقت من حيث ان الواجب على الحكم العسكري ان يحافظ على الاوضاع الراهنة في البلاد المحتلة حتى يبت في مصيرها نهائياً بعد الحرب .

« وفي هذا الوقت ، اوائل الاحتلال ، كانت لليهود محاكم دينية مستقلة لأحوالهم الشخصية موروثة منذ عهد بعيد يوم كانت القضايا تفصل بالتحكيم. وآثرت المؤسسة الطبية الصهيونية الأميركية ان تمضي بعملها الطبي مستقلة عن ادارة الحكومة . وكان من الواضح ان اليهود انشأوا دائرة استخبارات تجسس فائقة التنظيم والاستعداد وهي من الدقة بحيث قلما يفوتها شيء من اسرار الحكومة ، كما هو واقع الآن – اي سنة ١٩٣٧ – ولما وقعت اضطرابات ١٩٢٠ اتخذ الصهيونيون من الحكومة موقفاً ناقماً معادياً علناً . كل هذا والانتداب لم يزل قيد البحث لم يقرر بعد .

« فكانت النتيجة المحزنة من هذا الوضع ، ان بعض الموظفين المدنيين في حكومة فلسطين ، وجدوا انفسهم مكرهين على أن يأخذوا بعين الاعتبار وجهة نظر العرب من باب العدالة اذ لا يمثل هذه الوجهة أحد منهم ذو وزن سياسي في الحكومة ولم يكن هناك شخص آخر يعرب عن الناحية العربية ، بينما الوفد الصهيوني يطوف البلاد كما يشاء ، وأعطيت له التسهيلات كلها من استعمال التلفونات ، ودوائر البرق ، وزُوّد برخص الدخول والخروج وحرية التنقل ، وحق طلب المعلومات من الدوائر الرسمية وايّ مرجع أو جهة ،

وحق عقد الاجتماعات ، بينما العرب مكمومة افواههم ، يرون بلادهم تلوح في وجوهها سكاكين الجزارين الصهيونيين الذين ظهروا فجأة متنمرين ، وطائفتهم المقيمة في فلسطين (نحو ٥٠ الفاً) كانت لم تزل الى يوم احتـــلال القدس – ٩/١٢/١٩١٧ – طائفة الذل ، تقيم في ظل العرب ، متمسكنة ، تودّ ان تبقى في كنف العرب .

«فاعتبر العرب انفسهم انهم ما لقوا إلا الخيانة والغدر من الانكليز. وقبل قليل كانت الطائرات البريطانية ، والحرب قائمـة في فلسطين ، تحوّم وتلقي المناشير من الجو على العرب اهل البلاد ، تستثيرهم الى نصرة الجيش البريطاني ونيل الاستقلال العربي ، وقوات الثورة العربية بقيادة الامير فيصل في ارجاء العقبة فشمالاً ، فلبى مئات وانتقلوا الى جيش الثورة العربيـــة ، وكثير من الضباط والجنود العرب في الجيش العثماني تركوا خدماتهم العسكرية وفروا إلى جيش الثورة . واذا بالبعثة الصهيونية هذه تهبط البلاد والحرب قائمة ، ويفغر الصهيونيون افواههم النهمة الجائعة لابتلاع البلاد على نحو ما دونه تقرير اللجنة الملكية . واعتبر اليهود سنة ١٩٢٠ الادارة العسكرية غير موالية للصهيونيين ، وربما لمجموع اليهود ايضاً . فالمخاوف العربية تشتد في حيز ، تقابلهـا المطامع اليهودية المتزايدة في حيّز ، فلا غرو ان بلغت كل جهة حدّ التطرف فوقعت الفجوة وكانت عميقـة ادّت مع الزمن الى ان صارت معضلة سياسية لا يرأب لها صدع .

«غير ان الاضطرابات التي وقعت على عيد الفصح ١٩٢٠ مستمدة زخمها من العداء العنصري بين الفريقين في القدس ، وكان يمكن ان تعتبر نذيراً ببركان قابل الهياج وقذف الحمم في أي وقت » .

انتهى كلام السيدة نيوتن في هذه المرحلة . وسنعود اليها بعد قليل .

١٦ - الحاكم العسكري الجنرال بولز ١٩١٩

ومشروعه الخيالي لتحويل فلسطين الى بلاد « اللبن والعسل »

لما عُيّن الفيلد مارشال اللنبي مندوباً سامياً على مصر في اواخر اكتوبر ١٩١٩ مع بقائه على القيادة العسكرية العامة في فلسطين وسوريا ولبنان ، أراد ان يترضّى الصهيونيين ، وكان هؤلاء على جاري عادتهم ، لا يعترفون بالسلطة العسكرية ، الا اذا كانت نازلة في الصغير والكبير من المسائل على ما يشتهون ، وكان الحاكم العسكري على فلسطين وقتها الجنرال موني Money ، فنقله اللنبي الى مكان آخر ،واتاهم بحاكم عسكري جديد هو الجنرال بولز Bols .

ومن يا ترى اكبر ، أبيلاطس البُنْطي ايام السيد المسيح ، ام اللنبي في زمن وعد بلفور ؟ وكما صنع بيلاطس كذلك قلده اللنبي .

وأحب بولز ان يساير الصهيونية ، تنفيذاً لتعليمات حكومته ، ومرجعه الآن اللنبي في مصر ، ولويد جورج في لندن .

وهل كانت مسايرته مكراً وخديعة ، ام خطة وسياسة ؟ لا ندري . وهذه رسالة منه في ٢١ دسمبر ١٩١٩ الى سيده الجنرال اللنبي ، بعد انتقاله الى مصر بأقل من شهرين . هذه الرسالة لم نكن نعلم بها ونحن في فلسطين ايام الانتداب كلها ، ولم نطلع عليها لأول مرة إلا في مذكرات ويزمن المطبوعة ١٩٤٨ . وعلى ما يقول ويزمن ويفهم من كلامه ، ان الجنرال بولز هذا الذي كتب هذه الرسالة الى اللنبي في ١٩١٩/١٢/٢١ بعد نحو اربعة اشهر من ذلك التاريخ وقعت الذبحة الاولى في القدس - بتعبير ويزمن - تحت سمع الحكومة العسكرية وبصرها . وكأن ويزمن بإيراده هذه الرسالة ، اراد ان يشير الى

ان الحكومة العسكرية لم تكن نازلة على منهجهم ، فيجب ان تذهب وتأتي مكانها حكومة مدنية على رأسها صهيوني محض مثل هربرت صموئيل ، الذي كانت مهمته كمهمة عزرا النبي قبل ٢٤ قرناً ، بعد الرجوع من السبي البابلي :

سيدي الجنرال

اني مرسل هذا مع الدكتور ويزمن ، وهو اقام هنا نحو شهرين وقـام بأعمال طيبة تتعلق بقضايا وشؤون مختلفة، بأسلوبه الهادىء غير المتحيّز(!!) واني ارى ان النشاط المعادي للصهيونية قد خفّت حدته ، والفضل في هـذا يعود الى الاشياء التي قـام بها ويزمن ، واني كحاكم عسكري لم يمض عليّ في منصبي هـذا اكثر من شهر من الوقت ، اعتقد انه لن تكون هناك صعوبات كبيرة في ادخال عدد كبير من اليهود الى البلاد ، شرط ان يتم هذا دون ان يرافقه ضوضاء او ضجيج . نعم يوجد هنـا نفر من المحرّضين على مناهضة اليهود ، وستستمر دعوتهم الى سوريا الكبرى [1] دون توقف .

«والبلاد بحاجة الى التنمية العمرانيةبسرعة ، وفيهذا نيل رضى الأهالي . وعندما يقرر الانتداب ، ينبغي الحصول على قرض كبير يساهم الاهالي فيه الى حدّ ما ، واريد ان يكون عندي سير هربرت صموئيل للمشاورة معه في هذا الامر .

«فاذا حصلنا على قرض كبير، في حدود عشرة ملايين او عشرين مليوناً ، فاني واثق اني استطيع تحسين وضع البلاد تحسيناً يكون فيه دَخْل للخزانة، وامـا السكان ، وعددهم اليوم ٦٠٠,٠٠٠ فسيزيدون الى مليونين ونصف المليون . وهذا له متّسع كاف . فوادي الشريعة ينبغي ان يسكنه مليون نفس بدلاً من الألف نفس المبعثرين فيه اليوم .

---

(١) كانت فلسطين بعد الحرب العالمية الاولى ممثلة في المؤتمر السوري العربي الذي عُقِد في دمشق وقـرّر ممـا قرر رفض الصهيونية وانشاء دولة عربية حديثة تنضم اليها فلسطين كسائر الاقاليم الشامية وكان يعبر عن فلسطين بسورية الجنوبية .

لذلك رجائي :

١ – ان يعود اليّ ويزمن بأسرع وقت ممكن .

٢ – ان ترسلوا اليّ السر هربرت صموئيل للزيارة .

٣ – ان تمدّوني بموظف مالي عالي الطراز .

٤ – ان تفكروا في مسألة القرض .

فاذا تم هذا ، فبوسعي ان أعِدَ اني احوّل البلاد الى البلاد التي تفيض لبناً وعسلاً حقاً في مدى ١٠ سنوات ، وستكفون مؤونة الصعاب المقاومة للصهيونية .

المخلص

ل . ج . بولز

L. J. Bols.

* * *

ولا يذكر ويزمن ، وقد حمَلَ هذه الرسالة في جيبه الى اللنبي ، ماذا كان من امرها بعدئذ قط .

يستطيع القارىء ان يدهش من هــــذه الرسالة ، وهي تبدو لنا اليوم ١٩٦٦ جعبة اضاحيك ! .

واول سؤال بعد امعان النظر ، من منهما كان يضحك على الآخر ؟ لكن لا ، فلا الحاكم العسكري في موقف مزح ، ولا رسول حكماء صهيون جاء ليسمع هزءاً .

اذاً ، فالموقف جدّ من الفريقين . ويبقى السر محجوباً عنا تفصيله .

والاسلوب ، كما يرى القارىء ، اسلوب عسكري ، فيه عقلية الصبيان ، وتطوحات دون كيشوطية . من هو لعمري الفارس المجنون ، ومن هو خادمه الامين العاقل سانشو بانزا ؟ .

الجزء الوحيد الذي تحقق من هذه الرسالة ، هو مجيء صموئيل ، لكن مجيئه لم يكن بطلب بولز ، بل بطلب من حكماء صهيون .

١٧ ـ الدماء الاولى في القدس ١٩٢٠

يوم النبي موسى

الدماء الاولى ، او انفجار البركان كما تصفها السيدة نيوتن ! .

في الدماء الاولى ، كما نروي حقيقتها هنا ، نصبح وجهاً لوجه امام اول « لوحة » من لوحات ويزمن في التحريف والتمويه ، وتطبيق قاعدة التجمع والاقتحام .

في مهرجان موسم النبي موسى ١٩٢٠ ، في الربيع ، يقع الفصح المجيد او في الفصح المجيد يقع مهرجان النبي موسى ، لم ينس القارىء بعد ما قلناه حول هذا الامر في صفحات قريبة .

المسرح : الحكومة العسكرية تصول وتجول ! بقايا الجيش البريطاني ، من هندي واسترالي ونيوزلندي ، لم تزل تعجّ بها القدس . الغطرسة الصهيونية ملأت البلاد . العرب ينادون بسوريا الكبرى للانقاذ متطلعين الى دمشق . التواطوء بين بريطانيا وفرنسا على تنفيذ معاهدة سايكس – بيكو قد تمّ امره . ومؤتمر سان ريمو قريب الانعقاد ليقتسم الاسلاب ويوزّع الانتدابات . لا راديو ولا اذاعة ولا ترانسستور بعد . السيارة لم تزل جديدة . الهتافات في العواصم العربية : لا حماية ولا وصاية ! .

* * *

نحب ان ننقل ما قالته السيدة نيوتن ، وهي وقتئذ في فلسطين ترى كل شيء عن كثب ، في اسباب الدماء الاولى او انفجار البركان ، وهذا من

الفصل نفسه الذي نقلنا منه سابقاً ، وجَمَل اليهود عملهم هذه التجربةَ الاولى في تطبيق قاعدة التجمع والاقتحام ، وبطل التجربة الخاسرة جابوتنسكي ، قالت :

« ان اضطرابات الفصح كانت ويا للأسف اول نوبةٍ أخَذ البركان ينفث فيها حِمَمَه . ووقعت الاضطرابات في هذا الوقت لأن المدينة المقدسة ، اعتادت منذ القديم ان تكتظ بالألوف من الحجاج المسيحيين يفدون عليها للتبرك ، وكثيرون من اولئك الحجاج من روسيا يأتون متحملين المشقة تحت حماية حكومتهم . ولكي تناهض تركيا المسلمة هذه الكفة ، وهذا الدفق المسيحي ، فقد اخذت تشجع زيارة الاحتفاء بالنبي موسى ، واضعة هذا الثقل في الكفة الاخرى [1] . فيتقاطر الى القدس الوف من المسلمين من جميع انحاء البلاد في الوقت نفسه ، ويكون المهرجان في ساحة الحرم الشريف ثم يؤلفون المواكب ، تخفق فوقها الالوية ، وتنتضى السيوف وتفرّد البنادق في الفضاء، وتلتهب النفوس بالاهازيج والاناشيد. ثم تنحدر الصفوف الى مزار النبي موسى وهناك مسجد باسمه قرب البحر الميت .

« ودون ان يكون لي اقل رغبة في التقليل من خطورة الاضطرابات ، وهي مأساة فظيعة ، وقعتْ في غضون تلك الايام ، اود ان اضع بين يدي القارىء ما اعلمه من اصل السبب في ذلك .

« لا يخفى ان العاطفة الدينية تكون شديدة الاستيقاظ في موسم النبي موسى طول ايام هذا المهرجان ، والآن زاد السبب علةً : الجو المحموم الذي يسود فلسطين ، فوجدتْ روح القومية العربية متنفساً لها في هذه الاحتشادات الصاخبة . ان هذه المواكب ، وان بدت للعين الاوروبية انها تمثل الجمهور العام غير انها كانت تسير مع اختلاط بعضها ببعض

(١) لا نعتب على السيدة نيوتن اذا لم تعرف حقيقة السبب في اصل موسم النبي موسى الا هذا ، فهو في نظرنا قشور . ولو انها اطلعت على تاريخ فلسطين ملياً لدولتي بني ايوب والمماليك لوجدتْ ان السبب هو ما ذكرناه سابقاً في موضعه .

سيراً منظماً ، ونطاق الشرطة من حواليها، وطريقها باب الخليل . وكان الجماهير من الناس من على جانبي الطريق المكشوفة يتفرجون كعادتهم، وطبعاً كان في هذه الجماهير يهود ، وسُمِع احد هؤلاء اليهود يتفوّه بكلام بذيء تحقيراً للمشهد ، وهناك شهود قالوا انهم رأوه على الاثر يبصق في وجه الاعلام الدينية . فلما كان منه هذا ، على مرأى ومسمع من العرب ، تناولته الايدي طرفة عين وذهبت به بغير هوادة . فكانت هذه هي الشرارة الاولى،وانتصر لليهودي اخوانه فوقعت الواقعة ، خالطها الفريقان . وانتقلت الصيحة الى داخل المدينة (باب الخليل حيث وقع الحادث هو خارج السور) وكانالصدام هناك مريراً على العرب واليهود . واستدعيت الجنود لتؤآزر الشرطة في اخماد النار ، وقد اتخذت الواقعة شكلاً عاماً واسعاً . واغلقت بوابات المدينة كي لا تداهم من الخارج فيبقى من فيها على السلامة . ونُصِب الخفراء والحرّاس على الداخل والخارج وصار لا يسمح لأحد بالانتقال الاّ اذا كان بيده رخصة خطية. وبعد ثلاثة ايام او اربعة ، سكنت الحال ، وعاد الهدوء . وبحسب الارقام الرسمية كانت الخسائر سبعة من اليهود قتلى و ٢٠٠ جرحى، ومن العرب خمسة قتلى و ٢٥ جرحى . اجلْ ، ان الواقعة مأساة ، لكن بفضل ما ابدته الحكومة من حزم فقد اعيد الامن الى نصابه . وهذه هي الحقائق الواقعية لا ريب فيها ، وبالوسع تأييدها بشهادات شهود عيان من موظفين بريطانيين في الحكومة كانوا في القدس في ذلك الوقت ، ومن بعضهم فهمت هذا مباشرة لما زرت القدس بعد بضعة ايام .

« ولا بد من ان اضيف الى هذا بعض عبارات تتعلق بالنتيجة المنطقية لهذه الاضطرابات وما جرّت اليه من حوادث اخرى في المستقبل. فقدحضرت هيأة قضائية من مصر لتحقق في الحوادث . غير ان تقرير هذه الهيئة لم يُذَع على الاهالي. وبحسب القوانين العسكرية المرعية، ألّفت محكمة عسكرية خاصة لمحاكمة الموقوفين من عرب ويهود . ومحاكمة شخص من هؤلاء قام وقعد لها العالم اليهودي ، وهو جابوتنسكي، الذي كان متولياً امر الهاجناه في انشائها

وتدريبها التدريب العسكري في الخفاء. ولأسباب يجهلها الرأي العام، فالسلطة العسكرية لم تتخذ اي اجراء لحلّ هذه المنظمة ، وهي غير قانونية ووجودها تَحَدٍّ للحكومة ، اذ لا يُسمح للاهالي المدنيين باقتناء السلاح (وانا كان عندي بندقية المانية معلقة في بيتي وهي هدية تذكارية فجاءت الشرطة واخذتها) . واما كيف استطاعت منظمة الهاجناه غير القانونية ان تأتي بالسلاح ، ومن أين ، فذلك لم يُعرف وبقي سراً عاماً ، غير ان العرب توصلوا في التقصي الى ان اليهود استوردوا السلاح تحت ستار انه بضاعة تخص **الصليب الاحمر** . وتأكد العرب من هذا ، فزادهم نقمةً على الحكومة لان المياه مشت من تحت اقدامها وهي لا تدري. وليس من المهم ان ما قاله العرب صحيح او غير صحيح ، غير ان المهم هو وجود منظمة **الهاجناه** بهذه الاسلحة يستعملونها فجأة في هذه الاضطرابات ، وهذا ما احنق العرب وهم عزلٌ من السلاح الا العُصِيّ والمُدَى .

« وفي اثناء محاكمة جابوتنسكي ، وقع شيءٌ استرعى انتباه اللجنة الملكية فذكرته في تقريرها (١٩٣٧) اذ قالت: **وكان لهم أي لليهود** دائرة استخبارات بالغة الحد في الدقة والتنظيم بحيث كان من الصعب على الحكومة ان تحمي كل اسرارها من السرقة . وهذه اشارة الى جابوتنسكي فانه ابرز في اثناء محاكمته من قبيل البيّنة اوراقاً رسمية في **الشيفرة** على غاية الخطورة مسروقة من صندوق الحكومة ، الصندوق الذي من الواجب على رئيس الاركان ان يكون حافظاً مفتاحه معلقاً في عنقه . وكان جابوتنسكي امام المحكمة العسكرية مستخفاً مستهزئاً. وكان يجابه القضاة بوقاحةٍ انه لا يهمه اي حكمٍ يحكمونه به اذ هذا الحكم سينقض لا محالة . فحكمت عليه المحكمة بالسجن ١٥ سنة مع الاشغال الشاقة . وبعد مدة قليلة خفضت مدة السجن الى سنتين ، وبعد مدة قليلة اخرى ، صح ما قاله جابوتنسكي ، فعفي عنه . [1] »

---

(١) يقول ويزمن في مذكراته ان جابوتنسكي لم يقبل العفو لانه وُضِع على مستوى المتهمين العرب . والذي عفا عنه هربرت صموئيل اليهودي اول مندوب سام . وهذه من ويزمن انتفاخة رخيصة، فقد بذل ويزمن نفسه غاية الجهد للحصول على العفو . والمندوب السامي صهيوني محض.

ثم قالت السيدة نيوتن في النهاية :

« ولا يسعني ان اختم هذه القصة المحزنة التي وقعت في الفصح ، دون ان استرعي الانتباه الى حقيقة لا سبيل الى انكارها ، وهي ان هذه الاضطرابات لم تكن مدبرة قط من جهة العرب . هذه هي الحقيقة ، وهي طبعاً عكس ما أشاعه اليهود . فقد كانت الاضطرابات محض ارتجالية ، او انفجاراً آنياً، ناشئاً عن شدة كراهية العرب لسياسة الوطن القومي ، اذ باتوا يرون خطره عليهم وعلى ذراريهم يزداد يوماً عن يوم . وكان كل احد يعلم ان البركان صارت تسمع له زمزمة منذرة بالقذف . وربما كان البركان تطول حاله وهو هامد لولا الشيء المستفز الذي حدث في باب الخليل » .

انتهى كلام السيدة نيوتن .

* * *

لما جئت فلسطين من دمشق في سبتمر ١٩٢٠ كان قد مضى على سيل اول دماء او انفجار اول بركان نحو خمسة اشهر ، وكان مقامي في القدس . وما ذكرته السيدة نيوتن هو الواقع بعينه حرفاً حرفاً ، ولا غبار على ما قالته الا ما يتعلق بأصل السبب في انشاء موسم النبي موسى في فلسطين وقد غاب عنها ذلك من الوجهة التاريخية ، وقد نبهنا على ذلك في موضعه .

وبقي الحديث بين الناس عن يوم النبي موسى (١٩٢٠/٤/٤) مدة طويلة في فلسطين والخارج . وتركت الدماء الاولى اثراً عميقاً في النفوس . وتلفتت البلاد العربية الى هذا بذهول ، لكن العين بصيرة واليد قصيرة كما يقولون ، وكانت دمشق وقتها بدأ مقلاها يغلي على النار ، اذ كان غورو يستعد للعمل العسكري . واخبرني اصدقائي في القدس ، وأحدهم من اخواني العرب المسيحيين،وكان يشاهد الموكب في باب الخليل عن كثب ، التفاصيل كلها[1]،

(١) واخبرني هذا الصديق زيادة على ما اجملت مس نيوتن : انه هو ، وهو واقف يرى مرور الموكب ، ويشاهد ما حدث،ابصر جندياً هندياً فارع القامة ، تناول يهودياً بضربة لها سرعة ←

وهي تماماً كما قالت السيدة نيوتن . وليس المهم عند العربي الذي يتصدى للكتابة عن ايام العرب في فلسطين قبل ٤٦ سنة من اليوم ، ان يقول انه لولا مجيء اليهود الصهيونيين الى الموكب ، ظاهرهم التفرج وقصدهم التحرش ، لما وقع شيء ! ان مثل هذا القول مضى زمنه ! فاليهود تراهم في هذا الدور في اول المراحل ، سنة ١٩٢٠ ، وعمدتهم السلاح اتوا به رغم انف الحكومة ، ومن يدري فقد يكون ذلك بشي من علمها ، ويقودهم تلميذ أحد ها عام ، وهو الكابتن جابوتنسكي الذي يُعَدُّ ممثل فكرة التجمع والاقتحام . والعرب الفلسطينيون وقتئذٍ لم يزالوا في اول فجرهم ، وقت لا تميز الخيط الابيض من الخيط الاسود الا بعد تحديق النظر . ولما كنا معنيين كما يلاحظ القارىء العربي ، بالكشف عن مناهج بروتوكولات حكماء صهيون ، وكيف تطبق لبنةً لبنةً ، درجةً درجةً ، وتسير خطوةً هنا وخطوةً هناك ، وكانت لهذه البروتوكولات آثار مستترة في فلسطين ، وكان جابوتنسكي هو البارز في هذا ، فقد رأينا ان نستوفي خبر جابوتنسكي بعد قليل لنقدمه الى القارىء نموذجاً من بضاعة الصهيوني الذي تسيّره روح البروتوكولات الجهنمية وروح التلمود .

ـــ البرق فاضمحل اليهودي وذهب شطرين او اكثر وانما صنع الجندي الهندي هذا من نفسه في ابّان الضوضاء لأنه هو رأى بعينه وسمع بأذنه البصق والشتم من اليهود .

١٨ – ويزمن في مذكراته يشوّه رواية الواقع

ولكي نتمّ خبر يوم النبي موسى نقول :

هذه هي وقائعه ، وقد اطلع عليها القارىء .

والحقيقة المحسوسة ، ان اليهود الصهيونيين تعمدوا الاحتكاك بالعرب ، ليظهروا غطرسة مسلحة ، وهم واثقون ان الحكومة العسكرية أعجز من أن تأخذ على يدهم . فماذا قال ويزمن في مذكراته وهو يتعمد التحريف القبيح ؟ قال ما هذه خلاصته :

١ – انه اجتمع بالحاكم العسكري والنبي في القدس وقتها ، وكان هربرت صموئيل في فلسطين وقتئذ زائراً دارساً من قبَل الصهيونيين [١] ، وتنبأ ويزمن بوقوع مذابح وطالب باتخاذ وسائل الاحتياط عسكرياً ، فقال له بولز : لا تخف ! المدينة تعجّ بالجند فاذهب الى حيفا ، واصرف يوم العيد مع والدتك الشيخة العجوز !

٢ – ان العرب تعمدوا الفتنة لأن مؤتمر سان ريمو قريب الانعقاد ليبحث مصير الأقطار التي انفصلت عن تركيا وتوزيع الانتدابات ، فالفتنة تلفت النظر الى العرب والخفض من شأن وعد بلفور .

---

(١) ينبغي ألا يقع في ذهن القارىء العربي شيء من الإبهام ، إذ يرى هربرت صموئيل الآن في فلسطين زائراً ، والآن فصل الربيع ١٩٢٠ ، ثم يراه في اول تموز (يوليو) قادماً مندوباً سامياً . فان « حكماء صهيون » لما كانوا مهيّئين هربرت صموئيل ليكون أول مندوبٍ سامٍ مذ نقِل النبي الى القاهرة كما تقدم ، فقد ترتب ان يجيء صموئيل لدراسة الاحوال عن كثب في أثناء الحكم العسكري فجاء وقام بمهمته .

٣ ـ ان السلطة العسكرية كانت تعلم ماذا سيقع او هي حرضت عليه من وراء ستار !

٤ ـ والتحريف الفظيع الذي التزمه ويزمن في مذكراته وهو يسرد ما يريد، انه تجاهل تماماً الحوادث في باب الخليل ، ومن باب الخليل انتقلت الى داخل المدينة ، وذهب رأساً الى القول بالعدوان داخل المدينة ، فقال ان العرب عند خروجهم من المسجد الأقصى صاروا يقتلون من رأوا من اليهود . وحوادث داخل المدينة فرع من حوادث باب الخليل ، كما رأينا سببها اليهودي بالشتم والبصق .

٥ ـ ولم يذكر ويزمن السلاح الناري الذي استعمله اليهود علناً لأول مرة، والعرب ليس في أيديهم شيء على الاطلاق ، سوى بعض العصي والمُدى .

٦ ـ وقال ان جابوتنسكي حكمت عليه المحكمة بالسجن ١٥ سنة مع الأشغال الشاقة ، الحكم الوحشي ، ثم عفا عنه هربرت صموئيل لما جاء في أول يوليو ١٩٢٠ اول مندوب سام ، فرفض جابوتنسكي هذا العفو لأنه وضع على مستوى واحد وصعيد واحد مع العرب . ولم يذكر ويزمن ما أبرز جابوتنسكي الى المحكمة من وثائق شيفرة خطيرة يتباهى بأنها مسروقة من صندوق شيفرة رئيس أركان حرب الجيش البريطاني .

٧ ـ ثم توجه ويزمن الى اوروبا ، وفي طريقه الى سان ريمو في شمال ايطاليا ، عرج على اللنبي في مصر وطلب منه أن ترحل الحكومة العسكرية عن فلسطين بأقرب وقت ممكن !

١٩ — بعد مئة يوم يطلب الجنرال بولز

الغاء المنظمة اليهودية

لم ننس الرسالة العجيبة التي كتبها الجنرال بولز في ١٩١٩/١٢/٢١ الى الجنرال اللنبي في مصر ، وسلمها الى ويزمن ، وفيها انه يتعهد بأنه في عشر سنوات يستطيع ان يحوّل فلسطين الى بلاد تدرّ لبناً وعسلاً اذا اسعف بقرض ١٠ – ٢٠ مليوناً عند تقرير الانتداب ، وأنجد بهربرت صموئيل وينتج عن ذلك في جنة عدن :

١ – ان تخفّ مناهضة العرب للصهيونية مع بقائهم مطالبين بالانضمام الى سوريا الكبرى .

٢ – والآن يفتح الباب للهجرة دون ضوضاء .

٣ – ويصبح عدد السكان مليونين ونصف المليون بدلاً من الست مئة الف اليوم (١٩٢٠) .

٤ – ووادي الاردن سيسكنه مليون بدلاً من الالف المبعثرين فيه .

ثم مضى على هذه الرسالة مئة يوم وثلاثة ايام ، وفي ٢٠/٥/٤ اي اليـــوم الذي وقعت فيه في القدس حوادث النبي موسى وقد وقف عليها القارىء ، نرى الجـنرال بولز نفسه ، بعـــد ان رأى تصرف ويزمن واللجنة الصهيونية والهيئات اليهودية ازاءه وازاء السلطة للعسكرية ، هو كتصرفهم في مصر زمن الفراعنة ، وتصرفهم مـــع ملوك الكلدان ، والبابليين ، وملوك سوريا الاراميين وملوك سوريا السلوقيين بعد الاسكندر ، وملوك البطالسة في مصر وملوك الرومان ، والرسول العربي محمّد بن عبد الله في الجزيرة ، كتب الى

اللنبي هذه الرسالة الوضاحة الجبين ، ننقلها من الاصل الانكليزي وقد نشرت قبل اليوم في عدة مواضع [١] :

سيدي الجنرال ،

لا استطيع ان اقرر على ايّ فريق من فريقي السكان تقع المسؤولية حتى ولا استطيع تعيين افراد منهم ، ما دامت القضية – قضية فلسطين – لم يبت فيها بعد ، ولكني استطيع ان اثبت بكل توكيد انه لما وُضِعت الامور على المحك [٢] ، راحت اللجنة الصهيونية تتمرد على سلطة الحكومة ، واتخذت من بداية الامر موقفاً كله منابذة ، ونقد جارح وسفاهة . وباستثناء قلة ضئيلة من رجالها فكلهم يرفضون التصديق بحسن نيتنا البريطانية وأخذنا بالعدالة والسوية .

فهم لا يرتضون هذه العدالة من المحتلّ العسكري ، بل يريدون ان تكون الحكومة العسكرية ملبيةً لرغائبهم في كل قضية يكون فيها احد الفريقين يهودياً . فهم صعاب المراس جداً. وفي القدس ، وهنا هم الاكثرية ، لايرضيهم ما يرضي غيرهم من السكان ، بأن يكونوا في ظل الحكومة وتحت رعايتها ، بل يريدون ان يمارسوا السلطة بأنفسهم . واما في اماكن اخرى حيث هم اقلية ، فيستصرخون السلطة طالبين حمايتها. ولا حاجة الى الاسهاب في شرح

---

(١) هذه المراسلة الرسمية من بولز الى اللنبي لم تنشر نشراً رسمياً يوماً ما ، بل بقي امرها مستوراً زمناً طويلاً ، و « حكماء صهيون » الذين استطاعوا ان يسرقوا «الشيفرة» من الصندوق الذي مفتاحه في عنق رئيس اركان حرب الجيش البريطاني بفلسطين،استطاعوا ايضاً ويستطيعون ان يَحُولوا دون نشرها . وعلى مقدار ما نعلم ، لعل صديقنا وديع البستاني رحمه الله هو اول من اخرجها من الظلمة الى النور . فنشرتها مصادر انكليزية وعربية عديدة . فنشرت في كتاب « فلسطين العربية » لعيسى السفري ١٩٣٧ وفي كتاب « الانتداب في فلسطين » (بالانكليزية) للبستاني نفسه . وما يطّلع عليه القارىء هنا ، هو ترجمتنا من الاصل الانكليزي .

(٢) اي قد تم له المرور بتجاربه مع اليهود ، كأنه كان من قبل هذه التجارب وهذا المحك يجهل اليهود الصهيونيين ومن هم في حقيقة عنصرهم وجبلتهم . وقد تم له وضع الامور على المحك في بضعة اشهر !

الصعاب التي لا بد للحكومة ان تلاقيها في المستقبل (قلت : واين ذهبت التعهدات ان تصبح فلسطين بعد ١٠ سنوات بلد اللبن والعسل ؟) وانا اليوم اذا احتجت الى التعامل مع ممثل الطائفة اليهودية ، فيهددني بسطوة الرعاع، ويرفض ما تفرضه الانظمة الرسمية المقررة ، الجارية الاحكام.

« فيتضح مما تقدم ان سلطتي الخاصة (كحاكم عسكري) وسلطة اي دائرة من دوائر الحكومة، هما عرضة للتنزّي عليهما من قِبَل اللجنة الصهيونية. واني متأكد انه من المتعذر استمرار هذا الوضع دون ان يسبب ضرراً ويوقع الامن العام في معضلات تعمّ البلاد ، فتجرّ الحكومة الى مآزق حرجة .

« ولا يجدينا نفعاً في هذه الحال ان نقول للسكان المسلمين والمسيحيين اننا في السير بادارتنا الحكومية انما نحن محافظون على العهد الذي اعلناه لهم لما دخلنا القدس ، بينما شواهد الحال تكذّبنا في ذلك ، فمن جعْل العبرية لغةً رسمية ، الى انشاء جهاز قضائي يهودي ، الى امتلاء جهاز الحكومة بالموظفين اليهود الذين ولاؤهم للجنة الصهيونية ، الى منح اعضاء اللجنة الصهيونية امتيازات خاصة في اسفارهم وتنقلاتهم . كل هذا وأمثاله ، يراه منا السكان غير اليهود خروجاً على العهد المقطوع لهم ، ومحاباةً وتمييزاً وايثاراً ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان اللجنة الصهيونية تتهمني وتتهم موظفي الحكومة بأننا معادون للصهيونية . فهذه حالة لا تطاق . ومن الانصاف لي وللموظفين الذين في ادارتي ان تزول هذه الحالة . ولا بد من القول ان هذه الحكومة التي في عهدتي قد نفّذت باخلاص رغبات حكومة جلالته، ونَجَحَت، لانها سارت وفق قوانين الادارة الاحتلالية العسكرية بدقة . غير ان هذا لا يرضي الصهيونيين الذين يزدادون غطرسة في محاولتهم حَمْل الحكومة العسكرية الموقتة على ان تمنحهم التفضيل على سواهم قبل ان يقرر الانتداب . وانه لمن المستحيل ان تستطيع ان ترضي قوماً ينادون بألسنتهم نريد وطناً قومياً، بينما هم في خططهم العملية لا يطمعون في ما هو اقلّ من الدولة اليهودية بكل معانيها السياسية .

فلذلك ومن اجل مصلحة الامن العام ، ومصلحة الصهيونيين انفسهم، التمس الغاء اللجنة الصهيونية .

المخلص ل . ج . بولز

* * *

لا ريب ان القارىء يستغرقه الاستغراب ، وهو يقرأ هذه الرسالة ، كما حصل له مثل هذا لما كان يقرأ الرسالة التي ارسلها الجنرال بولز الى اللنبي ووضعها ويزمن في جيبه ، قبل بضعة اشهر .

ونود استرعاء نظر القارىء الى العبارة التي وردت في هذه الرسالة الآن ، وتحتها خط رفيع ، فهذا الخط منا لندلّ عين القارىء عليها الآن بسهولة . فيقول بولز ، الحاكم العسكري البريطاني في فلسطين ، نائب القائد العام ، واللنبي القائد العام نائب الملك والامبراطور ، انه اذا احتاج الى التعامل مع الطائفة اليهودية ، فيهدده ذلك الممثل بسطوة الرعاع .

حسن ثم حسن ، لكن كيف يتصور ذلك بعين العقل او الخيال ؟

كل ذلك ممكن ، واكثر منه ، ما دام وراء ممثل الطائفة اليهودية في فلسطين ١٩٢٠ قوة حكماء صهيون وهي الآن في اول الطريق .

قال نفيل باربر صاحب كتاب Nisi Domiuus في التعليق على هذه الرسالة ان الجنرال بولز لما كتبها اثر حوادث يوم النبي موسى ١٩٢٠ وارسلها الى القائد العام اللنبي في مصر ، لم يكن يدري المحور الذي كان يدور حوله لويد جورج ولورد بلفور من اجل اليهود ، فقد كان يجهل ذلك جهلاً تاماً .

وقالت السيدة نيوتن ان الجنرال بولز لمّا رفع هذا التقرير الى الجنرال اللنبي لم يكن يخفى عليه ان ساسة لندن سيعرضون عنه ، لذلك قدم في الوقت نفسه اقتراحاً آخر يلطّف من اقتراحه حل اللجنة الصهيونية ويفضي الى نتيجة عملية، وهو ان تحل اللجنة ثم يؤلف مجلس يهودي استشاري يكون على صلة بالحكومة وتحت جناحها ، فتمشي الامور الى ان يقرر الانتداب . ونقول : ولا هذا التلطيف يجدي شيئاً ، اذ هنا **اليهودية العالمية !**

٢٠ – اليهود ينذرون الجنرال بولز انذارا

مدته ساعتان والوثائق الاربع

في ١٩٢٠/٤/٩ وحوادث يوم النبي موسى اخذت تهدأ بقوة الجيش لكن النار لم تزل تحت الرماد ، قررت اللجنة الصهيونية التي رئيسها بالوكالة وقتئذ مناحيم مندل اوسيشكين ، وهو روسي من اودسا ، زميـــل ويزمن منذ ١٨٩٨ كما قرر المجلس الطائفي اليهودي في فلسطين بالاشتراك مع اللجنة ، ان يضربا الجنرال بولز ضربةً جارحةً لكرامته ، وكرامته من كرامة رئيسه الذي في القاهرة ، فكتبا رسالةً وقحةً الى الجنرال تنطوي على انذار وتهديد ووعيد ، منها هذه الفقرة التي عرفت وقتئذ ثم بعد مدة نشرت في الصحف :

« ... وقد رأينا من الواجب المحتم علينا ان نبلغك ان السكان اليهود من كبيرهم الى صغيرهم قدقرروا انهم في ساعتين اثنتين فقط اذا لم تضمن لهم سلامتهم ضماناً تاماً ، وتكفل حمايتهم كفالة كاملة ، فانهم يرون انفسهم تتسلط عليهم ايدي سواهم ، فيقوموا قومة رجل واحد يدافعون عن انفسهم وعن اخوانهم الذين يساء اليهم ويقتلون امام عيونهم وعلى الحاكم العسكري المسؤولية»[1] ا هـ.

ووقع هذا الانذار اوسيشكين الذي تكلمنا عنه هنا بايجاز وسنتناوله في

---

(١) هذا الانذار كان سنة ١٩٢٠ كما ترى ، والحكومة عسكريـة ، وجعلت بريطانيا تهود البلاد ٣٠ سنة (من ١٩١٨ - ١٩٤٨) حتى سلمت اخـيراً الى « حكماء صهيون » ، ١٩٤٨ وكانت اسرائيـل . وكانت بريطانيـا اشبه بمن يرضع الذئب ، فمنذ ١٩٤٢ فصاعداً نظم اليهود قوات الارهاب الفتاك المسلح . بتدريب ضباط بريطانيـــين واسلحة مستودعات الجيش ، سراً وعلناً ، ولما قوي الذئب صارت العصابات اليهودية تقتنص الضباط الانكليز وتجلدهم وتعلقهم على جذوع الشجر .

موضع آخر بما فيه الكفاية ، وداود يلين ، وهذا من اليهود المحليين وزعمائهم من قبل الحرب العامة . فأراد اليهود جميعاً ان يتحرشوا بالحاكم العسكري نفسه كما تحرشوا بالعرب من قبل ايام . والغاية بعيدة قريبة على طرف الثام ، اذ في اول يوليو ١٩٢٠ حصل ما يلي :

١ – وصل من لندن السر هربرت صموئيل الى يافا مندوباً سامياً ، فتلقاه اليهود بالهتاف (اهلاً بأمير اسرائيل الاول) لكنه وجد البلاد وهي عربية متجهمة في وجهه ، فاليهود وان كان اكبر عدد منهم يوجد في القدس ، غير انهم لا يزيدون على ستة بالمئة من مجموع سكان البلاد . فنُقِل من يافا الى القدس بحراسة عسكرية فائقة. ولما كتب هو مذكرته ١٩٤٥ ذكر هذا وقال انه لم يكن خائفاً من العرب !

٢ – وصعد الى دار الحكومة في جبل الطور ليتسلم مسؤولية الحكومة من الحاكم العسكري الجنرال بولز وهو كان ضيفاً عليه قبل بضعة اشهر .

٣ – وهناك حدث ما فيه عبرة عن طريق النكتة التي لم يسبق لها مثيل . ولما كانت القصة تتعلق بالجنرال بولز ، وبهربرت صموئيل نفسه ، وهذا الاخير اصدر مذكراته سنة ١٩٤٥ واورد الحكاية ، فننقل من مذكراته ص ١٥٤ ما ذكره عبارة عبارة قال :

« لما وصلتُ الى دار الحكومة في جبل الطور ، وكانت قبْلُ مقر الحكومة العسكرية ، واعتباراً من هذا اليوم امست دار الحكومة المدنية ، استقبلني مضيفي جنرال بولز الذي كنت ضيفاً عليه من قبل ، وهو متهيء للترحيب بي وتسليمي مقاليد الحكومة . وكان فيه طبع المرح والنكتة ، مما سبب حادثة فكاهية نشرتها الصحف فيما بعد، لكن لم يكن نشرها في الصحف بغاية الدقة ، فاحببت ايرادها هنا . فلما انتهى دور التسليم وقبل ان يخرج الجنرال بولز من المكتب قال لي: والآن اريد منك ان توقّع لي وصلاً بالاستلام . فسألته : « وصلاً باستلام

ماذا ؟ قال : فلسطين فقلت لا استطيع ذلك ولعلك لا تعني هـذا من قبيل الجد . فاجاب : اعني هذا بكل تأكيد . وهذا هو الوصل مهياً ومطبوع . وناولني قصاصة ورق صغيرة هذا ما فيها : —

« استلمت من المـاجور – جنرال سير لويس ج . بولز . K. C. B. فلسطيناً واحدةً بالتمام والكمال» . وبعد هذا التاريخُ وفسحةٌ للتوقيع . فعدتُ اتردّد ، فأصرّ ، فوقّعتُ ، واضفتُ عبارة : « ما عدا السهو والغلط » ، جرياً على عادة لغة الوصولات التجارية . واخذ بولز هـذا الوصل ولما عاد الى لندن وضعه في اطار . وقيل لي ان هذا الرسم كان على منضدته في محل عمله . ومن هنا تسرب خبره الى الصحف » انتهى كلام صموئيل .

فيحسن بالقارىء ان يتذكر هذه الاوراق ، وليعتبر :

١ – رسالة بولز الى اللنبي يتعهد باللبن والعسل .

٢ – رسالة بولز الى اللنبي يطلب الغاء اللجنة الصهيونية .

٣ – رسالة التهديد من اوسيشكين وداود يلين الى بولز .

٤ – الوصل الذي وقعه هربرت صموئيل في اول يوليو ١٩٢٠

* * *

هربرت صموئيل ، هكذا عرف اسمه خمس سنوات ونصف في فلسطين .

هو من : حزب الاحرار واول يهودي وَصَل الى حقيبة وزاريـة بعد دزرائيلي اليهودي الذي كان في الربع الاخير من القرن الماضي . صموئيل هو اول من قدّم عريضة الى الحكومة البريطانية إثـر دخول تركيا الحرب ١٩١٤ الى جانب المانيا ، يطلب اقطاع اليهود سنجق القدس في حالة هزيمة تركيا واقتسام املاكها ، وكان تقديم هذه العريضة آخر سنة ١٩١٤ فلم تُقبل بصيغتها الاولى ، فعدّلها فقبلت . وجاء فلسطين مرتين دارساً قبـل ان يعين مندوباً سامياً ، وهو اول مندوب سام خَلَـفَ الحكومة العسكرية كما تقدم في صفحة سابقة.

وخطب سنة ١٩٢٢ خطبة سياسية فأنكر انه صهيوني. مع ان صديقه تشرشل وزير المستعمرات وصفه بأنه صهيوني قح وهو في خطبته هذه راح يبدي ختلا وتضليلا وجعل يفسر الصهيونية تفسيراً كله خداع ومراوغة . وهو مَرِن ، طويل الاناة تعلم العبرية وقليلاً من العربية. وهو الذي انشأ جميع الاوضاع لسياسة التهويد .كان يلقبه اليهود بأمير اسرائيل الاول او عزرا الثاني لا ريب انه يعدّ من رؤوس الصهيونية العالمية العنيفة . لما دعي بلفور سنة ١٩٢٥ ليحضر حفلة تدشين الجامعة العبرية على جبل الطور ، هاجت البلاد نقمةً عليه فذهب اليه مدير الامن العام البريطاني واقترح عليه الغاء دعوة بلفور فردّ الاقتراح وقال : « حان للعرب ان يفهموا ان اليهود اصبحوا سادة في بلادهم ، احراراً في وطنهم » . واوردت السيدة نيوتن في كتابها هذه العبارة بعينها .

جاء بلفور ، وحضر الحفلة وخطب ، وكرر الإعراب عن أمانيه نحو الوطن القومي . وأراد هو وأراد هربرت صموئيل ان يزورا الحرم الشريف في القدس ، فأقفلت أبواب الحرم في وجهيهما وأضربت البلاد كلها وساد القلق والخوف . ولما ذهب بلفور الى دمشق في طريق عودته الى لندن ، نُصِبَ له كمين فلم تنجح الخطة . وهبّت دمشق في وجهه بالمظاهرات العنيفة فاضطرت السلطة الفرنسية الى حمايته ونقله الى بيروت فالباخرة نقلاً مخفوراً بالجند .

أما هربرت صموئيل فأطلقت عليه النار مرة في شمال فلسطين فنجا ، وثاني المرتين في بيسان لا بقصد قتله بل للحفاوة به . وبيسان كلها وقتئذٍ عرب محض وعصبة حمية . وكانت زيارته للبلدة لأول مرة . وكان الحاكم الوطني هناك رجي مراد من القدس فقصّ عليّ خبرها بتفصيل قيّدته في دفاتري . لكن الحادث مرعب . فلما أحاطت الفرسان بموكب صموئيل وجعلوا يطلقون النار من بنادقهم في الفضاء ، والعثير سدّ الجو ، وعلت الصيحات ، تهاوى صموئيل في مقعده ، وانحلّ وامتقع لون وجهه

وصاح بالحاكم ربحي مراد بالانكليزية : « حياتي في خطر ، انقــذني بجرمة العرب » ! فأنقذه بأن استعان بكل قوة حتى أدخـــله سراي الحكومة في بيسان وضرب نطاق الحراسة من حولهـــا ؛ وفي الصباح رتب أمر خروجه وبراحه ترتيباً محكماً . ولما وصل صموئيل القدس وبعد قليل عزَلَ الحاكم . ثم أطلقت عليه النار للمرة الثالثة في غزةيومزارها تشرشل ١٩٢١ فنجا.مات منذ نحو ٣ سنين عن عمر جاوز التسعين . ابنه ادوين صموئيل في اسرائيل اليوم . ولهربرت صموئيل عدة كتب فكرية فلسفية ما عدا مذكراته . وله في اثناء ولايته حوادث وأخبـــار فريدة تدل على كثير من مخطط حكماء صهيون . ولو تقدمت يقظة الأمة العربية عشرين سنة ، لمـــا جاء هربرت صموئيل ولا بلفور الى فلسطين . ونعرف له نوادر واموراً كثيرة في اثنـــاء تقلده العمل ، وهذا لا محل له هنا .

جابو تنسكي ينبوع الارهاب اليهودي

٢

لما كان غرضنا الأول من هذا الكتاب بقسميه البروتوكولات وتطبيقها في فلسطين ، ان نضع بين ايدي القرّاء العرب في العالم كله نماذج من تطبيق عقيدة **التجمع والاقتحام** التي يعدّ احدها عام واضع منهجها وفيلسوف فكرتها ، وقد مر الكلام على احدها عام في موضعه ، فاننا نوجز هنا بداية تطبيق المخطط في فلسطين ؛ بايراد المزيد من خبر جابوتنسكي ، وذلك للاسباب التالية :

١ – هو مع رفقته من اول المنادين ، منذ مؤتمر هرتزل الاول ١٨٩٨ في بازل ، بأن المملكة اليهودية يجب أن تؤلف من فلسطين كلها ومن شرق الاردن (المملكة الاردنية الهاشمية) ، ثم من النيل الى الفرات .

٢ – هو من المنادين ايضاً بأن الوصول الى هذا ، يجب ان يتم **بالتجمع والاقتحام** اي بالقوة المسلحة .

٣ – انفصل عن ويزمن والمنظمـــة الصهيونية سنة ١٩٢٢ واعلن مخططه بانشاء حزب سياسي جديد اسمه بالانكليزية Revisionist [1] واقترح ان

---

(١) هذا الاسم لايدل على حقيقة المخطط وغايته ، بل هو للتضليل، وكما يستفاد من مذكرات ويزمن ، ومن الوقائع التي كانت تشاهد في فلسطـــين من حيث تلاعب اليهود واساليب مكرهم . فالمراد ان يكون جهاز السياسة اليهودية بفلسطين قائماً على محورين : الاول الغـــلو والتطوح من النيل الى الفرات ، وهذا هو جناح جابوتنسكي ، والآخر تطبيق مراحل التهويد في فلسطـــين عملياً ، وهذا هو جناح ويزمن . وكلاهما واحد . ومراد جابوتنسكي بهذا الاسم هو تنقيح صك الانتداب تنقيحـــاً يجعل الوطن القومي يشمل بالنص الصريح شرق الاردن كما يشمل فلسطين . واعتادت الصحف العربيـــة ان تسمي هذا الحزب « بالحزب الاصلاحي » وما هذا الا خطأ في الترجمة وقصر نظر .

يتفق مع المنظمة على اصطناع انشقاق في الحركة الصهيونية العالمية . ومدار هذا الانشقاق ان يمثل ويزمن دور **كافور** ، وجابوتنسكي دور **غاريبالدي** ، ولا بأس ان يغالى في تمثيل هذه الصورة الى ابعد حد ممكن . وهكذا وقع كما يعرف عرب فلسطين الذين عاصروا الحوادث .

٤ - اسمه في فلسطين معروف لكل العرب . اما الجيل العربي الصاعد منذ سنة ١٩٤٨ ، فلا يعلم عنه الا قليلاً او بالاحرى لا يعلم شيئاً الا اسماً يهودياً صهيونياً دموياً .

٥ - هو اول يهودي صهيوني هرّب الاسلحة الى فلسطين ، وبعلم بعض رجال الحكومة ، واستعمل هذه الاسلحة علناً في حوادث **يوم النبي موسى** في ابريل ١٩٢٠ فلم يكن بدّ من محاكمته ، وفي المحاكمة كان يهزأ بالقضاة العسكريين الانكليز ويقول لهم : اصدروا علي اي حكم تشاؤون فهذا الحكم سيلغى حتماً ! وفعلاً وقع ذلك كما رأى القارىء . هذا الى تباهيه في المحكمة بأن في يده وثائق بينات مسروقة من صندوق **الشيفرة** السري الذي ينبغي ان يكون مفتاحه معلقاً دائماً في عنق رئيس اركان حرب الجيش البريطاني ، كما تقول مس نيوتن ، وقد مرّ ذكرها .

٦ - حكمت عليه المحكمة العسكرية سنة ١٩٢٠ بالسجن ١٥ سنة مع الاشغال الشاقة ثم باخراجه من البلاد بعد السجن ، فلم يلبث بعد قليل ان عفي عنه وعاد يسرح ويمرح حراً . عفا عنه هربرت صموئيل اول مندوب سام مدني ، وصموئيل في نظر اليهود **عزرا الثاني** او امير اسرائيل الاول بعد السبي البابلي . فرفض جابوتنسكي العفو من ابن جلدته ، لأنه في هذا العفو وضع على مستوى واحد مع العرب الذين عفي عنهم ايضاً في الوقت نفسه . غطرسة يهودية ! تارةً ثعلب وطوراً ارنب !

٧ - جميع المنظمات الارهابية السرية في فلسطين هو منظمها الأول .

٨ - مات في اغسطوس ١٩٤٠.

٩ – جميع ما اقترفه اليهود من مذابح في فلسطين ، ولا سيما في ١٩٤٨ وما بعدها يعدُّ تطبيقاً لمخطط التجمع والاقتحام ، وجابوتنسكي هو أول مجرب لتطبيق قاعدة التجمع والاقتحام .

واننا نورد الآن صفوة ترجمته على قدر ما استطعنا جمعه من اجزاء وخيوط ونقاط ، لتكون من كل ذلك صورة للرجل الذي كان أول منفّذ مع رفيقه يوسف ترمبلدور ، لمخطط التجمع والاقتحام في فلسطين . وبينما هذا الفصل من هذا الكتاب يجري طبعه في النصف الثاني من شهر تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٦ وردت الانباء من مقر هيـأة الامم ان عصابة صهيونية مؤلفة من ٣٠ شاباً اقتحمت مقر البعثة السورية في نيويورك وارتكبت جريمة محاولة الاستيلاء على موجودات المكتب بالقوة ، ومثل هذا الحادث الوحشي الاول من نوعه انما يقع لأول مرة في هيئة الامم وهذه العصابة هي من منظمة جابوتنسكي وترمبلدور .

ومصادرنا في إيجاز قصته هنا : معلوماتنا مباشرة ونحن في فلسطين أيام الانتداب كلها . مذكرات ويزمن . كتاب نفيل باربر الانكليزي . كتاب السيدة نيوتن. كتاب مشرقيات لرونالد ستورس استاذ لورانس وحاكم القدس من ١٩٢٠ – ١٩٢٦ . مذكرات الكولونل كيش . تقرير اللجنة الملكية البريطانية ١٩٣٦ – ٣٧ . كتاب هرويتز . واسماء هـذه المصادر والمراجع مبينة في آخر هذا الكتاب بعناوينها الانكليزية وتاريخ طبعها .

٢٢ ـ صفوة سيرته وسيرة يوسف ترمبلدور

هو فلادمير جابوتنسكي من يهود اودسا التي منها احد ها عام الواقعة على البحر الاسود (اقليم اوكرانيا) واودسا هذه اكبر اوكار التلمود ، واشتهرت في القرون الأخيرة بما خرج منهـــا من مغامرين عملوا في الحركات السرية الارهابيةانتقاماًمن القيصرية الروسية.وحياة اليهودفي اودسا وسائر اوكرانيا في العهد القيصري كناية عن تسديد ضربات وتلقي ضربات . واليهود هنا منذ القرن التاسع الميلادي او قبل ذلك. وهم خليط مختلف ، واحد هذه العناصر الخزَر[1]. اودسا خرج منهافي عصر الصهيونية،احد ها عام واوسشكين زميل ويزمن ، والمفكر او الفيلسوف الصهيوني الدكتور بنسكر صاحب كتـــاب التحرر الذاتي او حرر نفسك ، وحاييم نحمان بياليـــك ، شاعر الصهيونية والنافخ في بوق النهضة اليهودية وامتاز بوصف المذابح التي حلت بقومه ولا سيما في اودسا واوكرانيا ، الى آخرين في عدد كبير ، وكلهم دورهم طليعي، وهؤلاء الذين ذكرناهم هنا من اودسا ، جاءوا فلسطين واقاموا فيها ، باستثناء بنسكر . وأودسا كانت محشوة بأوكار عشاق صهيون من زمن طويل .

ولد جابوتنسكي سنة ١٨٨٠ ، وهذا قبل أن يظهر هرتزل بالصهيونية السياسية بأربع عشرة سنة . ويزمن اكبر منــــه بست سنين وهو أكبر من بن غوريون بست سنين . نشأ صحافياً كما نشأ هرتزل ، واتقن عدة لغــات ، واتخذ توقيعه القلمي ألتاليا وهذا رمز الى معنى لم نعثر على مدلوله . خطيب يهوى السياسة لكنه غير مهيأ لها بطبعه ومزاجه ، وهذا باعتراف ويزمن ، واعتراف هيروتز صاحب كتاب الكفاح في سبيل فلسطين .

في دراستنا له ، فضلاً عن معرفتنا بأمره عن كثب في فلسطين ، لم نقف

---

(١) عنصر الخزر في اليهود : في ص ٩١ من هذا الفصل الحقيقة الموجزة .

على المفصّل من اخبار نشأته ، وانما هو على كل حال تلمودي وارتضع روح الصهيونية من البروتوكولات ، وهذه من التلمود . ولما كانت الرائحة الاولى التي اشتمت دالـّةً على مَنْ توجهت اليه تهمة النقـّاد انه واضع البروتوكولات ، فدلـّت على احد ها عام ابن بلده ، راح جابوتنسكي يتظاهر بالبغضة له ويعلن هذا بأي سبيل. ولماذا التظاهر بهذه الكراهةولم يعرف لها من سبب معقول ؟ فقد تكون مصطنعة اصطناع الانقسام بين جابوتنسكي نفسه وويزمن على نحو ما سيتضح الآن في مساق الكلام ،وقد يكون الخوف .

لكننا نستطيع ان نتابع جابوتنسكي من بـــدايه الحرب العالمية الأولى ، وهو وقتـئـذٍ في الرابعة والثلاثين . ومن هـذا الوقت فصاعداً يبتدىء بروزه العنيف في الصهيونية ، وهو لا يطـــير في تفكيره الا على اجنحة التجمع والاقتحام ، مخطط احد ها عام فيلسوف الفكرة ، ولهـــذا نرجّح ان تظاهره بالمقت لاحد ها عام ما كان في الواقع الا تصنعاً وتضليلاً . سنة ١٩١٤ وقبلها ، كان كثير التنقل بين ايطاليا وبريطانيا وفرنسا ومصر وبلدان اخرى . ولمـا وقعت الحرب الاولى كان في الاسكندرية . ويقول ويزمن ان جابوتنسكي لما اشتهر بكتاباته ، اجتذب اليـــه نظر كثيرين منهم مكسيم غوركي ، والشيخ الفيلسوف ليوتولوستوي .

ومن الاسكندرية كان جابوتنسكي يراسل الجريـــدة الروسية Russkiya Vyedomosti ثم يقول ويزمن : « امـا تنقلاته في المرحلة الاولى من الحرب فغامضة علينا». أصحيح هذا ؟ لكننا نعلم من ويزمن ان جابوتنسكي لما كان في مصر اول الحرب وضع هناك مـــع رفيقه يوسف ترمبلدور [١] فكرة انشاء فرقة عسكرية يهودية تقاتل مع الحلفاء ، وهذا ما نفـّذ بعدئذٍ بانشاء ما سمي بتعبير ويزمن بفرقة البغـّالة الصهيونية واستُخْدمت في غاليبولي وكانت شؤماً على الحلفاء والانـكليز خاصة بالكسرة الـتي كسروها وامر هـــذه الكسرة مشهور في تاريخ الحرب الاولى .

(١) صفوة ترجمته ترد بعد جابوتنسكي .

بعد مدة انتقل جابوتنسكي الى لندن، وهناك شرع يعمل على تنفيذ فكرة تجنيد فيلق يهودي للغاية التي ذكرناها ، فلم يقف بجانبه احـــد سوى ويزمن وزعيم صهيوني آخر هو يوسف كوين Cowen [١] ، وزوجة ويزمن . ولـــكي تنسجم الامور بالبحث المفصل، فقد دعاه ويزمن ليقيم في بيته ، وهنا توطدت العلاقة بينهما وصار كل منهما يشرب من ماء اخيه ، غير ان ويزمن كان الوعاء الاكبر في الفكر واتساع الحيلة . ولما شُرِع في تأليف الكتيبة اليهوديـــة انضم روتنبرغ الى ويزمن وجابوتنسكي ، فقام هؤلاء الثلاثة بالعبء كله .

يقول ويزمن : « كنا في بداية العمل ، وفي احد الاحاديث التي لا انساها، فسُتِحَتْ عيني عليه فقلت له : انت يا جابوتنسكي تتولى الدعايـــة للحركة الصهيونية خطابةً وكتابةً . فانت موهوب في هذا الباب. فتطلع الي وكادت عيناه تدمعان وقال : يا دكتور ويزمن ، ان العمل الوحيد الذي انا مهيأ له هو العمل السياسي ، واراك تدفعني الى غيره ، يقول ويزمن: فدهشتُ ، اذ العمل السياسي ليس هو بأهل له ، ولا يحسن الاخذ والعطاء مع الانـكليز ، فهو يتحلى بروح العناد ، وليس له اناة طويـلة ، ويصعب عليه وزن الامـــور الواقعية وقت الشدائد . تراه من فرط تحمسه ابـــداً متفائلاً ، واسع الاقيسة الفضفاضة ، فيّاض الامل . وهو لم يغير من صفاته هذه شيئاً ، رغم ما لاقى من فشل في اثناء مساعيه لتأليف الكتيبة اليهودية » . ثم يقول ويزمن : « ثم افلـــح في النهاية وانشأ الكتيبة وجاء الى فلسطين ١٩١٨ لما كنتُ فيها . فـرَقّـتي الى رتبة كابتن . وفي نهاية تلك السنة وانا على وشك المفارقـة ، جاءني الضابط السياسي في المنظمة الصهيونية ، ولكني في سرّي لم اكن مرتاحاً الى تعيينه ، وانما قلل من هواجسي ان فوق يده يد الدكتور أدَرْ ، وحسبتُ ان الجمـع

---

(١) « كوين » هذا ، كان وقتها رئيس الاتحاد الصهيـــوني البريطاني ، واشترك مع ويزمن في الشوط كله حتى صدور وعد بلفور اواخر ١٩١٧ . ولـما جاء ويزمن الى فلسطين على رأس وفد صهيوني اوائل ١٩١٨ ليمهّد مع اللنبي والسلطة العسكرية لسياسة التهويد ، كان هذا الوفـــد مؤلفاً من زعماء يهود بريطانيا وفرنسا وايطاليا . اما الذين كانوا يمثلون الصهيونية البريطانية في هذا الوفد فهم ويزمن ويوسف كوين والدكتور داود أدَرْ ، وهذا قد مر ذكره .

بين هذين الاثنين أمر لا بأس به » . انتهى كلام ويزمن .

* * *

لا نرى الدكتور ويزمن هنا في الكلام على جابوتنسكي ، الا متناقضاً مع نفسه ، والامر ظاهر ، فهو بعد ان يعترف بعدم اهلية جابوتنسكي لتعاطي الامور السياسية ، وينصحه له في لندن بأن يتوجه الى فن الدعاية ، نراه في فلسطين يختار جابوتنسكي لأدق عمل يتعلق بالصهيونية في اول نبتتها ، والحكومة عسكرية ، والحرب قائمة ، واليهود وقتئذ في فلسطين لا يزالون في عهد الذل الطبيعي ، اقلية ضئيلة لا تزيد على ٦ بالمئة من مجموع السكان . والضابط السياسي في المنظمة الصهيونية معناه شدّ الحبال وارخاؤها مع السلطة العسكرية . وقال ويزمن انه تدارك الحال بأن وضَعَ الدكتور أدر فوق جابوتنسكي ، وليس هذا في ممارسة الصلاحيات ، بل بمثابة مستشار ينقذ جابوتنسكي عندما يتورط .

والتناقض الذي وقع فيه ويزمن – وفي مذكراته كثير مثل هذا – له سبب . فان ويزمن ، وهو تلميذ أحد ها عام ، فضّل أن يكون الضابط السياسي الأول في المنظمة الصهيونية سنة ١٩١٨ يهودياً صهيونياً يحمل عقيدة التجمع والاقتحام ، وهذه العقيدة في جابوتنسكي أفيد في المظهر من تعقل يوسف كوين . فآثر ويزمن ان يكون جابوتنسكي الفاتق ، وكوين الراتق . ونرى بعد قليل ان ويزمن هو نفسه الذي ضرسَ بالحصرم .

لدينا الآن نقطة مهمة للغاية تكشف عن ناحية اخرى عن تكتيك حكماء صهيون . فقد قال ويزمن ان الذين وقفوا الى جانب جابوتنسكي في فكرة انشاء الكتيبة اليهودية هو نفسه أي ويزمن ، وزوجته ، ويوسف كوين ، وعند التقدم في المشروع انضمّ اليهم روتنبرغ ، وهذا من أركان الصهيونية . يقول ويزمن ان المنظمة الصهيونية قامت في وجه الفكرة وعارضت جابوتنسكي ، واليهود غير الصهيونيين صاحوا بالمعارضة الباتة ، وتطيروا من الفكرة . فكان التثبيط من كل جهة . وكان للحركة الصهيونية مكتب مركزي واسع في

المانيا ، فانتقل هذا المكتب الى كوبنهاغن اول الحرب ، وأعلن باسم الحركة الصهيونية ان اليهود في العالم على الحياد . فهذا المكتب ، الذي يسميه ويزمن **مكتب الحياد** ، بلّغ المراجع الصهيونية في لندن ، طبعاً بوسائل سهلة عند الصهيونيين ، معارضته لفكرة انشاء الكتيبة اليهودية . ويقول ويزمن ان بعض المنتقدين قالوا له : « بينما أنت تسعى لتوحيد العالم اليهودي في حركتك الصهيونيـة ، فاننا نراك تعمل على قسمته » . وكل هـذا من ضروب الختل والمراوغة، فالتخطيط الصهيوني هو واحد في الجوهر مع اختلاف بعض المظهر.

وهـذا تناقض آخر يتناقضه ويزمن . فاذا كان الامر هكذا كما يصف ، فلماذا بقي ماضياً في عمله مع جابوتنسكي رغم هذه المعارضة المهمة ؟ وحتى يمكن بغاية السهولة بيان السبب في تناقض ويزمن المصطنع ، علينا ان نبين ما هو ذلك المكتب ، مكتب الحياد الصهيوني ، الذي انتقـل من برلين الى كوبنهاغن ، وأعلن ان الصهيونيين محايدون في الحرب.

رأت الصهيونية عند وقوع الحرب ان تتهيأ للمساومة ، مساومة الحلفـاء في لندن ، ومساومة الدول المركزية ، كما كان يقال لهـا في الحرب الاولى ، المانيا والنمسا ، وهذا في برلين . فانشأت مكتباً لها في كوبنهاغن ، وقالت هذا هو مكتب الحركة الصهيونية للحياد . وأبقت هيئة صهيونية في برلين ، وصار بوسع مكتب الحياد ان يمتصّ من لندن وبرلين معاً ، ويوازن ويقارن. وجعل الصهيونيون في بريطانيا يساومون الانكليز على فلسطين ثاني يوم دخلت فيه تركيا الحرب الى جانب المانيا في ٥ نوفمبر ١٩١٤ وكان هربرت صموئيل اول من باشر هذا ، وهو وقتئـذ وزير في الدولة بتقديمه عريضـة الى رئيس الوزراء يطلب ، وقد دخلت تركيا الحرب الى جانب المانيا ، ان تُقطِع بريطانيا فلسطين — وعبّر عن هذا بقوله **سنجق القدس** — الى اليهود في نهاية الحرب ، وقد مرّ هذا كله . فباسم من يحق لهربرت صموئيل وقتئذ أن يطلب هـذا وهو وزير في الدولة وولاؤه لدولته ؟ باسم القوة المساومـة ، الصهيونية المستترة . ولا نطيل الشرح هنا فيما يتعلق بمجاري الامور في لندن،

فقد نجحت مساومات لندن ونال الصهيونيون وعد بلفور لا في نهاية الحرب، بل في ١٩١٧ والحرب في فلسطين لم تزل قائمة . وانما يهمنا ان نلتفت الآن الى مساومة الصهيونيين في برلين واستنبول ، لنعلم لا السبب في تناقض ويزمن وكفى، بل ايضاً كيف كانت تعمل عصابة حكماء صهيون لا من عهد هرتزل وأحد ها عام ، وعشاق صهيون ، بل منــذ وقت نابليون ، لمـا غزا مصر محاولا الاستيلاء على أرض الشرق وقطع طريق الهند على الانكليز .

* * *

ذكرنا في اول هذا الفصل (ص ٨٦) ان من عناصر اليهود الخزر . ومن المفيد ايجاز الحقيقة اليهودية العرقية من جهة Race فالعنصرية اليهودية القديمة لا يقرها علم الأجناس اليوم . فاليهود الذين خرجوا من فلسطين سبياً وطرداً واختلطوا بالأمم فقدوا شيئاً فشيئاً العنصرية القديمة . واعتنق اليهودية في الأزمنة القديمة والمتوسطة كثير من الاقــوام ، فأمسى هـؤلاء يهوداً ولكنهم بالدم اريون لا ساميون كالخزر مثلاً . فأمسى اليهود جماعات دينية اجتماعية . وبسبب ضعف الدعاية العربية بقيت هذه الأساطير من ان اليهود ساميون سارية ، الا ّ علم الأجناس البشرية فنفاها .

وخير بحث موجز يجلو هذه الحقيقة ، وضعه الدكتور محمد عوض العلامة المشهور في الانـكليزية في كتيب قدمه الى اللجنة الانجلو-اميركية سنة ١٩٤٧ . وهو :

The Zionist Question, In Its Scientifie Setting.

٢٣ ـ حياد الصهيونية المصطنع للمساومة بين بريطانيا والمانيا وتركيا ١٩١٤

جعل مكتب برلين بعد وقوع الحرب ، يغزل مع الالمان وزعماء الاتحاد والترقي الاتراك القابضين على زمام الامور ، غزلاً في مصلحة الصهيونية والمانيا وتركيا . وكان زعماء الصهيونية قد استطاعوا ان يقطعوا مسافة واسعة في الوصول الى فلسطين عن طريق استنبول العثمانية ، في مدة الست سنين التي انقضت من يوم اعلان الدستور العثماني ١٩٠٨ الى صيف ١٩١٤ وهي السنة التي وقعت فيها الحرب . وسبب نجاح السياسة الصهيونية في المملكة العثمانية هو تمكنهم من استمالة عدد من كبار الساسة الاتراك المسلمين الذين يرجعون باصولهم الدموية الى اليهود الذين خرجوا من اسبانيا آخر القرن الخامس عشر وعرفوا باسم الدونمة . فخيوط الدعاة الصهيونيين جعلت تمتد الى عصب الدولة ، لا منذ سنة الانقلاب فصاعداً بل من وقت قام هرتزل في العقد الاخير من القرن الماضي وقبل ذلك . ولولا تنبه النواب العرب في البرلمان العثماني واشتداد صيحاتهم ، لقفز الصهيونيون قفزات اطول مما استطاعوا نيله [1] . التفاصيل

---

(١) اشتهر في هذه الصيحات ثلاثة من العرب : روحي الخالدي وهو نائب القدس في البرلمان العثماني ، ومن كبار علماء العرب ، وشكري العسلي نائب دمشق . واحد الشهداء الذين علقهم على الاعواد السفاح احمد جمال القائد التركي الطوراني ، ونجيب نصّار ، وهو صحافي من لبنان يقيم في حيفا ووقف جريدته الاسبوعية التي انشأها بعد اعلان الدستور العثماني ١٩٠٨ واسمها « الكرمل » على ايقاظ العرب والكشف عن حقائق الصهيونية . وله كتاب «الصهيونية ـ ملخص تاريخها وغايتها وامتدادها حتى سنة ١٩٠٥ » نشره سنة ١٩١١ وتفصيل هذا كله مما يتعلق بصيحات العرب في البرلمان العثماني سبق لنا ان نشرناه فصولاً في جريدة « الانوار » اليومية البيروتية سنة ١٩٦١ .

لهذه المرحلة المتعلقة بالصهيونيين في الدولة العثمانية طويلة لا محل لها هنـــا . يكفي ان نقول ان الغلو في الحركة **الطورانية** او العصبية الجنسية الطورانية كان بالتالي جاراً للترك الطورانيين للوقوع في النهاية بين مخلبين : مخلب المانيا الناهدة لاستعمار معظم المملكة العثمانية عن طريق مشروع **سكة حديد برلين— بغداد** ، وللوصول الى اليمن عن طريق مشروع **سكة حديد الحجاز** الذي تمّ انشاؤه ١٩٠٨ ، ومخلب الصهيونين الطامعين في فلسطين . ففشلت المانيـــا في الوصول الى الشرق عن طريق استنبول ، وفشل الاتراك الطورانيون في انشاء امبراطورية طورانية ينضوي اليها العنصر التركي من بلغاريا في جنوب اوروبا الى اقصى التركستان شرقاً في اسيا الوسطى — وربح الصهيونيون .

٢٤ - الصهيونيون ودعاة الطورانية من الترك

سنة ١٩١٣ كان الصهيونيون قد بلغوا من النفوذ الى بواطن الدولة العثمانية وملتقى شرايينها ، مبلغاً مخيفاً ، واما اساليبهم في ذلـــك فتقرأ وصفها في البروتوكولات ، وهذه لم تكن قد اشتهرت بعد الا في روسيا القيصريـــة . آخر انقلاب عثماني هو الذي وقع في تلك السنة ١٩١٣ ، ولا انقلاب بعده الا دخول تركيا في الحرب الى جانب المانيـا ثم انهيارها اواخر ١٩١٨ وانسلاخ البلدان العربية عنها . وبقي امر الدولة العثمانية بيد العصبة الطورانية الى ايام عقد الهدنـــة ، ثم تفرقوا في الآفاق . وفي وزارة الانقلاب ١٩١٣ ، نال الصهيونيون تحت قناع الوطنية التركية ثلاث حقائب وزارية هي : الاشغال العامة ، والتجارة والزراعـة ، والبوسطة والتلغراف (بالفاظ تلك الايام) ومع هؤلاء جاويد ناظر المالية ، وهو من الدونمة ، وهذه الثلاث حقائب هي من اصل ثلاث عشرة حقيبة ، وهذا شيء لم يصل الى مثله اليهود في بلد مـا منذ شتتهم الرومان سنة ٧٠ ب. م. بل كان نفوذهم البادي الخفي في السياسة التركية الطورانية منذ انقلاب ١٩٠٨ ، هو الحلقة الاخـــيرة في الوصول الى فلسطين ، عن طريق التوسع الضخم المظيم في محاولة شراء الاراضي الفسيحة التي كانت لعبد الحميد وتعـــدّ من املاكه الخاصة وهي المعروفة بالجفتلك ، واستطاع اليهود ان يحملوا الحكومة تسن القوانين والانظمة ، مما يمكنهم من الشراء تحت اسماء شركات تحمل أسماء غريبة غـير عثمانية ، وهي بحكم تلك القوانين اشخاص معنوية وهذا لم يكن مباحاً من قبل قطعاً . فوقعت الحرب بعد سنة ، ثم في ١٩١٧ نال اليهود وعد بلفور . اما مسألة الوزارات الثلاث التي نالها اليهود بانقلاب ١٩١٣ ونفوذهم في الدولة ، فسنزيدهـــا ايضاحاً في الفصل التالي .

٢٥ ـ استفحال النفوذ اليهودي في الدولة العثمانية من ١٩٠٨ ـ ١٩١٤

سنة ١٩١٣ : للصهيونيين ٤ حقائب وزارية والعرب لا شيء

وهذا شيء من التفصيل للنفوذ الصهيوني في الدولة العثمانية كما تجلى ذلك في آخر انقلاب عثماني وقع سنة ١٩١٣ وقد مرّ الكلام على هذا ، فنال اليهود اربع حقائب وزارية (من هذا حقيبة جـــاويد وزير المالية وهو مسلم بالظاهر لكنه من الدونمة) وهنا نود بيان هذا من جملة نواح .

قلنا ان اليهود نالوا ثلاث حقائب :

وزارة النافعة – (الاشغال العامة) .

ووزارة التجارة والزراعة .

ووزارة البوستة والتلغراف .

وعند الاتراك الناظر هو الوزير ، والصدر الأعظم هو رئيس الوزراء .

اما ناظر النافعة فهو بساريا افندي ، عضو مجلس الأعيان وهو بأصله فلاخي بغداني (من رومانيا) وكان رئيس تحرير جريدة جون تورك ومراقباً على ما يكتب فيها من قبل الجمعية الصهيونية ، وهذه الجريدة صهيونية عرقاً ودماً . وقد انسلخ اقليم الفلاخ والبغدان عن الدولة منذ وقت طويل وبقي بساريا افندي الوتد الذهبي في استنبول للمضي بمهامه الصهيونية ، وحصل على مقعد في مجلس الأعيان . واما ناظر التجارة والزراعة فهو نسيم مازلياح نائب ازمير في البرلمان العثماني سابقاً ، وهو دائماً مفوض الجمعية الصهيونية ،

واما ناظر البوستة والتلغراف (بهذا اللفظ في تلك الأيام) فهو اوسقان افندي وهو وان لم يكن يهودياً كرفيقيه غير انه تهوّد قلباً وقالباً وجيباً ، شديد الغلو في الصهيونية ، فتهوده فظيع ذهناً وذهباً . وقبل الوصول الى هذه الحقيبة بخمس سنين كان كاتباً في الديون العمومية ، فاذا به يرسل فجأة الى الروملّلي مفتشاً مالياً ، ثم بقدرة خفية يصير الآن وزيراً .

وكان جاويد ناظر المالية ، وهو المشهو له بالبراعة في علم المال ، مسلماً ، لكنه دونمي العرق والارومة ، وهو يسلك مع الثلاثة ، فيصبح لليهود اربع حقائب من أصل ١٣ حقيبة . واليهود في المملكة العثمانية قلة ضئيلة وعندما تعد الاقليات في المملكة فهم آخر من يذكر .

اما العرب ، وهم نصف المملكة في عدد السكان ، وبلدانهم في المساحة اكبر من الاناضول اضعافاً مضاعفة ، دون ان يدخل في هذا ما هو اليوم العربية السعودية وإمارات الخليج والجنوب العربي ، فلم يكن لهم من مقاعد في البرلمان الا ّ اقلّ من نصف ما يستحقون ، وفي وزارة الانقلاب سنة ١٩١٣ هذه لم يكن هناك وزير عربي قط ، اللهم الا سليمان البستاني كانت له حقيبة فاستقال ١٩١٤ لما دخلت تركيا الحرب الى جانب المانيا ، وكانت استقالته بمثابة احتجاج على سياسة الاتراك الطورانيين ، والى ان انتهت الحرب او الى انتهاء المملكة لم يكن في الدولة وزير عربي ، وهي مدة اربع سنوات ونصف السنة .

وهناك غريبة ، فان اوسقان افندي الذي رأيناه الآن وزير البوسطة والتلغراف ، وكان قبل بضع سنين كاتباً في الديون العمومية ، ظل السعد الصهيوني ينتقل به ويعلو ، حتى اذا جاءت سنوات ما بعد الحرب وقامت الانتدابات وما تحتها من حكومات ، وللعراق انتدابه وحكومته ، رأيناهُ في حكومة العراق خبيراً مالياً يعمل بعقد . فانظر الى حبل اليهود كيف يلعب وتفكّر ، في من اتى باوسقان افندي الى بغداد عاصمة الرشيد ، وفيما وراءه وفوقه والى جانبه من سحر وتعاويذ. انه دياس حكماء صهيون والانكليز !

وكان رئيس الوزراء العثمانية ١٩١٣ البرنس سعيد حليم باشا من اسرة بيت محمد علي الالباني ، وكان يمتاز بضعف الشخصية ، لا حــول له ولا طول ، وامره طرداً وعكساً بيد العصبة التركية الطورانية ، التي هي بدورها بيـد برلين من ناحية ، وبيد الصهيونيين من ناحية اخرى .

وكانت الحكومة العثمانيـة سنتئذ قد استدانت قرضاً ماليـاً من فرنسا مقداره ٣٥ مليون جنيه ذهباً. وعندما يطلع القارىء العربي على البروتوكولات ومنها البروتوكول العشرون ، يدرك كيف تعقد القروض بواسطة اليهود ومن اليهود ، وكيف تنفق انفاقاً يؤول بالمستقرضين الى الانقراض . وهذه الخيوط كلها من نسيج **حكماء صهيون** . توسعنا في هـذا الاستطراد اذ الغاية من ذلك شرح ما ينبغي الاحاطة به من مخطط البروتوكولات . ووصلنا في مساق متن الكلام الى ادق نقطة : كيف تلاعب الصهيونيون تلاعبهم الذي قرّبهـم في اول الحرب من لندن وابعدهم عـن برلين . ولعلّ في هذا الموطن يكون من المفيد ان نبدي هذه الملاحظة التالية على قدر ما ورد في احد الكتب المترجمة حديثاً الى العربية من قول غير دقيق ولا صحيح يتعلق بالماسونيـة واليهودية العالمية ورجال **تركيا الفتاة**.

هذا الكتاب هو **تركيا الفتاة** لمؤلفه الدكتور ارنست أ. رمزور الاميركي E. E. Ramsaur, Jr. وناقله الى العربية الدكتور صالح احمد العلي . وضعه المؤلف سنة ١٩٤٧ ونشرته بالعربية مؤسسة فرنكلين في بيروت سنة ١٩٦٠ وهو كتاب على الجمـلة حصيلة بحث واسع مفصل ، نال به صاحبه رتبـة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة برنستون . غير ان هذا الكتاب لا يخلو من هفوات واسعة الفجوات ، واليك مثالاً من ذلك .

فقد قال المؤلف في ص ١٢٧ في **الماسونية الدولية** او **اليهودية العالمية** مـا ننقله بعبارته :

« وعلى ايّ حال ، فان اعضاء **تركيا الفتاة** المؤمنين بقوميتهم سواء كانوا في داخل الامبراطورية العثمانية او خارجها ، لم يكن من طبيعتهم الرضوخ لقيادة اية منظمة دولية . نعم ان الماسونية لقيت في تركيا رواجاً لبعض الوقت على اثر ثورة ١٩٠٨ غير ان اي دارس جدي للشؤون التركية لا يستطيع اتهام حكومة تركية الفتاة بالسماح **للماسونية الدولية** او **اليهودية العالمية** باملاء سياستها في الحقبةالتيمرت بين سنة ١٩٠٨ الى اعلان الحرب » .

هذا هو رأي المؤلف ، او استنتاجه ، او ميله ، ونجيب على هذا كله بالوجيز مما يلي :

١ – لا يستطيع هذا المؤلف او اي مؤلف غيره ، ان يتناول الحكم في مسألة النفوذ الماسوني او نفوذ اليهودية العالمية ، في المملكة العثمانية ، قبل ان يجيب على هذا السؤال: أهو قد اطلع على البروتوكولات ام لا . فاذا كان قد اطّلع عليها ، أفيأخذ بها ام لا ؟ فاذا كان قد اطلع عليها وهو يأخذ بها ، فلا مجال لرأيه الذي ذكره بحال . واذا كان قد اطلع عليها وهو لا يأخذ بها فهو يصادم الواقع والمنطق ، ويكابر . او ان هذا الامر لم يحط به علمه وهذا غير معقول .

٢ – ترتكز اليهودية العالمية على الماسونية . والماسونية اثنتان : الماسونية اليهودية وماسونية **الغويم** اي غير اليهود ، وهذه آلة بيد تلك .

٣ – صرحت البروتوكولات في اكثر من بروتوكول بما هي الماسونية بنوعيها تفصيلاً مشبعاً لا يدع مجالاً للرد . وأخص ما ورد هذا في البروتوكولات الاول والثالث والخامس والتاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر والخامس عشر . وهذا البروتوكول الاخير تناول ماسونية **الغويم** اي غير اليهود . وماسونية اليهود الدونمة في المملكة العثمانية تنطبق عليهم الصفتان : الماسونية العالمية بصفتهم في الحقيقة يهوداً ، والماسونية **الغوييمية** بصفتهم مسلمين اتراكاً . ولا دخل في هذا للاتراك المسلمين المحض ، الاحرار ، الذين هم عدو اليهودية العالمية والماسونية .

٤ – تحيل المؤلف على كتاب

World Conquest Through World Government ;
Protocols of the Learned Elders of Zion
by :
Victor E. Marsden

وهذا الكتاب يحصل عليه من :

Britons Publishing Society,
Beamish House
74 Brincedale Rd.
London W. 11

٥ – هل اطلع المؤلف على ما سمي في سوريا ولبنان قبل الحرب العالمية الاولى بمشروع الاصفر – نجيب الاصفر – وهل اطلع المؤلف على حقيقة من باع طرابلس الغرب وكيف جرى ذلك ؟

٦ هل اطلع المؤلف على حقائق تتعلق بمحاولات اليهود للوصول الى فلسطين بين ١٩٠٨ و ١٩١٤ على نحو ما اوجزناه في هذه الصفحات ؟

ويبقى هناك مجال للاستغراب الشديد ، هل المؤلف في رأيه هـذا جاهل ام متجاهل ؟ .

* * *

لما وقعت الحرب سنة ١٩١٤ كان اليهود في فلسطين تحميهم الايدي الخفية في بيروت مركز الولاية ، او في استنبول العاصمة . لكن اخذت عين الدولة العثمانية تحمرّ عليهم لأن برلين كانت تراقب نشاط الصهيونية في بلاد الانكليز منذ عهد هرتزل ، وخشيت ان تعلق بريطانيا بفلسطين عن طريق الصهيونية . وكان الامبراطور غليوم سنة ١٨٩٨ قد فشل في استجلاب عبد الحميد الى ما يرضي هرتزل ، والقصة في غاية الاهمية لا يتسع لها المجال هنا الا للباهـــا المقتضب :

كان بهاء الدين بك ، المسؤول عن الشؤون اليهودية في وزارة الداخلية في

استنبول ، وقد اختير لمراقبة النشاط الصهيوني في فلسطين عن كثب ، فعُين قائمقام ليافا . ولما دَرَس الامور قدّم الى استنبول تقريراً خطيراً جاء فيه تعداد لبعض ما يصنعه اليهود قبيل الحرب في فلسطين وصفوة ذلك : —

محاولتهم ان يكونوا مستقلين بشؤونهم واوضاعهم عن سكان البلاد . احتفاظهم بجنسياتهم الاجنبية بعد اقامتهم في البلاد . يفضون منازعاتهم بالتحكيم فيما بينهم على يد هيئات خاصة . اقامتهم رموز دولتهم ولا سيما العلم الازرق والابيض . يروجون طوابع كطوابع البريد تعود الى الصندوق القومي الخاص بهم . مطاردتهم للعامل العربي . اقبالهم على شراء الارض استخفافهم لهيبة السلطة التركية واللغة التركية في مدارسهم التي تحشو اذهان الطلاب بالعقائد الصهيونية وبث الكراهية للحكومة . جعلهم كل مستعمرة من مستعمراتهم مستقلة بشؤونها عن الحكومة وخدماتها [١] . هذا الى مضيهم السري بالتدريب العسكري تحت ستار اندية الرياضة البدنية ومنظماتها الواسعة واستعمالهم اللغة العبرية .

* * *

فقامت الحكومة العثمانية نزولاً على رغبة برلين ، ورعايةً لمصلحتها وها هي الحرب قد احاطت باوروبا ، فَنَفَت من نفت من الصهيونيين الى مطارح مختلفة في المملكة ، وتمكن عدد كبير منهم من الهروب والالتجاء الى مصر ، ومصر اصبحت تحت الحماية التي اعلنتها عليها بريطانيا إثرَ خلع الخديوي عباس حلمي الثاني ، ولما كان جابوتنسكي في مصر يفكر في تأليف الكتيبة اليهودية لتقاتل مع الحلفاء ، كان على ما يظهر يعتمد على عدد كبير من هؤلاء اللاجئين الى مصر . ورغم الشدة التي صارت الحكومة التركية تظهرها نحو الصهيونيين ، فان ممثلهم في استنبول ريتشارد لختيم لم يأل جهداً في البيان

(١) نقله « نفيل باير » عن كتاب مهم في بابه عنوانه « وعد بلفور وكيف ولد » لمؤلفه ن٠م٠ جلبر وهو بالعبرية (ظهر في القدس ١٩٣٩) ص ١٣٩ وهذا الكتاب قد لا يدانيه كتاب آخر في بابه لما يشتمل عليه من معلومات تتعلق ببواطن الصهيونية .

للحكومةالتركية بياناً ملحاً ينصح بمحاسن اتخاذ سياسة مؤتلفة معالصهيونية. كما كان الممثل الصهيوني في برلين يتقرب من حكومة برلين برأي مثل هذا ، لكن المغريات مختلفة . وهذا شأن اليهود في التقرب من كل دولة يأملون منها الخير لهم في صدد فلسطين ، منذ عهد نابليون . والآن جاءت هـذه المغريات كمغريات هرتزل على الجملة من حيث الفوائد التي تقدمها الصهيونية الى تركيا ، وانما زادت هذه المرة شيئاً ، وان لم يكن جديداً ، فهو شديد الاغراء، وقد قامت في البلاد العربية منـــذ ١٩٠٨ حركة تطلب الاصلاح الواسع . فبيّن لحتيم للترك ان القومية الصهيونية في فلسطين تكون رادعاً للحركة العربيـــة ومناهضة ً لها .

* * *

اما برلين فقد بين لها الممثل الصهيوني هناك ان الصهيونية تكفل لها نشر الثقافة الالمانية والتجارة الالمانية في هذا الشرق . وان الصهيونية ستكون قوة حديثة في شرقي البحر المتوسط،فاذا حصل الاتفاق مع المانيا،فالصهيونية تكون ركيزة لالمانيا في مشروعاتها المقبلة .

واحتوى كتاب جلبر المذكور على مقتبس من رسالة بعث بها لحتـــيم من استنبول الى زميله في برلين ، يصف له ما بذله من جهد لدى السفارة الالمانية في استنبول ، ومما جاء في هذه الرسالة :

« لم اترك وسيلة ً مقنعة ً إلا استعملتها — نشر اللغة الالمانيـــة والتجارة الالمانية ، وما في عروضنا هذه من انسجام نحو الاتراك ، وان نكون بالمرصاد للعرب ، وما لنا من نفوذ مالي وصحفي في العالم ، وما سيكون من يهـــود اميركا من مؤازرة لألمانيا شاكرين لها الفضل هذا ، وما هناك من فائدة لالمانيا بانشاء هذه القاعدة الثقافية الصهيونية والمانيـــا صائرة الى ان تكون الدولة الكبرى في الشرق الادنى . واني اكتب اليك هذا مفصلاً لكي تجعل مقالتك للالمان هناك مؤتلفة مع مقالتي للاتراك هنا » .

يقول نفيل باربر بعد هذا في كتابه (ص ٥٥) : « وهذا كله اذا اجمل في عبارة كان كناية عن « ان فلسطين بهجرة يهودية تتحول الى قاعدة سياسية تجارية ، او جبل طارق تركيا والمانيا» على حدود المحيط الانجلو - عربي» .

« ولكي يبلغ الاغراء مداه ، فقد عرض الممثل الصهيوني عربون صداقة مع الاتراك ، وهو تأليف فرقة يهودية من يهـود بولونيا لتقاتل مع الجيش العثماني في الدفاع عن فلسطين ، بحيث لا يقل عدد رجال هذه الفرقة عـن عشرة آلاف مقاتل ، مقابل شرط واحـد ، وهو ان يسمح لليهود باستعمار فلسطين بعد الحرب ، فلم يلتفت الى هذا الاغراء ، وكانت لندن في الوقت نفسه اوفر نجاحاً من برلين في التفاهم مع الصهيونيين » . هذا كله يبينه جلبر في الصفحات ١٦٢ و ١٧٥ و ١٧٩ من كتابه المذكور . ا هـ

* * *

قبل ان نعود الى جابوتنسكي ، وهذه الاستطرادات كلها روافد تصبّ في واديه ، نرى ان نتمّم القصة من ناحية برلين واستنبول والعرب وفلسطين . ففي سنة ١٩٣٦ - ٣٧ رجعت اللجنة الملكية من فلسطين منهيةً عملها وهـو التحقيق الجذري الواسع في اسباب ثورة ١٩٣٦ وهي اكبر ثورة عربيـة [١]

(١) اسبابها ونتائجها : لسنا هنا في صدد تاريخ النضال العربي في فلسطين في اثناء الانتداب لكننا نوجز لباب هذه الثورة في سطور :

١ً - كان اليهود في السنوات الاربع السابقة قـد اخذوا يتدفقون على فلسطين بأعداد ضخمة من المانيا خاصة واواسط اوروبا وشرقها ، ولا سيما من المانيا بعد قيام هتلر والحكم النازي .

٢ً - كان اليهود في السنوات السابقة ولا سيما في السنة السابقة ١٩٣٥ قد هربوا الى فلسطين مقادير عظيمة من الاسلحة ، وحكومة فلسطين تتغاضى عنهم .

٣ً - كان سنتئذ قـد مضى ١٦ سنة على المضي بسياسة التهويد وكلا الفريقين الانكليز واليهود على ازدياد في هذا . ففي سنة واحدة بعد قيام هتلر ، تدفق على فلسطين من اليهود اكثر من مجموع جميع السنين السابقة .

٤ً - مضي المنظمات اليهودية بالتدريب العسكري ، وهذا كله استعداد « للتجمع والاقتحام » ، واستقتل اليهود على شراء الاراضي بأثمان مغرية لم يسبق لها مثيل .

٥ً - بدأت الثورة باضراب عربي فلسطيني شامل طبّق المدن والقرى ، واستمر ستة اشهر ابتداء ←

داخل فلسطين في اثناء الانتداب ، تقدم امامها رجـــلان للشهادة ، احدهما لويد جورج ، الذي كان رئيس الوزارة البريطانية التي اصدرت وعـد بلفور ١٩١٧ ، والآخر هو جابوتنسكي [١] .

اما لويد جورج فمما قال ان الدول المركزية (النمسا والمانيا وحلفائهما) كانت في الوقت نفسه (وقت مساومات اليهود على فلسطين) تعلم ما للميول اليهودية من قيمة ووزن في ترجيح كفة الحرب . ولما اعطي الوعـــد كانت الحكومة الالمانية تبذل اقصى جهد لتستميل الحركة الصهيونية الى جانبها ، وبعيد صدور الوعد سارعت هي وحليفتها تركيا في عرض وعد مقابل ينافس وعدنا . وخلاصة ما عرضته المانيا ، انشاء شركة بامتيـــاز لمصالح اليهود الالمان الصهيونيين . وتتمتع هذه الشركة بشكل محدود من الحكم الذاتي ، مع

←من نيسان . واعتقلت الحكومة لا اقل من عشرة آلاف عربي حشرتهم في مختلف المعتقلات والسجون وانشأت المحاكم العسكرية الى جانب المدنية وملأت السجون بالعرب .

٦ً - قامت الحكومة بحجة التفتيش عن الاسلحة ، فهدمت مئات المنازل والبيوت ولا سيا في يافا فنسفت حياً عربياً بأسره . واحرقت قرى عديدة ، والقت المتفجرات من الطيارات ، ومكنت اليهود في اثناء ذلك من انشاء مرفأ تل ابيب ليقضي على مرفأ يافا المجاور . ولجأ العرب الى « محكمة العدل العليا » ، يشكون الحكومة فيا كانت تصنع من هدم ونسف وتدمير في يافا بحجة كاذبة هي التجميل والعمران . فاصدرت المحكمة قراراً يجرّم الحكومة بعبارات فاضحة . وما ان صدر هذا القرار حتى طلب المندوب السامي من قاضي القضاة، وهو رئيس المحكمة ان يستقيل ، وسنّت قانوناً خاصاً لصرف تقاعده واعادته الى بلده ، واشتهر هذا في العالم .

٧ً - لاول مرة في تاريخ نضال فلسطين تدخل ملوك العرب وامراؤهم (بايعاز من الحكومة البريطانية) تدخلاً يُنسي ما َقبِلَ الحسين بن علي من هوغارت ، اواخر الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٨ من تفسير مضلـّل خادع لوعد بلفور ، وكان قد مضى على ذلك ١٨ سنة لمّا جاء تدخل ملوك العرب وامرائهم وغايته الدعوة لحل الاضراب واعادة الثقة ببريطانيا!

٨ً - جاءت لجنة التحقيق الملكية هـذه ومكثت في البلاد شهرين ، ولمـا وضعت تقريرها ضمنته فكرة تقسيم فلسطين فتم هذا بعد عشر سنوات .

(١) لما سألته اللجنة عن رأيه في التقسيم (لاحظ ان هذا ١٩٣٦) ، اجاب ، كيف نرضى بأن تعطونا « كنتوناً » من فلسطين وهي كلها لنا ، واذا قلنا لكم نعم اننا نرضى فما نحن الا كذابون !

حق المهاجرة اليهودية الى فلسطين . وفي نهايـــة ١٩١٧ علم ان الترك كانوا مستعدين ان يقبلوا هذا المشروع على هذه الاسس . لكن ، قبل ان يصل هذا الامر الى نهاية باتة في استنبول ، كانت فلسطين صارت في قبضة الجنرال (١) اللنبي » .

وقال لويد جورج في شهادته هـذه ايضاً : « واعطانا زعماء الصهيونية عهداً باتاً انهم اذا اعطتهم دول الحلفاء تسهيلات لانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، فهم يبذلون جهدهم من ناحيتهم لجعـــل الميول اليهودية والمؤازرة اليهودية في جميع العالم تساند قضية الحلفاء . وقد وفوا بما وعدوا » (٢) .

وبعد ان صدر وعـــد بلفور ، انتهى عمل مكتب الحياد الصهيوني في كوبنهاغن . وفعلاً ، شرع اليهود يفون للحلفاء ما وعدوا به وذلك بتسديد اول الضربات القاطعة لالمانيا ! وكانت المانيـــا قد أكلتها الحرب الضروس بسنواتها الأربع ، فحاولت أن تعقد قرضاً داخلياً لتستطيع متابعة الحرب ، واذا بمشروع القرض يمنى بالفشل والجمود ، وكان عجز ألمانيا عن انجاح مشروع القرض ، من أكبر الاسباب التي أفضت بها الى الهزيمة . وكان اليهود بأساليبهم

---

(١) ومما هو جدير بالاشارة اليه : ان لويد جورج عرف بكثير من المتناقضات في الاقوال التي قالها والاشياء التي سجلها في مذكراته ، مما يتعلق بفلسطين واليهود ووعد بلفور . ولنلاحظ هنا قوله امام اللجنة الملكية من ان فلسطين كانت قد امست بيد اللنبي اواخر ١٩١٧ قبـل ان يتم عرض الاتراك في الآستانة ، والواقع ان اللنبي بعد احتلاله القدس في ١٩١٧/١٢/٩ بقي الى خريف ١٩١٨ وهو لا يتقدم شمالاً ، وجنوده على خط بين نهر الاردن وشمال القدس بقليل الى الساحل ، ولم يستأنف اللنبي هجومه بعد ذلك شمالاً الا في سبتمبر ١٩١٨ ، ولما قُرِّر وعـد بلفور نهائياً ولم يعلن بعد ، كان معظم فلسطين بيد الترك والالمان ، فاذا كان لا يجوز في القوانين الدولية التصرف ببلاد محتلة الا بعد انهاء الحرب وعقد الصلح ، فكيف يجوز بيـع جلد الدب قبل صيده ؟ انما يجوز اذا كان وراء الاكمـة حكماء صهيون .

(٢) امّا الثورة العربية ، وقد اعترف اللنبي بفضلها في انها كانت الجناح الشرقي للزحف على سوريا ، حتى حلب ، وامّا عهود بريطانيا للحسين بن علي او « مكاتبات الحسين مكماهون » بان تنال بلاد العرب استقلالها ، واما دماء العرب على ما وصفت السيدة نيوتن في الحرب العالمية الاولى فهذا كله تجازي عليه بريطانيا بان تستخدم سلاحها ٣٠ سنة لاقامة دولة « حكماء صهيون » في فلسطين .

الجهنمية هم المخرّبون للمشروع بخلق العراقيل في طريقه .

ولما ادركت برلين ان الصهيونيين ارتبطوا مع لنـــدن ، وانتهى الأمر ، دفعت اصدقاءها من رجال الاتحاد والترقي اصحاب القيادة في الدولة العثمانية وعلى رأسهم طلعت رئيس الوزراء ، الى ان يقوموا بعمل شيء آخر لعـــله ينقض ما صنعته لندن ، ويشلّ الانكلـــيز في فلسطين وسوريا ، وذلك عن طريق عقد صلح منفرد بين العرب والترك ، فينال العرب في أقطارهم الآسيوية (لا ذكر هنا لطرابلس وبرقة) حكماً ذاتياً تاماً ، تكفله المانيا . ولم تذكر برلين للاتراك شيئاً عن وعد بلفور الجديد ، او عن المفاوضات المتعلقة به قبل حين ، إمّا لأنها لم تكن هي واقفة على ذلك ، وإمّا لأنها لم تشأ ان تطلع استنبول على ذلك فاكتفت بفكرة عقد صلح منفرد بين العرب والترك . فقام القائد العثماني ، احمد جمال باشا الملقب بالسفّاح بتنفيذ هذه المحاولة في اواخر ١٩١٧ ، بأن أنفذ رسالة سرية الى فيصل بن الحسين ، وفيصل في العقبـة ، وخاطبه بعاطفة اسلامية حارة ، وكشف له عن معاهدة سايكس – بيكو الحديثة الظهور في بتروغراد . وكان الانكليز وقتهـــا على ابواب القدس لم يدخلوها بعد . فأنفذ فيصل الرسالة الى أبيه في مكة وطلب منه التعليمات. أجاب الحسين فيصلاً بأن يرفض العرض . ثم ان الحسين بعث هــــذه الرسالة وما يتبعها الى المعتمد البريطاني في مصر ، وهذا قدّمهـــا الى حكومته في لندن .

***

والحجة التي اعتمد عليها الاتراك الآن في استمالة الحسين هي ظهور المواطأة بين الحلفاء على تقسيم البلاد العربية وهو بما يعرف بمعاهدة سايكس – بيكو المعقودة سرياً بين بريطانيا وفرنسا وروسيا (ودخلت ايطـاليا في المشروع بعد قليل) ، فلما وقع الانقلاب البلشفي في روسيـــا خريف ١٩١٧ اخرج البلاشفة جميع الاوراق السرية المتعلقة بمصالح روسيا القيصرية ، وأعلنوا ان العهد الثوري الجديد ينبذ كل ما يتعلق بمشروعات الاستعمار ، ومن جملة تلك

الأوراق معاهدة سايكس – بيكو هذه . وبقطع النظر الى ما كان عند الالمان والترك من حسن نية في عرض الصلح على فيصل وأبيه ، مقابل الحكم الذاتي في البلاد العربية الآسيوية ، فظهور هذه المعاهدة السرية الرهيبة ، المتممة منذ أواسط السنة السابقة ، وتنتظر ان يحين وقت تنفيذها ، كان ينبغي ان تكون سبباً كافياً في اعادة النظر في سير الثورة بجرأة حازمة . نقول هذا سنة ١٩٦٦ وقد انقضى نصف قرن على خطوات ذلك المصير ، ويبدو لنا العجب لماذا لم يفعل الحسين وابناؤه ذلك . والجواب واقعي محض لا يحتاج الى بيان طويل : الثورة العربية كانت عند معظم القائمين بها قومية في الصدور والآمال ، والدماء ، لكنها كانت تتغذى من الانكليز من يوم قامت في الحجاز في يونيو ١٩١٦ الى ان احتل فيصل حلب في خريف ١٩١٨ . وبين ١٩١٧ و ١٩٥٢ مدة ٣٥ سنة !!

* * *

وبرلين التي رمت بهذه المحاولة ، جاءت متأخرة جداً . فقد كانت بوسعها ان تأخذ على يد السفاح وهو يفتك بأحرار العرب ويصعدهم الى الحبال في دمشق وبيروت سنتي ١٩١٥ و ١٩١٦ . فلم تفعل شيئاً ، وهي لو فعلت وتداركت جنون السفاح وهو نفسه يلبس الآن جلد الحمل فوق جلد الذئب ، ويتباكى على الاسلام ، ويعرض الحكم الذاتي وهو قبل قليل كان يزيل رؤوس العرب الذين كان ذنبهم ان طلبوا شيئاً اقلّ من الحكم الذاتي وهو **الاصلاح** الضروري ، وان تكون العربية لغة البلاد الرسمية في التعليم ، لربما تغير المصير .

وبين انفاذ السفاح الرسالة الى الحسين ، وانتظار جوابها ، وانفاذ الحسين تلك الرسالة عينها الى المعتمد البريطاني بمصر وانتظار جوابه ، وهذا اتجه الى لندن ، كانت قد انقضت سنة ١٩١٧ودخلت ١٩١٨ ، وفي شباط كانت لندن فرغت من حياكة جواب ينقله الى الحسين (بعد وصوله الى المعتمد في مصر) وكيل القنصل البريطاني في جدة . وقال الجواب : ألاّ يلتفت الحسين الى تلك الاوراق فهي قديمة قبل التعاهد معه على الثورة ولا حكم لها الآن ، واتهم

الجواب ، السفاح ومن وراءه ، بسوء النية ومحاولة الافساد بين الحلفاء . واكد الجواب للحسين ان بريطانيا باقية على عهد الوفاء له وللعرب . فنام الحسين نوماً عميقاً .

هذه الضربة الاولى . والثانية بعد بضعة اشهر ، واللنبي يستعد للزحف على فلسطين الشمالية وسوريا ، استطارت الاخبار من لندن بعد ٢ نوفمبر تصف وعد بلفور وماهيته . وحاولت القيادة البريطانية الا تدع هذه الانباء تشيع في مصر او القسم المحتل من فلسطين . ولم تكن وقتئذ اذاعات في العالم. لكن انباء خطيرة من هذا النوع لا يمكن حجبها على كل حال ، فوصلت الى فيصل والحسين فقلق الحسين : امس معاهدة تقسيم البلاد التي يثور من اجلها ، واليوم اقتطاع فلسطين المقدسة ، واعطاؤها الى اليهود .

هنا قدرت لندن دقة الموقف لا بالنسبة الى الحسين وحده ، بل بالنسبة الى العرب اجمعين ، ولما وصل النبأ الى مصر سارع يهود الاسكندرية الى اقامة مظاهرة ابتهاج ، وكانت هذه اول مظاهرة يهودية تحية لوعد بلفور ، ومن اليهود الذين لا يقيمون في فلسطين . فلم تر لندن ان الجواب في رسالة برقية عن طريق وكيل القنصل في جدة يكفي ، كما فعلت في الجواب حول معاهدة سايكس – بيكو . فاختارت البروفسور هوغارت [1] العالم الاثري المشهور والثقة في تاريخ العرب ، وكان في مصر رئيس المكتب العربي الذي يدير الشؤون العربية خارج مصر ، ومنها ثورة الحسين .

قابل هوغارت الحسين مرتين في جدة في اوائل ١٩١٨ وبلّغه رسالة شفوية ، لا خطية ، (والشفوية هنا لا حكم لها) ان المراد بوعد بلفور السماح لليهود بالهجرة الى فلسطين واستيطان البلاد ، على مقدار ما تسمح به حالتها السياسية والاقتصادية. هذا ما انتهى الينا من الكلام الذي اجاب به هوغارت،

---

(١) هو D.G. Hogarth استاذ لورانس في علم الآثار . وله كتاب Arabia يشتمل على صفوة تاريخ الجزيرة مما لم يسبق له نظير في بابه .

وواضح ان وعد بلفور فيه قيد احترازي مآله صيانـة حقوق العرب الدينية والمدنية ، وهنا يستعمل هوغـــارت الحالة السياسية والاقتصادية . فتقبل الحسين هذا . ويظهر ان هوغارت لم يستعمل كلمة **صهيوني وصهيونية** . وعلى كل حال ، نام الحسين نوماً عميقـــاً مرة ثانية . واكمل العرب تقديم المساعدة الى اللنبي . واستسلمت تركيا في ٣٠ اكتوبر ١٩١٨ وفي ١٢ نوفمبر دخل الاسطول البريطاني الدردنيل . وفي ٩ نوفمبر قـــام الجنرال هندنبرغ بتبليغ الامبراطور غليوم انه ما عاد يضمن ولاء الجيش ، ونصحه بالخروج ، فانتقل الامبراطور الى هولندا ووقعت الهدنة مع المانيا وانتهى الامر .

* * *

اما خدعة هوغارت للحسين هـــذه المرة في تصويره له بلسان الحكومة البريطانية معنى السماح لليهود بالهجرة الى فلسطين واستيطانها ، على مقدار ما تسمح به حالة البلاد السياسية ، فلا تقل في المكر والختل عن الخدعة السابقة قبل بضعة أشهر ، لما فسرت الحكومة البريطانية للحسين مسألة معـــاهدة سايكس – بيكو ، فأنكرتها وقالت انها شيء من عبث العدو ومكايده ، وهنا نرى الخدعة تتضمن هذه العناصر :

١ – كان وعد بلفور قد اعلن قبل اربعة اشهر بنصه الرسمي ، فلماذا لم ينقله هوغارت بذلك النص الصحيح ؟

٢ – صوّر هوغارت للحسين ان هذه القضية المتعلقة باليهود ما هي إلا عطف انساني ، فتكون فلسطين ملجأ لهم ! لقوم مضطهدين !

٣ – لم يذكر هوغارت للحسين ان الوعد قائم على اساس ان تجعل البـــلاد تحت اوضاع سياسية او اقتصادية تؤدي الى انشاء الوطن القومي ، بل صوّر له ان استيطان اليهود فلسطين يكون على قدر ما تسمح به حالة البلاد السياسية والاقتصادية !

٤ – ولسنا هنا في هذا الموضع لنناقش موقف الحسين بن علي ممـــا سمعه من هوغارت ، وهوغارت لم يبلـّغه ما بلـّغه الا ّ شفوياً ، لا خطياً . لكننا نقول ان ما أدركه الحسين بعد أربع أو خمس سنين من الحقيقة كان ينبغي له ان يدركه سنة ١٩١٧ و ١٩١٨ . ولنفرض ان هوغـــارت بلـّغ الحسين هذا خطياً ، افيجدي ذلك شيئاً في سياسة الحسين ازاء بريطانيا ، وبريطانيا خدعته بعهود صريحة الكلام ثم انكرتها ومن ينكر الأصل والاساس ينكر الفرع كذلك . ونقول بهذه المناسبة ، والايراد المفصّل ليس هنا ، ان المكاتبات الرسمية التي دارت بين الحسين ومكماهون (١٩١٥ – ١٦) ، وقد بقي الحسين سنين عديدة ينوّه بها ويستند عليها ، على الراجح انها قد سُرِقَتْ منه لكن من السارق ؟ ومتى ؟ والادلـّة على هذا لم تنشر بعد لكنها مقنعة لكل ذي عقل والذي عاهد ، سرق .

٢٦ – جابو تنسكي ١٩٢٠ – ١٩٤٠

٣

تركنا جابوتنسكي في القدس سنة ١٩١٨ وقد اختاره ويزمن ليكون شاغلاً أدق منصب صهيوني ، وهو الضابط السياسي في المنظمة الصهيونية ، وهـذه أول خطوة من خطى تنفيذ سياسة وعد بلفور . وقلنـا ان ويزمن قد آثر جابوتنسكي على غيره ، لأن جابوتنسكي في نظره أجرأ من يحمل ويطبّق منهج **التجمع والاقتحام** ، مع ان ويزمن ذكر بصراحة ان جابوتنسكي لا يصلح للسياسة . وقال ويزمن زيادةً على هذا انهما لمّا كانا يسكنان معاً في لندن ، في بيته ، « كانا يسبحان سباحةً واسعة في نسج الأحلام » . وقال ويزمن ايضـاً : « جابوتنسكي يحسن الكلام والحديث ، وثـّاب القلب ، كريم اليد ، وأبداً مستعد ان يساعد مَن وقع في ضيق » . ومن صفاته فوق كل هذا انه على طبع يستغرقه ، وهو حب البطولة المسرحيـة والفروسية الشاذة ... وعلى العكس من هذه الطباع ، أحد ها عام » . وقال : « اثنان من الصهيونيين الروس كانا عديمي الايمان الصهيوني بانتصار بريطانيا ، وبقيا على هذا حتى اللحظة الأخيرة : تشلنوف واوسشكين. ويستثنى منهم جابوتنسكي وفنحاس روتنبرغ » . ولكن ويزمن قـد اختار جابوتنسكي غير ناظر الى قلة مرونته في تعاطي الشؤون السياسية مع الانكليز ، لغرض أبعـد وهو تطبيق روح **التجمع والاقتحام** وأما اللعب السياسي الراقص فبيد الدكتور ادر .

وما مضى على تسلم جابوتنسكي صلاحيات عمله إلا أيام قليـلة ، وويزمن على أهبة العودة الى لندن ، حتى دعا الجنرال كلاتين الدكتور ويزمن وقال له

بلطف : « انه يحسن بجابوتنسكي المجاور مكتبه لمكتبي في مقر القيادة ، أن يختار وقتاً معيناً كل يوم لمراجعتي ، بدلاً من ان يفاجئني على غير موعد ». يقول ويزمن انه لما خرج من مكتب كلايتن شعر بالقلق . ولما كان ويزمن في باريز بعد قليل اجتمع هناك بالجنرال اللنبي ، فلفت اللنبي نظره الى الوضع القلق في القدس ، ونصحه بأن يكون في القدس ، ووجد ويزمن نصيحة الجنرال في محلها .

ولما وقعت حوادث يوم النبي موسى سنة ١٩٢٠ فاذا بجابوتنسكي يُخرج السلاح الحربي المخبأ ، ويتسلل الى المدينة داخل السور ، حيث توجد جماعة من اليهود يسكن معظمهم في بيوت مستأجرة يملكها العرب المسلمون ، وهذا من قبل الحرب العامة بوقت طويل ، يريد الدفاع عن اولئك اليهود . فلم يكترث جابوتنسكي للعرب ، ولا همه الجيش البريطاني ، فهو من أودسّا ، وأودسا مدينة الدماء ، واشتهر الشاعر بياليك مما اشتهر به بوصفه للدماء وقصيدته خبّئيني تعدُّ من أنفس شعره كما يقول نقّاد الأدب . وأحب جابوتنسكي ان يسجل اول بطولة مسرحية في القدس ، فاعتُقل وأصبح قيد المحاكمة ، وراح ويزمن يعضّ على اصبعيه . وكان جابوتنسكي لما تسلل الى الحي الذي يسكنه اليهود داخل المدينة ، مشتعلاً بروح الأخذ بالثأر ، ليوسف ترمبلدور الذي صُرع في مستعمرة تل حي قرب الحدود السورية، ما كان قد مضى على مصرعه اكثر من بضعة أسابيع .

ولما حوكم جابوتنسكي ، علم القارىء من أمر تصرفه المسرحي في المحكمة ، ما لا حاجة لنا الى تكراره .

* * *

سنة ١٩٢٢ اشتد تململ العرب ازاء تدفق اليهود على البلاد . فأصدر تشرشل وزير المستعمرات كتاباً ابيض ، حاول فيه ان يفسر معنى وعد بلفور والوطن القومي ، تفسيراً يجمع فيه بين رضى الفريقين ففشل من ناحية العرب وازداد رضى اليهود عنه . وتشرشل أتى بتفسيرات فاق بها على ما في

وعد بلفور وصك الانتداب ، وذلك بانه قال ان مقدار الهجرة يكون بحسب طاقة البلاد اقتصادياً للاستيعاب ، وبهذا نسخ مـا هو أقل شرّاً من هذا للعرب في المادة السادسة من صك الانتداب . وقرر ان هجرة اليهودي الى فلسطين « حقّ لا منّة » وقال ان فلسطين لن تكون خالصةً لفريق . وانكر ان فلسطين مشمولة بعهد بريطانيا الى الحسين. وكأن تشرشل بالكتاب الابيض ١٩٢٢ قد هندس الاحجار الأساسية للوطن القومي . فرفض العرب قبوله ومضوا يطالبون بحقوقهم .

ولما اجمعت المنظمة الصهيونية على قبول الكتـاب الابيض الذي رفضه العرب ، وقبولهـا في مصلحة الوطن القومي ، كان جابوتنسكي عضواً في المنظمة ووقّع قرار قبول الكتاب الابيض مع الباقين ، لكنه تمشياً مـع مخططه ، انسحب او ادعى الانسحاب من المنظمة ، جرياً على خطة « كافور وغاريبالدي » وانشأ حزباً سماه Revisionist [1] ومعنى هذا في برنامجه اعادة تنقيح صك الانتداب ، بحيث يشمل نصه شرق الأردن لتدخل في حـيز المخطط الجغرافي المراد للدولة اليهوديـة ، اي ضفتي الأردن ، ثم بعد ذلك التوسع من النيل الى الفرات .

واتماماً لتمثيل الرواية ، راح يعلن معارضته لسياسة ويزمن ، اي المنظمة الصهيونية ، ويَبشّرَه بأمانيّه الى الدولة اليهودية ، والآن صار له حزبٌ سياسي ، وصحف ومنظمة عمـال تؤيده . واحياناً يهزأ بويزمن ويقول : «حوت من خشب للتخويف» ويقول ويزمن : « يظن جـابوتنسكي اني اذا تدحرجت انا علا هو وارتفع » ، وكل هـذا من الفريقين تمثيل متفق عليه وهما في اللباب واحد .

وسنة ١٩٢٥ فصاعداً صار معدوداً من زعماء الصهيونية في العالم .

---

(١) من باب الخطأ ، جعلت صحف فلسطين العربيـة تترجم اسم هـذا الحزب « بالحزب الاصلاحي » ، وهذا تعبير قاصر بل مضلل ، فان القصد هو التوسع الجغرافي لا اصلاح عادي ، وقد مرت الملاحظة على هذا في صفحة (٨٣)

وفي هذه السنة قاوم دخول غير الصهيونيين الى المنظمة او الوكالة اليهودية بحجة ان غير الصهيونيين لا فائدة منهم .

وسنة ١٩٢٩ جعل بعضَ جماعته ينسحبون من الوكالة اليهودية امـــا هو فبقي مع الآخرين . ولما وقعت ثورة البراق في هذه السنة اخرج من فلسطين .

وسنة ١٩٣١ طَلَـبَ من المؤتمر الصهيوني اقرار مخطط الدولة اليهودية من على جانبي الاردن (١) وان تبنى سياسة المؤتمر على هذا علناً (٢) .

* * *

(١) كانت شرق الاردن داخلة في صك الانتداب . فرأت بريطانيا رعايةً منها كما ادعت لاتفاقها مع الحسين بن علي ، ان تخرجها من تطبيق الوطن القومي بحكم المادة ٢٥ من صك الانتداب ، وعقد المؤتمر الصهيوني الثاني والعشرون سنة ١٩٢١ فسُئل ويزمن عن شرق الاردن فقال : لقد نشر الآن صك الانتداب ولا سبيل لنا الى تغييره الا من ناحية واحدة . فان شرق الاردن ، وكانت خارج منطوق الانتداب في النص الاول ، هي الآن مشمولة به . وكان ويزمن يوجه الجواب الى السائل او المعترض « هرمان ليم » ، فاطرد يجيبه : واما مسألة الحدود الشرقية فقد ادركنا بعضها كما ترى . وندرك مابقي منها يوم تصبح Cisjordania (فلسطين او غرب الاردن) غاصّةً باليهود ، وحينئذ تشق الطريق الى Transjordania شرق الاردن .

(راجع نفيل باربر صفحة ١٠٤)

(٢) ذكر لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية وهو وبلفور الركن الاول في اصدار « وعد بلفور » ، في مذكراته - (المجلد ٢ ص ٧٥٥)ان الحدود التي طالب بها الوفد الصهيوني في مؤتمر الصلح في مذكرته المؤرخة ٣ فبراير ١٩١٩ تشمل فلسطين غرب الاردن وشرقه،وجنوب لبنان وهذا هو نص المطلب :

« تكون حدود فلسطين تابعة اجمالاً للخطوط المبينة هنا كما يلي :

« أما شمالاً فيبتدىء الخط من نقطة على البحر المتوسط ، على مقربة من جنوبي صيدا ، ثم يسير على سفوح التلال او الجبال اللبنانية حتى جسر القرعون، ثم باتجاه البيرة فاصلاً بين حوضي وادي القرن ووادي التيم ، ومن هناك جنوباً فاصلاً بين السفوح الشرقية والغربية لجبل حرمون(الشيخ) حتى غرب «بيت جن» ثم شرقاً محاذياً القسم الشمالي من نهر المغنية حتى يصل الى الخط الحجازي فيكاد يتصل به من الجهة الغربية .

« واما شرقاً ، فيسير خط الحدود على مقربة من الخط الحجازي حتى ينتهي في العقبة .←

وسنة ١٩٣٣ اغتيل (ارلوزوروف) رئيس المنظمة الصهيونية في ضاحية تل ابيب ليلاً وضوء القمر يملأ الدنيا، وكان يتمشى ومعه زوجته. واذا بالقتلة هم من اتباع جابوتنسكي، فحكمت عليهم المحكمة المركزية، وفي الاستئناف استطاعوا ان يخرجوا احراراً. والاسباب التي ابديت للمحكمة جعلت الرأي العام في فلسطين يدهش دهشاً عظيماً حتى بعض اليهود اذ النفوذ الخفي الصهيوني يخرج القتلة من المحاكم من بين ايدي القضاة !

وسنة ١٩٣٥ انسحب جابوتنسكي من المنظمة وانشأ « المنظمة الصهيونية الجديدة »[١] وراح يصطنع الحملة تلو الحملة على الوكالة اليهودية قائلاً انها لا تمثل يهود العالم، واكبر كتلة على مذهبه كانت تتجاوب معه هي كتلة بولونيا.

← واما جنوباً، فيتفق على خط الحدود مع الحكومة المصرية.

« واما غرباً، فالبحر المتوسط ».

وجاء في مذكرات الشيخ محمد الجسر وقد نشرت تباعاً في جريدة « الجريدة » سنة ١٩٥٤ وهذا الذي ننقله نشر في عدد ١٠/٢/١٩٥٤:

« الجمعة ٤ تموز ١٩٢٤ ـ دخلت مجلس النظار، وهذه اول مرة انعقد فيها المجلس تحت رئاسة الجنرال فندبرغ، فاجتمعنا ودخلنا عليه الساعة الحادية عشرة.

الاربعاء ١٦ تموز ١٩٢٤ ـ اشتغلتُ في الدائرة كثيراً لأن الأوراق كانت مكدسة ولم يصادفني شيء مهم هذا اليوم سوى ان المسيو روزور رئيس الغرفة السياسية، اعلمني موافقة الحاكم على وضع قانون يمنع اليهود من التملك في لواء الجنوب، أي بمنع الصهيونيين من التملك، ويظهر انهم شعروا اخيراً بهجوم اليهود على التملك في لبنان لاغراض سياسية، وقد كنتُ نبهتهم الى هذا الامر منذ سنة وقلت لهم ان الحكومة العثمانية منعت تملك اليهود في لواء الجنوب خشية من اغراضهم السياسية فلم يلتفتوا الى هذا القول حينئذ بل ان المستشار المالي قد ردّ عليّ ردّاً مطولاً مستنكراً حرمان الانسان من التملك، اذ لكل حق الابتياع والاستيلاء على ما يشاء بأمواله. وهكذا رجعوا الى قولي الآن من ان وجود الصهيونيين سيكون يوماً ما شوكة في جانب العرب تستغلها دول الغرب ».

وذكر ويزمن في مذكراته تفصيلات وافية لاحاديث جرت بينه وبين الفرنسيين حول استعمار الارض في الجزيرة. سنأتي على مجملها في الفصل ٢٩ من هذا الكتاب.

(١) وشاع اسم هذا الحزب بين اليهود « حزب الدولة اليهودية » اي انه ارتفع بمطمحه من الحزب المطالب باعادة تركيب اللجنة الصهيونية التنفيذية الممثلة للمؤتمرات الصهيونية، الى حزب سافر يطالب بدولة يهودية علناً.

ثم توسع في دعوته فقال ان فلسطين يجب ان تفتح ابوابها لجميع يهود الشتات حتى يجتمع شملهم في فلسطين وهم من ثمانيــة ملايين الى ١٨ مليوناً . ودعا الى الاعتماد على الشبـــاب اليهودي وسمّاه جيل الحروب (القائم على التجمع والاقتحام) وقال انما ينتظم في صفوف هؤلاء مَنْ سنهم من ٢٣ — ٣٥ سنة .

واما مجموع اتباعه في فلسطين فليس عددهم كبيراً ولكن منهم المقتالون والقتلة والسفّاحون والعصابات .

وسنة ١٩٣٨ اعترفت المنظمة الصهيونية والوكالة اليهودية بحزب المنظمــة الصهيونية الجديدة او حزب الدولة اليهودية ، والوكالة يعترف بهـــا صك الانتداب في مادته الرابعة فكأن حكومة فلسطين وحكومة لندن قد اعترفتا بهذا الحزب ايضاً الذي اسمه رسمياً حزب الدولة اليهودية وكان قد مضى سنتان على صدور تقرير اللجنة الملكية المعروفة بلجنة بيل ، وفي هذا التقرير اقتراح التقسيم ، فبين مناداة حزب الدولة اليهودية بهذا العنوان ، والوصول اليه، عشر سنين كان ثلثاها سنوات مليئة بالارهاب المصطنع بـــين الوكالة وحكومة فلسطين .

وسنة ١٩٤٠ انتهى امر جابوتنسكي فعاش ستين سنة اذ ولد سنة١٨٨٠ وكذلك رفيقه يوسف ترمبلدور ولد سنة ١٨٨٠ وانتهى سنة ١٩٢٠ كما تقدم . جابوتنسكي هو ابو مناحيم بيغن وابراهيم شترن ، في صناعة الارهاب، وبيغن وشترن هما رأس العصابات كلها .

والمذابح العربية في فلسطين كلها صناعة هؤلاء وعلى رأسهم جابوتنسكي ممثل خلق التجمع والاقتحام .

غير ان جابوتنسكي كانت له صورة رائقة في نظر رونالد ستورس (حاكم القدس من ١٩٢٠ — ١٩٢٦) تدور بين الجد والسخرية . وستورس كاتب يعلو في مستواه الكتابي على لورانس او يمشي الاثنان في قرن واحد . ولا ادري السبب الذي جعل لجابوتنسكي تلك الصورة في عيني ستورس المدلّس

النقريس ، وقد عرفناه في القدس معرفة تامة طول تلك المدة ، وما كان منه من غرائب ونوادر . فقد اثنى ستورس على جابوتنسكي من جهة انضباطه العسكري ، وقال ان جابوتنسكي في صناعـــة خلق الاضطرابات نابغة ، ادواته الفوضى والثورة وقلب الاشياء رأساً على عقب ، فـــلو اتيح له من الفرصة ما يريد لاستطاع ان يغمر فلسطين وسوريا بالقلق المقيم المقعد . وقال ستورس ايضاً : ان تطرف جابوتنسكي وغلوه ، خدما القضية الصهيونيـــة خدمة كبيرة حتى صارت الصهيونية السياسية الرسمية تبـــدو اعتدالاً واقعياً بالنسبة الى تخططه . هـــذا قول ستورس الانكليزي ، اما التعبير الصحيح فان التخطيط والتنفيذ كانا بيد **حكماء صهيون** ، وكانت الحراب البريطانية في فلسطين تعمل وفق المخطط اليهودي .

ولا ينسى القارىء السبب الذي من اجله اخترنا استيفاء خبر جابوتنسكي الى هذا الحد ، اذ هو مثال بارز في فلسطين للخلق المنبعث عن منهج **التجمع والاقتحام** — البروتوكولات .

٢٧ـ يوسف ترمبلدور

هو رفيق جابوتنسكي ، فليراجع ما قلناه في جابوتنسكي .

وهو احد اليهود المغامرين الذين سقطوا قتلى في فلسطين سنة ١٩٢٠ وكان مقتله على يد العرب قرب الحدود الشمالية ، وناح اليهود عليه مناحة عظيمة ، وأقاموا له الذكرى ، ووضعوا عهداً انهم ليأخذنَّ بثأره .

وورد ذكره ونحن نتكلم على جابوتنسكي ، وان هذا الاخير المغامر لمـــا دخل المدينة القديمة (القدس داخل السور) في حوادث النبي موسى الـتي اجملنا خبرهـــا ، دخل متسللاً ومعه السلاح والعدة ، ليحمي حسب دعواه اليهود المقيمين في الحي اليهودي ، وقصده الحقيقي ان يصطـاد بالرصاص من يقـع له من العرب ، اخذاً بالثأر لزميله يوسف ترمبلدور ، وهذا لم يكن قد مضى على مصرعه الا اسابيع قليلة . وقلنا اننا سنورد صفوة قصة ترمبلدور بعد الفراغ من الفصل السابق .

* * *

هو من ابناء القفقاس وولد سنة ١٨٨٠ وامتهن الكتابة والصحافة ، مثل سائر زملائه الذين أتينا على اخبارهم، وهو تلمودي ، وكأسه من التلمود دهاق. والصهيوني التلمودي هو المتهيىّء بكل قواه ليكون شارباً من تعاليم احد هـا عام خمرة التجمع والاقتحام وهذا من صلب البروتوكولات .

تطوّع في الحرب الروسية اليابانية (١٩٠٤ – ١٩٠٥) ففقد ذراعـــه اليسرى . ويقول كيش في مذكراتـه ان ترمبلدور هو اول يهودي في الجيش الروسي بلغ رتبة ضابط ونال اوسمة . وليس للقارىء العربي ان يغترّ بهذا ،

فاليهودي الذي نشأ على عقيدة التجمع والاقتحام ، لا يتطوّع في اي جيش، ولا سيما الروسي القيصري ، إلا لغايةٍ في نفسه تتعلق بالصهيونية من احدى نواحيها ، والغاية هنا ، مع تظاهره بالوطنية الروسية ، ان يختبر اموراً عسكرية يهم اليهود امرها ، وهم للانقضاض على الحكم القيصري بالمرصاد ، بل كانوا سرّاً من العاملين على ايقاد نار الحرب بين روسيا واليابان .

بعد ان انصرف ترمبلدور من الخدمة في الجيش الروسي سنة ١٩٠٥ انقلب صهيونياً وضّاح الجبين ، مغامراً ، وكأنه وجابوتنسكي فلقتا حبّة واحدة . فانظر ، بين ليلة وضحاها كيف انقلب من ضابط وطني في الجيش الروسي ، ولاؤه على الاقل بلسانه للقيصر ، الى صهيوني ولاؤه للتجمع والاقتحام والبروتوكولات .

وليس لدينا علم بالمرحلة التي تقع بين ١٩٠٥ - ١٩١٢ من مراحل حياته . ويلاحظ الدارس لهذا النمط من رجال الصهيونية ، ان على الغالب لكل واحد منهم مرحلة غموض ، يتوارى فيها وقد يكون هذا لأمر ما .

ثم جاء ترمبلدور فلسطين سنة ١٩١٢ بعد بن غوريون بست سنين ، واشتغل في ظاهر الحال عاملاً زراعياً ، في مستعمرة داجانيا ، تماماً كما كان يشتغل بن غوريون ، ووراء هذا العمل الانكباب على تدريب شباب الطلائع يجعلونه تحت ستار الرياضة البدنية . وكل هذا في فلسطين حتى ١٩١٤ تغطية على عيون السلطة العثمانية .

والسنوات التي انقضت لترمبلدور في فلسطين حتى ١٩١٤ قليلة كما ترى ، غير ان النشاط الصهيوني بمختلف مناحيه كان قوياً مليئاً بل مستقلاً ، وكانت تنمية الروح العسكرية اهم ما يعنون به ، وطبيعي ان يدخل في هذا التنشئة السرية على اعتناق عقيدة التجمع والاقتحام وفي هذا المجال كان يعمل ترمبلدور مستفيداً من خبرته في الجيش الروسي . ولما فتقت ريح الحرب ١٩١٤ جعل معظم رجال الصهيونية يفرّون من فلسطين سراً الى الخارج ،

وزادهم هلماً ان مفاوضات الوصول الى فلسطين عن طريق المانيا قد نسختها مفاوضاتهم مع لنـــدن ، والآن استحكمت قبضة برلين على الآستانة والطغمة التركية الطورانية. فما بقي منهم في فلسطين الا من تعين عليه القيام بالجاسوسية لمصلحة الانكليز ، ويؤكد الخبراء والنقاد ان كان للورنس صلات وثيقة مع جهاز التجسس اليهودي في فلسطين في خلال الحرب ، وقصص هذا التجسس انتشرت في العالم بعد الحرب ومن بطلاتها اكثر من فتاة يهودية ، وقد وضع بعضهم الكتب الضخمة في تمجيد هؤلاء البطلات .

وفرّ يوسف ترمبلدور الى مصر ليعمل في جهاز التجسس هناك ، ومصر وقتئذ في قبضة الانكليز. والتقى ورفيقه جابوتنسكي في الاسكندرية واتفقا على العمل معاً ، وهما يَعُدّان انفسهما رأس فكرة ، وحادي قافلة ، وهمـــا اول من وضع فكرة التطوع في فرقة يهودية الى جانب بريطانيا ، وحسابهما ان تركيا ستخرج من الحرب بالهزيمة القاضية عليها ، فتقسم املاكها غير التركية ، فتغدو فلسطين لهم على موعد لقاء بعد طول انتظار . ورأيا ان تسمى الفرقة بالفرقة اليهودية لا الصهيونية ليسهل على كل يهودي غير صهيوني الانضمام اليها ، والفت هذه الفرقة ، واتخذت شعار الحلفاء والقصد بريطانيـــا بوجه الحصر عملياً . وعملت هـــذه الفرقة التي سميت بفرقة البغّالة ، في ساحة غاليبولي سنة ١٩١٥ – ١٦ ومن تسميتها بفرقة البغّالة تعلم ضآلة شأنها .

ثم عدنا لا نـــدري تفصيلاً لايام ترمبلدور حتى نراه قد عاد الى فلسطين سنة ١٩١٩ وقد انتهت الحرب ، فأخذ هو وجابوتنسكي يعملان معاً بعقيدة واحدة ، والآن وعد بلفور ، لكن لا يزال مقمّطاً .

وفي شهر آذار (مارس) ١٩٢٠ احب حَمَلَةُ عقيدة التجمع والاقتحام ممارسة هـــذه العقيدة بالفعل وتجربتها على سبيل النموذج والمثال الصغير في حوادث مع العرب . وركبتهم الغطرسة والشكاسة على ما وصفهم به الجنرال بولز البريطاني ، وقد تقدم هذا في الكلام على موسم النبي موسى ، ولم يكن

سكان المستعمرات اليهودية في شمالي فلسطين الا كسائر بني بذرتهم في الخلق الثعلبي الارنبي . فقاموا بحركات تحرش وعدوان . ومن تلك المستعمرات جلعادي و تل حي ، فأدبها العرب . وخفّ الى هناك ترمبلدور ومعه جماعة رفاقه مصطحبين معهم بعض الفتيات المسترجلات المسلحات [١] . فصرع ترمبلدور مصرعاً فظيعاً لتوّه وساعته، فاشتدت عليه مناحات اليهود، ونحتوا من اسمه او عقيدته او تعاليمه كلمة بيتار اتخذوها شعاراً ووسموا بها قسَماً انهم آخذون بثأره من عرب وعربيات . وهنا انتهى يوسف ترمبلدور ،وقبره في تل حي جعلوه مزاراً يفدون اليه كل سنة . ولما تسلل جابوتنسكي الى داخل القدس في حوادث النبي موسى ١٩٢٠ كان يشتد حماسةً انه لا بدّ آخذ بثأر زميله الذي انطوى قبل اسابيع ، فانهزم جابوتنسكي كما رأينا .

وبعد الوقوف على هذا كله ، يوقن القارىء العربي ، ان اليهود في جميع ما اقترفوه من مذابح في فلسطين ولا سيما في ١٩٤٨ وبعدها حتى اليوم ، وفي دير ياسين خاصة ١٩٤٨ وفي كفرقاسم سنة ١٩٦٦ كانت وحشيتهم في بقر بطون النساء والتمثيل بالاجساد والتفنن في ذلك ، ذلك كله من تعاليم التجمع والاقتحام .

---

(١) ممّا استطعنا الوقوف عليه من تفصيل ، ان ترمبلدور لما توجه الى شمال فلسطين ملبيّاً مغيثاً ، اصطحب معه بضعة شباب من اتباعه وفتاتين، والفتاة اليهودية في تعاليم التجمع والاقتحام يجب عليها القتال كما يجب على الرجل ، فاذا قُتِلَت فيحسب مقتلها كمقتل الرجل .

٢٨ ـ مخطط التوسع الصهيوني

من المتوسط الى الفرات

اوردنا في حاشية الصفحة ١١٣ من هذا الجزء ، ونحن نتابع الكلام على جابوتنسكي ، اقوال ويزمن في المؤتمر الصهيوني الثانيعشر ١٩٢١ المتعلق بشرق الاردن والوطن القومي ، وجوابه لسائله في المؤتمر ان **غرب الاردن** عندما يكتظ باليهود فحينئذٍ يسهل على اليهود شق الطريق الى **شرق الاردن** ، واوردنا ايضاً ما ذكره الشيخ محمد الجسر في مذكراته (١٩٢٤) من تنبيهه الفرنسيين الى خطر الصهيونيين على اللواء الجنوبي من لبنان فلم ينتبهوا لأمرٍ ما ، ثم انتبهوا بعد سنة ، وسبب انتباههم امرٌ ما .

ونود الآن ان نستوفي الكلام على هذه النقطة الحيوية استيفاء اوسع ، بأن نورد جملة ما ذكره ويزمن في مذكراته من اقوال، ليكون القارىء البصير على بينة كافية من كل هذا – وكله تطبيق **لمخطط التجمع والاقتحام** .

وكانت نقطة البيكار عند الصهيونيين في مؤتمر الصلح في باريز سنة ١٩٢٠ ان يحرزوا مطلبين كبيرين بعد ان اخرج فيصل بن الحسين من سوريا ، وهما :

١ ـ الحصول على حدود الوطن القومي وفق ما طلبوه في مذكرتهم المقدمة الى مؤتمر الصلح في ٣ فبراير ١٩١٩ وكان فيصل بن الحسين قد اعدّ مذكرته الى مؤتمر الصلح بتاريخ ٢٩ يناير ١٩١٩ وتكلم في المؤتمر في

٦ فبراير مدافعاً عن وجهة نظره العربية [١] .

٢ – فاذا لم يحصلوا على تلك الحدود ، فعلى الاقل يحصلون على الليطاني وعلى وادي اليرموك الاسفل [٢] .

---

(١) المؤلم ونحن نكتب هذا سنة ١٩٦٦ ، ان فيصلاً في ذهابه الى مؤتمر الصلح رئيساً على الوفد الذي كان يرأسه « الوفد الحجازي » نائباً عن ابيه ملك الحجاز وهو في الوقت نفسه رأس الحكومة العربية في دمشق ، لم يبن قضيته وهي المطالبة باستقلال البلاد العربية ، على ما كان ينبغي له ان يبنيها عليه من نضال العرب مضافاً الى ذلك الاتفاقات الرسمية الخطية التي عقدت بين ابيه وممثل بريطانيا في مصر السير هنري مكماهون . فان فيصلاً ، عملاً بتعليمات ابيه ، لم يعرج على تلك الاتفاقات قط. وكان حوله كل الوقت لورانس . وهذا من الغرائب ! واما الوثائق الرسمية التي كانت بيد الحسين الى آخر الحرب ، وعليها مستنده ، وهي ما يسمى « بمراسلات الحسين ـ مكماهون » فيعتقد انها كانت مفقودة من الحسين ، وهو لم يعلن هذا في ذلك الوقت ولا في اي وقت آخر الى آخر حياته ١٩٣١ وهذه المسألة اذا كان لها من قيمة اليوم فقيمتها تاريخية علمية لا اكثر . راجع ما قلناه حول هذه النقطة في ص ١٠٦ و ١٠٩ .

(٢) « الكفاح في سبيل فلسطين » عنوان كتاب ضخم وضعه ج. هورويتز J. Herewitz سنة ١٩٥٠ وهو يهودي اميركي عُني بدراسة احوال العرب واليهود دراسة مفصلة ولا سيما منذ ١٩٣٦ فصاعداً ، اذ في نظره اخذت قضية فلسطين تتطور تطوراً مصيرياً منذ تلك السنة التي بدأ فيها العرب يناضلون على صعيد امتد الى البلاد العربية . وعُني هذا المؤلف ايضاً بالفروع والاجزاء في المسائل كما عني بالاصول والجذور . وغايتنا من ايراد ما يتعلق بالحدود وما اليها من كتابه الى القارىء العربي ، ان نقدم نموذجاً من الذهنية اليهودية من هذه الناحية . وهذا امر له خطره اليوم وغداً . يقول المناطقة في تحديداتهم: الحكم على الشيء فرع من تصوره . عالج المؤلف في القسم الاول من كتابه ما كان من امر الحدود، على غرار ما ذكر ويزمن ، وهذا ماقاله هورويتز:

« وهناك غموض آخر يتعلق بحدود فلسطين . ففي مؤتمر الصلح في باريز طلبت المنظمة اليهودية ان تكون السفوح المطلة على الليطاني والمنحدرات الغربية من جبل حرمون (الشيخ) والقسم السفلي من وادي اليرموك ، كل هذا داخلاً في الحدود الشمالية لفلسطين . لكن بسبب تصلب الفرنسيين ذهب معظم هذا الى دول المشرق. وطلب الصهيونيون ايضاً ان تكون الحدود الشرقية واصلة الى الخط الحجازي الذي يمتد من درعا الى مَعان ، اذ في هذه الانحاء رقعة واسعة من الارض الخصبة شرقي نهر الاردن . وهذه الانحاء كانت تحت يد الحكومة العربية الموقتة في دمشق برئاسة الامير فيصل ثالث ابناء شريف مكة. وبعد ان اخرج الفرنسيون فيصلاً من دمشق بالقوة في يوليو ١٩٢٠ الحق الانكليز القسم الجنوبي من تلك الاراضي بفلسطين التي تمتد حدودها الآن من المتوسط الى العراق . وبعد خمسة اشهر من ذلك التاريخ كان صك الانتداب في صيغته الاولى قد انجز ويراد تطبيق نصوصه على هذه الاراضي كلها .

←

قام ويزمن في تلك الغصون برحلة استطلاعية الى شمالي فلسطين وجنوبي لبنان فقال يصف اعتلاج ذكرياته وهو ينظر الى الارض التي يطمع في ان تكون له :

« فقمنا بتطواف واسع ننتقل من مكان الى آخر ، واجتزنا الحدود السورية الى لبنان وتوقفنا في عدة مواضع ونحن نرى المستعمرات النائية على الحدود . وكأن كل تلّة من التلال وصخرة من الصخور ، برزت تستنطقني في هذه اللحظات ، وتوحي إليّ في كل ثنية من ثنايا الطريق ، ما علينا انفاقه في هذه الارض من عمل وجهد وتخطيط ومال قبل ان تصبح صالحة ليستوطنها العدد الكبير من اليهود [١] . (ص ٣١٤ من مذكرات ويزمن)

—— وحوالي شهر اغسطوس ١٩٢١ اضيفت مادة جديدة الى الصيغة الثانية من صك الانتداب تخول الدولة المنتدبة ان تؤجل او تمسك عن تطبيق ما جاء في الصيغة الاولى (من البحر المتوسط حتى العراق) فيما يتعلق بالوطن القومي اليهودي من جهة اراضي شرق الاردن . وفي غضون المدة التي انقضت بين الصيغتين ، كان الامير (الملك) عبد الله ، اخو فيصل وهو اكبر منه ، قد وُضع في عمان وَضْعاً مؤقتاً على رأس حكومة شرق الاردن وفي شهر يونيو ١٩٢٢ اعلنت وزارة المستعمرات ان قرارها المتعلق بهذا الامر وهو استثناء شرق الاردن من مجال الوطن القومي - مع بقاء تلك البلاد تابعة لانتداب فلسطين - كان وفق الوعد الذي وعده السيرهنري مكماهون للحسين سنة ١٩١٥ . فوافق الصهيونيون على هذا موافقة رسمية ، ومع ذلك اعتبروا فصل الاردن ما هو الا تدبير موقت ، ثم حاول اليهود بعد ذلك مراراً علاج مسألة الاستيطان في الاردن » . انتهى كلام هرويتز .

والآن بوسع القارىء ان يضم هذا الجواب الى الذي اجاب به ويزمن سائله في المؤتمر الصهيوني الثاني عشر، وقد مر ذكره في ص ١١٣ .

(١) في اوائل ايام المندوب السامي الاول هربرت صموئيل ، المنعوت عند اليهود بعزرا الثاني وامير اسرائيل الاول (بعد السبي) ذهب هذا الرجل لزيارة مقام النبي شمويل (صموئيل) الذي على رأس اعلى جبل شمالي القدس، ولم تكن الزيارة لهذا المقام مسموحاً بها لليهود. غير ان المجلس الاسلامي الاعلى جامل المندوب السامي في طلبه الزيارة . فلما اقترب هربرت صموئيل من المقام وقف مطرقاً وقد استغرقته الذكريات ولما افاق قال : « ومن يدري فقد يكون هذا الراقد هنا هو جدي » !! وبين شمويل القديم وشمويل الجديد ٣٦ قرناً . ولما كانت القوات اليهودية تقاتل الجيش المصري في سيناء بعد ١٩٤٨ بقليل ، نشرت احدى المجلات الانكليزية الاسبوعية ان ضابطاً يهودياً وقف يحرّض من معه على القتال فخطب فيهم ومما قاله : « هؤلاء هم اعداؤكم الذين استعبدوكم منذ ٣٦ قرناً !! » فانظر في هذه الروح اليهودية !

٢٩ – موقف فرنسا من الوطن القومي

دي جوفنيل يعرض على ويزمن استعمار وادي الفرات

قال ويزمن في الفصل الرابع والثلاثين من مذكراته : –

« كان من الواجبات المهمة الملقاة على كاهل الرئيس(يعني نفسه) ان يحتفظ بالصلات الحسنة مع الحكومات العديدة في عصبة الامم . وأول هذه الدول فرنسا . وفرنسا ، ما عدا كونها الجار الملاصق لبريطانيا ، هي المنتدبة على سوريا . ثم هناك ايطاليا . لذلك كان معظم وقتي في باريز وروما .

في باريز اجتمعت بجميع رؤساء الوزارات من بونكاريه الى رينو ، ليون بلوم [١] الذي سجلنا له مساعدات وافية . لما كان سوكولوف [٢] يتولى مفاوضاتنا في القارة ، كان بلوم يطلعه بصورة غير رسمية على الاشياء الجارية، ثم ازداد نشاطه فيما بعد بواسطة احد زعماء المنظمة الصهيونية الفرنسية .

---

(١) ليون بلوم يهودي متشح بالاشتراكية . تريك البروتوكولات ان اليهودي لا يمكن ان تعلو على عقيدته اليهودية عقيدة اخرى ابداً . ومن لا يصدق هذا الا من كان من الغفلة، عربياً كان هذا المغفل ام غير عربي . واذا كان اليهودي « تلمودياً » فويل منه في باريز كما في تل ابيب .

(٢) سوكولوف يمين ويزمن وعضده في الحركة اليهودية. هو مؤرخ الصهيونية وكتابه « تاريخ الصهيونية من ١٦٠٠ – ١٩١٨ » في بضع مجلدات، اجمع تواريخ الصهيونية للوثائق التي يعتبرها اليهود مادة تاريخهم . واخباره مستفيضة وهو عاصر الحوادث كلها وكان معروفاً بكتاباته في البيئات اليهودية في روسيا وخارج روسيا قبل ان ظهر هرتزل في العقد الاخير من القرن الماضي وكان رئيس الوفد الصهيوني الى مؤتمر الصلح ١٩١٩ – ١٩٢٠ وهو الذي نال من فرنسا وايطاليا الموافقة على وعد بلفور وهو الذي عمل في نقض الترتيب الاول ه ١٩١ ان تكون فلسطين دولية فلما حصل اليهود على الموعد محوا الدولية كلها . وسوكولوف قابل قداسة البابا كذلك بعد اخذ وعد بلفور . وله صفوة ترجمة في كتابنا هذا .

مسيو ارستيد بريان كان يعطف علينا ، لكنه بقي على غموض من نحونا وكان يقول : **فلسطين ستصير بلاداً مدهشة**. وكان يطرب للبرتقال الذي نهديه كل سنة على عيد الميلاد، مما لم يأكل مثله في حياته ، وكان رجلاً طيب القلب، وعنده نزعات الاحرار ، ولفتت نظره النهضة اليهودية ، واما عطفه العملي علينا فلم يتعد قشور البرتقال الذي كان بين يديه ، وهو لم يستطع ان يعلم مدى قوة حركتنا في الداخل،ومعظم الفرنسيين الذين في الكاي دورساي كانوا قليلي الاكتراث ، اما لأنهم يبطنون روح المناهضة لنا ، واما احياناً من الحسد ، اذ كانوا بهذه النظرة يتطلعون الى عملنا في فلسطين . وسبق لي ان قلت ان فرنسا اعتبرت فلسطين كما اعتبرها العرب الجزء الجنوبي من القطر ، ولما وضعت فلسطين تحت انتداب بريطانيا اشمأزّوا. وهم يعدون انفسهم دائماً وجه اوروبا في شرقي المتوسط ، وحماة المسيحيين في هذه الارجاء . اللغة الانكليزية كانت في فلسطين غير معروفة تقريباً ، حتى بعد مجيء اللنبي ، وكثيراً ما ينسى هذا الأمر في بريطانيا من اننا نحن سبب وجودها بوعد بلفور . وصارت فرنسا تنظر الى نهضتنا بعين كاثوليكية ، وعدت هذا كله في فلسطين افتآتاً على تقاليدها .

«واما اكثر الفرنسيين استرعاءً للنظر فهو مسيو دي جوفنيل على ما اعتقد، فقد كان نـدّ فيلد مارشال بلومر [١] في فلسطين وكان محرر الماتان

---

(١) الفيلد مارشال بلومر هو ثاني مندوب سام على فلسطين ، وقبله هربرت صموئيل الذي انتهت مدته ١٩٢٥ وبلومر مكث ٣ سنوات وهو عسكري فعلاً وقولاً ، مظهراً ومنظراً ، من قرنه الى قدمه . جاء وثورة سوريا بقيادة سلطان الاطرش في جبل العرب على فرنسا تطلق اول هديرها . كانت بريطانيا تود في قلبها ان تُدَق اعناق الفرنسيين والسنغاليين في سوريا المجاورة لفلسطين ، لكنها كانت حريصة في الوقت نفسه على الا تقلق راحتها ولا راحة اليهود في فلسطين . ونفذ بلومر سياسة حكومته حرفاً حرفاً، واما في سياسة التهويد فقد اكتسب عطف اليهود وولاءهم . اذا وصلنا مدته بمدة هربرت صموئيل ، تكون فلسطين ، بعد ثورة النبي موسى ١٩٢٠ واضطرابات محدودة بعيد ذلك ، قد اجتازت نحو ٩ سنوات هادئة . اليهود يعملون تحميهم الحراب البريطانية ، والعرب في دور الاختمار ، حتى كانت ١٩٢٩ و « ثورة البراق ». وصادف في سنوات بلومر ان اصيبت الهجرة اليهودية بأزمة مالية قاصمة ، فلم يدخل البلاد ←

سابقاً في باريز والماتان احدى كبريات الصحف الواسعة النفوذ ، وكان خصماً للفكرة الصهيونية ولكل ما يمت اليها بسبب ، وعجزنا عن ان نحصل على سطر واحد في جريدته لوجهة نظرنا . ولما اجتمعت به لم يكن بطيئاً في الاعراب عن افكاره هذه. وهذا ما حصل في بيروت : فقد قدّمني اليه بعض الاصدقاء الفرنسيين . فاراد استغلال المناسبة ليجعل نفسه في حلٍّ من امره معنا . واما انا فقد افسحت له المجال حتى يفرغ ما في جعبته ثم قلت : لا يمكنكم ان تتكلموا عن الصهيونية وفلسطين ، اذا لم تدرسوا الاولى واذا لم تزوروا الثانية وهي على الحدود فلو فعلتم ذلك لتغيرت افكاركم .

« فوافق . وزار فلسطين يومين ضيفاً على المندوب السامي فاجتمعت به ثانية . المقارنة بينه وبين بلومر شديدة البروز في التناقض . دي جوفنيل فرنسي شجاع ، انيق المظهر . وبلومر ارستقراطي انكليزي ، جدي على طراز عهد فكتوريا. فطاف جوفنيل البلاد، ثم اجتمعت به ثالثة ، فاذا به متغير الرأي ، فذكرني امره بما حصل مثله من جهة مستر فيلكس واربورغ [١]

« جوفنيل بعد ان غيّر ما غير من افكاره، لم يكتف بأن سحب انتقاداته السابقة ، بل انّب الصهيونيين على انهم لم يأتوا ويصنعوا شيئاً في سوريا على غرار ما يصنعون في فلسطين .

← اكثر من ١٧ الفاً وكان العائدون اكثر من نصف هذا العدد وكثر عدد المتعطلين عن العمل عند اليهود حتى بلغ عددهم باعتراف ويزمن نحو ٨ آلاف عامل واشتدت المنازعات بين العمال واصحاب العمل وكذلك الاضراب والاعتداء حتى هدأت الحال ١٩٢٨ .

(١) فيلكس واربورغ من اعمدة اليهود في الولايات المتحدة . بدأ ويزمن صلته به من سنة ١٩٢٣ في اميركا ، وكان واربورغ حتى ذلك الوقت ناقداً للامور في فلسطين نقداً لاذعاً ولا يتبرع بشيء، وما زال به ويزمن يفتل منه في الذروة والغارب حتى ابتلعه. وقد وصفه ويزمن فقال انه شيء من « الامير الصالح » ، لكنه يفتح اذنيه لكل نابسة وهامسة ويصدق من حوله ، ودعاه لزيارة فلسطين هو وزوجته فزاراها ، وظل واربورغ بعد ذلك يدور في فلك ويزمن . وصار عضداً بالمال للجامعة العبرية في القدس ، ثم كان من اكبر المساهمين في شركة استثمار البحر الميت منذ ١٩٢٩ فصاعداً ، وهنا ، كل الصيد في جوف الفرا .

«فدهشت لاقتراحه واجبته بأن لدينا مجالاً واسعاً في فلسطين حيث نعمل هناك تحت شروط الانتداب ، دون حاجة المجيء الى سوريا حيث لا مكان لنا فيها . ثم ان العرب يحسبوننا طارئين عليهم ، او اننا بداية موجة توسع تشمل الشرق الاوسط كله، لكن جوفنيل اصرّ فقال ان اليهود هم الوحيدون الذين يستطيعون اعمار سوريا .

«ثم قال : طبعاً ، لا اريدكم ان تعملوا جنوبي سوريا (هكذا) اذ لا تكادون تصلون الى صور وصيدا حتى تطلبوا تعديل الحدود . لكن لديّ مشروعاً كبيراً وهو اعمار وادي الفرات . نعم ، انه بعيد مئات الاميال من فلسطين ثم ابرز خارطة فوراً واخذ يريني كيف ان الفرات يمر بمناطق صحراوية واسعة قليلة السكان من البدو .

«ثم قال بحماسة : ان آلاف الاميال المربعة يمكن ان تروى هنا فتنقلب موطناً لشعب كثيف . ثم مضى يتوسع في هذه المناحي حتى قال : ان الطيارين الفرنسيين الذين جابوا جو حوض الفرات ، وقع نظرهم على آثار القنوات القديمة التي كانت تنساب فيها المياه الى تدمر ، حيث كانت في تدمر حضارة ناضرة ثم قال : وما صنع في الزمن القديم يمكن صنعه في الزمن الحديث . ثم استرسل يتكلم ببلاغة الفرنسيين يشرح هذه الطاقة العمرانية . وعلى كل كلامه هذا اجبت جواباً واحداً : انت تعلم يا سعادة المفوض ان عندنا قضية مياهنا في فلسطين ، وعلينا ان نكتفي ونقنع بمياه الاردن . وهذه المشروعات التي تصفها لي ، مدهشة ، لكننا لا نستطيع الاستجابة لاغرائها .

«ثم تحول الى ان يقنعني قناعة تاريخية فقال : يا دكتور ويزمن، هذا الذي اقوله لك وارد في سفر نحميا : ان تدمر بناها اليهود [1] .

«ثم اثار هذا الموضوع ثانيةً لـمّا اجتمعت به مرة اخرى في باريز ، وحاول اقناع ليون بلوم بصحة آرائه ، لكن كل هذا لم يكن له عندنا اقل

(١) هذه من الاساطير ولو ذُكِرَتْ في « العهد القديم » .

وزن من الناحية العملية . انتهى كلام ويزمن .

ثم انتقـــل ويزمن بلا تراخٍ الى الكلام في مضمار آخر ، وبلا فاصل في الحديث فقال :

« وحادثٌ غريب بقي في بالي بصـــدد زيارتي لفرنسا ومحاولاتي استمالة الرأي العام الى جهتنا . وقع هذا سنة ١٩٣٣ لمـــا قام هتلر بحملته واخذت الجموع تتوجه الى فلسطـــين . تلقيت برقية من الآنسة لويز ويس (Weiss) الصحافية الفرنسية المشهورة ، الواسعة الصلة بالمقامات السياسية ، تدعوني الى إلقاء محاضرة عن الصهيونية وفلسطين في السوربون ، وأكّدت لي ان المحاضرة ستكون تحت رعاية شخصية عالية ، وسيحضرها أناس كثيرون . فترددت لسبب واحد : وجدت انه من المستحيل عليّ الا اتناول الحالة في المـــانيا ، وربما غلب عليّ عامل العاطفة ، ووقتها كان منا في منافي هتلر رهائن عديدة. فأكون قد أجرمت اذ سببت لهم زيادة عذاب . ومن ناحية اخرى وجدت ان هذه المناسبة توليني فرصة سانحة فريدة لأطلع الرأي العام على الحقيقـة ، فوازنت بين نعم ولا ، واستنصحت اصدقائي ، وبالتالي قبلت .

«اما الحضور فقد كانوا من السراوة على ما وصفت الآنسة ويس،والرئيس هو مسيو مارتن وزير ماليةسابق . وقيل لي ان من الحضور ، كما اني لاحظت ذلك ، بعض شخصيات من السفارة البريطانية ، واصدقاء من الكاي دورساي وممثلين من بيت روتشيلد ، وابن الكابتن درايفوس [١] ، ورئيس الحاخامين الفرنسيين وغيرهم .

« حاولت ان اتكلم بهدوء عن الحالة في المانيا،والمسؤولية التي رست على

---

(١) درايفوس ، هو صاحب الفضيحةالكبرى في فرنسا ، خان دولته ببيع أسرارعسكرية الى المانيا وحكم عليه بالسجن ثم النفي . تقدمت قصته عند الكلام عل هرتزل اذ كانت محاكمة درايفوس في باريس سبب انقلاب ذهني نفسي فكري في هرتزل فانتقـــل من كونه يهودياً اندماجياً الى يهودي صهيوني حتى أنشأ الحركة الصهيونية السياسية .

العالم المتمدن نحو ضحايا السياسة الالمانية ، وتكلمت عن الملجأ الذي وُجد في فلسطين ، وقد كان هذا اكثر من ملجأ إذ بالنسبة الى الصغار فكأنهم جاءوا الى وطنهم ، واختلط أبناء يهود ألمانيا بأبناء يهودفلسطين حتى صعب التمييز. ثم تناولت فلسطين فقلت انها على صغرها ففيها قابلية الاتساع بامكاناتها على قدر ما تقضي به الحاجة .

والحضور ، أحسنوا الاصغاء إلي ، وكان هذا واضحاً . ولما انتهيت دهشتُ اذ سمعت الرئيس يقول ان عليّ ان اعيد إلقاء هذه المحاضرة في هذا المكان نفسه في اليوم التالي ، اذ هناك فريق من الناس لا شك يودون سماعها ثانية ، وينبغي اعطاء الفرصة الى من لم يتسع لهم المكان في الليلة الاولى بسبب الازدحام . وقال الرئيس انه متأكد ان مسيو هاريو يسرّه ان يكون مترئساً الاجتماع . فما وسعني إلا القبول . فألقيت المحاضرة للمرة الثانية ، والجمهور أشد ازدحاماً ، لكن الرئيس لم يكن هريو ، إذ تخلف عن الحضور فكانت الحفلة بلا رئيس فافتتحت الاجتماع الآنسة ويس ؛ وبينما أنا في وسط المحاضرة وصل هريو بغتة ، ودون ان يبدي اي انتباه لي إذ لما دخل توقفت عن الكلام ، ولعله لم يقع نظره عليّ ، وصعد المنبر وأخذ يلقي محاضرة بصوت جهوري لمدة عشرين دقيقة دون توقف، متناولاً مسائل لا علاقة لها بالصهيونية وفلسطين واليهود ؛ وانما راح يتباهى بامجاد فرنسا وتألّقها الحضاري لكنه لم يذهب الى اكثر من هذا على الصعيد المجمل . وانتهى كما بدأ فجأة . ودهش الحضور من هذا الفصل الروائي المضحك ؛ ثم صعدت الآنسة ويس المنبر وطلبت مني بهدوء استئناف محاضرتي؛ ولم اجتمع بهريو بعد هذا ، واني واثق انه لم يكن يعلم شيئاً عن طبيعة الاجتماع .

٣٠ - ويزمن يعرض فلسطين

قاعدة حربية ١٩٣٨

في سنة ١٩٣٨ - ١٩٣٩ وغيوم الحرب العالمية الثـــانية اخذت تبدو في الافق،وبريطانيا انغمست في دراسة المواقع الاستراتيجية في الشرق الاوسط، تغير منها ما تغير وتبدل ما تبدل ، وتبتعد من هنا وتقترب من هنـــاك ، لاقامة اسس الدفاع الامبراطوري على خير وضع ، ارسل ويزمن الى سيرجون شكبره Shakburgh الوزير البريطاني الرسالة التالية :

« اسمحوا لي ان اقول كلمة موجزةتتعلق بالمسألة الستراتيجية ولهذه المسألة اليوم شأنها في مساق المحادثات الجارية ولها الصدارة . ويكون من الغرور من رجل عادي مثلي ، ان يبدي ايّ رأي في القيم الستراتيجية النسبية بين حيفا وقبرص ، غير ان هنـاك بعض الحقائق المحسوسة التي لا يصعب على كيماوي بسيط مثلي ان يفهمهـا . فان خطوط انابيب البترول ، والمطارات ، وجبل الـكرمل ، كل هذا لا يمكن نقله الى قبرص ، ولا سكك الحديد الواصلة الى مصر ، ولا المواصلات مع قناة السويس ، ولا الممر الكوريدور الى بغداد . هذا ولا مزيد » . انتهى . (مذكرات ويزمن ص ٤٨٧)

٣١ - اوسيشكين

مناحيم مندل اوسيشكين ، اليهودي الروسي المقارن لويزمن في القافلة الصهيونية ، ولد ١٨٦٣ ومات ١٩٤١ في فلسطين ، وهو من ألبْس العاملين في الصهيونية لجلد الذئب . معاصر لهرتزل ، وهذا يكبره بثلاث سنين في المولد ، وعمل مع هرتزل ، وتمسك بخططه ، وقال خائنٌ للصهيونية مَنْ يرضى عن فلسطين بديلاً . يعرفه ويزمن من ايام الشباب ، واوسيشكين اكبر منه باحدى عشرة سنة . بعد الحرب جاء فلسطين وكان رئيس اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية نحو سنتين ، ثم انتخب رئيساً « للكيرين كايمت » وهذه المؤسسة هي الموكول اليها شراء الارض ، كما ان « كيرين هايسود » هي الموجلة في جمع المال . واما « البيكا » فهي المختصة بمستعمرات بيت روتشيلد . وهذه الاسماء يعرفها عرب فلسطين معرفة تامة . واوسيشكين جزء دائم من المؤتمرات الصهيونية التي تعقد كل سنتين مرة . ولميله الى الاتراك كان يقال له حتى بين بني قومه « مناحيم باشا » . واما رونالد ستورس حاكم القدس البريطاني من ١٩١٨ - ١٩٢٦ فقال اما عندنا فنقول له « القيصر مناحيم » .

قال فيه ويزمن في مذكراته : « أوسيشكين قام في روسيا بعبء الصهيونية العملية ، كما قام احد ها عام بالرسالة الفكرية الروحية . شخصيته نافذة . بليغ الكلام ، واضح الآراء ، منطقي البرهان ، عملي الطرائق والاساليب . له قدرة عجيبة على مباشرة الامور وطاقة كبيرة على التنفيذ واجتياز الظروف الحرجة ، ومن جملة تلك الظروف ان العمل للحركة الصهيونية في روسيا كان ممنوعاً . فانشأ خليّة عاملة سرّية في كل مركز مهم في المنطقة ، يجتذب اليه من يتوسم فيهم حسن الاستجابة ويبث فيهم القوة والامل . وكان

مثالاً نموذجياً من روح عشاق صهيون ، وكان من المعاونين لاحد ها عام في التدريب الذي يضطلع به نادي بني موسى ، ومع وقوفه على المآخذ التي أخذت على هرتزل في حركته ، فقد بقي اوسيشكين حافظاً له الولاء ، يعدّه نقطة البيكار وعماد الحركة . وظل اوسيشكين على هذا الولاء حتى برز هرتزل بمشروع يوغندا ، عندئذ خلع اوسيشكين رابطة الولاء علناً ، وشنّ ثورة جامحة على القيادة .

ثم قال ويزمن : « كان اوسيشكين رجلاً بعيد الهمة ، عنيداً لا يتراجع ، صريح المذاق حتى يجرح ، وفيه عرق من الاوتوقراطية ، ولهذا كان لا يطيق نزوات الشباب . وكان لنا ندوتان في الغرب للفكرة الصهيونية ، واحدة في برلين يرعاها موتزكين ، والاخرى في جنيف ارعاها انا ، فكان يصف اوسيشكين هاتين الندوتـــين بأنهما للجعجعة ولا طحن منهما . وهو بالفطرة محافظ ، وقد اختلف مع هرتزل حول موضوع المناورات الدبلوماسية الفخمة العالية ، مؤثراً عليها المساومة والمماكسة مع الاتراك تواً . وهو في هيأتـــه يعطي صورة مزيج من باشا تركي ووال روسي . وكل اخطائه يمحوها بذله وتضحيته في سبيل الصهيونية . ما كان يهمه شيء آخر في العالم الا الصهيونية... ضخم الرأس مدوّره ، حتى يكاد يستطيع ان ينطح به الجدار... وحياته تجري وفق التقاليد اليهودية . وكان في اموره الدنيوية ميسوراً ، وهذا ما زاد في طاقته على التضحية . وكان بيته بيت العائلة اليهودية القديمة الجذور . وكان يحب الفكاهة . فاذا ما كانت زوجته حامـــلاً ، قرع الطاولة بجدّ وعُنْف وقال لها : صبي !! ايـّاك غير صبي !! لكنه من هذه الناحية لم ينـــل الا نصف ما اراد ، فقد ولدت زوجته صبياً وبنتاً لا غير .

« وسرت معه سيراً حسناً ، محترماً لمساوئه احتراماً لا يقل عن احترامي لفضائله . وكانت انانيته متسلطة ، تجعل الناس يعتقدون ان تلبيته واجبة » .

ومضى ويزمن في الكلام فقـــال : « وأول ما اخذت صلتي به تشتدّ عُرَاها ، كان في الحرب العالمية الاولى لما جاء هو الى بريطانيا . وكان يجتاز

مآزق . فلما اكره على الخروج لجأ الى استنبول ، ثم راح يحور ويدور حتى وصل لندن في سنة ١٩١٨ ، ولما شبت الثورة في روسيا استطاع ان يخرج معه بعض ماله . ولما وصل لندن ، كان وعد بلفور قد صدر وجاء يحمل اعتقاداً ان تأليف حكومة يهودية في فلسطين على وشك ان يتم . وكان في جيبه قائمة بأسماء الوزراء وهيئة هذه الحكومة . ولما بينت له اننا لا نزال بعيدين من هذا كثيراً اخذه الارتماض الشديد .

« وعلى غزارة مداركه واتساع طاقته العملية ، فقد كانت تشوبه احياناً موجات من السذاجة غير المؤتلفة مع امره . ولما حلّتْ به الخيبة اذ رأى اننا لا نستطيع حتى الآن تأليف حكومة يهودية في فلسطين ، زاد على ذلك استغرابه ان الحلفاء لم يربحوا الحرب بعد . وكانت قناعته من قبل ان المانيا ظافرة ، ذاهباً الى هذا من شدة اكباره للعقل الالماني والعظائم الالمانية ، والمانيا في نظره ذخيرة الحضارة الغربية. ولما جاء لندن لم يكن بعد قد طاف خارج حدود بلاده شيئاً . وهو في الايام السابقة ، قبل الحرب الاولى ، والثورة الروسية ، كان يعيش في اودسا ، ومن اودسا كان يدير الحركة كلها في تلك الانحاء . وهو من خلال البحر الاسود كان يتطلع الى فلسطين وهي وقتئذٍ تحت البربرية التركية ، وهو كان يعتقد انه اذا اتى اليها فسيأتيها على مرتبة الاوروبي ومستوى الغربي ، لكن لما أخذت بريطانيا فلسطين ، وَجَد نفسه انه هو الذي وُضِع على المستوى البربري . ولما حلّ بلندن استغرب اساليبها وعاداتها . وكان اذا ما خاض في حديث المستقبل والافق المقبل ، قال بكل براءة « اسمع ثم اسمع ! انت تبقى في اوروبا لامورنا هنا ، وانا اتولى امورنا في فلسطين » . وكنت اجد حرجاً من هذا غير اني كنت اتجاوز عن تطوحاته ، فهي مغتفرة لشدة انكبابه على القضية» . الى هنا انتهى كلام ويزمن ، وقد آثرنا نقل هذا القدر منه لننتقل الى ناحية اخرى في ايراد صورة اوسيشكين .

* * *

بعد موت هرتزل ١٩٠٤ انقسم الصهيونيون قسمين ، لا من جهة ما يتعلق

بالقبول او عدم القبول للعرض الذي عرضته بريطانيا عليهم ، وهو ان يستعمروا يوغندا في شرق افريقيا ، فهــذا الامر كان مفروغاً منه في آخر مؤتمر عقد زمن هرتزل سنة ١٩٠٣ لبحث الموضوع، فقام الصهيونيون الروس، وعلى رأسهم ويزمن واوسيشكين وسوكولوف (ستأتي ترجمته بعد اوسيشكين) وغيرهم ومن ورائهــم احد ها عام ، ورفضوا المشروع جملةً وتفصيلاً ، واحرجوا موقف هرتزل كثيراً ، ولم ينس القارىء ان في اثناء المؤتمر ، وقد ساد الهرج واشتدت الضوضــاء ، تقدمت سيدة مس هرتزل وهو نازل من على المنبر وقالت له يا خائن ! وهذا ما رواه ويزمن بنفسه . ولما اشتدت البأسا بهرتزل من جراء هذا ، كاد ينهار فيستقيل من الحركة ، لولا ان استقالته ، على ما قــال هو في مذكراته ، كانت ستؤدي الى انشقاق اوسع وادهى . لكنه ماشى الفريق الذي رفض يوغندا وتعلق بفلسطين قطعاً ، وهو ما كان ليقول غير هذا قبل عرض يوغندا ، وانما اعتبر قبول الفكرة باستعمار يوغندا مرحلة تمهيديــة للوصول الى فلسطين ، شيئاً فشيئاً ، بحيث تبقى البلاد هناك لليهود حتى ولو استطاعوا الحلول بفلسطين فــيما بعد . فهو ابعد مرمى ، وأشرَه . وهو منــذ اخذ يتصل بعبد الحميد السلطان العثماني منذ ١٨٩٧ ويغرقه بالمغريات الفاتنة ، جعل انصبابه المحكم على فلسطين . وكان يقول لهم في المؤتمر ، قضية قبولنـــا يوغندا قضية مبيت ليلة على الطريق، وكتب في مذكراته حول هذه النقطة يقول :

« اني واثــق ان الانشقاق الكاسح اخذ يدب في الحركة ، وهذا الانشقاق يخترقني شخصياً اختراقاً تاماً . واني ، وان كنت من قبل مجرد طالب دولة يهودية في ايّ رقعة كانت ، غير اني اليوم ، وقد وقع ما وقع ، لن ارفع الا راية صهيون ، واعدّ نفسي من عشاق صهيون . وفلسطين هي البلد الوحيد الذي يستطيع شعبنا ان يجد فيه الراحة والأمان . وعندنا الآن مئات والوف من ابنائنا يحتاجون المساعدة والانقاذ . ولكي ادفع المحذور فليس لدفعه سوى وسيلة واحدة : ان استقيل » وكان هرتزل من قبل هـــذا الوقت يشكو من

ضعف في قلبه ، وبعد تسعة اشهر من ارفضاض المؤتمرات في ٣ يونيو ١٩٠٤ وقال فريق من شيعته ان ما عجل عليه، الصدمة العنيفة التي لقيها في المؤتمر[١].

هذا هو الموقف الراهن وقت فـقـدت الحركة الصهيونية زعيمها الاول ، ولم يستقل هرتزل وقتها اذ كان موته نهاية الرواية من جهته لكن بعد موته تغلب الفريق الصهيوني الروسي على مقود الحركة ، ومسك بجميع اعنتها ، ونقض اساليب هرتزل نقضاً ، بهــدوء ومكر واتقان حيلة . فان اساليب هرتزل كانت هي التي اشار اليها ويزمن على لسان اوسيشكين ، **المناورات الدبلوماسية الفخمة العالية** ، يتردد بها بقامته الفارعة ، وبذلته السوداء ، ولحيته التي يزين بها طلعته ، على المـــلوك والامراء والرؤساء في العالم ، على اعلى مستوى في الابهة والازدهاء ، نعم كان نشاطه مغلفاً بالسرية والكتمان ، غـير ان تخفية هذا النشاط عن اعين الناس ما كان الا في مصلحته وفق ما يريد ويؤثر .

وجاءت اساليب جديدة بعد موت هرتزل، يمكننا ايجازها في هذا الاطار:

اولاً : ان يكون للحركة صورتان : خارجية ، متلونة ، لا تصطبغ الا بالصبغة التي تماشي الحوادث العالمية ، ولا تقف مواقف مثيرة للشك والارتياب. وصورة داخلية هي المعول عليها وليس عنهـــا محيد وفي سبيلها يجب تذليل جميع الصعاب ، للوصول الى فلسطين .

ثانياً : فالصورة الداخلية هي المبنية على فلسفة احدها عام او **التجمع والاقتحام** ، وهرتزل نفسه لم يكن الا من هــذه الفلسفة [٢] ، والفرق بينه

---

(١) على كل ، ان الذين كانوا يقولون بدولة يهودية في اي مكان، تميزوا بعد موت هرتزل بزعامة اسرائيل زنكويل ، الكاتب اليهودي الانكليزي المشهور ، وهم فئة قليلة ، وجعلوا يوالون البحث عن ارض غير يوغندا ، ويقال انهم هم الذين حاولوا استعمار طرابلس وبرقة (ليبيا اليوم) ففشلوا . وبقوا على خطتهم حتى كانت سنة ١٩١٧ وجاء وعد بلفور . وانقسام هذه الفئة بهذا الحيز ليس انقساماً وانما الانقسام المصنوع هو الذي نتكلم عنه في مساق الكلام هنا. وليلاحظ القارىء هذا .

(٢) لا ننسى ان هرتزل لما كان يفاوض لورد كرومر في مصر حول وادي العريش او سيناء قال له ، انه هو نفسه : لو جارى هوى نفسه ، لمال الى اخذ فلسطين بالفتح واراقة الدماء ،وقد مرّ هذا في ص ٥٧ فراجعه .

وبين من اتى بعده من زعماء الحركة في روسيا ، انه هو كان يقول بالمراحل هذا من جهة ، ويقول ان التسلح بموافقة دولية على المشروع ضروري الحصول عليه ليُتخذ منه مجنّ لوقاية الحركة ، هذا من جهة اخرى . فجاء الاسلوب الجديد الآن ، وجعل تطبيق فكرة التجمع والاقتحام مبنية على العمل في فلسطين بالتسلل المحكم تحت ستار العاطفة الدينية ، وشراء الأرض، وتكثير سواد اليهود ، وتدريب شبابهم عسكرياً تحت ستار النشاط المدرسي الرياضي . اي ليس تطبيق الفكرة موقوفاً على فرمان سلطاني من عبد الحميد ، كما كان يبتغي هرتزل، او من رجال تركيا الفتاة الذين تسلموا الدولة العثمانية بمداعلان الدستور ١٩٠٨ ، او موافقة دولية كما طلب هرتزل .

ثالثاً : وعلى هذا ، بقيت الصور الخارجية تعمل لخدمة الصور الداخلية ، وهنا نقطتان مهمتان ، وهما : اولاً ، ان يستفاد من حركة طلب الحرية والاصلاح والحكم الدستوري في المملكة العثمانية بالاندساس في صفوف الحركة واستغلالها من اجل الوصول في النهاية الى فلسطين . وهذا يقتضي ان يكون العمل في استنبول على رأس النبع . فجعل عشرات من العملاء الصهيونيين ، يقيمون في عاصمة المملكة العثمانية تحت أغطية مختلفة فان بن غوريون، مثلاً، هو أحد هؤلاء . فقد جاء استنبول ودرس الحقوق في جامعاتها وسنة ١٩٠٦ انتقل الى فلسطين . والنقطة الثانية ، هي ان زعماء الحركة الروس ، ايقنوا ان المانيا لن تكون مؤازرة لهم وعلى رأسها الامبراطور غليوم ، الطامح ان ينشىء مستعمرة لا نظير لها في قلب المملكة العثمانية ، بواسطة مشروع سكة حديد «برلين- بغداد » ، اذ امتياز هذا المشروع الضخم يخوّل الشركة الالمانية ان تستثمر لمصلحتها مساحة من الارض من على جانبي الخط عرضها عشرون كيلومتراً ، فالوساطة التي قام بها الامبراطور غليوم لدى عبد الحميد سنة ١٨٩٨ لم تؤد الى الفشل وكفى ، بل رأى غليوم ان صديقه عبد الحميد يخاف من اليهود ان يبطشوا به غداة تصبح لهم السيطرة على فلسطين ، فاذا الحّ عليه اهتز مشروع سكة حديد برلين- بغداد . فصمم زعماء الحركة الصهيونية على الاعتماد على بريطانيا ، اذ لا رجاء لهم في برلين .

لكن لا بد من لعبة ، والصورة الخارجية يراد بهـا ، كما قلنا ، ان تكون خادمة للصورة الداخلية، والآن يراد تطبيق فكرة التجمع والاقتحام فكيف ينبغي ان تكون الحيلة ؟ اصطنع قـادة الحركة انشقاقا بينهم فيقول فريق بالتسلل الى فلسطين توآ ، والتسلل مظهر خارجي ليغطي المقاصد ، وبالتسلل تمتلك الارض خطوة خطوة . والنشاط الصهيوني الذي استمر الى ١٩١٤ كان على هذه الصورة ، اي هو مراحـل التجمع والاقتحام تحت ستار التسلل . ويقول فريق آخر بوجوب الاتفاق مع الدولة العثمانية . وهذا الفريق وان بدا في ظاهره انه لا يختلف عن هرتزل ، غير انه هنا يراد بـه التمويه ، والخداع .

وعرف الفريق الاول باتباع السياسة العملية وعرف الفريق الآخر باتباع النظرية السياسية وبقي هذا الى سنة ١٩١٤ [١] .

وعلى هذا يكون المخطط الصهيوني قد انحصر بعد موت هرتزل بالتسلل وهو بقوة عنيفة ، بالمال ، والعمل في الارض ، وإنشاء المستعمرات ، وتكثير سواد اليهود الشباب المدربين ، وبالتوغل في داخل الاجهزة للدولة العثمانية . ولذلك لا نستغرب ان في سنة ١٩١٣ استطاع اليهود ان يحصلوا على اربع حقائب وزارية من أصل ١٣ حقيبة ، ومجمـوع اليهود في الدولة العثمانية لا يؤلفون إلا اقلية ضئيلة ، والعرب وهم أكثر من نصف المملكة بعدد السكان ، وأضعاف الأناضول بالأراضي والمساحة ، لم يكن لهم شيء ، وقـد تقدم ذكر هذا .

ونعطي الآن مثالين صريحين على عمل الصورة الخارجية وعمل الصورة الداخلية . اما الخارجية ، ويراد بها التمويه ، فقد عقد المؤتمر الصهيوني سنة ١٩١١ في بازل ، وكان النواب العرب في البرلمان العثماني يعـلون الصيحات

---

(١) هذا هو الانقسام الذي تظاهر به قادة الصهيونية بعد موت هرتزل، اما زنكويل الساعي وراء اختيار قطعة ارض تناسبه ،في الارجنتين، او ليبيا، او انكولا في غرب افريقيا فلا يدخل في هذا كله .

احتجاجاً على النشاط الصهيوني في فلسطين وخطره ، وكانت الحركة العربية قد اشتدت وزادت من قوتهـــا ، بعد هزيمة الدولة في طرابلس وبرقة بعد قليل ، وفي البلقان ومكدونيا . وكان المطلوب الآن عند القادة الصهيونيين ان يتظاهروا علناً بما يخفف من نقمة العرب . فقال رئيس المؤتمر الصهيوني في اغسطس ١٩١١ :

« ان الذين يجرأون على اتهامنـــا باننا في صدد انشاء مملكة يهودية لا يفعلون هـــذا الا من جهل وغباوة او من حقد وضغينة . وهم يخلطون بين الصهيونية والنزعات اليهودية الدينية المتعلقة بفلسطين خلطاً مؤذياً . فان محبتنا لفلسطين ، وهي محبة لا حدّ لها ، تابعة لا ريب من العقيدة الدينية ، لكن لم يخطر لنا في بال يوماً ما ، نحن الصهيونيين العمليين العصريين ، ان نستغل النزعات الدينية لخدمة حركتنا ، ولا ان نقترف هذا العمل السيء بالتلاعب بالشعور الديني الذي يحمله ملايين عديدة منا . فاننا بكل وضوح قد بيّنا رغباتنا واعربنا عن آمالنا في برنامجنا . فغاية الصهيونية هي ايجاد وطن آمن للشعب اليهودي في فلسطين ، على ان يعترف بهذا الوطن فيحميه القانون . ولا نريد دولة يهودية ، بل نريد وطنـــاً في ارض آبائنا الاولين ، حيث نستطيع ان نعيش حياة يهودية بمأمن من الاضطهاد ». فصفّق المؤتمر بالموافقة . وهذا الوصف للوطن الروحي هو تقريباً ما طلبه هرتزل في المؤتمر الصهيوني الأول ١٨٩٧ والحيلة هنا هي استخدام هـــذا الغموض في التحديد للوطن اليهودي . وبقي القادة الصهيونيون يصرحون بمثل هذا بكل مناسبة . ومثل هذا هو ما قاله هوغارت للحسين أوائل ١٩١٨ . (راجع ص ١٠٧ — ١٠٩)

والمثال الثاني هو اوسيشكين . ولا نستغربنّ التناقض الهائل بينه وبين رئيس المؤتمر الصهيوني سنة ١٩١١ ، والممعان الصهيوني في ابّانه ، والعالم كله وقتئذ يسير بخطى واسعه إلى الامـــام ، والمانيا مشمرة على ساعديها لمزاحمة بريطانيا في ما وراء البحار ، والمملكة العثمانية تهتز وتتلوى . فقد وضـــع اوسيشكين بعد سنتين وثلاثة اشهر ، في نوفمبر ١٩١٣ ، وقد حلت النكبات

بتركيا وصار حديث اقتسامها نهائياً شاغــلا بال الدول الكبرى الطامعة (بريطانيا والمانيا وروسيا والنمسا وفرنسا وايطاليا) كتاباً صغيراً ، سماه البروغرام الصهيوني السياسي ولم يقصد بهذا الكتاب توزيعه على العالم ، بل على حملة عقيدة التجمع والاقتحام، واحد ها عام سنتئذ في السابعة والخمسين، ونادي بني موسى مُجِدٌ في التخريج،وعلمنا ان اوسيشكين يساعد احد ها عام في هذه الحركة ، مع توليه النشاط الصهيوني الخفي لا في اودسا واوكرانيا بل في معظم جنوبي روسيا .

وفي هــذا الكتيب بسط اوسيشكين ما هي الصهيونية على عقيدته ، مكشوف الجبين ، غير مستتر ، ولماذا يستتر هنا وهو يكتب لحملة الفكرة . غير ان جريدة فلسطين [1] العربية في يافا استطاعت ان تحصل على نسخة من هذا الكتاب ونقلته الى العربية ، ونشرته تباعــاً ، وهو مؤلف من فصول موجزة . ونحن لم نطلع على ما نشرته فلسطين من كتاب اوسيشكين ومــا استطعنــا الاطلاع عليه هو خمسة الفصول الاولى منه نشرتها مجلة المنار الاسلامي في القاهرة في عددها المؤرخ في اغسطوس ١٩١٤ ، منقولة من جريدة فلسطين.

ونكتفي هنا بايراد عبارات وبعض فقرات من اقوال اوسيشكين مأخوذة من مواضع مختلفة : —

١) « ان المساعي التي بذلها الشعب الاسرائيلي للخلاص من منفاه ... قد تحولت منذ ٢٥ سنة من حالة التفكير والسكون الى حالة الحركة والعمل ، وذلك لاعادة حياته السياسية الحرة في بلاد اجداده » (الفصل الاول)

---

(١) كان عيسى العيسى صاحب«فلسطين» في يافا ونجيب نصّار صاحب «الكرمل» في حيفا، من أشد المناضلين العرب في مكافحة الصهيونية والكشف عن مخططها وايقــاظ العرب ليفتحوا عيونهم على الخطر الزاحف علىفلسطين ثم على ما هو ابعد من فلسطــين ، عن طريق فلسطين . وكان العلامة روحي الخالدي النائب في البرلمان العثماني ابعد النواب العرب صوتاً في التحــذير والتنبيه . كان هذا قبل الحرب العالمية الاولى . وقد المعنا الى هذه الناحية في حاشية صفحة(٩٢)

٢) « اما حالة البلاد او الارض التي تريد الامة ان تستقل بها استقلالاً سياسياً ، فيجب ان تكون ملكاً لها بالفعل ، من الوجهتين الاقتصادية والعقلية ، اعني ان تكون جميع قوى تلك الارض الحيوية في يد شعبها ، وان كانت الارض نفسها تحت سيادة غيره سيادةً اسمية ، وان يكون للشعب بها علاقة روحية ، وتكون تربتها مشبعة من دمه وعرق جبينه ، وإلا كانت غير صالحة للاستقلال » (الفصل الاول)

قلت : المراد بالسيادة الاسمية هنا ، سيادة عرب فلسطين اهل البلاد .

٣) « لنتصور الآن ان الظروف الخارجية كانت موافقةً لرغباتنا ، ونريد ان نجدّد تاريخنا وحياتنا الاستقلالية في فلسطين ، ووافقت الحكومات والشعوب جميعها على رغبتنا هذه ، ولم يكن هناك مانع خارجي في سبيلنا ، ولكن شعبنا كان من جهته قليل الثقة بقواه الخاصة ، وقليل الاستعداد لبلوغ الغاية التي نرمي اليها ، فلا جمعيات منظمة لديه ، ولا اموال عامة تساعده على اغتنام الفرص المهمة واستخدامها ، فماذا تكون النتيجة ؟ فالفرصة التي سنحت تفوت ، وربما لا تعود في عدة قرون . ومثل هذه الفرص عرضت مرتين لليهود عندما طردوا من اسبانيا في ايام الدوق يوسف امير نكسوس فلم يستخدموها[٢] » . (الفصل الثاني)

---

(٢) هذا المسمى هنا الدوق جوزيف نكسوس ، ونكسوس احدى جزر بحر إيجه ، انما يذكر بهذا الاسم واللقب في بعض كتب التاريخ الاوروبي العام . ومن عادة اليهود ان يغيروا أسماءهم ويحرفوها لكي يخفوا ما يريدون من امورهم وحقائقهم ، تبعاً للاحوال والبيئات في كل بلد يسعون فيه الى غاياتهم ، وغاياتهم مستترة ترتدي في الظاهر قناعاً ، يحجب العيون عن رؤيتها على حقيقتها. وهذا الامر من تغيير الاسماء او على الاقل التحريف كثير في تاريخهم من وقت سبي بابل.

وهذا اليهودي الكبير الذي يذكره اوسشكين ان على يديه لاحت الفرصة لليهود ليعودوا الى فلسطين بعد طردهم وخروجهم «من اسبانيا» ، ويورد اسمه «الدوق جوزيف نكسوس» ، فلم تغتنم الفرصة ولم تتحقق ، امره غريب . «فالدوق» لقب من القاب الشرف عند الانكليز منزلته بعد منزلة امراء البيت المالك ، وفي الممالك الاوروبية الاخرى يكون من رتبة الامراء ايضاً ، ونكسوس اسم احدى الجزر في بحر ايجه .

وفي كتب اليهود في العربية هو: الرئيس يوسف ناسي. او الرئيس يوسف ناسي دوق نكسوس ، ←

٤) « ان سبب قلة نجـــاح الحركة الصهيونية في الخمس والعشرين سنة الاخيرة ، يرجع معظمه الى النقص في العمل . فجمعية عشاق صهيون لم تهتم في غير الارض ، ولم تفكر في اعداد الشعب وانماء مداركه العقلية ، ولا في انشاء رؤوس اموال عمومية ، ولم تعرف ان تحول هذه الحركة الى حركة رسمية سياسية ... بل اكتفت بان تظهر مظهر المحسن بانشاء بضع مستعمرات تعيش من مال الاحسان . لذلك انتهت المدة الاولى من تاريخ الصهيونية بأزمة سنة ١٨٩١ » (من الفصل الثالث)

قلت : بوسع القارىء ان يلاحظ ما هو مراد اوسيشكين من هذا. فمراده ان مجرد انشاء مستعمرات على الاحسان، كمستعمرات بيت روتشيلدفي فلسطين زمن عشاق صهيون ، ومستعمرات الثري اليهودي النمساوي البارون هرش في

ـــ كما في كتاب « رحلة بنيامين» لعزرا الحداد اليهودي من بغداد (طبع سنة ١٩٤٥). «وموسوعة تاريخ العالم» لوليم لنجر تذكره باسم « دون يوسف ناسي » . و«دون» هذه في الاسبانية اليوم مثل .Sir او .Mr في الانكليزية او .M مسيو في الفرنسية ، ولا بد ان يكون ليوسف هذا اسم ولقب في تاريخ الدولة العثمانية للقرن السادس عشر اذ الدور الذي اشتهر به هو الذي مثّله في البلاط العثماني ، لكن لا اطلاع لنا على التركية .

واصل هذا الاسم هو « يوسف مَنْـدَه» ، واسم منده كان يعرف في الاندلس واسبانيا لغير اليهود ، ويوسف واسرته خرجوا من اسبانيا وقت الطرد وتقلبوا في بلاد اوروبية عديدة ، من بلاط الى بلاط ، حتى استقروا في البلاط العثماني في قصة فريدة الوقائع والوجوه .

وكلمة «ناسي» هي عند اليهود وفي تاريخهم ، لقب رفيـع ، ليس عندهم ما هو ارفع منه، يلقب به كبراؤهم في المجامع او علم الشريعة الموسوية او الوجاهة الواسعة . وكان احد رئيسي مجلس السَنْهَدْرِن الأعلى يلقب «بالناسي» .

ويظهر بعد خروج يوسف وقومـه من اسبانيا ، وهم من رؤوس اليهود ، اخـــذوا بتغيير اسمائهم حتى انها لتبدو وبألفاظها الحالية كأنها اوربية انكليزية ، كما ترى ، وما هي في الحقيقة كـذلك .

والدور الذي مثله يوسف منده في البلاط العثماني في القـرن السادس عشر ، بين السلطانين سليم وسليمان ، في محاولته نقل اليهود المطرودين من اسبانيا والبرتغال الى انحاء طبرية وصفد دور عجيب ، شأن ما يصنعه «حكماء صهيون» لقومهم في كل عصر . ولذلك وضعنا له ترجمة وافية اثبتناها في المجلد الثاني من هذا الكتاب . وانما رأينا من المفيد الاتيان بهذه الخلاصة الوجيزة هنا لنبين للقارىء من هو « الدوق جوزيف نكسـوس» ، على ما ذكره اوسيشكين في كلامه هنا .

الارجنتين ، لا يفضي الى انشاء قوة سياسية . وانشاء القوة السياسية تقتضي تطبيق عقيدة احد ها عام : التجمع والاقتحام .

٥) « ان جميع الصهيونيين الحقيقيين اصحاب الوجدان ومفكري الأمة، رأوا في بروغرام مؤتمر بازل الاول ادغام البروغرومات السابقةباخرى جديدة حوت صفوة ما تقرر ، وخلاصة رغبات الامة ، ولا سيا في تصريحه جليا على مسمع منالعالم اجمع باننا نناضل لانشاء حكومة يهودية في فلسطين ولا بد لنا لكي نصل الى هذه الغاية من اربعة امور .

١ – امتلاك فلسطين اقتصادياً وادبياً .

٢ – تنظيم قوى الشعب اليهودي وانشاء رؤوس اموال عامة له .

٣ – انماء الشعور القومي اليهودي في الشعب واذكاؤه .

٤ – السعي بكل طرق السياسة لجعل جميع الظروف الخارجية موافقة لنا (من الفصل الثالث) قلت : هــذا ما يقوله اوسيشكين الى حَمَلة العقيدة العدوانية من قومه . اما هذه المقررات الاربعة التي ذكرها هو هنا ، فقد نشرت على العالم سنة ١٨٩٧ بهــذه الصورة حرفاً حرفاً ، والناشر هو المؤتمر نفسه : –

« ان غرض الصهيونية هو انشاء وطن للشعب اليهودي في فلسطين يحميه القانون . ويعتقد المؤتمر ان هذه الغاية تدرك بالوسائل التالية :

١ – استعمار فلسطين على يد العامــل اليهودي زراعياً وصناعياً وعلى اساليب مناسبة .

٢ – تنظيم الشعب اليهودي كله وربطه بواسطة منظمات مناسبة محليــة ودولية ، وفق قوانين كل بلاد .

٣ – تقوية الوعي القومي اليهودي وتنميته .

٥ – اتخاذ الخطوات التمهيدية للحصول على موافقة الحكومة حيث يبدو هذا ضروريا لتحقيق الغاية الصهيونية » .

وبالمقابلة بين ما كتبه اسيشكين وما نشره المؤتمر ، يتضح مقدار التلاعب بصياغه الكلام ، مع تقارب المعاني بعضها من بعض .

٦) « ان النقطة الاساسية في بروغرام مؤتمر بازل هي انشاء وطن سياسي حرّ مستقل للشعب الاسرائيلي في فلسطين ، ويفهم من هذا بوضوح ان الغاية الوحيدة من الحركة الصهيونية هي انشاء دولة سياسية حرة مستقلة لليهود في فلسطين ، لا ايجاد ملجأ او مركز روحي لهم ، وقد ذكرتُ فلسطين ولم اذكر غيرها ، لأن كل سعي يرمي الى بلادغير فلسطين ليس هو من الصهيونية بشيء ، وأحْرِ بالقائمين به ان لا يستظلوا بالعلم الصهيوني لنشر فكرتهم. ولذلك اصبح من واجب المؤتمر السابع ان يهدم ماوضعه اولئك المنافقون المتظاهرون بالصهيونية ، ويزيد على بروغرام المؤتمر الاول كلمة واحدة لها معنى كبير وهي كلمة **فقط أي فلسطين فقط** ويحتاط بمادة اخرى يضيفها الى القوانين الاساسية الصهيونية ، تضمن لمجموعها عدم التنقيح والتغيير فيها » .

(الفصل الخامس)

* * *

لما نشر العلامة السيد محمد رشيد رضا هذا في مجلته المنار سنة ١٩١٤ والحرب العامة كانت قد فتقت رياحها في اوروبا ، علّق على هذه الفصول بقوله وهو بغاية السداد :

« لو لم ينشر من هذا الكتاب الصهيوني إلا هذه الفصول لكفت من يعتبر من العرب الفلسطينيين وغيرهم، عبرة وبياناً ، لمقاصد هؤلاء الصهيونيين وليعلم من لم يكن يعلم دين هذه الأمة وتاريخها ، ان الصهيونيين اذا تمّ لهم ما يريدون ، فانهم لا يبقون في أرض الميعاد التي يؤسسون ملكهم الجديد فيها مسلماً ولا نصرانياً . وليست ارض الميعاد او فلسطين عندهم ما نسميه نحن الآن فلسطين فقط ، بل هي في عرفهم وتحديد كتبهم الدينية تمتد الى سوريا حتى **النهر الكبير** أي نهر الفرات . فهذه بلاد لا يجوز عندهم ان يقيم فيها أحد غير الاسرائيليين » . ثم أورد السيد رشيد رضا نصوصاً من التوراة .

ثم انتهى الى قوله : « فماذا عسى أن يفعل العرب اصحاب فلسطين من أسباب المحافظة على وطنهم وأملاكهم فيه على تفرقهم وجهـــل السواد الاعظم منهم بكنه الخطر وكنه قوة مزاحمتهم » ؟ ثم مضى صاحب المنـــار في زيادة التنبيه بعبارات مؤلمة موقظة . قلت : ان ما قاله السيد رشيد من هذا الكلام سنة ١٩١٤ هو بعينه الكلام الذي يصح ان يوجـــه ، ولا يصح غيره ، الى الامة العربية في آسيا وافريقيا سنة ١٩٦٦ .

* * *

وسنة ١٩١٤ لمّا نشر اوسيشكين غاياته هذه ، بهذه الصراحـــة المناقضة لتصريحاتهم العلنية المتعلقة بسياستهم الخارجية، وقد مرّ ايجاز هذا ، لم تكن البروتوكولات قد اكتشفت بعد ، ولا ظهرت فلسفة احد ها عام المبنية على التجمع والاقتحام .

٣٢ ـ سوكولوف

وفي ناحوم سوكولوف ايضاً نجد مثالاً واضحاً، كما وجدنا فيمن تقدم الكلام عليهم من رؤوس الصهيونية ، على العمل المزدوج الوجه : تطبيق التجمع والاقتحام فعلاً ومتابعة ، والتظاهر بان الصهيونيين لا يريدون دولة سياسية في فلسطين والذي يرمون اليه انما يبتغونه وطناً روحياً ثقافياً يكونون فيه آمنين .

فقد مر بنا ما قاله رئيس المؤتمر الصهيوني العالمي سنة ١٩١١ من توكيده للعالم ان الصهيونيين ليس من برنامجهم انشاء دولة سياسية ، وافرغ هذا القول بصيغة تلفت النظر: « ان الذين يجرأون على اتهامنا بأننا في صدد انشاء مملكة يهودية، لا يفعلون هذا الا من الجهل والغباوة، او من الحقد والضغينة » (ص ١٣٨)

وقال سوكولوف في سنة ١٩١٩ بعد صدور الوعد بسنتين تقريباً معيداً التوكيد : « الدولة اليهودية لم تكن في يوم ما داخلة في برنامجنا الصهيوني . وغاية الشعب اليهودي » - (كما جاء بعدئذ في قرار المؤتمر الصهيوني سنة ١٩٢١)- « ان يعيش مع الشعب العربي على الوئام والاحترام المتبادل ، والتعاون في سبيل انعاش البلاد وايصالها الى الازدهار [١] » .

سوكولوف ، وهو من متقدمي الحركة الصهيونية ، واحد النفر الذين قاموا بعبئها منذ العقود الاخيرة من القرن الماضي ، يمشي مع هرتزل واحد هاعام ووايزمن واوسيشكين وروتمبرغ وجابوتنسكي واضرابهم اصحاب المقادة . هو من وارسو قاعدة بولونيا التي استولت عليها روسيا منذ ١٨١٥ اثر الحروب

---

(١) نفيل باربر ، كتابه Nisi Dominus ص ٢٠٤ طبعة ١٩٤٦ .

النابليونية . وقُيض لبولونيا ان تكون اكبر عش زاخر باليهودية والصهيونية واما ويزمن فهو من مدينة موتول من اعمال اقليم منسك ، للشرق بشمال من وارسو ، واقليم منسك كان من روسيا الغربية المساة بروسيا البيضاء . سوكولوف صحافيصهيوني منذ اواخر القرن الماضي ، وكان يُعَدُّ اول صحافي حديث لم تعرف اليهودية الصهيونية صحافياً آخر اعلى كعباً منه . وكانت مجلته هازفيرا تماثل المجلات الاوروبية مستوىً وفناً ، كما يقول ويزمن . وهو واضع كتاب تاريخ الصهيونية اواخر الحرب الاولى وكتب مقدمته ويزمن . وسنة ١٩١٤ انتقل سوكولوف الى لندن ، وانضم الى زملائه هناك ، وكان من اكبرهم مكانة عند الصهيونيين ، واعملهم في سبيل وعد بلفور ، ويقول كريستوفر سايكس ابن مارك سايكس ان سوكولوف لو كان في لندن من اول الشوط لكان هو اولى من ويزمن بأن يكون زعيم الحركة ، اذ كان هناك اثنان على هذا المستوى لهما ان ينافسا ويزمن على تولي الزعامة ، سوكولوف والدكتور غاستر زعيم اليهود السفارديم في بريطانيا [١] .

ولما كانت المفاوضات تجري في لندن حول مصير الصهيونية ، كان سوكولوف هو العضو الوحيد الموجود في لندن من اعضاء المنظمة الصهيونية العالمية ، وويزمن لم يكن وقتئذ الا عضواً في اللجنة العاملة التابعة للمنظمة ، غير أن ويزمن ، لمّا ركب السرج ، عرف كيف يحافظ عليه ، اذ هو ابرعهم في الاخذ والعطاء مع الانكليز وأوسع زعماء الصهيونية حيلةً ، واضبطهم مزاجاً ، واكثرهم استعداداً لهذا من وجوه جمة .

ولما صدر وعد بلفور وتم امره بين بريطانيا والصهيونيين ، كُتِم أمره نحو سنة أو اكثر ، حتى أُعلن بكتاب بلفور الى روتشيلد في ٢ نوفمبر ١٩١٧ . وكان وَضْع فلسطين قبل وعد بلفور وحسب الاتفاقات السرية بين الحلفاء ، ان تكون دوليةً ، ولم يُعيَّن لها وضع مفصّل بعد ، فتعين على الصهيونيين

---

(١) اي لو كان سوكولوف يقيم في لندن اقامة مضاهية لمدة ويزمن ، وويزمن في لندن منذ ١٩٠٥ .

ان يتغلبوا على صعوبتين : ان يخرجوا فلسطين من مخطط الدولية الى وضع لم يقرر شكله ، وانما اقترح الصهيونيون وآثروا ان يكون ذلك من نوع الكومونولث . والصعوبة الثانية ان توافق فرنسا وايطاليا على ذلك من الناحيتين ، الاخراج من الدولية والموافقة على أن ينشأ وطن قومي لليهود ، وهذه أهم قضية عند الصهيونيين ، بعد الحصول على الوعد . فندبوا سوكولوف للقيام بهذه المهمة . فجاء باريز ثم روما واستطاع بمساعدة مارك سايكس ان ينال مراده . ثم لما جاء مؤتمر الصلح في باريز اوائل ١٩١٩ كان سوكولوف احد الصهيونيين الخمسة الذين يتألف منهم الوفد الصهيوني وهؤلاء حضروا أمام المؤتمر الذي كان مؤلفاً ممن كان يعبر عنهم بالعشرة الكبار يمثّلون اميركا وبريطانيا وفرنسا وايطاليا [(١)] ، وقدّم الوفد الصهيوني مذكرته التي يطلب فيها انشاء وطن قومي في فلسطين بحدود واسعة ، وهي التي ذكرها لويد جورج في مذكراته ومنه عرفت لا من غيره . وكان هذا الوفد مؤلفاً من خمسة وهم :

ويزمن ، وسوكولوف ، واوسيشكين . ويهوديان فرنسيان اندره سبير André Spire وسيلفان ليفي (لاوي) وهذا الاخير برز معارضاً الفكرة من وجهة فرنسية وسنذكر هذا قريباً .

وكان هؤلاء الخمسة مع اشخاص آخرين من كبرائهم ، وعلى رأس الجميع هربرت صموئيل ، قد اشتركوا في اعداد المذكرة الصهيونية الخطيرة . واقتسم اعضاء الوفد مناحي الكلام ، فأخذ كل واحد منهم منحى ، فكان سوكولوف مختصاً بالصلة بين اليهود وفلسطين تاريخياً ، وجعلوا هذا الحيّز فاتحة الكلام في خطبهم ، لدى مؤتمر الصلح ، لتظهر منه صورة لقضيتهم بادية" لوحة" واحدة" في اطار واحد . وتكلموا بثلاث لغات : الفرنسية والانكليزية والعبرية . نعم ، كانت العبرية لسان احد خطبائهم : اوسيشكين .

---

(١) كانوا هكذا : لنسننغ وهويت (اميركا).لويد جورج وبلفور (بريطانيا) . كليمنصو وآخر هو بيشون أورلانديو (فرنسا) بارون سونينو وآخر (ايطاليا) مع آخرين لتمام العشرة .

لا يخفى علينا ان مساق الكلام هنـــا يدور على سوكولوف ، كما دار في الصفحات السابقة ، على اوسيشكين ، غير اننا نجد هنا الموضع المناسب لذكر ما يتعلق بمذكرة فيصل بن الحسين الى المؤتمر ، وقد اتينا على ذكرها مرة سابقة . وما نود تناوله الآن ان فيصلاً ، ويحتاطه لورانس ، هيئآ كلاهمـا المذكرة المختصة بقضية العرب ، بل كان لورانس له الرأي والقول في تحديد نقاطها ونطاقها ، وتعيين ما هو محلـّل وما هو محرّم ذكره .

ولنذهب الى نقطة البيكار توّاً : فان المذكرة لم يستند فيصل فيها على ما بيد والده من عهود رسميـة من الحكومة البريطانية ، فضـلاً عن استناده على الثورة والدماء ، وحق الحياة الاستقلالية للعرب . وما السبب في هذا ؟ ان تعليمات الحسين لفيصل كانت تحول دون ذلك . والحسين الآن هو ملك الحجاز المعترف به دولياً . لمـّا انفذ الحسين ابنه فيصلاً على رأس وفد عربي الى مؤتمر الصلح كان اسم الوفد **الوفد الحجازي الى مؤتمر الصلح** ، وفيصل وقتئذ امير سوريا ، ومرجعه اللنبي ، **القائد العام للحملة المصرية** – هكذا كان اسم الجيش الذي عمل في فلسطين وسوريا الى نهاية ١٩١٨ في قتال الترك والالمـان حتى جلا العثمانيون عن جميع البلدان العربية .

ومعنى ما رآه الحسين، ونفـّذه فيصل ، وحول فيصل لورانس، ان قضية العرب لم توضع على صعيد دولي كما هي مهيأة لذلك . وسبب هـذا ان الحسين – وهذا عند الناس معرفته مستفيضة – رأى ، ورأيه لا يناقش ولا يقبـل الحسين ان يناقش به – ان يمضي الشوط حاصراً اعتماده على بريطانيا وواضعاً فيها كل ثقتـــه . فكان يعتقد الحسين ان بريطانيا دولة عظيمة ترعى الشرف وتحفظ العهد ! فالخفـّة والضآلة ، وطيّ العهود ، كان كل هـــذا في مذكرة فيصل ، واحكام الزور والتزييف للتاريخ والدعاوى الباطلة ، كل هذا كان في الوفد اليهودي . فالحق سكت وصمت ، ونطق الباطل . فتآمر على قضيـة العرب لدى مؤتمر الصلح عنصران :

الأول : أصابع اليهودية العالمية الخفية .

والثاني : لورانس من حول فيصل ، وهذان العنصران في الخارج .

وأما العنصر الثالث : فهو عقلية الحسين بن علي ، وطريقة تقييمه لشرف بريطانيا الوهمي، وقلة خبرته بالسياسة الدولية، ثم اضطرار فيصل وقتئذ ليكون طوع أبيه مراعياً تعليماته . وهذا العنصر الثالث في الداخل . وهذا من عجائب الزمن في الدروس للامة العربية.

أما الوفد اليهودي فتقدم الى المؤتمر بباطل دعواه المتعلقة بفلسطين ووراءه اليهودية العالمية ، الظاهر والخفي .

فانظر ! قام حول الدكتور ويلسون ، ولويد جورج ، وبلفور ، النفر المختار من العملاء الصهيونيين ، والظاهر من هؤلاء النفر وقتئذ هم الذين عرف انهم تولوا فيما بينهم إعداد المذكرة اليهودية تحت هيمنة هربرت صموئيل الذي جاء أول مندوب سام على فلسطين سنة ١٩٢٠ بعد انطواء بساط الحكومة العسكرية . فان اللغة العبرية كانت لسان أحد المتكلمين اليهود ، واللغة العبرية وقتها ليست لغة يفهمها أحد من الناس إلا بعض حاخامي اليهود وعلماء اللغات السامية ، ولا تسمع إلا في كنيس اليهود في بعض الصلوات ، وليس لها صحف ، ولا كتب ، ولا معجم ، وعلى الجملة كانت رميماً ورطانةً غريبة عن الآذان والأسماع ، وقصَد الوفد اليهودي من جعل أحد خطبائهم يتكلم العبرية التي لا يفهمها أحد في المؤتمر حتى ولا اليهود أنفسهم ، أن يخلق هيبة لها فيعرف العالم ويسمع بأن هناك لغة عبرية تكلم بها خطيب يهودي في مؤتمر الصلح ، وهذا كله وهي لم تخلق بعد حتى في فلسطين ما عدا استعمالها بين فريق من اليهود في البيوت . ولغة اليهود الاشكنازهي « اليديش» الخليط

شيء آخر : يقول ويزمن : « اننا أجمعنا على طلب الوطن القومي » !! استناداً على ماذا ؟ على وعد بلفور الباطل واقعياً ودولياً ؟ على دعوى ان اليهود كانوا في فلسطين منذ ألفي سنة ؟ كل هذا كلام فارغ المعنى يتسلح به الوفد اليهودي . فوعد بلفور قصاصة ورق بالقياس الى عهود بريطانيا الى الحسين وهذه العهود بقيت تدور المفاوضات حولها اكثر من سنة حتى انتهت

الى ما انتهت اليه . ومذكرة فيصل تسكت عن هذا ! مسرحيـــة يجللها الخجل من جميع جوانبها ، وفائدتها الوحيدة انها تعطي العبرة لمن يريد ان يعتبر من العرب في هذا الجيل والأجيال القـــادمة ، للأمم طفولة ، ونشأة ، وترعرع ، وشباب ، والرجولة بعد هذه الأدوار .

* * *

نعود الى سوكولوف ووبزمن : ان العضو الخامس اليهودي الفرنسي كان سيلفان ليفي Sylvan Levy ، فهذا لما خَرَجَ الوفد اليهودي من قـاعة مؤتمر الصلح حوالي الخامسة بعد الظهر قال له سوكولوف : انك قـــد خنتنا شر خيانة ! [١] ولماذا قال له هذا ؟ لأن ليفي هذا لم يعتقد بالصهيونية انها حركة صحيحة ، فوضعها في خطبته على صعيد واقعي علمي ، وحللها ، ثم انتهى الى ما يفيد إبطالهـــا ، مصرحاً في خطبته بأنه يزن الحركة من وجهة النظر الفرنسية . وما هي نقاطه ؟ .

نقاطه نعلمها من ويزمن . وويزمن اوردها في مذكراته مضطرّاً لا مختاراً، فلو لم يذكرهـــا ، فهي عند غيره من الكتاب الاوروبيين والاميركان الذين كتبوا عن مؤتمر الصلح الوثائق والرقائق . فاذا خَلَتْ مذكراته من هـــذه النقطة اوقع نفسه في انكار ما لا سبيل له الى انكاره . والعرب لم يعنوا بعد بدراسة الصهيونية دراسة وافية ، ولم تبلـــغ الآفاق الفكرية العربية هذه التفاصيل المليئة بالعبرة ، الا نتفاً متساقطة في مفارض شتى .

قال ويزمن ان ليفي لما بدأ خطبته ، بدأ بدايةً حسنةً حتى علا وسَبَح وحلّق . هـــذا هو القسم الاول . اما القسم الثاني فانخفض فيه الى القعر . وكان عند ليفي ثلاث نقاط ، جعلها كل صيده في جوف الفرا .

الاولى ، هي الاطراء ، والمدح . فقد اجمل اوليـات الصهيونية وانشاء المستعمرات في فلسطين تعيش على الصدقات من الخـــارج ، وارتاح الى جهود اليهود لاحياء العبريـــة ، وامتدح بصورة خاصة عمل عشاق صهيون وبيت

(١) الصهيونيون يستعملون « الخيانة » في مواضع بسيكولوجية خاصة ، ألم يدفعوا بامرأة في المؤتمر سنة ١٩٠٣ برياسة هرتزل لتقول له « يا خائن ! » وقد مرّ ذكر هذا ؟

روتشيلد ، وعمـــل الاليانس الثقافي . والنقطة الثانية انه اثنى على الجهود الصهيونية من حيث هي – كما يقول ويزمن – من الناحية المعنوية الادبيـة . وانمـا قال المعنوية الادبية ، ليستثني السياسة كما سيجيء في النقطة الثالثة ، واتم ليفي الكلام على النقطـــة الثانية بتسليمه ان جماهير اليهود تتجه الى فلسطين روحياً .

النقطة الثالثة :

١ – فلسطين بلد صغير ، ضيق الرقعة .

٢ – يسكنها ٦٠٠ الف عربي .

٣ – ينتظر ان يكون مستوى المعيشة عند اليهود ارقى منه عند العرب، وبحكم الطبيعة سيغزو اليهود العرب بالوسائل الاقتصادية غزواً املاشياً تدريجياً حتى بالتالي يحل اليهود محل العرب .

٤ – اليهود الذين سيذهبون الى فلسطين سيكونون بكثرتهم من يهود روسيا وهؤلاء هم مادة متفجرة Explosive .

٥ – انشاء الوطن القومـي في فلسطين يسبب سابقة خطرة ، وهـــي ازدواجية الولاء والحقوق اليهودية في الخارج ، وهذا مهم في نظر فرنسا في شرقي البحر المتوسط .

ولا نعـــلم المزيد مما قاله ليفي ، غير هذا . وهو بصفته اليهودية قد جمع بين عقله ودينه وعاطفته في آرائه هـــذه . والقارىء العربي اليوم ، المؤمن بالتـــاريخ العربي والامة العربية ايماناً صحيحاً ، يستطيـع ان يكمل اقسام النقطة الثالثة ، بعد ان يذكر ان الحراب البريطانية حكمت فلسطين ٣٠ سنة حكماً محوّلاً للبلاد الى ما يشتهي البرنامج الصهيوني ، ولليهوديـــة العالمية ، وحكماء صهيون ، ثم كانت ايام ١٥/٥/٤٨ المخجلة للعرب المعاصرين لها ، ثم نحن اليوم في سنة ١٩٦٦ وعرب فلسطين كاد ينقضي ويطوى الجيل

الذي تَحَمّل المباضع تعمل في لحمه وعروقه ، ونشأ جيل عربي جديد خارج فلسطين مشتت في المخيات ، لكنه بدأ يستيقظ على تاريخه وامته بعد ظهور منظمة التحرير الفلسطينية مدعومةً من جامعه الدول العربيةفي مؤتمر القمة. اما آراء ليفي من حيث هي فلا غبار عليها .

وتكلة ما قال ليفي الفرنسي سنة ١٩١٩ :

١ – نهاية الصهيونية ، مهما امتدت بها التجربةالمريرة ، مغلفة بأزهى ضروب الدعايات المضللة ، هي الى البوار المحتم ، والجفاف ، حتى الاختناق .

٢ – ذلك لأن الامة العربية بيدها ان توصل الصهيونية الى تلك النهاية .

٣ – حركة الامة العربية في النمو والتقوّي ، تؤيدها النواميس الطبيعية في آسيا وافريقيا ، وبوجه النواميس الطبيعية لا يستطيع احد ان يقف حاجزاً معارضاً،الا اذ كان هذا الحاجز المعارض اقوى منتلك النواميس وهذا محال ...

٤ – هذه النواميس الطبيعية التي تدفع بالامة العربية الى النمو ، هي نفسها تنكر على الصهيونية مجال البقاء والحياة ، والحياة اذا لم تكن صحيحة الاساس ، فتيبس وتجفّ ، وتقتلع وتجرف .

٥ – حركة الزمن تماشي حركة التنمي والتقوّي في الامة العربية ، في جميع اجهزتها العضوية ، والرصيد الباتّ الذي تنتقل به من كل معضلةتعترض سيرها في مرحلة ، الى مرحلة اخرى ، اوفر واعظم بكثير من الألم الذي تحدثه تلك المعضلة .

٦ – القوة النفسية في الجيل العربي الجديد ، محتومٌ عليها ان تقابل عنصر التجمع والاقتحام من الناحية الصهيونية ، مقابلة يكون فيها فصل الخطاب .

٧ – لا يستطيع احد ان يعين مقياساً لبلوغ النتائج ، والمقاييس التي لدينا اليوم ، مهما اسعفتنا في التقدير ، فاننا نظلّ بها على عجز في تعيين

الميقات ، غير ان هناك شيئاً عظيم الخطر ، وهو ان نؤمن اننا كلما اتقنا بعقولنا فهم عمل النواميس الطبيعية ، ساعدنا انفسنا في ادراك الحجة .

***

وهذه شذرات تكمل قصة سوكولوف على العربي ان يطلع عليها :

١ – قال هربرت صموئيل : سوكولوف كان في لندن يمين ويزمن . كلاهما لسان الصهيونية . ومر بنا قريباً ان سوكولوف لو كان في لندن الوقت الذي كانه ويزمن لكان هو اولى بالزعامة الصهيونية من ويزمن . وبقيا معاً حتى النهاية .

٢ – اعظم خدمة من سوكولوف للصهيونية بعد عمله السياسي ، وضعه تاريخها آخر الحرب الاولى .

٣ – اول الحرب وحتى لسنة او اكثر لوقوعها ، كان يخشى سوكولوف ان تنتصر المانيا فاقنعه ويزمن انهما مع الحصان الفائز في الحلبة .

٤ – الوفد الصهيوني الى مؤتمر الصلح ، جَعَلَه المتكلم الاول .

٥ – بعد ان ارفضّتْ جلسة مؤتمر الصلح وخرج الناس، سأل الممثل الاميركي لنسنغ ، ويزمن : إنك قد طلبتَ وطناً قومياً يهودياً في فلسطين، فماذا تعني بالوطن القومي ؟ فأجاب ويزمن : « اني اعني خلق ادارة تابعة من احوال البلاد الطبيعية – ودائماً مع المحافظة على مصالح غير اليهود – حتى مع اطراد الهجرة تصبح فلسطين يهودية كما هي انكلترا انكليزية» ثم سأله ويزمن : اهذا واضح ؟ فقال لنسنغ : بالتأكيد .

أرأيت تلاعبا اكثر من هذا من جهة ويزمن، وكلمة اشد غرابة من «بالتأكيد» يقولها لنسنغ ؟ ثم قال ويزمن بوسعنا ان نعمل في فلسطين ما عمله الفرنسيون في تونس ، وسنغمر فلسطين بالمال اليهودي، والادارة اليهودية والعزم اليهودي والحماسة اليهودية .

٦ – قال ويزمن: كان الانكليز يحترمون سوكولوف لعلمه ومكانته، ولكنه هو لم يكن منسجماً معهم دائماً .

٧ – لما كان ويزمن لم يزل طالباً يدرس في برلين كان سوكولوف في تألقه الصحافي الصهيوني في وارسو. ويقول كريستوفر سايكس ان سوكولوف كان وجه الثقافة اليهودية منذ العقود الاخيرة من القرن الماضي .

٨ – ويزمن هو الذي ادخل بلفور في الصهيونية. ومارك سايكس ادخله الحاخام الدكتور غاستر . وسوكولوف ادخل جورج بيكو ممثل فرنسا، ولويد جورج لم يدخله احد وانما اعطى وجارى، حتى يستخلص فلسطين من فرنسا ، ولم يكن للعرب وزن يذكر في نظره .

٩ – لسوكولوف استعداد كبير لتعلم اللغات خاصة ، والاستبحار في العلوم . وتعدّ مجلته هازافيرا لسان النهضة الثقافية العبرية .

١٠ – «كان بيته في وارسو ، كما يقول ويزمن ، أشبه بمحطة قطار حديدي ، غاصاً بالرائح والغادي في اي وقت . غير ان بيته فوضى في ترتيب اثاثه وماعونه . والزوار عنده، وان لم يكن هو في البيت ، او كان مستغرقاً في مشاغل اخرى . ثم يطلّ فجأة بقميص النوم وبعد الظهر يخرج يومياً الى مقهى يجلس فيه الساعات الطوال ومعه اوراقه ، وقد يبقى حتى منتصف الليل ، فيأوي الى البيت وقد اعدّ مواد العدد . كان عنده لا اقل من ١٢ مقالاً مهيئاً مما يكفي لعدة ايام . طاقته الكتابية غزيرة ، وموضوعاته متنوعة ، واساليبه تختلف تبعاً للموضوع. النقد الادبي – المسرحيات . الابحاث السياسية والفلسفية . الرواية المتسلسلة . وكانت زوجته معواناً له في كل هذا ، وهو كان لا يبالي بالامور الادارية المالية في اعماله الصحافية ، فكانت زوجته تقوم بكل هذا على خير وجه، بالاضافة الى تدبير شؤون البيت، وكان له شطحات نسيان وذهول، فمرةً تواعدنا معه على اللقاء عنده في المنزل لنبحث مشروع انشاء الجامعة العبرية ، فجئنا ونحن على احرّ من الجمر ، فاستقبلنا ورحّب بنا

واتحفنا بغداء لا نظير له ، لكنه لم يذكر لنا ولا كلمة تتعلق بما جئنا من اجله » .

١١ – « كان لاتساع ذهنه وصدره ، لا يرى بأساً ان يجمع بين طرفي الحبل ، يرضي هذا ويرضي ذاك ، ونحن وقتئذ شباب ننكر عليه هذا. فكانت مجلته هازفيرا للصهيونية على مطلق مدارها، وكانت ازرائيليتاالاخرى للاندماجيين وكان يقول لا تخرب الدنيا اذا استمعت الى وجهة نظر الفريق الآخر . فكان من طبعه التوفيق ما أمكن التوفيق» . ويقول كريستوفر ان سوكولوف في المفـــاوضات كان يستقي من السكينة التي في داخل نفسه ، طويل الأناة في الجدل ، وتظهر حرارة ايمانه عندما تمس مبادئه القطعية التي يحملها . ونقول : ان القارىء سيمر بعد قليل بالحوار الذي وقع بين قداسة البابا بنديكت الخامس عشر وسوكولوف سنة ١٩١٧ ويدرك بواطن اليهودية الكامنة في صدره .

١٢ – كان يتبرم بالشباب لأنهم وثّابون قفّازون في رأيه ، وهو يؤثر الروية ولا يستحسن الطفرة ، وأحياناً يقول انهم مجانين .

١٣ – وأما قوته النفسية على ضبط مشاعره – هذا كله يقوله ويزمن – فحدث عنها ولا حرج . يقول ويزمن ايضاً انه من المصادفة كان عنده في مكتب هازافيرا لما أخذت البرقيات تفاجئه بمذبحـة اليهود في كيشيناف سنة ١٩٠٣ وهي تنقل الأنباء المقيمة المقعـــدة ، فبقي هادئاً ، ولم يكن هدوءه ناشئاً عن قلة شعور بل لشدة ما يعـــلم من أمر هذه النكبات في حياته .

٣٣ ـ فنحاس روتنبرغ

يهودي روسي ، ثوري ، عنيف الارادة . كان في روسيا يظهر ويختفي من قطر الى قطر وبلد الى بلد ، دون ان تكشفه العيون . القتل والهدم والقتـــل والنسف والابادة مشتهى صناعته ، لمّا كان في روسيا يعمل مع اسكندر كيرنسكي ١٩١٧ في الانقلاب الروسي . تلمودي من طراز فريد ، وروح التلمود ، مستولية عليه . في اول امره مـا كان يعرف من العبرية شيئاً.القسم الاول من حياته الى نهاية الحرب الاولى، غامض ، الا ماعرفناه من أمره عن طريق ويزمن في مذكراته وعن طريق ستورس. بعد الحرب الاولى وخروجه من روسيا استقر في فلسطين ودأب في العمل ومن ورائه الصهيونية ، لانشاء المشروع الكهربائي الكبير المعروف في فلسطين الى ١٩٤٨ باسم مشروع روتنبرغ ، فعرف هـذا المشروع الحيـوي باسمه الشخصي اكثر مما عرف باسم الشركة وهي **شركة الكهرباء الفلسطينية** ، وبلغ رأس مالها ثلاثة ملايين جنيه فلسطيني، كما يقول هربرت صموئيل ، وقد صار صموئيل بعد سنة ١٩٣٦ رئيس مجلس ادارتها في لندن ، خلفـاً للرئيس السابق اليهودي لورد ريدنـغ الذي كان من قبلُ حاكم الهند ونائب الملك . وهكذا كان هربرت صموئيل اليهودي المندوب السامي البريطاني على فلسطين، بل كان اول مندوب ابتداء من ١٩٢٠ ، جاء وفي جيبه رسالة ملكية الى اهل فلسطين من الملك جورج الخامس بان فلسطين ستنعم بالخير والفلاح ، في ظل العلم البريطاني ! وكان هربرت صموئيـل في الواقع قد اختـاره اليهود اختيـاراً ، ليكون في نظر الحكومة البريطانية من الناحية الرسمية مندوباً سامياً ونائب ملك في فلسطين، ومن الناحية اليهودية الصهيونية امير اسرائيل **الاول وعزرا الثاني** بعد السبي البابلي ! حكماء صهيون لهم وجهان ، الظاهر والخفي ، فهم حكام ، ساسة ،

ارباب مؤامرات ، رؤساء شركات ! وغير ذلك .

القسم الثاني من حياة روتنبرغ قضاه في فلسطين حتى مماته سنة ١٩٤١ . ولم نقع على تاريخ مولده ، لكن الرجل على كل حال من اتراب رجال القافلة الصهيونية الاولى ، الذين نشأوا في الربع الأخير من القرن الماضي وجمعتهم الرابطة الصهيونية بعد ظهور هرتزل ثم الحصول على وعد بلفور . وما عدا هرتزل نفسه ، وهو يهودي نمساوي الموطن ، فكل هؤلاء الذين تناولنا نواحي من اخبارهم هم من يهود روسيا المعروفين بالاشكناز ، اي يهود اواسط اوروبا وشرقيها وبعض جنوبها ، ويقابل هؤلاء الفريق اليهودي الشرقي والاسباني الاصل المعروف بالسفرديم.

ويهمنا ان نقف على خصائص حياة روتنبرغ باعتباره من اركان الصهيونية العاملة ، وسيشمل ذلك مراحل حياته كلها على الجملة . فهو من تلامذة احد ها عام وحَمَلة عقيدة التجمع والاقتحام . ونقطة واحدة نحبّ ان نختزنها في ذهن القارىء ، وهي ان روتنبرغ بعد ان استقر في فلسطين بعد الحرب ، عجز عن مباشرة العمل الثوري في فلسطين على الطريقة التي كان يألفها في روسيا ، وارتضى بما تيسّر من عمل من وراء ستار ، حتى اذا استغرقه العمل في المشروع الكهربائي ، انقطع اليه والقى فيه كل ثقله . هذا هو ظاهره المعلوم بعد ١٩٢٢وبقي القسم الخفي منه رهن الاكتشاف والدراسة.

* * *

هذه صفته : محبوك الخلق والخلق معاً . ممتلىء البنية . رأسه بين كتفيه اصلب من الغرانيت ، كما يقول فيه رونالد ستورس حاكم القدس الى ١٩٢٦ وصاحب كتاب المذكرات المعروفة بالمشرقيات . وستورس هذا ، يعدّ كاتباً نقريساً ، وهو متعمق جداً في الادب الانكليزي الكلاسيكي حتى جذوره الاغريقية واللاتينية ، وهو استاذ لورانس او من اساتيذه في مصر، وستورس جاء مصر سنة ١٩٠٥ وبقي فيها بقاءً مطرداً حتى الحرب الاولى ، ثم كان من رجال الدائرة البريطانية التي نظمت امور الثورة مع الحسين بن علي في

الحجاز ، وبعد احتلال فلسطين جاءها وكان ضابطاً في الجيش ، وكان حاكم القدس العسكري الى ١٩٢٠ثم تحول الى حاكم القدس (مدنياً) وبقي الى سنة ١٩٢٦ ثم نقل الى قبرص حاكماً عليها .

وكان ستورس حاكم القدس، يمثل بأساليبه وطرقه طرازاً فريداً من الحكام الانكليز في فلسطين الذين نشأوا على مذهب كرومر وغورست وكتشنر في في مصر ، وخلط ستورس في خبرته الشخصية بين الجد واللعب ، والحكمة والحيلة ، وسداد البرهان وفارغ الايهام ، فتراه في جلسة واحدة مع زائريه يعلو وينخفض،يحمى ويبرد ، يعشق المظهر واللقب ، يتقلب بين العرب واليهود في الظاهر وهو آلة من آلات التهويد في الواقع ، وكان على الجملة وعلى كل حال من ابرز شخصيات الانكليز في فلسطين حتى ١٩٢٦، وقد عرفناه معرفة تامة في جميع اطواره . وانما استطردنا الى ستورس في هـــذا المجمل من الكلام ، ونحن لسنا بصدد ترجمته في هذا الموضع لنعلم القارىء ان ينابيع ستورس في معلوماته عن خفايا اليهود عميقة غزيرة . فاذا قلنا الآن ان ستورس هو صاحب هذا القول او الروايـة ، فكأننا عزونا ذلك الى احفل حاكم بريطالي باخبار الصهيونية ورجالها .

ونذكر الآن صفات روتنبرغ عن طريق ستورس .

وستورس يضع جابوتنسكي وروتنبرغ في قرن واحد ، من حيث الوزن، والتطوح الذي عرفه فيهما ، مع فرق كبير وهو ان روتنبرغ بعد ان شَرَع يبني مشروع الكهرباء اقتصر عليه ، في الظاهر على الاقل، بينما بقي جابوتنسكي يغني ويرقص .

روتنبرغ كان لباسه اللون الاسود دائماً . اذا تكلم جرجر صوته بانخفاض حتى كأنه يهمس همساً . لصوته جرس يحمل رشاشاً من نغمة المتوعد ، وهذا يتفجر من مكنون نفسه منطبق الاسنان فاذا تكلم فكأن كلماته تفر من بين شفتيه فرار الاسير من معتقله . في اول الاحتلال وزمن الحكومة العسكرية (١٩١٧ - ١٩٢٠) وبدايـــة تغطرس اليهود وتنمرهم ، حاول روتنبرغ

وجابوتنسكي معاً استعمال السلاح ، واستعملاه فعلاً الى حد ما ، والحاكم على القدس هو ستورس الذي يفيض علينا بهذه الاخبار . وبعد مشاورة كبار المسؤولين الانكليز ، قررت السلطة العسكرية اخذ السلاح منهما . وانظر . فبدلاً من ان يقبض عليهما فوراً ، ويصادر السلاح ويحالا الى المحاكمة ، توجه ستورس اليهما بألطف وارق ما عرف من امر في صيغة الرجاء او رجاء في صيغة الامر ، فبلّغهما : اما تسليم السلاح واما ان يقبض عليكما ! همـــا يهوديان ! فسلما السلاح . وبعدئذ مشت صحبة ختل ومراوغة بـين ستورس وروتنبرغ الى آخر الشوط . قلنا ان ستورس يرى جابوتنسكي وروتنبرغ كفتي ميزان ، اما ويزمن فيرى روتنبرغ درجةوسطى بين جابوتنسكي واحد ها عام او غنزبرغ .

ويؤخذ من كلام ويزمن ان روتنبرغ قديم العهـد في صناعة الثورات ، اذ اشترك في الثورة الروسية سنة ١٩٠٥ الى حد لم يعرفه ويزمن . والمدة الـتي انقضت من ١٩٠٥ الى بداية الحرب العامة ١٩١٤ لا نعلم فيها من امر روتنبرغ شيئاً . وبعد هذه السنوات التسع نرى روتنبرغ في لندن ، ونسمع القصة من ويزمن فيقول ان روتنبرغ لما اتى لندن سنة ١٩١٤ لم يستطع ويزمن ان يعرفه من هو في اول لقاء . كان ويزمن يقيم في منشستر ، وفي ليـلة مظلمة ، مطفأة أنوارها ، ولا خدم في البيت اذ انصرفوا على مواقيتهم ، قُرع جرس الباب ، ولما فـتَـح ويزمن الباب فاذا بشبـح امامــه ، شبه ملثم ، مطويّ بعضه على بعض ، اخذ يتكلم بالروسية بصوت ضعيف ، فلم يعرف ويزمن من هو هذا الرجل ، ولم يتذكر ويزمن ان صورة هذا الرجل وقعت عينه عليها من قبل . فلما دخل الضيف البيت ، دفع الى ويزمن كتاب وصاة قرأه ويزمن فوجده انه من مارسيل كاشان ، الاشتراكي الفرنسي، فاطمأن ويزمن لكنه بقي على حذر كما يقول ، اذ كان ويزمن في اتجاهه السياسي مناهضاً لروسيا وقتئذ .

واخذ روتنبرغ يفرغ من جعبته : الحال في روسيا ، اليهود في روسيا ، الجيش اليهودي الذي يقترح روتنبرغ انشاءه، وامثال هذه الموضوعات الشهية.

يقول ويزمن اما حميته فاعجبني،ومراميه ومطامحه كذلك.وفيه عبقرية، لكن آراءه المتعلقة بفلسطين سطحية من قلة الدراسة ونقطة خاصة لاحظها ويزمن: ان روتنبرغ يؤمن بان بريطانيا وحلفاءها الى النصر ، وهو على نقيض ما كان يراه اوسيشكين . يقول ويزمن : وبينما نحن في الحديث فاذا به يقول ان وقته قد ضاق عليه ، اذ لا بد له ان يكون في البيت في ساعة هذه الظلمة الحالكة ليتسنى له المشاركة في الاحتفاء بعيد الفطير اليهودي . فعجبتُ منه – يقول ويزمن – وهو رجل لا يعرف الا نغمة الثورة ، يبـــالي هذه المبالاة بعيد الفطير . وتواعدا على اللقاء القريب في بيت احد ها عام ، وذهب ويزمن على الموعد ، لكنه ذهب مبكراً ليستطلع رأي استاذه في الرجل ، ويدرك مـا يستطيع من كنه حقيقته . عند احد ها عام الخـــبر اليقين . فهو ملتقى الخيوط كلها من ظاهرة وخافية ، من القاصي والداني . لا يحدثنا ويزمن عما جرى عند احد ها عام من حديث حول النقاط المميقة . لكنه يقول انه لما ازداد ثقة بروتنبرغ ، ومطامحه ، جعل يتعاون معه ، وهنـــا كان العمل كلـــه منصبّاً على تأليف الكتيبة اليهودية ، وهذا العمل يشترك فيه كل من ويزمن المقيم في لندن ، وجابوتنسكي القادم من الاسكندرية ، وروتنبرغ القادم من روسيا ، والجامع لهم احد ها عام . ويقول ويزمن ان روتنبرغ مع عمـله المجيد البارع في انشاء الكتيبة ، بقي في نظره انـــه مع عبقريته يعجز عن الوصول الى باطن البواطن وخافي الخوافي في المسائل البعيدة الغور . قلت : وهذا معناه ان روتنبرغ في نظر ويزمن لا يصل الى الدقائق التي يريدها ويزمن.

* * *

وكان ينتظر أن يظل روتنبرغ عاملاً في الناحية التي كان بسبيلها كما يقول ويزمن ، فاذا به يختفي ، ونقول المختفي دون علم احد هـا عام وويزمن ؟ وكان احرى بويزمن ان يقول ان روتنبرغ فارقنا بعد حين على خطـة ، والى اين ؟ الى روسيا ، حيث جعل يعمل مع كيرنسكي ، وليس هـذا وكفى ، بل سمع عنه انه كان حاكم بتروغراد سنة ١٩١٧ لمدةٍ ما . ولمـــا استوثق

الامر للبلشفيك عاد روتنبرغ فاختفى وذاب، حتى نراه يظهر في اودسا يبذل جهده في مساعدة اليهود في الفرار والهرب . ثم عاد الى لندن ، ولا يعلم انه عاد بعد هذه النوبة الى روسيا .

هنا شيئان نسمع احدهما من ويزمن اذ يقول : ان كيرنسكي لو بقي عهده ماشياً دون ان يطغى عليه البلاشفة، لما عاد روتنبرغ الى الحياة اليهودية بحال. والآخر نسمعه من ستورس بعبارته التي تحمل في كثير من المواطن مسحة السخرية تنقط من اسلوبه الادبي التعبيري ، والكلام هنا لستورس : يقول روتنبرغ في احاديثه معي انه ليس بسياسي ، ولا يعرف السياسة ، وانه لا يعرف من الدنيا شيئاً الا العمل والانشاء والبناء والعمارة ! هيه ! هيه ! روتنبرغ لا يعرف السياسة ! وهو كان مع كيرنسكي قبل عهد السوفيات ، ولما لاحت الفرصة لكيرنسكي اشار عليه صفيّه وحبيبه روتنبرغ بان خير ما ينبغي ان يصنعه كيرنسكي فوراً ان يطيح بالرؤوس المناوئة. ولو فعل كيرنسكي هذا لساد روسيا شيء آخر ، ربما غير الفوضى . ولنا ان نأخذ من عبارة ستورس هذه ، المعنى الطبيعي في المخطط اليهودي وهو ان غاية روتنبرغ من الذهاب الى روسيا والعمل مع كيرنسكي، التهيّؤ للعمل مع كيرنسكي للمصلحة اليهودية ، بحال استيلاء كيرنسكي على الموقف نهائياً استيلاءً وطيداً ليس له منافس . كما ان الصهيونيين كانوا في الوقت نفسه منبثين في البلاشفة بصيغة اخرى . حتى اذا غلب احد الفريقين كانوا مع الغالب ، ولا يصعب على اليهود الذين مع الفريق المغلوب ان يدبروا امرهم ، هذا اذا لم يكونوا هم سبب الهزيمة فنلتقي فصول الرواية في النهاية على مرادهم . افيذهب روتنبرغ الى روسيا القائمة القاعدة سنة ١٩١٧ من لندن ، دون ان يكون ذلك على تدبير خطة مشتركة بينه وبين احدهما عام وويزمن ؟

ولعل ستورس يقصد بعبارته تلك ان يسود روسيا مخطط حكماء صهيون! وستورس لم يأخذ معلوماته هذه العميقة من ويزمن، بل على الراجح انه اخذها

من ينابيعه التي وسائل اعلامها تدخل بين الكحل والعين . ثم يقول ستورس : لو شاء روتنبرغ ان يستجلب اليه اليهود في فلسطين يوم محنة ، لانضووا اليه دون غيره ، ولا سيما العمال الذين كانوا مرتاحين الى حسن معاملته لهم .

* * *

ذكرنافي موضع سابق شيئاً حول المشروعين اليهوديين الكبيرين في فلسطين لسنة ١٩٤٨ وهما مشروع استثمار الاملاح الكيماوية المختلفـــة في البحر الميت ويسمى هذا المشروع عادة بمشروع البوتاش وهـــذه تسمية مضللة لتخفي وراءها الاملاح المهمة التي تدخل في الصناعات الحربية ، ومشروع توليـــد الكهرباء في شمال فلسطين قرب طبريـــة . وفي حوادث ١٩٤٨ كان ينبغي للقوات العربية ان تدمّر مشروع توليد الكهرباء اذ كله شرايين الحيـــاة الصناعية والزراعية في فلسطين المحتلة ، فهذا لم يقع،وما وقع هو عكس هذا، فبقي المشروع سليماً وفي مأمن . وكان من المصلحة فيما يتعلق بمشروع الاملاح في البحر الميت ان يستولي العرب على المشروع بجميع اجهزته الآلية والفنية، اذ هو واقع في منطقة عربية منيعة ، ويكون بوسع العرب استثمار الاملاح ، وهذا لم يقع بل كانت الخطة المدّبرة الشريرة ان يُخَرِّب المشروع فَخُرِّب ، فخسر العرب من ذلك خسارة كبيرة حتى اليوم ، وهذه الخسارة ماضية ما بقي العرب على بُعدٍ من الاستثمار الفعلي لأهم كنز من كنوز المعادن يقع في اراضيهم.

* * *

ونود هنا ان نضيف الى ما قلناه هناك ، اشياء مهمة نأخذها من السيدة نيوتن . فهي تقول ان الصهيونيين لما شرعوا في بث الدعاية لهذا المشروع في بريطانيا،علّقوا الصور الكبيرة في الاماكن العامة بلندن، بحيث يظهر في تلك الصور الجذابة المنظر،نهر الاردن من ينابيعه عند بانياس والليطاني وغيرهما الى البحر الميت ، انه في حوزة اليهود خالصاً كله لهم .وكان مخططهم الاستيلاء على ينابيع الاردن كلها ، لكن لما عُدّلت الحدود بين فلسطين ولبنان ، وسوريا ، رأى اليهود ان الينابيع قد افلتت من ايديهم .

وأراد اليهود ان يظهروا جبروت نفوذهم عن طريق اخذ الامتياز دون علم العرب البتة ، فأخذوا الامتياز لسبعين سنة (١٩٩٢) قابلاً التجديد دون تغيير الشروط ، والشروط لم يسبق لها مثيل في اتساع الصلاحية للاستملاك وانشاء السدود وشق القنوات والطرق والمعابر واقامة المحطات ونصب الاعمدة والاسلاك كما يشاؤون ، ومعظم هذا بل كله في ارض العرب واملاكهم وهذه هي الناحية الصناعية الاقتصادية . وهناك ناحية دينية تتعلق بالمسيحية ، فطبريا ونهر الاردن من الاماكن المقدسة المسيحية ، وبوسع الشركة صاحبة الامتياز، ان تستعمل كل هذا استعمالاً تمتهن به القدسية الدينية التي لها مكانتها في النصرانية منذ نحو الفي سنة » .

لم ينته الكلام المؤلم على هذا الامر بعد . ومن شروط الامتياز الطاغي ، وهناك موقف العرب منه موقفاً اعتراضياً سلبياً ، انه لا يجوز توليد الكهرباء العامة في فلسطين الى جانب هذا ، الا ما يريد صاحب بيت ان يصنع لنفسه من جهاز توليد خاص لبيته ، دون ان يستطيع ان يمد السلك الى بيت اخيه وجاره ولو كانا متلاصقين .

وصمدت عدة مدن عربية على المقاطعة للمشروع ، حتى سنة ١٩٤٨ كنابلس والخليل واما مدينة القدس نفسها فانها مستثناة من امتياز روتنبرغ اذ كان امتياز انشاء الكهرباء فيها قد ناله غير عربي وغير يهودي من الحكومة العثمانية سابقاً ، ولم يستطع الصهيونيون تعطيله او ابطاله، فسوي أمره تسوية ابقت القدس خارج نطاق امتياز روتنبرغ حتى ١٩٤٨ ، والشركة التي تولت بالتالي استثمار كهرباء القدس ، انكليزية .

وبعد ان اعتزل لورد ريدنغ العمل في الهند ، حاكماً عاماً ونائباً عن الملك ، وريدنغ من صميم اليهودية ، صار هذا اللورد الذي كان حاكماً على شبه القارة الهندية بمئآت ملايينها من السكان ، رئيس مجلس الادارة في شركة روتنبرغ في لندن الى سنة ١٩٣٦ . فلما مات ، خلفه في هذه الرياسة هربرت صموئيل وبقي صموئيل يرعى هذه الشركة سنين طويلة . واوائل سنة ١٩٤٨

والجو غدا مشحونـاً بنذر الويل والخراب قبل« ٥/١٥ » علم في فلسطين ان هربرت صموئيل جاء من لندن بمهمة اتخاذ التدابير لتجنيب مشروع الكهرباء عوامل التخريب ، اذا وقـع النزاع المسلح بين العرب واليهود ، وقد كان له ذلك . وقد مضى الكلام على هذا .

ووجه الخطورة في اننـــا نرى عظماء اليهود المقدمين في صعيد اليهودية العالمية ، يتناوبون على الرياسة في هذه الشركة ، هو ما يختزنه البحر الميت من المواد الكيماوية التي تدخل في الصناعات الحربية المختلفة ، هـــذه صفحة من صفحات العمل الذي تظهر لنـــا منه ناحية ، وتختفي منه النواحي الاخرى . فاليهودية العالمية وراء كل هذا ، والبحر الميت معظمه الآن بيد العرب ، ولا املاح منه البتة للعرب !

٣٤ – بين البابوية ورؤوس الصهيونية

في ثلاث مقابلات مهمة :

قداسة البابا بيوس العاشر ، قابله هرتزل ١٩٠٣

قداسة البابا بنديكت الخامس عشر ، قابله سوكولوف ١٩١٧

قداسة البابا بنديكت الخامس عشر ، قابله ويزمن ١٩٢١

هذه ثلاث مقابلات خطيرة تكشف لنا عن كثير مما تبطن الصهيونية وتخفيه ، واذا أحرجَت بالسؤال ، كما جرى بين البابا بيوس العاشر وهرتزل ، لاذت بالروغان والإبهام . اما المقابلتان الأوليان ، فننقلهما من كتاب كريستوفر سايكس ، وأما مقابلة ويزمن فننقلها من مذكراته .

وكلمة موجزة حول كتاب كريستوفر سايكس ، وأبوه هو مارك سايكس ، الذي عرفه العرب منذ الحرب العالمية الأولى واشتهر اسمه عن طريق المعاهدة المشؤومة المعروفة **بمعاهدة سايكس – بيكو** ، ففي هذه المعاهدة التي جزّأت الأقطار العربية التي كانت تابعة للامبراطورية العثمانية ، وعقدت سنة ١٩١٥ ، كان سايكس يمثل الحكومة البريطانية ، وجورج بيكو ، يمثل الحكومة الفرنسية . وسنة ١٩٥٣ وضع كريسوفر كتاباً ينطوي على دراستين لرجلين عنوانه Two Studies in Virtue .

وهاتان الدراستان في المناقب ، احداهما تتناول ريتشارد سبثورب Richard Sibthorp أحد رجال الكنيسة في القرن الماضي ، وشغلت دراسته من الكتاب نحو ثلث صفحاته ، وتتناول الدراسة الأخرى ، مارك سايكس ،

والد كريستوفر ، في جهوده نحو الصهيونية ، اذ هو كان قد اعتنق الصهيونية سنة ١٩١٥ اعتناقاً لم يدر به العرب ، وكانت مساعيه من أقوى العوامل في حصول اليهود على وعد بلفور . وترك مارك سايكس وثائق واوراقاً مختلفة مما يعد كله مصدراً مهماً في أخبار النشاط الصهيوني في لندن بعد ١٩١٤ حتى نهاية الحرب . وهذه الدراسة شغلت من الكتاب القسم الأكبر منه . وكثير مما ذكره كريستوفر في كتابه من أخبار أبيه ، انما هو الاخبار المدونة في الاوراق التي تركها أبوه . وكانت لأبيه آراء وملاحظات قيّدها بوقتها . وانما ألمعنا الى هذا هنا ، لنقول ان ما انتهى الينا من أخبار المقابلتين الأوليين، بين البابا بيوس العاشر وهرتزل سنة ١٠٩٣ وبين البابا بنديكت الخامس عشر وسوكولوف ١٩١٧ ، قد استقاه المؤلف من تلك الأوراق .

* * *

بين البابا بيوس العاشر وهرتزل ١٩٠٣

قال كريستوفر (ص ١٥٦) ان آخر مقابلات هرتزل لملوك اوروبا ، مقابلته لقداسة بيوس العاشر ، وكانت هذه حَرية بأن تسترعي الانتباه ، وهذا قلما حصل ، ثم يمضي المؤلف بوصف المقابلة مما ننقله فقرة فقرة :

« المقابلة لم تكن منسجمة . فبعد تبادل عبارات المجاملات المعتادة ، بدأ هرتزل الكلام فأخذ يصف مخططه الذي يرمي الى ان تُمْنَح الاماكن المقدسة وضعاً خاصاً فوق العادة ، وهذا الوضع يؤلف ناحية من مخطط صهيوني أوسع واشمل ، يراد به التخفيف من بلاء اليهود ، قال هرتزل هذا دون ان يعرج بشيء على المصالح الدينية (أي المسيحية) فاستمع البابا اليه ببرودة ثم اجابه :

« هناك احتمالان اثنان : فإما ان اليهود يحتفظون بمعتقدهم القديم، ويظلون ينتظرون مجيء المسيح ، المسيح الذي نعتقد نحن انه قد جاء . وفي هذه الحالة يكون اليهود منكرين للاهوت يسوع المسيح ، فلا يكون بوسعنا ان نمدّ اليهم يد المساعدة ، واما انهم يريدون الذهاب الى فلسطين ، ولا دين لهم على الاطلاق ، وهذا ادعى لنا لنكون اقل عطفاً عليهم . ان الدين اليهودي

هو اساس ديننا ، غير ان اليهودية قد حلت محلها المسيحية ، ولهذا السبب لا يمكننا اليوم ان نعطي اليهود من المساعدة اكثر مما اعطيناهم من قبل [١] . ولما كان ينتظر ان يكون اليهود اول المستجيبين لدعوة يسوع المسيح فانهم لم يفعلوا هذا حتى اليوم .

« فجهد هرتزل ما استطاع ان يردّ على قداسة البابا ، مستعيناً بقوة بداهته ، وهو الآن اخذه الامتعاض فأجاب بتأثر : لم تكن النكبة ولم يكن الاضطهاد يوماً ، خير وسيلة لاقناع شعبنا ، على ما اعتقد . »

« فاستثارت هذه العبارة من قداسة البابا حميته الحارة ليفنّد مـــا قاله هرتزل فأجابه : « ان سيدنا يسوع المسيح أتى ولا قوة مادية له . وكان فقيراً ، وكان رسالة سلام . ولم يَضْطهد أحداً وانمـــا هو نفسه اضطهده المضطهدون ، وتخلى عنه الناس حتى بعض تلاميذه . وما أخذ سلطانه يقوى الا بعد انقضاء حياته على الأرض . بعد ذلك لا قبله . والكنيسة لم يتوطد سلطانها الا بعد تأسيسها بثلاث مئة سنة . وفي خلال هذا الوقت كله كان الباب مفتوحاً لليهود ان يؤمنوا بلاهوت السيد المسيح لكنهم لم يؤمنوا ولا يؤمنون اليوم » .

(١) علق المؤلف كريستوفر على هـــذا بقوله ان المساعدة المعنية هي الـــتي كانت في زمن كاليكتوس الثاني ، وغريغوري التاسع، واينوسنت الرابع، وغريغوري العاشر، ومارتن الرابع، وبولس الثالث ، مما يتعلق « بسرقة الدم » والخطف والقتـــل ، لاستعمال دم الضحية في الطقوس الدينية اليهودية .

قلت : ان قضية «سرقة الدم»هذه لم يبرأ منها اليهود في الماضي والحاضر وحوادثها الثابتة بالتحقيق القانوني في كل بلاد وقعت فيها ، عديدة . واهم حادثة في سوريا اشتهر امرها ، هي خطف الاب توما الراهب الكبوشي في دمشق ، آخر ايام ابراهيم باشا ابن محمد علي (١٨٤٠) وثبتت الجريمة على نحو عشرة من يهود دمشق ، ولما صدرت الاحكام عليهم بالاعدام قامت قيامة اليهودية العالمية تتوسط لدى محمد علي في مصر حتى عفا عن المحكومين . وتجـد في قضية « البادري » او الاب توما ، المحسن ، المداوي للفقراء مجانـــاً اغرب الخفايا اليهودية المتعلقة بسرقة الدم . وقد وردت صور اوراق التحقيق في كتاب « الاصول العربية لتاريخ سوريا » . وكان « مونتفيوري » الذي له ترجمة وافية في المجلد الثاني من هذا الكتاب ، هو رسول اليهودية العالمية الى محمد علي يحمل في جيبه من الملكة فكتوريا وُصاة الكتب، ومن صناديق « حكماء صهيون » الذهب ، ثم لا عجب !

« ومع ان هرتزل كان يمقت الكثلكة اكثر من سائر بني قومــه اليهود في ايامه ، فلم يكن له بد ان يتأثر بعبارات البـــابا وهي مجلوة بجلال البساطة والبراءة ، كما دون هذا في مذكراته .

« وبعد امتداد الحديث فترةً اخرى ، حاول هرتزل لآخر مرة ان يحوّل مجرى الحديث من الدين الى ناحية اخرى ، مفيضاً بين يدي قداسة البابا في شرح ما يلقى اليهود من ضنك اجتماعي سياسي ، حتى انتهى . ولدينا هنـا الدليل الكافي على ان بيوس العاشر ، وهو يعيش في جو ايطالي نقي ، كما كان يعيش سلفه من قبل ، كان قليل الاطلاع على ما بلغته اللاسامية من العنف في اواسط اوروبا وفرنسا وروسيا ، وهو سبق له أن كان اسقفاً في منتوا Mantua تسع سنوات ..... فرفض ان يخوض في تفصيلات مآسي اليهود في هذا العصر ، وهرتزل على ما يبدو ، وهذا ما يدعو للعجب ، لم يحـاول ان يقدم الى البابا معلومات اوسع . ثم عاد البابا فكرر آراءه ، وقال انالكنيسة تصلي من اجل اليهود ، وفي مثل هذا اليوم الذي نحن فيه (٢٥ يناير) اننا نحيي ذكرى رجــل كان غير مؤمن ، فأشرق عليه النور وهو في طريقه الى دمشق ، فآمن بدين الحق بطريقة مدهشة . وغاية ما بوسعي ان اقوله لك انكم انتم اليهود اذا استطعتم الاستيطان في فلسطين ، فجلّ ما نقـــدر على مساعدتكم به هو الكنائس والقسس لتعميدكم »

«ثم انتهت المقـــابلة بنكتة مرفهة . فدخل كونت لبّاي الذي على يديه رُتّبت المقابلة ، ولعله استاء اذ رأى انه هو كان السبب في تقديم رجل غير مسيحي الى خليفة مار بطرس ، وفي محاولته ان يلطف الجو ، فقال للبابا : ان هرتزل سبق له الثناء على السيد المسيح كثيراً وعلى شمائله . فانصت هرتزل يستوعب ما يسمع ، ثم كان بعدئذ مغتبطاً اذ يسمع البابا يجيب لباي مقاطعاً: كلا ، كلا ، فاني على العكس ، مرتاح الى لقاء السنيور كومنداتور . ولمـــا حـــان وقت الانصراف ركع لبّاي وقبل خاتم البابا . ومثل هذا لم يفعل هرتزل لما دخل ، ومع انه هو غير مسيحي ، ولا يكون بتصرفه الذي كان

منه خارجاً عن الرسم المتبع ، فقد اعتقد ان قسوة البابا كان سببها انه لم يقبل يده . ونحن نؤمن ان استنتاج هرتزل لا يتفق وكل ما نعلمه من دماثة الخلق في بيوس العاشر . غير ان هرتزل عجب مما رأى من مظهر الغبطة على وجه البابا ، لما فعله لبّاي ولم يفعله هو . ودوّن هرتزل الخاتمة بقوله : امـا انا فصافحته مصافحة مع الانحناءة » .

انتهى كلام كريستوفر المؤلف .

* * *

بين البابا بنديكت الخامس عشر وسوكولوف ١٩١٧

لما قام هرتزل بمقابلة البابا سنة ١٩٠٣ على ما رأينا ، كانت بريطانيا سنئذ قد عرضت على هرتزل اقليماً واسعاً طيب الهواء والارض في يوغندا ، شرق افريقيا ، لينشىء اليهود لهم هناك وطناً قومياً ، فلم يقبل يهود روسيا بذلك. واصروا على فلسطين . ويعتبر قادة الحركة الصهيونية ان العشر سنوات التي انقضت من وقت موت هرتزل الى اول الحرب العالمية الاولى ، اشبه بالركود في اطراد النشاط . ومن الصعب تصديق قولهم هـذا ، فالنشاط الصهيوني السري داخل المملكة العثمانية اواخر سني عبد الحميد ، وداخل جمعية تركيـا الفتاة السرية ، كان قوياً لكنه كان خفياً . وكذلـك في فلسطين ، اذ بدا نشاطهم على نطاق واسع في شراء الاراضي ، وفي خلال هذه المدة كان فريق من قادتهم في فلسطين يعملون في تدريب الشباب تحت أقنعة مختلفة ومن هؤلاء المدربـين بن غوريون نفسه وقد جاء فلسطين ١٩٠٦ . وقد مر بنا استشراء خطرهم في أنحاء الدولة العثمانية سنة ١٩١٣ لما نال اليهود ٤ حقائب وزارية نتيجة آخر انقلاب في الدولة ثم وقعت الحرب العامة سنة ١٩١٤ وسنة ١٩١٧ نالوا وعد بلفور .

« في هذه السنة ١٩١٧ جرت مقابلة سوكولوف للبابا بنديكت الخامس عشر ، وقد كانت انتهت مفاوضات وعد بلفور الى ما يريد اليهود ، ولكن

هذا لم يعلن بعد . والبابا الآن بنديكت الخامس عشر. وكان مارك سايكس قد سبق سوكولوف الى روما ، ورتب له أمر المقابلة بواسطة السفارة البريطانية، ومضى سايكس من هناك الى القاهرة في مهمة سياسية عربيـة : حتى جاء سوكولوف روما بعد ثلاثة أسابيع (في ١٠/٥/١٩١٧) وتمت المقابلة . غير ان سايكس لم يكتف بترتيب أمر المقابلة، بل اتصل برجل كبير في الفاتيكان مقرب جداً من البابا ومسموع الكلمة عنده ، هو المونسنيور باشيلي (بعدئذ البابا بيوس الثاني عشر) وكيل وزير الخارجية ، فحادثه سايكس وبسط له العُقَد المحيطة بقضية القدس من الحركة العربية، والأماكن المقدسة الاسلامية، والصهيونية ، والمصالح الدينية المتضـاربة بين اللاتين والارثوذكس ، وهذا بالاضافـة الى مطامع الدول . ومع ان وكيل الوزير لم يُفِضْ في الحديث كثيراً ، غير انه أبدى ملاحظته وهي ان وضع الأماكن المقدسة تحت رعاية بريطانيـة شيء لا يتنافى وسياسة الفاتيكان . وقال سايكس انه لمح من كلام وكيل الوزير ان ذكر فرنسا في مجرى الحديث كأنه شيء لم يَستَطِبْه . وقال سايكس ايضاً ان الفرصة اتسعت له فمهد الطريق امام الفكرة الصهيونية وبيّن لوكيل الوزير غاياتها ، وقال له ان سوكولوف قادم الى روما وهو يعطي المزيد وكل تفصيل . وقال سايكس ايضاً ان الفاتيكان لا ينتظر ان يكون متحمساً للفكرة الصهيونية ، ولكن وكيل الوزير يسره ان يلقى سوكولوف على كل حال .

* * *

« وصل سوكولوف وقابل البابا على يد مونسنيور باشيلي . وكانت النتيجة كأن اثر المقابلة السابقة بين بيوس العاشر وهرتزل قد امّحى ، حتى بالتـالي سأل البابا زائره : أتراني قد أدركت مقاصد الصهيونية ادراكاً وافياً ؟ وما أعجب دورة الفلك – استمر كلام البابا – وعودة التاريخ الى ان يعطي العبرة ! فمنذ ١٩ قرناً قامت روما بتدمير بيت المقـدس ، والآن ، انتم تريدون اعادة بنائها ، تجعلون طريقكم على روما !!

« فأجاب سوكولوف جواباً ضمنـــه الاشارة الى مصير الامبراطورية الرومانية وقابل بين ذلك ومصير اليهود الذين اتصل كيانهم واطرد الى اليوم وقال : فريقٌ اضمحل واندثر ، وفريقٌ بقي حياً يطالب بأرض جدوده !

« فقال البـــابا بحماسة : نعم ، نعم ، تلك هي ارادة الله . ثم سأل البابا هرتزل ان يبين له مقاصد الصهيونية بشيء من التفاصيل فأجاب سوكولوف : مخططنا مزدوج . فهو يرمي أولاً الى ايجاد مركز روحي ثقافي لليهـــود في فلسطين ، وثانياً الى انشاء وطن قومي لليهود المضطهدين ، ومرادنا ان نشيد في هذه البلاد مركزاً عظيماً حيث يستطيع اليهود ان ينموا ثقافتهم بحرية ، وان يعلّموا اولادهم المثل اليهودية وينشؤوهم على الروح اليهودية ، وان يبذلوا غاية جهدهم في ان يجعلوا وطنهم القومي مظهر المدنية اليهودية وآدابها .

« فبدا البابا عميق الوعي فقال : فكرة عظيمة ! ثم أراد أن يعلم هل هذا المخطط قد اتخذ لغاية وقاية اليهود من الاضطهاد ، فاجاب سوكولوف باسلوب خطابي عاطفي الروح ، على ما اتفق له من مؤاتاة البديهـــة ، فاشار الى حق اليهود « في مكان تحت الشمس في ارض آبائنا » ثم قـــال : واننا نتطلع الى احياء اليهودية التاريخية ، وتجديد الوطن روحياً ومادياً ، تجديداً تتمثل فيه مميزاتنا القومية وتقاليد توراتنا في انقى صورها . اننا نطالب بحق الحوية ، الحرية التي لا تنكر على ايّ شعب » .

فسأل البابا : اهناك مجالٌ من الارض كاف في فلسطين يتسع لمخططكم هذا ؟ »

قال كريستوفر : وفي الجواب على هذا السؤال الذي ما برح يطرح الى ما بعد هذا التاريخ بثلاثين سنة ، وعليـــه المدار في المستقبل ، قال سوكولوف بحذقِ مَنْ يريد المراوغة : هناك امكان الوصول الى غرضنا ، لكن علينا ان نمهد الطريق » . ثم انتقل الحديث الى عدد المستعمرات اليهودية في فلسطين في ذلك الوقت ، وهو عدد قليل والسكان ١٢ الفا ، والى الصعوبة المنتظر ان تكون من جراء الانتقال بالبلاد على يد الانكليز من مستواها الحالي الى المستوى حضاري يحل

محل الحكم التركي . فاجاب البابا مقاطعاً : ان بريطانيا الكبرى هي اكبر دولة استعمارية في العالم ولا خبرة بعد خبرتها

ثم انتقل الحديث الى بحث المقاصد الصيهونية ازاء الاماكن المقدسة، لكن قبل هذا سأل البابا سؤالا يتعلق بأساس المشروع، وقد تجددت ملامح وجهه: اتنوون ان يقيم في فلسطين عدد كبير من اليهود ؟

وهنا ، مرة ثانية ،لاذ سوكولوف بالروغان مفرغاً جوابه في قالب مطّاط براق ، فقال : سنأتي بخير من عندنا ، وبالذين اشدهم وقوعاً في الضيق ، ثم انتقل بمجرى الكلام الى حيز الاعمال الزراعية الكبيرة ، وما صنع الرواد ، ثم عطف من هناك على حالة اليهود في شرق اوروبا .

قال كريستوفر : وآخر كلمات البابا في هـذه المقابلة ، جواباً على طلب سوكولوف المساعدة المعنوية ، وهذا طالما ردّده الصهيونيون فيما بعد : نعم اعتقد اننا سنكون جيراناً جيرةً حسنة »

واحب كريستوفر ان يورد جواب البابا بلفظه الايطالي ، وهو هكذا:

« Si, Si, io credo che noi saremo buoni vicini »

وقال في الحاشية ان محتوى هذا الحديث بين البابا وسوكولوف اقتبسه من تقرير وضعه ابن سوكولوف ، مستر فلوريان سوكولوف ، مستنداً فيـه على الاوراق التي خلـّفها ابوه ، ونشر هذا في مجلة **صهيون** في عدد يناير ١٩٥٠

* * *

بين البـــابا بنديكت الخامس عشر ووايزمن ١٩٢١

ان التفصيل الذي ذكره ويزمن في كتابه لهـذه المقابلة ، ليس له مساق واضح ، وانك تشعر وانت تقرأه بأن الرجل يتوكأ على كثير من الترقيع المصحوب بروح الارتماض . ودوره سنة ١٩٢١ ، والوطن القومي شرع فيه . غير دور هرتزل ١٩٠٣ ودور سوكولوف ١٩١٧ بين يدي البابا . فهو لايعطي

القارىء كل ما في جعبته حول الموضوع ، فتراه بين ان يسوق نقطة وان يجلوها ، وان يستر منها ما ينبغي ان يكون متصلاً بها ،طالعاً نازلاً في كلامه ، ولا يخفى علينا ان ويزمن لم يضع مذكراته للعرب ، بل لكل قارىء يعرف الانكليزية فقصده تمثيل قضية،وحكاية يهودية غامضة ، وسرد قصة جذورها في الظلام . هذه الصفحة هي في اعتقادنا الصبغة الغالبة على كتابه **التجربة والخطأ** وقد صدر سنة ١٩٤٩ في طبعته الانكليزية الاولى .

وهذه هي الأشياء المتقطعة التي نستطيع ان نجمعها من اقوال ويزمن نعلم منها انطباعاته عن مقابلة البابا سنة ١٩٢١ :

١ - قال ان في سنة ١٩٢١ - ٢٢ احتاج الى كثرة السفر الى اوروبا والتنقل في عواصمها ، والانتداب لم يتقرر بعد . وكانت هناك مسألة الفاتيكان وموقفه من اليهود او الصهيونية بسبب الأماكن المقدسة ، فأحب ان يقابل البابا ويحاول كشف الغطاء ، لان بطريرك اللاتين في القدس ، مونسنيور بارلسينا كان شديد العداء للصهيونية ولا يذكر ويزمن اسم قداسة البابا بيوس الحادي عشر في غضون كلامه ، ولعله من شدة الشعور المرتمض في نفسه تغافل عن التصريح باسم البابا .

٢ - قال : ان السنيور شانزير كان وزير الخارجية الايطالية ، وهو من تريستا ، ويحتمل ان يكون من أصل يهودي . فوقع بينه وبين ويزمن حديث شائك حول الأماكن المقدسة ، وألح عليه الوزير بأن يبذل جهده لحل المسألة حلاً قريباً يرضي الفاتيكان . فتنصل ويزمن من المسؤولية لأن مرجع الامور ليس هو بل حكومة فلسطين .

٣ - ثم تلقى دعوة ليزور الكاردينال غسباري وزير الخارجية ، فزاره فوجده محشواً حشواً بالاخبار المنقولة اليه من مونسنيور بارلسينا ، المخاصم للصهيونية ، وذكر انه القى محاضرة في **الكلية الرومانية** ، وعلقت على المحاضرة جريدة **اوسرفاتور رومانو** الناطقة بلسان الفاتيكان ، وفي ثاني يوم اطلع فيها على خبر القائه المحاضرة ومما جاء في

هذا الخبر ان الدكتور ويزمن « بيّن في محاضرته ان المنظمة الصهيونية في فلسطين لديها من الاراضي للاستثمار ما يكفيها عشر سنوات للمستقبل فهي لا تحتاج الى ان تنتزع الارض من العرب » . فلما جاء لمقابلة الوزير في صباح اليوم التالي بادره الوزير بقوله : كانت محاضرتك امس حسنة يا دكتور ويزمن ! فقال ويزمن : اتعني محاضرتي في الكلية الرومانية ام في اوسرفاتور رومانو؟ وبعد المقدمات دخلا في الحديث حول الاماكن المقدسة . وهنا جعل ويزمن كلامه ضرباً من المراوغة ، ولما راح يصف للوزير ما تقوم به المنظمة الصهيونية من اعمال باهرة في الزراعة وتجفيف المستنقعات والتشجير ، والخدمات الطبية والتعليم ، اجاب الوزير ان كل هذا حسن لا يخشى منه ، وانما ما يخشى منه هو الجامعة العبرية ، على جبل الزيتون ، وهنا اورد ويزمن اصل العبارة بالفرنسية .

« C'est votre universitè que je crains »

ولا يعلق ويزمن على هذا بشيء .

٤ – ثم يذكر مَنْ قابل مِنْ رجال الدولة الايطالية . ثم يصف حالة يهود ايطاليا وقال انهم اقرب الى الاندماج منهم الى الصهيونية . لكن أخذوا بعد قليل يدخلون في العقائد الصهيونية . انتهى ما لخصناه من مذكرات ويزمن التجربة والخطأ .

* * *

ونتمم خبر الدكتور ويزمن ، بخبر اخيه الذي هو اصغر منه سناً وكان يعمل في دائرة الزراعة في حكومة فلسطين، وعمله هنا ليس خدمة الحكومة ولا البلاد جملة ، بل غايته كانت ، كما هي اساليب المنظمة الصهيونية ، ان يكون واقفاً على مخطط الحكومة زراعياً مما يتعلق بالعرب ، فيعرقل منها ما يستطيع بطرق غريبة الاساليب . ولا يتردد اي قارىء في ان يصدق هذا . فاذا تردد فتردده سيزول عندما يقرأ البروتوكولات . تقول السيدة نيوتن ، انها كانت يوماً في بيتها وعندها ضيف عربي من اصدقائها مدعو للغداء

وبينما هي والضيف وغير مدعوين على المائدة ، جاءت الخادمة تعلن دخول زائر ، وكان هذا الزائر الطارىء وقت تناول الغداء ، على غير موعد ، وليس هذا الوقت وقت الزيارة ، هو ويزمن الزراعي وكان يقيم في حيفا . وبهذا الاسلوب جاء مرة كلفرسكي لغرض التجسس فيما يتعلق بمحادثة اطلاع السيدة نيوتن فريقاً من العرب على محتوى البروتوكولات وقد مضت الاشارة الى هذا في الجزء الاول ، وبعد الانتقال الى الصالون وفي اثناء تناول القهوة ، جرى حديث شائك بين ويزمن ونيوتن والضيوف،تناول طغيان الصهيونية في فلسطين ، وهذا سنة ١٩٢٥ ، وسنتئذ افتتح اليهود الجامعة العبرية على جبل الزيتون،وهي الجامعة التي كان يخشاها وزير خارجية الفاتيكان ، وذلك قبل ان افتتحت الجامعة باربع سنين . فسألت السيدة نيوتن ويزمن الزراعي : قل لي ، هل انتم اذا بلغتم مرادكم في فلسطين تريدون ان تحولوا الهيكل (اي الحرم القدسي الشريف اولى القبلتين وثالث الحرمين) الى ما كان عليه قبلاً ، من طقوس يهودية متزمتة ، وعادات ورسوم وطرق؟ (وفي سؤالها هذا رمز الى ما كان عليه الهيكل زمن السيد المسيح من الامتهان فلما دخله السيد طرد منه باعة الحمام والصيارفة والمشتغلين بحقائر الامور ، وقلب الموائد والمقاعد وقال لليهود الذين وجدهم على هذه الصفة في الهيكل ، بيتي مكتوب بيت الصلاة يدعى وانتم جعلتموه مغارة لصوص !)

فاجاب ويزمن الزراعي : كلا ، فاننا قد وضعنا اسس بناء الجامعة العبرية على جبل الزيتون المطلّ على الهيكل ، وفي هذه الاسس وضعنا ١٢ حجراً ، بعدد اسباط بني اسرائيل ، بحضور الجنرال اللنبي (الذي لما دخل القدس فاتحاً ١٩١٧ قال كثيرون في اوروبا : اليوم انتهت الحروب الصليبية ! ثم قامت دولة الفاتح فحولت فلسطين الى اصحاب المغارة بالامس !)

ويذكر الدكتور ويزمن في مذكراته انه واخوته وافراد اسرته احتفلوا

بعيد ميلاد والدتهم في حيفا ، واشاعوا حولها جواً عائلياً بهيجاً ، فاذا بها بدلاً من البشر والانطلاقة تبدو بوجه كئيب حزين ، فسألها الدكتور ويزمن السبب في ما هي عليه من كآبة بادية على وجهها فقالت بعد ان تأوّهت : لأني يا حايم لا ارى كل اليهود قد عادوا الى فلسطين بعد! قلنا: لن يعودوا!!

***

ولا بد للقارىء العربي ان يكون قد اخذه الدهش من جواب قداسة البابا لسوكولوف (ص ١٧٢) « اعتقد اننا سنكون جيراناً جيرةً حسنةً » وهذا الجواب كان سنة ١٩١٧ ، ولمّا أُقيمت اسرائيل وتحكمت بالاقلية العربية الباقية في الارض المحتلة ، ونحن اليوم في سنة ١٩٦٦ علم العالم اي اضطهاد ينزله اليهود بالعرب مسلمين ومسيحيين ، الى هدم المساجد والكنائس مما وقائعه معروفة في العالم . . وغاية حكماء اسرائيل الاّ يدعوا مجالاً لدين غير دينهم في ما يسمى اسرائيل .

الجزءُ الثّاني

يشتمل على ترجمة نصوص البروتوكولات ترجمة توافق نصوص الطبعة الانكليزية الحادية والثمانين الصادرة سنة ١٩٥٨ للسيد فيكتور مارسدن المبنية على أول طبعة بالروسية ظهرت سنة ١٩٠٥ للعلّامة سرجي نيلوس.



البروتوكول الأول

الحق للقوة ـ الحرية : مجرد فكرة ـ الليبرالية ـ الذهب ـ الايمان ـ الحكومة الذاتية ـ رأس المال وسلطته المطلقة ـ العدو الداخلي ـ الدهماء ـ الفوضى ـ التضادّ بين السياسة والاخلاق ـ حق القويّ ـ السلطة اليهودية الماسونية لا تُغلب ـ الغاية تبرر الواسطة ـ الدهماء كالرجل الاعمى ـ الابجدية السياسية ـ الانشقاق الحزبي ـ افضل انواع الحكم : السلطة المطلقة ـ المسكرات ـ التمسك بالقديم ـ الفساد ـ المبادىء والقواعد للحكومة اليهودية الماسونية ـ الارهاب ـ الحرية والعدالة والاخاء ـ مبادىء حكم السلالات الوراثية ـ نسف الامتيازات التي للطبقة الارستقراطية من «الغوييم» ـ الارستقراطية الجديدة (اليهودية) ـ الحالات النفسانية ـ المعنى المجرد لكلمة « حرية » ـ السلطة الخفيّة التي تُقصي ممثلي الشعب

اننا نتناول كل فكرة على حدة، ونمحّصها تمحيصاً : بالمقارنة والاستنتاج، حتى تتبين لنا ماهيتها بذاتها ، ونرى ما يلابسها ويحيط بها من حقائق . وأما اسلوب الكلام فنجري عليه سهلاً خالياً من زخرف الصناعة .

وما عليّ ان ابدأ بشرحه الآن ، هو منهجنا في العمل ، فأشرح ذلك من ناحيتين : وجهة نظرنا ، ووجهة نظر الغوييم .

وأول ما يجب ان يلاحظ ان الناس على طبيعتين : الذين غرائزهم سقيمة، والذين غرائزهم سليمة ، والأولون اكثر عدداً . ولهذه العلة ، فخير النتائج التي يراد تحقيقها من التسلط على الغوييم بطريق الحكومة ، انما يكون بالعنف والارهاب ، لا بالمجادلات النظرية المجردة ، اذ كل امرىءٍ مشتهاه الوصول الى امتلاك زمام السلطة ، وكل فردٍ يودّ لو أصبح دكتاتوراً . وقليلون الذين

لا يشتهون تضحية مصالح الجمهور من أجل منافعهم الخاصة .

ولعمري ما هي الروادع التي تكفُّ الحيوانات المفـترسة عن الوثوب ، وهذه العجماوات ما هي إلا الغوييم؟ وما هو الامر الذي قام فيهم حتى اليوم اضبط احوالهم ؟

اما بدايتهم ، بداية تكوين المجتمع ، فانهم كانوا مأخوذين بالقهر من القوة الغاشمة العمياء ولهذه القوة كانوا خانعين ، أمَّا بعد ذلك ، فسيطر عليهم القانون الموضوع ، وهو القوة الغاشمة نفسها ، ولكنه جـاء بزيٍّ مختلفٍ في المظهر لا غير . وأستنتج من هذا انه بموجب ناموس الطبيعة ، الحق للقوة .

* * *

الحرية السياسية انما هي فكرة مجردة ، ولا واقع حقيقي لهـا . وهذه الفكرة ، وهي الطُّعْم في الشَّرَك ، على الواحد منا ان يعلم كيف يجب ان يطبقها ، حيث تدعو الضرورة ، لاستغواء الجماعات والجماهـير الى حزبه ، ابتغاء ان يقوم هـذا الحزب فيسحق الحزب المناوىء له وهو الحزب الذي بيده الحكومة والسلطة .

وهذا العمل انما يصبح اهون وايسر ، اذا كان الخصم المراد البطش به قد اخذته عَدْوَى فكرة الحرية المسمَّاة باسم **ليبرالية** ، وهذا الحزب مستعدٌ من اجل ادراك هذه الفكرة المجردة ، ان ينزل عن بعض سلطته . وهنا، جزماً، يكون مطلع انتصار فكرتنا . وتحصل حينئذ حال اخرى : فما للحكومة من زمام ، يكون قـد استرخى واخذ بالانحلال فوراً ، وهذا من عمل قانون الحياة ، فتتسلط اليد الجديدة على الزمام وتجمع بعضه الى بعض وتقيمه ، لان القوة العمياء في الامة لا تقوى على البقاء يوماً واحداً دون ان يكون لها موئل يهيمن عليها بالضبط والارشاد ، ثم تمضي الحكومة الجديدة بالأمر ، وجلُّ ما تفعله انها تحل محل الحكومة السابقة الـتي نهكتها فكرة الليبرالية حتى أودت بها .

هذا الطور كان فيما مضى . اما اليوم فالقوة التي نسخت قوة الحكام من انصار الليبرالية هي الذهب . ولكل زمان ايمـان يصحّ بصحته . وفكرة الحرية مستحيلة التحقيق على الناس ، لأن ليس فيهم من يعرف كيف يستعملها بحكمةٍ واناة. وانظروا في هذا،فانكم اذا سلّمتم شعباً الحكم الذاتي لوقت ما ، فانه لا يلبث ان تغشاه الفوضى ، وتختلّ اموره ، ومن هذه اللحظة فصاعداً يشتدّ التناحر بين الجماعات والجماهير حتى تقع المعارك بين الطبقات ، وفي وسط هذا الاضطراب تحترق الحكومات ، فاذا بها كومة رماد .

وهذه الحكومة مصيرها الاضمحلال ، سواء عليها أدَفَنَتْ هي نفسهـا بالانتفاضات الآكلة بعضها بعضا من داخل،ام جرّها هذا بالتالي الى الوقوع في براثن عدو من خارج ، فعلى الحالتين تعتبر انها اصيبت في مقاتلهـا، ففدت اعجز من ان تقوى على النهوض لتقيل نفسها من عثرتها،فاذا بها في **قبضةيدنا.** وحينئذٍ تأتي سلطة رأس المال ، وتكون جاهزة، فتمدّ هذه السلطة بطرف حبلٍ خفيٍّ الى تلك الحكومة الجديدة لِتَعْلَق به ، طوعـاً ام كرهاً ، لحاجتها الماسة اليه ، فان لم تفعل هوت الى القعر .

فاذا قال قائلٌ من هواة الليبرالية ان هذا النهج المتقدمة صورته ، يلمنافى وشرع الاخلاق ، سألناه : اذا كان لكل دولة عدوّان ، وجاز للدولة في مكافحة العدو الخارجي ان تستعمل كل وسيلةٍ وطريقةٍ وحيلةٍ ، دون ان يُعَدّ عليها هذا او ذاك انه شيء لا تقرُّه الاخلاق ، كأن تُعمّي على العدو خطط الهجوم والدفاع ، حتى لا يدري منها شيئاً ، وكأخذه بالمباغته ليلاً، او بالانقضاض عليه بعددٍ ضخمٍ من الجند لا قبل له به ، افلا يكون من باب أولى في مكافحة العدو الداخـلي الذي هو شرّ من ذاك ، وهو العدو المخرب لكيان المجتمع ومصالح الجمهور،ان تستعمل هذه الوسائل للقضاء عليه؟ وكيف يبقى مساغ للقول ان هذا الامر اذا جاز هناك فلا يجوز هنا ؟ والحق الذي لا ريب فيه ان تلك الوسائل اذا كانت سائغةً مطلقةً هناك ، ومباحةً ، فلا تكون هنا منهيّاً عنها فلا يؤخذ بها .

ولعمري كيف يكون ممكناً لدى ايّ حكيمٍ بصير ، ان يأمل في ادراك الفلاح والفوز ، في قيادة الجماهير الى حيث يريد ، اذا كانت عدته ما هي الا الاعتماد على مجرد منطق الرأي والارشاد ، والجدل والمقال ، حيثما تعترضه مقاومة ، او رماه الخصم بعورةٍ حق ولو كانت من الترّهات، واصغت الجماهير الى هذا ، والجماهير لا تذهب في تحليل الامور الى ما هو ابعد من الظاهر السطحي ؟

* * *

فالرجال الذين نحسبهم من الآحاد وفي الطليعة ، اذا ما سَبَحُوا في غمرة الجماهير المؤلفة من الدهماء ، فحينئذٍ لا يستولي على هؤلاء الرجال وجماهيرهم الا سائق الاهواء ، والمعتقدات الرخيصة ، وما خفّ وفَشَا من العادات والتقاليد والنظريات العاطفية ، فيقعون في مهوى التطاحن الحزبي ، الامر الذي يمنع اتفاقهم على ايّ قرار ، حتى ولو كان هذا القرار واضح المصلحة ولا خَفَاء في ذلك ولا مطعن. ثم ان كل قرار يضعه الجمهور العابث ، يتوقف مصيره حينئذ إمّا على فرصة مؤآتية تمضي به إلى غايته، وإمّا على كثرة كاثرة تؤيده ، ولكن الكثرة لجهلها اسرار السياسة وبواطنها ، فالقرار الذي يخرج من بين يديها لا يكون الا سخريةً ومهزلةً ، وانما في هذا القرار تكمن بذرة الفساد ، فتفسد الحكومة بالنتيجة ، فتدركها الفوضى ولا مناص .

* * *

فالسياسة مدارها غير مدار الاخلاق ، ولا شيء مشترك بينهما ، والحاكم الذي يخضع لمنهج الاخلاق لا يكون سائساً حاذقاً ، فيبقى ما يبقى على عرشه مهزوزاً متداعياً . واما الحاكم اللبيب الذي يريد ان يبسط حكمه فيجعله وطيداً ، يجب عليه ان يكون ذا خصلتين : الدهاء النافذ ، والمكر الخادع. واما تلك الصفات التي يقال انها من الشمائل القومية العالية ، كالصراحة في اخلاص ، والامانة في شرف ، فهذا كله يعدّ في باب السياسة من النقائص لا الفضائل ، ويسرع بالحكام الى ان يتدحرجوا من على عروشهم ولا منقذ لهم ،

ويكون هذا أكـيَد لهم وأنكى ، وأفعل في تفكيكهم وتهديمهم من الذي يأتيهم من قِبَلِ اكبر عدو يتربّص بهم . وتلك الصفات منابتها ممالك الغويم وحكوماتهم ، فهي منهم وهم بها اولى . وحذار حذار ان نقبل مثل هذا نحن .

حقنا منبعه القوة . وكلمة حق ، وجدانية معنوية مجردة ، وليس على صحتها دليل . ومفادها لا شيء اكثر من هذا : اعطني ما اريد فابرهن بذلك على اني اقوى منك .

فأين يبتدىء الحق واين ينتهي ؟

فاني اجد في كل دولة استولى الفساد على ادارتها ، ولا هيبة بقيت لقوانينها ولا سطوة، ولا مقامات مرعية لحكامها ، وانطلق الناس الى مطالب الحقوق، فكل ساعة ينادون بمطلب جديد ويسقطون مطلباً ، فاختلطت دعاويهم وتضاربت ، وصار لكل حزبٍ من الافتنان والهوى ، حقٌ باسم الليبرالية — اني اجد هنا في مثل هذا الموطن ان اهاجم باسم الحق ،وهو حق القوة فاذرو في الهواء جميع هياكل الانظمة والاجهزة الجوفاء ، وآتي بشيء جديدٍ يحل محل الذاهب ، واجعل نفسي حاكماً سيداً على هؤلاء الذين تركوا لنا الحقوق التي كانوا يبنون عليها حكمهم ، واما مصيرهم هم فالاستسلام الى ما كانوا يحملون من عقائد الليبرالية .

وتتميز قوتنا في مثل هذه الحالة الرجراجة ، عن كل قوة أخرى ، بمميزات امنع وأثبت ، واقوى على ردّ العادية ، لانها تبقى وراء الستار ، متخفيةً ، حتى يحين وقتها، وقد نضجت واكتملت عدّتها ، فتضرب ضربتها وهي عزيزة ، ولا حيلة لأحد في النيل منها أو الوقوف في وجهها .

ومن هذا الشر الموقت الذي نُكرَه على ايقاعه ، يخرج الخير ، هو خير الحكم الجديد الذي لا تهزّه ريح ، فيردّ الأمور المنحرفة من جهاز الحياة الوطنية الى نصابها ويجعلها في الطريق القويم . وكل هذا كانت الليبرالية قد

مزقته . فالنتائج تبرر الأسباب والوسائل . فعلينا في وضع منهجنا ان نراعي ما هو أفيد وضروري اكثر مما نراعي ما هو اصلح واخلاقي .

* * *

وامامنا الآن مخطط ، وفي هذا المخطط رُسِمَتْ الطريق التي يجب علينا ان نسلكها نحو غايتنا ، وليس لنا ان نحيد عن هذا قيد شعرة ، الا اذا فعلنا ذلك مجازفة ومخاطرة ، فنخسر نتائج عملنا لعدة قرون ، فيذهب كله سدى.

ولكي نُوَفَّق الى بناء الامور على ما نريد من الصحة والكمال في افعالنا، لا بدّ لنا ان نأخذ بعين الاعتبار مـــا يكون عليه جمهور الدهماء من طباع خسّة ونذالة ، وتراخٍ ، وقلة استقرار ، وفراره من حالة الى حالة ، وفقده القدرة على اكتناه امور حياته ، وافتقاره الى نظرة الجد وصحة العزم ، فهو متعامٍ عن رؤية وجه مصالحه . ويجب ان يكون واضحاً ان قوة الدهمـاء عمياء ، تخدّرت منها حاسة الشعور ، ولا تجري في الفهم والاستيعاب على نطاقٍ معقول ، وهي أبداً رهن أي مستفزّ يستفزّها من أي ناحية . واعمى لا يقود أعمى الا الى هاوية ، وفي النهـاية يخرج افراد من الدهمـاء ومن سواد الشعب ، لا يعدو طورهم ان يكونوا ممن لا خبرة لهم ولا سابق تجربة ، وقد يكون لهم من النبوغ مظهر برّاق ، ولكن لقصورهم عن النفاذ الى بواطن المسائل السياسية المحجبة ، فانهم لا يلبثون ، اذا استطاعوا أولاً بلوغ الزعامة وقيادة الدهماء ، ان يهووا ، فتهوي معهم الأمة ، فينتقض الحبل كله .

وانما هناك رجل واحد مجرّب ، رُبِّي منذ الصغر على فهم الحكم المستقل وتَمَرَّس به ، بوسعه ان يعي ويزن جيداً الكلمات التي تتركب منهـا ابجدية السياسة .

والشعب الذي يُترك وشأنه ليستسلم الى امثال هؤلاء الذين يظهرون على المراسح فجأة من صفوفه ، يجني على نفسه اذ تقتله منازعات الاحزاب ، المنازعات التي يزيد من شدة أوارها حب الوصول الى السلطات ، والازدهاء

بالمظاهر والألقاب والرياسات ، وكل هـــذا في فوضى شاملة . أفتستطيع الدهماء ، بهدوء وسكينة ، وبلا تحاسد وتباغض ، ان تتعاطى مهمات المصلحة العامة ، وتديرها على الحكمة ، دون ان تخلط بين هـــذا ومصالح خاصة ؟ أتستطيع ان تدافع عن نفسها في وجه عدوٍّ خارجي ؟ لا لعمري ! لأن المسألة التي تتخطفها الأيدي تتمزق بعدد الايدي التي تتخطفها ، مآلها ان تشوَّه ، وتفقد الانسجام بين اجزائها ، فتتعقَّد ، وتُبْهِم ، وتستعصي على ان تقبل التنفيذ .

* * *

ولا يتم وضع المخطط وضعاً كاملاً محكماً الى آخر مــداه ، الا على يد حاكم مستبد قاهر ، يقوم على ذلك حتى النهاية ، ثم يوزعه أجزاء على جهاز الدولة ، فيتعلق كل جزء بآلته الخاصة به من جهــة التنفيذ ، ونستنتج من هذا بالضرورة ان الوضع الذي ينبغي أن تكون عليه الدولة مع اللياقــة والكفاية ، هو الوضع الذي يجتمع كله في يد رجل مسؤول . وبلا سلطــة مطلقة ، لا حياة للحضارة ، والحضارة لا تقوم على الدهماء ، بل على يد مَنْ يقود الدهماء ، كائناً من يكون ذلك الرجل القائد . والدهماء قوة همجية ، وهذه القوة تتجلى في كل مناسبة واقعة . وفي اللحظة التي تتسلم فيها الدهماء الحريــة ، وتجِدُ نفسها قادرةً على التصرف كما تشاء ، تقع الفوضى فوراً ، وهذا الضرب من الأختباط أسوأ ضروب التردي الانساني الأعمى .

* * *

انظروا الى الحيوانات المدمنة على المسكر ، تدور بروسٍ مدوَّخة ، ترى من حقها المزيد منه فتناله اذا نالت الحرية . فهــذا لا يليق بنا ، ولا نسلك نحن هذه الدروب . فشعوب الغوييم قد رنحتها الخمرة ، وشبابهم قد استولت عليهم البلادة من نتيجة ذلك ، فأخملتهم وألصقتهم بالبقاء على القديم الموروث الذي عرفوه ونشأوا عليه ، وقد ازدادوا اغراء بأوضاعهم هــذه ، على يد المهيأين من جهتنا خاصة للدفع بهم في هذا الاتجاه - كالمعلمين المنتدبين للتعليم

الخاص ، والخدم ، والمربيات والحاضنات في بيوت الاغنيـــاء ، والكتبة والموظفين في الأعمال المكتبية وسواهم ، وكالنساء منا في المقاصف واماكن الملذات التي يرتادها الغوييم . وفي عداد هذا الطراز الاخير ، اذكر ما يسمى عادة « بمجتمع السيدات » ، او « المجتمع النسائي » حيث المعاشرة مباحة للفساد والترف . وشعارنا ضد هذا : العنف ، واخذ الناس بالحيلة ليعتقدوا ان الشيء المتعلقة به الحيلة كأنه صحيح ٌ لا ريب فيه . وانما بالعنف وحده يتم لنا الغلب في الامور السياسية ، ولا سيما اذا كانت ادوات العنف مخفية ، من المواهب الذهنية مما هو ضروريّ لرجال السياسة . فالعنف يجب أن يُتَّخذ قاعدةً وكذلك المكر والخداع ، وما قلناه مما ينبغي ان يكون شعاراً ، كل هذا فائدته العملية ان يتخذ قاعدة في الحكومات التي يراد ان تتخلى عن تيجانها تحت أقدام الممثل الجديد لعهد جديد . وهـــذا الشر هو الوسيلة الوحيدة لبلوغ الغاية المقصودة من الخير . ولذلك لا ينبغي لنا ان نتردد في استعمال الرشوة والخديعة والخيانة ، متى لاح لنا ان بهـــذا تحقق الغاية . وفي السياسة يجب على الواحد المسؤول ان يعرف كيف تقتنص الفرص فوراً ، اذا كان من نتيجة ذلك الاستسلام الى السلطة الجديدة .

ودولتنا الماضية قُدُماً في طريقها ، طريق الفتح السلمي ، من حقها ان تبدّل اهوال الفتن والحروب بمـــا هو أخف وأهون ، وأخفى عن العيون ، وهو اصدار احكام بالموت ، ضرورية ، من وراء الستـــار ، فيبقى الرعب قائماً ، وقد تبدلت صورته ، فيؤدي ذلك الى الخضوع الأعمى المبتغى .

قل هي الشراسة . ومتى ما كانت في محلها ولا تتراجع الى الرفق، غدت عامل القوة الأكبر في الدولة . وان تعَلـَّقـنا بهذا المنهج، ولا يراد به المكسب والمغنم فحسب، بل نريده ايضاً من اجل الواجب انتحاءً بالقافلة نحو النصر ، ونعود فنقرر أنه هو العنف ،واخذ الناس بالحيلة ليعتقدوا ان الشيء المتعلقة به الحيلة كأنه صحيح لا ريب فيه .

في الزمن الماضي ، كنا نحن أول من نادى في جمـــاهير الشعب بكلمات

الحرية والعدالة والمساواة ، وهي كلمات لم تزل تردّد الى اليوم ، ويردّدها من هم بالببغاوات أشبه ، ينقضّون على طُعم الشرك من كل جو وسماء ، فأفسدوا على العالم رفاهيته كما أفسدوا على الفرد حريته الحقيقية ، وكانت من قبل في حرز من عبث الدهماء .

والذين يرجى ان يكونوا حكماء عقلاء من الغوييم ، واهل فكر وروية ، لم يستطيعوا ان يفهموا شيئاً من معاني هذه الالفاظ التي ينادون بها ، الفارغة الجوفاء ؛ ولا ان يلاحظوا ما بين بعضها بعضاً من تناقض وتضارب ، ولا ان يتبينوا ان ليس في اصل الطبيعة مساواة ، ولا يمكن ان تكون هناك حرية ، اذ الطبيعة هي نفسها قد صنعت الفروق في الاذهان والاخلاق والكفايات ، وجعلت هذه الفروق ثابتة كثبات الخضوع لها في سننها ونواميسها . وعَجَز أولئك ايضاً عن ان يدركوا ان الدهماء قوةٌ عمياء ، وان النخبة الجديدة المختارة منهم لتَوَلّي المسؤولية ، هي خلوٌ من التجربة . وهي بالقياس الى ما تتطلبه السياسة ، عمياء كالدهماء ، حتى ولا فرق . واللوذعي وان كان مجنوناً فبوسعه ان يصل الى الحكم ، بينما غير اللوذعي ، ولو كان عبقرياً ، فلا يدرك كنه السياسة . وهذه الاشياء كلها لم يفقه الغوييم من بواطنها واسرارها شيئاً ، ومع هذا ، فقد كانت عهود الحكم ، وحكم السلالات في الماضي عند الغوييم ، ترسو على هذه الاغاليط ، فكان الأب ينقل الى ابنه معرفة اصول السياسة بطريقة لا يشارك فيها احدٌ الا افراد السلالة ، ولا احد منهم يفتح هذا الباب للرعية . ومع اطراد الزمن صار معنى احتكار هذا الامر في السلالات يعروه الابهام والكمود ، حتى تلاشى واضمحلّ . وهذا بالنتيجة ساعد في انجاح قضيتنا .

* * *

وفي جميع جنبات الدنيا، كان من شأن كلمات حرية – عدالة – مساواة ان اجتذبت الى صفوفنا على يد دعاتنا وعملائنا المسخرين ، مَنْ لا يحصيهم عدّ من الذين رفعوا راياتنا بالهتاف . وكانت هذه الكلمات ، دائماً هي السوس

الذي ينخر في رفاهية الغوييم ، ويقتلع الأمن والراحة من ربوعهم ، ويذهب بالهدوء ، ويسلبهم روح التضامن ، وينسف بالتالي جميع الاسس التي تقوم عليها دول الغويا . وهذا ساعدنا ايضاً في احراز النصر ، على ما ترون من البيان بعد قليل : فما اعطانا المُكْنة التي توصلنا بها الى **الورقة الرابحة** ، هو سحق الامتيازات ، او بتعبير آخر ، نسف ارستقراطية الغوييم نسفاً كلياً تاماً ، وقد كان اهل هذه الطبقة هم الوقاء الوحيد للدفاع في وجهنا من وراء الشعوب والبلدان . وعلى انقاض ارستقراطية الغوييم وارث محتدها القديم ، بنينا ارستقراطية من طبقتنا المتهذبة الراقية ، تتوّجها ارستقراطية المال . وجعلنا اوصاف ارستقراطيتنا مستمدة من نبعتين : المال ، وهذا امره يقع على عاتقنا ، والمعرفة ، وهذه تستقى من حكمائنا الشيوخ ، وهذا منهم هو القوة الدافعة .

والظفر الذي بلغناه ، قد جاء ايسر واهون ، لاننا في تعاملنا مع الناس الذين احتجنا اليهم ، كنا دائماً نضرب على ادق الاوتار حساسية في ذهن الانسان ، ومن جملة ذلك **الدفع نقداً** ، واستغلال النهمة نحو المال ، والشره الى الحاجات المادية للافساد ، وكل واحدة من هذه النقائص الانسانية ، اذا عملت وحدها ، كانت كافية لتشلّ نشاط الفرد كله ، وتجعل قوة ارادته مطاوعةً ملبيةً ، مستجيبةً للذي اشترى منه العمل .

وكان من شأن المعنى المجرد لكلمة « الحرية » ان عضّدَتا في اقناع الدهماء في جميع البلدان ان حكوماتهم ما هي الا حارس الشعب والشعب هوصاحب القضية ، فالحارس يمكن تغييره وتبديله ، كقفاز قديم نبذ وجيء بجديد .

وانما هي هذه المُكْنة ، مكنة تبديل ممثلي الشعب ، ما جعل الممثلين طوع امرنا ، واعطانا سلطة تسخيرهم .

البروتوكول الثاني

الحروب الاقتصادية – اسس التفوق اليهودي – الحكومـــات الصوريـة و « المستشارون السريون » – نجاح التعاليم المدمّرة – المرونة في السياسة – الدور الذي تمثّله الصحف – ثمن الذهب وقيمة الضحايا اليهودية

ان غرضنا الذي نسعى اليه ، يحتّم ان تنتهي الحروب بـلا تغيير حدود ولا توسع اقليمي ، وينبغي تطبيق هذا ما امكن . فاذا جرى الامر على هذا قدر المستطاع ، تحولت الحرب الى صعيد اقتصادي وهنا لا مفرّ ان تدرك الامم من خلال ما نقدم من مساعدات، ما لنا من قوة التغليب ، تغليب فريق على آخر ، ومن التفوق ، ونفوذ اليد العليا الخفية . وهذا الوضع من شأنه ان يجعل الفريقين تحت رحمة عملائنا الدوليين الذين يملكون ملايين العيون اليقظة التي لا تنام ، ولهم مجالٌ مطلق يعملون فيه بلا قيد . وحينئذٍ تقوى حقوقنا الدولية العامـــة على محق الحقوق القومية الخاصة ، في نطاق المعنى المألوف لكلمة حق ، فيتسنى لنا ان نحكم الشعوب بهـــذه الحقوق تماماً كما تحكم الدول رعاياها بالقانون المدني داخل حدودها .

* * *

والاشخاص الذين نختارهم من صفوف الشعب اختياراً دقيقاً ضامناً لنا ان يكونوا كاملي الاستعداد للخدمة الطائعة ، لن يكونوا من طراز الرجال الذين سبق لهم التمرس بفنون الحكم والحكومة ، حتى يسهل اقتناصهم والوقوع المحكم في قبضة يدنا ، فنتخذ منهم مخالب صيد ، ويتولاهم منا اشخاص اهـل علم مكين وعبقرية ، يكونون لهم مستشارين من وراء ستار ، واختصاصيين

وخبراء ، وهؤلاء الرجال المختارون منا ، يكونون قد نُشّئوا منذ الصغر تنشئةً خاصة ، وأُهّلوا لتصريف شؤون العالم تأهيلاً كاملاً ، ويكونون ، كما تعلمون ، قد مضى عليهم زمن ، وهم يرتضعون معلوماتهم التي يحتاجون اليها، من مناهجنا السياسية ودروس التاريخ ، ومن ملاحظة سير الحوادث وهي تقع على توالي الوقت . أما الغوييم فقد بَعُدَت الشقة بينهم وبين ان يكونوا قادرين على الاهتداء الى الحكمة ، بالملاحظة التاريخية غير المتحيزة ، اذ جُلُّ ما تبلغ استنارتهم به هو الطرق النظرية على نمطٍ رتيب ، دون ان يتعمقوا في تسليط العين الفاحصة النافذة على مدار النتائج للحوادث. فليس بنا من حاجة، والحالة هذه، ان نقيم لهم ايّ وزن - فلندعهم في حالهم وما يشتهون ويحبّبون، حتى تأتي ساعة اقتناصهم، او يظلوا يعيشون على الآمال تنتقل بهم من مشروع خيالي الى آخر، ويتباهون بذكريات ماسبق لهم التمتع به من لُبَانات . وليبق هذا كله دورهم الرئيسي الذي يمثّلون . وقد نجحنا في إقناعهم بأن ما لديهم من معلومات نظرية، انما هو من حُرٍّ محصول العلم . وما دام غرضنا هو هذا ، فدأبنا بواسطة صحفنا ان نرسّخ فيهم الاعتقاد بصحة ما يحملون من نظريات وآراء. اما اهل الفكر منهم، فينتفخون ازدهاءً بما لهم من حظّ المعرفة، وتراهم ، وهم غُفلٌ عن الاستعانة بوضع التجربة على محك المنطق ، يندفعون الى وضع نظرياتهم موضع العمل ، ولكن ما هو في نظرهم علم ومعرفة ، إنْ هو في الواقع الا ما عُنِيَ عملاؤنا الاختصاصيون بتصنيفه لهم بحذقٍ ومهارةٍ ، وهُيِّء هذا كله لتتنور اذهانهم به على الاتجاه الذي نريد .

اياكم ان تعتقدوا ، ولو للحظة واحدة ، ان ما اقول هو من الكلام القليل الجدوى : فما عليكم الا ان تتفكروا في ما صنعنا لانجاح النظريات الدروينية والماركسية والنيتشية . اما نحن اليهود، فما علينا إلا ان نرى بوضوح ما كان لتوجيهاتنا من اثرٍ خطير في التلبيس على افهام الغوييم في هذا المجال.

ولا بد لنا في منهجنا هذا ، ان نأخذ بعين الاعتبار ، ما عند الامم من طراز فكر ، وخلق ، ونزعة ، واتجاه . وانما نفعل هذا لكي نحترز به من

الانزلاق في معالجاتنا السياسية والتوجيه الاداري ، فلا نعثر ولا نكبو . وان انتصار منهجنا ، الموزعة اجزاؤه على مختلف المناحي توزيعاً يصيب كل ناحية بما يؤاتيها منه ، حسب امزجة الشعوب التي تقع في طريقنـــا — ان انتصارنا المتوخّى، قد يفشل ويحبط دون ادراك الغاية ، اذا كان تطبيقنا للمنهج ليس مبنياً على الاحكام المستمدة من صفوة دروسنا الماضيـــة ، نطبقها على ضوء الحاضر .

* * *

ولا يخفى ان في ايدي دول اليوم آلةً عظيمةً تستخدم في خلق الحركات الفكرية ، والتيارات الذهنية ، الا وهي الصحف . والمتعين عمله على الصحف التي في قبضتنا ، ان تدأب تصيح مطالبة بالحاجات التي يفترض انها ضرورية وحيوية للشعب ، وان تبسط شكاوي الشعب ، وان تثـــير النقمة وتخلق اسبابها ، اذ في هذه الصحف يتجسد انتصـــار حرية الرأي والفكر . غير ان دولة الغوييم لم تعرف بعد كيف تستغل هـــذه الالة ، فاستولينا عليها نحن ، وبواسطة الصحف نلنا القوة التي تحرّك وتؤثـّر ، وبقينا وراء الستار . فمرحى للصحف ، وكفـّنا مليءٌ بالذهب ، مع العلم ان هذا الذهب قد جمعناه مقابل بحار من الدماء والعرق المتصبب . نعم ، قد حصدنا ما زرعنا ، ولا عبرة ان جلّت وعظمت التضحيات من شعبنا . فكل ضحية منا انها لتضاهي عند الله الفاً من ضحايا الغوييم .

البروتوكول الثالث

الافعى الرمزية ومغزاها - الاختلال في الموازين الدستورية - الارهاب في القصور - وسائل القوة والمطمح - المجالس النيابية و«الثرثارون» من خطباء وكتّاب - سوء استعمال السلطة - العبودية الاقتصادية - اسطورة «حقوق الشعب» - نظام الاحتكار والارستقراطية - جيش اليهودية الماسونية - تناقص الغوييم - الجماعات وحقوق رأس المال - الدهماء وتتويج الملك السيد على العالم كله - القـاعدة الاساسية للتعليم في المدارس الاهلية - الماسونية في المستقبل - السر العلمي في حقيقة هيكل المجتمع وتركيبه - الازمة الاقتصادية العـالمية - ضمان الامان لشعبنا - السلطة المطلقة في الماسونية وقيام المملكة التي يسودها العقل - لا قائد ولا مرشد - الماسونية والثورة الفرنسية الكبرى - الملك المتسلط المستبد من نسل صهيون - الاسباب التي تولي الماسونية المنـاعة فلا تقهر - الدور الذي يمثله عملاء الماسونية السريون - الحريـة

بوسعي اليوم ان اعلمكم ان هدفنا قد تدانى واقترب ، فلم يَبْقَ بيننا وبين الوصول اليه إلاّ بضع خطوات ، في مسافة قصيرة . وبنظرةٍ الى الوراء ، ندرك ان الطريق الطويلة التي اجتزناها كادت تنتهي ، ثم تقفل الافعى الرمزية دورتها ، وهذه الافعى هي رمز شعبنا في قيامه بهذه المراحل . وعندما تغلق هذه الحلقة ، تمسي الدول الاوروبية جميعاً محصورةً ضمن دائرتها ، والافعى قد تكوّرت من حولها كالكـلاّبة .

* * *

واننا سنرى موازين الدساتير لأيامنا هـــذه عمّا قريب تنهار ، اذ نحن

أقمناها ونصبناها ، وجعلناها على شيء من الخلل في تركيبها عَمْداً ، بحيث تبقى دائمة الحركة على مدارها ، بين ان تشيل تارةً وترجح طوراً ، لتذوب وتتلاشى مادتها في النهـــاية ، كما يذوب بالتالي مدارها كله . وأما الغوييم ، فهم تحت الاعتقاد الموهوم انهم أحكموا وأحصفوا اقامة هـــذه الموازين ، وراحوا يعلّقون عليها الأهمية ، وينتظرون حسن انتظـــام سيرها ، لعلهم يدركون يوماً ما يأملون . غـير ان مدارات الموازين – الملوك الذين هم على العروش – هم في شغل عن ذلك لأنهم غدوا محوطين بزمر ممثلي الشعب ونوابه ، وجعَلَ هؤلاء يرقصون للملوك على كل لحن يلذّ لهم ، وتوزعت السلطة فوضى ، يتناتشها كل فريق قدر استطاعته ، والسلطة التي بيد هؤلاء الممثلين انما وصلت اليهم عن طريق الارهـاب الذي بالتالي وصل زفـيره الى داخل القصور . وتقطعت الحبـال التي ينبغي ان تكون الصلة بين الملك والشعب ، فلا شيء بعد ذلك يصل بينهما . فبقي الملك على عرشه خائفاً يترقب ، يتوقع مداهمة البغتات من الطامعين في السلطة . ونحن قد أنشأنا برزخاً يفصل بين السلطـة العليا للدولة ، وسلطـــة الشعب العمياء ، فصار كل فريق في حيّز ، وفقَدَ معناه وصار أمرهما كالأعمى قد حيل بينه وبين عصاه .

ولكي نحرّض طلاّب الوصول الى السلطة على ان يَثِبوا الى ما يشرهون اليه ويسيئوا استعماله ، فقد حرّكنا جميع قوى المعارضة في مختلف جبهاتها ، ليقوم هذا في وجه ذاك ، ونفخنا في كلٍّ منهم الروح التي تهزّه ، فانطلقوا بنزعاتهم الليبرالية نحو طلب الاستقلال . وإيقاعاً للإخلال ، ولا مهرب ، فقد جارينا كل فريق وما يهوى ، وسلّحنا جميع الأحزاب ، وجعلنـا الوصول الى السلطة الغرض المقدس فوق كل شيء . واما الدول ، فاتخذنا من منازعاتها حلبةَ صراعٍ حيث يشتد التصادم والاقتتال . ولن يمضي بعد هذا إلا القليل من الوقت حتى العالم أجمع يأخذ يتخبط في الفوضى والافلاس .

واتخذ طلاب الوصول ، وهم أكثر من ان يُحْصَوا ، من قاعات البرلمانات

والمجالس الادارية العـــالية ، ساحات ومنابر للخطابة الرخيصة . وكثر الصحافيون المحترفون واصحاب الاقلام الذين يعيشون على حرفـــة التحرش والوقيعة ، ودأبهم أن يطرقوا كل يوم أبواب السلطة التنفيذية للأجر والمكافأة . واتسع شيوع المخازي من سوء استعمال صلاحيات الوظائف اتساعاً يدلّ على أن مؤسسات الدولة بأصولها وفروعها ، قد تهيأت ونضجت لتعصف بهـــا الرياح المقبلة ، فيثور الشعب برعاعه ودهمائه ، ويجعل عالي الأمور سافلها .

* * *

ونرى الشعب الآن قد نهشته أنيـــاب الفقر ، فصار في عبوديته أسوأ من عبودية رقّ الرَّقَبَة ورق الأرض من قبل ، وأمره مغلق . أما العبوديـــة القديمة ، فقد كان أمرها أهون ، إذ يستطيع الشعب التحرر منها بوسيلة ما ، أمّا من هذا الفقر المدقع المحيط به ، فلا أمل له في النجاة ، وقد جعلنـــا الدساتير تنص على الحقوق نصاً صريحـــاً ، وهي ما يسمى **بحقوق الشعب** . وأما الشعب نفسه ، فانه لا يناله من هذا شيء ، وهو لا يجد هذه **الحقوق** إلا خيالاً وسراباً ، ويوقن العامل الكادح ان لا جدوى له من تلك النصوص الفارغـة والخطب الجوفاء في القاعات ، إذ يدور حول نفسه ، فاذا به باقٍ على الطوى يعاني الشدائد ، ولا يصيبه أيُّ خـــير من الدستور ونصوصه ، إلا ما يتساقط عليه من فُتات الموائد في مواسم الانتخابات العامة ، لينتخب المرشح الذي يُملى عليه اسمه من قِبَل عملائنا . والحقوق التي ينالها في بلاد الحكم الجمهوري ليس له منها إلا المرارة ، وهي لا تخفف من أعبائه شيئاً ، بل تسلبه من الناحية الأخرى جميع الضمانات التي تكفل له بعض الأجور المنتظمـة ، وتجعـــله يلجأ الى الاضرابات مع رفاقه ، او تراه موقوفـــاً محجوزاً عليه بأمر سادته .

والشعب بارشادنا قد محا الطبقة الارستقراطية التي كانت تدافع عنه وتحميه لمنفعتها منه إذ مصالحها مشتركة . ونرى الشعب اليوم بعد نسفه الطبقـــة

الارستقراطية، قد أطبَقَتْ على مخنّقه أيدي صغار المرابين يمتصّونه امتصاص العَلَق ، فأسترقوه وقيّدوه .

فنأتي نحن الآن بدورنا ، ونظهر على المسرح مدّعين حبّ انقاذ العامل الفقير مما هو فيه من بلاء . فندعوه أن ينتظم في صفوف جندنا المقاتل تحت لواء الاشتراكية والفوضوية والشيوعية ، واما حملة هذه الألوية فمن دأبنا أن نساعدهم اتباعاً لقاعدةٍ أخويةٍ مزعومةٍ وهي تضامن الانسانية ، وتلك من قواعد الماسونية عندنا . أما الطبقة الارستقراطية التي يُوليها القانون الوسيلة لتستثمر تعب العمال البائسين ، فانها أمست الآن مرتاحة قريرة العين ، اذ ترى هؤلاء العمال قد اكتسوا ، ورُدّت اليهم العافية في ابدانهم . هذا ، بينما خطتنا نحن ، على النقيض من هذا تماماً : ان تسود الفاقة ، ويتناقص كيان الغوييم . وآلتنا تكون قويةً ، اذ استحكمتْ حلقات المجاعة وأزمنت، وحلّ الهُزَال بالعامل ، فيكون معنى هذا كله ان العامل اصبح في الطريق الى ان يمسي مستعبداً لارادتنا ، وهو يعلم انه لن يجد في حكومته المُكْنة ولا الطاقة ولا الهمة ولا العزم ، ليقف شيء من ذلك في طريقنا . والجوع يخلق لرأس المال الحق ليتحكم بالعامل تحكماً ما مارست مثلّه الطبقة الارستقراطية في أيامها ، حتى ولو كان الملوك من ورائها يُمِدّونها بسلطة القانون .

* * *

وبالفاقة ، وما تولّده وتفرّخه من حسد وبغضاء ، نستطيع ان نهيج الدهماء ونحوّل ايديهم الى سلاح يدمّرون به ما يكون في طريقنا من عقبات. ومتى ما دقت الساعة منذرةً بمجيء مولانا الملك ، ملك العالم كله ، ليعلو التاج مفرقيه ، ستكون هذه الأيدي العمالية نفسها ، هي الأيدي التي تزيل من الطريق كل عقبة .

* * *

ونرى الغوييم قد فقدوا صحة التفكير كأنهم في ضلال ، إلاّ اذا أيقظتهم

مقترحات الاختصاصيين منا ، فهم أقصر نظراً من أن يروا ما نرى نحن ، من الضرورة التي تقضي باحداث ما سَنُحْدث يوم تقوم مملكتنا ، واول ذلك ، وهو بالغ الخطورة ، ادارة التعليم في المدارس الوطنية الأهلية ، بحيث يقتصر على تعليم عنصرٍ واحدٍ بسيط من عناصر المعرفة ، وهو اسّ المعارف كلها : كيف يتركب كيان الحياة الانسانية ، والكيان الاجتماعي . وهـذا يقضي بتقسيم العمال الى فئات ، وبالتالي تقسيم النـــاس الى طبقات ، ولكل طبقة اوضاعها ، ويكون من الضروري ان يعلم الجميع انه بسبب اختلاف الغايات من النشاط الانساني ، لا يمكن ان تكون هناك مساواة . ولا يستوي اثنان في ميزان واحد : فان الذي يعمل عملاً تتأثر بنتائجه طبقةٌ بكاملها ، ليس على استواءٍ امام القانون مع الذي يعمل عملاً لا يتأثر بنتائجه الا هو نفسه ، صانع العمل ، وحده ، وسيكون من شأن المعرفة الصحيحة لتركيب بنية المجتمع ، وعلى اسرار هذا لا نطلع الغوييم ، ان تظهر لجميع الناس ان العمل وما يلزمه من وضع ، كل ذلك يجب ان يضبط ضبطاً ضمن حدود معينة ، حتى لا يبقى بعد ذلك سبب يجر الانسانية الى الشقاء ، مما يؤدي اليه التعليم الحالي الذي لا يتفق مع العمل الذي يطلب من الأفراد القيـــام به . وبعد الاحاطة الوافية بهذه المعرفة ، سيبادر الناس من تلقـــاء أنفسهم الى طاعة السلطة وقبول الأوضاع التي تعينها لهم الدولة . اما قيمة المعارف في الوقت الحاضر ، وما أعطيناه من ارشاد لتوجيهها ، فظاهرٌ في اننا نرى الشعب الذي يصدّق كل ما تقع عليه عينه في الصحف والكتب يبطن الكراهة العمياء لأيّ وضع يراه أعلى من وضعه الحالي ، وسبب هذه الكراهة ناشيء عن عدم فهمه شيئاً من معنى الطبقة ، ولا من معنى الوضع اللازم لها ، وهو مخبول في أمره ، بما نلقي اليه من تلقين يضلـّله ، ويزيد من جهالته .

* * *

وهذه الكراهة ستبلغ امداً ابعد ،اذا ما هبّت عليها رياح أزْمةٍ اقتصادية تجمّد التعامل في البورصات ، وتشل دواليب الصناعة ، واننا بالوسائل

السرية التي في أيدينا ، سنخلق ازمــــةً اقتصاديةً عالميةً لا قِبَل لأحد باحتمالها ، فتقذف بالجموع من رعاع العمال الى الشوارع ، ويقع هــذا في كل بلدٍ أوروبي بوقتٍ واحد . وهذه الجموع ستنطلق هازجة الى الدماء تسفكها بنهمة وقَرَم ، هي دماء الطبقة التي يكرههـــا العمال من المهد ، وتنطلق الأيدي في نهب الأموال ويبلغ العبث امده الأقصى .

اما اموالنا نحن ، فلن يمسها العمال ، لاننــــا نكون واقفين على مواقيت حركاتهم وسكناتهم ، فاذا ما حاولوا ان يتوجهوا نحونا ، عرفنا كيف نصدّهم ونحمي جهتنا من عدوانهم .

وقد بينّا من ناحيتنا ان التقدم المادي من شأنه ان يجعل الغوييم يثوب الى حكم العقل ويستظل بظله . وهذا بعينه ما ستفعله سلطتنا المستبدة . فهي تعلم كيف انها تستطيع بالقسوة الحكيمة العادلة ان تستأصل جذور الاضطراب وتسكّن هائجه ، وان تتناول الليبرالية بالكيّ لتبرأ من علتها ، ولا تتناول بالكي غيرها من المؤسسات .

واذا ما رأى سواد الشعب ، بطبقته العامة ، أنّ جميع الامتيازات التي كانت للطبقات الاخرى قد زالت ، كما زال ايضاً ما كانت عليه تلك الطبقات من هوى وانغماس،فانه يَلِجَ باب الاعتقاد انه هو صائر سيداً مطاعاً، ولكنه يبقى سراً لا يعلم انه هو ، وقد نَسَف بيته بيده، امسى كالاعمى الذي واجهه ركامٌ من حجارة فعثر ، وكلما حاول ان ينهض عاد فعثر ثانية،فراح يستنجد بمن يكشف له الطريق فازدادبلبلة ، وغاب عنه ان الاولى بـــه ان يعود الى الوراء ، الى وضعه السابق . وفي النهاية يستسلم بجميع ما لديه تحت اقدامنا. تذكروا الثورة الفرنسية التي نحن اطلقنا عليهـــا نعت الكبرى ، فان اسرار تدابيرها عندنا لاننا نحن صنعنا ذلك بأيدينا .

* * *

ولم نزل منذ الثورة الفرنسية نقود الشعوب ونحررهامن طلاسم الشعبذات،

وفي النهايــة ستتحول الشعوب عنا ايضاً التفاتا الى الملك – المتسلط من سلالة صهيون ، وهو الذي نـُعِدّ ونهيّء للعالم .

ونحن اليوم بصفتنا قوةٌ دوليةٌ فلا نغلب ، لأنه اذا هاجَمَنَا فريقٌ انتصر لنا فريقٌ آخر. والمسألة مسألة خسّة في شعوب الغوييم مما لا حدّ له .وهذه الشعوب تزحف على بطونها نحو القوة ، ولكنها لا تعرف الرحمة امام الضعيف، ولا العفو عن المخطىء ، وهي شديدة الانغماس في الاجرام ، وليس لها طاقة لتحمل المتناقضات في نظام اجتماعي حرّ ، ولكنها صبور على الاستشهاد بين يدي متسلطٍ عاتٍ جريء – وهذه الصفات هي مـــا يساعدنا نحو ادراك الاستقلال . واذا نظرنا الى الغوييم من أول قيام المستبدين المتسلطين في الارض حتى هذه الساعة ، نجدهم قد تحملوا العذاب وطاقوا من الجراحات ما كان جزء قليل منه يكفي للاطاحة بعشرات من رؤوس الملوك .

* * *

فبماذا تُفَسّر هذه الظاهرة ، وهذه الاحوال التي يطابق عليها العقـــل ، اعني وقوف هذه الشعوب مواقف متناقضة من الحوادث الـتي هي من جنس واحد ؟

لا يُفَسّر هذا إلاّ بالمُشَاهَد الواقع ، وهو ان المتسلطين على هذه الشعوب يهمسون في آذانها بواسطة العملاء انهم ما أتوا من كبائر الا لغاية عظيمة ، وهي انزال الضربة الكبرى بالدولة التي نهكتهم ، وهذه هي الخدمة الفضلى لمصالح الشعوب ، والذود عن الاخوّة الدولية التي هم فيها على صعيد واحد ، واقامة التضامن والمساواة . وطبعاً ، لا يقول المتسلطون للشعوب مـــا هو الحق ، وهو ان توحيد الناس على ما يشيرون اليه ، لا يمكن ان يحقّق الا في عهد ملكنا السيد المستقلّ .

* * *

فالشعوب كما ترون ، تجرّم البريء وتـُطـْلق المجرم . وتظلّ على مزيد من

الاعتقاد انها تستطيع ان تفعل ما تشاء . وشكراً لهذه الحـــال : فالشعب يدمرّ كل شيء وطيد ثابت ، ويخلق الاضطراب في كل خطوة يخطوهـــا .

فكلمة حرية تجرّ الجماعات الى مقاتلة كل قوة و سلطة ، حتى انها لتقاتل الله وتقـــاوم سننه في الطبيعة . ولهذا السبب نحن متى ما اقمنا ملكنا ، سنمحو هذه الكلمة من معجم الحيـــاة ، لانها توحي بمبدأ القوة الغاشمة التي تجعل الدهماء عطاشاً الى الدماء كالحيوانات .

* * *

ومن طبيعة هذه الحيوانات حقاً انها تأخذها سِنَةُ النوم إثرَ كل مرةٍ تجرع فيها كأساً دهاقاً من الدم ، وبينما هي كذلك مستكنـّة ، يسهل وضع القيد في ارجلها ، ولكن اذا لم يتسنّ لها شراب الدم فلا تنام ، وتبقى آخذة بالعراك .

البروتوكول الرابع

الادوار التي تجتازها الجمهورية – الماسونية الاممية عند
(الغوييم) – الحريـــة والايمان – المنافسة
الدولية الاقتصاديـــة – دور المضاربات
عبادة الذهب

كل جمهورية لا بد لها ان تجتاز عدة ادوار في حياتها . فالاول يتضمن ايامها الأولى بعد قيامها ، وهنا تبرز عناصر الهوج والجنون ، وتَسُود يد الهمج والرعاع ، يتمايلون بالعهد يمنةً ويسرةً تمايل الثمل . والثاني ، تبرز فيه اوشاب الشعب ، التي تتبع كل ناعق يقوم فيها داعياً محرضاً ، وهنا العشّ الذي تخرج منه الفوضوية وتأخذ بالدبيب . وهـــذا في مآله ظهور المستبد المتسلط – ولا شرعية يستند اليها ولا يعمل في وضح النهار ، ومع هذا فهو متسلط – يحمل تَبِعَةً ، ومسؤولٌ ايضاً ، لكنه مسؤول الى قوة خفيّة غير منظورة ، او الى منظمة سرية ، تديره من وراء حجاب ، وهذه تخبط على ما يحلو لها بلا وازع ولا رادع ، لانها انما تعمل في الخفاء ، مستترةً وراء العملاء الذين يتبدلون ، وتبدّلهم ليس منه أذى ، بل يساعد القوة الخفية من باب التوفير المالي فيرفع عنها نفقات جزيلة كانت تؤدّى مكافآت على خدمات طويلة عريضة ، ثم يتبدل هذا بغيره ويجري الامر دواليك شوطاً بعد شوط.

فمن ذا الذي يكون في وضع مؤآتٍ ، او مـــا هي الناحية التي تلابسها اوضاع مؤآتية ، لنسف هذه القوة الخفية ؟ هذا كله حاصل لنا نحن ، ومن يستطيع نسف تلك القوة الخفية ؟ هو نحن . والماسونية الاممية ، (الغوييم) تخدمنا خدمةً عمياء ، بأن تكون ستاراً لنا نحتجب من ورائه نحن واغراضنا

وصور خططنا ، لكن مخططنا المعدّ للعمل مع التنفيذ ، يبقى هذا كله على طبيعته كما يبقى المكان الذي يوجد فيه ، سراً عميقاً لا يطلع عليه احد .

* * *

والحرية في الموطن الذي ذكرناه الآن ، لا تكون ضارّةً ، ويمكن ان تجد لها محلّاً في اقتصاد الدولة ، دون ان يسبب ذلك ايّ أذى للناس في رفاهيتهم ، وذلك الموطن هو ان تقوم الحرية على اساس الايمان بالله واخوّة الانسانية ، غير متعلقة بعقيدة المساواة ، وهي العقيدة التي تنفيها نواميس الكون ، وهذه النواميس اوجبت وقوع التباين في المخلوقات ، بالخضوع والاتباع . فاذا ساد الايمان بالله ، فيمكن ان يحكم الشعب ، بأن تقسم الارض الى اقاليم ، وعلى كل اقليم راعيه الوصيّ ، فيسير الشعب راضياً قنوعاً تحت ارشاد الراعي الروحي ، الى ما فيه مشيئة الله على الارض ، وهذا هو السبب في انه من المحتّم علينا ان ننسف الدين كله ، لنمزق من أذهان الغوييم المبدأ القائل بان هناك آلهاً رباً ، وروحاً ، ونضع موضع ذلك الارقامَ الحسابية والحاجات المادية . ولكي لا نعطي الغوييم وقتاً للتفكير والرويّة ،فيجب تحويل اذهانهم الى الصناعة والتجارة . وبهذا ، تُبْتَلَع جميع الامم وهي مشغولة بالانسياق وراء الكسب والغنم ، فتلهو بما في ايديها ، ويصرفها ذلك عن الالتفات الى من هو في نظرها العدو المشترك . ونقول مرةّ اخرى ، انه من اجل ان نرى الحرية قد سببت ملاشاة الغوييم الى آخر أثر ، يجب ان نضع الصناعة على قواعد التنافس والمزاحمة . ونتيجة ذلك ان ما يسحب من البلاد بالصناعة ، ينزلق ويتسرب الى الايدي ويمضي الى المضاربة ، ونهايته بعد ذلك الينا ، فيستقرّ في حيز طبقاتنا نحن .

* * *

والصراع العنيف في طلب التفوق والغلبة ، والهزّات التي تصيب الحياة الاقتصادية ، كل ذلك سَيَخْلق ، كلا ، بل َخلقَ الآن ، جماعات وطوائف

من الناس ذاهـلة ، تعروها البرودة ، وكأن افئدتها قد تهاوت وفرغت .
وهذه الجماعـات سيطرأ عليها ما ينمّي في نفسها المقت للجو السياسي الذي
فوقها ، وللدين . فلا يبقى لها من سلوى الا ان تغتبط بجمع المال والكسب،
اعني الذهب الذي ستعبده ، وتفنى في سبيله ، من اجل ان تنال به ما تبتغيه
من حاجات محسوسة . ثم تدق الساعة ، فاذا بالطبقات السفلى من الغويـيم
تنضوي الى قيادتنـا في الزحف لتحطيم خصومنا المشرئبين الى السلطة ، وهم
اهل الفكر في الغوييم ، فيرون في هذا الدور النهاية . والدافع لتلك الطبقات
السفلى في الاستجابة لنا ، لا احراز المغانم ، ولا جمع المال ، بـل للثأر من
تلك الطبقة الفكرية التي حانت الآن ساعتها لتلقى المصير الذي ينتظرها .

البروتوكول الخامس

انشاء حكومة مركزية ضخمة - وسائل القبض على ازمّة السلطة بواسطة الماسونية - الاسباب التي من اجلها يستحيل وقوع الاتفاق بين الدول - دولة اليهود التي تقوم عن سابق اختيار من الله - الذهب : هو من الدول كالمحرّك من الاجهزة الآلية - ما للانتقاد والتجريح من بالغ التأثير في التهديم والتقويض - اقامة «المَعَارض» فتنة في مظاهرها - ما لصناعة « غزل الكلام » من تأثير في التفتيت - كيف يُقْبض على اعنّة الرأي العام - اهمية نشاط الفرد - الحكومة العليا في العالم

ما هو شكل الحكم الاداري الذي ينبغي ان يُعْطَى الى جماعات قد استشرى فيها الفساد ، وتغلغل في كل جنباتها ؟ جماعات ، المال لا يدور فيها الا بوسائل اشبه بالاحتيال ، وهو اقرب الى الاختلاس ، مجتمعها مسترخي الزمام ، منحلّ الضابط ، والآداب العامة فيه لا تُحفظ الا بأن يكون قانون العقوبات مسلطاً فوق الرؤوس ، والتدابير الصارمة على طرف الثمام ، ولا رعاية للاخلاق طوعاً من وازع النفوس ، اذ هنا الشعور نحو الدين ومسقط الرأس قد محته معتقدات مستبضعة من اسواق عالمية . وايُّ شكل من الحكم ينبغي ان يطبَّق على هذه الجماعات سوى الحكم المطلق الذي سأصفه لكم ؟ فاننا سننشيء نظاماً ضخماً لحكومة مركزية واسعة ، حتى يتسنى لنا القبض بأيدينا على جميع الأعنّة . وسنضبط ضبطاً محكماً مسارب نشاط الحياة السياسية لرعايانا بقوانين جديدة لم يعرف مثلها من قبل . ومن شأن هذه القوانين ان تزيل كل الاباحيات والحريات المطلقة مما اجازه الغوييم لنفوسهم ،

وبهذا ستتميز مملكتنا بسلطة مطلقة فريدة، رائعة الاوضاع والتقاسيم ، وعلى استعدادفي اي زمان ومكان لأن تجرف ايّاً كان من جنس الغوييم ممن يعارضنا بفعل او قول .

* * *

وسيقال لنا ان هـــذه السلطة المطلقة لا تتمشى وتقدم هذا العصر الذي نعيش فيه ، ولكني ابرهن لكم على انها تتمشى ولا غبار عليها .

ففي الزمن الغابر ، لمّا كانت الشعوب تنظر الى الملوك المتبوّئة العروش ، كأنها تنظر الى من تجلّت فيه ارادة الله ، كانت تلك الشعوب وقتئذٍ خاضعة للسلطة المطلقة التي للملوك ، بلا مناقشة ولا حراك . لكن منذ اخذنا نحن نُشْرِب عقول الشعوب عقيدة انّ لهم حقوقاً، شرعوا يعتبرون الجالسين على الارائك بشراً وقوماً عاديين يأتي عليهم الفناء كسائر الناس . والزيت المقدس الذي مُسِحَ به رأس الملك الذي هو ظل الله على الارض ، زيتٌ عادي غير مقدس في عيون الشعب ، ولما سلبناهم ايمانهم بالله ، فاذا بجبروت السلطة يرمى به الى الشوارع حيث حق التملك هو حق الجمهور ، فاقتنصناه نحن .

وفوق ذلك ، فان فن توجيـــه الجماهير والافراد بوسائل تُتقِن إلقاءَ النظريات وإشباعها بكثرة الكلام حولهـا ، مما يرمي الى ضبط مدار الحياة المشتركة بهذا وغيره من الحيل التي لا يعرف الغوييم من اكتناه اسرارها شيئاً — ان هذا الفن ، عنـــدنا نحن أربابه الاختصاصيون الذين تلقّوا أصوله من ينابيع أدمغتنا الادارية، فهؤلاء الاختصاصيون قد نشأوا على التمرس بالتحليل والملاحظة ، ومعاناة حصر الدقائق في القضايا الحساسة الرفيعة ، وفي هـــذا المضمار ليس لنا ندٌ ولا نظير في رسم المخططات للنشاط السياسي ومعالجـــة المسؤوليات . وفي هذا المجال لا يضاهينا أحدٌ إلا الجزويت ، لكننا نحن قد ابتدعنا من الطرق ما يصلح لإسقاط هيبتهم عند الدهماء وسواد الناس الذين لا يفكرون إلا سطحياً ، وانما تمكنا من الجزويت لأن مؤسستهم مكشوفة ، بينما نحن استطعنا ان نبقي أجهزتنا السرية مغطاةً محجوبةً كل الوقت . وعلى

كلٍّ ، فالعـــالم قد لا يبالي شيئاً بمن يتبوأ عرشه ، أهو رأس الكثلكة ام المتسلط الذي يَظهر منا متحدّراً بدمه من صهيون ! هذا من جهة العالم ، أما من جهتنا نحن فهذا الأمر يهمنا جداً ، فاننا الشعب المختار ، والمسألة تقتضي منا كل المبالاة .

* * *

واذا قام في وجهنا غويم العالم جميعاً ، متألبين علينا ، فيجوز ان تكون لهم الغلبة ، لكن موقتاً . ولا خطر علينا من هـــذا ، لأنهم هم في نزاع فيما بينهم ، وجذور النزاع عميقة جداً الى حد يمنع اجتماعهم علينا يداً واحدة ، أضف الى هذا اننا قد فتنّا بعضهم ببعض بالامور الشخصية والشؤون القومية لكل منهم . وهذا ما عنينا بديمومته عليهم وتنميته مع الايام خلال العشرين قرناً الأخيرة ، وهذا السبب الذي من أجله لا ترى دولةً واحدة تستطيع أن تجدَ عوناً لها اذا قامت في وجهنا بالسلاح ، إذ كل واحـدة من هذه الدول لا تنسى ان تعلم ان الاصطفاف ضدنا يجرّها الى الخسارة . اننا جد أقوياء ، ولا يتجاهلنا احد، ولا تستطيع الامم ان تبرم اي اتفاق مهما يكن غير ذي بال ، إلا اذا كان لنا فيه يد خفية .

Per me reges regnant . « It is through me that kings reign » .

مني يستمد الملوك سلطتهم .

وجاء على لسان الأنبياء اننا نحن اختارنا الله لنحكم الأرض كلهـا . والله منحنا العبقرية لنضطلع بهذا العبء . ولو كانت العبقرية في المعسكر الآخر لبقيت حتى اليوم تناهضنا . واذا جاءنا قادمٌ جديد فلن يكون لنـا نداً ، ونحن من قبلُ أثبت قدَماً ، والمعركة اذا وقعت فستكون ضارية بيننا وبينه على ما لم يرَ العالم له مثيلاً في عهد مضى . واذا افترضنا ان فيهم موهبـة العبقرية (الغويم) فقد جاءتهم متأخرة جـداً . وكل دواليب الأجهزة للحكومات تحتاج الى محرّك ، وهذا المحرك بأيدينا وهو « الذهب » ، وقد كان من شأن علم الاقتصاد السياسي ان رفعَ من شأن رأس المال ، ومعلوم ان

وَضْع هذا العلم وتقريره يعود الفضل في ذلك الينا .

ورأس المال ، اذا كان يراد به ان يساهم بالتعـاون وهو غير مقيد ، فيجب ان يكون حراً طليقاً ، ليتمكن من إنشاء الاحتكار في الصناعة والتجارة . وهذا ما قد صنعته يد خفيّة في جميع العالم . ومن شأن هذه الحرية لرأس المال ان تُمِدّ الذين يعملون في الصناعة بالطاقة السياسية ، وهـذا يؤول الى التمكن من أخذ الشعوب بالضبط والمقادة . وفي ايامنا هذه، يكون الامر اهم واوزن لدينا ، اذا عملنا على ان ننزع سلاح الشعوب لا ان نسوقها الى الحرب ، بل واعظم من ذلك لنا ، ان نستغلّ لمصالحنا انفعالَـهَا العاطفي المشتعل ، بدلاً من اطفائه، وان نستولي على تيار الافكار والآراء، ونترجمه على ما يناسبنا بدلا من مكافحته ومحاولة استئصاله. فالغرض الرئيسي لقيادتنا هذه قاعدته : ان نُخْمِل الذهن العام ونَضْنِيه بالنقد والتجريح ، وان نَحيد به عن طريق التفكير الجدّي الرصين ، التفكير الذي يؤدي بالنهاية الى مقاومتنا ، وان نصرف نشاط الأذهان عن تلك الوجهة ونأخذ بها حيث تقام معارك صورية ، سلاحها الخطابة ومصطنع البيان .

* * *

وفي جميع العصور نرى شعوب العالم ، من جماعات وافراد،تنام على الكلمة التي تسمعها ثم لا يهمها بعد ذلك من التنفيذ شيء . وعلة هذا في تلك الشعوب انها تقنع من الشيء بمظهره ، وتأخذها صورة العَرَض ، وقلما تتوقف لتتأمل، وتلاحظ في مجرى الحلبة العامة ، هل تقترن الوعود بالتنفيذ . لذلك ترونـا اننا سنعنى باقامة مؤسسات المعارض التي تفيدنا في هذا الباب فوائد كبيرة.

وسننتحل لأنفسنا الصفة الليبرالية التي تجمع سمات جميع الاحزاب والجهات، ثم نجعل معاني ذلك كله تجرى على ألسنة خطباء اذا تكلموا راحوا يُشْبِعون الموضوع ويدورون من حوله حتى يملّ السامعون ويضجروا، ويأخذوا بالضجيج. ولكي يتسنى لنا الاستيلاء على الرأي العام يجب علينا ان نرميه بمـا يحيّره ويخرجه عن طوقه ، وذلك عن طريق جَعْل ابداء الرأي العام حقاً شائعاً

مفتوح الباب للجميع، ليلقي كل بدلوه في الدلاء. فتتناقض الآراء ويشتد التشاحن، ويطول الحال والمقال، والناس في كل ذلك متضاربو النزعة، ثم يُنَادِي منادٍ: إنّ أَوْلى ما يُصْنع للخروج من هذا المأزق الحرج، ان يترك النقاش ويقلع عنه، ولا خوض في القضايا السياسية لأن جمهور العامة لا يفقه من لباب هذا شيئاً ولا يحسن وعيه، فمن الصواب ان مثل هذه الشؤون تُرَدّ الى المسؤولين العارفين بها، يتدبرونها على ما يرون.

* * *

هذا هو السر الاول.

والسر الثاني المشترط لنجاح حكومتنا المقبلة هو هذا: نكثر من مصنوعات الاشياء، شتى متنوعة، ونجعلها تَرِدُ موارد غزيرةً فياضةً من كل جنس: الفشل في المشروعات الوطنية، افشاء العادات الجديدة، ايقاد العواطف، الاستثارة والاستفزاز، التبرم من شؤون الحياة، وذلك كله حتى يغدو من المستحيل على ايّ شخصٍ ان يعلم اين هو من هذا المعترك الذي خاض فيه كل حابلٍ ونابلٍ، وعَمِيَ الاختلاط. واذا بالناس قد استغرقتهم البلبلة، ولا يفهم بعضهم بعضاً. وهذه الطريقة تفيدنا ايضاً من ناحية اخرى: الإفساد بين الأحزاب، وتفريق القوى المجتمعة على غرض ولا تزال تأبى الانصياع لنا، واخيراً عرقلة نشاط أيّ شخصٍ يقف في طريقنا. وليس هناك ما هو اضرّ من نشاط الافراد بصفتهم المستقلة الشخصية، فهؤلاء، اذا كان وراءهم مادة العبقرية، فيبلغ نشاطهم من الضرر بنا مبلغا تقصر عنه الملايين من الناس الذين مزقنا كلمتهم. وعلينا ان نعنى بتوجيه التعليم في مدارس جماعات الغوييم توجيهاً دقيقاً، فيُلْقَى في الأذهان انه متى ما جيء على مسألة عويصة تحتاج الى كدّ الذهن تنقيباً واجتهاداً، فالاولى تركها واجتيازها الى ما هو اهون منها وايسر، فيتولاها من هو اهلٌ لها. والضنى الفكري الذي يحصل

للفرد من كثرة حرية العمل ، ينسف ما فيه من القوى الذهنية عندما تصادم حريته حرية شخص آخر. وينشأ عن هذا الاصطدام رجّاتٌ خلقيةٌ نفسيةٌ عنيفةٌ ، وذهولٌ ، وشعورٌ بالفشل . وبهذه الذرائع كلها ، سنفتّت وجود الغوييم ، حتى يُكرَهوا على ان يسلّموا لنا ما به تقوم القوة الدولية في العالم على اوضاع تمكننا بلا عنف ، ورويداً رويداً من ان نبتلع طاقات الدول، ثم نخطو بعد ذلك الى الامام فننشىء **الحكومة العالمية العليا** ، وسيكون لهذه الادارة عون واسع من الايادي التي تمتدُّ الى البلدان كلها وتعلق بها كالكماشة . واما اجهزة هذه الادارة فستكون بالغة العظمة حتى تلقي ظلها على جميع امم الأرض .

البروتوكول السادس

الاحتكارات : وعليها تتوقف ثروات الغوييم - انتزاع الثروة العقارية من ايدي الطبقة الارستقراطية - التجارة والصناعة والمضاربات - الترف والبذخ - رفع مستوى الاجور العمالية وزيادة مستوى أسعار الحاجيات الضرورية - نشر اسباب الفوضوية رادمان الخمرة - المعنى السري للدعـاية تبثها نظرياتنـا الاقتصادية .

سنشرع دون تأخر في انشاء أجهزة احتكارية ضخمة ، وحشد الثروات وتجميع الأموال، ليكون كل ذلك محصوراً بأيدينا،وقد امسى قوةً مرهوبة، وفي الوقت نفسه تكون هذه القوة هي المسيطرة على الكبير الوافر من ثروات الغوييم ، وهذه موقوفةٌ حياتها على قوتنا الى حد ان تلك الثروات ستهبط الى القاع جارّةً وراءهـا ارصدة الغوييم ، في اليوم الذي يكون مضروباً لانزال ضربتنا السياسية القاصمة .

وأنتم أيها السادة الحضور هنا ، وكلكم رجال اقتصاد، بوسعكم ان تتصوروا بعين العقل ما يكون لهذه القوة الاحتكارية ، التي مضاؤها كمضاء السيف ، من خطورة حاسمة .

ويجب علينا ان نبذل جهدنا بكل طريقـة ممكنة لتوسيع نطاق هيبة الحكومة العالمية العليا ، والاعلاء من شأنها ، وذلك بتصويرها انها ما قامت الاّ لحماية الدول التي تنضوي اليها وتستظلّ بظلها ، وهي منبع الخير والعون لتلك الدول .

اما ارستقراطية الغوييم من جهة كونها قوةً سياسية، فتكون قد أُدرجت في أكفانها - فلا ينبغي لنا ان نأخذها بحساب . ولكن يبقى من أمرها خطرٌ واحدٌ علينا ، من ناحية كونها تمثّل طبقة ارباب الثروات العقارية من أرض وبناء ، ووجه هذا الخطر ، ان تلك الطبقة تبقى في تدبير معايشها معتمدةً على الدخل الذي تَجْنيه من ريع املاكها هذه ، وهذا الريع يكفيها مؤونة حاجاتها . فعلينا بكل حال ان نحرمها هذه الاملاك . وانما يتمُّ تحقيق هذه الغاية بأفضل وجه ، بزيادة الضرائب والتكاليف المرتبة على العقار والارض زيادةً تجرُّها الى الديون المُغْرِقة المُبْهِظة ، ثم يكون من شأن هذه التدابير انها تحدّ من نشاط التملك وتجعله مُعَرْقَلاً فينصاع الغوييم لنا مستخذين لتوجيهنا وآرائنا .

ولما كانت ارستقراطية الغوييم غير معتادة بحكم اساليبها القديمة الموروثة ، ان تقنع بالقليل من الخير ، ودأبها الطمع فيه والاستكثار منه ، فسيضطرب امرها ايَّ اضطراب يُخْرِجها عن طورها لعدم قدرتها على تحمل العوز والقلة ، فتنادي بالويل والثبور . فيجب علينا في هذا الوقت نفسه ان نكون اصحاب الهيمنة على اوسع نطاق ممكن ، على التجارة والصناعة ، وبصورة خاصة على اسواق المضاربات ، اذ المضاربات هي الادارة التي تهبُ في وجه الصناعة فتشلّها ، وعدم وجود الصناعات بلا مضاربات ، من شأنه ان يجعل رؤوس الاموال التي في الايدي الخاصة تنمو وتزدهر ، فيفضي ذلك بالزراعة الى الانتعاش عن طريق تحرر الارض والاملاك من ربقة الديون للمصارف العقارية . وما نحتاج اليه حقاً في هذا الموطن ، هو ان تكون الصناعة سبب تجفيف الارض من العمال ورأس المال . فاذا جرى الامر على ما نخطط ، وانتهى الى غايته ، انساقت الى ايدينا اموال العالم فخزنّاها نحن وحدنا ، ثم نحوّل الغوييم جميعاً الى وضع الصعاليك الكادحين (البروليتارية) . واذا بالغوييم يجثو امامنا صاغراً ، واذا لم يكن من سبب لذلك الا حق البقاء المجرد ، لكفى .

ولكي يتم لنا مخطط نسف الصناعات ، فاننا سنأتي بما يعزز هذا الامر ثم ندعه ينطلق في سبيله يعمل عمله ، فنُعْنى بنشر الوسائل المغرية بالترف وعبادة الاناقة بين الغوييم ، ونشوّقهم الى هذا الطور ، ونزين لهم ملذاته واطايبه ، اذ نهمة هذا الاتجاه إذا استحكمت حلقاتها ، فلا تبقي ولا تذر . وسنعلي مستوى الاجور العمالية ، ولكن لا خير من هذا يصيبه العمال ، لاننا في الوقت نفسه سنعلي ايضاً مستوى الاسعار للحاجات الضرورية التي تعمّ بها البلوى ، مدّعين وزاعمين ان هذا كله ناشىء عن جمود الزراعة والتراخي في تربية الماشية . ثم بالاضافة الى هذا كله ، سنشلّ مصادر الانتاج ، ونعطلها بأساليب هي غاية الفن والبراعة ، وذلك بجعل العامل يعتاد المشاكسة والحُرُون ، واساليب الفوضوية ، وركوب الرأس ، فيمسي يتخبط في حاله كيفما اتفق له ، وسنشيع وسائل الادمان على الخمرة ، وهذه التدابير مجتمعة تَسير قافلةً واحدة متساندة ، موالية السير قُدُماً نحو غاية كبيرة ، وهي ملاشاة العناصر المتعلمة من الغوييم ، من على وجه الارض .

***

وخشية ان يدري الغوييم بهذا فيجفل قبل نفاذ الخطة بتمامها ، وقبل حلول اليوم الموقوت ، فاننا سنفرغ هذا كله في قالب المصلحة ، الخادعة في المظهر ، بدعوى الرغبة الحارة في خدمة الطبقات العاملة ، والمبادىء الصحيحة للاقتصاد السياسي ، مما تكون نظرياتنا الاقتصادية قد قامت بالتمهيد له على يد اجهزة دعاياتنا ، على نطاق اخّاذ ، واسع .

البروتوكول السابع

الغاية من توسيع باب التسلح - الهزات العنيفة ، والانشقاق ، والاحقاد في جميع انحاء العالم - كبح جماح الغوييم في المعارضة التي يقوم بها - الحرب تشن عليه حرباً محصورة او عالمية شاملة - الكتمان سبب نجاح السياسة - الصحف والرأي العام - مدافع اميركا والصين واليابان

التسابق في التسلح تسابقاً ضخماً ، وزيادة القوات الدفاعية في العالم ، كل هذا ضروري فانه يساعد في تنجيز خططنا هذه . ولكن هدفاً كبيراً ، من اهدافنا يجب ان نعنى بتحقيقه بصورة خاصة ، وهو محو جميع الطبقات في جميع دول العالم دون استثناء ، الا طبقة الصعاليك لا غير ، مع بضعة مليونيرية موجهين الى خدمة مصالحنا وشرطتنا وجندنا .

وفي اوروبا كلها ، كما في غير بلاد ايضاً ، علينا ان نخلق الهزات العنيفة ، والانشقاقات ، واثارة الضغائن والاحقاد ، عن طريق شبكة الصلات المحبوكة في اوروبا . فنغنم مغنمين ، الاول : ابقاء البلدان مكبلة مقيدة ، لا تقوى على شيء تأتيه كما تريد ، اذ كل دولة تعلم حق العلم اننا نحن الذين بيدهم تصريف الامور ، قبضاً وبسطاً ، وبيدنا أسباب تأريث نار الحرب او اخمادها . ولا يغيب عن اي من الدول ان ترى بحكم العادة ان لنا القوة المبسوطة اليد في ايقاع الاكراه الذي نريد ، وانف الجميع راغم . والمغنم الآخر ، اننا سنمد بسنانير المكايد الخفية الى المجالس الوزارية في كل بلد ، فتتعلق بها الخيوط متضاربة متعقدة ، وما تلك السنانير الا المعاهدات الاقتصادية وقيود القروض المالية . ولكي نضمن لنا النجاح في هذا ، ففي اثناء المفاوضات التي يجب ان

نكون جدّ حاذقين ، وأهلَ دهاء وحيلة ، حتى ننفذ الى صميم الاغراض المتوخاة ، واما فيما يتألف منه المظهر الخارجي الرسمي ، فموقفنا ينبغي ان يكون على العكس من ذلك : كلاماً معسولاً ، متقنعاً بقناع الامانة ، وشرف المعاملة ، مع حسن المسايرة والملاطفة والاستجابة . وبهذه الاساليب ستظل شعوب الغوييم وحكوماتهم ، وقد عودناهم الاكتفاء من الاشياء بمظاهرها الخارجية ، راضيةً بنا ومسلّمةً بأننا نحن ما جئنا الا لخير الجنس البشري وخلاصه .

وعلينا ان نكون في موضع يمكننا من تناول ايّ عملٍ من اعمال المعارضة وذلك بابقاء الحرب بين البلاد المعارضة لنا وجاراتها . وفي حال قيامهن جميعاً في وجهنا يداً واحدة ، فحينئذ لا سبيل الا ان نستوقد حرباً عالمية كاسحة .

* * *

والعامل الرئيسي في نجاح خططنا السياسية ، هو كتمان المساعي والمشروعات ، والقاعدة : ان السياسي ليس شرطاً فيه ان تتفق اقواله مع افعاله . ويجب ارغام حكومات الغوييم على انتهاج الخطة التي نشير بها نحن ، في براجنا المدروسة على اوسع نطاق وابعده ، وهي البرامج التي اخذت الآن تقترب من الخاتمة . وطريقة حمل تلك الحكومات على ما نريد ، هو التيار الذي يقال له **الرأي العام** وفي يدنا الخفية زمامه ومقادته ، نحرّكه **بالقوة الكبرى** — الصحف ، والصحف ، ما عدا قليلاً منها ، مطواعةٌ لنا مستجيبةٌ لما نشير به .

وموجز الكلام ، من ناحية صفوة خططنا لابقاء حكومات غوييم اوروبا تحت كابحٍ منا يأخذ على ايديهن ، اننا نظهر مجالي قوتنا لفريق منهن ، بوسائل الارهاب الذي يتناولهن جميعاً ، اذ رأينا احتمال وثبتهن علينا متفقات ، فنجيبهن يومئذٍ بمدافع اميركا والصين واليابان .

البروتوكول الثامن

استعمال الحقوق القانونية استعمالاً غامضاً للتضليل - الاعوان الذين يُختارون من المركز الصهيوني-المدارس والتخرج العلمي الفائق المستوى - رجال الاقتصاد والمليونيرية- الى من سيعهد بالمناصب الكبيرة الحساسة في حكومتنا ؟ مجازاة عملائنا من الغوييم بالقتل اذا خالفوا تعليماتنا

السلاح الذي يحتمل ان يستعمله اعداؤنا في وجهنا يجب ان نستعمله نحن ، وعلينا ان نحاول بألطف مقال، وانعم كلام ، وارفع طراز في تلفيق الفتاوي القانونية ، تسويغ احكام القضايا التي تبدو خارقة العادة ، جريئةً ، ظالمةً ، اذ من الخطورة بمكان ان نجعل هذه الاحكام تتشح اروع صور العدالة ، ونطرحها امام الناس نماذج من المثل الاخلاقية ، كأنها افضل ما يستطاع استمداده من مادة القضاء . وعلى جهازنا الاداري الموجِّه ، ان يحيط خبرةً، بجميع القوى التي تدخل في نسيج المدنية ، القوى التي يعمل هذا الجهاز في وسطها : قوى حملة الاقلام ، والفقهاء المتمرسين ، والاداريين من الرتبة العليا، والساسة ، واخيراً الاشخاص الذين كَمَل تخرّجهم تخرجاً خاصاً ، ودربوا تدريباً علمياً فائق المستوى في مدارسنا المعدة لهذه الغاية . هؤلاء الاشخاص لن يفوتهم بحالٍ ان يلاحظوا الاسرار في تركيب المجتمع ، وفقه لغة السياسة على اختلاف اساليبها ، وكل ما يندرج تحت الابجدية السياسية ويجري من الفاظها . وهم بعد ، قد ازدادوا اطلاعاً على الخفايا والغوامض من الطبيعة البشرية ، ومواطن الانسجة للحس المرهف المستتر ، وهذه الانسجة انما هي القالب الذي أفرغ فيه ذهن الغوييم ، وهي مَجْلَى نزعاته ، ونواقصه ، ورذائله وفضائله ، وما نجد هنا مختزناً من صور مفصلة للطبقات والاوضاع .

واني بغنى عن القول ، ان الاعوان من ذوي المواهب الذين يختارون ليقوموا بمناصب مساعدين في الادارة ، لن يؤخذوا من عناصر الغوييم ، الذين اتناولهم هنا ، واعتادوا انهم اذا قاموا بعمل اداري وانفذوه ، فانما يقومون به دون ان يكلفوا انفسهم عناء التفكير فيما يراد به ، او ما عسى ان تكون الحاجة التي اقتضته . فالمختارون من الغوييم للادارة ، يكفيهم ان يوقّعوا الاوراق ولا حاجة بهم الى التمعن فيها ، وهم في الخدمة لأحد غرضين : إمّا ابتغاء الاجرة او المرتب ، وإما اشتهاءً لقضاء المطمح القاصر في نفوسهم .

ثم اننا سنمد اجهزة حكومتنا بعالم فيّاض من رجال الاقتصاد ، ولنتذكر انه من اجل هذه الغاية ، جُعِل تدريس العلوم الاقتصادية في مدارسنا اهم مطلب يتعين على اليهود تحصيله بتمامه وكماله . وسنحيط دولتنا برهطٍ اثر رهط من رجال المصارف ، والصناعيين ، والمتمولين ، وواسطة عقد هؤلاء هم اصحاب الملايين ، اذ في الواقع سيكون مردُّ كل شيء الى صعيد الارقام ، وهذه في جميع الاحوال والقضايا هي الفيصل الاخير ، فلا حكم بعد حكمها .

* * *

والذين يُختارون للمناصب ذات المسؤولية في حكومتنا من اخواننا اليهود ، ويحتاج امرهم في البداية الى فترة اطلاع على مجاري العمل قبل ان يعهد اليهم في ذلك ، فانهم سيوضعون في خلال هذه الفترة في سهدة اشخاص (من الغوييم) مؤقتاً ، غير ان هؤلاء الاشخاص هم من الذين اشتدت شبهات الناس (الغوييم) بهم ، حتى قام بينهم وبين جماعتهم برزخ من الريب ، فاذا ما تقاعسوا عن تنفيذ التعليمات التي تصدر اليهم ، فهم إمّا سيلقون الجزاء والعقاب متّهَمين ، وإمّا سيغيبون عن الوجود بالمرة . وانما نضعهم هذا الوضع لكي نحملهم على خدمة مصالحنا ، حتى النفس الاخير من حياتهم .

البروتوكول التاسع

تطبيق المبادىء الماسونية في مادة التعليم الذي نعلمه للشعوب ـ الشعارات الماسونية ـ
معنى « اللاسامية » ـ الدكتاتورية الماسونية ـ الارهاب والرعب ـ من هم خدّام
الماسونية ـ معنى القوة المبصرة والقوة العمياء في دول الغوييم ـ الاتصال
المباشر بين السلطة والدهماء ـ اباحات الليبرالية ـ القبض على زمام
التعليم والتدريب ـ النظريات الكاذبة ـ تفسير القوانين ـ
الحركات السرية والاوكار الخفية

في تطبيق مبادئنا ، علينا ان ننتبه الى الشعب الذي تقيمون بين ظهرانيه وتعملون في بلاده ، وهذا الانتباه يتعلق بأخلاق ذلك الشعب ، فاننا اذا أخذنا بتطبيق مبادئنا عليه ، تطبيقاً ظاهرياً عاماً ، وعلى نسق متماثل دون تمييز ، وجرينا على هذه الوتيرة الى ان نكون قد عدّلنا وأصلحنا مادة التعليم لذلك الشعب تعليماً ينطبق على أهدافنا ومنوالنا ، فعلى هذا الوجه لا مطمع لنا في ادراك النجاح . لكن اذا اخذنا نرعى التطبيق بيقظة واحتراس ، فلن يمضي على ذلك اكثر من عقد من السنين حتى يكون طور ذلك الشعب قد تغير حتى في أصلب ما يعرف عنه من خلق العناد والمشاكسة ، وبذلك نضيف شعباً جديداً الى صفوف الذين قد تمّ لنا اقتيادهم وانصياعهم لنا .

وان كلمات ليبرالية وما يشتق من معانيها ، الكلمات التي هي في الواقع من شعاراتنا الماسونية ، كالحرية والعدالة والمساواة ، سنبدلها عندما نقيم مملكتنا ، الى كلمات لا تحمل هذا المعنى الشعاري بعد ذلك ، وانما يغدو معناها الوحيد مجرد الدلالة على صور مثالية ، فالأولى تصبح حق الحرية

والثانية واجب العدالة ، والثالثة كال المساواة، ويقاس على هذا سائر التعديل وبهذا نمسك الثور من قرنيه .

ومن الوجهة الواقعية ، فاننا قد وُفّقنا الى الآن في محو كل نوع من انواع العهود الحاكمة ، إلا عهدنا ، مع ان من الوجهة القانونية لا يزال هناك عهودُ حكمٍ قائمة بالصورة والشكل فقط، وهذا أمره بيدنا نتصرف به على ما نرى، ونصدر فيه تعليماتنا ، وذلك لأن اللاساميّة لا نراها إلا ضرورية لنا للاستفادة منها في رعاية اخواننا المستضعفين . ولا حاجة بي ان اتوسع في هذه القضية اكثر من هذا الحد ، لأن موضوعها قد اشبع بحثاً وكرر ذلك فيما بيننا على ما فيه الكفاية .

واما نشاطنا ، فلا شيء يحدُّ من اتساع نطاقه . واما حكومتنا العليا ، فكائنة في اوضاع فوق الاوضاع القانونية الراهنة ، واوضاعنا هذه هي الموصوفة في المصطلحات الجارية بمعنى الطاقة المنبعثة والقوة الماضية — اعني الدكتاتورية . وبوسعي ان اعلمكم بكل نقاوة ضمير اننا ، ونحن الذين يوحون بالتشريع ومنا مصادره ، سنتولى بأيدينا ، حينما يحين الوقت ، تنفيذ الاقضية والاحكام ، فنذبح من نذبح ، ونعفو عمن نعفو ، ونحن ذوو القيادة على اصهوة جواد الامير القائد . اننا سنحكم بالقوة . لان بيدنا بقايا حزب من لاحزاب ، كانت له الصولة والسطوة فيما مضى ، فأبدناه فاندرج في الماضين . واما الأسلحة التي في ايدينا فهي مطامح لا حدود لها ، وجشعٌ آكلٌ ، كاوٍ ، وحبُّ انتقامٍ لا يعرف الرحمة ، وضغائن واحقاد .

ومنا قد انطلقت تيارات الرعب الذي دارت دوائره بالناس . وفي خدمتنا اشخاص شتى ينتمون الى جميع المذاهب الفكرية، ومختلف التعاليم؛ منهم المطالبون بالعروش ، واسترداد الملكيات ، وزعماء السواد والعامة ، والاشتراكيون ، والشيوعيون ، وحَمَلة الاحلام الطوباوية من كل حزب . وقد قرنّاهؤلاء جميعاً الى نير العمل في سبيلنا . وجعلنا كلاً منهم ، وحبله

على الغارب ، يثقب ما بقي من جدران السلطات ، ويجهد طاقته ليدكّ قوائم الانظمة القائمة على اختلاف صورها . فامست جميع الدول بسبب هذا في عذاب ووبال . تبذل النصيحة من اعماق نفسها طلباً للسلامة ، وهي مستعدة لتضحي بكل عزيزٍ من أجل الحصول على الأمـــان والسكينة . واننا لن نعطيها ما تطلب من سلامة وأمان ، قبل ان تعترف جهـــاراً ، وفي وضح النهار ، بحكومتنا العالمية العليا ، وان تفعل هذا مستسلمةً صاغرة .

ولقد اشتدّ صياح الشعب بالولولة والإعوال ، طالباً بحكم الضرورة تسوية المسألة الاشتراكية بطريق التفاهم والاتفاق الدولي . والعامل والمهاز في هذا هوالانقسام والانشقاق الى احزاب صغيرة مؤلفة من فئات ضئيلة ، فدَفَعَتْ هذه الحالة بالشعوب الينا ، فغدا المُضِيّ بالعراك بعد ذلك ، وكلٌ يشدُّ الحبل الى جهته ، في ميدان المكافحة ، أمراً صعباً شاقاً بسبب الحاجة الى المال ، والمال كله قد استقر في ايدينا .

وقد يكون هناك من السبب ، ما يحملنا على التخوف من اتحاد يقع بين القوة المبصرة التي لملوك الغوييم ، الجالسين على العروش ، وبين القوة العمياء التي للدهماء ، ولكننا قد اتخذنا من لازم التدابير ما يكفي لمواجهة مثل هذا الاحتمال اذا لاح : فاننا قد نصبنا بين هاتين القوتين متراساً حاجزاً يرى فيه كل فريق الرعب والهول يأتيانه من قِبَلِهِ . وبهـــذه الطريقة ، تبقى القوة العمياء في جانبنا ، نمدّها ، ونحن وحدنا القادرون على هذا ، بزعيم يتولّى أمرها ؛ وهـــذا امره بيدنا ؛ فنرشده الى الطريق التي يجب ان تسلك نحو هدفنا .

ولكي لا تستطيع يد القوة العمياء التفلت من سلطاننا عليها ، فيجب من جهتنا بين وقت وآخر ، أن نتصل بها اتصالاً مباشراً ، وهذا اذا لم يكن على يد اشخاص (من الغوييم) فيكون على يد احد اخواننا الذي هو عندنا ثقة خالصة . ومتى ما تم وانتهى الاعتراف بكوننا نحن السلطة الوحيدة ،

فحينئذ نتفاوض مع الشعب وجهاً لوجه، وباللسان علناً ، وفي الساحة العامة، فنرشدهم في المسائل السياسية بطريقة تجعل اتجاههم هو هذا الاتجاه المراد .

ولعمري ما هي السبل التي نتمكن بهـــا من مراقبة التعليم في مدارس القرى والارياف ومعرفة ما يجري هناك؟ لا يصعب علينا ذلك اذ لا يمكن ان تخفى خافية،او ليس اي قول ينطق به لسان الحكومة،أو حتى الملك نفسه جالساً على العرش ، سرعان ما يذاع ويشاع في جميع الدولة ثم في الخـــارج لكثرة ما يلهج به الناس ويتناقلونه من مكان الى مكان ؟ .

وحتى لا تتلاشى مؤسسات الغوييم قبـل حلول الوقت المضروب ، فاننا قد افرغنا عليها مسحة من الاخوة الماسونية ، ومظهراً يعطي الهيبة والكياسة وقبضنا على نوابض الاجهزة كما يقبض على جهاز آلي متحرك ، وهذه النوابض نُعنى بضبطها ، ووضعها الموضع المحكم ، العناية كلها، وهي الآن تحل محلهـا الفوضى من الاباحات المنطلقة من الحرية الليبرالية . واننا قد تدخّلنا أوغـل تدخل في ما يتعلق باجراء القوانين وتطبيقها ، كما تدخّلنا في ادارة الانتخابات العامة ، وفي توجيه الصحف ، وحرية الفرد ، على ان تدخلنا الرئيسي وهو اصل من اصول خططنا ، هو في التعليم والتدريب ، اذ هما حجر الزاوية في الوجود الحرّ .

* * *

واما شباب الغوييم فقد فتنّاهم في عقولهم ، ودوخنا رؤوسهم ، وافسدناهم بتربيتنا اياهم على المبادىء والنظريات التي نعلم انها فاسدة ، مع اننا نحن الذين لقّنّاهم ما تربوا عليه .

وفوق اجهزة القوانين الجارية ، ودون حاجة الى ان نغير مادتها من حيث الاساس ، قد استطعنا ان نقيم شيئاً تنبعث منه مجالي العظمة والجلال ، وذلك بأننا لوينا القوانين فالتوت ، وعقّدناها فتعقدت ، فامست ركاماً من تفسير

متناقضة ، فادركنا المراد بالنتيجة : فنشأ عن ذلك اولاً ان تلك التفاسير والشروح لتناقضها قد ألبسَت معاني القوانين الغموض والابهام ، فانسدّت الطرق على الطالبين ، ثم بعد ذلك زاد شيء آخر ، وهو ان القوانين نفسها قد عمّى لبابها عن افهام الحكومات لاستحالة التوفيق بين مختلف المقاصد ، واستحكام حلقة المعضلات ، حتى امست القوانين مشتبكاً كبيت العنكبوت.

وانما هنا يكمن اصل نظرية التحكيم .

* * *

قد تقولون ان الغوييم سيهبُّ في وجهنا وبيده السلاح ، اذا ما اشتم رائحة ما يجري في الخفاء الى نهايته التي لم يحن وقتها بعد . واجيب على هذا بأننا قد اعددنا في الغرب (اوروبا) مناورة مذهلة تتزلزل منها اقوى الافئدة وتصطكّ الركب : الحركات السرية المدمرة ، والاوكار والاعشاش الخفية ، والدهاليز السوداء ، وكل هذا سيكون مهيئاً لينفجر معاً في العواصم والحواضر فيذرو في الريح كل شيء من مؤسسات وسجلات .

البروتوكول العاشر

المظهر الخارجي للمسرح السياسي - عبقرية « اولاد الحرام » - ما هي وعود الانقلاب الماسوني- حق الانتخاب العام - الاعتداد بالنفس - زعماء الماسونية - العباقرة الذين هم قادة الماسونية - المؤسسات في الدولة ووظائفها - سموم الليبرالية - الدستور مدرسة الانشقاقات الحزبية - عصر الجمهوريات الدستورية- رؤساء الجمهوريات مطايا الماسونية - مسؤوليات الرؤساء- استغلال الفضائح كفضيحة بناما - الدور الذي يمثله على المسرح كل من النواب والرئيس - الماسونية هي القوة الاشتراعية - دستور الجمهورية الجديد - دور الانتقال الى الماسونية في سلطتها المستبدة - حول اليوم الذي يعلن فيه «ملك العالم » - نشر جراثيم الامراض وغير ذلك من قبائح الماسونية

ابتدىء كلامي اليوم بتكرار خلاصة ما قلته سابقاً ، وارجو منكم ان تعوا في أذهانكم ان الحكومات والشعوب انما تقفان في تحليل المسائل السياسية عند الظواهر لا تتعداها . وكيف يقوى الغوييم على النفاذ الى بواطن الامور، ولا همّ لممثليهم إلا التسكع وراء المُتَع والملذات ؟ وهذا الايضاح الذي أبينه الآن ، تقتضي مصلحتنا الانتباه له ، لما في ذلك من الفائدة لنا عندما نضع في الميزان ما يتعلق بتوزيع السلطة ، وحرية الرأي ، وحرية الصحافة ، والمعتقد الديني ، وقانون الجمعيات ، والمساواة أمام القانون ، وحرمة المال والمقتنيات ، والمساكن ، وما يتعلق بالضرائب (غير المباشرة) ، وما تحدثه القوانين من قوة رد فعل في المجتمع . فهذه المسائل هي من الخطورة والدقة بحيث لا تطرح على بساط البحث علناً ، وعلى مسمع ومرأى من الشعب. فاذا استدعت الضرورة شيئاً من هذا ، ولا مناص ، فيقتصر على ذلك الشيء مجملاً ، ولا يسمى بالصراحة او يعين تعييناً ، ويجتنب التفصيل ، ويكتفى بالقول المقتضب اننا نعترف بهذه القوانين الجارية . والسبب في ما ينبغي ان نتخذه

من مجانبة وصمت ، هو اننـا بعدم تسميتنا المبدأ او القاعدة على وجه التحديد الذي ينفي كل شبهة ، تبقى لنا حرية التصرف والعمل ، فنسقط هذا الامر او نعيده ، نقرّه او نثبته ، تبعاً لما يتراءى لنا ، دون أن يكون من وراء ذلك ما يوقظ الانتباه. وعلى العكس من هذا ، اذا ذهبنا الى التعيين والتحديد، فكأننا قد طرحنا المسألة للنقاش ، وهذا ما نحاذر .

ومن عادة الدهماء ، أن يستهويهم العباقرة الممثلون للقوة السياسية ، وما يأتيه هؤلاء من أفعال البأس والإقدام والجرأة ، فيقول الدهمـاء في الثناء على تلك الافعال والإعجاب بها : هذا عمل لا يعمله إلا الوغد ابن الحرام ولكنه حقاً عمل رائع مدهش ! أجلْ ، انه حيلة وخديعة ، ولكنه بغاية البراعـة والدهاء !

ومما نعتمد عليه ، ان نجتذب انتبـاه الامم الى العمل الذي نقوم به من بنائنا الهيكل الأساسي للنظام الجديد ، وهو ما وضعنا نحن خططه . وهذا هو السبب في انه من الضروري لنا قبل كل شيء ، ان نسلح نفوسنا وندّخر في قلوبنا تلك الروح البطاشة التي لاتعرف الخوف ولا تهاب العواقب، وتكتسح في طريقها كل عقبـة - روح الفاتك الغشوم ، الروح التي تعتلـج في صدور العاملين الفعالين من رجالنا. ومتى ما أنجزنا الانقلاب ، قلنا للشعوب المختلفة: « ان الزمان قد ساء بكم ، فاختلت اموركم وانهارت ، وعمّ الشقاء احوالـكم وملأ آفاقـكم ، ففسد الذي بين أيديكم ، وما نحن هنا إلا من أجل خيركم وملاشاة الأسباب التي جرّت عليكم كل هذا العذاب - التمسك بزهو القوميات، وقضايا الحدود الاقليمية ، ومـا لكل دولة من نَقْدٍ مضروب لا يعدو حيزها ، وانتم في الخيار ، والحالة هذه ، ان تحكموا حكماً مؤيِّداً لنا ، او جارحاً لما أتينا من انقلاب، لكن ليكون الحكم عادلاً منصفاً ، اذا اجريتموه علينا قبل ان تفحصوا ، وتَصْدُقكم التجربة لمـا نحن مقدّمون اليكم . ؟ فاذا ما فعلنا هذا وقلناه على هذه الصفة ، فالدهماء يأخذهم الاغترار بنا ، فتثني علينا وترفعنا على الاكتاف بالاجماع رفع المنتصر الظافر ، وكلهم أمل

ورجاء . وبهذا تتجلى الفوائد المتوخاة من الحيلة التي أدخلناها عليهم وهي الاقتراع ، التصويت ، او حق الانتخاب ، اذ نكون قد جعلنا من هـذه الوسيلة الفاتنة ما يكفل لنا الوصول الى صولجان العالم ، بعد ان تغلغلت فتنة التصويت في كل مكان ، واصابت كل فئة من البشر ، مهما تكن هذه الفئة ضئيلة الشأن ، وسادت في الاجتماعات والهيئات عند كل فريق ، واعطت الآن ثمراتها للمرة الاخيرة ، اذ يجمع الناس على ان يعرفونا قبل ان يحكموا علينا : ولكي تَسْلَم هذه الثمرات كما نشتهي ، علينا ان نعمّم حق التصويت ونجعله شاملاً بلا فارق في الطبقة أو الأهلية ، ليكون لنا من ذلك الكثرة الكاسحة المطلقة ، مما لا نناله من الطبقة المتعلمة من ارباب الأملاك. واننا بإشرابنا الجمهور كله نزعةَ الاعتداد بالنفس ، وتلقيحه بهذا اللقاح ، نكون قد فككنا رابطة الاسرة ، واذبنا ما لها من قِيَمٍ ثقافيةٍ ، وازحنا من الطريق الأفراد الذين يُحتمل لِمَا لهم من عقل ان ينشقّوا عن الجماعة المذعنة ويذهبوا طريقاً مخالفاً لنا ، واذا ما عنّ لهم ان يفعلوا مثل هذا ، فالدهماء الذين اصبحوا في جهتنا يقومون على الأفراد المنشقين ويخرسونهم . فالدهماء حقاً اعتادوا ان يصغوا لنا وحدنا ، لأننا نكافئهم على الطاعة والاصغاء . بهذه الطريقة نخلق قوةً طائشةً عمياء عنيفة ، وهي على وضع لا تتمكن معه من اتيان أية حركة في أي اتجاه دون ارشاد عملائنا الذين أقعدناهم مقعد الرياسة ، وهم من الدهماء ، وامسى امرهم بيدنا ، ثم ان الشعب لن يتوانى في الاستكانة الى هذا العهد ، لانه يعلم ان تحصيل قوته والوصول الى مطالبه ومنافعه ، كل ذلك يكون موقوفاً على اتّباع قادته هؤلاء المنصوبين عليه .

واما مشروع انشاء الحكومة ، فينبغي ان ينفرد بوضعه دماغ واحد منا ، لأن هذا الأمر اذا تولاه عدة نفر ، اختلف الرأي ووقع التنابذ ، وجاءت الحكومة ولا نصيب لها من التماسك . فعلينا ان ندقق في هذا المشروع من ناحيته العملية ، لكن لا يجوز بمجال علاجه بالمناقشة العلنية ، كي لا يفسد ما

فيه من مزايا الضبط والاحكام ، وتُسلب منه خاصية التماسك والترابط ، وما تضمنته كل فقرة من المقاصد التي أرسلناها غامضة . فاذا أبحنا للدهماء نقاش المشروع ، واقترحوا التغيير والتبديل ، بطريق التصويت ، فكأننا أبحنا لهم ان يذهبوا في ذلك مذاهب متضاربةً لا تقف عند حدّ ، وتتصادم اقوالهم وآراؤهم الى ما فيهم من سوء فهم ،وهم بعد ذلك اقصر مدًى فكرياً من ان يكتنهوا خفاياه فيجب علينا الاّ نطرح بنتاج عبقرية رجالنا الى أنياب من ينهشهــا ، حتى ولا الى النفر المتزعم من الدهماء . وهذه المشروعات الانقلابية لا تكون حتى الآن قادرة على قلب الأنظمة القائمة ، رأساً على عقب. قصارى ما تستطيع ان تبلغه انها تُحدِث تغييراً في المجال الاقتصادي ، وبحكم النتائج كلها جملة واحدة ، يقع تبديلٌ كذلك في مجرى حركة التقدم والتطور ، ينسجم واتجاهنا المخطط .

* * *

وفي جميع البلدان نرى شيئاً واحداً ، اختلفت اسماؤه والمحد معناه : التمثيل النيابي ، مجلس النواب ، والوزارة ، مجلس الشيوخ ، مجلس الشورى الأعلى ، السلطة الاشتراعية ، السلطة التنفيذية وامثال ذلك . ولا حاجة بي ان اوضح لكم ما بين هذه المؤسسات من الصلة الآلية الرابطــة ، اذ تعلمون ذلك جيداً . وانما ألفِت نظركم الى ان كلًّا من هذه المؤسسات ، تقــابله وظيفة مهمة من الوظائف التي تقع على عاتق الدولة . وارجو منكم الملاحظة ان نعني الوظيفـــة بالمهمة في العبارة السابقة هنا ، لا اعني به ان الأهمية المقصورة ، عائدة الى المؤسسة نفسها من حيث هي . كلا . بل أعني ان الأهمية هي أهمية الوظيفة التي تقوم بهـــا المؤسسة . وهذه المؤسسات قد اقتسمت فيما بينها وظائف الدولة ، من ادارية واشتراعية وتنفيـذية ، وهي تقوم بها قيام اعضاء الجسم الانساني بوظائفه نحو مركب الجسم كله ، فاذا اعتلّ عضو واحد من هذا المجموع اعتل سائره بفعل تعدي الأثر ، ثم يفسد الجسم كله .. فيدركه الفناء .

ولَمّا أدخلنا اسم الليبرالية على جهاز الدولة ، تسممت الشرايين كلهــا ،

ويا له من مرض قاتل ، فما علينا بعد ذلك إلاّ انتظار الحشرجة وسكرات الموت ..

أن الليبرالية انتجت الدول الدستورية التي حلّت محل الشيء الوحيد الذي كان يقي الغوييم – السلطة المستبدة . والدستور ، كما تعلمون جيداً ؛ ما هو الا مدرسة لتعليم فنون الانشقاق ، والشغب ، وسوء الفهم ، والمنابذة، وتنازع الرأي بالرد والمخالفة ، والمشاكسة الحزبية العقيمة ، والتباهي باظهار النزوات . وبكلمة واحدة : مدرسة لاعداد العناصر التي تفتك بشخصية الدولة وتقتل نشاطها . ومنبر الثرثارين وهو ليس اقل من الصحف افساداً في هذا الباب ، راح ينعي على الحكام خمولهم وانحلال قواهم ، فجعلهم كمن لا يرجى منه خيرٌ او نفع . وهذا السبب كان حقاً ، العامل الاول في القيام على كثيرين من الحكام فأُسقطوا من على كراسيهم . فأطل عهد الحكم الجمهوري ، وتحقق ، فجئنا نحن نبدل الحكم بمطية من قِبَلِنا ونجعله على رأس الحكومة – وهو ما يعرف بالرئيس ، نأتي به من عداد مطايانا او عبيدنا ، وهذا ما كان منه المادة الاساسية المتفجرة من الالغام التي وضعناها تحت مقاعد شعب الغوييم ، بل على الاصح شعوب الغوييم .

وفي المستقبل القريب ، سننشىء نظام مسؤولية رؤساء الجمهوريات .

وحينئذ نكون قد اصبحنا في وضعٍ يمكننا من اغفال القيمة الشكلية في اجراء الامور التي يكون الرئيس المطواع هو المسؤول عنها . ثم وماذا يهمنا اذا رأينا الذين يتهافتون على الكراسي والوصول الى الحكم ، يَفني بعضهم بعضاً ، في حال ظهور أزمةٍ مغلقة ناشئة عن استحالة العثور على رئيس جديد ، ومثل هذه الازمة يوقع البلاد في الداهية الدهياء .

وحتى نقتطف الثمرات من خططنا ، سنشير باجراء انتخابات لاختيار هذا الرئيس ، ويكون اختياره من بين اولئك النفر الذين سبق لهم فتلطخ

ماضيهم بما يشين ويعيب ، ولم يكتشف امرهم بعد ، كالذين كان من فضيحة بناما ، او غيرهـا ، والذي نختاره رئيساً من هذا الطراز ، لا بد ان يكون عميلاً لنا موثوقاً به ، قادراً على اتباع ما توحيه خططنا . وما يدفعه الى هذا، خشيته ان يُفضَح امره ، ويُكشف الستر عنه ، يضاف الى هـــذا ما في نفسه من الرغبة الطبيعية ، كما في غيره ، للاحتفاظ بما انساق اليه من جـــاه وامتياز ومقام ومكانة ظاهرة ، عن طريق السياسة . امـــا مجلس النواب فشأنه ان يكون بمثابة الوقاء للتغطية على الرؤساء ، وحمايتهم وانتخابهم ، ولكننا سننزع من المجلس حق الاقتراع فيمن هو الرئيس الجديد ، وحق تغيير القوانين القائمة ، لأن هذا الحق نمنحه الرئيس المسؤول ، المطية الذلول ، ثم من الطبيعي ان ما يتمتع به الرئيس من صلاحيات يجعله هدفاً يرمى بالنبال ، من الحسد او الضغينة ، فيُمْطَر بالنقد والتجريح من كل جهة ، لكننا نمدّه بمـا يدافـــع به عن نفسه ، وهو حق الاحتكام الى الشعب ، من فوق رؤوس النواب ، والشعب اعمى ، (او كثرة الدهماء) اعتاد الانقياد والطاعة . وما عدا هذا ، فاننا سنسلـّح الرئيس بحق آخر : هو اعلان الحرب . ونبرر هذا ونسوّغه من ناحية ان الرئيس بصفة كونه القائد الاعلى للجيش وسيد البلاد ، ينبغي ان يكون في متناوله هذا الحق لحاجته الضرورية اليه من اجل الدفاع عن سلامة البلاد وحماية الدستور الجمهوري الجديد، فهو المسؤول عن الدستور وهو يمثل الدستور .

وبمعزل عن هـــذا ، فاننا سننزع من مجلس النواب حق توجيه السؤال الى الحكومة ، او استجوابها ، فيما تتخذه من تدابير في نطاق صلاحياتها ، ونتخذ حجة في هـــذا ، الحفاظ على الاسرار السياسية للدولة . واكثر من ذلك ، فاننا سنخفض عدد النواب الى الحد الادنى ، فيخف بذلك الشغب السياسي، ويتوارى من في نفسه الشره للاشتغال بالسياسة . فاذا هو مع هذا ، اندفـع الى الشغب وهذا لا يتوقع، فالمندفعون لا يكونون الا قلة ، فنجرفهم ونمسحهم مسحاً ، وذلك بان يطلب رد الامر الى الامة لاستفتائهـا ... ويتوقف على

الرئيس تعيين الرئيسين لمجلس النواب ومجلس الشيوخ وتعيين وكيليهما ايضاً . وبدلاً من ان تعقد المجالس النيابية جلسات عديدة ، فيختصر ذلك الى اقل عدد ممكن ولبضعة أشهر وكفى . والرئيس ، بصفته رئيس السلطة التنفيذية ، يكون من صلاحيته ايضاً دعوة مجلس النواب الى الانعقاد ، وله تعطيله او حلّه ، وفي هذه الحالة الاخيرة تطول فترة الحلّ قبل العودة الى انعقاد آخر. وحتى لا تقع نتائج هذه الاعمال كلها ، وهي في مادتها غير قانونية ، على كاهل الرئيس فتهيض جناحه ، قبل ان يكمل استواء مخططنا ، ونحن جعلناه مسؤولاً تحمّل اعباءَه ، فاننا سنحرض الوزراء وكبار الموظفين الاداريين على ألا يأخذوا إخذَه ، ولا يجاروه في اهوائه ، ليروا في المسألة رأيهم مستقلين عنه ، وبهذا يصبحون هم كبش النطاح بدلاً منه . واننا نوصي الوصية المُلِحّة ، بأن هذا الاسلوب من اساليب عملنا ، لا يُسمَح بتطبيقه إلا فيما يتعلق بمجلس الشيوخ ومجلس الشورى الأعلى او مجلس الوزراء ، لكن من المؤكد لن يسمح بذلك لموظفين بمفردهم .

ثم ينبري الرئيس ، بايعازٍ منا، يبيّن ان منشأ هذه العقدة انما هو تضارب التفاسير القانونية المتعددة ، ثم يُلـغِي كل ذلك عندما نشير اليه بالالغاء . ويكون له الحق بعد ذلك ان يقترح ويضع قوانين موقتة ، بل اكثر من هذا، ان يتخطى احكام الدستور ، وحجته في هذين الامرين ما تقتضيه مصلحة الدولة العليا .

بهذه التدابير نتمكن من القبض على السلطة التي ندمّر بها شيئاً فشيئاً ، وخطوةً خطوةً ، ما نريد ازالته من دساتير العالم تمهيداً للانتقال الكبير ، ثم يعقب ذلك قلب كل حكومة وجعلها مقطورةً الى سلطتنا تابعة طائعة .

والاعتراف بصاحبنا ، صاحب السلطة المستبدة المطلقة ، قد يقع حتى قبْل تدمير الدساتير . وانما تقع هذه الحالة عندما تهبُّ الشعوب ، وقد سَئِمَتْ من عجز الحكام ومخالفاتهم للقوانين — (وهذا ما سنعنى بتدبيره) صائحة : « اذهبوا بهؤلاء عنا ، واعطونا مَلِكاً واحداً يحكم الدنيا كلها ،

ويوحّد امرنا ، ويجمع شملنا ، ويلاشي اسباب فرقتنا - ويخلّصنا من مسائل الخلافات على الحدود الاقليمية ، والتباهي بالقوميـــة والعنصرية ، والتزمت الديني ، والديون التي ترزح تحتها الدولة - ويوردنا موارد الامان والسلامة ، ويحقق لنا ما فشل فيه حكامنا وممثلونا السابقون » .

* * *

وانكم تعلمون تمام العلم ، اننا من اجل ان نهيء لجميع الامم اطلاق هذه الصيحة ، لا بد من وسيلة الى ذلك ، وهي رمي البلدان المختلفة بما يشغل بالها، ويقيمها ويقعدها ، فتسوء العلاقات بين الحكومات ورعاياها ، ويظل هـــذا الانهيار في طريقـــه حتى تستنزف قوى الانسانية ، وتهلكها الانقسامات ، وتفشو بينها الكراهات ، والمكايدات والحسد ، والاستغاثات طلباً للنجاة من تعذيب الاجساد ، كما تفشو المجاعات ونشر جراثيم الامراض عمداً ، فيستسلم الغوييم فـــيرون ان لا مخرج لهم ولا سلامة الا بان يلوذوا بسلطتنا الكاملة المجهزة بالمال وكل شيء آخر .

لكننا اذا اعطينا الامم فترة تنفس واستراحة ، فاليوم الذي نرتقبـه ، يقلُّ الامل كثيراً في الوصول اليه .

البروتوكول الحادي عشر

برنامج الدستور الجديد ـ بعض التفاصيل المتعلقة بالثورة الجديدة ـ
الغوييم قطيع من الغنم ـ الماسونية السرية ومحافلها
التي هي « معرض » خارجي

مجلس الدولة الأعلى او مجلس الشورى الاعلى ، كان ولا يزال أقوى تعبير عن سلطة الحكم ، وسيبقى الواجهة الخارجيـــة للسلطة الاشتراعية ، أو بالاحرى ما يسمى بلجنة تحرير القوانين والانظمة التابعة للحاكم .

وهذا هو برنامج الدستور الجديد . سننشىء الاوضاع اللازمة للقانون والحق والعدالة ، حتى يبدو ان هذه العناصر الثلاثة قد تبوأت مكانهـا المعد لها . ونفعل ذلك بثلاث طرق : (١) في قالب مشروعات قوانين تحال على السلطة الاشتراعية (٢) في قالب مراسيم مجلس الوزراء (٣) وفي حالة سنوح الفرصة المؤاتية في شكل ثورة تهبّ رياحها داخل الدولة .

وبعد أن نكون قد فرغنا من ترتيب هــذه الامور على مواقيت ، فاننا نتحول الى جهة اخرى ، فنُعنى بتفصيل ما يتعلق بالمناحي التي بها تتم مجاري الثورة عن طريق أجهزة الدولة في الاتجاه المقرر . وأعني بهذه المناحي حرية الصحافة ، حق تأليف الجمعيات والاحزاب والهيئات، حرية الرأي والضمير، حق التصويت في الانتخاب ، وغير ذلك مما يجب ان يمحى ويغيب الى الأبد من ذهن الانسان ، او ان يُعدَّل تعديلاً ينسف حتى الأساس ، شرط أن يقع هذا كله غداة اعلان الدستور الجديد بلا تراخ . وهذا مستطاع الآن في هذه الفترة ، فنصدر أوامرنا كلها دفعة واحدة ، ولا نؤخر منهـا شيئاً ،

إذ لو أخرناها أقل تأخير وألحق بالدستور تعديل تالٍ ، فكل تعديل ذو بال يقع على هذا الوجه ، لا بد أن يكون فيه خطر ، للسبب التالي : اذا كانت مادة التعديل خشنة فظة ، وكانت طريقة الاقتراح خشنة فظة كذلك ، مع قصر نظر المقترح في موضوعه ، فقد يشمخ المقترح بأنفه ويعتقد ان هذا التعديل يفتح الباب لأمثاله ينسجون في الاقتراح على منواله ، وحينئذ يقال بأننا قد اعترفنا بأخطائنا ، وهذا ينال من الهيبة المحيطة بسلطتنا المعصومة ، او يقال انه قد دخلت علينا مخاوف فاضطررنا الى المسايرة والمجاراة ، وعلى هذا الموقف لا يشكرنا احد ، بل يظنون اننا نزلنا على الاكراه ، وغُلِبنا على أمرنا. وكل وجه من هذه الوجوه ضارٌ بسمعتنا بين يدي الدستور الجديد . وأما ما نريد ، فهو أن تعترف الشعوب فوراً ، وحرارة الانقلاب لم تبرد بعد ، بأننا أقوياء ، ولا سبيل لأحد الى زحزحتنا قيد شعرة ، وكلنا بأسٌ رهيب من قرننا الى قدمنا ، فلا نحسب حساب أحد ، ولا نخاف الخوف الذي يضطرنا الى الأخذ برأي احد ، ونحن على استعداد في كل وقت ومكان ان نسحق كل من ينبس بكلمة اعتراض ، ونثبت اننا قد ملّكنا الامر كله على الغوييم ، وليس بودنا ان نتقاسم واياهم ما مَلكنا ، واننا نفعل هذا والرؤوس لا تزال دائخة من هول ما وقع والناس مأخوذون ، والخوف يتملكهم . حينئذ تراهم مما اعتراهم من الفزع قد أغمضوا عيونهم على ما رأوا وسكنت حالهم ، وراحوا ينتظرون ما تكون العاقبة .

* * *

الغوييم قطيع من الغنم ، ونحن ذئابهم . وتعلمون ماذا يحلّ بالغنم اذا جاءتها الذئاب .

وهناك سبب آخر يحملهم على اغماض العين : فاننا سنوالي ازجاء الوعود بأننا ساعة نفرغ من تحطيم أعداء السلام وترويض جميع الأحزاب ، سنعيد اليهم الحريات التي أخذناها منهم ، لكن سيطول بهم الزمن وهم ينتظرون .

فلأي غاية ، نسأل الآن ، قمنا باختراع هذه السياسة ، وتلقيح أذهان الغوييم بها دون ان نعطيهم الفرصة للتفكير فيما وراءها ؟ هل الغاية إلا أن نبلغ من هذا كله ، بطريق المراوغة والدوران ، ما لا نستطيع بلوغه بسلوكنا الطريق المستقيم ؟ هذا لعمري هو الاساس الذي قامت عيه مؤسستنا الماسونية السرية التي لا تعرف حيوانات الغوييم من امرهـــا شيئاً يذكر ، ولا من اغراضها الخفية الا ما يؤخذ بالظن والتقدير . فاجتذبنا الغوييم الى القافلة الجرارة من معارض الاندية والمحافل الماسونية فقامت هذه المحافل بذر الرماد في عيون اعضائها . والله قد أنعم علينا، نحن الشعب المختار ، بنعمة السبي والجلاء ، والتفرق والشتات في الارض ، وهذا الامر الذي كان فيما مضى مجلى ضعفنا ، انقلب فيما بعد سبب قوتنا التي افضت بنا الآن الى ان نلج الباب الذي منه نبسط سيادتنا وسلطاننا على العالم كله . هذا ما بلغناه . وأما ما بقي علينا ان نبنيه ونرفعه فوق الاساس فليس علينا بعسير .

البروتوكول الثاني عشر

نوع الترجمة الماسونية لكلمة « حرية » ـ مستقبل الصحافة في المملكة الماسونية ـ التسلط على الصحافة ـ شركات الأنباء ـ مـــا هو التقدم في رأي الماسونية ؟ ـ الصحافة أيضـــاً من ناحية أخرى ـ التضامن الماسوني في صحف العصر ـ اثارة مطالب الرأي العام في الأرياف ـ العهد الجديد معصوم .

كلمة الحرية التي تفسر تفسيرات مختلفة ، انما لهـا عندنا هـذا التحديد : الحرية هي حقك ان تفعل ما يبيحه لك القانون. وهذا التحديد يكون مفيداً لنا في الوقت المناسب ، لان زمام الحريات كلها سيكون بيدنا ، بعد ان تصبح القوانين هي صاحبة القول الفصل تأخذ ما تأخذ ، وتعطي ما تعطي ، على ما تتطلبه مصلحتنا ، وعلى النهج الذي نريد .

وسنعامل الصحافة على هذا المنوال :

فما هو الدور الذي تمثّله الصحافة اليوم ؟ أهي دائبة العمل على الإثارة والتحريض ، واشعال العواطف التي تخدم غايتنا ، ام هي في خدمة اغراض الاثانية للأحزاب ؟ ومن هنا هي على الغالب تافهة ، تأخذ جانب الشطط ، كاذبة مختلقة ، وجمهور الشعب يجهل الاغراض التي تتخبط وراءها الصحافة . اما نحن فسنسرجها ونلجمها ونأخذها بعنانٍ شديد ، ومثل هذا نصنع إزاء جميع ما تخرجه دور الطباعة والنشر من انتاج مختلف الألوان ، اذ لا يكون هناك من معنى لتخلصنا من حملات الصحف علينا ، مع بقائنا هدفاً للنشرات والكتب . وسنعنى العناية الخاصة بما يتعلق بمادة النشر والطبع ، مما تخرجه

المطابع على اختـــلافه . فاخراج المطبوعات اليوم كثير التكاليف والنفقات بسبب الرقيب . وهذا الأمر الدائر كله حول المطبوعات ، سنحوّله الى مورد يدرّ على خزينة الدولة دخلاً غزيراً . وسَنُخْضِـع الصحف لنوع من الضريبة البريدية ، ودفع الوديعة المالية الاحتياطية مسبقاً قبل اصدار الرخصة ، ويتناول هذا التدبير أيّ نوعٍ من النشرات والصحف والمجلات . وهذا التدبير يكفل لحكومتنا الوقاية من اي حمـــلة كتابية علينا من جانب الصحف . وحينئذٍ ، فأي محاولة للحملة علينا ، هذا اذا كانت محتملة الوقوع ، بوسعنا ان نخمدها في أي وقت عن طريق فرض الغرامة المالية بلا رحمة ، وباقتطاع هذه الغرامة واستيفائها من الوديعة ،وهذا كله يأتي منه دخل كبير . صحيحٌ ان صحف الأحزاب قد لا يكون لديها مـــال مرصد لينفق على النشر ، فهذه الصحف اذا هاجمتنا فسنغلقها اذا كرّرت عملها. ولن يكون بوسع احد ، مهما ظن انه في حصانةٍ من نفسه ، ان يـلوّح بالنَقْد ولو بطرف اصبعه ، قاصداً ان ينال من هالة التقديس المحيطة بحكومتنا . وستكون حجتنا في وقف اي نشرة ، انها أساءت الى الرأي العام بما كتبت ونشرت دون مناسبة او مبرر. وارجو منكم ان تلاحظوا ان بين الصحف المهاجمة لنا ، تكون هنـاك صحف أخرى حقيقتها مستترة ، وكلهم في الحلبة شيء واحد، غير ان المستترة بقناع هي الصحف التي نحن انشأناها سراً ، فاذا حملتْ علينا ونَـقَـدَتْـنا ، فانما هي تفعل ذلك في الموضوعات التي نكون نحن قد قرّرنا من قَبْلُ ، ان يجري تعديلها ، ولا ضرر من اثارة النقد في مثل هذا الظرف .

ولن تصل اذاعة ايُّ نبأٍ الى الجمهور عن طريق الصحف ، قبل انتكون مادة الخبر قد مرت علينا . وكاد هذا الامر يكون واقعاً اليوم على هـــذا الوجه ، وزمامه بيدنا ، على ما نراه في شركات الانباء والاخبار القليلة العدد، حيث تتوافد عليها الانباء من مختلف انحاء العالم ، وفي اليوم القادم سيكون امر هذه الشركات لنا نصرّفه كيف نشاء ، ولن يُطـْلـَق نبأ واحد الى العالم إلا ما نمليه نحن . فاذا كنا قد توصلنا حتى اليوم الى ما فيه رضانا ، فلننظر

فلا نرى دولة واحدة تقف بيننا وبينها حواجز تؤخرنا عن الوقوف على ما يسميه الغويم الاغبياء بأسرار الدولة ، فكيف تكون الحال من جهتنا من وسع حيلة ، ونفوذ كلمة ، وتوغل في كل ناحية ، بعد ان يُعتَرف بنا اننا سادة العالم في شخص ملكنا الذي سيطبق سلطانه الارض كلها ؟

وَلْنَعُدْ الى امر المطبوعات والنشر في المستقبل . فكل واحد من العاملين في هذا الحقل ، يرغب في ان يكون ناشراً ، او صاحب مكتبة ، او متعاطياً فن الطباعة ، عليه ان يكون حاصلاً على دبلوم احد المعاهد ، فاذا عثر او كبا ، ضبطنا منه الدبلوم وسحبناه منه بلا تردد . وبهذه الوسيلة والتدابير ، تغدو اداة النشر الفكري في آفاق الرأي العام ، اداةً تعليمية في يد حكومتنا ، فلا تبقى الجماهير بعد ذلك عرضة للتضليل بالطرق الملتوية والنزوات ، والتغني الباطل ببركات مزعومة جاء بها عصر التقدم والنور . ومن منا لا يعلم ان هذه البركات الخيالية الموهومة ، ما هي الا الطريق التي تؤدي تواً الى متاهات التفكير الجنوني، وهذا التفكير الجنوني يفضي بصاحبه الى حيث تتولد بذور الفوضوية ، تنتشر بين الناس انفسهم ثم بينهم وبين السلطة ، لأن التقدم ، او بالاحرى فكرة التقدم كان السبب في الانطلاق الى التحرر من كل نوع بلا ضابط ، وكل ذلك جمد بالتالي وتوقف عن عجز . وجميع من يسمون بالاحرار هم دعاة فوضوية ، واذا لم يكونوا هذا في الواقع فعلى الاقل هم هكذا في الفكرة . وكل واحد من هؤلاء راح يتخبط وراء خيالاته ، ويزداد افراطاً وجنوناً حتى يقع في حفرة الفوضى، فيصيح ويحتج، لا من اجل شيء بل لمجرد شقشقة الالسنة بالاحتجاج .

ونتناول الآن الصحف الدورية من مجلات ونشرات وأمثالها . وهذه ايضاً سنخضعها كغيرها من سائر المطبوعات للضريبة البريدية ، على ان يكون مدار الاستيفاء موقوفاً على عدد صفحات النشرة ، ونُلْزِمُها باسم القانون دفع الوديعة المالية الاحتياطية ، واما الكتب التي تتألف من أقل من ٣٠ ملزمة ، فاننا نرتب عليها دفع الضريبة مضاعفة ، وسنعتبر المجلات الدورية من نوع

الـكتب الصغيرة او النشرات ، والقصد من هذا على نوعين ، اولاً : ان يتناقص عدد هذه المجلات ، وهي في الواقع اردأ انواع المطبوعات وأسمُّهـا مادة ، وثانياً : ان يُكـْرَه الكتـّاب على الاكثار من هذه المادة ، اكثاراً مُمِلاً يحمل القراء على ان يُعرِضوا عن المطالعة ، وهذا بالاضافة الى غلاء الثمن . امـا نحن ففي الوقت نفسه سنتولى اصدار مجلات من قِبَلِنا لتنشيط الحركة الذهنية في اتجاهنا،وأثمان مجلاتنا هذه رخيصة،ومادتها يشغف القارىء بمطالعتها.والضريبة البريدية ستحدّ كثيراً من مطامع المنتمين الى صناعةالكتابة، فيجدون انفسهم محصورين في نطاق ضيق،ولا مجال لهم للعبث،ثم تدركهم حين الاقتضاء الغرامات المالية، فينوءون تحتها فيجمدون ثم ينتهون الينا . ومـع هذا ، فاذا اغترّ واحــد منهم بعد ذلك بالحملة علينا ، فلن يجد المطبعة التي تقبل ان تطبع له ما يريد قبل ان تراجعنا للاذن بالطبع . وبهــذه الطريقة نتمكن من الوقوف على المادة المراد نشرها قبل طبعها ، وتنكشف لنا الحيلة، فنضرب بالمادة عرض الحائط ، لكننا ننظر في محتواها ، فاذا وجدنا فيــه شيئاً يقتضي الايضاح للرأي العام ، فعلنا ذلك من تلقاء انفسنا .

صناعة الادب والصحافة في مضمارهما ، هما اشد عوامل التهذيب ، ولهذا السبب ستكون حكومتنا مالكة مقود معظم الصحف ، وهذا من شأنه ان يعقّم العوامل الضارّة في هذا الباب ، مما يملكه ارباب الصحف . وبهــذا التدبير نكون قــد امتلكنا القوة الاولى الموجهة للرأي العام. واذا اعطينا، مثلاً ، عشر رخص لاصدار صحف الى مطلق الناس ، فينبغي ان نعطي الى جماعتنا ثلاثـين رخصة ، ويجري الامر في اي صعيد آخر على هذه النسبة . ولا يشك الرأي العام في ما نصنع ، اذ كل الصحف التي تنتمي الينا ستكون من حيث المظهر جامعة لمختلف النزعات والآراء المعارضة ، وهذا مــا يوهم الجمهور ، دون ان يدري ما وراءه ، ويستدني الينا الخصوم الذين لم يمعنوا في اساءةالظنون بنا ، فنتلقاهم ،ونستلّ منهم الاشواك ، فيغدون ولا ضرر منهم.

ففي الصف الاول تأتي الصحف ذات الصبغة الرسمية ، الناطقة بلساننا .

وهذه الصحف هي الحارس على مصالحنا دائماً ، ولذلك لا يكون لهـا كبير تأثير في مجرى حركة الرأي العام .

وفي الصف الثاني تأتي الصحف التي صبغتها شبه رسمية ، وهذه هدفهـا استمالة الفاترين الباردين ، والذين هم على مفترق الطرق ، وقليلاً ما يبالون .

وفي الصف الثالث الصحف التي نعهد اليها في معارضتنا في الظاهر ، وفي واحدة منهن على الاقل ينبغي ان تكون المعارضة على اشدّ ما يمكن من المرارة. اما خصومنا الحقيقيون فانهم في سرهم سيرتضون هذه الحال بصمت ، فـلا يفطنون ان المسألة تمثيل خـادع على المسرح ، فتجوز عليهم الحيلة . وبهذه الحيلة التي انطلت عليهم ، يكشفون لنا عن اوراقهم .

وجميع صحفنا الـتي تشرب من مائنا ستحمل شتى الوجوه والسحنات والنزعات : من ارستقراطية ، الى جمهورية ، الى ثورية ، وحتى فوضوية ، الى آخر ما تحتمله قائمة الاسماء . وستكون هذه الصحف كصنم فشنو في الهند لها مئة ذراع وذراع ، وكل عين من عيونها مفتوحة على ناحية من نواحي الرأي العام . فاذا ما اشتد نبض صحفيٍّ ما ، وظهرت حُمَّى من الحميات ، فتلك الأيدي ترشد الرأي العام الى ما نريد ، لأن المريض ، الثائر النفس ، يفقـد توازن الفكر ويميل الى قبول نصيحة تعمل على تسكينه والتخفيف عنـه . واولئك المجانين الذين يظنون انهم على حق في ترديد ما قالته جريدتهم الناطقة بلسان معسكرهم ، يكونون في الواقـع يرددون مقالتنا نحن من حيث اصل الفكرة ، او ما يجري مجراها من امثالها . ويكون عبثاً ظنهم انهم يتعلقون بما هو من بضاعتهم ، بينما الراية التي يدافعون عنها ، وتحتها يقفون ، هي رايتنا مرفوعة فوق رؤوسهم .

وحتى ينتظم امر الصحف المتجندة لنا ، على هذا الغرار المتقدم ، فعلينا العناية الدقيقة بكل ما يتعلق بها ويؤول اليها . وتحت ستار دائرة مركزية للمطبوعات ، سننشىء خلايا ادبية الصبغة يتلقن منها عملاؤنا ما يلقى اليهم

من تعليمات وأوامر ، وكلمات سر ، كل يوم بيومه ، دون ان يكون شيء من امر هذا يلفت النظر . وتجري في هذه الخلايا مناقشات على وجهي النفي والاثبات ، والمناقضة والتأييد ، وكل هـذا انما هو من التمثيل والمظهر المصنوع لا أكثر ، دون تعمق الى الجوهر الحساس. وستتولى الصحف السائرة في ركابنا شنّ حملةٍ عنيفة صارمة على الصحف الرسمية الناطقة باسم الدولة ، وما الغرض من هذا سوى اعطائنا الفرصة لنـدلي في هذه المناسبة بتصريحات حول الموضوع اوسع وأشمل مما لو جئنا نعالجه ببيانات رسمية في اوقات أخرى . وظاهرٌ جليٌ وجه النفع لنا من هذا .

وهذه المهاجمة التي وُجِّهَتْ الينا ، يكون لنا منها فائدة اخرى ، وهي ان تقتنع رعايانا بان الحريات التامة متوفرة لها ، ومن هـذه تلوح الفرصة لعملائنا فيثبتوا ان جميع المعارضة مـا هي الا ثرثرة فارغة ، تخبط خبط عشواء ، فالمجال امامها فسيح لتقول وتثبت حجة ما تقول ، فلم تفعل شيئاً من ذلك، وعجزت عن اقامة الدليل الواقعي على دعواها . والأمر من طرفيه يكون محكاً على ما أصدرنا من تعليمات بشأنه الى عملائنا .

***

ان الاسباب الادارية التي من هذا الطراز ، وهي جدّ دقيقة ، وتخفى عن عيون الرأي العام ، تغدو خير الوسائل لجعل الرأي العـام يلتفت الى حكومتنا بالثقة والاطمئنان . ومرحى لهـذه الأسباب البارعة تمكننا من وقتٍ الى آخر ، حسب الاقتضاء ، من تهييج الرأي العام او تسكينه، حول موضوع سياسي ، او من اقناعه به أو حمله على التشكيك ، والتشويش عليه، فننشر اليوم ما هو الصدق والحق ، وغداً ما هو الكذب والباطل والافتراء، وتارةً المسلّم به ، وطوراً ما هو نقيضه ، وهكذا دواليك ، ودائماً نتحسس الأرض التي نمشي عليها قبل َنقْل الخطى ، كي لا نعثر . والنصر مضمونٌ لنا على اعدائنا ، اذ ليس بيدهم صحف رهن امرهم كما لنا نحن ، تنشر آراءهم على

نحو ما نفعل نحن . وعندما تعـالج مسألة من مسائلهم ويؤول الأمر الى اسكاتهم ، نكتفي بعد ذلك بالتنفيذ السطحي ، ولا نزيد .

وصغائر هذه العبارات النارية نطلقها عند الحاجة صحف الصف الثالث ، فنظهر السخط عليها وندعي عدم الرضى عنها،بل تفندها صحفناشبهالرسمية .

* * *

وحتى في ايامنا هذه ، لنا مثال على اتجاهنا ، وهذا المثال نأخذه مما هو مشاهد في صحف فرنسا ، حيث تقع حالات وصور يظهر منها التسـانـد الماسوني على يد الشعار او كلمة السر : فان رجال الصحف في فرنسا مقيدون برعاية سر المهنة الصحفية ، وشأنهم اذا سألتهم عن مصدر خبر ما ، شأن العرافين في الزمن القديم . يجيبون بابهام ثم يصمتون ، وهؤلاء الصحافيون لا يبوحون باسم المصدر الذي استقوا منه الخبر ، الا اذا اجمعوا على البوح به ، فذلك شيء آخر . ولا تجد صحفياً واحداً يجترىء على فشو السر ، كما لا تجد صحافياً آخر يمكن ان ينتمي الى الاسرة القلمية الكتابية ما لم يكن في ماضيه قد ناله ما يُلَطِّخ ويَصِم ... وهذه اللطخات والوصمات ، لا تلبث ان ينكشف عنها الغطاء . وانكشافها ما دام محصوراً في فئة قليلة ، فيبقى ذلك الصحافي على حسن السمعة في نظر الجمهور ، يجتذبهم اليه وهم الدهماء يسيرون وراءه بنخوة وحماسة .

* * *

وحساباتنا هذهتتناول الآن اهل الارياف والقرى ، فلا بد من ان نستثيرهم ونستفزهم في ما له مساس بمسائل راحتهم وسلامتهم ، ومطالبهم ، واتجاهاتهم حتى اذا تحركوا وهاجوا ، حَمَلْنا قصتهم ونقلناها الى العاصمة وقلنا لاهلها: هذا ما تتعلق به آمالهم . وطبعاً يكون مصدر ما يطلبه هؤلاء واولئك ، نحن . ثم انما نحتاجه من الآن الى ان يحين وقت تسنمنا ذروة السلطة العليا،

ان نجعل العواصم والحواضر تصيبها الضربة في عراقيبها ، وهـذه الضربة هي الآتية من الارياف . ثم يقال لأهل العواصم : هذا هو رأي الامة ، اي رأي الاكثرية التي نظمها عملاؤنا ورتبوها ثم يجب علينا عند سنوح الفرصةالنفسانية المؤاتية ، ان نمنع اهل العواصم من مناقشة اي موضوع ، تمّ وانتهى ، بحجة انه اصبح في حكم الامر الواقع ، واهل الارياف ، وهم الكثرة ، قـد قبلوا هذا واقروه ، واقفل الباب .

* * *

وفي دور العهد الجديد ، وهو انتقالي الى الدور الاعلى حيث نتقلد زمام العالم كله يجب منع الصحف من نشر الفضائح على الرأي العام ، من ايّ نوع كان ، والضرورة القصوى لهـذا الوجه ، ان يعتقد الجمهور ان العهد الذي طلع عليه قد جاء بالخير والبركة الى كل انسان ، فراقت الاحوال ، وسكنت الطباع بعـد القلق ، وغابت الجرائم ، وصفَت الهيئة الاجتماعية من هذا الوباء ؛ واما حوادث الجرائم من حيث وقائعها المادية ، فتطوى طيّاً لا يعلم بها الا ضحاياها، وقد ذهبوا ، وشهودها ، ان وجدوا غرضاً ، ذهبوا كذلك.

البروتوكول الثالث عشر

الحاجة اليومية الى الرغيف ـ مسائل السياسة ـ المسائل الصناعية ـ فتن الملهيات المسليات ـ قصور الشعب ـ « الصحيح صحيح بذاته » القضايا الكبرى .

الحاجة الى رغيف الخبز كل يوم، تكرِه الغوييم على ان يخلدوا الى السكينة ، ويكونوا خدّاماً لنا طائعين والعملاء الذين نختارهم منهم لخدمتنا في الصحف ، سيقومون ، بايعازٍ منا ، بمناقشة ايّ موضوع لا يناسبنا ان نعالجه نحن في بيانات رسمية نصدرها الى الجمهور توّاً ، لكننا ، والنقاش دائر ، حامي الوطيس في اخذ ورد ، ما علينا سوى ان نقوم ، بهدوء تام ، بالاجراءات التي نراها ضرورية حسب رغبتنا ، وهي ما يتعلق بموضوع النقاش الدائر ، ثم نعرض المسألة على الرأي العام ، كأنها امر واقع قد فرغ منه . حينئذ لن يجرؤ احد على ان يتقدم فيطلب الغاء هذا الرأي الواقع ، وتضيق الحلقة به وبأمثاله ، عندما نكون قدّمنا ما قدّمنا بمثابة اصلاح وتحسين . وفوراً تقوم الصحف بدعوة الرأي العام واجتذابه الى ما هو اشياء جديدة فاتنة ، فتنصرف اليها الاذهان (الم نكن قد عودناها اشتهاء الجديد المستحب الصالح ؟) ثم ينبري لبحث الامور الجديدة اشخاص ما وُهِبوا من مقسّم الحظوظ الا فراغ العقول ، وهم الذين يغيب عنهم ان يفهموا انهم ليسوا على شيء ، واعجز من ان يدركوا اللباب. فامور السياسة انما نحن وحدنا نحذقها ، وقد هيأنا الله لها بفعل الاجيال الجديدة ، فمن مبدعها غيرنا ؟

تعلمون من كل هذا ، اننا في طلبنا موافقة الرأي العام على ما نكون بسبيله ، انما نطلبه في الواقع لنسهل به عمل اجهزتنا ، وقد تلاحظون ان ما نرغب في نيل الموافقة عليه ، ليس عملاً من اعمالنا التي انتهى امرها وفرغنا منها ، بل ذلك هو مجرد كلمات رمينا بها وقولٍ قلناه ، يتعلق بهذا او ذاك من الامور التجارية . ومن دأبنا دائماً ان نصرح ونعلن ، اننا في مسرانا نعتصم بالامل ، ووراءه اليقين ، اننا غير متوخين الا خدمة المصلحة العامة .

* * *

ولكي نصرف اذهان الجمهورالمزعج الشكس،عن مناقشة الامور السياسية فاننا نجيء اليه بما ندعيه بأنه الجديد المختار، في باب الصناعات ومــا اليها . وندعه يخوض في هذا ويسبح ما شاء . واعتادت الجماهــير الا تستسلم الى الاسترخاء ، وتنفض يدها مما تعده من متاعب السياسة (مما عودناها معاناته من قبل ، لنستغل ذلك في مكافحة حكومات الغوييم) الا اذا توافر لها من الاعمال المناسبة الاخرى ما تعتاض به عما تتخلى عنه من شواغل السياسة ، ولكي تبقى الجماهير في ضلال ، لا تدري ما وراءها وما امامها ، ولا ما يراد بها ، فاننا سنعمل على زيادة صرف اذهانهابانشاء وسائل المباهج ، والمسليات ، والالعاب الفكهة ، وضروب اشكال الرياضة ، واللهو ، وما به الغذاء لملذاتها وشهواتها ... والاكثارمن القصور المزوقة والمباني المزركشة، ثم نجعل الصحف تدعو الى مباريات فنية رياضية ومن كل جنس . فتتوجه اذهانها الى هــذه الامور وتنصرف عما هيأناه ، فنمضي به الى حيث نريد ، فيَسْلم موقفنا ، وهو الموقف الذي لو اعلناه بارزاً مكشوفاً ، تواً، بغير اصطناع هذه الوسائل الملهية ، لوقعنا في التناقض امام الجماهير . ثم ان الجماهير بحكم مــا الفته واعتادته من قلة التفكير داخل آفاقها النفسية ، ولا قدرة لها على الاستنباط، تراها شرعت تقلدنا وتنسج على منوالنا في التفكير اذ نحن وحدنا من يقدم اليها

المناحي الفكرية .. وطبعاً لا يكون هـــذا الا على يد اشخاص لا شك في اخلاصهم لنا .

والدور الذي يلعبه الليبراليون والطوباويون ، حملة الاحلام الخياليـــة ، يكون قد استنفد غرضه عندما تقوم حكومتنا ، وقد تمّ لها الامر . وربما تظهر حكومتنا ويبرز كيانها ، فاعمال هؤلاء تبقى مفيدةً لنا ، ونحن نمدّهم بما يوجه عقولهم الى انتحال كل تافهٍ من العقائد يرونه جديـــداً ، مطلوباً ومقبولاً ، السنا نحن الذين نجحوا في توجيههم بعقولهم الرخيصة ، توجيـــه التضليل والتعمية ، حتى باتوا ، ولا ترى فيهم واحـــداً قادراً على التمييز ، ومعرفة ان معنى كلمة التقدم يتضمن المفارقة او المناقضة في جميع الاحوال ، حيث لا يكون الشيء كناية عن اختراع مادي ، لان الصحيح بذاته هو على وجه واحد ثابت ، وليس فيه مـكان لمعنى التقـدم . والتقدم كفكرة، شيء فاسد ، ومن شأنه ان يجعل الصحيح مبهماً غامضاً محجوب الرؤية ، ورؤية الصحيح بجلاء ما خلقت الا لنا ، شعب الله المختار ، حراس هذا كله .

* * *

وعندما ندخل مملكتنا ، سيتولى خطباؤنا شرح هذه المسائل التي قلبت الانسانية رأساً على عقب ، وبالتالي جرّتها الينا . **أهناك من يشك مقدار ذرة ، ان جميع هذه الشعوب،نحن قد اقتدناها هذا الاقتياد المسرحي حسب مرادنا السياسي ، ولم يُرَ فيها أحدٌ خطر بباله او استطاع ان يدرك كيف سارت به قافلته هذه القرون العديدة .**

البُروتوكول الرابع عشر

دين المستقبل - العبودية في احوالها المستقبلة -
دين المستقبل مكتوم لا تصل اليه المعرفة - الادب
الاباحي والادب النشري العام
في المستقبل

متى ما وَلجنا ابواب مملكتنا ، لا يليق بنا ان يكون فيها دينٌ آخر غير ديننا ، وهو دين الله الواحد المرتبط به مصيرنا ، من حيث كوننا الشعب المختار ، وبواسطته ارتبط مصير العالم بمصيرنا . فيجب علينا ان نكنس جميع الاديان الاخرى على اختلاف صورها . فاذا ادّى هذا الى ظهور الملحدين والالحاد ، على ما نرى اليوم ، فذلك لن ينال من آرائنا شيئاً ، والدور دور انتقال ، بل يكون الالحاد بمثابة انذار للاقوام التي تُقبِل على استماع تبشيرنا بدين موسى ، وهو الدين الذي بوضعه الوطيد وكمال نظامه ، قد استمال جميع امم العالم تخضع لنا وحينئذ نعلن ان ديننا هو الدين الذي يتوجه به الانسان الى الملأ الاعلى بلا واسطة .وفي هذه المرحلة من هذا الدور الانتقالي ، سننشر على الناس من الفصول والمقالات والابحاث ما يتبينون به الفوارق بين حكمنا الخيّر واحكام العصور الغابرة ، بالمقارنة . وبركات الاستقرار الذي هو حصيلة عراك قرون عديدة ، ستعلي من قدر الخيرات التي تظهر من حكمنا . اما اخطاء حكومات الغوييم ، فسنحصيها عليها ونحاسبها بأشدّ ما يمكن من العنت . وسنذيع على الملأ بشاعة تلك الاخطاء الى حد يجعل الناس يؤثرون السكينة في دولةٍ هم فيها عبيدٌ مستخدمون ، على ما رأوا من فارغ حقوق الحرية التي عذّبت الانسانية واستنفدت قوة الوجود الانساني ، وهي القوى

التي استغلتها عصابات دهماوية ضالة ، مغامرة ، لم تعرف من حقيقة امرها شيئاً . وتغيير اشكال الحكومات فيما مضى ، وهو امرٌ طالما دفعنا الغوييم اليه واغريناهم باتيانه ، لمّا كنا نعمل على دكّ كيان الدول ، كان من نتيجته حتى الآن انه نَهَكَ طاقة الشعوب واستنزف عافيتها حتى امست مذعنة لتحمل اي مشقة في ظل حكمنا ، وهي ترى هذا خيراً لها من العودة الى معاناة العهود السابقة في ظل حكوماتها التي قد انطوت .

* * *

وفي الوقت نفسه ، لن ننسى ان نندّد بالاخطاء التاريخية التي ارتكبتها حكومات الغوييم ، الاخطاء التي تعذبت بها الانسانية دهراً طويلاً لعجز تلك الحكومات عن ان تفهم وتعي معنى ايّ شيءٍ من الخير المحض للانسانية ، فظلت (تلك الحكومات) راكبةً رأسها وراء مطالبها القائمة على الشهوات، والمكاره ، آملة املاً فارغاً انها ستحصل على البركات الاجتماعية ، ولم تلاحظ قط ان تلك المطالب كان من شأنها ان تزيد الشر وبالاً وسوءاً ، دون ان تحقق شيئاً من تحسين وضع العلاقات العامة بين البشر وهذه العلاقات هي اساس حياة الانسان .

وما تنطوي عليه مبادئنا من طاقة كامنة ، وما في قواعد عملنا من قوة، كل هذا ستنجلي محاسنه بطريقة واحدة ، وهي ان نعرض ذلك ونبيّنه للناس ونشرحه لهم ، فيظهر خيره للعيان بالمقابلة والمقارنة ، مع الانظمة السابقة التي فَنِيَتْ واضمحلت .

* * *

وسيتولى فلاسفتنا بالشرح والتوضيح ، الكشف عما تنطوي عليه معتقدات الغوييم الدينية من عوار . غير انه لن يسمح بان يطرح ديننا للبحث ابتغاء الوقوف على مقاصده وغاياته الصحيحة ، اذ هذا علمه محصور بنا ، مقصور علينا وحدنا ، ونحن دائماً حريصون على الاّ نبوح باسراره لغيرنا .

وفي خلال القرون التي تنعت بقرون النور والتقدم ، وَضَعْنا في ايدي الناس ضروباً من مادة الآداب المنشورة بالطباعة ، هي غايةٌ في التفاهة والقذارة والغثاثة . وبعد ان نقيم مملكتنا فهذه الانماط من مادة الادب ستظل على حالها سارية مسراها ، نروّجها ونحثّ عليها ، والغاية من ذلك انه عندما نأتي نحن بانفس طراز من محاضراتنا وخطبنا وابحاثنا وبرامج احزابنا، وكل ذلك رائع ، يوزع من قبل مقاماتنا العالية ، حينئذ يدرك الغوييم ادراكاً مذهلاً مدى الفرق العظيم بين ما اعطيناهم،وما كانوا عليه . وسيقوم حكماؤنا، المهيأوون لقيادة الغوييم ، بوضع المحاضرات ورسم الخطط والمشروعات،وكتب المذكرات وصنوف المقالات ، مما نستعمله نحن لفائدتنا ، فيسري اثره الى عقول الغوييم تتلقح به وتستضيء بنوره بالاقتباس منه ، استدراراً للمعارف ، على ما قررت مناهجنا .

البروتوكول الخامس عشر

الانقلاب او (الثورة) يعمّ العالم في وقت واحد - الاعدام - حظ ماسون الغوييم في المستقبل - اسرار السلطة - الإكثار من المحافل الماسونية - الهيئة المركزية الحاكمة من حكماء الماسونية - الأساليب المتحايلة - الماسونية وقيادتها جميع الجمعيات السرية - استحسان ما يقوله المغروررون - الجماعة المتضامنة - الضحايا - اعدام حتى من هم ماسون - سقوط هيبة القوانين والسلطة - مكاننا بصفتنا الشعب المختار - ميزة القوانين في الايجاز والوضوح في حكومة المستقبل - طاعة الاوامر - العقوبة لمن يسيء استعمال القانون - صرامة العقوبة - تحديد سن صرف القضاة من الخدمة - الليبرالية عند القضاة والسلطة - احتشاد أموال العالم - السلطة المستبدة الماسونية - حق الاستئناف في المستقبل - مظهر الأبوة في حكم المستقبل - حق القويّ هو الحق الوحيد ولا غيره - ملك اسرائيل هو الأبوّة للعالم بأسره

متى ما أنجزنا اقامة دولتنا بالانقلابات والثورات المعدة في كل مكان ، لتقع في يوم واحد موقوت ، بعد ان يكون أمر الحكومة قد بلغ غاية التدلي والتفاهة ، واتضح ذلك ولا سبيل الى انكاره (وما ينقضي من الوقت من يومنا الحاضر حتى يوم تحقيق أهدافنا المقبل قد يمتدُّ الى قرن) فاننا سنُعنى بعد ذلك بمكافحة أي شيء من حياكة المؤآمرات علينا ، وسنذبح بلا رحمة جميع الذين يتناولون السلاح (بأيديهم) ليقاوموا الانضواء الى مملكتنا . وكل نوع من المنظمات الجديدة يؤلف بعد ذلك ويكون من الجمعيات السرية ، يعاقب القائمون به بالموت . وأما الجمعيات القائمة اليوم ، وهي معروفة لدينا ، وتعمل في خدمتنا كشأنها في الأمس، سنجرّدها من سلاحها ، ونطرح رجالها

في المنافي في القارات البعيدة من اوروبا . ثم بعد ذلك نمضي ، ومعنا ماسون الغوييم الذين تحنكوا بالعمل ، فنالوا الخبرة والمعرفة ، كما يكون معنا أيضاً امثالهم ، ممن نعفو عنهم ، لسبب ما ، عفواً يبقيهم دائماً خائفين ، مترقبين المفاجآت ، يتوقعون النفي . وسنسنُّ قانوناً يجعل جميع الاعضاء في الجمعيات السرية السابقة معرّضين للنفي في اوروبا ، واوروبا حينئذ مقرّ حكمنا .

وستكون مقررات حكومتنا باتة ، لا استئناف لها .

واما جمعيات الغوييم السابقة التي زرعنا فيها بذور التفرقة ، والمخاصمة ، والتنابذ ، والانشقاق ، فنَمَتْ تلك البذور وامتدت جذورها ، فالطريقة الوحيدة لاقامة النظام في هذه الجمعيات هو اتخاذ تدابير صارمة تتجلى فيها سطوة السلطة بكل وضوح . ولا نبالي بالضحايا في هذا السبيل ، فان تضحيتنا هنا بهؤلاء انما هي لخير المستقبل ، وتحقيق هذا الخير للمستقبل ، ولو شُرِيَ بالضحايا ، ينبغي ان يكون الواجب المطلوب من كل حكومة تعترف بأن تبرير وجودها ، لا يتمّ بأن يكون لها حقوق وكفى ، بل لا يتم إلا بأن يكون عليها ايضاً واجبات والتزامات . واكبر ضمان لوثاقة الحكم الجديد في اوضاعه ، هو اظهار عزة الدولة وهيبتها ، كأنها تعتصب هالةً من نور ، وهذه الهالة مجلاها ومظهرها جبروت القوة ، ويدلُّ على ذلك الشعار الذي في جبينها ، وهو رمز عصمتها المستمدة من اسباب علوية — يوم اختارنا الله . والاوتوقراطية الروسية انما كانت على هذه الصفة حتى وقتٍ قريب ، وهي العدو الوحيد الرهيب رأيناه في العالم ، ولا ندخل في هذا الحساب الآن ، البابوية . واحفظوا في بالكم على سبيل المثال ما وقع في ايطاليا ، فانها ، وهي سابحة في الدم ، لم تستطع ان تمسّ ولو شعرةً من رأس صولاّ وهو الذي أسال تلك الدماء . وتمتع صولاّ بصولة عارمة فعلاً وتأله ، لمّا ملأ عيون الناس روعة السطوة ، مع ان الشعب كان قد رأى منه الويل والعذاب ، وانتثر من بين يديه مقطعاً ارباً ارباً . لكن لمّا عاد صولاّ الى ايطاليا عودة المقحام الجريء ، أفرغت عليه عودته هذه بهاءَ العظمة ،

ووشاح القدرة التي لا تُغلب. فأمسى الشعب اخوف من ان يومىء اليه ايماءً، واصل ذلك عند صولاً الاقدامُ وقوةُ العقل .

وفي خلال الوقت الذي ينقضي من الآن الى ان نقيم مملكتنا ، سنسلك الطريقة المخالفة لهذا : فاننا سنخلق ونكثر من المحافل الماسونية الحرة في جميع بلدان العالم ، لتمتصَّ الى جوفها الذين يمكن ان يغدوا من ذوي النباهة والشأن ، او هم هكذا في حاضر حالهم ، في تعاطي الشؤون العامة . وفي هذه المحافل نجد طِلْبتنا من مكامن التجسس الرئيسية وأسباب نشر نفوذها . وهذه المحافل سنضعها تحت ادارة مركزية معروفة لنا وحدنا ، واما غيرنا فلا يدري من ذلك شيئاً مطلقاً . وهذه الادارة المركزية انما تؤلَّف من حكمائنا . ويكون لها ممثلون ينطقون باسمها ، وهم بمثابة ستار يغطّي الادارة المركزية الماسونية التي منها تصدر التعليمات ، والشارة وكلمة السر . وفي هذه المحافل ، نُحْكِم رَبْط العُقْدة التي تضم أنشوطتها جميع العناصر الثورية والليبرالية . وهذه العناصر آتية من مختلف طبقات المجتمع . وعلى هذا الوجه ، فان اوغل المؤامرات السياسية في دهاليز السرية وأوكارها ، يكون عندنا خبره ، ونحن المحركون لذلك بأيدينا المشيرة من وراء ستار من اول يوم تولد . وينضوي الى عضوية المحافل ، جميع العملاء للبوليس الدولي العام ، والبوليس المحلي في كل دولة ، اذ خدمة هؤلاء لا يعتاض عنها بسواها ، لأنهم يستطيعون استعمال تدابيرهم الخاصة ازاء المتمردين ، وليس هذا وكفى ، بل ايضاً بوسعهم ان يكونوا ستراً على نشاطنا بما يضعون من تأويل وتفسير ومزاعم ومدعيات ، في حالات انتشار القلق والتذمر وما اشبه .

وأما اولئك الافراد من طبقة الشعب ، الذين يسارعون طوعاً من تلقاء انفسهم للانتماء الى الجمعيات السرية ، فهم القوم الذين يعيشون بمقاييس ضئيلة على قدر افهامهم ، مستندين على القليل الذي عرفوه واكتسبوه من تعاطيهم اعمالهم المختلفة ، وكل واحد منهم هو ابن صنعته ، فهؤلاء على الجملة والغالب خفاف العقول ، ولا نجد صعوبة في معاملتهم واستعمالهم

عند الاقتضاء كأدوات تصلح لتعطيل سير الاجهزة التي هي من صنعنـــا . فاذا طرأ اضطراب على هذا العالم ، فمعنى ذلك اننا نحن الذين رأوا ايقاع هذا الاضطراب لتقوم الأمم على بعضها بعضاً، وتهدم كيانها المتضامن المنيع . ولكن اذا ظهرت في وسط العالم مؤآمرة ، فعلى رأس تلك المؤامرة لا يكون احد سوى من هو في خدمتنا واشدهم اخلاصاً لنا . فطبيعيٌّ ، إذَنْ ، ان نكون متولين توجيه النشاط الماسوني ، لاننا نعلم اين هي الغاية من التوجيه ، والهدف المقصود من كل نشاط ، بينما الغوييم يجهلون من هـذا كل شيء ، ولا يتصورون النتائج حتى في أبسط أشكالها ، وشأنهم المعتاد أن يبادروا الى اظهار الاعتداد بالنفس والتباهي والازدهاء بآرائهم الخاصة ، الى انغماسهم في مصالحهم الفردية، دون أن يلاحظوا على الأقل ان محض الفكرة التي يدورون حولها ليست من بضاعتهم في الأصل ، وانما وَرَدَتْ عليهم منا ، القينا بها وهم لا يَدْرُون .

والحافز لأفراد الغوييم في انتمائهم الى المحافل ، عـــادة حب الاستطلاع ودافع الفضول ، او املاً ان ينتاشوا من المجتمع لقيماتٍ من حب الظهور . وفصيل ثالث منهم ، امنيته ان يقف فيتكلم في الجمهور ليستمعوا اليه ، وهذا ليس عنده إلا ترهات . فهؤلاء جميعاً متعطشون الى ان يستمتعوا بلذة القول انهم نجحوا ، واستحسن الناس ما قالوا . ونحن في هـــذا على غاية الجود والكرم . والسبب الذي من أجله اننا نمنُّ عليهم بهذا النجاح والاستحسان ، هو ان نسخّرهم ونستغلّهم من ناحية غرورهم المطبق ، وهذا كله مما يحملهم على ان يهضموا بلا شعور ، آراءنا وأفكارنا ، ويتبنوها دون ان ينتبهوا الى ان ذلك هو منا . ومن شدة هذا الغرور فهم عديمو الاحتراز ، وليس لهم صحة تقدير ، فيتظاهرون عن ثقةٍ تلابسهم ، بان هـــذا النجاح كله هو من بنات افكارهم ومبتكراتهم ، وهم اكبر من ان يقتبسوا ، أو يقترضوا مثله من سواهم . ومن السهل جداً ، من هذه النـاحية ، ان تجرّ ، حتى اعقلهم، الى موقف السذاجة ، دون أن يشعر بانه منساق مجرور ، وهو متجاوب مع

غروره . وسَهْل كذلك ان تميل بهم الميل الذي نريد ، منتزعاً قلوبهم من بين حنايا صدورهم ، وذلك لاقل فشلٍ يلاقونه ، حتى ولو كان هذا الفشل لا يزيد خيبتهم في أنهم لم يلاقوا مقـــدار الاستحسان الذي كانوا يتوقعون ، فيستذلـّون ذلّ العبيد من أجل ان يعود اليهم ما يأملون ... وجماعتنا ينبغي الا يهمهم شيء من مقدار هذا النجاح الذي يشغل بال الفرد من الغوييم ، الا اذا رأت جماعتنا ان من المصلحة لها ، المسايرة في تنفيذ المسألة المطروحة ، مع العلم ان الغوييم في سبيل التلذذ بالنجاح الذي اليه يتوقون ، يضحّون بكل مرتخصٍ وغال. وهذه الحالة عند الغوييم تساعدنا كل المساعدة ، ونحن نعالج تعيين مكانهم من الاتجاه المطلوب . فهم نَمِرَة واسود في الظاهر ، اما نفوسهم فنفوس خرفان ، والرياح تلعب برؤوسهم دائماً تندفع بهم هـذه الناحية او تلك . وقـــد اشربناهم ، عن طريق اركابهم حصاناً من قصب كحصان الصبية اللاعبين في الساحة ، فكرةَ اندماج الفرد في المجموع لتحصل من ذلك الوحدة الرمزية للجماعة .. ولم يفطنوا ، ولن يفطنوا ، الى ان هذا الحصان الذي أركبوه فامتطوه بازدهاء وخيلاء ، ما هو الا ابتعاد واضح من مجرى النواميس الطبيعية ، اذ الطبيعة قد أوجدت من أول يوم الكون ، كل وحدة من وحداتها تختلف عن الاخرى ، والغاية من ذلك انشاء الفردية .

فاذا كنا قد استطعنا ان نورد الغوييم كل هـــذه الموارد من التضليل لبلاهتهم وانغلاق عقولهم ، افليس هذا برهاناً ساطعاً على مـــا انتهت اليه اذهانهم من ركود وتخلـّف ، اذا قابلتم الحال بيننا وبينهم ؟ وهذا ما يضمن لنا النجاح .

ولعمري ، ما كان أحكم سلفنا في الأزمنة الغابرة لمـا قالوا ان في طلب كبار الغايات لا يقام وزن للوسائل والضحايا ... وما بنا من حاجة لنحسب ما تحمله الغوييم من ضحايا لحفظ بذرة حيوانه والاحتفاظ بسلالته ، مع ان ضحايانا نحن لم تكن بالقليلة . ولكن من أجل ما تحملوا هم ، فنعطيهم اليوم من المكان والفسحة على وجه الارض ما لم يتخيلوه حتى في أحلامهم . وأما

عدد ضحايانا القليل من مجموعنا ، فقد حَفِظَ لنا قوميتنا وحماها من الاندثار .

الموت حق على كل حيّ . فيكون خيراً وأفضل أن نقرّب الآجال على الذين يعترضون سبيلنا ، من أن نقرّب آجالنا ، نحن الواضعين لهذه الخطة . واننا مستعدون ان نعـــدم الماسوني اعداماً يخفى خبره عن الناس جميعاً ، ما عدا الاخوة الماسونية ، ولا يدري بهذا أحد حتى المحكوم عليه نفسه ، فيظل على جهل من مصيره المدبّر له حتى يلقاه ، فيموت بالوقت الذي عيّن له كأنه مات ميتة طبيعية من مرض عادي ... والاخوة الماسون أنفسهم ، اذا ما علموا بذلك فلن يقووا على الاحتجاج . وبهذه الطريقـــة نكون قد اقتلعنا من وسط الماسونية الجذور التي قامت تشغَب علينا . وبينما نُعنى بنشر الليبرالية في آفاق الغوييم ، لينطلقوا يفعلون ما يريدون ، ترانا جِدّ حريصين على جعل شعبنا وعملائنا في حالة الخضوع لنا دون اي اعتراض .

ولا يغيب عنا اننا بفعل هيمنتنا على الغوييم ، استطعنا ان نجعل تنفيـذ القوانين عندهم يلزم الحد الأدنى ، ذلك لأن هيبة القوانين قد نسفتهـا نسفاً التفسيرات الليبرالية، فعقّدتها ، وتركتها كومة من الإبهـــام . وأهم القضايا وأعلاها شأناً ، يتولى القضاة الفصل فيها على ما نوحي به اليهم ، وينظرون في المسائل على هذا النحو أيضاً ، في ادارة شؤون الغوييم ، وهـذا طبعاً على يد أشخاص هم أدواتنا باطناً ، لكنهم في الخارج وعلى عيون الناس — لا صلة بيننا وبينهم ، ويتم تبليغ ما يراد تبليغه بمقـــالات الصحف وما أشبه . وحتى اعضاء مجلس الشيوخ ، وكبار رجال الادارة ، فانهم يتقبلون نصائحنا بالرضى ؛ وعقل الغوييم لخشونته المطلقة ، تراه عاجزاً عن التحليل والملاحظة، وهو بعد ذلك أعجز عن رؤية أقرب النتائج للحلول التي يضعها ولا يتصور ما تؤدي اليه .

ومن هذا الفرق في الخصب العقـلي بيننا وبين الغوييم ، يتضح ما اختصنا الله به من مزايا منذ شاء اتخاذنا الشعب المختار ، ويتجلى ايضاً ما اختصنا به من درجة عالية في سجية الانسانية وأما الغوييم فلهم العقل الراكد . ولهم

عيون ولكنهم لا يبصرون شيئاً مما أمامهم ، وهم لا يخترعون ، ولا يبدعون (إلا ما عسى ان يكون في باب الاختراعات المادية) ومن هذا يعلم ان الطبيعة نفسها هي التي خطت مصيرنا لقيادة العالم والسيادة عليه .

ومتى ما جاء الوقت لنمارس الحكم العالمي علناً ، ونقبض على زمامه في وضح النهـــار ، باسطين للناس بركاته ، فاننا سنفرغ كل القوانين في قوالب جديدة ، موجزة ، واضحة ، متينة التركيب ، لا تحتاج الى تفسير او تأويل ، بحيث يكون بوسع أي فرد ان يفهمها بسهولة ، والخصيصة الاولى الملازمـة للنصوص ، هي بيان وجوب الطاعة للقانون. وهذه القاعدة الأساسية تنزل المنزلة الكبرى من الخطورة ، فتتلاشى النقائص والقباحات ، ويمحى سوء الاستعمال ، لما هناك من مسؤولية يحاسب عليها ، وعين السلطان العليا رقيبة على كل شيء . والخارجون على القانون ينالهم العقاب الصارم ، ولا مجال لأحد لكي يفرض تجربته الشخصية عن طريق القانون ، وسنحيط سير الادارة برقابة فاحصة يقظـــة ، اذ على هذا يتوقف سير اجهزة الدولة كلها في مطلق شُعَبِها ودوائرها ، لأن الخلل اذا وقع هنا في الادارة ، تفشّى في جسم الدولة بلا استثناء . لذلك لن تمر حادثة واحدة من حوادث المخالفات الا ويتنـــاول العقاب مرتكبها .

اما اخفاء الجريمة والذنب ، والتواطؤ بين القائمين بالادارة الحكومية ، كل هذا الشر لن يكون له وجود ، بعد ان نُنْزِل العقوبات الصارمة بمن يستحقها في البدايـــة ، فتكون من ذلك عبرة كافية . وهالة سلطتنا المشعة بالنور ، تقتضي هذا ، اي العقوبات المنيفة على اقل الذنوب ، لتظلّ الهيبة القانونية على جلالها ، لا تعلق بها شائبة . ومرتكب الذنب قد يلقى من الجزاء فوق ما يستحق ، ومَثَلُه مَثَلُ الجندي ، لكن ميدانه العمل في الخدمة الادارية لمصلحة الدولة ، مبدأً وقانوناً ، وقد يُوَلَّج ان يمسك بعنان المركبة العـامة ويكون سائقهـــا ، فلا يجوز له ان ينحرف بها عن جادة الطريق ، فتنزلق وتهوي بمن فيها ، وما السبب في ذلك الا ما في نفس السائق من غاية خاصة ،

ومثل ذلك يقال في القضاة : فقضاتنا سيعلمون انهم اذا انحازوا بعامل الرحمة والشفقة ، فيكونون بهذا قد خالفوا قانون العدالة، القانون الذي وضع لتقديس شخصية الفرد ، عن طريق عقـــاب المجرم على ما ارتكبه من جرم ، وليس موقف القاضي هنا ان يظهر ما في صدره من عاطفة حنان ورأفة ، اذ هو هنا لاجراء حكم القانون فحسب ، لا للميل الى ما في نفسه . فاذا كان للقاضي عواطف وميول خاصة ، فليمارس ذلك في شؤون حياته الخاصة ، لا في ساحة القضاء ، حيث القضية هنا هي تعليم وارشاد لخير الحياة الانسانية .

والقائمون بأعمال الجهـــاز القضائي يُصْرَفون من الخدمة عند بلوغهم سن الخامسة والخمسين . وأسباب ذلك اولاً لأن الذين تقدموا في السن ، يجمدون على آراء يخالطها تحيز ومحاباة ، فيصعب عليهم التخلي عن طبعهم الى ما هو اصلح . ثانياً ، ان هذا الصرف من الخدمة يعطينا الفرصة لتحقيق المرونة في تغيير الموظفين وانتقاء عناصر جديدة اطوع ، فالذي يودّ ان يشغل عملاً ما ، عليه ان يستحقه بالطاعة . وعلى الجملة ، فاننا سنختار قضاتنا من الذين آمنوا كل الايمان بأن الواجبات المطلوب منهم القيام بها هي العقاب على الجريمـة ، وتطبيق القانون ، لا مجاراة الاهواء الليبرالية ، على حساب الآلة التهذيبية في الدولة ، على نحو ما يفعل الغوييم اليوم . ثم ان صرف الموظفين او تغييرهم ، من شأنه ان يذهب برابطة تكتل الموظفين الذين يجمعهم التضامن المسلكي وهم رفقةُ صعيدٍ واحد . وفائدة اخرى ايضاً من الصرف : وهي رَبْط عمال الدولة جميعاً بوثاق مصالحها ، وعلى هذه المصالح يتوقف مصير الموظفين . وأما عنصر الشباب من قضاتنا فيكمل استعدادهم لتولي القضـــاء باخضاعهم لدورات تدريب يفهمون منها استحالة الميـل مع المذنب ، إذ يتجلى لهم ما يكون وراء هذا من إفساد لأوضاع الرعية فيما بين بعضها بعضاً .

وفي أيامنا هذه ، نرى قضاة الغوييم ينحرفون عند النظر في كل نوع من انواع الجرائم ، فلا يفهمون فهماً سليماً معنى ما عهد إليهم فيه ، ذلك لأن حكامهم عند اختيار القضاة لا يهمهم ان يكون القاضي متشبعة نفسه بحب

التجرد ليستطيع موازنة الامور بحكمة واصابة. وكما تُطلِقُ الحيوانات صغارها لترعى حيث تريد ، كذلك يفعل الغوييم بتسليط الموظفين على المصالح والاعمال ، ليعتصروا منها ما يشاؤون لأنفسهم ، وهذا هو السبب في ما يحل بحكوماتهم من خراب ، فهم في الواقع يخربونها بأيديهم ، عن طريق عمالهم .

* * *

ولا بأس ان نقتبس درساً آخر من نتائج هذه الاعمال لخير حكومتنا .

اننا سنطارد الليبرالية من جميع المناصب الحسّاسة الخطيرة ، وعلى هذه المناصب يتوقف تدريب العمال الثانويين اللازمين لهيكل الدولة . وهذه الوظائف لا يشغلها الا من كَمَلَ تدريبهم ليعملوا في الادارة ، واذا قيل من باب الاعتراض على هذا ، ان صرف الموظفين من الخدمة على هذا الوجه ، يحمّل خزانة الدولة عبئاً مالياً ، اجبت ، اولاً بأن المصروفين من الخدمة سيهيّأ لهم من الأعمال في المصالح الخاصة خارج الحكومة ما يعتاضون به عما فقدوه من مرتب . وثانياً ، عليّ ان الفت النظر الى ان جميع أموال الدنيا ستكون محتشدة في ايدينا ، فلا تكون حكومتنا في النهاية هي التي تخشى ان تتحمل هذه النفقات .

* * *

وسلطتنا المطلقة تكون في مجرى هذه الامور كلها على منطقٍ آخذٍ بعضه برقاب بعض ، اطراداً وانسجاماً ، فيتلقى الشعب أوامرنا الباتّة الصفة في كل قضية ، بغاية الرضى والقبول ، وينفذ ارادتنا الى غايتها دون اعتراض ، ولن نقيم وزناً لاي شكوى او تململ ، فاذا ظهر شيء من هذا فنسحقه توّاً ، ونستأصله بالمجازاة الصارمة .

وسنلغي حق الاستئناف لصاحبه . وانما نجعله في خيارنا - تحت نظر الحاكم ، اذ لا ينبغي ان ندع الاعتقاد يسري في الاذهان ان لا طريق التصحيح الخطأ الذي يقع فيه القاضي ، والقاضي هو من قِبَلِنا ، ونحن

اقمناه ليقضي في الناس . فاذا ما وقع في هفوة ، فنحن نرفع القضية من تلقاء انفسنا الى مراجعها العالية ، ولكننا نأخذ القاضي بعقاب عنيف ، ليكون امثولة وعبرة ، وحتى لا يقع في الخطأ مرة أخرى ... وعليّ ان اكرر اننا سنكون محيطين علماً بكل ما يجري في الجهاز الاداري احاطة تامة ، لنأمن العثرات ، فيطمئن الشعب الى حكمنا ويسكن ، ومن حقه ان يطلب من الحكومة الفاضلة موظفاً فاضلاً .

* * *

وستكون حكومتنا متشحة بمظهر الوصاية الأبوية على الشعب ، ويتمثل هذا في شخص الحاكم الأعلى ، وسيدرك شعبنا ورعيتنا هذا الحنان الأبوي في كل مصالحهم وأعمالهم ، وفي مجرى كل العلاقات الشعبية المتبادلة بين واحد وآخر ، ومجرى العلاقات التي بين الشعب والحاكم . وهذا ما سيشربهم العقيدة انهم لا غنى لهم عن استظلال ظل هذه الوصاية الأبوية، اذا شاءوا ان يعيشوا بسلام وهدوء ، وسيعترفون بفضائل الاوتوقراطية في حاكمنا ، باجلال كاد يكون تأليهاً ، ولا سيما عندما يقتنعون بأن الذين نصبناهم عمالاً عليهم من عمال الدولة ، لن يتبعوا الهوى او آراءهم الخاصة ، بل دأبهم ان ينفذوا ارادة صاحب السلطة العليا كما تملى عليهم . وكذلك سيسر الشعب ما أحدثناه له من تنظيم امور حياته ورعاية مصالحه ، فصنعنا له ما يصنع الأب الحكيم نحو اولاده من تربيتهم على حب الواجب والطاعة . فان شعوب العالم من جهة وقوفها على اسرار دولتنا ، كانت عبر التاريخ كله بمثابة القاصر الذي لم يبلغ الرشد ، وكذلك كانت حكوماتها .

وكما تعلمون ، فاني ابني سلطتنا الفردية المطلقة على قاعدتي الحق والواجب والحق هو الاجبار على تنفيذ الواجب كما رسمته الحكومة باعتبار الأبوّة التي لها على الشعب . فلها حق القوي تستعمله في توجيه الانسانية نحو هذا النظام الذي حدّدته الطبيعة وعرّفته بأنه الخضوع. وكل شيء في العالم معناه الخضوع، واذا لم يكن هذا الخضوع للانسان فهو للأحوال والظروف ، او للقوة الذاتية

في الشيء نفسه ، وعلى كل اعتبار يكون الخضوع للقوة التي تسيطر عليه .
ولذلك نقول اننا سنكون نحن هذه القوة المسيطرة من اجل الخير .

* * *

ولا نتردّد في تضحية الافراد الذين يخالفون النظام القائم ، ففي العقاب الصارم ينزل بالمخالف ما يعطي درس التعليم .

ومتى ما وضع ملك اسرائيل على رأسه المقدس التاج الذي تقدمه اليه اوروبا ، فانه يصبح ابا العالم ، والضحايا الذين تقضي المصلحة بتضحيتهم، ولا مهرب من هذا ، لن يماثل عددهم عـــدد الضحايا الذين سقطوا في خلال القرون الماضية بسبب تهالك حكومات الغوييم على الاباطيل والتباري من اجل الأبهة الفارغة ، وسيكون ملكنا على اتصال دائم بشعوبه ، ملقياً عليهم من على منبره الخطب التي في ساعة القائها يتردد صداها في العالم كله .

البروتوكول السادس عشر

تعقيم برامج التعليم في الجامعات - ماذا يحلّ محل الكلاسيكيات -
التدريب والمهن - التبشير بسلطة الحكم الجديد في المدارس -
الغاء حرية التعليم - النظريات الجديدة
استقلال الفكر - التعليم على اسلوب
« دروس الاشياء »

انه لكي يتم لنا تخريب جميع القوى التي تعمل على تحقيق الانسجام الفكري ، والتضامن الاجتماعي ، ما عدا قواتنا نحن ، علينا ان نبدأ بتفكيك حلقات المرحلة الاولى من هذا وهي الجامعات . والطريقة ، ان ننقض وننفض اساليب التعليم من اساسها ، ونُفرِغَها في اساليب جديدة وتوجيه حديث . والاساتذة والقائمون بالوظائف التعليمية ، يهيّأون تهيئةً خاصة وفق برامج سرية عملية ، ويُقيَّدون بها بشدة ، حتى لا يسوغ لاحد منهم ان يحيد عنها قيد شعرة . ويدقق في اختيارهم وانتقائهم بكل عناية ، فاذا ما شرعوا في اعمالهم باتوا ومستندهم الحكومة ، ولا انفكاك لهم بعد .

وسَنُخرج من مادة التعليم الجامعي دستورَ الدولة وكل ما يمت اليه والى المسائل السياسية بصلة . غير ان هذه الموضوعات يقصر تعليمها على بضع عشرات من الذين يُختارون من الطلاب اختياراً لتفوقهم في الذكاء ، وبهذا تقف الجامعات عن ان تقذف الى العالم كل سنة بطائفة بعد طائفة من المخنثين

الذين ينطلقون بخفة لتلفيق المخططات الدستورية ورسم المشروعات الهوائية، راقصين حول هذا كأنهم على مسرح في رواية مضحكة او مأساة ، يتلهون بمناقشة موضوعات هي فوق مداركهم ، ولم يسبق لآبائهم ان حذقوا شيئاً من دقة الفكر .

وتعريف الجمهرة من الناس تعريفاً سيئاً ملتوياً ، بشؤون الدولة ومسائلها ، وهم يأخذون هذا بعقول فـجّة ، أمرٌ لا ينتج عنه سوى ظهور العنصر الذي يركبه الهوس والخيال ، يرافقه المواطن الرديء السيرة،ويسهل عليكم ملاحظة المثال على هذا ، في ما ترونه من نتائج التعليم الشائع اليوم في العالم بين الغوييم. فالواجب الذي علينا هو ان ننقلهم الى حيّز تعليمٍ آخر ، يتعلمون فيه جميع المبادىء والقواعد والاصول ، مما كان رائماً في نسف نظامهم . ولكن متى‌ما تسلمنا نحن زمام الحكم والسلطة ، سنزيل‌من المناهج كل موضوع شائك مقلق، ونجعل من الشباب شباباً طائعين للسلطة ، محبين للحاكم ، يرون في حكمه العون والامل في بيئة السلام والطمأنينة .

* * *

وأمّا تدريس الآداب والفنون الكلاسيكية (منذ عهد اليونان والرومان) وكذلك تدريس التاريخ القديم ، مما امثلته‌تدلُّ على ان ضرره اكثر من‌نفعه، فهذا كله سنذهب به ، ونضع محله تدريس برامج المستقبل . وسنمحو من اذهان الناس جميع ما وعته من وقائع القرون الخالية ، مما لا نرى فيه الخير لنا ، ولا نبقي الا على ما يسجل المزالق على حكومات الغوييم . وما يحتل المكان الاول في برامج التعليم الجديدة ، تدريس اصول الحياة العملية ، والواجب نحو النظام ، ونحو علاقات الناس بين بعضهم بعضا ، وفي التدريس المقبل نجتنب الامثلة التي فيها صور الاثانية والانحراف ، اذ في هذا تَكْمُن بذور الشر وعدواه ، ثم يُعْتنى بكل عنصر من عناصر التهذيب والتقويم . والمناهج التعليمية تتوزع على مناحٍ مختلفة ، بحيث يتعلق كل منهج بمنحىً من

مناحي الحياة على مراحل العمر كله ، وان نجعل التعليم يجري على نمط متماثل وله طابع متسق . وهذه المسألة هي غاية الخطورة ولها عندنا المقام الاول .

وكل مرحلة من مراحل العمر ، تُضبَط قواعدها على التحديد ، ويُجعَل مقابلها ما يناسبها من العمل في الحياة . واما النبغاء الذين يظهرون متفردين في الذكاء ، والآن وفي كل زمان ، فلهم من ألمعيتهم مـا يمكنهم من تخطي حدود المراحل في حلبة الحياة ، ولكن من البلية على هؤلاء المشرقين اللامعين ان يزاملهم من رفقائهم مَنْ حظه البلادة وفقر الموهبـة ، فيحاول هؤلاء المناكيد مزاحمة من هو افضل منهم وامتاز عليهم بحكم الفطرة او الجدارة في اتقان العمل . ولا يخفى عليكم ما اصاب الغوييم من نكبة بسبب ضلالهم في هذا الامر .

* * *

ومن تصدى للحكم ، وابتغى ان يكون له في قلوب الرعية مكانة ٌ وطيدة ، وفي اذهانها صورة ٌ جميلة ، وجب عليه بالضرورة ، ما دام يمارس واجباته ، ان يطلع الامة جمعاء بكل وسيلة ، في المدارس والساحات العامة ، على ماهو بسبيله من مقاصد واعمال ، وما يهدف اليه من خير شامل في نشاطاته .

وسنلغي حرية التعليم في جميع الوجوه . فالمتعلمون ، وكل فريـق منهم يتبع مرحلة من المراحل ، يكون لهم الحق ان يجتمعوا مع آبائهم واهليهم في اماكن عامة كاجتماعهم في منتدى . وفي هذه الاجتماعات ايام الاستراحـة ، يقوم الاساتذة الموكول اليهم الامر ، بقراءة مـواد تجري مجرى الخطب والمحاضرات ، مجانية ، تتناول العلاقات الانسانية والقوانين مع الشواهـد والامثلة ، كما تتناول شرح القيود والنواهي المتولدة من الصلات اللاشعورية بين الناس ، واخيراً فلسفة النظريات الجديدة التي لم تعلن بعدالى العالم . وهذه النظريات سنعلي من شأن قيمتها الى حدّ ان ينيلها من جدّ الاعتبار ما للعقائد في الاديان ، وهذا يقع في دور الانتقال نحو الوصول الى ديننا في النهايـة .

واذ قد فرغت من عرض براجنا العملية للحاضر والمستقبل ، فاني اتلو عليكم الآن مجمل القواعد لتلك النظريات .

وبكلمة موجزة ، اننا نعلم بالتجربة لعدة قرون ، ان الشعب انما يعيش على الآراء ويهتدي بها ، ويرتضع هذه الآراء عن طريق التعليم الذي يدارج مراحل الحياة . وهنا يختلف معنا الامر من جهة اساليب التعليم وطرقه . فنحن بهذا الاختلاف في الاساليب ، سنلاشي القديم الى آخر أثرٍ من آثاره ، ونحصر زمام التعليم بأيدينا ، فلا يبقى خيط من خيوط الفكر المستقل الا وطرفه بيدنا ، وهو ما كنا نستعمله سابقـــاً لاستمالة الشعوب واجتـــذاب افـــكارها .

* * *

واسلوب التعليم المُلْجِم للعقول ، والطامس على الاذهان ، مُطَبَّقٌ اليوم في المنهج المعروف بدروس الاشياء Object Lessons وهذه الطريقة غايتها اخمال اذهان الغوييم ودفعها نحو البلادة والاسترخاء ، تنتظر ان يؤتى اليها بالامثلة من الاشياء المحسوسة ، جاهزة الشكل لتعرف ماهيتها بالصورة المشاهدة (بدلا من اعمال الفكرة) ... وفي فرنسا نرى ان هذه الطريقة قد نجحت كل النجاح حيث نرى افضل عملائنا من البورجوازية قد وضعوا لها المناهج العامة ومشوا عليها .

البروتوكول السابع عشر

المحاماة القضائية ـ نفوذ رجال الدين عند الغوييم ـ حرية الضمير ـ البلاط البابوي ـ
ملك اليهود محل « الأب البابوي » ـ كيف نكافح الكنيسة الحالية ـ واجبات
الصحف في هذا العصر ـ منظمة البوليس ـ البوليس المتطوع ـ التجسس
على منوال التجسس عند منظمة « القبالا » ـ
سوء استعمال السلطة

ان ممارسة المحاماة تنتج رجالاً بردت طباعهم وقست قلوبهم ، اعتادوا الالحاح واللجاجة ، ونزل اللؤم من أخلاقهم منزلةً ملحة ، ولا يهمهم في كل القضايا والدعاوي إلا أن يتعلقوا بنقطة من نقاط القانون مطاطة غامضة ، يدورون حولها دوراناً طويلاً . يحللون كل شيء من حق وباطل ، ليسوّغوا وجهة نظرهم في الدفاع عن موكلهم ، لا ليخدموا المصلحة العامة التي تهم المجتمع . لا يترددون أبداً في اقتحام اي موقف منحرف من اجل غايتهم هذه ، ويطلبون اخلاء سبيل المتهم والبراءة له ، متهالكين متماحكين ، حول كل جزء قليل من نص ، عابثين بهيبة العدالة . وهذا ما يدعونا الى ان نجعل مهنتهم في نطاق ضيق ، ضابطاً لها ، يحفظ كرامتها ، ويدخلها في حيّز السلطة الاجرائية التنفيذية ، حرصاً على المصلحة العامة . فالمحامون (على سويّ القضاة) ، سيمنعون من حق التعاطي مع فريقَيْ الدعوى ، وعليهم ان يقوموا بالعمل الذي تعيّنه لهم المحكمة ، فيدرسون ذلك ويضعون عليه التقارير مسنودة بالوثائق المثبتة ، ثم يدافعون عن موكلهم بعد ان يكون قد استجوبته المحكمة في الوقائع المادية في الدعوى ، وتقدر المكافأة للمحامي على « أتعابه » دون نظر الى قيمة الدفاع الذي ادلى به ، وهذه الطريقة تجعله

مجرد واضع بيانات موضحة ، تتعلق بالأعمال القضائية والمحاكم ، لمصلحة العدالة ، فيكون في هذه الكفة من الميزان كمساعد للنائب العام في الكفة الاخرى ، وهذا كله من شأنه أيضاً ان تختصر به المعاملات لدى المحكمة ، وتقام قواعد شريفة لمهنة الدفاع على غير جَنَف ولا محاباة ، والهادي في هذا ليس ما في نفس المحامي من مطمح لجرّ المغنم الى جيبه ، بل وحي الضمير النقي . وهذه الطريقة ستقضي على ما نرى اليوم من فساد مداره المساومة بين المحامين متواطئين تواطئاً مؤدّاه الذهاب مع الفريق الذي ينالون منه مغنماً أوفر لجيوبهم .

* * *

وقد سبق لنا فيما مضى من الوقت ان بذلنا جهداً لاسقاط هيبة رجال الدين عند الغوييم ، وقصَدْنا بذلك ان نفسد عليهم رسالتهم في الارض ، وهي الرسالة التي يُحْتَمَل انها لا تزال بنفوذها عقبة كؤوداً في طريقنا . ولا نرى هذا النفوذ في الوقت الحاضر إلا في تناقص يوماً بعد يوم . اما حرية الضمير فقد انتشرت وعمّت في كل مكان، وبتنا الآن لا يفصلنا عن رؤية الدين المسيحي قد انهار انهياراً تاماً ، سوى بضع سنين .

اما ما يتعلق بالاديان الاخرى ، فالصعوبة التي سنلاقيها في تعاملنا معها ، تكون اقل ، ولكن من السابق لأوانه ان نتكلم على هذا الآن . وسنضيق الحلقة على الكهنوتية ورجال الكهنوت ، لنجعل نفوذهم ينكمش ويرجع القهقرى بالقياس الى ما كان لهم من فلاح في الماضي .

ومتى حان الوقت لهدم البلاط البابوي ، ستظهر اصبع يدٍ خفية تشير الى الامام رِبهَيَّا نحو ذلك البلاط . فاذا ما انقضّتْ الامم عليه ، سنخفُّ ونسارع اليه تحت ستار الدفاع عنه ، رغبة في حجب الدماء . وبهذه اللعبة ، سنوغل أيدينا في أحشائه ولن نخرجها بعد ، حتى تتبدد قواه ولا حراك به .

ثم يكون ملك اليهود هو البابا الحقيقي للمسكونة كلها، وبطريرك كنيسة دولية عالمية .

وفي خلال هذا الوقت ، ونحن نعلّم الشباب وننهج بهم على تقاليد دينية جديدة ، تمهيداً للوصول بعد ذلك الى ديننا ، لن نحرك ساكناً تحريكاً مكشوفاً ، معكراً على الكنائس الحالية ، بل نكتفي من قتالنا لها بشنّ حملات الانتقاد الهدّام ، مما يؤدي الى الانشقاق والفرقة .

وعلى الجملة ، وما يصحُ قوله الآن ، ينبغي ان تستمر صحافتنا المعاصرة في شن حملات النقد اللاذع على الدول في أعمالها ، وعلى الأديان ، وعلى مـــا يتردّى فيه الغوييم من عجز وضعف ، وينبغي ان تكون لهجة الحملات بالغة حد العنف ، خـــارجة عن آداب الخطاب ، حتى تتواطأ الوسائل كلها في اضعاف الهيبة وتهشيمها ، وهذا الاسلوب لا يتقنه الا النابغون من رجـــال قبيلنا المخصوص بالمواهب .

وستكون مملكتنا دفاعاً عن الوهية « فيشنو » [١] الذي فيه قد تجسمت صورة الالوهية — وسنقبض بالمئة يد ويد من ايدينا على كل زمام من أزمة جهاز الحياة الاجتماعية ، وسننفذ بابصارنا الى ان نرى كل الخفايا ، بلا استعانة بالبوليس الرسمي ، اذ لا حاجة بنا اليه ، لأنه مع ما له من حق التدخل ، وهذا ما احكمنا نحن تهيئته له ، وتجهيزه به من أجل العمل بين الغوييم ، بات عمله لا يناسبنا لصيرورته عائقاً في طريق الحكومات . وتقضي براجنا ، بأن يعمل ثلث الشعب في التجسس على الثلثين الآخرين ، ويكون التجسس منبعثاً عن الشعور بالواجب وعلى قاعدة التطوع بالخدمة في سبيل الدولة ، ووقتئذٍ لا يكون من العار ان تكون جاسوساً ومخبراً ، بل يكون ذلك

---

(١) فيشنو Vishnu هو الاله الثاني من الآلهة الثلاثة المعبودة في الهند ؛ فالأول « براهما » وهو « الخالق » ؛ والثاني « فيشنو » وهو « الحافظ » ؛ والثالث « سِيْوي » وهو « المهلك » ، ويمتاز فيشنو بان له كثيراً من الايدي المبسوطة . (المترجم)

مزيةً وفضلا ، فــاذا انطلقت ألسنةٌ بالتعيير والقذف ، ثالت جزاءها ، وحُفِظَتْ للتجسس كرامته .

وسننتقي جواسيسنا من مختلف الطبقات ، العليا والسفلى ، ومن رجال الادارة العـاكفين على اللهو والاطايب ، ومن محرري الصحف والكتّاب ، والناشرين ، وباعة الكتب ، وموظفي الدوائر والدواوين ، ومن الذين كثر اختلاطهم بالجمهور عن طريق الأخذ والعطاء ، والبيع والشراء ، ومن العمّال والسوّاقين والخدّام والأتباع ، وقس على هذا . وهؤلاء الأشخاص ، وليس لهم حق اتخاذ أي اجراء يتعلق بموضوعات تقاريرهم ، ولا صلاحية لهم في هذا على الاطلاق ، كأنهم بوليس بلا سلطة ، فان المطلوب منهم هو أن يشاهدوا بعيونهم ويسمعوا بآذانهم ، وينظموا التقارير بما شاهدوا وسمعوا . أما التأكد من صحة ذلك ، والقاء القبض ، فكل هـذا معهود فيه الى نفر مسؤول حاذق من ضباط البوليس . وأما تنفيذ أوامر القاء القبض فيقوم به رجال الدرك والشرطة البلدية .

وكل شخص رأى أو سمع مساساً بقضايا الحكومـــة ولا يبلغ الحكومة ذلك ، يتهم باخفاء المعلومات التي يجب عليه نقلها الى الحكومة ويحكم عليه بالجزاء اذا ثبتت التهمة .

وكما تجري الامور من هـــذه الناحية الاخبارية في بيئتنا اليوم ، كذلك تجري في المستقبل وتبقى على صفتها هذه . فاخواننا اليوم مكلفون تحت طائلة اخذهم بالمسؤولية والحساب العسير في حـــالة الاهمال والتقصير ، بأن يبلغوا هيئة **القبالا** عمـــا يقع لهم ان يطلعوا عليه من حوادث الارتداد عن الدين اليهودي من ابناء اقربائهم ، او ما يرونه من شغب على هيئـــة **القبالة** [1] او

---

(١) القبّالة ، او القَبَلَـة ، او القَبّالا ، او القبّالا ، لفظة عبرية قديمة لها في الوجود عند اليهود بمعناها السري نحو ١٩ قرنا . وليس لها وجود في الكتب العربية على اختلافها ، الا ما قد يكون عرضاً ، وعلى الجملة لا يعرفها العرب الا سماعاً نادراً . ←

قذفها بتهمة ! كذلك سيكون الامر في مملكتنا علناً في ارجاء العالم كله ؛ ويمسي من الواجب على رعايانا ، بلا استثناء ، ملاحظة هذه الخدمة للدولة .

وان ادارة من هذا النوع والصفة ، بوسعها ان تكافح اعمال العبث بالسلطة ، ومخالفة القانون ، والرشوة ، وكل شيء ادخلناه بموجب نصائح حكمائنا على عادات الغوييم من مفاسد ، عن طريق نظريات حقوق الانسان العليا . وعلينا الآن ان نسأل : بأي وسيلة استطعنا ان نُكثر من خلق الاسباب المؤدية الى

←ومدلولاتها اليوم كما يلي :

١ – هي بظاهر معناها عند اليهود «التصوف» اليهودي .

٢ – وأما في الحقيقة والواقع، فهي لا تتخذ من «التصوف» الا الستر لتغطية حقيقتها الرهيبة السرية ، وللتضليل على ما سترى .

٣ – هي اوغل منظمة خفية ، قديمة ، سوداء الزوايا ، مقنَّعة عند حكماء صهيون ، فهي عشّهم الاكبر ، وهم ابناؤها الفانون في سبيلها فنقطة بيكار «اليهودية العالمية» هنا في القبالا .

٤ – لا يعرف لها مكان ، وهي ماشية مع الزمان ، و « الماسونية اليهودية العالمية » أداة من أدواتها ، و «حكماء صهيون» هم منفذو مخططها اذ هي منهم وهم منها.

٥ – يعثر القارىء للروايات الاوروبية عادةً على اسم «القبالا» و «الكهال» في معرض المؤآمرات العميقة الحبك ، فيبتدىء بالغموض وينتهي بالغموض .

٦ – للقبالا عند «حكماء صهيون» السلطة التي ليس فوقها سلطة ، تتناول الايعاز بالقتل والاغتيال والتدمير . ومسرحها الاكبر كان في روسيا القيصرية ثم نَجَم قرنها في فلسطين بعد ١٩١٨ على يد الصهيونيين اتباع عقيدة «التجمع والاقتحام» .

٧ – كتّاب العرب ومؤرخوهم في الزمن الحديث ، لم نلاحظ ان أحداً منهم خاض في موضوع «القبالا» . حتى أن المؤرخ الشهير المنقب ، جرجي زيدان ، لم نلاحظ انه أتى على شيء يتعلق «بالقبالا» في كتبه ، ولا سيما روايته «فتح الاندلس» حيث تكلم باسهاب عن اعمال اليهود الخفية وأساليبهم السرية في أسبانيا ، وتظاهرهم بالنصرانية .

٨ – كتيّب « شيعة المسونيين » المطبوع « بمطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين في بيروت سنة ١٨٨٠ » في ١٢٢ صفحة ، يكشف النقاب عن مخازي الماسونية اليهودية الى حد بعيد مجمل ، لكنه لم يذكر «القبالا» بشيء .

٩ – يبدو أن «القبالا» أصل معناها الحرفي اللغوي : القبول ، والتلقي ، والأخذ ، وهذا كله بمعنى التلقين والتلقّن .

١٠ – قد تكون هناك صلة جذرية بين الكلمة العبرية ، وفعل « قَبِل » يَقْبَل قَبُولاً وُقبُولا بالعربية . ومن مصادر هذا الفعل عندنا القِبَالة والقَبَالة . ومثاله للتوضيح : زيد يلتزم عملاً يقوم به أو دَيْناً يتعهد بوفائه ، فالقيام بموجب الالتزام هو القِبَالة، والصك او السند←

الاختلال والانتقاض في حكومات الغويم ؟ من تلك الوسائل واحدة كانت الفعالة ، وهي اتخاذ العملاء والجواسيس ، فنأتي بهم بدعوى ان مهمتهم العمل على اعـــادة النظام ، والحق الى نصابه ، وبفضل ما اخترنا لهم من مناصب مناسبة ، يغتنمون الفرصة في بث اسباب الانتقاض وقدح الزناد ، ويمارسون في هـــذا اسوأ ما ركـّز فيهم من خلق مخرب ، وعناد ، وغرور ، واستعمال السلطة بغير مسؤولية ، وأشنع من هذا كله — استقتالهم في حب المال .

←المكتوب فيه الالتزام هو القبَالة. وهناك « قُبَالة » بمعنى تجاه: جلستُ قُبالته. وهذا كله لا صلة بينه وبين «القبالا» العبرية . ومن فعل « قَبِل » ومزيداته نرى مصادر واسماء عديـــدة لا حاجة بنا الى ذكرها فهي في المعاجم .

١١ — وفي المعجم الانكليزي — العربي » ترى العجب من معاني « القبالا » . وتكتب على وجوه من حيث « الباء » بسيطة أو مشددة :

Cabal و Cabala و Cabbala واسم الفاعل Cabbaler ومصدرهـــا الصناعي Cabbalism والنسبة اليها Cabbalist و Cabbalistic و Cabbalistical والمعنى الاول للكلمة الاولى Cabal : العصَابة السرية من عدة أشخاص يحبكون مؤامرة لغاية خفية. ويستعملون من هذه الكلمة فعلاً لازماً : تآمر في الخفاء . وأما لفظة « القبلة » بمعنى التصوف اليهودي فباقية للتغطية .

١٢ — هذا « التصوف » هو التعاليم السرية المتصة من « التلمود » ، وتعاليم التلمود عند اليهود هي كما يزعمون ، ما افضى به موسى الى سبعين رجلاً من بني اسرائيل ، والى اخيه هرون ويشوع بن نون من أسرار شفوية لم تدخل في اسفار موسى الخمسة ، ثم صارت هـــذه الاسرار تنتقل من رهط الى رهط، فمن يشوع الى «القضاة»، ومن «القضاة» الى «الأنبياء» (بعد داود وسليمان) ومن الأنبياء الى مجمع « السنهدرين » ثم الى جامعي التلمود في القرن الاول والثاني بعد الميلاد . ومن التلمود خرجت تعاليم « القبالا » ، وأتباع « القبالا » هم « حكماء صهيون » في كل عصر حتى اليوم .

١٣ — لذلك رأينا أن نبذل ما نستطيع من جهد في الكشف عن « القبالا » ونحن في صدد توفية الكلام على « حكماء صهيون » ، ويرى القارىء الفصل المتعلق بالقبالا في الجزء الرابع من هذا الكتاب في عدة ابواب . وانما اردنا بهذا المجمل هنا ، على الحاشية ، استرعاء لانتباه القارىء الى خطورة الموضوع ، فالقارىء العربي اذا لم يطلع على كنه « القبالا » فكأنه بقي في الغموض، كقارىء الروايات الغربية . والبروتوكولات لم توضع لتوزع على اليهود خاصتهم ، وانمـــا وضعت لتكون دستوراً عملياً لبضع مئات من « الحكماء » ، ولهذا صرّح البروتوكول السابع عشر باسم «القبالا» دون حرج ، اذا لم يدر يوم وضع البروتوكولات انها ستخرج يوماً مـــا ، الى العالم لكنها خرجت ساعة ميلادها كما ترى تفصيله في الفصل المخصوص .

البروتوكول الثامن عشر

تدابير الدفاع السرية – مراقبة المؤآمرات من داخل – تدابير الدفاع
العلنية المؤدية الى الاستيلاء على السلطة – الحرس السري المحيط بملك
اليهود – زوال الصبغة الدينية عن السلطة –
القاء القبض والاعتقال على
اقلّ شبهة

عندما نرى ضرورياً لمصلحتنا ان نقوّي دفاعنا السري بالتدابير الصارمة (هذا افتك سمّ بهيبة السلطة) فاننا سنصطنع ما يوهم بوقوع الاختلال ، او ما يكون منه مظاهر النقمة العامة والتململ ، وذلك بالاستعانة بنفر من الخطباء اللّسنين ، فيلتفّ من حولهم كل من يخلبه القول فينساق الى غايتهم . فنستمد من حالة الهياج العام العلة والسبب ، فتُداهم المنازل والمساكن وتقتحم بالتفتيش والمصادرة ، وأخْذ الناس بالاستجواب ووضعهم تحت المراقبة وتقييد حرياتهم ، فتنتشر المخاوف ويَعِمّ القلق ، وانما يقوم بهذا عملاؤنا الذين هم طوع امرنا ، يعملون في شرطة حكومات الغوييم .

ولما كان معظم من يقوم بحبك المؤامرات هم الذين لهم استعداد بالفطرة لهذا العمل ، وفي نفوسهم هوى لاتقانه ، ويتولعون به ، لمجرد ان يمارسوه ويخوضوا فيه ، فيكون لهم شأن ، فنحن ندعهم وما هم بسبيله ، لا نتعرض لهم بشيء ، كأن لا صلة بيننا وبينهم ، الا ان ندسّ فيهم من العيون الخفية من قِبَلِنا ، الى ان تقع على ايديهم حوادث مكشوفة ، وعلينا ان نتذكر ان هيبة السلطة لا بد لها ان تتناقص وتهزل ، اذا كثر اكتشاف المؤامرات عليها:

فيأخذ الناس من هذا ان قد عراها الوهن ، ويرون مصداق هذا في مواقفها وضعف الوسيلة فيما تصنع ، بل يعتقدون ما هو اسوأ : وهو انها اوغلت في ايقاع الناس في المظالم ، وهذا افعل الاسباب في خرابها . وتعلمون اننا قد هشّمنا هيبة الملوك ، ملوك الغوييم ، بما اوقعناه من محاولات اغتيالهم مرات متعددة ، على يد عملائنا ، وهم كالأغنام في سهولة الانقياد ، يتحركون بكل طواعية واستجابة ، وشرطهم الوحيد ان يوماً اليهم بالثناء عليهم ، ويشاد بذكرهم على مسمع من الجمهور انهم اصحاب بطولة سياسية . بهذا نكون قد أكرهنا الحكام على الاعتراف بضعفهم لمّا امتدحناهم على ما اتخذوه علناً من تدابير الدفاع وهو من اسرار الدولة وهنا المفتاح لانهيار السلطة .

* * *

اما حكامنا فتتولى حراستهم فئة ضئيلة جداً من رجال الحرس ، اذ لا نقرّ بحال ، ونرفض حتى نظرياً ، ان من الممكن ان يقع على احد منهم مؤامرة خبيثة لا يستطيع هو كشفها والتغلب عليها وتداركها .

ولا نسلّم بفكرة احتمال ان يُغلب الحاكم على امره في مثل هذه الحال ، اذ لو سلّمنا بها ، كما من عادة الغوييم ان يسلموا به، لكان معناه بحدّ ذاته ، وفي نظرنا ، الحكم بالاعدام ان لم يتناول حاكمَنا عاجلاً تناول عائلته في يوم قريب ، ولا مناص .

وتقضي الاوضاع المصطنعة من المظاهر والصور الخارجية ، بألا يستعمل حاكمنا شيئاً من سلطته ، الا في سبيل نفع الامة وخيرها . ولا يجوز له بحال، ان يجرّ مغنماً ما لنفسه او لاسرته . ومستواه السليم هذا ، يعلي من مقامه ومكانته في عيون الناس ، وقد بلغ درجة التقديس ، فيتضح لهم ان رفاهيتهم الجماعية ورفاهية كل فرد في الدولة ، كل ذلك موقوف على دقة هذا النظام المتناهي وإحكام تنفيذه .

وهذا النوع من التدابير العلنية للدفاع ، مؤذن بالضعف الذي أخذ يسري في داخل جهازه .

وعندما يخرج حاكمنا الى الناس ، يكون دائماً محوطاً بجم غفير من مختلط رجالٍ ونساء ، كأنهم في ظاهر حالهم وما يبدو عليهم ، من عامة الشعب وسواده ودهمائه، تسارعوا بالمجيء ليروا الحاكم عن كثب (ولكنهم في الحقيقة هم حرس) فيأخذون صفوفهم حلقاتٍ حلقاتٍ مترابطة تحيط به ، ثم بعدها الى الوراء حلقـــات اخرى على غرار الاولى ، وكل هذا يوهم انه عمل يأتيه الجمهور من تلقاء نفسه . ثم يكون الناس بعامتهم وجملتهم وراء هذه الحلقات، فاذا تدافعت الجماهير ردتهـــا الحلقات الى مكانها ، رعايةً للهيبة والنظام . واذا برز واحد من الجمهور يحاول شق طريقه من خلال الصفوف يريد الوصول الى الحاكم وبيده رقعة ، فيتناول هذه الرقعة منه مَنْ هم في صف الحلقة القريبة من الحاكم ، وتُـقَدَّم الرقعة اليه ، على مرأى منه وملأ من الناس كافة، فيتأكدوا ان رقاعهم تصل الى مرجعها الاعلى ، ويتولى الملك النظر فيها بنفسه ، ولا يَكِلُ هذا الى غيره ، وهو حريص على هــذا كل الحرص . ثم ان من مقتضى شعار القوة ، ولكي تكون صورتها في اذهان الناس جليةً بارزةً دائماً ، ان يتمكن الناس من قضاء لبانات مثل هذه عندما يقولون : « يا ليت الملك علم بهذا الامر ، او يا ليته يسمع به !! »

* * *

ثم انـــه عند اقامة نظام الدفاع السري على صورته الرسمية ، الظاهرة ، تزول الهيبة الغامضة للسلطة ، وعندمـا تجيش الصدور بالحماسة ، وكل واحد يعد نفسه بطل الموقف ، يكون القابض على زمام الشبكة للفتنة عالماً بما هو عليه من أهبة وسبب كاف، فاذا ما حانت الساعة انقضّ على فريسته واستولى على ما يريد ... هذا ، واما الغوييم ، فكنا نأخذهم من قبل بدعوة اخرى ، ولكننا بتلك الدعوة نفسها قد تمكنّا من أن نرى ما كان لاتخاذ تدابير الدفاع

العلنية من نهاية وصلوا اليها الآن .

* * *

وأما الجنـاة والمجرمون في عهدنا ، فلا هوادة في أمرهم ، فانهم يُعتقلون ساعة تقوم عليهم الشبهة المؤكدة ، ولا يجوز بحال عند مخافة الوقوع في تفسير قـانوني غامض ، ان يستفيد المتهم بجرم سياسي او جريرة صغيرة ، من ذلك ، فائدة اخلاء السبيل . فهنا لا هوادة ولا رحمة . ولكن مع هذا فاذا اقتضى الحال مرة ما بسبب تأويل نقطة ما تأويلاً مطـّاطاً ، ان يسمح باعادة النظر في دوافع الجرم ، وهذا اقصى ما يكون ، فلا يمكن ابداً ان يقع مثل هذا في قضايا الاشخاص الذين تورطوا في مسائل لا احـــد يكتنه اسرارها الا الحكومة . وليست كل حكومة تتقن فهم اسرار السياسة الصحيحة .

البروتوكول التاسع عشر

حق الشعب في رفع العرائض والمقترحات ـ الشغب السياسي ـ
التجريم في المسائل السياسية ـ الاعلان عن
الجرائم السياسية

إنّا وإن كنا لا نسمح بأيّ عبثٍ بالامور السياسيـــة يقوم به من يركب رأسه ، غير اننا من الجهة الاخرى نشجع كل صنفٍ من المذكرات والرقـاع والمقترحات ترفع الى الحكومة ، فتدرسها جمعـــاء وما تتضمنه من مختلف المشروعات الرامية الى تحسين حالة الشعب . وبهذا لنا فائدة : فينكشف لنا ما يدور في ذهن الشعب من افكار ، ويظهر لنا ما عنده من نقائص ونزوات. وعلى كلٍّ ، فاننا نتجاوب مع المطالب المقترحـة ، إمّا بتنفيذ ما هو صالح وفي محله ، وإما بردّ المسألة ، ردّاً بارعاً ، يبدو معه خطل صاحب الاقتراح وقصر نظره في وزن الامور .

* * *

أمّا تعاطي الشغب ، فما هو إلا كنباح الكلب الصغير في وجه الفيل . فالحكومة الوطيدة النظام ، لا يكون هذا النباح عليها ، مع سهر الشرطة ، وهو آتٍ من جهة الرأي العام ، إلا دليلاً على ان النابح أعجز من أن يدري نصيبه من المُكْنَة والقوة ، او ما هو الفيل المنبوح عليه . وباشارتنا الى مَثَل واحد من الأمثلة الصحيحة ، يظهر لكم وزن كل فريق منهـما ، فتدركوا كيف تكفُّ الكلاب عن نباحهـــا لتنقلب الى التبصبص بأذيالها ، حول الفيل ساعة تقع عليها عينه .

ولكي تتم لنـــا ملاشاة الشهوة الى البطولة من وراء الجناية السياسية ، سنحيل الشخص الى المحاكمة ، مُتّهماً على مستوى اللصوص والمجرمين والقتلة ومرتكبي أقذر الجنايات وأبشعها ، فيبهم الأمر على الرأي العام ، وتلتبس عليه حقيقة الرجل الذي كان بالأمس مسموعاً عنه طِيبُ الأحدوثة وحُسْن السيرة . فاذا به اليوم يرونه متهماً فيزدرونه ويتخلون عنه .

واننا الى الآن قد بذلنا غاية جهدنا ، واعتقدنا اننا أفلحنا ، حتى رأينا الغوييم لا مكنة لهم لتعاطي الشغب . وانما من أجل هذه الغـــاية ، رحنا نشيد بمزية الاستشهاد ، في الصحف ، ومن على المنابر العامة، بأساليب ضمنية، لا مباشرة مكشوفة ، ولا سيا في الكتب المدرسيـــة ، ككتب التاريخ الموضوعة وضعاً دقيقاً ، وكل ذلك مما يرفع في الظاهر من شأن الاستشهاد المزعوم انه في سبيل مصلحة الشعب . فنتج عن عملنا هذا بهـذه الوسائل ، ان ازداد عـــدد أحرار الغوييم فانضووا الينا ، وهم آلاف ، وانضموا الى صفوف الحيوانات من ماشيتنا .

البروتوكول العشرون

البرنامج المالي ـ الضريبة التصاعدية ـ الخزانة العامة وسندات الدين بفائدة ـ طريقة المحاسبات ـ الغاء مراسيم الاحتفالات و(التشريفات) ركود رأس المال ـ اصدار اوراق النقد ـ قاعدة الذهب ـ مستوى الاجور لليد العاملة ـ قروض الدولة ـ اصدار سندات بفائدة نسبة مئوية ـ اسهم الشركات الصناعية ـ حكام الغوييم : البطانة والمحسوبية والعملاء الماسون

نتناول في نوبة اليوم البرنامج المالي الذي ارجأت بحثه الى القسم الاخير من هذا التقرير ، لانه اعسر الأمور علاجاً ، وهو الغاية والنهاية ، وهو القول الفصل ، الشامل تأثيره جميع ما لدينا من مخططات . واول ما اذكّركم به انه سبق لي في موضع تقدم ان اشرت اشارةً عابرة الى ان حاصل اعمالنا كلها تقرّره الارقام .

متى ما اقمنا مملكتنا ، ستجتنب حكومتنا الاوتوقراطية ، تمشياً مع مبدأ المحافظة على النفس ، إبهاظ جماهير الشعب بالضرائب ابهاظاً غبياً . وستبتعد من هذا اذ لا يغيب عنها انها هي للشعب بمقام الاب والوصي . لكن لما كان نظام الادارة في الدولة يقتضي وافر التكاليف ، فمن الضرورة ، والحالة هذه ، ان تحصل الدولة على المال اللازم لها . فتطلب هذا بأفضل الطرق وايسرها ، واضعة نصب عينيها صحة التوازن في هذه المسألة .

وفي حكمنا المقبل ، يكون الملك متمتعاً بالصفة المعنوية الشرعية التي

بموجبها يعتبر هو مالك كل شيء في الدولة من كلّي وجزئي (ويجوز ان يتحول هذا من الحيّز النظري المعنوي الى الحيز الفعلي الحقيقي) وله ان يضع يده على جميع مقادير الاموال والاملاك من جميع الابواب كلها ، حتى يستطيع تنظيم دورة المال في الدولة. ويُبْنى على هذا ان نظام الضرائب العامة يمكن ان يعتاض عنه بنظـــام الضريبة التصاعدية على العروض والاملاك ، وبموجب هذا تُدْفع الضريبة التصاعدية دون ان تسبب لدافعها ارهاقاً ، أو اغراقاً ، اذ هي على نسبة مئوية من قيمة العروض والاموال . وعلى الاغنياء ان يعلموا ان واجبهم ان يضعوا جزءاً من فضلة اموالهم تحت تصرف الدولة وحق الكسب الشريف ، واقول الشريف لان نظام مراقبة الاموال سيقضي على التهريب المقنع عن طريق القانون قضاءً تاماً .

والاصلاح الاجتماعي يجب ان يبتدىء من فوق ، واعلى السلم ، والوقت اليوم مؤاتٍ ناضجةٌ وسائله — وهذا الاصلاح عربون عهد الامان .

والضريبة على الفقير هي بذرة الثورة وسوس الخراب في جسم الدولة التي تلهث وراء القليل من الفقير فلا يغنيها ، وتدع الكثير في يد الموسر وهو في متناولها . وفضلاً عن ذلك ، فان الضريبة على أصحاب رؤوس المـــال من شأنها ان تخفض من احتشاد الثروة في ايدٍ قليلة محدودة ، وهذا هو ما عنيناه وجرينا عليه في حكومات الغوييم لنجعله في كفة الاغنياء قوةً تناهض القوة التي في الكفة الاخرى — مالية الدولة .

والضريبة المتزايدة على نسبة مئوية من رأس المال ، تأتي بدخل اكثر بكثير مما تأتي به الضريبة الحالية على المكلف والسلع والعروض ، وهـــذه الأخيرة انما فائدتها مطلوبةٌ في أمم الغوييم ، لأنها معوان لنا في خلق القلق وتسبيب الانتقاض .

والقوة التي يستند اليهـــا ملكنا في حكمه المقبل ، قائمة على شيئين : التوازن المالي ، والأمن المستقرّ . ولكي تستقيم الأمور على هذا الوجه ، لا

بد ان يتخلى اصحاب رؤوس المال عن جزءٍ من دخلهم من اجل ان يضمن حسن سير جهاز الدولة كما ينبغي . وحاجات الدولة يجب ان يقوم بتسديد تكاليفها اولئك الذين لا تنزل عليهم الضريبة التصاعدية منزلة العبء، ولديهم من فضلة المال ما يسوغ الأخذ منه.

واستيفاء الضرائب لحاجات الدولة على هذه الطريقة ، ينتزع من قلب الفقير غلّته على الموسر ، اذ يراه اصبح عوناً مالياً للدولة ، وعـــاملاً من عوامل الهدوء والرفاهية ، يؤدي هذا كله بطيبة خاطر .

واما الطبقات المتعلمة ، فلكي لا تستثقل امر التكاليف المترتبة عليها ، بموجب النظام التصاعدي ، ولكي تستبين الحقائق على علّاتها ، فَيُشْرَح لها هذا كله بموارده ومصادره ، واصله وفصله ، وارقامه، لكي تكون على بيّنة منه ، ولا يستثنى الا مخصصات العرش واجهزة الادارة .

ومن يجلس على كرسي الحكم ، لا ينبغي ان يكون كالافراد مالكاً لشيء من المقتنيات لنفسه خاصةً ، بعد ان يغـدو رئيس الدولة ، لان كل شيء في الدولة يمسي وقفاً وهو القيّم عليه ، فاذا خرج عن هـــذه الصفة ، تنافت شخصيته الحاكمية مع شخصية الفرد الحائز للمال الخاص . والاحراز الفردي للحاكم معناه ان يهدم حقه في الحكم .

اما اقرباء الحاكم وذووه ، ما عدا ورثته ، الاقرباء الذين تعولهم الدولة ، فيجب ان ينتظموا في سلك خدمة الدولة ، او ان يَخْرُجوا لطلب الرزق بالعمل المستقل ، لكي يحصلوا على حق التملك الفردي كسائر الناس ، فان امتيازات الدم الملكي لا يجوز ان تكون سبباً في استنزاف الخزانة .

وصفقات البيع والشراء ، وقبض المال نقداً ، وانتقال الارث ، كل هذا يخضع لضريبة تصاعدية . وكذلك بيع العقار والمنقول ، بصيغةِ نقــدٍ ، او غيره ، اذا كان خالياً من شهادة دفع الضريبة حيث ينبغي بيان الاسماء كاملة ، يُعرّض المالك السابق لدفع فائدة على الضريبة من ساعة اتمام المعاملة،

الى يوم اكتشافها ، اذ تعتبر مهربة ، لم تعلن حسب الاصول . وتقدم جداول الانتقالات الى دوائر المالية المحلية اسبوعاً فأسبوعاً مع كشف باسماء المالكين وعناوينهم ، سابقاً وحاضراً . وهناك حدود معينة لابتداء الضريبة ؛ وهذا ايضاً يتقاضى عنه ضريبة مكس خفيفة على نسبة مئوية للوحدة .

ولكم ان تتصوروا ان مجموع هذه الضرائب لمرة واحدة كم يضاهي من مجموع الدخل لدول الغوييم من مرات .

وتحتفظ الخزانة بمبالغ كاملة من الاحتياطي المقطوع ، وما يزيد عليه ينبغي وضعه في التداول ، وينفق هذا الاحتياطي على الاشغال العامة ، فيكون زمام العمل في الاشغال العامة بيد الحكومة ، ومنها المورد والمستقى ، فيغدو العمال مرتبطين بها ، مخلصين لها ولمن بيدهم الحكم اذ في هذا مصلحتهم . ويجنب قسم من الاحتياطي المقطوع لتخصيصه مكافآتٍ على الاختراعات وتجويد الانتاج وتحسينه .

* * *

ولا ينبغي ان يبقى شيء ، مهما قلّ ، من الاحتياطي ولا من المقادير المخصصة لابواب الموازنة ، في دوائر الخزانة ، لان المال انما وجد لتتداوله الايدي ، وكل ركود يطرأ عليه يخرب سير اجهزة الدولة التي هو لها بمثابة الزيت للآلات ، واذا لحق الركود هذا الزيت ، فتقف آلات الدولة ودواليبها عن الدوران .

وان وضع سند الفائدة ، موضع سندات الخزانة ، ولو بمقدار قليل ، يسبّب هذا الركود تماماً ، وتكون نتيجته الرديئة واضحة .

وينشأ ديوان المحاسبة ، وبموجبه يستطيع الحاكم ان يطّلع على واردات الدولة ونفقاتها في اي ساعة ، ما عدا الحسابات الشهرية الجارية التي لم تقطع بعد ، وحسابات الشهر السابق الذي لم تصل جداوله بعد الى مراجعها .

والشخص الوحيد بمفرده الذي لا مصلحة له في نهب خزانة الدولة هو

صاحبها او حاكمها . وهذا هو السبب الذي يجعل مراقبته لها كافلةً لسلامتها فلا يُنفَق شيءٌ من اموالها جزافاً .

وناحية المراسم و (التشريفات) في البلاط ، من مقابلات وحفلات وما الى ذلك ، مما يستغرق كثيراً من وقت الحاكم ، كل هذا يلغى ، ليتوفر له من الوقت ما يكفي لمراقبة سير الشؤون والاعمال ، والنظر في القضايا والمهمات والمصالح . وعلى هذا ، لا تكون سلطة الحاكم نهباً مقسماً بين رجال الحاسبة والبطانة والمقربين والمحيطين بالعرش للابهة والفخفخة، وهؤلاء هم وراء منافعهم الخاصة ولا يهمهم من مصالح الدولة شيء .

والازمات الاقتصادية التي خلقناها نحن للغوييم ، ما خلقناها الا بواسطة سحب المال من التداول . فان مقادير عظيمة من رؤوس المال قد ركدت لدى سحب الاموال من الدولة . وهي الاموال التي كانت دائماً تستخدم لمنفعة المال المسحوب باتخاذها قروضاً : وهذه القروض اثقلت العبء المالي على الدولة من جهة الفائدة ، فصارت مالية الدولة مستعبدة لتلـــك القروض او رؤوس الاموال ... ثم ان انحصار الصناعة بأيدي اصحاب رؤوس المال الكِبَار ، بدلاً من ان تكون موزعةً بين عدد من المتوسطين ، قد امتصّ عصير الشعب والحكومة معاً .

واصدار النقد في الوقت الحاضر، يجري على نمط لا يتناسب على الجملة مع حاجات الناس على حساب حاجة كل فرد منهم ، فيعجز عن سدّ حاجات جميع العمال . فمقدار الاصدار ينبغي ان يضاهي عدد السكان في نمـــوّه ، ويدخل في هذا الاعتبار احصاء المواليد ، اذ هؤلاء يُعَدُّون من المستهلكين من ساعة ميلادهم . فتنقيح نظام اصدار النقد مسألة تهم العالم كله .

وتعلمون ان العمل بقاعدة الذهب قد خرّب الدول التي سارت عليه لأنها لم تكن قادرة على تلبية المطالب للنقد ، فازدادت الحالة حرجاً ، فاضطررنا الى اخراج الذهب من التداول الى الحد الممكن .

ويحلّ محل قاعدة الذهب عندنا ، قيمة تكاليف اليد العاملة ، سواءٌ حُسِبَتْ بالورق ام بغيره . وسنجعل اصدار النقد على قدر الحاجات العادية في كل باب ، مع اضافة المواليد بين وقت وآخر وطرح الوفيات .

وحسابات الدولة ، كل دائرة تكون مسؤولة عما تقوم به من اعمال ، على منهج استقلال الدوائر (كما هو الامر في فرنسا – الدائرة الادارية الفرنسية).

ولكي لا يقع تأخر في مدفوعات الدولة ، اللازمة لسير اجهزتها ، فكل هذا يُنَظَّم وتصدر به المراسيم بمبالغه وشروطه من قبل الحاكم . وهذه الطريقة تقضي على ما اعتادته الوزارات من المحاباة بحماية مؤسسةٍ ما ، تحت كنفها ، ضد مؤسسة اخرى ، وبهذه الطريقة نأمن الخلل .

واما موازنة الدخل وموازنة الخرج ، فتتمشيان معاً متوازيتين غير متباعدتين ، حفظاً للانسجام بينهما .

واما مشروعات الاصلاح والتحسين المخططة بموجب الانظمة والقواعد عند الغوييم ، فنفرغها في قوالب لا يخشى منها احد . وسنبين وجه الضرورة في تلك المشروعات ، وهي انما جيء بها لتلافي الاختلال الذي انغمست فيه امم الغوييم ، لِمَا طرأ على ماليتها من فسادٍ وعوج . واول عناصر الفساد ، كما سنعلم ، يبتدىء هكذا : توضع الموازنة السنوية كالعادة ، ثم لا تلبث ان تعتلّ اوضاعها بالتنقيح المتزايد المتكرر سنة بعد اخرى ، فتتضخّم ، وتتهالك على نفسها وذلك للسبب التالي: يأخذون بتجاذب اطرافها وجرّها الى منتصف الطريق ، ثم تختلّ دواليبها ، فتضطرب وتتسكع في السير ، فيطلبون موازنةً اضافيةً رتقاً للخلل ، فاذا وضعوا هذا انفقوه في ثلاثة اشهر ، ثم عادوا يطلبون ملحقاً مالياً آخر للترقيع ، وبالتالي ينتهي كل هذا الى موازنة تصفية. فتأتي السنة الجديدة ، ولا بد ان تبنى على ارث السابقة ومنها موازنة التصفية ، ناقلةً جملة ارقامها ، وذلك كله خبطٌ وعوارٌ وفساد ، فالانحراف الذي يقع في مدار السنة الجديدة يبلغ الى خمسين بالمئة ؛ وعلى هذا ترى ان

الموازنة قد بلغت ثلاثة اضعاف في عشر سنوات . والعلة في خراب خزانات دول الغوييم حتى امست فارغة ، تعود الى تلك الاساليب والطرق ، مما صنعناه نحن لها . ثم يأتي دور القروض ، فيمتصّ ويلتقم ما بقي ، وما بعد ذلك الا الافلاس .

ولا يخفى عليكم ان الانظمة الاقتصادية التي من هذا النوع ، ونحن اقترحناها وقدّمناها الى الغوييم — للتخريب — لا يمكننا ان نجري عليها ونطبقها عندنا.

فان كل ضرب من القروض يدل على الاعتلال في الدولة ، وعلى النقص في فهم حقوق الدولة . فالقروض تُعَلَّق فوق رؤوس الحكّام كسيف ديموقليس . وبدلاً من ان يأخذوا المال من رعاياهم عن طريق فرض ضريبة موقتة ، فانهم يَمُدُّون ايديهم يستجدون مصارفنا . والقروض الاجنبية ما هي الا عَلَقٌ لا ينفك يمتص حتى يشبع فيتساقط من نفسه ، او تنزعه الدولة نزعاً وترمي به . ولكن دول الغوييم اعجز من ان تنتزع العلق ، فتلجأ الى ما هو ايسر واهون ، فتداوي امرها باستخدام المزيد من العلق اكثر فاكثر ، حتى تجفّ عروقها بطبيعة الحال ، وينتهي انسياب دمها كأنه من فصاد اختياري (كلاحس المبرد) .

***

وما هو القرض الداخلي الحقيقي ؟ القرض هو اصدار الحكومات سندات على الخزانة تحتوي على التزام نسبة استهلاكية لمجموع رأس مال القرض . فاذا كان القرض مرتباً له فائدة ٥ بالمئة ففي عشرين سنة تظل الدولة تدفع من هذه الفائدة ما حكمه حكم العبث ، حتى يوازي مجموعُ ما يدفع اصلَ القرض ، وفي اربعين سنة تكون الدولة قد دفعت هذا مضاعفاً ، وفي ستين سنة يضاعف ثلاثاً ، ومع هذا يبقى اصل القرض على حاله ، ديناً على الخزانة .

يتضح من هذا ، ان فرض الدولة ضريبةً على رعاياها تصيب كل فرد ، مهما يكن اسلوب الضريبة ، معناه امتصاص آخر درهم من جيوب دافعي الضرائب الفقراء لتسديد ديون الاثرياء الاجانب الذين منهم اتت القروض ، بينما بوسع

الدولة ان تجمع من المكلفين من رعاياها ما يلزم لحاجاتها دون ان يكون له فائدة اضافية .

وما دامت القروض قروضاً داخلية تتعاطاهاامم الغوييم ، فغاية ما يحصل من المال انه ينتقل من جيوب الفقراء الى الاغنياء . ولكن عندما يُشْتَرَى الرجلُ الذي يُعهد اليه في تدبير القروض من الخارج ، تسيل اموال الامم الى صناديقنا وخزائننا ، وتسرع امم الغوييم فتؤدي الينا ضريبة الرعية .

* * *

واذا اعتبرنا نوع الحياة التي يحياها ملوك الغوييم وهم على عروشهم ، حياة القشور والعبث ، وما هناك من اهمال لشؤون الدولة ، واستقتال الوزراء في جمع المال لجيوبهم ، وجهلهم المسائل المالية ، وحذو باقي الحكام هذا الحذو بحيث أدّى الامر كله الى جعل بلدان الغوييم مدينةً لخزائننا بمقادير من الديون هي اعجز من ان تقوى على تسديدها ، الا َفلْنَعْلَمْ ان هذا لم يتمّ دون ان تكبدنا في سبيله تكاليف ثقيلة من اضطراب ومال .

وركود المال لن يكون له محل في عهدنا ، ولذلك لن يكون ايضاً شيءٌ من سندات بالفائدة على الدولة ، ما عدا الاصدار الذي بفائدة واحد بالمئة ، ولن يكون هناك دفع فوائد للعلق الناهش لعصب الحياة في دولتنا . وحق اصدار سندات بالفائدة سيحصر بالشركات الصناعية التي لا تجد صعوبة في دفع الفائدة على السندات من ارباحها ، بينما الدولة في هذا الامر لا تعطي فائدة على القروض التي هي كقروض الشركات ، لان الدولة تقترض لتنفق لا لكي تستثمر المال في المشروعات المربحة .

* * *

وسندات الشركات بوسع الحكومة ان تشتريها كما يشتريها جميع الناس ، بعد ان كانت الحكومة مقترضةً تدفع جزيـــة القرض ، صارت مقرضةً

(للشركات) بفائدة تجنيها . وهذا التدبير يمنع الركود والارباح الطفيلية والاسترخاء ، مما كان كله مفيداً لنا لما كانت دول الغوييم مستقلة ولنا مأرب من سوقها ذاك المساق ، اما في حكمنا فهذا بعيد .

وما اوضح ما نرى من تخلف عقل الغوييم وغباوته الكثيفة وتخبّطه ، فانهم يقترضون منا بالفائدة دون ان يفكروا في ان كل هذا المال مع فائدته كان يجب ان يأخذوه من جيوب دولهم ليسددوا لنا الدين . واي شيء اسهل من ان يأخذوا المال من جيوب شعوبهم .

ولكن هذا كله برهان على اشراق نبوغنا العقلي واشماعه ، ونحن الشعب المختار . فاننا قد اخترعنا لهم هذه الحيلة بشكل تقديم القروض ، مزينة منمقة ، فصدقوها واعتقدوا ان فيها الخير لهم .

* * *

اما طريقتنا في حساباتنا فستكون واضحة جلية في بيان المصادر والموارد ، والدخل والخرج ، لا اثر للابهام في ذلك ، مُنَقاة على ضوء خبرتنا المستفادة من القرون الماضية في دول الغوييم ، وستتميز بالدقة والبت والقطع . وبالقاء نظرةٍ عليها ، يستطيع كل واحد ان يرى جوهر محتواها وهذا ثمرة ما ابتكرناه . وبذلك تنتهي مخازي الغوييم التي استعنا بها في التسلط عليهم ، وهذا كله منبوذ عندنا .

* * *

وسنضرب بسياج من الرقابة حول نظام الحسابات عندنا بحيث لا يكون من المستطاع بمجال للحاكم او لايّ موظفٍ في الدولة ، مهما علا مقامه ، ان يحوّل درهماً واحداً عن بابه ، دون ان يكشف امره ، او ان يجري نقل مرصد مالي من باب الى آخر ، الا ضمن ما نصّت عليه التعليمات ورُبطَ بضابطه .

وبغير هذه الطريقة الجازمة لا سبيل للحكم والسير في طريق تحتها الغام ، وبغير موارد على الصفة التي ذكرنا ، مصيرنا الى البوار ، حتى ولو كان القائمون بالحكم أبطالاً او شبه آلهة ، وكل ما صنعناه لحكام الغوييم الذين طالما امددناهم بالنصائح (المضللة) فصرفناهم عن العناية بشؤون الدولة وحراسة مهماتها ومصالحها ،والهيناهم ببرامج الظهور بابهة المحافل والمهرجانات والانتفاخ بآداب السلوك الاجتماعي ، والمآدب والولائم ، كل هذا ما كان الا حجاباً لستر خططنا المؤدية الى قيام حكمنا . وقد حشونا كل بلاط بالمحبوبين لديهم من عملائنا (وعميلاتنا) فوضعناهم فيمناصب كلهامفاتيح ، فعملوا ،واحسنوا القيام بما عملوا ، وكانوا يستغلون قصر النظر ، فيمنّونهم بمواعيد عرقوبية ان الفرج وتحسن الحالة الاقتصادية ، كل ذلك قادم فيالطريق . ومما يأتي الفرج ؟ اتأتي بركات اقتصادية من ضرائب جديدة ؟ كان ذلك ممكناً بنفسه ولكنهم لَم يفهموه ليطلبوه . وكيف يفهمونه ويطلبونه وقد قرأوا ما كتبنا لهم ووضعنا امامهم فاتبعوه .

* * *

وواضحٌ ما كان لهم من نهاية ، هي نتيجة الدرب الذي سلكوه ، وما ارتطموا فيه من بلاء العسر المالي ، وخمول الصناعات في بلادهم .

البروتوكول الواحد والعشرون

القروض الداخلية ـ الديون والضرائب ـ تحويل الديون الى ان
تصبح ما يقال له الديون الموحدة ـ الإفلاس ـ بنوك التوفير
والدخل ـ الغـاء الاسواق المالية ـ تنظيم
القيم الصناعيـة

اتماماً للموضوع الذي شرحته في الاجتماع الاخير، وهو القروض الاجنبية، اقدّم الآن ايضاحاً وافياً حول القروض الداخلية . ولا حاجة بي أن أزيد الكلام على القروض الخارجية ، فهي التي ساقت الينا ثروات الغوييم ، وأمـا في دولتنا فلا وجود للاجانب ، أي لا شيء خارجي .

اننا قد اغتنمنا فرصة ما عليه رجال الادارة الكبار من التكالب على جمع المال ، وما اصيب به الحكـّام من آفة الخمول ، فاستعدنا اموالنا منهم ضعفين وثلاثة اضعاف ، بل اكثر من هذا ، فكنا نقرض حكومات الغوييم من المال ما يفوق حاجتها . أفيستطيـع أحد أن يدور بنـــا مثل هذا المدار ؟ لذلك اقصر كلامي على تفصيل القروض الداخلية . والقصة هكذا :

تعلن الحكومة انها ترغب في عقد قرض مالي صفته كذا وكذا . وتطرح سنداتها للاكتتاب، وهي من نوع سندات دين بفائدة ، ولكي تبقى الحكومة، وفي متناولها الامر كله من جهة متراوح الاسعار ، فانها تجعل سعر السند بين مئة والف ، ويُحسم شيءٌ من هذا للسابقين في الشراء . وفي اليوم التالي ، فاذا بالاسعار في صعودٍ نتيجـة التحايل والتلاعب ، والسبب المنتحل ان الاقبال على الشراء كان غزيراً جداً ، وفي بضعة ايام تمتلىء صناديق الخزانـــة

ويفيض المال عنها ، حسب زعمهم ، اذ تدفق عليها وزاد فيضه على ما تحتاج اليه بكثير (اذا كان هذا صحيحاً فلماذا تقبل الخزانة هذا الفائض الزائد ؟) ثم يذاع ويشاع ان الاكتتابات فاقت مطلوب القرض اضعافاً ، وهنا يكمن سر الرواية - فتسمع الناس يقولون : انظروا ! ما اشد الثقة بسندات الحكومة !

وعلى اثر تمثيل هـذه المسرحية المضحكة ، يُطِلُّ رأس الحقيقة سافراً ، وهو ان الحكومة واقعة في دين، لكنه دين يقصم الظهر . فتتخبط في امرها. ثم يعسر عليها دفع الفائدة ، فتلجأ الى قروض جديدة ، وهـذه لا يستفاد منها في وفاء الدين بل تضيف اليه عبئاً جديداً . ومتى ما نفد مال القروض الجديـدة ، صار من الضروري فرض ضرائب جديدة لا لوفاء اصل القروض الاولى ، بل لدفع فائدتها . فتغدو هذه الضرائب ديناً لتغطية دين .

ثم يأتي دور تحويل سندات الديون . فيخفضون من الفائدة ، ويبقون الدين على حاله ، غير ان هذا العمل لا يستطيعونه إلا بموافقة المقرضين حملة السهام ، فتعضل المسألة . وعند اعلان التحويل، يُسْمع اقتراح من زاويةٍ ما، ان الذين لا يوافقون على تحويل سنداتهم تعاد اليهم قيمتها . فاذا طلب حملة السهام جميعاً استعادة أموالهم ، وقعت الحكومة في الورطة ، وعَلِقَتْ بها الكلاليب ، وتكون كمن طلب الزيادة فوقع في النقص ، وتعجز عن الدفع . ومن حسن الحظ ان الغوييم ، ولا فهم لهم في الامور المالية ، يؤثرون دائماً ان يخسروا من قيمة السندات ويقبلوا فائدة مخفضة ، على أن يجرأوا فيحاولوا استثمار اموالهم في مشروع آخر. وفي خلال هذا كله، تتولد الفرصة للحكومة فتنفض عن كاهلها ديناً عليها قد يبلغ عدة ملايين .

وفي الوقت الحاضر ، لا يبقى بوسع الغوييم ان يلعبوا هـذه اللعبة في القروض الخارجية ، اذ هم يعلمون اننا ازاء هذه نطلب ان تعاد الينا أموالنا كلها كاملة .

وبهـذه الطريقة التي شرحتها لكم ، يكفي ان تؤخذ العبرة من حادث

افلاس واحد لا ريب فيه ، ليعلم ما هناك من مسافة بعيدة بين مصالح الشعب ومصالح الحكام .

وارجو منكم ان تحصروا انتباهكم الخاص بما تقدم من الكلام ، وبما اعقب عليه الآن تواً : ان جميع القروض الداخلية اصبحت في وقتنا هـذا ديوناً موحَّدة ، اي ما يسمى بالديون السائرة ، وخاصية شروطها تسديدها في آجال قصيرة . وهـذه الديون هي أموال مدفوعة الى بنوك التوفير والى الحساب الاحتياطي ، فاذا بقيت تحت تصرف الحكومة مدة طويلة ، تتبخر اذ تستعمل في دفع فوائد القروض الاجنبية ، ويعتاض عنها بمبالغ تعـادلها تؤخذ من أموال الدخل والايراد ، وهذه الأموال هي آخر مـا في جعبة الخزانة من ادوات الترقيع ورتق الفتوق .

ومتى ما اعتلينا عرش العالم ، فجميع هـذه الألاعيب المالية وأمثالها المنافية لمصالحنا ، يُقْضَى عليها بالمرة ، ويُعَفَّى أثرهـا ، وكذلك نمحو الأسواق الماليـة من الوجود ، لان وجودها ضارٌ بمكانتنا وهيبة سلطاننا المالي ، لِمَا تسببه من التقلب في الأسعار ، فيؤثـر ذلـك في قِيَم اموالنا تأثيراً سيئاً .. ووجه عملنا ، احتفاظاً بمستوى قِيَم اموالنا واسعارها ، سنسن قانوناً يمنع التلاعب بين صعود وهبوط (فالصعود ينقلب سبب الهبوط، وهذا ما كان يقع في دور ابتداء تدخلنا في اسواق الغوييم) .

وسنعتاض عن اسواق الأوراق المالية (البورصات) بمؤسسات حكومية للاقراض ، بالغة حدّ العظمة، والغاية من هذه المؤسسات ان تحدد اسعار القيم الصناعية على حساب ما ترى الحكومة ، ويكون بوسع هذه المؤسسات ان تغرق السوق بخمس مئة مليون من سنداتها الصناعية ، وان تشتري من السوق سندات ما يعادل هذه القيمة ، كله في يوم واحـد ، وبهذه الطريقة تصبح المشروعات الصناعية متوقفة علينا . ويمكنكم ان تتصوروا ما يكون لنـا من ورآء هذا من نفوذ وسطوة .

البروتوكول الثاني والعشرون

اسرار ما سيأتي به الغد – شرور القرون المديدة الماضية
اساس المستقبل الخيّر – شعار القدرة والخشوع
لها خشوع العبادة

في جميع ما اوردته عليكم حتى الآن ، كان هدفي ان اصور لكم بعناية ، ما سيأتي به الغد ، وما هو جار اليوم مندفعاً الى سيل الحوادث الجسام الطالعة علينا عما قريب ، وسر العلاقات بيننا وبين الغوييم ، والاعمال المالية. ولم يَبْقَ لي ما اقوله اتماماً للموضوع الا القليل وهو هذا :

ان في يدنا ارهب قوة في هذا العصر : **الذهب** ، ففي مقدورنا ان نخرج من خزائننا منه أي مقادير نريد في بحر يومين .

ومن المسلّم ، ان لا حاجة بنا الى مزيد برهان على ان حكمنا المقبل هو من ارادة الله . ومن المسلّم ايضاً اننا لن نفشل ، وبيدنا ما بيدنا من كنوز المال ، في اقامة الحجة على ان الشر الذي عكفنا على ارتكابه عدة قرون ، كان عوناً في خاتمة المطاف لقضية الرفاهية والخير – بجعل الامور كلها تحت اجنحة النظام ، ولا ننكر اننا في غضون هذا السير قد لجأنا الى بعض العنف والجور ، على ان النتيجة كانت تكون واحدة على كل حال في النهاية . وما بقي علينا هو ان ندبّج الفصول والمقالات برهاناً على اننا نحن الخيّرون المحسنون ، اعدنا الى العالم الممزّق المتناثر ، نعمة الخير الفعلي ، وحرّرنا الانسان الفرد ، وبهذا نمكّن العالم من أن يحيا متمتعاً بهاتين النعمتين (الخير والحرية) في ظل السلام والطمأنينة ، مع حسن العلاقات المرعية بين الناس ،

وذلك طبعاً شرط المحافظة الدقيقة على القوانين القائمة . وسنبين للناس جميعاً ان الحريـة ليست في الاستباحة والهوى ، وحق الانغماس في المحظورات بلا قيد ، بأكثر مما هي كرامة ، وقوة ارادة في الانسان ، وهذان ليس معناهما ايلاء الفرد نفسه الحق ان يأخذ بالقواعد الهدّامة تحت اســم حرية الضمير والمساواة وما اشبه . وحرية الانسان ليس محتواها ان يهيج المرء نفسه ويهيج غيره الى الشر بالخطب الرعناء في الرعـاع العابثين ، وانما المحتوى الصحيح هو الصمود والمناعة في الشخص الذي يراعي جميع قوانين الحيـاة بأمانة ودقة ، والكرامة الانسانية عن طريق وعي الوحدات للحقوق ، في مشهد كل حق ومغيبه . وليس من معنى المحتوى انه مطلق الاستسلام الى الخيال والنزوات الجامحة ، مما يدور حول موضوع الذاتية أو الانانية الانسانية .

* * *

وستكون سلطتنا رائعةً ، لتحلّيها بصفة القدرة الكاملة الشامـلة ، وتبسط كل حكمها وترشد الناس . ولا تشايع زعماء وخطباء يتراقصون على العبارات الفارغة وما به يتشدقون ، مما كله في نظرهم المبادىء السامية ، وما هو بالحقيقة الراهنة الا الطوباوية الخيالية .. سلطتنا ستكون تاج النظـــام ، وفي هذا تندرج سعادة الانسان كلها . والشعار الوهاج لهذه السلطة ، تنبعث منه عوامل السجود الروحي له ، وخشية الاجلال بين يديـــه ، من الخلق اجمعين . ان القدرة الحقيقية لا تسالم حقاً من الحقوق حتى ولو كان حق الله . ولا يستطيع احد ان يدنو منها بسوء ولو بمقدار شعرة .

البروتوكول الثالث والعشرون

التقليل من الادوات الكمالية ـ الصناعيون المتوسطون ـ
التعطل عن العمل ـ منع الخمرة ـ محو المجتمعات السابقة
وبعثها في شكل جديد ـ المختار
من الله

ان الشعب ، حتى يعتاد الطاعة ، من الضروري ان تتشرب اذهانه دروس الاتضاع والقناعة . وطريقة ذلك ، الاقلالُ من انتاج الكماليات وأدوات الزينة الفارغة ، والترف . فتترقى الاخلاق العامة التي ما جاءها الفساد الا من شدة انغماسها في مباءة الترف المهلك . وسَنُعْنى باعادة انشاء صناعات انتاج متوسطة ، وهذا معناه وضع الألغام في طريق رؤوس الأموال الصناعية الخاصة . ومن فضائل هذا ايضاً ، ان الصناعيين الكبار على النطاق الواسع ، غالباً هم المحركون ، ولو عن غير علم منهم دائماً ، لافكار الجماهير في اتجاه معاكس لا يعرف شيئاً من التعطل عن العمل (البطالة) ، وهذا ما يدعو لشدّه الى النظام القائم شداً وثيقاً ، وبالتالي يقوده الى احترام هيبة السلطة . ثم ان التعطل عن العمل يعتبر اشدّ ما يفتك بالحكومة من آفات ، أما نحن ، فسنداويه يوم ينتقل الزمام الى ايدينا . والخمرة ستمنع بالقانون ، وشاربها معرض للعقاب لارتكابه جرماً ضد انسانية الانسان ، ولصيرورته بالشراب في صف العجماوات .

والرعايا ، واكرر هذا القول ، انما تنقاد لليد القوية التي تَحْكُمُ ، وهي بمعزل عن الرعايا جميعاً ، ومن هذه اليد تستشعر الشعوب رهبة السيف الذي

ينتضى لمكافحة الاوبئة الاجتماعية واستئصالها ، وما عساهم يريدون في ظلّ ملكٍ ملائكي الروح ، يرون فيه هذه القدرة والقوة مجسَّدتين !

واجب السيد الأعلى الذي يحل محل جميع الحكام الحاليين ، المتسكمين في طريقهم على حاشية الحيـــاة ، في مجتمعات نَخِرَة ، أوردناها موارد التدلي والفساد ، مجتمعات جحدت كل شيء حتى سلطة الله ، ومن وسطهـا تنجم قرون الشر بنار الفوضى من كل جهة - واجب السيد الأعلى قبل كل شيء أن يخمد تلك النار الفاغرة فاها ، اخماداً تاماً . وهو في هذا الصدد يكون مضطراً الى ان يمحو جميع تلك المجتمعات ولو صبغها بدمه ، حتى يبعثها بعثاً جـــديداً على صورة جنود منتظمة الصفوف ، تقاتل بوعي كل الآفات التي تعتري جسم الدولة وتزرع فيه البثور .

وهذا الحاكم المختـار من الله ، انما اختاره الله ليقضي على قوى الشر ، القوى التي تنبعث من الغريزة لا من العقل ، ومن الوحشية لا من الانسانيـة . وهـذه القوى هي الآن في نشوة انتصارها ، متمثلة باللصوصيات وكل ضرب من الاغتصاب ، تحت قناع مبادىء الحرية والحقوق . وقد عبثت بالنظـــام الاجتماعي ونقضته من كل جهة لتقيم على انقاضه عرش ملك اليهـود ، ولكن دور محاسبة هذه القوى الشريرة يكون في يوم ظهور مملكتنا ، فتُجرَف من طريق ملكنا جرفاً حتى لا يبقى منها أثر ، عالقة به بقـايا عثرات ، او كسرات محطومة .

حينئذ نستطيع أن نقول لأمم العالم : اشكروا الله واسجدوا للذي في جبينه خاتم مصير الانسان ، الانسان الذي قاد الله نجمته اليه ، مظهراً بذلك انه هو وحده القادر على تحريرنا من جميع القوى والشرور التي ذكرنا .

البروتوكول الرابع والعشرون

تثبيت نسل الملك داود ـ تخريج الملك واعداده للعرش ـ تنحية
الوارث ولو كان من النسل الداودي اذا كان لا يصلح
للملك ـ الملك وأعوانه الثلاثة لا غير ـ الملك هو
المصير ـ ملك اليهود في اخلاقه نحو الناس
هو فوق العيب

في الاختتام ، أتناول من الكلام ما يتعلق باثبـات النسل الداودي في اصوله وجذوره الى آخر الدهر .

سرُّ هذا البقاء ، في المقام الأول ، كامنٌ في ما يتضمنه ذلك الشيء الذي تمكـّن به حكماؤنا حتى اليوم ، من جعل ادارة شؤون العـالم مُشرَبَةً روح المحافظـة على القديم ، وذلك عن طريق توجيـه التثقيف الفكري للانسانية جمعاء .

يأخذ بعض الاشخاص من نسل داود على عاتقهم اعداد من يصلح للملك ومن يصلح ليكون وارثاً للعرش ، غير جاعلين الاختيار تابعاً لحقّ من حقوق الإرث ، بل كل ما يراعى من مميزات هو الكفاية بصفاتها من الجدارة والمؤهلات . فيُطلِعون المرشحين على أعمق الأسرار المتعلقة بالتدابير السياسية ، وأساليب الحكومات واطوارها ، مع الحذر الشديد ألا يتسرب شيء من ذلك الى الخارج . والغاية من هذه الطريقة ان يعلم الناس جميعاً ان زمام الحكومة لا يمكن ان يلقى به الى من لم يتخرج بالمعرفة والاطلاع على مواطن الاسرار في فن الحكومات .

وهؤلاء المرشّحون هم بوجه الحصر الذين قد تمّ تخرجهم واطلاعهم على كيفية تطبيق المخططات وتنفيذها ، وامعانهم النظر وتدقيق الاعتبار ، والمقابلات بين صنوف التجارب الماضية لعدة قرون،والملاحظات المستفادة من السير السياسي الاقتصادي والعلوم الاجتماعية . وبكلمة موجزة : يلقّن هؤلاء روح الشرائع التي هي من عمل الطبيعة نفسها ، الهادية في ادارة العلاقات الانسانية بين البشر .

واذا وجد ان المرشحين للعرش على الخط العمودي الداودي قد بدا منهم في أثناء دراستهم وتخرجهم ، طيش او رخاوة او ما يشبه هذا ، مما يكون عاملاً في فساد الحكم والسلطة ، ويجعَل الحاكم غير قادر على الوفاء بحق واجباته ، وخطراً بنفسه على المنصب الذي يتولاه ، فأمثال هؤلاء ، اذا بدا منهم هذا النقص ، يُنَحَّون عن تسنم العرش .

وانما يتسلم زمام السلطة من أيدي حكمائنا ، من لا ريب في مقدرتهم التامة ، ليحكموا حكماً بلا هوادة ، لا يني ولا ينثني ، ولو تضمن القوة والصرامة .

واذا مرض الملك الشرعي الجالس على العرش ، مرضاً يورثه ضعف الارادة والرأي،او ما يثلم اي صفة من صفات الاهلية ، فتكفّ يده ويسلّم زمام الحكم الى من يأتي بعده من ملكٍ قدير جديد .

وما لدى الملك من مخطط عملٍ للحاضر والمستقبل ، لا ينبغي ان يدري به احد اطلاقاً ، حتى ولا الذين هم بمثابة مستشاري الملك المقرّبين .

والذين يحصر فيهم علم هذا كله دون سواهم ، هم الملك نفسه وثلاثة اعوان معه لا غير .

وفي شخص الملك الذي هو بارادته الصامدة الصلبة سيد نفسه وسيد الانسانية كلها ، تُستَكشَفُ صورة القدر وخفاياه . ولن يكون بوسع احدٍ ان يعلم شيئاً من رأي الملك ، ولا الى ما يتوجه برغباته وميوله . ولذلك

يكون من المستحيل ان يقف احدٌ عاثوراً في طريقه وهي طريق غامضة مجهولة .

ومعلومٌ ان القوة المستوعبة الخازنة من عقل الملك ومداركه ، ينبغي ان تتكافأ بسعة الاهلية والقدرة مع ما ينبغي أن يكون لدى الحكومة من خطط للعمل . وانما من اجل هذه العلة في التوازن بين الاثنين ، وجب الا يتسنم ملكٌ العرشَ الا بعد فحص قواه العقلية على يد الحكماء الثلاثة الاعوان .

وقد يتسنى للشعب ان يعرف الملك عن كثب ، فيحبه ، فلا بـد له (الملك) ان يخرج الى الساحات والمشاهد العامة فيحدثونه ويحدثهم ، وهذا ما يجعل القوة في الجانبين ، الملك ، والشعب ، قوة متماسكة ، وهي الآن غير موصولة ، وهذا الانقطاع سببه نحن وما رأينا من اهوال .

وهذه الاهوال لم يكن منها مهرب ، وكان حتماً احتمالها ، الى ان يحين الوقت للقوة المذكورة فتلتقي من طرفيها ، وتمسي حلقةً مفرغة تحت اجنحتنا.

وملك اليهود لا يجوز له ان يكون منقاداً لشهواته ولا سيما البدنية ، ولا ان يسمح لجانب الغريزة الجامحة ان تتسلّط على جانب العقل . فان الشهوات مهلكة ، تعطّل القوى المدركة العاقلة ، وتطفىء البصيرة المبصرة ، وتُسِفّ بالافكار الى الحضيض الذي ما بعده شيء .

والقائم بعبء الانسانية ، المتمثل بشخص السيد الاعلى ، الباسط حكمه على جميع العالم من نسل داود المقدس ، عليه ان يضحّي في سبيل شعبه بكل شهواته الشخصية ، وسيدنا الاعلى حريٌ به ان يكون فوق العيب ويكون المثل الاعلى .

(الموقعون) : ممثلو صهيون

من الدرجة ٣٣

(انتهت البروتوكولات)

الجرائيم الخبيثة في مخطط

البروتوكولات

١ – لا يسع القارىء بعد ان يطالع هـذا المخطّـط ، ويتأمل في محتواه ومداه ، وروحه وعوامله ، وأبعاده وغاياته ، إلا أن يسأل : مَنْ هم اليهود من الجنس البشري على صعيد هذا المخطط الرامي الى افساد البشر جميعـاً ، ومحو الحضارة والأديان السماوية ، او فما هو نوع هذا الجنون او الشذوذ ؟ ويتوجه المطالع الى نفسه بهذا السؤال قبل ان يشفع هذا بسؤال آخر وهو : أيمكن لهذا الجنون ان يتحقق منه شيء في النصف الثاني من هذا القرن ؟

٢ – ويسيرٌ الجواب على السؤال الأول :اليهود كتلةٌ بشرية ضئيلة من أول أمرها في الوجود.وأجمع المؤرخون المتجردون عن الهوى على ان اليهود لما كانوا يدورون على محورهم الصغير في فلسطين في الزمن القديم،كانوا ، حتى في أيام شاول وداود وسليمان ، حفنةً قابلةً أبداً لأن تذروهـا الرياح بين الامبراطوريات الكبرى في وادي النيل ووادي الفرات والعراق وسوريا . ولم يستطع بنو اسرائيل باسمهم الاقدم ، ثم اليهود باسمهم بعد انقضاء عصر سليمان ، ان يأخذوا من صفحات التاريخ الحقيقي شيئاً بذكر إلا نتفاً في زوايا الحواشي . ولم يتركوا في فلسطين أثراً من بنـاء او عمران يدل على حضارة كانت لهم ، أو فنٍّ نشأ في بيئاتهم ، إلا **التوراة** التي هي نتاج ألف وخمسمئة سنة . ثم راحوا في أثناء السبي وبعده يتعلقون بالأساطير والملاحم ، والإكثار من نسج الأخيلة فوق التوراة حتى ابتنوا الى جانبها التلمود ، مبتدئين به في القرن الميلادي الأول . والتلمود انقلب عندهم الواقي من العفـاء ، ومناط الرجاء ، وهو دنياهم من الألف الى الياء .

٣ – والعبرية القديمة رطانة جافة ، فأخذت تتأثر بالكنعانية حتى صارت لهجة تشبهها .

٤ – ولما كان الكنعانيون يسكنون المدن المسوّرة ولهم مستواهم الحضاري في بلادهم المسماة بارض كنعان ، وعندهم الحديد وما يُصنع منه ، وهم يقيمون في داخل البلاد الجبلية في السفوح والوسوط والأعالي ؛ ولما كان الفلسطينيون يقيمون في السهول الساحلية من الكرمل وبيسان الى غزة ، وهم لا يقلّون حضارة عن جيرانهم الكنعانيين ، كان الاسرائيلي الجافّ لاحضارة له ولا فنّ ، يهبط السهول الى الكنعاني او الفلسطيني ، ليصنع له سكة الحراثة او منجل الحصاد .

٥ – من الكنعانيين أخذ بنو اسرائيل ما أخذوا . ومعظم ما في التوراة من أخبار خلق العالم والتكوين والطوفان وتمجيد « ايل » الآله ، انما كل هذا اقتبسوه من الحضارة الكنعانية والحضارة العراقية . وبعد اكتشاف جوانب عظيمة من الحضارة الكنعانية الفينيقية في اوغاريت او رأس شمرة قرب اللاذقية آخر الثلث الأول ، من هذا القرن ، انكشف الغطاء عن كثير من ينابيع التوراة .

٦ – واضمحل بنو اسرائيل سبياً وتشتيتاً ، لكن اعتصموا منذ عشرين قرنا بالتوراة والتلمود ، واسطورة لا محل لها في معقول البشر من انهم **شعب مختار** .

٧ – وانفردوا بهذا . وجعلوا يحوكون حوله الخيال والاسطورة ويمجّدون ماضيهم ، وسليمان وعصره بصورة خاصة ، تمجيداً لا يقره تاريخ ولا حقيقة .

٨ – واذا كان لليهود حقيقة عرقية ساميّة في زمنهم القديم ، فهذه الحقيقة فقدوها شيئاً فشيئاً ، لا بحكم السبي وحده ، بل ايضاً بحكم اختلاطهم المكره بالامم ، وتفرّقهم القسريّ في الشعوب في مختلف البقاع ، وجاء علم

الانثروبولوجيا - الاجناس البشرية - منذ القرن الماضي ، يكشف عن هذه الحقيقة ويؤيدها بالبراهين والحجج ، وكثير من اهل اواسط اوروبا وجنوبها وشرقها ، تهوّدوا في القرون الاولى بعد المسيحية ، كما تهوّد الخزر في جنوبي روسيا في القرن الثامن والتاسع ،وهؤلاء من التتر ولهم خبر طويل في اليهودية . واقوام كثيرة صقلبية تهوّدت كذلك . وعلى طول الزمن ضاعت حفنة العنصرية السامية في الجماعات اليهودية ، وبفعل الزمن والاختلاط بالزواج ووفرة المتهودين من العنصر الآري ، تحول التيار اليهودي الى استيطان كل بلد وُجد فيه يهود ، والبقاء على الاعتصام بالتوراة والتلمود ، والانتهاء بالوجود اليهودي بعد ان شتّتهم الرومان الى كيان شعوري ديني منعزل غير قابل الانصهار بالمجموعات البشرية الاخرى. ولازمت هذه الحالة اليهود حتى اليوم.

٩ - ومن هذا ، يتضح لنا بطلان دعواهم التي يتعلقون بها اليوم ، او منذ الربع الاخير من القرن الماضي ، من ان الشعوب الاوروبية جعلت تناهضهم من اجل انهم ساميون لا آريون . وهذه الكراهة لليهود ، وقد عُرِفَتْ باللاسامية وهو مصطلح حديث ، انما خلقها اليهود انفسهم لكي يستغلّوها في سبيل مخططهم ، وبهذا هم يعترفون في هذه البروتوكولات .

١٠ - فاذا استطعت اليوم ان تجمع يهودياً صقلبياً ، وخزرياً ، وهندياً ، وصينياً ، ويمانياً ، وحبشياً ، فبنظرة واحدة تعلم ان كل واحد من هؤلاء يدلّ بسحنته الموروثة على عرقيته غير السامية ما عدا الاثنين الاخيرين .

١١ - انتهى تاريخ اليهود في فلسطين بظهور المسيحية تقريباً ، ولم يعد لهم من ذكر مستقلّ بعد ذلك في مجرى حوادث التاريخ العام ، الاّ وهم ملحقون الحاقاً باخبار كل بلد نزلوها طوعاً او كرهاً . وبقوا هكذا الى القرن التاسع عشر .

١٢ - وخير ايامهم بعد ان شتّتهم الرومان ، مرتعهم الآمن في المملكة العربية الاسلامية ، ولا سيا في حمى الدولة العباسية في العراق ، والايوبية في مصر ، والاموية في الاندلس والمغرب .

١٣ – فلما جعلوا يخرجون الى العالم الحديث ، بعد ان طوردوا في كل بلاد اوروبية تقريباً ، وبعد مئـــات السنين وهم يناوئون البابوية والكثلكة منذ الحروب الصليبية ، انما خرجوا وعلى جباهم هذه الحقائق :

اولاً : اليهود عنصر مختلط ، لا حقيقة عرقية له .

ثانياً : **السامية** برئت منهم منذ وقت طويل ، ولم تضمحل حقيقة عرقيـة في جماعة بشرية في التاريخ كله كما اضمحلـّت في اليهود، الا ّ الجماعات والاقوام التي زالت من الوجود جملة ً وتفصيلاً وانطفأ ذكرها .

ثالثاً : منذ المسيحية وتفرق اليهود، ُقضي عليهم بأن يخالطوا جميع الامم والشعوب ، على اختلاف الاقاليم والحضارات والالسنة والاهوية ، فلم يتيسر لهم ان يندمجوا بغيرهم كما حصل لاقوام اخرى . والسبب هو كيانهـم القائم على الانطوائية المغلقة بالتقاليد ، والملتفة بتعاليم مستمدة من التلمود . فمن تهود من الآريين اصبح يهودياً بهذه الصفة.

رابعاً : هم يعترفون في المخطط او البروتوكولات بان السبي البابلي تحوّل الى نعمة نقلتهم الى الطريق التي صيّرتهم يهوداً انعزاليين ليلاحقوا عقيدة **الشعب المختار** وفسّروا هـــذه العقيدة بان لهم ان يمحوا الحضارة والأديان ليكونوا هم سادة العـــالم ، وزادتهم حياة القهر والحصر والذل في القرون الوسطى الاوروبية انكماشاً غير قابل الذوبان ، فتحجّروا أي تحجر .

خامساً : حتى اذا انطلقوا بعد الثورة الفرنسية يضعون مخططاً قائمـــاً على اساسين ، كان هذان الاساسان وهما :

١ – عقيدة انهم **شعب مختار** .

٢ – عقيدة ان هذا الشعب المختار يستطيع ان يفسد العالم ويعطله ويخرّبه ليقيم على انقاضه ملكاً يهودياً داودياً ، يتفرد بحكم

العالم بأسره ، ومـــا الأمم والشعوب الا حيوانات متخلّفة العقل والذهن والفهم .

سادساً : أما عقيدتهم انهم **شعب مختار** فالاشارة اليهـــا والى الماسونية شيء كثير في البروتوكولات . وأمّا قدرتهم على ان يصلوا الى نهـــاية مبتغاهم ، فنحسب ان القطار قد فاتهم ؛ ولكن قد يطول بالعالم الاميركي والبريطاني الأمد وهو مخدّر تخديراً يهودياً ، واهمّ عوامل هذا التخدر ليس الذهب والمرأة والجاسوسية ، بل التنصر ظاهرياً والبقاء على اليهودية باطناً . وقـــد اكثر اليهود من استعمال هذه الخدعة بعد طردهم من البرتغال واسبانيا وقيام مجلس التفتيش عليهم بالعـــذاب المعلوم . وهكذا كان **اسلام** اليهود الذين جاؤوا المملكة العثمانية بعد القرن الخامس عشر فاسلموا وسموا **بالدونمة** اي المهتدين .

سابعاً : نظم اليهود امرهم مراراً غير ان التنظيمين الكبيرين كانا حوالى الثورة الفرنسية وفي منتصف القرن الماضي ايّام كارل ماركس ، حتى انتهوا سنة ١٨٩٧ الى جَمْع أبعـــاد المخطط وافراغ ذلك كله في دستور خفي هو البروتوكولات .

رؤوس الحراب في المخطط

غاية الغايات ، ونهاية النهايات في المخطط ، هي : —

١ — القضاء على روسيا القيصرية .

٢ — القضاء على العروش الاوربية .

٣ — القضاء على البابوية .

٤ — اتخاذ اوروبا قاعدة ملكهم (مؤقتاً) .

٥ — اعتبار الشعوب والأمم حيوانات مـــا خُلِقَتْ الاّ ليسودها الشعب المختار .

٦ — ابادة الحضارة وتفكيك الامم والشعوب وتخريب المجتمع قبل اقامة الملك الداودي .

٧ — باقامة الملك الداودي الصهيوني يدخل العــــالم في عهد بركات الدولة اليهودية ويستريح البشر في ظلها .

٨ — المدّة اللازمة للوصول الى هذه الغايـــة هي قرنٌ ابتداءً من سنة ١٨٩٧ .

٩ — بعد محو الاديان والحضارة واقامة المملكة الداودية ، يصبـح دينُ موسى الدينَ الوحيد في العالم ، ومَلِكُ اليهود يغدو بابا العالم اجمع .

١٠ — وسائل التنفيذ في مراحل هـــذا المخطـط ، اهمها القبالا السرية والماسونية اليهودية بقسميها اليهودي السري المقصور على اليهود ، وماسونية الغوييم— غير اليهود — وهؤلاء عملاء مسخّرون،للماسونية السرّية ،والاغتيال

والقتل الخفيّ لكل من يخالف امراً من اوامر الماسونية العليا .

١١ - لدين موسى اسرار عميقة فتبقى هذه الأسرار مقصورةً على عدد قليل جداً من اركان الدولة اليهودية .

١٢ - اما تخريب المجتمع اقتصاديا واجتماعياً ، وصحافيـاً واخلاقياً ، وتهذيبّاً ونشر الجرائم الوبائية عمداً،فكل هذا مبسوط في المخطط المؤلف من ٢٤ جزءاً وهو ما اطلع عليه القاريء ، ويحسن القارىء اذا عاد فاطلع على ذلك ثانيةً وتمعّن بكل عبارة ووسيلة ، ومقصد ، وغاية .

١٣ - وسكتوا عمداً في البروتوكولات عن التصريح الواسع بنقطتين ، الاولى : « اللاسامية » ، اذ لأمرٍ ما طووها منهذا المخطط، واكتفوا بالقول انهم انما يرونها ضرورية لمصلحتهم.والنقطة الثانية «فلسطين»،او ما هوبتعبيرهم البائد « ارض اسرائيل » ، والسبب في هذا السكوت انهم قالوا عند ذكر مخططهم لهدم البابوية واتخاذ اوروبا قاعدة حكمهم ، ان تناول الأديان الاخرى - وقت وضع المخطط - امر سابق لأوانه ، وهم يعنون « الدولة العثمانية » . وكانوا سنتئذٍ شرعوا في التوغل فيهـا عملياً على نحو ما رأى القارىء في الجزء الاول · فالوصول الى فلسطين كان عندهم مرتبطاً بمصير هذه الدولة ، وهم كانوا منغمسين بافساد هذا المصير . وبعد وضع المخطط بعشرين سنة نالوا وعد بلفور سنة١٩١٧ .

المخطط ونقاط معينة نضعها

امام القارىء مأخوذة من عبارات البروتوكولات

المخطط والجزويت
« وروسيا القيصرية
« وانهيار المسيحية
« والاديان الاخرى
« والبابوية
« وملك اليهود بابا العالم
« والتاج على رأس ملك اسرائيل
« والشعار الصهيوني
« ولا دين غير دين موسى دين المستقبل وبه ارتبط مصير العالم
« وأسرار دين موسى لا يباح بها لغير اليهود
« والسياسة لا يحذقها الا اليهود
« والويل والاغتيال لمن لا ينفذ التعليمات
« والقبالا وهي اكبر منظمة ارهابية سرية
« وان ثلث الشعب يتجسس على الثلثين
« وذبح من يتناول السلاح من المناوئين
« وحيوانات الغوييم ، المنة عليهم بالحياة
« والتشبه بالامبراطور صولا الروماني العاتي
« واللاسامية المستغلة لمصلحة اليهود
« وتيارات الرعب

المخطط وشباب الغوييم
« ونشر الجرائم عمداً
« والتدمير العالمي
« وان حكماء صهيون هؤلاء هم رجال اقتصاد
« وأسرار الدولة اليهودية لا يطّلع عليها الا اربعة اشخاص
« وتخريج الملك واعداده للعرش
« وعمل اليهود في سبيله منذ ٢٠ قرناً
« واعترافه بالشر المرتكب عدة قرون
« وكان يقرأ على المؤتمرين على نوبات لعدة ايام

* * *

المخطط والجزويت :

« ... وفي هذا المضمار ليس لنا ندٌّ ولا نظير في رسم المخططات للنشاط السياسي ومعالجة المسؤوليات. وفي هذا المجال لا يضاهينا أحد الا **الجزويت** ، ولكننا قد ابتدعنا من الطرق مـــا يصح لاسقاط هيبتهم عند الدهماء وسواد الناس الذين لا يفكرون الا ّ سطحياً . وانما تمكنا من **الجزويت** لأن مؤسستهم مكشوفة ، بينما نحن استطعنا ان نبقي اجهزتنا السرية مغطاةً محجوبةً كل الوقت . وعلى كل فالعالم قد لا يبالي شيئاً بمـــن يتبوّأ عرشه (لأن الشعوب والامم حيوانات) أهو رأس الكثلكة ام المتسلّط الذي يظهر منا متحدراً بدمه من صهيون ! هذا من جهة العالم (اي الغوييم) اما من جهتنا نحن ، فهذا الأمر يهمنا جـــداً ، فاننا **الشعب المختار** ، والمسألة تقتضي منا كل المبالاة »
(البروتوكول الخامس)

المخطط وروسيا القيصرية :

« .... والاوتوقراطية الروسية انما كانت على هـــذه الصفة حتى وقت قريب (الارهابيـــون اليهود داخـــل روسيا وخرجوا من أعشاش اودسّا

واوكرانيا وأغتالوا القيصر اسكندر الثاني سنة ١٨٨١) وهي العدو الوحيد الرهيب رأيناه في العالم ، ولا ندخل في هذا الحساب الآن البابوية (اي وقت تلاوة هذا البروتوكول اذ ذكر البابوية آتٍ في موضع آخر) .

(البروتوكول الخامس عشر)

المخطط وانهيار المسيحية :

« ... وبتنا الآن ، لا يفصلنا عن رؤية الدين المسيحي قد انهار انهياراً تامّاً سوى بضع سنين » . (البروتوكول السابع عشر)

المخطط والاديان الاخرى :

« ... اما ما يتعلّق بالأديان الاخرى، فالصعوبة التي سنلاقيها في تعاملنا معها ستكون اقلّ ، ولكن من السابق لاوانه أن نتكلّم على هـذا الآن ، وسنضيّق الحلقـــة على الكهنوتية ورجال الكهنوت لنجعل نفوذهم ينكمش ويرجع القهقرى ، بالقياس الى ما كان لهم من فلاح في الماضي » .

(البروتوكول السابع عشر)

المخطط والبابوية

« ... ومتى مـا حان الوقت لهدم البلاط البابوي ، ستظهر اصبع يدٍ خفيّة (كاصبع دانيال السرية في قصر نبوخذنصر وابنه بلشاصر الكلدانيين قبل نحو ٢٥ قرناً) تشير الى الأمام بهَيًّا نحو ذلك البلاط . فاذا ما انقضّت الامم عليه ، سنخفّ ونسارع اليـه تحت ستار الدفاع عنه رغبةً في حجب الدماء . وبهذه اللعبة سنوغل ايدينـــا في احشائه ولن نخرجها بعد ، حتى تتبدّد قواه ولا حراك به » . (البروتوكول السابع عشر)

المخطط وملك اليهود بابا العالم :

« .. ثم يكون ملك اليهود هو البابا الحقيقي للمسكونة كلها ، وبطريرك كنيسة دولية عالمية » . (البروتوكول السابع عشر – بعد الكلام المتعلق بالبابوية مباشرة)

* * *

المخطط والعصابة الابوية اليهودية على العالم :

« .. وستكون حكومتنا متّشحة بمظهر الوصايــة الأبوية على الشعب ، ويتمثّل هذا في شخص الحاكم الاعلى » . (البروتوكول السابع عشر)

المخطط والتاج على رأس ملك اسرائيل :

« .. ومتى ما وضع ملك اسرائيل على رأسه المقدس التاج الذي تقدمــه اليه اوروبا ، فانه يصبح ابا العالم » . (البروتوكول السابع عشر)

المخطط والشعار الصهيوني :

« .. واكبر ضمان لوثاقة الحكم الجديد في اوضاعه ، هو اظهار عزّة الدولة وهيبتها ، كأنها تمتصب هالةً من نور ، وهذه الهالة مجلاها ومظهرها جبروت القوة ، ويدلّ على ذلك الشعار الذي في جبينها ، وهو رمز عصمتها المستمدة من اسباب علوية – يوم اختارنا الله » . (هذا الشعار هو الوصايا العشر الـتي يعلّقها اليهودي في جبينه موضوعةً في لفافة صغيرة ومربوطة بخيط حـــول رأسه ويعلقها اليهودي خاصةً وقت الصلاة) .

المخطط ولا دين غير دين موسى ، دين المستقبل ، وبه ارتبط مصير العالم :

« .. متى ما ولجنا ابواب مملكتنا ، لا يليق بنا ان يكون فيها دين آخر

غير ديننا ، وهو دين الله الواحد المرتبط بـه مصيرنا من حيث كوننا الشعب المختار ، وبواسطته ارتبط مصير العالم بمصيرنا » . (البروتوكول الرابع عشر)

المخطط واسرار دين موسى لا يباح بها لغير اليهود :

« ... غير انه لن يسمح بان يطرح ديننا للبحث ابتغـــاء الوقوف على مقاصده وغاياته الصحيحة ، اذ هذا علمه محصورٌ بنا مقصورٌ علينا وحدنا ، ونحن دائماً حريصون على الاّ نبوح باسراره لغيرنا » (والمراد بهذه الاسرار ما ورد في التلمود) . (البروتوكول الرابع عشر)

المخطط والسياسة لا يحذقها الا اليهود :

« ... (الغوييم) وهم الذين يغيب عنهم ان يفهموا انهم ليسوا على شيء ، واعجز من ان يدركوا اللباب . فامور السياسة انما نحن وحدنا نحذقها ، وقد هيأنا الله لها بفعل الأجيال العديدة ، فمن مبدعها غيرنا ؟ » .

(البروتوكول الثالث عشر)

المخطط ونعمة السبي والجلاء : تحول الضعف الى قوة تسود العالم :

« ... والله قد انعم علينا ، نحن الشعب المختار ، بنعمة السبي والجلاء ، والتفرق والشتات ، في الأرض ، وهـــذا الأمر الذي كان فيما مضى مجلى ضعفنا ،انقلب فيما بعد سبب قوتنا التي افضت بنا الآن الى ان ناج الباب الذي منه نبسط سيادتنا وسلطاننا على العالم كله. هذا ما بلغناه .وأما ما بقي علينا ان نبنيـه ونرفعه فوق الأساس فليس علينا بعسير » .

(البروتوكول الحادي عشر)

المخطط والويل والاغتيال لمن لا ينفذ التعليمات :

« ... فاذا ما تقاعسوا (الغوييم) عن تنفيذ التعليمات التي تصدر اليهم ،

فهم إمّا سيلقون الجزاء والعقاب متّهمين ، وإمّا سيغيبون عن الوجود بالمرة . وانما نضعهم هذا الوضع لكي نحملهم على خدمة مصالحنا حتى النفس الأخير من حياتهم » .   (البروتوكول الثامن)

المخطط والقبالا وهي اكبر منظمة ارهابية سرية :

« ... فاخواننا اليوم – اليهود – مكلفون تحت طائلة اخذهم بالمسؤولية والحساب العسير في حالة الاهمال والتقصير ، بأن يبلّغوا هيئة القبالا عمّا يقع لهم ان يطلعوا عليه من حوادث الارتداد عن الدين اليهودي من ابناء اقربائهم ، او ما يرونه من شغب على هيئة القبالا او قذفها بتهمة ، كذلك سيكون الأمر في مملكتنا علناً في ارجاءِ العالم كلّه ، ويمسي من الواجب على رعايانا (الغوييم) بلا استثناء ، ملاحظة هذه الخدمة للدولة »

(البروتوكول السابع عشر)

المخطط وان ثلث الشعب يتجسس على الثلثين :

« ... وتقضي برامجنا بان يعمل ثلث الشعب في التجسس على الثلثين الآخرين ، ويكون التجسس منبعثاً عن الشعور بالواجب وعلى قاعدة التطوع بالخدمة في سبيل الدولة ، ووقتئذٍ لا يكون العار ان تكون جاسوساً ومخبراً ، بل يكون مزية فضلٍ ، فاذا انطلقت ألسنة بالتعيير والقذف ، نالت جزاءَها ، وحُفظت للتجسس كرامته »   (البروتوكول السابع عشر)

المخطط وذبح من يتناول السلاح من المناوئين :

« ... فاننا سنعنى بعد ذلك بمكافحة اي شيء من حياكة المؤآمرات علينا ، وسنذبح بلا رحمة جميع الذين يتناولون السلاح بأيديهم ليقاموا الانضواءَ الى مملكتنا ...

ونطرح رجالها (رجال الجمعيات المناوئة) في المنافي في القارات البعيدة من اوروبا .... وسنسنّ قانوناً يجعل جميع الاعضاء في الجمعيات السرية السابقة معرّضين للنفي في اوروبا ، واوربا حينئذ مقر حكمنا » .

(البروتوكول الخامس عشر)

المخطط وحيوانات الغوييم : المنّة عليهم بالحياة :

«... ولعمري ، ما كان احكم اسلافنا في الازمنة الغابرة ، لمّا قالوا ان في طلب كبار الغايات لا يقام وزن للوسائل والضحايا .. وما بنا من حاجة لنحسب ما تحمله الغوييم من ضحايا لحفظ بذرة حيوانه والاحتفاظ بسلالته ، مع ان ضحايانا نحن لم تكن بالقليلة ، ولكن من اجل ما تحملوا هم، فنعطيهم اليوم (في ظل الدولة اليهودية) من المكان والفسحة على وجه الارض ما لم يتخيلوه حتى في احلامهم . واما عدد ضحايانا القليل من مجموعنا فقد حفظ لنا قوميتنا وحماها من الاندثار » (البروتوكول الخامس عشر)

المخطط والتشبه بالامبراطور صولا العاتي :

« واحفظوا في بالكم على سبيل المثال ما وقع في ايطاليا ، فانها ، وهي سابحة في الدم ، لم تستطع ان تمسّ ولو شعرة من رأس صولا ، وهو الذي أسال تلك الدماء ، تمتع صولا بصولةٍ عارمة ، فعَلا وتألّه ، لِما ملأ عيون الناس من روعة السطوة ، مع ان الشعب كان قد رأى منه الويل والعذاب ، وانتثر من بين يديه مقطعاً ارباً ارباً ، لكن لمـا عاد صولا الى ايطاليا عودة المقحام الجريء ، افرغت عليه عودته هذه بهاء العظمة ووشاح القدرة التي لا تغلب، فأمسى الشعب أخوف من أن يومىء اليه إيماءً ، وأصل ذلك عند صولا الاقدام وقوة العقل » (صولا احد أباطرة روما العتاة) .

(البروتوكول الخامس عشر)

المخطط واللاسامية المستغلة لمصلحة اليهود

« ... وذلك لأن اللاسامية لا نراها إلا ضرورية لنا للاستفادة منها في رعاية اخواننا المستضعفين . ولا حاجة بي أن اتوسع في هذه القضية اكثر من هذا الحد ، لأن موضوعها قد أشبع بحثاً ، وكرّر ذلك فيا بيننا بما فيه الكفاية » . (البروتوكول التاسع)

المخطط وتيار الرعب

« ومنا قد انطلقت تيارات الرعب الذي دارت دوائره بالناس » .

(البروتوكول التاسع)

المخطط وشباب الغوييم :

« واما شباب الغوييم فقد فتناهم في عقولهم ودوّخنا رؤوسهم ، وأفسدناهم ، بتربيتنا اياهم على المبادىء والنظريات التي نعلم أنها فاسدة ، مع اننا نحن الذين لقّنوهم ما تربوا عليه » . (البروتوكول التاسع)

المخطط ونشر الجراثيم عمداً :

« ... ويظل هـذا الانهيار في طريقه حتى تستنزف قوى الانسانية ، وتهلكها الانقسامات ، وتفشو بينهـا الكراهات ، والمكايدات والحسد ، والاستغاثات طلبـاً للنجاة من تعذيب الاجساد ، كما تفشو المجاعات وتنشر جراثيم الأمراض عمداً ، فيستسلم الغوييم ... » (البروتوكول العاشر)

المخطط والتدمير العالمي :

« بهذه التدابير نتمكن من القبض على السلطة التي ندمّر بها شيئاً فشيئاً ، وخطوةً خطوة ، ما نريد ازالته من دساتير العالم ، تمهيداً للانتقال الكبير ، ثم يعقب ذلك قلب كل حكومة وجعلها مقطورةً الى سلطتنا ، تابعة طائعة »

(البروتوكول العاشر)

المخطط وان حكماء صهيون هؤلاء هم رجال الاقتصاد :

« .. وانتم ايها السادة الحضور هنا (في بازل ١٨٩٧) وكلكم رجال اقتصاد ، بوسعكم ان تتصوروا بعين العقل ما يكون لهذه القوة الاحتكارية ، التي مضاؤها كمضاء السيف ، من خطورة حاسمة » .(البروتوكول السادس)

وهم ممثلو الماسونية بدرجة ٣٣ ، وتوقيعهم في نهاية المخطط هكذا : « ممثلو صهيون من الدرجة ٣٣ » وهذا في نهاية البروتوكول الرابع والعشرين وهو الاخير .

المخطط واسرار الدولة اليهودية لا يطلع عليها الا اربعة اشخاص :

« وما لدى الملك من مخطط للماضي والمستقبل ، لا ينبغي ان يدري به أحد مطلقاً ، حتى ولا الذين هم بمثابة مستشارين الملك المقرّبين . والذين يحصر فيهم علم هذا كله دون سواهم، هم الملك نفسه وثلاثة اعوان معه لاغير »

(البروتوكول الرابع والعشرون)

المخطط وتخريج الملك واعداده للعرش :

(راجع تفصيله في البروتوكول الرابع والعشرين).

المخطط وعمل اليهود في سبيله منذ ٢٠ قرناً :

« .. اضف الى هذا اننا قد فتنّا بعضهم ببعض (الغوييم) بالامور الشخصية والشؤون القومية لكل منهم . وهذا ما عنينا بديمومته عليهم وتنميته مع الايام خلال العشرين قرناً الاخيرة » (البروتوكول الخامس)

المخطط واعترافه بالشر المرتكب عدة قرون :

« .. من المسلم ايضاً اننا لن نفشل ، وبيدنا ما بيدنا من كنوز المال ، في اقامة الحجة على ان الشر الذي عكفنا على ارتكابه عدة قرون ، كان عوناً في

خاتمة المطاف لقضية الرفاهية والخير ، بجعل الامور كلها تحت اجنحة النظام»
(البروتوكول الثاني والعشرون)

المخطط وكان يقرأ على المؤتمرين على نوبات عدة أيام :

وهذا هو رأي العلامة الروسي سرجي نيلوس . ولدينا ادلة على هذا من ثلاث عبارات صريحة :

فقد جاء في اول البروتوكول العشرين : «نتناول في نوبةاليوم البرنامجالمالي الذي ارجأت بحثه الى القسم الاخير من هذا التقرير، لأنه اعسر الامور علاجاً وهو الغاية والنهاية » .

ثم قال بعد هذا مباشرة : « وأول ما أذكـّركم به انه سبق لي في موضع متقدم ان اشرت اشارة عابرة الى ان حاصل اعمالنا كلها تقرّره الارقام » .

وجاء في أول البروتوكول الحادي والعشرين : « اتمـــاماً للموضوع الذي شرحته في الاجتماع الاخير ، وهو القروض الأجنبية ، اقدّم الآن ايضاحاً وافياً حول هذه » .

وجاء في اول البروتوكول الثاني والعشرين : « في جميع ما أوردته عليكم حتى الآن ، كان هدفي ان أصوّر لكم ما سياتي به الغد ، وما هو جارٍ اليوم مندفعاً الى سيل الحوادث الجسام الطالعة علينا عما قريب » .



الجزء الثالث

يبحث في التوراة وأسفارها، وعرب العمالقة الذين حاربوا بني اسرائيل قرونا منذ عهد موسى، ويجلو قصة هامان الأجاجي العماليقي في بلاط الملك الفارسي مع استير ومردخاي، ويعرض عمل اربعة من أوائل «الحكماء» في السبي البابلي: حزقيال وعزرا ونحميا ودانيال، ويبرز حقيقة «جشم العربي» كبير عرب السامرة في حركة المقاومة لاعادة بناء الهيكل والأسوار في القرنين الخامس والرابع قبل المسيح.



١ ـ التوراة واسفار «العهد القديم»

اسفار العهد القديم كما هي اليوم

١ ـ الاسفار التاريخية

٢ ـ الاسفار الشعرية

٣ ـ اسفار الانبياء

الابحاث :

الانبياء « الكبار »

الانبياء « الصغار »

نصوص العهد القديم

اللغة الارامية تحل محل العبرية بعد السبي

الترجوم

التلمود

المجمع الاكبر

السنهدرين

الكنيس او المجمع

الترجمة « السبعينية »

كتب (الابوكريفا)

التوراة

واسفار العهد القديم

كلمة « التوراة » معناها الحرفي « التعليم » ومدلولها الاول شريعة موسى او اسفار موسى الخمسة ، ثم اتسعت مع الزمن حتى صارت تشمل اسفاراً اخرى لانبياء بني اسرائيل ، واسفاراً تاريخية تتعلق بتاريخهم ، واسفاراً ادبية شعرية .

ومن اول امر موسى ، الى السبي والعودة من السبي البابلي ، واختتام أسفار التوراة ، ما يقرب من الف سنة ، ثم جُمعت على يد عزرا الكاتب — عزير — بعد العودة من السبي . وفي القرن الاول المسيحي ، في زمن يوسيفوس المؤرخ اليهودي المشهور ، كانت ٢٢ سفراً كما ذكر هذا يوسيفوس نفسه . هذا هو « العهد القديم » . فلما اشرقت المسيحية وجاءت انوار الاناجيل سُمّي عهدها « بالعهد الجديد » ، وبانضمامه الى العهد القديم في التوراة في كتاب جامع واحد صار يقال « للتوراة » : « الكتاب المقدس » .

* * *

اما « العهد القديم » فيتألف من ٣٩ سفراً [١] .

---

(١) هذه هي اسفار التوراة « القانونية » المقررة عند البروتستانت ولا يدخل فيها الكتب التي ليست قانونية والمسماة « أبو كريفا » ، وهذه سنتناولها في موضعٍ تالٍ في هذه الصفحات ، وهي في التوراة الكاثوليكية .

« والعهد الجديد » من ٢٧ سفراً .

وفي كتابنا هذا نحصر الكلام في العهد القديم ، على نطاق مجمل للغاية . وانما نقوم بهذا ، لان جذور اليهود وينابيعهم تعود الى عهودهم السابقة ، فاذا شئنا ان نفهم حقائق اليهود في القرن العشرين ، علينا ان نفهم حقائقهم منذ كانوا ومنذ كانت التوراة قبل عشرات القرون ، لان « التوراة » مجالي ذلك كله ، الى اختتام نبواتهم المدونة ، والتلمود ، بعد « التوراة » وقد وضع نهائياً بعد انتهاء اسفار التوراة بعدة قرون . « والقبّالة » من « التلمود » « وحكماء صهيون » وبروتوكولاتهم ، كل ذلك يعود بجذوره الى التلمود . فلا بدّ اذن من معرفة ما تقضي الضرورة بمعرفته من « العهد القديم » .

اسفار العهد القديم

في الكتاب المقدس عند البروتستانت

الاسفار التاريخية

١ – سفر التكوين
٢ – « الخروج
٣ – « اللاويين
٤ – « العدد
٥ – « تثنية الاشتراع
٦ – « يشوع
٧ – « القضاة
٨ – « راعوث
٩ – « صموئيل الاول
١٠ – « صموئيل الثاني
١١ – « الملوك الاول
١٢ – « الملوك الثاني
١٣ – « اخبار الايام الاول
١٤ – « اخبار الايام الثاني
١٥ – « عزرا (عزير)
١٦ – « نَحَمْيا
١٧ – « استير

الاسفار الشعرية

١٨ – سفر ايّوب
١٩ – « المزامير
٢٠ – « الامثال
٢١ – « الجامعة
٢٢ – « نشيد الانشاد

اسفار الانبياء

٢٣ – سفر اشعيا
٢٤ – « ارميا
٢٥ – « مراثي ارميا
٢٦ – « حزقيال
٢٧ – « دانيال
٢٨ – « هوشع
٢٩ – « يوئيل
٣٠ – « عاموس
٣١ – « عوبديا
٣٢ – « يونان (يونس)
٣٣ – « ميخا
٣٤ – « ناحوم
٣٥ – « حبقّوق
٣٦ – « صَفنيا
٣٧ – « حَجّي
٣٨ – « زكريا
٣٩ – « ملاخي

اسفار العهد العتيق [*]

(في الكتاب المقدس عند الكاثوليك)

فهرس المجلد الأول

١ – سفر التكوين
٢ – « الخروج
٣ – « الاخبار [١]
٤ – « العدد
٥ – « تثنية الاشتراع
٦ – « يشوع
٧ – « القضاة
٨ – « راعوث
٩ – « الملوك الاول [٢]
١٠ – « الملوك الثـاني [٢]
١١ – « الملوك الثالث [٣]
١٢ – « الملوك الرابـع [٣]
١٣ – « اخبار الايام الاول
١٤ – « اخبار الايام الثاني
١٥ – « عزرا
١٦ – « نحميا
١٧ – « طوبيا
١٨ – « يهوديت
١٩ – « استير

(*) هو « العهد القديم » في الكتاب المقدس عند البروتستانت .
(١) هو سفر اللاويين في العهد القديم في الكتاب المقدس عند البروتستانت .
(٢) هما سفر صموئيل الأولى وسفر صموئيل الثاني عند البروتستانت .
(٣) هما سفر الملوك الاول وسفر الملوك الثاني عند البروتستانت .

اسفار العهد العتيق

(في الكتاب المقدس عن الكاثوليك)

فهرس المجلد الثاني

اسفار العهد القديم كما هي اليوم

وتقسم حسب موضوعاتها الى ثلاثة اقسام :

١ – الاسفار التاريخية (من ١ – ٧)

٢ – الاسفار الشعرية (من ٨ – ٢٢)

٣ – اسفار الانبياء (من ٢٣ – ٣٩)

اما الاسفار التاريخية فهي من سفر التكوين الى سفر استير وهي ١٧ سفراً.

واما الاسفار الشعرية فهي من سفر ايوب الى سفر نشيد الانشاد وهي خمسة اسفار .

واما اسفار الانبياء فهي من اشعيا الى ملاخي وهي ١٧ سفراً .

اسماء اسفار العهد القديم

الاسفار التاريخية

١ – سفر التكوين
٢ – « الخروج
٣ – « اللاويين
٤ – « العدد
٥ – « تثنية الاشتراع
٦ – « يشوع
٧ – « القضاة

(١ – ٥) كتب موسى وفيها قواعد الشريعة الموسوية

كان لبني اسرائيل بعد تسللهم الى فلسطين، وعلى يد يشوع بعد موسى الذي لم يدخل فلسطين ، نظام عشائري ، والاسباط الاثنا عشر بمثابة قبائل ، والحروب تكاد لا تنقطع بينهم وبين أهل البلاد الاصليين من الكنعانيين ابناء عمومة العرب ، والفلسطينيين الطارئين من شرقي البحر المتوسط ، ثم الحروب الداخلية بين الاسباط، واستمرت هذه المدة (٤١٠) سنوات تقريباً وتعرف بعصر « القضاة » . وقضى بنو اسرائيل (١١١) سنة من هذه المدة وهم تحت تسلط مَن يستولي عليهم ويذلّهم من الشعوب المحيطة بهم كما سيأتي بيانه . وبعد عصر «القضاة» جاء دور ملكيتهم القصيرة الاجل .

وأما القضاة فكانوا لا يخلفون بعضهم بعضاً سلسلةً مطردة، بل كانوا على فترات ، ويظهر الواحد منهم لينقذ قومه من مستعبديهم المتسلطين عليهم ، ثم « تستريح الارض » بلغة التوراة مدةً ما ، فيغزو بنو اسرائيل متسلط آخر او احد المتسلطين سابقاً عاد يغزوهم كرةً أخرى طويلة السنين ، فيظهر فيهم من يدعو لانقاذهم وهكذا دواليك . وأول هؤلاء المنقذين **عثنيل** ، وآخرهم **شمشون** ، وشمشون قصته معظمها اسطوري ، ومن المنقذين **دبورة** وهي الرابعة في السلسلة .

٨ - **راعوث** امرأة مؤابية لا اسرائيلية وهي بطلة قصة . قالت التوراة اليسوعية في مقدمة هذا السفر تعريفاً له : « يعود سفر راعوث الى ما قبل العهد الملكي ، ولذلك غالباً ما يأتي بعد سفر القضاة ، لكنه في التوراة العبرية ، المألوفة عند اليهود ، مفصول عنه تماماً ، وموضوع مع عدة كتابات حديثة .. عقب **نشيد الانشاد** . لقد كان التقليد يعتبره مؤلفاً حديث

الكتابة ، وهذا صحيح . ولدينا أدلة مختلفة ، منها اللغة ذاتها في النص العبري تشير الى حداثة عهده الذي يعود الى ما بعد السبي .

« ان راعوث بطلة هذه الرواية ، داخلة في سلسلة أسلاف داود الجيدة وذلك بسبب ابنها عوبيد ابي يسى . فما هو جوهر هذه القصة التاريخي ؟ من المحتمل ان يكون الكاتب قد استعان في البدء بذكريات تقليدية غير واضحة الظروف تماماً ، ثم أضاف عدداً من التفاصيل ليجعل الرواية اكثر حياة ويعطيها قيمة أدبية » اه .

ويؤخذ من جملة أقوال النقاد ان هذا السفر حوادثه كانت في آخر عهد **القضاة** ، وأما متى دُوّن فغير معروف والمؤآبيون ، والعمّونيين من نسل لوط ابن اخي ابراهيم ، والأدوميون من نسل عيسو ، وجميعهم كانوا كالعمالقة ، على عداء مرّ مع بني اسرائيل واليهود . **والحجر المؤآبي** – مصطلح حديث عمره نحو قرن – هو حجر ناري عَثرَ عليه احد المنقبين الالمان سنة ١٨٦٨ في **خربة ذيبان** – ديبون في التوراة – كانت من مدن المؤآبيين شرقي البحر الميت – وفي هذا الحجر (٤ اقدام طولاً و٢ عرضاً ، و ٣٥ سنتيمتراً سمكاً) نقش كتابي أحدثه **الملك ميشا ملك مؤآب** لتخليد انتصاره على ملك اسرائيل لمّا ثار ميشا عليه وأخرجه من بلاده وتاريخ هذا النقش حوالي ٨٥٠ ق م .

٩ – سفر صموئيل الاول ⎫ صموئيل (١١٠٠ – ١٠٥٠ تقريباً) هو صلة
١٠ – سفر صموئيل الثاني ⎭ الوصل بين عصر **القضاة** وعهد الملكية التي بدأت بشاول واستمرت بداود وانتهت بسليمان ثم انقسمت ثم

انشطرت الى اسرائيل في الشمال وعاصمتها السامرة، والى يهوذا في الجنوب قاعدتها اورشليم ثم انتهت كل منهما على ميقاتها الى السبي .

١١ – سفر الملوك الاول
١٢ – سفر الملوك الثاني
١٣ – سفر اخبار الايام الاول
١٤ – سفر اخبار الايام الثاني
١٥ – سفر عزرا عزرا : راجع ترجمته في هذا الجزء
١٦ – سفر نحميا نحميا : راجع ترجمته في هذا الجزء
١٧ – سفر استير استير : راجع ترجمتها في هذا الجزء

* * *

الاسفار الشعرية

١٨ – سفر ايوب يقول ثقات النقاد انه عربي الاصل وموطنه انحاء شرق الاردن (المملكة الاردنية الهاشمية) ويرجح انه وموسى كانا متعاصرين او في وقتين متقاربين .

١٩ – سفر المزامير هو الزبور في القرآن الكريم : كتاب داود .

٢٠ – سفر الامثال ينسب الى سليمان معظمه لا كله. قالت التوراة اليسوعية في تعريفه : « ان هذه المجموعة المركبة قد اكتملت دون شك بشكلها النهائي بعد السبي » .

٢١ – سفر الجامعة قالت التوراة اليسوعية في تعريفه : « ان سفر الجامعة لهو في الحقيقة اشد اسفار الكتاب المقدس غموضاً واجدرها

في تضليل القارىء » . ثم تبين وجوه الغموض مما لا محل لايراده هنا .

٢٢ - **سفر نشيد الانشاد** قالت التوراة اليسوعية في مقدمته ان انبياء اسرائيل كهوشع وارميا وحزقيال قد شبهوا علاقات الشعب مع آلهته بعلاقات الزوجة بزوجها ، وان دخول هذا السفر في الاسفار المقدسة انما هو تجاوب مع هذه الصفات . اما في النصرانية فالكنيسة هي عروس النشيد . والسفر يعود الى عصر متأخر ولا ريب .

* * *

اسفار الانبياء

٢٣ - **سفر اشعيا** في ايامه وقع سبي مملكة اسرائيل على يد سرجون الاشوري . قالت التوراة اليسوعية في مقدمته : « دعي اشعيا الى الرسالة النبوية سنة ٧٤٠ » . وقالت : « يعتبر اشعيا في العموم كأعظم الانبياء » . وقال « هالي » : « اشعيا يطلق عليه النبي المسيحاني من كثرة تشبع نبواته ان من شعبه سيظهر المسيح » . سفره هذا هو من جملة ما اكتشف سنة ١٩٤٧ من رقوق وادراج في « كهف قمران » قرب البحر الميت وقالوا ان اشعيا عاش ٨٠ سنة منها ٦٠ في النبوة . وقال قاموس الكتاب المقدس : « يعتبر اشعيا اعظم انبياء العهد القديم قاطبة » ، وقال ايضاً : « وكان اشعيا مصلحاً اجتماعياً ، ففي الاصحاحات من ١ - ٥ نراه يلوم شعبه اشد اللوم ويوبخهم اقسى التوبيخ بسبب رشوتهم وتعويجهم القضاء وظلمهم للمسكين ، ولأجل بذخهم وترفهم ، ولاجل طمعهم وجشعهم وسكرهم ، ولاجل انعدام الاحساس الخلقي عندهم . اما كسياسي ، فقد ادرك اشعيا تمام الادراك وبارشاد روح الله شؤون عصره والاحوال التي كانت سائرة فيه » .

واما الكتاب المسمى بكتاب « صعود اشعيا » فانـــه من الابوكريفا .

٢٤ – **سفر ارميا** هو من قرية قرب بيت المقدس وفي ايامه وقع سبي يهوذا . وقالت التوراة اليسوعية في تعريفه : « فطوال السنين المفجعة التي تهيأ فيها ، وحدث خراب مملكة يهوذا ، لا يفتــأ ارميا ينــدّد بمغامرات الملوك السياسية وفساد الشعب الديني . ومأساة دعوته النبوية تكمن في المعركة الدائمة التي تمزق نفسه . لقد نذر ارميا نفسه لشعبه ، لكنه يرى ذاته مجبراً على محاربة الملوك والكهنة والانبياء الكذبة والاشراف والشعب بأسره » . وبعد خراب بيت المقدس اختفى عن المسرح .

٢٥ – **سفر مراثي ارميا** بكى ارميا خراب المدينة . قالت التوراة اليسوعية « تشبه مواضيع المراثي مواضيع سفر ارميا ومواضيع حزقيال بعض الشبه . لقد اسندت الترجمة اليونانية القديمة هذا الكتاب الى ارميا ، ولكن هذا الاسناد لا يستطيع ان يعرض علينا بصورة جازمة ، فالمراثي في العبرية لا تحمل اسم ارميا » . لهذا دعي **بالنبي البكاء** .

٢٦ – **سفر حزقيال** راجع موجز ترجمتنا له في الجزء الثالث من هذا الكتاب

٢٧ – **سفر دانيال** راجع موجز ترجمتنا له في الجزء الثالث من هذا الكتاب

٢٨ – **سفر هوشع (يوشع)** كان في آخر مدة المملكة الشمالية ، وشهد قبل ذلك المملكة وهي في القــوة ، وبقي حتى شهد انحدارها . وهو في شبابه كما يقول هالي (ص ٣١٦) كان معاصراً لعاموس وفي شيخوخته لأشعيا وميخا . ولما كان فتى ، فلعـــله لقي يونان .. قبــل ظهور هوشع بنحو ٢٠٠ سنة كانت الاسباط

العشرة قد انفصلت عن مملكة داود وانشأت لها مملكة مستقلة واتخذت من العجل الذهبي معبوداً قومياً رسمياً . فأرسل الله اولاً ايليا (الياس) فاليشع (اليسع) فيونان (يونس) فعاموس ثم هوشع ، وبقيت رقاب الشعب غليظة بان تمسكوا بالوثنية فلم يرتدوا عنها .

٢٠ - **سفر يوئيل** قال هالي (ص ٣٢٠) : « يعدّ يوئيل من اقدم انبيـــاء المملكة الجنوبية » . وكانت مدته آخـذة من القرنين التاسع والثامن . وفي ايامه المجاعة والجراد بكثرة عظيمة . قال هالي ان اعداء يهوذا في ايامه كانوا :

١ – الصيدونيين (فينيقيا المجاورة من الشمال)

٢ – والفلسطينيين (في السهول الساحلية وشمال فلسطين الغربية) .

٣ – والمصريين .

٤ – والأدوميين في شرق الاردن .

٣٠ - **سفر عاموس** كان في مملكة الجنوب ووجه كلامه الى مملكة الشمال ايضاً . كان في القرن الثامن . يقول هالي ان نبوة عاموس كانت حوالي ٧٥١ ، ولعـله في شبابه ادرك يونان وسمع عنه قصة رحلته (رحلة يونان) الى نينوي . ولعـــله ايضاً لقي اليشع وسمع منه اخبار صحبته (صحبة اليشع) لايليا . ولما اقبلت نبوة عاموس ، كانت ايام يونان واليشع قرب النهاية ، وقد يكون يوئيل من معاصريه او تقدمه بقليـل . وهوشع كان يعمل معه . وهو يتنبأ بخراب اسرائيل والامم المجاورة: سوريا والفلسطينيين وفينيقيا وادوم وعمون ومؤاب ، ويهوذا

واسرائيل . ويصف لكل فريق من هؤلاء من المعاصي ثلاثاً او اربعاً ، ويشير الى السبي ، وبعد ٥٠ سنة وقع السبي. وهو من قرية جنوبي القدس . ولم يكن عاموس من الكهنة ولا محترفاً النبوة، فهو اقرب الى ان يكون احد افراد العامة.

٣١ – عوبديا عدو ادوم وانصبت نبوته عليها ، وادوم عدو المملكتين الشمالية والجنوبية ، ويرجح انه كان في عصر خراب اورشليم على يد بابل .

٣٢ – يونان (يونس) وقصته المشهورة : ارسل الى نينوى ، ومن يافا ركب سفينة الى ترشيش وثار البحر وهاج فأشرفت السفينة على الغرق ، فسألوه فقال أنا عبراني وهارب من وجه الرب ، فألقوه في البحر فالتقمه حوت ، وبقي في جوفه ثلاثة أيام وثلاث ليال ، ثم قذفه الحوت الى اليبس . ووصل الى نينوى وأدى رسالته .

هذا في التوراة . واما في القرآن الكريم ، فقد ذُكر يونس (يونان) في عدة من الآي الكريمة : في « سورة يونس » ٩٨ وفي (سورة النساء) ١٦٢ وفي (سورة الانعام) ٨٦ وفي (سورة الصافات ١٣٩ – ١٤٨) وهنا قصة أن الحوت التقمه .

٣٣ – سفر ميخا هو ميخا المورشتي . نبوته الى المملكتين في القرن الثامن . وهو من قرية قرب حدود الفلسطينيين وبيت جبرين الحالية في قضاء خليل الرحمن . تنبأ بخراب المملكتين « كل ذلك من اجل معصية يعقوب وخطايا آل اسرئيل » (ميخا ٥:١)

٣٤ – سفر ناحوم هو ناحوم الالقوشي ونبوته في القرن السابع وهو تنبأ بخراب نينوى وهو بعد يونان (يونس) بنحو ١٥٠ سنة .

٣٥ – **سفر حبقوق** تنبأ بسقوط بابل ونبوته بين ٦٢٥ و ٦٠٦ .

٣٦ – **سفر صفنيا** هو من نسل حزقيال ، وكانت نبوته قبيل خراب اورشليم على يد بابل . ودعا على مدن الفلسطينيين : غزة وعسقلان واشدود وعاقر (عقرون) حتى ساحل البحر كله ، وعلى مؤاب وعمّون والكوشيين (الحبشة) وأشور .

٣٧ – **سفر حجّي** هو وزكريا وملاخي عملوا في مشروع اعادة بناء الهيكل بعد العودة من السبي من سنة ٥٢٠ – ٥١٦ واخباره في سفر نحميا وسفر عزرا .

٣٨ – **سفر زكريا** عمل زكريا مع حجي ، وحجي في الشيخوخة ، وهو الحادي عشر من الانبياء الصغار الاثني عشر ، وكان من الانبياء الذين عملوا على شدّ عزائم اليهود ، عند العودة من السبي ويقول النقاد ان سفره كتب في العصر الفارسي .

٣٩ – **سفر ملاخي** مدته غير معلومة التاريخ ، ويقول النقاد انه عاش ١٠٠ سنة بعد حجي وزكريا ، وكانت له صلة بعزرا ونحميا (٤٥٠ – ٤٠٠) وكان من الداعين الى انعزال اليهود عن جميع الشعوب المجاورة ولا زواج بين اليهود وغيرهم .

الانبياء الكبار – الانبياء الصغار

والانبياء الذين لهم اسفارهم في « العهد القديم » هم الذين حُفظت ودُوّنت نبواتهم في أوقاتهم أو في وقت لاحق . وأما الذين لم تجمع وتدون نبواتهم ، فكانت شفوية ، فلم يكن لها سبيل الى مجموعة اسفار « العهد القديم » . فان « ايليا » ، مثلاً ، (الياس) [1] لم تدون نبوته ، وهو عـــاش في المملكة الشمالية في القرن التاسع ق. م. في ايام آخاب الذي قالت فيه انه شرّ ملوك اسرائيل ، وزوجته ايزابل ابنة « ثيوبعل » بن حيرام ملك صور ومن كهّان عشتروت ، وايزابل هذه نشرت عبادة البعل في المملكة ، وكان حولها وبين يديها جيش يعدّ بالمئآت من « الانبياء الكذبة » او « انبياء البعل » . وعند اليهود الانبياء « الكبار » ، وهم اربعة « والصغار » وهم ١١ نبياً ، هؤلاء هم الذين دونت وحفظت نبواتهم « فالكبر » « والصغر » معنـــاه مَن نبوته المدونة اطول أو أقصر .

ولم تجمع أسفار التوراة الا بعد الرجوع من السبي .

ويقول العلماء ان اكتسابها المنزلة المقدسة،وهذا ما يعبّرون عنه « بالاسفار القانونية » ، حصل تدرجاً ، فكانت كتب موسى الخمسة ، هي الاولى ، ثم صار يضاف اليها كتب الانبياء والشعر .

---

(١) قال الزمخشري في «الكشّاف» في تفسير قوله تعالى « واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين». وهي آية ٨٥ من سورة «الانبياء» : - «قيل في ذي الكفل هو الياس ، وقيل زكريا ، وقيل يوشع بن نون وكأنه سمي بذلك لأنه ذو الحظ من الله ، والمجدود على الحقيقة. وقيل كان له ضعف عمل الانبياء في زمانه ، وضعف ثوابهم . وقيـــل خمسة من الانبياء ذوو اسمين : اسرائيل ويعقوب ، الياس وذو الكفل، عيسى والمسيح ، يونس وذو النون ، محمد واحمد» .

واسفار الانبياء تختلف قصراً وطولاً ، فسفر اشعيا هو اكبرها يشتمل على ٦٦ اصحاحاً ، او فصلا [١] ، وليس في التوراة سفر اكبر منه الا المزامير (الزبور) ، بينما اسفار الانبياء الاثني عشر الصغار ، من هوشع الى ملاخي ، عدد فصولها او اصحاحاتها جميعـــاً ٦٧ فصلا ، وعوبديا ، احد هؤلاء الاثني عشر ، سفره كناية عن فصل واحد يشغل صفحة وبعض الصفحة . وعوبديا هذا ، تنبؤه انطوى على دعاءٍ حارٍ ملحّ على ادوم بالخراب ، وادوم كان عدو اسرائيل ، كالعرب كما تقدم ، وهذا الدعاء كان اثر تخريب اورشليم ، واورشليم خربت مراراً ، والمرجح ان الخراب الذي شهده عوبديا هو خراب نبوخذ ناصر اواخر القرن السادس ، وفي تنبؤ عوبديا شيء يسترعي الانتباه من القاريء العربي ، فيقول القس سيكل سيل صاحب « المرشد الى الكتاب المقدس » بالعربية (بيروت ١٩٥٨) في باب موقف المسيحية من (العهد القديم) ص ١١ ما يلي: —

« فاذا قلتم أليست التوراة كتاباً خاصاً باسرائيل ؟ فما لنا ولاسرائيل وكتبها ؟ فالجواب : نعم ان الله كلّم شعب اسرائيل على يد فئة صالحة من ابناء هذا الشعب . وكان كل ما تكلم به هؤلاء الانبياء من وحي الله وليس منهم . ثم ان الله لم يجعل وحيه وقفاً على امة اسرائيل فقط . فقد كلم الله مثلاً ايوب في سفر من اسفار العهد القديم ، وايوب ، على مـــا يعتقد ، عربي وليس من بني اسرائيل . وفي مكان آخر من التوراة ان مـــلاك الرب يكلم هاجر عن اسماعيل ، الذي صار فيما بعد اباً لقبائل عدنان ومعد ونزار وربيعة وهي قبائل عربيه صميمة . وهناك يونان (يونس) فقد تنبأ عن مصير نينوى التي كانت عاصمة الاشوريين . وكذلك النبي عوبديا ، فقد تنبأ عن ادوم وعما يعتقد ان تكون نبوءته تشير الى فتح العرب لبلادهم اهـ اي بلاد الأدوميين .

* * *

(١) الترجمة البروتستانتية استعملت لفظة « اصحاح » والترجمة اليسوعية استعملت لفظة « فصل » .

وهنا نقطتان ، الاولى : ان تنبؤ عوبديا ، وهو اسرائيلي ، بخراب ادوم عدو اسرائيل ، رأينا معناه في كيف جرَت المقادير بعد ذلك : بعد تخريب نبوخذ ناصر لبيت المقدس والهيكل ، وبعد وقوع السبي ، اورث الله الادوميين ديار يهوذا الجنوبية ، من الخليل الى بئر السبع ، فشرقاً الى وادي عَرَبَة حيث يتصل هذا بتخوم ادوم ، وبقي الادوميون هم الوارثين نحو اربعة قرون ، ومن الادوميين هيرودس الكبير الذي اجملنا الاشارة اليه في هذا الكتاب فخرج من الادوميين ملوك حكموا اسرائيل او اليهود نحو مئة سنة . نعم ان المكابيين لما اعصوصبوا مؤقتاً في القرن الثاني والاول ق.م وهم بين اعداء يحيطون بهم ، تغلبوا على ادوم واذلوهم وحملوهم على الختان ، لكن المكابيين لم يلبثوا الا قليلاً حتى دثروا وانهاروا ، ولحقوا بالغابرين من بني قومهم لما جاءهم الرومان بسياط العذاب ، فتشلتوا ثم لم تقم لهم بعدذلك قائمة . وكل ما نضمه في هذا الكتاب المراد به الادلة المشتقة من النواميس الكونية على ان « اسرائيل » ، مهما تصنعت من مظاهر الوجود ، وتريد كيان دويلة في الخضم العربي الزاخر بالقوى المستيقظة من روحية ومادية ، فنهايتها النهاية التي يصفها تاريخ اليهود .

والنقطة الثانية ، قول صاحب « المرشد الى الكتاب المقدس » من ان عوبديا قد تنبأ عن ادوم وعما يعتقد بان تكون نبوته تشير الى فتح العرب لبلادهم . فالانباط العرب كانوا الاولين في تحقيق نبوة عوبديا ، اذا كانت نبوته نبوة ، فهم بدأوا في احراز ميراث الادوميين منذ القرن الخامس ق.م. وظلوا يقوون حتى بلغوا الذروة في القرن الثاني قبل الميلاد الى الثاني بعد الميلاد وكان « الحارث » اسم اغلب ملوكهم حتى صار ذلك بمثابة لقب لهم كالأذواء في اليمن وفي القرن السابع كانت موجة الفتح العربي الاسلامي فتحاً خالداً .

* * *

واما العبارة التي في سفر عوبديا ، والتي تتضمن النبوة بفتح العرب لادوم ،

فليست واردة الا بالرمز والتأويـــل ، لا بالصراحة ، ولعلها هي هذه : « ويرث الجنوبُ جَبَلَ عيسو » وجبل عيسو هو بلاد ادوم . وهنا لم يكن من تأويل معقول الا ان تكون اشارة عوبديا تعني الامة التي وراء ادوم وهي الامة العربية ومنها الانباط (عوبديا ١ : ١٩) .

* * *

ومنذ زمن السبي فما بعد ، الى قبيل العهد المسيحي ، وُضِعت كتب دينية عديدة ، غير انها لم تكن لتنتهي الى مجموعة أسفار العهد القديم ، وانما اتخذت طريقها فيما بعد الى التلمود حتى تكوّن من كل ذلك الشيء العجيب الغريب ، وقالوا ان هذا هو شريعة موسى الشفوية لقّنها أخاه هارون ، وهارون لقّنهـــا الكهنة . قال مؤرخهم المشهور يوسيفوس ، وقد عاش في القرن الاول المسيحي (٣٧ — ٩٥ ؟) : « ان ما عندنا من الاسفار لا يزيد على ٢٢ سفراً ، تشتمل على أخبار الزمان كله وعلى الكتب المعتقد انها سماوية . ومن هـذه الكتب خمسة هي أسفار موسى تنطوي على شرائعه والروايات المأثورة التي تحدّثنا عن بداية الجنس البشري والتيه ، حتى وقت وفاة موسى . ومن وقته الى زمن ارتحشستا (ملك فارس ٤٦٥ — ٤٢٤ ق.م) قام الأنبياء الذين جاءوا بعـد موسى بكتابة تاريخ الحوادث التي وقعت في أزمنتهم ، وجاء ذلك في ١٣ سفراً ، فهذا بمجموعه ١٨ كتاباً ، أما الكتب الاربعة الباقية فهي كتب الترانيم والتسابيح وقواعد السلوك للانسان في الحياة . ومن زمن ارتحشستا الى وقتنا هذا دونت الحوادث كلها ، غير ان هذه المدونات الحديثة بقيت منزلتهـــا منخفضة عن منزلة المدونات السابقة بمراحل ، وذلك لانقطاع السند بين نبي سابق ونبي لاحق ، فحدثت الفجوة وكان الفراغ . وواضحٌ ما نحن عليه من تقديس شامل للتوراة . فلم يستطع أحد بعد ذلك على الاطلاق ان يضيف اليها حرفاً واحداً في سفر من أسفارها ، او ان يحذف منها حرفاً او يبدل منهـا حرفاً ، رغم تطاول الزمن بين انقطاع سند الأنبياء وزمننا هذا . حتى بات من المعتقد الغريزي عندنا ان اليهودي عندنا يولد ويولد معه الاعتقاد ان التوراة

من الله ، وعليه ان يرعى ويطيع احكامها ، بل لا يتردد في ان يبذل مهجته في سبيل الدفاع عنها اذا دعته الحال [١] (هالي ص ٣٥٧) .

* * *

نصوص العهـــد القديم

اجمل هالي صاحب **التوراة المختصرة** الكلام في هذا الباب فقال :

« يعتقد ان أسفار العهد القديم كُتبت بالاصل على رقـــاع من الاديم او الجلد ، وكُتبت كلها بالعبرية ، ما عدا شيئاً قليلاً من سفري عزرا ودانيال ، فهذا القليل كتب بالآرامية ، والكتابة خط يد .

«والحروف العبرية هي المعروفة بالمربعة ، وتكتب من اليمين الى اليسار ، مع استعمال نقط او علامات شكل لتيسير حروف العلة (اذ طريقة هذه الحروف نهائياً لم تكن لتستقر على اوضاعها الباتـّة قبل القرن السادس للميلاد) ومع ان الكتابة كان يفرغ فيها الجهد ابتغاء اتقانها وتجويدها فقد بقيت صورتها تحتمل ان تقرأ قراءآت على عدة وجوه ، والظاهر في بعض الحالات كانت تحشيات النسّاخ وتعليقاتهم وشروحهم ، تلحم بالنص الاصلي وتدمج به على يد ناسخ بعد ناسخ. غير ان هذا الامر ، وقد قتله البحّاث المحـدثون تمحيصاً ، قد غالوا في تصويره ، ولما اخترعت الطباعة ، انتفى خطر وقوع هذه الأخطاء . وبعـد عمل طويل شاق قام به العلماء لمدة طويلة في مقابـــلات العديد من النصوص

---

(١) ذكر « هالي » صفوة ترجمة يوسيفوس فقال : « ولد في بيت المقدس سنة ٣٧ ب.م في بيت من الطبقة الارستقراطية . واستوعب حتى ارتوى من الثقافتين اليهودية واليونانية . وكان حاكم « الجليل » وقائداً عسكرياً في حروب اليهود مع رومية ، وشهد تخريب بيت المدس سنة ٧٠ ب.م على يد الرومان . فأخِذَ الى رومية ، وهناك انقطع الى الدراسة وألـّف أربعة كتب: « الحروب اليهودية » و « آثار اليهود » و « الرد على ابيون » والكتاب الرابع ترجمة حياته ، ومن كتابه الثالث « الرد على ابيون » نقل هذا المقتبس ، والترجمـــة هي لنا ، وهذا المقتبس مشهور ، ذكره كثير من أهل التاريخ .

المخطوطة بعضها على بعض ، استقر النص العبري على ما هو الاصح على ما بلغه الجهد ، وهذا المعروف بالماسورة (هالي ص ٣٦١) قلنا : وقد تم هـذا قبل القرن العاشر المسيحي . ويرى القارىء بحثاً وافياً حول هذا الامر عند الكلام على «التلمود» .

* * *

اللغة الارامية تحل محل العبرية

« كانت الآرامية هي اللغة الشائعة في فلسطين في عصر المسيح ، وهي في سوريا اقدم منها في فلسطين ، والشبه شديد بينها وبين العبرية . وبعد الرجوع من السبي البابلي ، اخذت الآرامية تحل محل العبرية شيئاً فشيئاً حتى صارت لغة التخاطب بين الناس» (هالي – المصدر السابق). قلنا، وبعد المسيح بسبعة قرون او اقل ، حلّت العربية المضرية الخالدة محل الآرامية .

* * *

الترجـــوم

« الترجوم هو ترجمة العهد القديم من العبري الى الآرامي ، ولمـا شاعت الآرامية وصارت هي اللسان الحي الجاري ، بات من الضرورة وقت الصلاة وعند قراءة التوراة ان تفسر معاني الكلمات العبرية من الكلام القديم ، وكان هذا التفسير يقع شفوياً في الكنيس والناس يسمعون ، وبعدئذ جمع هذا كله وافرغ في صيغة كتابية فقيل له الترجوم . » «المصدر السابق»

* * *

التلمـــود

« هو مجموعة تقاليد يهودية سماعية تتعلق بالعهد القديم ، وقد جمـع هذا

كله في صيغة كتابية في القرن الثاني الميلادي،ثم اضيفت اليه شروح وزيادات. «المصدر السابق» .

قلنا : يحسن بالقارىء ان يرجع الى الفصل الذي جمعناه في الجزء الرابع من هذا الكتاب حول التلمود . فكلام «هالي» هذا يصف التلمود من ناحيـة جدّ عامة مقتضبة لا تكشف شيئاً من الغطـاء عنه ، والكشف عن التلمود الغاية الكبرى من وضعنا هذا الكتاب .

* * *

المجمع الاكبر

« وهو مؤلف من ١٢٠ عضواً ، ويقال ان واضع اسمه نحمياً حوالي سنة ٤١٠ ق. م تحت رعاية عزرا ، والقصد منه اعادة تنظيم امور العبادة والحياة الدينية بعد السبي ، مما كان عاملاً قوياً ، كما تفيـد التقاليد اليهودية ، في جمع اسفار العهد القديم وترتيبها لتعود الى منزلتها السابقة . واستمر المجمع الاكبر في عمله هذا وهو يهيمن على شؤون اليهود الذين عادوا من السبي ، حتى سنة ٢٧٥ ق.م فتوقف وجاء بعده مجلس السنهدرين» «هالي ص ٣٦٢»

* * *

السنهدرين

« هو الهيأة العليا المسيطرة على الشعب ، ولا من ينـــازع هذه الهيأة ، والسنهدرين كان في عصر السيد المسيح وهو الهيأة اليهودية التي حاكمته وسلمته الى بيلاطس البنطي طالبة صلبه . ويظن ان اول ظهوره كان في القرن الثالث ق.م وكان مؤلفاً من ٧٠ عضواً معظمهم من الكهنـة واعيان الصدوقيين ومن بعض الفريسيين والكتبة وشيوخ يمثلون جهة الاسباط ، وكان الكاهن الاكبر يرأس السنهدرين ، ثم اضمحـــل بخراب القدس سنة ٧٠ ق.م على يد تيطس الروماني» « المصدر السابق » .

قلنا : موضوع السنهدرين في كتابنا هذا خطيرٌ للغاية ، وليست هــذه الخطورة هي من جهة المعلومات التاريخية عنــه فيما مضى ، بقدر ما هي من جهة ما لكلمة « سنهدرين » اليوم ، عنــد الكتّاب المعنيين بدراسة نشاط اليهودية العالمية واجهزتها الخفية ، من مدلول على هذه الاجهزة الخفية والمنظمات المحجوبة . فكلمة «سنهدرين» اليوم يتجه معناها الى الهيئة الخفية . ولذلك يحسن بالقارىء اذا احبّ ، ان يعود الى ما كتبناه حول هــذا الموضوع في موضع آخر من هذا الكتاب . السنهدرين اليوم « كالقبالة » .

* * *

الكنيس او المجمع

اصطلح مترجمو التوراة على ترجمة معبد اليهود واسمه الكنيس او الكنيست بلفظة المجمع . والكلمة الانكليزية هي Synagogue واصلها يوناني. والبرلمان الاسرائيلي او مجلس النواب عند يهود اسرائيــل يطلقون عليه «الكنيست» . قال هالي في صدد المجمع او الكنيس وأصل منشأه :

« نبتت نبتة الكنيس في ايام السبي في بابل . اذ بعد ان امسى الهيكل خراباً ، والشعب مشتتاً ، مسّت الحاجة الى امكنة للعبادة ، وتلقي ارشادات الكهنة ، في كل بقعة حلّ فيها اليهود. وبعد العودة من السبي ، ظلت الجامع تسير سيرها في الرقعة اليهودية في فلسطين وفي اي مركز آخر احتشد فيــه اليهود في الخارج حيث كانت منهم جماعات بقيت هناك فلم تشأ ان تعود إلى فلسطين .وفي كل مدينة من المدن الكبرى كان لليهود مجمع او مجمعان او اكثر ، واما في القدس ، فمع ان فيها الهيكل ، فقد اقيمت فيها عدة مجامع وكان يشرف على كل مجمع هيئة من الربيين او الحكماء . وكان في حيازة كل واحدمن هؤلاء نسخ من كتب التوراة ، وكانت تقرأ في الصلوات قراءات منتظمة على مسمع من جمهور المصلين » .

* * *

الترجمة السبعينية

« الترجمة السبعينية » – هكذا درج تلفظها في العربية على اختلاف محلها من الكلام – هي نقل « العهد القديم » من العبرية الى اليونانية ، وقد تمت هذه الترجمة في الاسكندرية حيث كان هناك عدد كبير من اليهود يتكلمون اليونانية . ومن التقاليد ان هذه الترجمة انما وقعت تلبية لرغبة بطليموس فيلادلفوس[1](٢٨٥ - ٢٤٧) فأُرسل سبعون عالماً لغوياً يهودياً من اورشليم الى مصر من اجل هذه الغاية . فتَرجم من العهد القديم كتب موسى الخمسة ، اولاً ، ثم صارت تضاف بقية الاسفار الى الترجمة . وانما سميت « بالسبعينية » لأن الذين اتموها هم سبعون رجلاً عالماً . وهناك روايات تقليدية عديدة غير صحيحة ، تتعلق بهذه الترجمة . غير انه من الثابت ان الترجمة قد بدىء بها في عصر بطليموس فيلادلفوس ، وتمت الترجمة في خلال المئة السنة التالية للسنة الاولى من العمل . وكانت اليونانية اللغة العالمية في ذلك العصر . وهذه الترجمة هي التي كانت شائعة زمن المسيح ، والعهد الجديد كتب باليونانية ، والشواهد التي فيه مأخوذة من السبعينية » « المصدر السابق » .

* * *

الكتب « الابوكريفا »[2]

اجمل هالي قصة الابوكريفا في ص ٣٥٧ من كتابه فقال :

« هذا الاسم يطلق عادة على اربعة عشر كتاباً – وهذه الكتب توجد في

---

(١) قالت « موسوعة تاريخ العالم » : « معناه (المحب اخته) لأخذه بعادة الفراعنة اذ تزوج اخته « ارسينوى الثانية » وهو مؤسس متحف الاسكندرية وقام باستكشاف مجرى النيل الاعلى ، وانتهى نفوذه الى سواحل البحر الاحمر والانحاء الشمالية من جزيرة العرب ترويجاً للتجارة .

(٢) هي كتب دينية مشكوك في صحتها ، لا توجد في التوراة البروتستانتية وانما توجد في التوراة اللاتينية ، وهنا يبين « هالي » صفتها بما فيه الكفاية . وكلمة ابوكريفا يونانية الاصل معناها الخفي ، المستور .

بعض نسخ التوراة في العهد القديم والعهد الجديد . واول ما ظهرت هـذه الكتب في القرون الثلاثة الاخيرة قبل المسيح ، وعلى الغالب يشك في اسماء مؤلفيها ، وقد اضيفت الى « الترجمة السبعينية » . والترجمة السبعينية تم بها نقل العهد القديم من العبري الى اليوناني ؛ والكتب التي عُدَّت من الابوكريفا انما وضعت بعد انطواء عصر نبوّات العهد القديم والوحي السماوي .

« ويوسيفوس المؤرخ الاسرائيلي رفض هذه الكتب جملةً وتفصيلاً ، ولم يكن اليهود ليعترفوا بها من جهة انها تؤلف جانبـاً من التوراة ، والمسيح لم يذكر منها شاهداً واحـداً ، وكتب العهد الجديد لم تعرج عليها بقليل او كثير ، والكنيسة الاولى لم تلتفت الى هذه الكتب ، اذ لا سند قانوني لها ولم تعتبرها من كتب الوحي .

« ولما ترجمت التوراة الى اللاتينية في القرن الأول بعد المسيح ، فقد ترجم العهد القديم لا من العهد القديم العبراني ، بل من الترجمة السبعينية اليونانية للعهد القديم . فنقلت هذه الكتب الابوكريفا من الترجمة السبعينية الى النسخة اللاتينية (النسخة الشعبية) [١] التي امست شائعة ، في اوروبا الغربية حتى حركة الاصلاح البروتستانتي ، وحركة الاصلاح قامت على الاعتصام بكلمة الوحي السماوي دون غيره ، فنبذت الابوكريفا اذ ليست هي جزءاً من كلمة الوحي ، وعلى هذا كانت الكنيسة الأولى وقدماء العبرانيين .

« ثم كان مجمع « ترانت » سنة ١٥٤٦ ميلادية ، وغـايته مناهضة البروتستانتية ، فاعلنت الكنيسة الرومانية الكاثوليكية قانونية الابوكريفا ، ومنذ ذلك الحين وكتب الابوكريفا توجد في التوراة اللاتينية » . اهـ .

* * *

وانتقل معنى « ابوكريفا » الى الأدب والعلم من حيث الاستعمال، فلذلك تستعمل الكلمة في وصف الكتب المنحولة أو غير الصحيحة ، وهي باقية على لفظها هذا .

---

(١) Vulgate بالانكليزية . وقام بترجمتها القديس جيروم (٣٨٣ - ٤٠٥) .

وهذه هي كتب الابوكريفا

١ و ٢	سفر ازدراس[1] الاول والثاني	٨	سفر باروخ
٣	» طوبيت	٩	» نشيد الفتيان الثلاثة المكرمين
٤	» يهوديت	١٠	» تاريخ سوسنة
٥	» استير[2]	١١	» بعل والتنين
٦	» حكمة سليمان	١٢	» صلاة منسى
٧	» حكمة يشوع بن سيراخ	١٣و١٤	» سفر المكابيين الاول والثاني

وهذه الكتب أو الأسفار « الابوكريفا » تجدها في « الكتاب المقدس » – الترجمة اليسوعية – .

(١) « ازدراس » هي « عزرا » باللغة اليونانية .
(٢) هي السبعة فصول المضافة الى السفر .

العمالقة

او العرب الاولون اول من قاتل بني اسرائيل زمن موسى ـ هامان
الاجاجي العماليقي حاول تصفية اليهود قبل خمسة وعشرين
قرنـاً ـ استير ومردخاي

● ●

« هؤلاء ابناء العمالقة ! هؤلاء ابناء العمالقة ! »

من قول بن غوريون في البرلمان الاسرائيلي سنة ١٩٥٦ لما صار الفدائيون العرب يباغتون اليهود في المنطقة المحتلة ، ويروّعونهم في الليالي المدلهمة ، حتى صارت المدن اليهودية والمستعمرات تطفىء الانوار ليلاً وصار اليهود يلجأون الى منازلهم عند الغروب ليقوا انفسهم من الفتكات المذهلة المباغتة فتكلم بن غوريون في البرلمان (الكنيس) وصاح هذه الصيحة مرتين .

●

ينبغي للقارىء العربي ، اينما كان يسكن ويقيم في العالم العربي ، ان يحمل يقظته الذهنية الفكرية في استيعاب صفوة الحقائق التاريخية التي لا بد من الاحاطة بها اليوم ، يقظةً اشمل واوسع ما يمكن ، اذ في ذلك زيادة اطلاع على اسرار خفايا اليهود المنسابة في صدورهم ، وتتغــذى بأرواحهم ، طول مجرى تاريخهم . واخصّ ما نعني بالحقائق التاريخية ما يتعلق بالعرب واليهود منذ خروج بني اسرائيل من مصر . ومن هذه الحقائق ما يتعلق بالعمالقة ، وهم من العرب الاولين ، وهامان الذي كان في البلاط الفارسي في القرن السادس ق.م وجرت القصة الكبرى بينه وبين استير ، هو من العمالقة ، بل امير عماليقي ، قد يكون متحدراً من بيوتات الملك .

اول عراك بين بني اسرائيل والشعوب العربية ، وابناء عمومة العرب ، في فلسطين غربي الاردن ، وفي الانحاء المختلفة شرقي الاردن ، وهو العراك الاشد قوةً ، والاطول امداً ، والذي اوصى موسى بالمضيّ فيه الى الابد ، هو العراك الذي كان بين بني اسرائيل والعمالقة .

* * *

ونوجز الكلام في هذا المساق التالي :

١ – العمالقة هم اول شعب عربي قديم ذو عصبية قوية الشكيمة ، في شرق سيناء وجنوب فلسطين ، وقف بالسيف في وجه بني اسرائيل ، لما خرج هؤلاء من مصر ، فخرجوا بقيادة موسى ، للاستيلاء على الارض ، او سعياً وراء اول ما تجوز تسميته « بالوطن القومي الاسرائيلي » . وموسى ويشوع شَهِدا هذه الحرب في سيناء ، وسجل تراث بني اسرائيل يوم كان يطلق عليهم « بنو اسرائيل » ، ثم تراث اليهود ، منذ صار يطلق عليهم « اليهود » ، ان اشد عداوة رآها بنو اسرائيل بعد خروجهم من مصر ، هي التي ذاقوا مرارتها على يد العمالقة . واستمرت هذه العداوة لا اقل من تسعة قرون ، حتى بعد رجوع بني اسرائيل من السبي في القرن السادس والخامس قبل المسيح .

٢ – جميع الشعوب العربية ، وبنت عمومة العرب : وهم المِدْيانيون ، وبنو قِيدار ، والاسماعيلية ، هذا في الجنوب والشرق من فلسطين ، والعمونيون والمؤآبيون والادوميون ، هذا في الشرق من الاردن ، والكنعانيون في اواسط البلاد فشمالاً ، المقيمون في المدن وعاصمتهم « حاصور » قرب الحولة ، والفلسطينيون [١] الذين جاؤوا من كريت وشرقي البحر المتوسط في عصور « اوغاريت » (المكتشفة حضارتها الكنعانية وآثارها

(١) يرى الكاتب نفيل باربر البريطاني المعاصر في كتابه Nisi Dominus (١٩٤٦) ان بقايا الفلسطينيين لعلهم اندمجوا بالعرق العربي والتحموا به .

ولغتها ومقدار وافر من ثقافتها ، في النصف الأول من هذا القرن ، وبهرت هذه المكتشفات عيون العالم) ونزلوا سواحل فلسطين بين الكرمل وغزة ، وكانوا هم والعرب والكنعانيون اعدى أعداء بني اسرائيل؛ واليبوسيون الذين كانت عاصمتهم بيت المقدس حتى استيلاء داود عليها منتقلا من حبرون (الخليل) ، هؤلاء جميعاً ، إلى نحو ٢٠ شعباً غيرهم لا نعلم حقيقة اصولهم ولم تصل الينا اخبارهم المقتضبة الا من التوراة وكانوا في البلاد وبعضهم معاصراً للأقوام والشعوب ممن ذكرنا ، وبعضهم الآخر كان قديم الإقامة في البلاد قبل ظهور بني اسرائيل – هؤلاء جميعاً بفعـــل السنن الطبيعية من حيث القوة والضعف ، اندمجوا بمجاوريهم او استصفاهم العرق العربي ، او انتقلوا ونزحوا الى اماكن اخرى وانضافوا الى الاقوام التي جاوروها .

٣ – نضيف إلى ما تقدم، الحقيقة الكبرى الباهرة ، وهي القبائل العربية التي نقلها الملك سرجون الأشوري من اعالي الحجاز إلى السامرة لما سبى مملكة اسرائيل في الربع الأول من القرن الثامن ق .م.فجميع هذه الشعوب لم تترك لنا قصة تصور الروح اليهودية ، كما تركت قصة العمالقة ، التي امتدت قروناً ثم ما تفرع منها من قصة هامان الأمير العربي العماليقي في بلاط الملك الفارسي في القرن السادس ق.م. فقصة هامان حرية بالدرس والاستيعاب لما تفتح أمامنا من نوافذ على نفسية اليهود التي ظلت نامية مستمرة حتى اليوم ، وفي العصر الحديث ، او منذ الثورة الفرنسية ، اتخذت شكل « حكماء صهيون ». كما أن هامان العربي العماليقي [1] ، ترك لنا أثراً خالداً ، بطولياً رائعاً ، في مخططه الذي ذكرته التوراة ، يقصد بـــه كما تقول التوراة « ابادة اليهود » بعد السبي الثاني . والقصة مثيرة نأتي عليها في هذا المساق .

٤ – الروح اليهودية التي مثلها مردخاي، واستير قبل المسيح بخمسة قرون

---

(١) ذكر الدكتور جواد علي صاحب « تاريخ العرب قبل الاسلام» (ص ١٧٦ ج١) نقلا عن (حتي) ص ٥٧ « تاريخ العرب » ان أقدم من ذكر العرب من مؤرخي اليونان هو اخيلس او اسكيلوس (٥٢٥ – ٤٥٦ ق . م) فقد ذكر هـذا المؤرخ وأشار الى ضابط عربي اشتهر في جيش احشويروش ملك فارس.

تقريباً ، هي الروح التي تتجلى في « البروتوكولات » اليوم في القرن العشرين بعد المسيح . اما أحشويروش ملك فارس ، ودولته قضت على دولة نبوخذ ناصر البابلية السامية العرق وسابية مملكة يهوذا اليهودية المؤلفة من سبطين ونصف السبط ، فانه يمثل بمملكته المترامية الأطراف وفيها نحو من١٢٧ ولاية أو مرزبانية من الهند إلى الحبشة ، الامبراطورية البريطانية في القرن العشرين – دولة الفرس بعد ذهاب دولة بابل هي التي أعادت أهل السبي إلى بيت المقدس بعد أن قضوا في السبي من ٥٠ إلى ٨٠ سنة . وقد تكون نهاية الامبراطورية البريطانية هي نهاية مملكة فارس .

* * *

هامان بن همداثا الأجاجي

٥ – هو على الراجح من نسل ملوك العمالقة . لقبته التوراة **بالأجَاجي** ، وأجاج إما أن يكون اسماً شخصياً ، علمياً ، وإما أن يكون وصفاً او لقباً على العادة القديمة في بيوتات الملك . فملوك اليمن كان يقال لهم الأقيال والأذواء وملوك فارس الأكاسرة ، والرومان او الروم القياصرة ، ومثل هذا يقال في بَابين ملك الكنعانيين وعاصمتهم **حاصور** في شمال فلسطين ، (والتنقيب الأثري اكتشف من آثارها شيئاً ما في الزمن الحديث ، أقل مما اكتشف في اوغاريث طبعاً) ، **والنجاشي** في الحبشة **والأخشيد** في آسيا الوسطى ؛ وآخر ما شاع في القرن الماضي **الخديوي** في مصر . وسواء أكانت لفظة **أجاج** إسماً علمياً ام لقباً ، **فهامان** يمتُّ الى هذا العرق العماليقي بنسب [١] . وورد في

---

(١) مع ان التوراة تصرح بأن هامان الاجاجي عماليقي ، فقد ذكر في الاضافات الملحقة بسفر استير في الترجمة اليسوعية ان هامان « مكدوني » وليس لهذه الأضافة برهان معقول . وهذا من جنس (الابوكريفا) « والابوكريفا » رفضتها التوراة البروتستانتية جملة وتفصيلاً . والقول « الابوكريفي » ان هامان مكدوني ، تنقضه البراهين التالية :

١ ـ تنعت التوراة هامان بالاجاجي ، وليس بعد هذا مجال لقول آخر . ←

سفر استير عدة أسماء من اللذيذ والمفيد الاطلاع عليها ، ومنها ما هو أسماء رجال في بلاط الملك الفارسي كالوزراء والخصيان ، ومنها ما هو أسماء نساء. فزوجة احشويروش اسمها وشتي ،وزوجـة هامان اسمها زَرَشْ ، وأسماء اولاده العشرة عماليقية فارسية .

٦ – الواقعة حصلت في القرن الخامس والرابع ق.م. ، في اثنـاء مدة السبي . فالعمالقة كانوا لا يزالون على كيان ما في سيناء ، مع اجتهاد فريق من الكتاب التوراتيين في الزمن الحديث ، ولا سيما في القرن الماضي ، أن يخفضوا من شأنهم ويسدلوا عليهم ستار النسيان والعفـاء ، ذهاباً مع روح التوراة اليهودية ، ولو كان ذلك متناقضاً لروح العلم في هذا العصر . وفي زمن هامان العماليقي في بلاد فارس ، كانت دول سبأ وحمير في اليمن قائمة ، وكان قد مضى على عصر بلقيس نحو خمسة قرون . وبعد قليل جاء عصر الاسكندر في الشرق الادنى والاوسط . والمعقول ان هامان العماليقي قد استطاع ان يصل الى ما يسمى اليوم بوزير البلاط او رئيس الوزراء في بلاط احشويروش بفضل ما كان يتحلى به من مزايا فريدة أهّلته لذلك . فينبغي ان يكون ذا كفايات مليئة . أضف الى هذا تحدره من بيت كان له ملك وسلطان ، وذكرٌ شائع في البطولات ولا سيما في مقارعة بني اسرائيل .

٧ – ولا بد من القول ان الروح المنبثة في ثنـايا سفر استير ، هي روح تشير بوضوح الى العداء المستحكم ، على ممر التاريخ، بين بني اسرائيل، (واصبح يطلق عليهم في القرن السادس والخامس وما بعـد ، اسم «اليهود» فحل محل «بني اسرائيل») وبين العمالقة عن طريق هامان . ولا ريب ان مردخاي،

← ٢ – جو الحوادث التي تتعلق باستير ومردخاي من جهة ، وهامان من جهة اخرى، متشبع بروح العداء العماليقي الاسرائيلي كما قلنا في اوائل هذا الكلام .

٣ – بقايا عماليق عاشت الى القرون الاسلامية الاولى ، وقد اشتمل التاريخ العربي الاسلامي وكتب الادب العربي ، على كثير من طلي أخبارهم ، ولا سيما مع عرب تدمر والزباء ملكة تدمر.

٤ – القول الابوكريفي هذا لا يقوم له أي وزن تاريخي او علمي اذ هو يناقض الصراحة الواردة في التوراة .

لما هيأ أستير لتكون فاتنةالقصر بالجمال والمكيدة خدمةً لقومها اليهود، كانت تستعر في قلبه نار العداء لعماليق وكل من بقي منه. فلما جاءت استير الىالقصر وهامان هو الرجل الاول في القصر بعد احشويروس الملك ، وَضَع مردخاي في مخططه ان يضرب هامان ، العدو العماليقي التاريخي المزمن . ذلك بعبارة اخرى : لما مثلت هذه الرواية في البلاط الفارسي ، في قصر احشويروش في العاصمة شوشن[1] في اثناء السبي ، كان اليهود على يد نحميا وعزرا ودانيال ، وقد فقدوا الهيكل والقدس ، يتجدّدون روحيــاً يهودياً ، ويدورون على محورهم الموروث في الخلق والجبــلة ، مما نشأ عنه اخــيراً بحكم الامتداد والانسياب التلمود و«القبالة» ، ثم «حكماء صهيون» وكل هذا واحد فيالجوهر والمعنى .

٨ – لكن العنصر المهم في القضية كلها ، ان اليهود حفظوا وصية موسى بحمل العداوة لعماليق الى الابد . وهذا ما نعنيه بقولنا ان مردخاي لما جمعه الزمن مع هامان العماليقي ، هبّ بواسطة استير لتهديمه . ومع ان عماليق كان قد ضعف شأنه السياسي والحربي في شرقي سيناء ، في القرن الخامس، وذهب الملك عنهم إلا ما انكمش الى امارات محـدودة ، ومع تقلص مملكة يهوذا في القرن السادس والخامس حتى باتت لا تزيد على القدس وما والاها من جهات، والكل رقعة ضيقة صغيرة، فقد ظلت تلك العداوة باقية . وعلينا ان نلاحظ جيداً كيف ان مردخاي ستَـَر في اول الامر «يهوديته» ويهودية استير، حتى اذا ما وصلت استير الى القصر ، راح ينشب مخالبــه اليهودية معلناً يهوديته ويتباهى بذلك، مما كان يستره قبلاً ويوصي استير بكتمانه . وهذا ما يفتّ في عضد هامان ، ويشعل منه الحقد المتبادل ، لكن هذه الروح اليهودية لا تهم

---

(١) شوش او شوشان ، في اقلــيم خوزستان ، وفي التاريخ العربي « الاهواز » وفي الزمن الحديث في العصر التركي العثماني « عربستان» . وسكان هذا الاقليم قبائل عربية محض معظمها من « كَعْب » ولما وقعت آخر تسوية لمسائل الحدود بين ايران والدولة العثمانية بقيت الاهواز لجهة ايران ، وكان عليها أمير عربي هو « الأمير خزعل» حتى ازالته ايران بعد الحرب العالمية الاولى ، واقليم الأهواز شرقي البصرة يشبه اليوم بعروبتهقضية لسكندرونة في شمال سوريا .

الملك الفارسي أول الأمر شيئاً . ولما ذهب هامان الى بيته من الوليمة المدبرة لاصطياده ، وقد صنعتها استير ودَعَت اليها الملك وهامان ، واخبر زوجته «زرش» ما رأى من لؤم هامان وتغطرسه عليه ، اجابت «زرش» زوجها : « أيبلغ بك الأمر ان ترى هذا السلوك من رجل مثل مردخاي « من نسل اليهود» ، ويؤخذ من عبارة «زرش» باستعمالها هذا التعبير ، ان اليهود كانوا محتقرين اذلة ، وان هذه الكراهة قد عمتهم في الشرق الاوسط كله ، حتى في ذلك الوقت ، فتأمل .

٩ - ويبدو ان هامان قد لاحت له الفرصة ، قبل اليوم باربعة وعشرين قرناً ، ليصفّي اليهود فحاول ذلك ففشل ، وموقتاً تغلب عليه مردخاي واستير ! وتبقى قضية اليهود مستمرة ، ظاهرها التوراة ، وباطنها القبالة والتلمود ، ووجهها الخارجي هرتزل ، وماكس نوردو ، ووزمن ، وروتشيلد ووجهها الداخلي « حكماء صهيون » : وهؤلاء هم هم على الحالين ، حتى يتنبه العالم كله الى خطر اقلية خطيرة عاتية ، تريد الاستيلاء على العالم بالمال والنساء والمكيدة والحيلة ، فيعمل العالم كله كما يعمل العرب على استئصال هذه الجراثيم من الجسم الانساني .

١٠ - والى زمن الفتح العربي الاسلامي في الثلث الأول من القرن السابع الميلادي ، والارث المتناقل عند عرب الجزيرة ، ان العرب هم ورثة العمالقة في الشام . ذكر الواقدي [١] في كتابه « فتوح الشام » ، ان عمرو بن العاص ،

---

(١) الواقدي من اركان التراث العربي الاسلامي ، ولا سيما الحديث الشريف والتاريخ ، وكتبه التي وصلت الينا تشهد له بالامامة والامارة في هذه الفنون . غير أن بعض النقاد المعاصرين ، من افرنج وعرب ، يجنحون الى الحفض من شأن كتابه « فتوح الشام » قائلين ان فيه عنصراً عاطفياً لا يقبلها ميزان التاريخ . وليس هنا مقام التفصيل المبين ان هذا الزعم لا صحة له ، وانما نقول شيئاً يتعلق « بفتوح الشام » . فهذا الكتاب اريد به تغذية الروح الاسلامية فيما بعد ، كما حصل مثل هذا في كتب عديدة . فَتَبُدِّل من بعض عباراته ما بدل ، وزيد عليه ←

لما جـاء يقابل الأمير قسطنطين بن هرقل ملك الروم ، قبل فتح قيسارية (جنوبي حيفا على ساحـل فلسطين) جرى بينهما حوار لامع مقتضب . صفوته ان قسطنطين كان اميل الى ان يزدري أمر العرب الناهدين من الجزيرة بايمان وعقيدة للفتح ، فاستخف بقدرتهم وهو لا يدري من أمر مـا في صدورهم شيئاً ، ومـا كانت الحركة في نظره الا غارة البادية الجافة على الحاضرة الناعمة المترفة . فعرض على عمرو الرجوع الى الجزيرة والرضى بشيء يعطاه العرب . كأن المسألة مسألة غزو للغنيمة العابرة . ومما قاله قسطنطين « ان هـذه البلاد – الشام – هي لنا ، ومـا لكم انتم العرب فيها شيء ، ومواطنكم الجزيرة » . فأجابـه عمرو بمعنى « انكم انتم الغرباء ، ونحن هنـا ورثة العمالقة ، الجبابرة الذين كانوا في الشام » . ثم اننا نرى في موضع كثيرة من كتب الارث الأدبي العربي الذي انتهى الينا وهو في أيدي الناس ، القول في نسبة هـذا او ذلك من الرجال انه « العماليقي » . فلما جـاء الاسلام ، وقبله قرون شهدت أياماً للعرب بين عصر العمالقة وعصر الرسالة : كالانباط في جنوبي الاردن ، وعرب الزباء او زنوبيا في تدمر ، والضجاعمـة وسليح بين دمشق والاردن ، والغساسنة في غوطـة الشام ، والمناذرة في العراق ، كان ذكر العمالقـة حياً ، وبقاياهم متفرقة في البلاد ، والانتماء اليهم بالنسب انتماء إلى ارومة المجد والشرف . وهذا كله في كتب التاريخ والأدب . والبقايا العماليقية انتقلت إلى الأرومة العربيـة بالاضافة والاندماج ، سنّة طبيعية في العمران البشري .

← اضافات ما خدمت غرضاً الا الحشو الذي لا يزيد على المعنى الأصلي شيئاً . فصار بعض كلام الواقدي في بعض المواضع خليطـاً من كلام هو أصل ، ومضاف هو الحشو ، غـير أن البصير اللبيب ، او حتى القارىء العادي السليم الذوق ، المتجرد عن الغاية ، بوسعه ان يميز هذا عـن هذا بكل يسر ، او بين الواقدي الأصلي ، ومما حُمّل من اضافات لا فائدة منها . اما اعتبار « فتوح البلدان » كله انـه عاطفي ، فجناية على العلم والتاريخ . وفي التاريخ اشتهر الواقدي بكتابه « فتوح الشام » ، وهو من أقدم مؤرخي الفتح وكتبه الأخرى كلها شوامخ .

راجع ترجمته في « معجم الادباء » لياقوت الجزء الثامن عشر « محمد بن واقد » .

وفي « معجم ما استعجم » للبكري (طبعة القاهرة ١٩٤٥ ص ٢٦) ان قضاعة لما سارت من تهامة إلى الشام ، ومنها الضجاعمة وسليح ، كان ملك العرب يومئذ « ظرب بن حسان بن اذينة السميذع بن هوبر العمليقي » فرفع نسبة هكذا بقوله « العمليقي » ، دلالة على أصل الأرومة . ويظهر أن بقايا العمالقة بعد الاندماج بالأرومة العربية ، احتفظوا حسب عادة العرب بفخر النسب والأرومة ، فاندمجوا باخوانهم . ثم يتمم البكري فيقول : « فانضموا اليه – أي إلى ظرب ، وصاروا معه ، فأنزلهم مناظر الشام من البلقاء إلى حوّارين إلى الزيتون ، فلم يزالوا مع ملوك العماليق يغزون معهم المغازي ، ويصيبون معهم المغانم ، حتى صاروا مع الزباء بنت عمرو بن ظرب بن حسان المذكور ، فكانوا فرسانها وولاة أمرها ، فلما قتلها عمرو بن عدي بن نصر اللخمي ، استولوا على الملك بعدها ، فلم يزالوا ملوكاً حتى غلبتهم غسان على الملك ، وسليح ، وتلك القبائل في منازلهم التي كانوا ينزلونها إلى اليوم » . (البكري طبعة القاهرة ١٩٤٥ ص ٢٦ و ١١٠ و ٢١٩) .

١١ – هنا تتوجه القصة من جهة « العماليقي » في كتب التاريخ والأدب إلى زنوبيا أو الزباء ودولة تدمر العربية التي قامت بعد تلاشي دولة الانباط العرب في جنوبي الاردن . ولسنا معنيين من هذا إلا بالناحية « العماليقية » من حيث الأرومة ، لا بالمساق السياسي التاريخي لقصة زنوبيا ، وتدمر شرعت تتكون وتنمو ثم تزدهر بالعمران وترقى في معارجه منذ القرن السادس ق.م ، أي منذ زمن هذه الحوادث لوقوعها على كتف بادية الشام واصلة بين الشام والعراق .

فقال زيدان في كتابه تاريخ « العرب قبل الاسلام » مستنداً إلى ابن خلدون ص ٨٥ : « فان بيوتات الشرف في تدمر عرب اصلهم من البادية من بقايا العمالقة » ، وأقاموا هناك للتجارة ، فغلبوا على أفضل المدن بما كانوا فيه من خشونة البداوة وعلو الهمة وكبر النفس ، وتدرجوا في مناصب الدولة حتى صاروا ملوكاً واتخذوا لغة الشام وهي حينئذ الآرامية للمخابرات الرسمية

والتدوين كما اتخذها النبطيون ، وبقي ذكر العمالقة في سيناء ، على ما رأى بنوا اسرائيل واليهود ، خيالاً حيـــاً في أذهان كل يهودي إلى اليوم حتى قال بن غوريون ، وهو خائف متزلزل ، قوله الذي ذكرنا في ترويسة هذا الفصل [١].

* * *

ما ذكره الطبري عن عمليق والعمالقة

« فعمليق ابو العماليق ، كلهم امم تفرقت في البلاد، وكان اهل المشرق واهل عُمان واهل الحجاز واهل الشام واهل مصر منهم .ومنهم كانت الجبابرة بالشام الذين يقال لهم الكنعانيون ومنهم كانت الفراعنة بمصر ، وكان اهل

---

(١) اذا أحب القارىء أن يزداد اطلاعاً على الحقائق التاريخية في باب العمالقة، وما استكشف من أمرهم البحث الحديث ، فما عدا امهات الكتب التاريخية في تراثنا العربي ، ولا سيا تاريخ ابن خلدون ، فهناك ثلاثة أحواض مليئة من نتاج القرن الحالي ، وهي :

١ ـ « تاريخ العرب قبل الاسلام » لزيدان ، طبعته الأولى ١٩٠٨ بمصر .

٢ ـ « تاريخ سيناء القديم والحديث » لنعوم شقير ، وقد كان مدير دائرة التاريخ في وزارة الحربية في مصر خلال الحرب العالمية الأولى ، ومع أن هذا الكتاب القيم قد وضع خلال الحرب والاستعمار البريطاني جاثم على مصر ، ويوجـــد في بعض المناحي من الكتاب رشاش من المعاني السياسية المشتقة من مصلحة الحلفـــاء في ابّان الحرب ، غير أن جهد المؤلف في عرض الحقائق التاريخية المجردة ، جاء موفقاً جداً، ولا نعلم كتاباً آخر في تاريخ سيناء يماثله في الشمول والصحة.

وللمؤلف شقير مؤلف آخر في التاريخ هو « تاريخ السودان » طبع هـــذا الكتاب في مصر سنة ١٩١٦ .

٣ ـ « تاريخ العرب قبل الاسلام » للدكتور جواد علي (العراق) . شرع المؤلف في وضع هذا الكتاب سنة ١٩٥١ في بغداد وجعله اجزاء يصدر كل جزء في فترة ، ويقوم المجمع العلمي العراقي بطبعه فهو من مطبوعات المجمع . وقد صدر حتى هذه السنة من هذا الكتاب ١٠ اجزاء ضخمة . ويصح القول أن هذا الكتاب الفريد في بابه قد اشتمل على أوسع مقدار من مادة التاريخ العربي ، وما كشف عنه التنقيب الحديث وهو يؤلف مكتبة برأسها ، وهو في احتشاد النصوص والنقوش مما اكتشف الى اليوم على يد العرب والافرنج ، مرجع المراجع .

البحرين واهل عمان منهم امة يسمون جاسم ، وكان ساكنو المدينة منهم ، منهم بنو هف وسعد بن هزّان وبنو مطر وبنو الازرق ، واهل نجد ، منهم بديل وراحل وغفار ، واهل تيماء منهم وكان ملك الحجاز منهم بتيماء اسمه الأرقم وكانوا ساكني نجد مع ذلك ، وكان ساكني الطائف بنو عبد بن ضخم حي من عبس الاول .... »

حتى قال بعد هذا « فكانت طسم والعماليق واميم وجاسم قوماً عرباً ، لسانهم الذي جبلوا عليه لسان عربي » ثم ذكر ثمود وجديس وغيرهما فقال : « ... وكانوا قوماً عرباً يتكلمون بهذا اللسان المضري ، فكانت العرب تقول لهذه الامم « العرب العاربة » لانه لسانهم الذي جبلوا عليه ، ويقولون لبني اسماعيل بن ابراهيم العرب المتعربة لانهم انما تكلموا بلسان هذه الامم حين سكنوا بين اظهرهم ، فعاد وثمود والعماليق واميم وجاسم وجديس وطسم هم العرب « ثم يذكر الطبري مساكنهم بين حضرموت واليمن ، والحجاز والشام مما لا حاجة الى ذكره فوق ما تقدم . الطبري ١ - ١٠٣ »

بنو اسرائيل زمن عهدهم المعروف «بالقضاة»

قضوا (١١١) سنة في الذل تحت تسلط الشعوب المحيطة بهم
ولا سيما العرب العمالقة والمديانيين (المدينيين)

يمتاز «هالي» صاحب «مختصر التوراة» بايراد الموضوعات التي في «العهد القديم» ، ايراداً منخولاً حسب منهجه وهدفه البرتستانتي. وهذا واضح بيّن، وفيه تيسير كبير للطالع المسيحي وغير المسلم . ويستند «هالي» في هذا كله الى ناحيتين ، الاولى: ارقام التوراة وهذه احياناً فيها غلو ظاهر لا يتفق والمنطق العقلي اليوم ، والثانية ما اكتشفه التنقيب عن الآثار التوراتية في العراق وفلسطين والبادية وسيناء ومصر ، من القرن الماضي الى منتصف هذا القرن، من آثار قال العلماء اقوالهم فيها من حيث صحة انطباقها على نصوص «العهد القديم» ، او عدم انطباقها الى حد ما .

ونحن نعتقد ان صاحب «مختصر التوراة» ، قد أتى بعمل يشكر عليه ، من حيث التيسير ، والاحاطة ، وتطبيقه المنهج الذي قرره بغاياته واهدافه، على كل ما في «العهد القديم» ، فصلاً فصلاً ، ويبقى للطالع بعد ذلك رأيه في ما قالت التوراة ، وفي ما قال «هالي» ايضاً. ونعتقد ان المطالع العربي له رأيه الذي لا يتفق ورأي «هالي» في كثير من المواضع .

* * *

ينتهي هالي الى القول ان بني اسرائيل في مدة «القضاة» — منذ خروجهم من مصر الى انشاء الملكية – وهو يحسب هذه المدة (٤١٠) سنوات، قضوا

منها (١١١) سنة في الذل للشعوب المحيطة بهم في فلسطين ، وهم بعد موت يشوع ١٢ عشيرة متفرقة ، كل عشيرة مستقلة عن الاخرى ، وامورهم مختبطة، والحرب لا تنقطع بينهم وبين الكنعانيين اهل البلاد، وبينهم وبين الفلسطينيين الذين قدموا حديثاً من جهة بحر ايجة ، شرقي البحر المتوسط ، ومنهم اتخذت البلاد اسمها ، واحياناً في وجه العدو المشترك الكنعانيون والفلسطينيون الذين لهم السهول وساحل البحر من الكرمل ومرج بن عامر والحولة وجنوباً الى غزة ، ثم كانت الحروب الاهلية بين هذه العشائر تجرف منهم جرفاً كبيراً . هذا من جهة احوالهم في سكناهم ومعايشهم في المنطقة الجبلية الوسطى . وأما من جهة معتقداتهم فانهم تأثروا بالوثنية عند جيرانهم فعبدوا الاصنام مثلهم .

وطول مدة القضاة تؤخذ بالتقدير ، وهي غير معلومة على وجه اليقين ، غير ان مجموع عدد سني الذل هو (١١١) سنة ، كما ذكرتها التوراة ، وفي خلال مدد الذل ، يندثر امر هذه العشائر ، حتى يقوم منهم من يسمونه قاضياً او مخلصاً او منقذاً ، فيخلصهم من المتسلط عليهم . وأشد ذل أحاق ببني اسرائيل وأرهقهم ، فهاموا على وجوههم في كهوف الجبال ، هو الذي انزله بهم المدينيون والعمالقة لمدة (٧) سنين متلاحقة كما سيجيء .

قالت التوراة : « فلما اقام الرب عليهم قضاة كان الرب مع القاضي ، فكان يخلصهم من ايدي اعدائهم كل ايام القاضي لان الرب رحم انينهم من ظالميهم ومضايقيهم . واذا مات القاضي كانوا يرجعون الى الفساد اكثر من آبائهم باتباعهم آلهة اخر ليعبدوها ويسجدوا لها ، لم يحيدوا عن سوء اعمالهم وطريق قساوتهم » (القضاة ٢ : ١٨ و ١٩) .

والشعوب التي تألبت على بني اسرائيل في عهد القضاة هي ، كما ذكرتهم التوراة : — « خمسة اقطاب الفلسطينيين ،وجميع الكنعانيين ، والصيدونيين، والحويين المقيمين بجبل لبنان من جبل بعل حرمون الى مدخل حماة » (القضاة ٣ : ٣) فهذه شعوب اربعة في الشمال اما الحويون فهم فصيلة من الكنعانيين بعضهم بقي في فلسطين الى ما بعد ايام يشوع ،واما موطنهم الكبير

فكان في سفوح جبل حرمون (الشيخ اليوم) .

ولم يستطع بنو اسرائيل في وقت ما ، ان يجعلوا فلسطين كلها خالصة لهم في داخلها . فاليبوسيين (فصيلة كنعانية) بقوا حتى في القدس ، مدينتهم من اول الامر حتى اخذها داود ، الى ما بعد السبي ، اي اكثر من خمسة قرون بعد استيلاء داود عليها . والفلسطينيون بقوا في السهول وعلى سواحل البحر ، وبعد السبي اصبحت فلسطين الشمالية وهي السامرة ، قائمة وحدها . ويخطىء الذين يظنون ، وظنهم من قلة الدراسة وضعف الملاحظة ، ان بني اسرائيل استطاعوا اخضاع البلاد كلها حتى في زمن ملكيتهم ، فكيف وهم عشائر تقيم في كنف الفلسطينين والكنعانيين وبين ظهرانيهم . قالت التوراة: « فاقام بنو اسرائيل بين الكنعانيين والحثيين والاموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين ، واتخذوا بناتهم زوجات لهم ، واعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا آلهتهم . وفعل بنو اسرائيل الشر في عيني الرب ونسوا الرب الههم وعبدوا البعليم والعشتاروت » . (القضاة ٣ : ٥ — ٧) .

* * *

اما ذل بني اسرائيل للمدينيين والعمالقة ، فقد وصفته التوراة بقولها : « وصنع بنو اسرائيل الشر في عيني الرب ، فدفعهم الرب الى ايدي مِديَن سبع سنين ، وقويت ايدي مدين على اسرائيل فاتخذ بنو اسرائيل لانفسهم المغاور التي في الجبال والكهوف والحصون من وجه مدين . وكان اذا زرع اسرائيل يصعد المدينيون والعمالقة وبنو المشرق ويخرجون عليهم ، ويحيشون عليهم ويفسدون غلة الارض الى مدخل غزة ، ولا يبقون ميرة في اسرائيل ولا غنماً ولا بقراً ولا حميراً ، لانهم كانوا يصعدون بماشيتهم وخيامهم ويأتون في مثل كثرة الجراد ، لا يعدون هم ولا جمالهم ، ويأتون الارض ويفسدونها ، فذل اسرائيل جداً امام مدين » . (القضاة — اليسوعية) (الفصل ٧ و ٨)

وبين اذلال الكنعانيين واذلال العمالقة والمدينيين فترة ٤٠ — ٥٠ سنة والذي قام اليوم لتخليص اسرائيل هم جدعون وبحسب رواية التوراة

(القضاة ٧) جمع جدعون جيشاً ضخماً من ٣٢ الفاً ، رجع منهم ٢٢ الفاً ثم اختار من العشرة آلاف ثلاث مئة وبهؤلاء تقول رواية السفر وهم حاملو ابواق ومشاعل ، كسر جدعون جيش العمالقة والمدينيين قرب بيسان الحالية على كتف الاردن الغربي وقتل أميريهم وهما عوريب وزيب (في الترجمة الاميركية « غراب وذئب ») وعبر النهر مطارداً المنكسرين فمر بمحلة «سكّوت » (قرب نهر الزرقا) ، واهلها من المدينيين والعمالقة ، فطلب منهم خبزاً لرجاله ، فأبوا ان يلبوا طلبه ، فتوعدهم بالشر ان هو ظفر بمبتغاه ، ثم صعد الى « برج فنوئيل » وطلب من اهله مثل ما طلب من سكّوت ، فسمع الجواب نفسه . ولما ادرك جيش المدينيين والعمالقة « بقرقر » قضى عليه وأمسك بملكي مدين وهما « زاباح وصلمناع » (في الترجمة الاميركية « زبح وصلمناع ») . قالت رواية السفر ان الذين قتلوا في قرقر من جيش المشرق (المدينيين وحلفائهم) خمسة عشر الفاً وهم البقية وأما القتلى كلهم فمئة وعشرون الف رجل .

قلنا : ان رواية التوراة لا يثق بها اهل العلم متى ما خرجت عن المعقول. فهنا تقول رواية السفر ان جدعون اقتحم الجيش المديني بثلاث مئة رجل حملة ابواق ومشاعل موضوعة في جرار وأما الباقي من جيشه فلم يدخل الحرب . فكيف ينهزم جيش المدينيين وهو ١٢٠ ألف رجل امام ثلاث مئة حملة ابواق ومشاعل !! ولما جعل جدعون يعود ادراجه ، مر ببرج فنوئيل وسكّوت ونفذ وعيده لهم بأبشع صورة من صور الوحشية التي اتقنها بنو اسرائيل ، فانه جمع ٧٧ من شيوخ سكّوت ، برواية السفر ، وألقاهم فوق حزم الشوك وجعل النوارج تجر من فوقهم . وانتقل الى فنوئيل فذبح اهلها . وأتينا بهذا التفصيل من سفر « القضاة » لعلتين ، الاولى ، ان ارقام التوراة احياناً غير معقولة وما ذكرناه هنا هو من هذا الجنس ، والاخرى ، ان نظهر وحشية اسرائيل في الحرب من ايام موسى ويشوع بن نون وجدعون ، قبل اليوم بنحو ٣٤ قرناً ، الى ايامنا هذه ومجازر اليهود في « دير ياسين » ، ودير ياسين انما

هي على سبيل المثال . اقرأ البروتوكولات بامعان .

وقبل اذلال المدينيين والعمالقة ، وبني المشرق (اسم عام للعرب في شمالي الحجاز ومشارف الشام) هذه السنوات السبع، ومثل هذا الذل لم ير اسرائيل من قبل ولا من بعد ، كان الكنعانيون قد اذلوا اسرائيل ، وكان الكنعانيون قد غلبهم يشوع اول الامر ، لكنهم بعد عهده عادوا الى القوة شيئاً فشيئاً حتى صاروا بطاشين . وبعد اذلالهم لاسرائيل جاء اذلال العمالقة والمدينيين وبني المشرق . وملك الكنعانيين اسمه «يابين » وعاصمته «حاصور» .

قال « قاموس الكتاب المقدس » تحت كلمة « حاصور » : « ولذلك يعتقد ان يابين كان لقباً لملوك كنعان ، كفرعون لملك مصر ، وأبيمالك لملوك الفلسطينيين ، والحارث لملوك شمالي بلاد العرب (الانباط) » . ويرجح ان موقع حاصور كان قرب الحولة غربي جسر بنات يعقوب على بعد نحو ستة اميال . وقام الأثري « غارستنغ » البريطاني بالتنقيب عن آثار حاصور في العقد الثالث من هذا القرن فعثر على قطع فخار أكلتها النار ، ويظن ان احراق حاصور على يد يشوع بن نون كان حوالي ١٣٨٠ ق. م وكان احراق حاصور آخر نكبة احدثها يشوع في فلسطين . وعثر في « تل العمارنة » في مصر على رسالة من ممثل فرعون في شمالي فلسطين يذكر فيها حاصور ونهايتها، ولم تعد حاصور الى الحياة بعدئذ ، الا قليلاً بعد نحو اربعة قرون زمن سليمان بن داود ، وقبل الميلاد بنحو سبعة قرون كانت حاصور قد غابت تماماً . وسنة ١٩٢٤ عثرت دائرة الآثار الفلسطينية على قبرين كنعانيين في يافا فيها بقايا عظام وقطع فخار محطم ومقابض سيوف من نحاس . وكان قائد جيش الملك يابين الكنعاني اسمه « سيسرا » وقالت التوراة (القضاة ٤) ان كان لديه ٩٠٠ مركبة حديد وأذل اسرائيل ٢٠ سنة . وكان قائد جيش دبورة اسمه « باراق » ، وكانت المعركة عند نهر قيشون « المقطع » وهذا واقع قرب سهول عكا ، او بين حيفا وعكا .

ذل اسرائيل للشعوب المحيطة بهم

وهذا بيان واضح جمعه المؤلف هـــالي (ص ١٥٨) ينطوي على مدى الذل ، ومدد الاستراحة ، واسم المتسلط واسم المخلص وعدد السنين :

المتسلط		عدد السنين	المخلص	عدد السنين
			القضاة او مدد الاستراحة	
ملوك العراق		٨	عثنئيل بن يهوذا	٤٠
المؤآبيون	حلفاء	١٨	اهود البنياميني	٨٠
العمونيون			شمجر	
العمالقـــة			دبورة	٤٠
			باراق	
الفلسطينيون	حلفاء	٢٠	جدعون	٤٠
الكنعانيون			ابيالك	٣
المديانيون	حلفاء	٧	تولع	٢٣
العمالقـــة			يائير الجلعادي	٢٢
العمونيون		١٨	يفتاح البيتلحمي	٦
الفلسطينيون		٤٠	ابصان البيتلحمي	٧
		١١١	ايلون الزبلوني	١٠
			عبدون الفرعتوني	٨
			شمشون	٢٠
				٢٩٩

(٤) هامان العربي العماليقي ومردخاي واستير اليهوديان

من القصة التي روتها التوراة في سفر استير

كلمة النقّاد في سفر « استير » :

هو آخر الكتب التاريخية في « العهد القديم » ، ويقال ان جمعه كان سنة ١٣٠ ق.م. في ابّان شدائد اليهود في العصر المكابي ، ويعلق على هذا الكتاب المحصون لتاريخ اليهود ، بان اليهود كان من شأنهم في ايام بلواهم ان يلجأوا الى وضع الملاحم وتزيينهـا ، تشديداً للعزائم وبعثاً للحماسة . ومعلوم ان اسفار التوراة لم تجمع كلها في وقت واحد ولا في قرن او قرنين او ثلاثة ،بل امتد ذلك وطال اكثر من الف سنة ، وابتداؤها كان شيئاً قليلا مقصوراً على الكتب الخمسة المنسوبة الى موسى ، ثم صار يضاف اني ذلك أسفار جديدة . وانما في أثناء السبي ، وبعد عودتهم من السبي عكفوا على جمع التوراة ، وكان اوسعهم يداً في ذلك ، عزرا الكاتب ، بل لعل الفضل في ذلك يعود كله اليه ، وقد أجملنا في صفوة ترجمته الكلام على هذه الناحية في هذا الجزء .أما سفر استير فقد جمع بعد موت عزرا وبعد موت استير ومردخاي بقرون .

وجدير بالقارىء العربي ان يعلم هذه الحقيقة في سنة ١٩٤٧ — ٤٨ وفلسطين مضطربة وعلى وشك ان تكون منغمسة بالحوادث الكبرى ، وقع اكتشاف خطير قرب البحر الميت ، وذلك ان احد الرعاة العرب من عشيرة «التعامرة» المقيمة قرب بيت لحم، ويجول أفرادهـــا في جميع المنطقة الجبلية

الجرداء الواقعة بين بيت لحم والبحر الميت ، عثر في احد الكهوف على مجموعة من اللفائف الاسطوانية ، وهو لا يدري ما هي ، فنقل الراعي التعامري ما عثر عليه الى تجار الآثار القديمة في بيت لحم ومن التجار وصلت اللفائف الى أهل الاختصاص من علماء الآثار المسيحيين ، فوجد ان تلك اللفائف النحاسية ما هي الا من اسفار «العهد القديم» ما عدا سفر استير فانه ليس بينها . وهذا يدل على ان وضع هذا السفر كان في القرن الثاني ق.م. كما ذكرنا في اول هذا الكلام ، واسفار التوراة القديمة كان قد انتهى عمل جمعها قبل الآن بوقت طويل . أما العثور على هذه الرقوق ، فقد صرح كبار العلماء المسيحيين ومنهم العلامة الدكتور اولبريت الاميركي بانه أعظم حادث من حوادث العثور على مادة الاسفار القديمة ، ومن الغريب المدهش من باب الاتفاق ان في زمن هرون الرشيد ، عثر عربي في الغور قرب اريحا على مقدار من هذه الطوامير المشتملة على اسفار العهد القديم ايضاً ، ويظهر ان المسيحية لم تستفد منها اذ انتهت تلك الطوامير الى علماء اليهود [1] .

---

(١) من اللذيذ المفيد بيان هذه الملاحظات :

١ – ان مكتشفات هذه الرقوق في الحادثين ، الاول عصر هرون الرشيد ، والآخر سنة ١٩٤٧ اكبر خدمة للمسيحية ، وقد وقع هذا على يد عربيين .

٢ – ان المنطقة الغورية قرب البحر الميت تعد اقليماً حاراً بسبب انخفاضها عن مستوى سطح البحر ، ولما كانت تلك الرقوق مكنوزة في المغارر الصخرية وقد ختم عليها ، فلم يتطرق الفساد اليها كلها ، فبقيت بحالة حسنة الى ان عثر عليها اولاً منذ اكثر من ١١ قرناً وثانياً سنة ١٩٤٧ .

٣ – وليس الموقع الجغرافي الحار هو كل السبب في اختيار هذا المكان لاختزان هذه الرقوق في هذه المغاور الصخرية في المنطقة ، واسمها (قمران) على البحر الميت من الجهة الغربية . بل هناك سبب آخر وهو ان فرقة من اليهود كانت تقيم في هذه المنطقة ، وكان لهذه الفرقة طقوس دينية خاصة تميزها عن فرقتي اليهود الكبيرتين : الفريسيين والصدوقيين ، وعلى هاتين الفرقتين حمل السيد المسيح في دعوته . وبعضهم يقول ان يوحنا المعمدان كان ينتمي الى هذه الفرقة التي كانت تقيم حول البحر الميت في منطقة قمران ، واسم هذه الفرقة هو « الاسينيون » او « المغتسلون » وكان لهم نظام خاص اشبه بنظم الرهبان في العصور المسيحية اللاحقة على مبادىء اشتراكية جماعية .

٤ – يعود تاريخ هذه الرقوق في كتابتها الى القرن الاول او الثاني ق.م . وقد ←

ومما لاحظه النقاد ان سفر استير هذا يخلو كل الخلو من ذكر الله واسمه جلّ وعلا ، ويتألف هذا السفر في التوارة الاميركية او البروتستانتية من ١٠ اصحاحات في ١٤ صفحة ، وفي التوراة اليسوعية مثل هذا وانما اضيف اليه ٦ اصحاحات من جنس «الابوكريفا» غير القانونية والسفر لم يشر قط الى ان هامان فارسي ، وأما كونه اميراً عماليقيا ، فقد سبق ايراد الادلة على ذلك من التوراة .

* * *

وخلاصة القصة الرائعة او المأساة من جهة هامان ، او المخطط الهاماني لمحو اليهود ، فانعكس هذا كله على يد مردخاي واستير الى ضده ، فضرب احشويروش الملك هامان وصلبه هو واولاده ، والقصة هي هكذا :

جرت الحوادث في عهد الملك احشويروش ابن الملك داريوس (عندالعرب دارا) ، وهذان من ملوك الدولة الاخمينية الفارسية ، والفرس من العرق الآري من حيث ارومات الشعوب . ومدة داريوس نحو ٣٦ سنة (٥٢١ — ٤٨٥ ق.م.) ومدة ابنه احشويروش نحو ٢٠ سنة (٤٨٥ — ٤٦٦) وعاصمته شوشن القصر في اقليم المحمرة والاهواز ، او خوزستان ، او عربستان ، وسكان هذا الاقليم قبائل عربية خالصة فتحها العرب في عهد الخليفة عمر ، وكان يحكم هذه الرقعة الامير « خزعل خان » كما سبقت الاشارة الى هذا ، والامير خزعل، خلعه شاه ايران سنة ١٩٤٤ خلعاً فظيعاً . والدولة الاخمينية كانت مدتها نحواً من ٢٧٠ سنة وكان آخر ملوكها داريوس الثالث الذي غلب عليه الاسكندر المقدوني في موقعة اربيلا سنة ٣٣١ ق. م. واحشويروش له اسم آخر في التاريخ اليوناني وهو بالعربية سرخس . وفي القرنين الخامس والرابع كانت الحروب العظيمة بين فارس والاغريق مما هو مبسوط في التاريخ

← وضعت الكتب في شرح هذه الرقوق. وتفصيلها مما لا محل لههنا غير ان العلماء الاختصاصيين في اميركا وأوروبا لا يزالون يبذلون العناية في التعليق على هذه الاسفار . (راجع كتاب « مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران » . للقس جيمس ولبي وابراهيم مطر (١٩٥٧) .

وكان احشويروش من الملوك الفرس الذين ابتلوا بنيران تلك الحروب حلاوة ومرارة ، غلبة له وهزيمة عليه .

ومن سنة ٥٣٨ الى فتح الاسكندر كانت دمشق تحت نفوذ ملوك فارس مدة اكثر من قرنين ، وكذلك كانت فينيقيا تحت النفوذ الفارسي ايضاً ، وكذلك العراق ، وكذلك مصر ، وانما مدة وجود مصر تحت النفوذالفارسي كانت اقصر (٥٢٥ – ٤٠٤) ثم قامت في مصر السلالات الفرعونية الثلاث الاخيرة، من الثامنة والعشرين الى الثلاثين، وكانت مصر في خلال هذه المدة قد تخلصت من النفوذ الفارسي وعادت مستقلة حتى فتح الاسكندر . وفي جزيرة العرب كانت دولة سبأ ، وعاشت ٧٣٥ سنة (٨٥٠ – ١١٥ ق.م) ودولة حمير وعاشت ٤١٠ سنوات (٥٢٥ – ١١٥) والدولة المعينية وهي قبل الدولة القحطانية (سبأ وحمير) واصلها من العراق وكانت قبل هذه القرون وانما نشير الى هذا للفائدة في استيعاب الصورة، هذا ما عدا الدول العربية الصغرى في اليمن الذين يقال لهم الاذواء ، والدولة الجبأية والقتابية وغيرها . هذا في الجنوب ، واما في الشمال فتعبير التوراة عنهم يشتمل على « الاسماعيلية » او بني « المشرق » او « قيدار » .

* * *

حوادث القصة اقتضت ٩ سنوات حتى نضجت واكتملت

حقد الملك احشويروش على زوجته الملكة « وشتي» الجميلة الفتانة ، لانها لم تستجب لطلبه بارتداء اثوابها الملكية والتاج ، والبروز امـــام المدعوين في وليمة ملكية يحضرها رجال الدولة واعيان المملكة فيجتلوا فتنة محاسنهـــا وسحر جمالها : واقيمت هذه الوليمة في السنة الثانية من ملكه (٤٨٣) . فاستاء الملك من أمر وشتي،فأشير عليه بان في المملكة الواسعة الآفاق المشتملة على ١٢٧ ولاية من الهند الى الحبشة ، من الفتيات البارعات من تليق لأن

تكون الملكة بدلا من « وشتي » العاصية عليه يوم الوليمة . فأتخذوا ترتيباً ، وجمعوا له نجوم المملكة ، ففازت بقلبه استير ، وهذا اسمها بالفارسية وأما بالعبرية فأسمها « هداسا » وهذا معناه زهرة الآس او الكوكب . ولم يعرف انها يهودية لما تقدمت للمباراة. ولماتزوجها احشويروش انبسط ظلها على القصر. هذا ما يفيد سفراستير وقاله اليهود للعالم. لكن من اوقع الفساد والضغينة بين الملك والملكة وشتي ؟ ولماذا لم تخرج الملكة الى المهرجان في الوليمة حسب رغبة زوجها الملك ، وهل كان من عادتها مخالفته ؟ ومن كان المحرض للملك بالقول له ان وشتي بذلك العصيان اعطت نموذجاً سيئاً لجميع نساء الامبراطورية حتى يتشبهن بها في الخروج عن طاعة ازواجهن ؟ ليس لدينا تفاصيل الا ما في سفر استير . والمدقق في هذا يستنتج ان حبك المؤامرة كلها تم على يد مردخاي .

* * *

مردخاي بطل القصة ، وهو ابن يائير بن شمعي ، كان من جملة السبي النبوخذناصري ، وكانت استير ، كما يقول السفر ، بنت عمه ، يتيمة لكنها فريدة الجمال الطاغي ، فتولى تربيتها تربية يهودية خالصة ، وهيأها ليوم مقبل . ويظهر ان عدد الفتيات اللواتي جمعن من أرجاء المملكة لاختيار افتنهن ، كان عدداً ضخماً ، وجعل العدد يهبط بالغربلة والتنحية حتى رسا على سبع فتيات . ففازت استير .

واوصى مردخاي استير بألا تبوح باسمها العبري ولا بيهوديتها . وهناك غاية من وراء هذا الكتمان ، وقد بينا هذا في ترجمة عزرا في هذا الجزء . لما صارت استير الملكة ، كان ذلك في السنة السابعة من عهد احشويروش . اما المهرجان او الوليمة فقد كان في السنة الثالثة . ومضى ٣ سنوات حتى تم الاختيار . ثم بعد ان تفوز استير بانها النجم الاول ، عليها ان تبقى سنة اخرى في القصر ، وهي تربى تربية خاصة في الطعام المختار والشراب ، والتعطر والادهان ، لتصلح ان تكون الداخلة على الملك .

ويقول السفر ، وهو يحمل الوقائع او ينسج الخيط ، ان مردخاي كان جالساً في باب الملك فاطلع على مؤآمرة يراد بها العدوان على الملك ، وانك لتدهش حقاً عندما تعلم ان اثنين ، كانا حسب ما اكتشف مردخاي ، هما المتآمرين : بغثان وترش حارسي الباب . فاخبر مردخاي استير بالمؤآمرة ، وهي اخبرت الملك بها بلسان « المخلص » مردخاي . ففحص الملك ودقق فوجد الامر صحيحاً فصلب بغثان وترش . وسجلت هذه اليد لمردخاي في القصر . وكانت استير بعد ان اصبحت في القصر ، تتقيد برغبات عمها او ابن عمها كما لو كانت لا تزال في كنفه في البيت تحت ولايته . فانظر وتأمل! ستذكر بواطن هذه المكيدة عندما تقرأ البروتوكولات .

* * *

ولنمعن النظر في ما تقدم :

ولنستمع الى مردخاي يحدثنا هو كما جاء في السفر الذي جمع باسم استير ، بعد تاريخ الوقائع بزمن طويل : كان هامان بن همداثا الاجاجي (العماليقي) من رجال القصر ؛ والآن حدث ان رقي في منصبه حتى صار في الرتبة فوق جميع الرؤساء ، او ما يعبر عنه في زمننا هذا برئيس الوزراء والعبيد يسجدون له سجود التحية حسب وصية الملك والبروتوكول المراعى. ثم تنتقل القصة في سفر استير فجأة لتخبرنا ان مردخاي ابى ان يؤدي هذه التحية لهامان ، وهامان رئيس الوزراء . فنبهه الحرس والعبيد فلم يرعو ، بل زاد على رفضه اداء التحية بان اعطى السبب الذي رآه ، وهو انه لكونه يهودياً فانه لا يؤدي التحية المرسومة لهامان . ونقول اذا كان يقصد التمويه ان السجود لا يكون الا لآله اسرائيل حسب عقيدته ، فسفر استير جاء كله خالياً من اسم الله على الاطلاق ، ولو كان هذا هو المراد فما أحراه ان يصرح به ويسند السبب الى ان دينه يمنعه من ذلك . اما السبب الحقيقي فهو العداوة بين العمالقة واليهود. وبعد ان وصلت استير الى الصولجان ، ما عادت

تكتم يهوديتها ، وهذا مردخاي يقول انه لم يؤد التحيـة لانه يهودي ، وقبلاً كان يخفي يهوديته هو واستير .

* * *

فقام الحرس باخبار هامان ما كان من مردخاي .

القصة كما هي في السفر ليست متسلسلة الوقائع ، وهي مشبعة بروح عدائية سافرة لهامان . فتنتقل بنا بعد هذا توّاً الى ان تقول ان هامـان غضب على مردخاي، لكن لم يشأ ان يبطش به دون غيره، اذ استصغر ذلك واستقله، بل اراد ان يبطش بقوم مردخاي جميعـاً ، اي باليهود المنتشرين في المملكة ، والمملكة (١٢٧) ولاية .

وعلى هامان ان يبين للملك الاسباب . واجمل السفر هذا بأن قال هامان للملك : « انه موجود شعب ما مشتت ومتفرق بين الشعوب في كل بـلاد مملكتك ، وسننهم مغايرة لجميع الشعوب ، وهم لا يعملون سنن الملـك ، فلا يليق بالملك تركهم» . فوافق الملك على ابادتهم . فاتخذ هامان الوسائل للتنفيذ في ١٣ آذار وهو الشهر الثاني عشر من السنة الفـارسية . وانفذت الاوامر السلطانية الى الآفاق على ان يمحى اليهود جميعاً في يوم واحد ، وفيهم الشيوخ والاطفال والنساء . وهذه خلاصة المرويّ في سفر استير (الفصل ٣) .

* * *

ويعلم من السفر ان اليهود كانوا وقتها متفرقين في ارجاء المملكة، «وفي كل كورة حيثما وصل اليها امر الملك وسنته كانت مناحـة عظيمة عند اليهود وصوم وبكاء ونحيب» . فجاء مردخاي الى القصر وهو لابس مسح المناحـة وعليه الرماد ، فدخلت الجواري على استير واخبرنها بحالة مردخاي، فأرسلت اليه ثياباً لائقة ، لينزع مسحه عنه فلم يقبل وابى . فأرسلت اليـه خصياً مؤتمناً يسأله السبب في أمره هذا ، فأعلمه بمـا دبر هامان من خطة بموافقـة الملك لابادة اليهود الذين في المملكة ، وان نفقات هذا العمل تؤدى من خزانة

الملك ، واطلعه على صورة المرسوم الملكي الذي اطلق الى ارجاء المملكة لتقع الابادة في وقت معين في جميع الولايات . وطلب مردخاي بواسطة الخصي المؤتمن ان تدخل استير على الملك وتطلعه على هذا كله . فوقعت استير في مأزق حرج ، اذ لا يجوز الدخول على الملك الا لمن يدعى من قِبَله ومن دخل غير مدعو ولم يرفع الملك له قضيب الذهب علامة الرضى عند دخوله ، قتل . فأجابت استير مردخاي بهذا الاعتذار ، فرد عليها «مردخاي»– او عمها ، او ابن عمها ، او احد «حكماء صهيون» :

« لا تفتكري في نفسك أنك تنجين في بيت الملك دون جميع اليهود. لانك ان سكتّ سكوتاً في هذا الوقت ، يكون الفرج والنجاة لليهود من مكان آخر ، واما انت وبيت ابيك فتبيدون . ومن يعلم ان كنت لوقت مثل هذا وصلت الى الملك (الاصحاح الرابع) .

اقرأ البروتوكول السابع عشر وهو ينص على ان «للقبالا» ان تقتل اليهودي الذي لا يفي بواجباته نحوها من الاعلام والتجسس .

* * *

هنا الروح اليهودية تتكلم وقت جمع هذا السفر في الحروب المكابية .

انت انما جئت القصر لتخدمي قومك اليهود !!

لا تظني انك ان لم تفعلي هذا ، ونجا قومك بطريقة اخرى ، تبقين أنت حية ! نرجو من القارىء ان يقابل هذا الكلام الذي أنذر به مردخاي ربيبته استير ، بما جاء في البروتوكول السابع عشر . فمن **القبالة** اليوم في القرن العشرين تتألف الهيئة الخفية التي بيدها الاوامر والنواهي السرية والمعبر عنها باليهودية العالمية .والأمر السري بالقتل يصدر منها .وننقل هنا معنى فقرة واحدة من هذا البروتوكول ، وهي تتعلق بأن من الواجب على كل يهودي أن يبلغ هيئة **القبالة** عن أي شيء يضر باليهودية ، فان لم يفعل يجازى ويحاسب حساباً عسيراً ، والحساب العسير المقصود هو القتل ، وان لم تصرح به مادة

البروتوكول بهذا اللفظ، وقد ورد ذكر استباحة الدماء في البروتوكولات في مواطن عديدة، وانما هنا يقع القتل للشخص المقصود لا لأنه اقترف جرماً ما، كلا، بل لأنه علم بأمر ضار لليهودية فلم يبلغ هيئة القبالة ما يعلم، فانظر وتأمل. وكان مردخاي يقول لاستير: ما أنت هنا في القصر ملكة إلا لخدمة قومك اليهود، فان لم تفعلي فستقتلين ولا يعصمك من القتل كونك الملكة زوجة احشويروش الممتد ملكه على ١٢٧ ولاية من الهند الى الحبشة.

* * *

فاذعنت استير، وانصاعت الى انذار مردخاي وأيقنت انها ملاقية المصير الذي انذرهابه ان هي لم تفعل ما امرها به. فأجابته: اني ادخل الى الملك خلاف العادة، فاذا هلكت هلكت. ولا بأس ان نجتزىء باللباب. وللقارىء ان يطلع على القضية بكاملها في السفر، اذا شاء.

١ - ارتدت ثوباً ملكياً ودخلت، فلما وقع نظره عليها فجأة خلبته، وسبت عقله، فرفع لها قضيب الذهب علامة الرضى، فدنت ولمست رأس القضيب، فسألها ما طلبها فطلبت ان يأتي الملك ومعه هامان الى وليمة خاصة. فلما حضرا، وعند شرب الخمر قال لها الملك ما هو سؤلك تعطينه ولو بلغ نصف المملكة. فقالت ان يأتي الملك وهامان الى الوليمة التي أعملها غدا حسب أمر الملك.

٢ - خرج هامان طيب القلب فرحاً وسره انه هو الوحيد المدعو مع الملك. لكنه وهو خارج، ابصر مردخاي في باب القصر مصعراً خديه، فاغتاظ هامان، فأخبر زوجته واصدقاءه عن تمرد مردخاي وانه كلما رآه في القصر اضطرب اضطراباً. فأشاروا عليه أن يصلبه في الصباح على خشبة علوّها خمسون ذراعاً.

٣ - في تلك الليلة أرق الملك أرقاً جعله يقتل وقته بمراجعة اخبار الايام وحوادثها تقرأ عليه، فوجد مكتوباً قصة تلك المؤامرة المزعومة وما

لمردخاي من فضل عليه ، فأمر بأن يكافأ بأن يلبس حلة ملكية ويمتطي جواداً ملكياً وعلى مفرقيه تاج الملك ، ويمسك بزمام الجواد احد الاشراف الذين حول الملك ، ويطاف به هكذا في ساحة المدينة. واذا بهامان قادم صباحاً ليطلب من الملك الموافقة على صلب مردخاي ، فيجد الملك يأمره بأن يكون هو الممسك بزمام الجواد ، وقال له : « وافعل هكذا لمردخاى اليهودي الجالس في باب الملك » ، ففعل هامان ما أمر به . ورجع مردخاي الى القصر ، وأما هامان فذهب الى بيته واصحابه وزوجته ، فقالوا له ولا سيما زوجته زرش : هل بلغ الأمر ان تسقط قدام مردخاي من نسل اليهود ؟ . وبينما هم كذلك جاءه الرسول يطلبه الى الوليمة .

٤ - فلما جلس الملك وهامان عند استير الملكة ، سألها الملك وهو يتعاطى الشراب ما سألها سابقاً ولو بلغت طلبتها نصف المملكة ، فقالت : « اذا حسن عند الملك فلتعط لي نفسي بسؤلي وشعبي بطلبتي ، لاننا قد بعنا انا وشعبي للهلاك والقتل والابادة » ، فسألها ، « ومن هو الذي يتجاسر على ان يفعل هذا ؟ فقالت هو رجل خصم وعدو ، وهذا هامان الرديء » .

٥ - فارتاع هامان وتزلزل . فانتقل الملك الى الحديقة مغتاظاً ، فوقف هامان يتوسل عن نفسه الى استير . ولما رجع الملك من الحديقة الى ردهة شرب الخمر « وهامان متواقع على السرير الذي كانت استير عليه » ، قال : « هل ايضاً يكبس الملكة معي في البيت ؟ » ، ولما خرجت الكلمة من فم الملك ، غطوا وجه هامان . فقال احد الخصيان : « هو ذا الخشبة التي هيأها هامان لمردخاي الذي تكلم بالخير نحو الملك قائمة في بيت هامان ارتفاعها خمسون ذراعاً فقال الملك : اصلبوه عليها ، فصلب .

٦ - « ونزع الملك خاتمه الذي اخذه من هامان واعطاه الى مردخاي » وصار مردخاي محل هامان في القصر . وجثت استير وتضرعت ، بان يأمر الملك بابطال تدابير هامان المطلقة الى ارجاء المملكة . وقالت : « لانني كيف استطيع ان ارى الشر الذي يصيب شعبي وكيف استطيع ان ارى

هلاك جنسي ؟ » .

٧ – فكتب مردخاي الى المرازبة والولاة ورؤساء البلدان ، والى اليهود جماعته « من الهند الى كوش (الحبشة) ١٢٧ كورة » والى كل شعب بلسانه وختم الرسائل بخاتم الملك ، واطلقت برد الخيل والبغال بـني الرّمك » .
ويحتوى الرسائل ان يقف اليهود في كل مدينة« ويهلكوا ويقتلوا ويبيدوا قوة كل شعب وكورة تضادهم ، حتى الاطفال والنساء ، وان يسلبوا غنيمتهم في يوم واحد » . وهذا يدلنا على شيئين خطيرين :

اولاً – ان اليهود كانوا منتشرين في جميع المملكة مع وجودهم في السبي ، وثانياً – ان الكراهة لهم كانت عامة في جميع الشعوب التي ارسلت اليهاتلك الرسائل .

٨ – وخرجت مدينة شوشن فرحة ، ولليهود بهجة ، مقرونة بالولائم الطنانة ، « وكثيرون من شعوب الارض تهودوا لان رعب اليهود وقع عليهم » . هكذا يقول السفر ! .

٩ – « فضرب اليهود جميع اعدائهم ضربة سيف وقتل وهلاك وعملوا بمبغضيهم ما ارادوا » قتلوا في شوشن القصر خمس مئة رجل . ابناء هامان العشرة قتلوهم ثم صلبوهم في اليوم الثاني ، وهم : فرشنداثا ، ودلفون ، واسفاثا وفوراثا ، وادليا ، واريداثا ، وفرمشتا ، واريساي ، واريداي، ويزاثا [١] .

١٠ – ثم قتلوا في شوشن القصر ثلاث مئة رجل . « واستراحوا من أعدائهم وقتلوا من مبغضيهم خمسة وسبعين الفاً ... في اليوم الثالث عشر من شهر آذار واستراحوا في الرابع عشر منه وجعلوه يوم شراب وفرح » .

---

(١) في الترجمة اليسوعية (الفصل التاسع) نرى هذه الاسماء على هذه الصورة بلا خلاف سوى ، ان « الثاء » الاخيرة وبعدها ألف في خمسة من هذه الاسماء وردت « تاء » والاسم الاخير اوردته الترجمة اليسوعية « ايزاتا » . و « هامان بن همداثا الاجاجي » اوردته اليسوعية « هامان ابن همداتا الاجاجي » أي الثاء تاء .

اذا كان هذا صحيحاً كله او بعضه من حيث عدد القتلى ، فهنا باب للسؤال وهو : اذا كانت الشعوب التي في مملكة فارس المنبسطة من الهند الى الحبشة في ١٢٧ ولاية ، ويقطنها من الشعوب والامم على اختلاف الالسنة عدد ضخم كبير ، وهذه الشعوب والامم تكره اليهود كما يقول السفر ، فهذه الكراهة ليست من صنع هامان بن همداثا الاجاجي العماليقي ، وهو بمختلف وسائله اعجز على كل حال من ان يملأ قلوب الشعوب والامم بمثل تلك الكراهة العميقة الجذور ، فهامان اذا بسط للملك من امر تلك الكراهة لليهود ما بسط ، فهو في ذلك لم يعد الحقيقة شعرة ، واما الذي بذر بذور تلك الكراهة لليهود هم اليهود انفسهم لا غير [1] . وكذلك في الزمن المعاصر ، فمنذ قامت الحركة المسماة « باللاسامية » في اوروبا الوسطى في الربع الاخير من القرن الماضي وشاعت في كثير من البلدان الاخرى ، جعل اليهود ينسبون السبب في « اللاسامية » الى بعض المسيحيين وجعلوا مستندهم في هذا الزعم « الدين اليهودي » وهذا كله باطل ، فان « اللاسامية » في عاري حقيقتها حركة يهودية مصطنعة خلقها حكماء صهيون للاستغلال ، وانما تمكنوا من نشر التضليل حول هذه الحركة بسبب ما وضعوا من الكتب حولها للخديعة وما لهم من اجهزة دعائية خبيثة علنية وسرية ، وهذا كله مبسوط مستوفى في « البروتوكولات » .

١١ – وكتب مردخاي الى جميع اليهود في المملكة ان يعيّدوا في اليوم الرابع عشر والخامس عشر ... ودعي هذا العيد عيد « الفوريم » اي القرعة لأن هامان القى قرعة لافنائهم .

* * *

---

(١) بعد ظهور المسيحية اشتد الويل على اليهود شيئاً فشيئاً في الامبراطورية الرومانية ، الغربية والشرقية ، وكان الملك قسطنطين الكبير يلقبهم في المنشور القيصري «بالشعب المكروه» وبين عصر احشويروش الفارسي وعصر قسطنطين الكبير اكثر من ٨ قرون والكراهة لليهود تطرد وتزداد ، وظلوا هكذا حتى جاء الاسلام في القرن السابع فنعموا في مرابع حضارته ، ولا سيما في الاندلس . (راجع تاريخ الاسرائيليين لابكاريوس ص ٨٠ طبع ١٩٠٤)

هذا العيد يحتفى به كل سنة على غير انقطاع وفي كل بلد فيها يهود، ويقال له « البوريم » – وفي التوراة « فوريم » – وله شأن كبير عند اليهود قاطبة حتى اليوم وغداً ، وهو مجلى غرائزهم ، ومظهر شراستهم ، فانهم في كل سنة يخرج منهم الى الاسواق في المدن المختلطة افراد وجماعات متنكرين زيـاً ولباساً ويأخذون بالاعتداء على غير اليهود ، احياء لذكرى ما صنعوا وقت استير ومردخاي ، قبل اليوم بخمسة وعشرين قرناً . ويهيجون وهم يعتدون على المخازن التجارية واتلاف السلع، هياج السائمة . ويحرضهم على هذا طبقـة متزمتة من الحاخامين الذين يمارسون جنايات الدم – خطف الاشخاص من المسيحيين والمسلمين وقتلهم وتصفية دمائهم واستعمال الدم في طقوس دينية – وعيد البوريم في فلسطين ايام الانتداب البريطاني كان يشتمل كل سنة على عدة حوادث عدوانية يقوم بها اليهود الذين ذكرنا صفتهم انتقاماً من العرب. وروح الانتقام هذه في صدور اليهود غير مقصورة على شعب بعينه من شعوب العالم، بل موجهة الى جميع البشر ، ومتى ما علمنا ان اليهود في العالم هم جزء قليل لا يجاوز الواحد من المئتين والخمسين ، ادركنا ان هذا الخلق فيهم هو اكثر من مجرد احياء ذكرى ، بل هو غريزة شاذة لأذى الانسانية . وهذه الروح هي النقطة المركزية في البروتوكولات ، وبوسع القارىء ان يقابل بين هذه الروح وكثير من الوقـائع المشابهة لحوادث عيد « البوريم » في كل دور من ادوار تاريخهم .

واما «سفر» استير فأنه يقرأ في الجامع اليهودية كل سنة ، وقد ثابر اليهود على هذه العادة منذ ٢٥ قرنـاً . واسم استير عندهم هو «هداسا» وفي التوراة «هدّسة» وفي فلسطين مؤسسة مستشفيات يهودية اسمها «مستشفيات هداسا » اكبرها المستشفى الذي في جبل الزيتون المطل على القدس . .

* * *

ما ذكره الطبرى حول استير

وحريٌ بالقارىء العربي، وهو يطلع على غرائب هذه «اليهوديات» في النصف الثاني من القرن العشرين، ويعلم ان الكشف الحديث، والبحث العلمي، والتنقيب الاثري، كل هذا من ثمراتـه ان يزيح شيئاً فشيئاً من الحجب والسجف التي تستر ما يريد اليهود ستره من خفاياهم – حري بالقارىء أن يسأل: هل لاستير ومردخاي اليهوديين من ذكر في التاريخ العربي الاسلامي؟

ونجيب على هذا بان ما ذكره التاريخ العربي الاسلامي من أمر استير، ما هو الا خلاصة مبهمة، ضائعة بين الاسطورة ورشاش من الحقيقة. ونأخذ مثالاً على هذا الطبري، شيخ المؤرخين (٨٣٩ – ٩٢٣ م) وقد عاصر جملة من خلفاء بني العباس، الواثق بعد المعتصم الى المقتدر وهؤلاء نحو عشرة، وكان اليهود في هذا العصر يرتعون في بحبوحة الخير في ظل الدولة العباسية في المشرق والدولة الأموية واماراتها في الأندلس والمغرب، وكانت الأساطير والآراء النابعة من المصادر اليهودية، قد تسربت ودبت حتى وصلت الى كثير من التفسير والحديث وكتب التاريخ والسّيَر مما عرف **بالاسرائيليات**، حتى رأينا بعد ذلك قوافل من الحقائق العربية الاسلامية بحاجة الى ان ينفى عنها زيغ ما لصق بها من **الاسرائيليات**. وكانت **الاسرائيليات** من مفسدات التاريخ.

* * *

ذكر الطبري موجزاً سطحياً لقصة استير كما تهيأ له أن يأخذها من مصادره، وذكر مردخاي، غير انه في قصة استير لم يعرج على هامان بقليل او كثير. أما الأسماء فان **احشويروش** في الترجمة الاميركية للتوراة هو عند الطبري **احشوارش** ومردخاي هو **مردخي** واستير **اشتر**.

وبعد ان ذكر الطبري اتساع رقعه المملكة بقوله «وملك بابل الى ناحية الهند والحبشة وما يلي البحر» قال: «و تزوج من سبي بني اسرائيل امرأة يقال لها اشتر

ابنة ابي جاويل ، كان رباها ابن عم لهـا يقال له مردخي ، وكان اخاها من الرضاعة ، لأن أم مردخي ارضعت اشتر ، وكان السبب في تزوجه اياها قتله امرأة كانت له جليلة جميلة خطيرة يقال لهـا وشتا ، فأمرها بالبروز ليراها الناس ليعرفوا جلالها وجمالها فامتنعت من ذلك ، فقتلها ، فلما قتلهـا جزع لقتلها جزعاً شديداً . فأشير عليه باعتراض نساء العالم ففعل ذلك وحببت اليه اشتر صنعاً لبني اسرائيل .. وكان ملك احشوارش كان اربع عشرة سنة . وقد علمه مردخي التوراة ودخل في دين بني اسرائيل ، وفهم عن دانيـــال النبي .. ومن كان معه حينئذ مثل حننيا وميشايل وعازريا فسألوه بأن يأذن لهم في الخروج الى بيت المقدس .. » والمراد بقول الطبري انها تزوجته صنعاً لبني اسرائيل أي خدمة لقومها (الطبري ١ : ٢٨٤) . والمهـــم في قول الطبري ان احشوارش دخل في اليهودية على يد مردخاي . راجع في هـذا الكتاب ترجمة دانيال .

٥ ـ البناة الاول «لحكماء صهيون»

الأنبياء : حزقيال ــ عزرا (عزير) ــ نحميا ــ دانيال

من حزقيال ودانيال وعزرا (عزير) ونحميا واستير ومردخاي ، وارميا، من هؤلاء الذين عرفناهم عن طريق التــوراة ، وترددت اسماؤهم وقت سبي نبوخذ ناصر لاورشليم ، وتخريبه الهيكل ، وهدمه المدينة ، واخذه الكنوز التي استطاع العثور عليها في الهيكل - وهي رأس مال كل يهـودي قديم وحديث - وبعد سبيه الشعب اليهودي الى بابل العراق بحيث لم يبق في المنطقة اليهودية والقرى المحيطة بها الا الضعفة وقليل من الزراع والعملة ، ولا شأن لهم جميعاً - من هؤلاء البناة الاولين لمنهج « حكماء صهيون » الى دزرائيلي ، و « احد ها عام » ، ووايزمن ، وجابوتنسكي ، وبن غوريون ، ومسافة الزمن لا تقل عن ٢٤ قرناً - ترى انسياب الغرائز اليهودية مطـّرداً يتخلل الاجيال كلها ، نابعاً من خلق له خفاياه وبواطنه ، وفي هــذه المواطن المبهمة العميقة ، تكمن اسرار اليهودية فهي ابـــداً تتلون ، لكنها في اصل عنصرها ومادتها لا تتغير .

وسواء علينا ، أبـدأنا بحزقيال وانتهينا بهرتزل ، ام بهرتزل وانتهينـــا بحزقيال ، فالاربعة والعشرون قرناً ، وهي قرون تفاعل بـين امم العالم على وجه الارض ، وتلاقح في الدم والفكر والفن والصناعـــة ، بحيث شارك في هذا التفاعل والتلاقح كل جنس من الاجناس البشرية - على قـــدر طاقته ، فهذه السلسلة من القرون - عجزت وستبقى عاجزة ، عن ان تنقح شيئاً قـل ما قل ، من الغرائز اليهودية ولا سيا في جذورها واصل جرائيها . اليهود ،

من اول امرهم في الوجود ، يمثلون كتلة بشريـــة شاذة ، قامت على الانفراد والاثانية ، والابتلاع ، وتأبى الانصهار الحضاري في اي بوتقة حضارية عاش فيها اليهود او احتكوا بها . حزقيال ورفقته ، هم اول من مثل الدور الاول في تهيئة النسيج الذي عرف نظامه فيما بعد « بحكماء صهيون » ، فلنضع صورة مجملة امام القارىء ، لكل واحد من هؤلاء « الانبياء » الذين وهم في السبي في القرن السادس قبل المسيح ، كانوا الحلقة الاولى من «الحكماء» الذين هم يؤلفون بالامتداد والاطراد ، القوة اليهودية العالمية السرية ، وغايتهـــم الوصول الى التسلط الموهوم على العالم بعد محاولة نسف المسيحية والاسلام .

* * *

انبياء بني اسرائيل ، هم كما وصفهم الكاتب العالمي المؤرخ « ولز » في كتابه « موجز تاريخ العالم » ، على الغالب ساسة في مسوح الانبياء . وكانوا ثلاثـة اصناف : الانبياء الذين كانوا حول الملوك ، ولهم مجاذيفهم في السفينة ، فاذا كانوا مع الملك ، والملك شرير ، احترقوا ، وان كانوا مـع الشعب فالسجون والنطوع مهيأة . وقتل أي نبي من هؤلاء اهون من ذبح شاة . واحياناً ، لا بأس ان يكون القتل داخل الهيكل ، عند قدس الاقداس .

ولذلك لما صرف ارميا ٤٠ سنة في التنبؤ ، آخرها لمـا جاء نبوخذ ناصر ليؤدب صدقيا آخر ملوك يهوذا ، ويسوقه اسيراً مكبلاً الى بابل ، بعد ان سمل عينيه ، وقتل اولاده بين يديه ، في اريحـــا ، خاطب ارميا اورشليم بقوله : « لانك منذ القدم كسرت نيرك ، وقطعت قيودك ، وقلت لااتعبد. لانك على كل اكمة عالية ،وتحت كل شجرة خضراء انت اضطجعت زانية »[1].

وكان ارميا ينصح صدقيا الا ينقض عهد العبودية لنبوخذ ناصر فلم يستمع هذا اليه ، فتنبأ ارميا وصدقت نبؤته : « في ذلك اليوم ، ... يخرجون عظام ملوك يهوذا ، وعظام رؤسائـه ، وعظام الكهنة ، وعظام الانبياء ،

(١) سفر ارميا الاصحاح الثاني .

وعظام سكان اورشليم من قبورهم ، ويبسطونها للشمس والقمر ولكل جنود السموات التي احبوها،والتي عبدوها والتي ساروا وراءها ، والتي استشاروها، والتي سجدوا لها ، لا تجمع ولا تدفع ، بل تكون دمنة على وجــه الارض ويختار الموت على الحياة عند كل البقية الباقية من هــذه العشريرة الشريرة الباقية في كل الاماكن التي طردتهم [١] اليها » . وكأن ارميا يصور ما وقع لقومه من الفواجع جزاء تمردهم.واتى نبوخذ ناصر على هذه«العشيرةالشريرة».

* * *

والصنف الثاني من انبيائهم كان يقال للواحد منهم « الرائي » من رأى ، وهذا ادنى منزلة من « نبي » وارفع من الرجل العــادي ، لكنه يسير في في اتجاه « الساسة » ، و « الرائي » عدده وافر ، اذ لا يحتاج من العدة الا الى شيء من بارع الفراسة وصحة الملاحظة [٢].

والصنف الثالث هم الذين يقال لهم « الانبياء الكذبة » ، تجار ، باعـة ، وحملة مجامر الملق والدهن ، وعددهم بالمئات لا العشرات . لما اجتمع بهم النبي « ايليا » - الياس - على جبل الكرمل ، في القرن التاسع ق. م. كانوا ٤٥٠ من انبياء البعل ، و ٤٥٠ من انبياء موائد الملكة ايزابل زوجة الملك آخاب (ابتداء مدته ٩١٨) [٣] .

فلنتكلم عن بعض انبياء الطبقة العاليــة ، والذين يطلق عليهم « الانبياء الكبار » الذين من ايديهم انتشرت بذور « حكماء صهيون » :

* * *

---

(١) سفر ارميا الاصحاح الثامن .

(٢) للاستزادة من العلم بهذا الموضوع راجع كتاب الدكتور حسن ظاظا وقد علقنا عليه في ص ٥٢و٥٣ من الجزء الاول .

(٣) سفر الملوك الاول - الاصحاح ١٨ .

(١) حزقيـــال

هو حزقيال بن بوزي ، ظهر في آخر مدة ملوك يهوذا ، قبيـــل زحف جيش بابل من العراق ، وكان من جمـــلة السبي (في القرن السادس ق. م.) ورتبته الكهنوتية عالية ، وهناك في العراق سكن في ناحية على نهـر الخابور ومكان اسمه بالعبرية « تل ابيب » ، وصار بيته نادياً يرتاده الشيوخ ، فيعظهم حزقيال ويبكيهم ، ويذكرهم باورشليم . وما مضى عليه اكثر من خمس سنين وهو دائب في عمله من التذكير والتوبيخ والاستنهاض ، حتى شرع يتنبأ ، او يستأنف عمله الذي كان قد بدأه في اورشليم ، ومدة نبوتـه كلها في اورشليم وعلى الخابور اكثر من ٢٢ سنة . حزقيال كان معاصراً لارميا ، وارميا بعـد فتكة نبوخذناصر آثر البقاء في القدس ،ولا ندري كيف استطاع ذلك ، ثم انتقل الى مصر لاجئاً وقضى هناك . وهو معاصر لدانيـال ايضاً ، ودانيال استاقه السبي الى العراق ايضاً ، لكنه وقت السبي كان صغيراً في الرابعـة او الخامسة .

وحزقيال ماتت زوجته وهو في الخـابور ، فظل متابعاً سيره في نبوته ، واشتهر امره حتى لقب «بنبي السبيّ» ، كما لقب زميله ارميا «بالنبي البكّاء» من كثرة انتحابه على اورشليم . ويهمنا ان نعلم من أمر حزقيـــال ما صنعه وقت السبي :

١ – جعل منزله نادياً للشيوخ ، فاستطـاع بهذا ان يجمع الحلقات حوله ويبث فيهم من الآراء ما يريد ، جارياً في هذا على اوتار حساسة جامعة بين التأنيب والايقاظ والتحريض .

٢– فاكتسب ثقة الشيوخ ، حتى صار امينهم ومشكى الجماعة في المسائل والمشكلات ، وأمست اسرارهم عنده .

٣ – وصف الكتّاب التوراتيون اسلوبـه في الكلام والخطابة بأنه حماسي مثير ، ملهب للشعور .

٤ – وعندما يرى شدة الاستماع اليه، كان ينتقل بهم الى التوبيخ والتقريع، ويبين لهم ان ما اصابهم من سبي وتشريد، سببه انهم عصاة ، لم يلوذوا «بتوبة»، فجاءت المصائب تجازيهم على اعمالهم الباطلة، وتلك المجازاة قد حلت بهم وهي ستظل حالة بهم ما داموا في السبي تحت حكم الكلدان خارج اورشليم .

٥ – لكنهم يستطيعون ان يعودوا ، اذا تابوا حقاً .

٦ – وكان همه في المقام الاول ان يعنى عناية خاصة باجتذاب الشباب الذين نشأوا نشأتهم الواعية في تل ابيب الخابور ، ولم يشهدوا يوم نبوخذ ناصر في اورشليم

* * *

ان عمل حزقيال على هذا المنوال ونحو الغاية الكبرى، وهي اعداد الجيل الجديد في السبي للعودة الى اورشليم ، مع عمل عزرا الكاتب في هذا المضمار ايضاً من ناحية اخرى – هذان العملان معاً – كانا اكبر عامل في فتح ابواب الخيال الاسطوري مما ادى الى نتائج كبيرة في الاجيال المقبلة . واول النتائج الخطيرة ، جعل اليهود في السبي يقبلون على المناخ الذهني الفكري اقبالاً مهّد الطريق لظهور «التلمود» بعد عدة قرون وبعد ان خرب الرومان اورشليم سنة ٧٠ ب.م والتلمود هو العجيب الغريب ، فالتربة الاولى لنبتته هي هنا ، وهو كنز وذخر لمختلف الاخيلة الجامحة من ناحية ، وغير المعقولة من ناحية اخرى ، ومن التلمود خرجت «القبالة» ومن القبالة خرج منهج «حكماء صهيون» الذين اتخذوا البروتوكولات دستوراً عملياً خفياً سرياً لهم وهذا يراه القارىء مبسوطاً في الجزء الرابع من هذا الكتاب .

وحزقيال في آخر حياته، جهل أمره ، وتوارت اخباره ، لكن الاساطير التي تعلقت به جعلت تغلفه بهالة بعد هالة من التعظيم . وقبره على شاطىء الفرات عند احد فروعه ، ولا يعلم تاريخ بنائه وهو عند اليهود مزار مقدس حتى اليوم ، غير اننا لا نعلم مصيره بعد سنة ١٩٤٨ ، ومع الزمن ولا سيما في عصور الدولة العربية الاسلامية ، رتع اليهود في ظل وارف من الامن والدعة،

مما لم يتذوقوه في سالف ايامهم ، فبنوا القباب على القبر، بعد الف سنة من عصر حزقيال ، وظلت الاساطير في أثره ، ومن هذا ان كان فوق القبر قنديل يبقى مضاء ليل نهار وان حزقيال أول من أضاءه فلم ينطفىء بعد . قلنا : ولكنه انطفأ ولا مرد . وجعلوا له المواسم والاعياد ، والزيارات والنذور .

فحزقيال ، بلغة الواقع المجرد ، عارياً من الاساطير ، هو منظم حال الجالية اليهودية في السبي ، المهيء للجيل الجديد للعودة الى اورشليم ، وسنرى كيف ان الخيوط اليهودية التي غزلها هو وانداده من الانبياء في اثناء السبي قد اثمرت التلمود ، ومن التلمود انبثق « منهج حكماء صهيون » ويستطيع القارىء ان يدرك الآن ما اشبه مخطط حزقيال بمخطط «احد ها عام» المترجم في الجزء الاول .

وحزقيال احد « الانبياء الكبار » عند بني اسرائيل ، وغير حزقيال من « الكبار » ، هوشع وعاموس وميخا ، وارميا واشعيا ودانيال . وايليا (الياس) من اول الكبار ، وانما المراد بالكبار لا جميع الانبياء بل الذين دونت نبواتهم ثم جمعت في « العهد القديم » اسفار معلومة . وايليا ، لا سفر له في التوراة لان نبوته لم تدون بل تنوقلت بالرواية التي غمرتها الاساطير .

* * *

٢ ــ عزرا الكاتب او عزرا الكاهن

(هو في القرآن الكريم عزير)

هو احد الذين مثلوا في السبي ذلك الدور الخطير المتعلق بالعودة ، ومما اجملناه في ايجازنا الكلام على حزقيال . ونرى الآن ان الدور الذى اتقن عزرا القيام به ، ارتفع بصاحبه الى ذروة الذرى حتى قالوا فيه ان الله اذا كان لم يعط الالواح الى موسى فما احرى ان يعطيها الى عزرا . بعبارة اخرى ، ان

اليهود وهم في السبي كأنهم قد خلقوا مرة اخرى . وعزرا من ابطال «الرواية» ابتداء واختتاماً . واما الحياة الخاصة لعزرا، فلا نعلم عنها شيئاً الا ما نسجته الاساطير اللاحقة . وهو عاش حياة طويلة ، وأما اين مات فأمر مجهول ، لذلك ضاع قبره بين ان يكون في العراق او في فلسطين .

صفوة عمله :

١ — انه قد وصف في التوراة (سفر عزرا ٧ : ٣) بهذه العبارة : «عزرا هذا صعد من بابل (الى اورشليم) وهو كاتب ماهر في شريعـة موسى » . ويفسر اليهود الكتابة هنـــا بمعنى القدرة الكتابية ، لا النسخ وتعاطيه صناعة . لذلك لقب عندهم بعزرا الكاتب او عزرا الكاهن .

٢ — لما صنع دوره على ما نرى الآن ، غالى فيه قومه غلواً عظيماً ومما قالوا فيه : « عزرا اوجـد حل البقاء لاسرائيل فهو من اسرائيل عن طريق التلمود ، كموسى عن طريق التوراة . وكما ان موسى خلق امة من العبودية ، كذلك خلق عزرا امة من السبي ، وكان حرياً بأن يعطي الله التوراة على يد عزرا لو لم يعطها على يد موسى[1] » . وهذا القول يعزى الى مجلس «السنهدرين»[2] .

---

(١) المقدمة من كتاب «التلمود» بالانكليزية Everyman's Talmud لمؤلفه أ . كوهين .

(٢) السنهدرين مجلس علماء اليهود الاعلى وظهر هذا المجلس بعد الرجوع من السبي، وهو راشح من تعاليم حزقيال وعزرا ودانيال واستير ومردخاي ، او هو الروح اليهودية في السبي ، ثم تجسدت وتجسمت في اورشليم بعد العودة . ظاهره هيئة علماء وباطنه مجهول حتى لعامـــة اليهود ولما جاء الرومان لم يعارضوا به بل ابقوه وجعلوا امرهم منه على حذر وسلطته دينية في الظاهر وله سلطة جزائية قضائية الى حد ما . كان مؤلفاً من ٧٠ عضواً . بعد خراب القدس انتقل الى طبريا في القرن الاول . ثم كافحته دولة الروم الشرقية بدورها ، فصـــار يظهر ويختفي ، ثم انقلب الى مستودعات الاسرار اليهودية ، وهو ينبوع جرت ميـــاهه الى التلمود . فالسنهدرين ، وأصل الكلمة يوناني لا عبراني ، من الروافـــد التي تصب في التلمود ، وهو اسبق وجوداً من التلمود بقرنين الى ثلاثة . وقد مر ذكره في هذا الجزء في باب «التوراة واسفار العهد القديم» .

وهؤلاء الغلاة من اليهود ، والغلو عندهم صناعة تستغل ومنهـــا فائدة لهم ، هم الذين احفادهم قالوا بعـــد اليوم بنحو ١١ قرناً في موسى بن ميمون : « من موسى الى موسى لم يقم مثل موسى [١] وقال الفيلسوف القبـالي اليهودي موسى مندلسون ، وكان مقرّباً من فردريك الكبير على نحو موسى بن ميمون من صلاح الدين ، يصف بقاء الروح اليهودية رغم صروف الزمن : « ايها الموت ! انك قطعت الشجرة وابقيت ثمرها فلم تقض عليها كلها بل على بعضها . وحكمته منقوشة في الصحف والالواح ، ولا يزال يناقش احباءه في كلماتها ومعانيها وعلومها ، لكنه لا يناقش بالشفاه واللحم والغبار والرماد ، ولا بالكلمات والاموات ، بل بالروح فقط ».

٣ - وذهب فريق عظيم من اليهود في تعظيمه الى حد تأليهه . وبسبب هذا ، جاء ذكره في القرآن الكريم بالاستنكار : « وقالت اليهود عزير ابن الله .. قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهـــم الله انى

---

(١) موسى بن ميمون وكنيتـــه ابو عمران ، طبيب في الصناعة وفي الفلسفة احد تلامذة الفيلسوف العربي ابن رشد في الاندلس . وموسى بن ميمون معروف عند العرب منهذه الناحية ، فهو من اليهود الذين ظهروا في حمى الدولة العربية الاندلسية . وكان مقامـه قرطبة ، فلما وقعت احداث انتقال من دولة عربية الى دولة عربية اخرى ، فارق قرطبة وجـــاء اولاً المغرب ثم انتهت به الرحلة الى مصر ايام السلطـان صلاح الدين الايوبي ، ولقي موسى بن ميمون كل نعمة من صلاح الدين ، فاتخذه طبيبه الخاص . والناحية الفكريـة الادبية الفلسفية الظاهرة ، هي الناحية التي يعرف بها العرب موسى بن ميمون . غير ان موسى بن ميمون كان «قباليـــاً» تلمودياً مغالياً ، فهو حلقة من السلسلة التي نتناولها في هذا الكتاب بايجاز لنصل بكل هذا الى ان غاية الغايات في النهاية كان وضع «بروتوكولات حكماء صهيون» اواخر القرن الماضي. ومدار هذا الكتاب الكشف عن الحقائق الرهيبة التي تنطوي عليها البروتوكولات . موسى بن ميمون هو صاحب كتاب « دلالة الحائرين» وضعه بالعربية وانتحى فيـه منتحى قبالياً فاستخدم الحروف العبرية ليخفي ما يود اخفاءه، فيطلع على ذلك بنو قومه لا غيرهم من المسلمين والنصارى. ومرمى « دلالة الحائرين» من الناحية الفلسفية ، ان لا تناقض بين العقـــل والوحي ، او بين ارسطو والتوراة . وقد يكون موسى بن ميمون ، وهو قبالي من الغلاة ، انه سار في الكتابة العربيـــة بحروف عبرية على منهج استطاع به ان يقول لقومه اليهود ما لم يشأ قوله للقـارىء العربي . غير ان كل هذه الامور من القبالة وحكماء صهيون لم يكن العرب يحفلون بها في الماضي .

يؤفكون [١] . وقال الزمخشري في تفسيره في «الكشاف» ان القول بتأليه عزير هو قول ناس من اليهود كانوا بالمدينة وما هو بقول كلهم ، وذكر بعضهم كسلام بن مشكم ، ونعمان بن اوفى وشاش بن قيس ومالك بن الصيف . فهؤلاء اليهود في المدينة المنورة في اوائل القرن السابع كانوا قائمين بالتعاليم التي وضعها عزير ، وكان قد مضى على موته نحو من الف سنة . فتأمل قوة الانسياب في الخلق اليهودي عبر التاريخ .

٤ – لم يخف على اليهود ، بعد ان حلت بهم الجائحة وأمسوا في السبي في بابل ، وهم الآن البقية الباقية ، سبطـان ونصف السبط من الاثني عشر سبطاً ، ان يفنوا ويضمحلوا كما فنيت واضمحلت الاسباط السابقة قبل الآن بنحو ١٣٦ سنة وتلك الـتي ذهبت هي مملكة السامرة على يد سرجون الاشوري في الشمال ، وهذه التي محقها نبوخذناصر وسبا أهلها الى العراق هي المسماة بمملكة يهوذا ، وقاعدتها اورشليم . قلنا ان هذا الخطر المحتمل ، لم يخف تصوره على قادة اليهود في السبي البابلي ، وفي سبي مملكة اسرائيل قبل ١٣٦ سنة كان عدد اليهود الذين استاقهم سرجون الى اشور ثم ابتلعتهم الدواهي ٢٧,٢٩٠ نفساً كما تقول « موسوعة تاريخ العالم » ، فما اهون ان يلحق بأثرهم المسبيون الجدد وهم اقل من اولئك ، ومدة ١٣٦ سنة ، المدة الفاصلة بـين السبيين ، ليست بالطويلة ، بل هي مدى حياة احد المعمرين في كل عصر ، على ما هو المشاهد. فجعل قادة اليهود يتفكرون ، وكان عزرا احـد هؤلاء الذين رأوا وجوب المحافظة على «العشيرة الشريرة» التي هكذا وصفها نبيهم الصادق أرميا . فمثّل عزرا دوره وكان دوراً عظيماً .

٥ – كان سند اليهود في اورشليم : الدين والهيكل ، والاول يمـارس بطقوسه المختلفة في الثاني . أما الآن فهم في سبي بابـل ، والهيكل حوّله نبوخذناصر الى خرائب عفنة . فلم يبق الا احياء التوراة والتمسّك بها وهذا ما نهض به عزرا ووفق فيه ومن هنا رفعوه الى مقام الالوهية وقالوا ان التوراة لو لم تنزل على موسى لنزلت عليه .

(١) سورة التوبة ٣٠ .

٦ – كانت لدى اليهود حتى يوم السبي النبوخذناصري ، بعض كتابات أنبيائهم وصحف الزبور ، فجعل عزراً يجمع هذا ويحول التراث المتناقل عندهم بالروايات التي دائماً تقبل المزيد والنقص ، الى مجموعات مدونة ، وينظّم ذلك ويقول لهم : ان رمتم العودة الى اورشليم فاعتصموا بالتوراة ، وهـــذه هي توراتكم .

٧ – ينسب الى عزرا أنشاء « الكنيس » ، وهذا بدأوه في بابل . وهذا ما صنعه عزرا .

٨ – صارت الدررس والعظات تعطى في الكنيس . ومن الكميس انبثق السنهدرين بعد العودة .

٩ – وعلى الجملة يصور هذا كله هكذا :

في اورشليم حتى السبي البابلي : الدين او التوراة في الهيكل .

في بابل : ١ – جمع الاسفار ولم تكن مجموعة من قبـــل ، وجمع التقاليد الشفوية .

٢ – تهيئة الجيل الجديد للعودة .

في اورشليم : ٣ – العودة على نوبتين الاولى بقيادة زربابل والثـانية بقيادة عزرا .

٤ – بعد العودة ، الكميس الى جانب الهيكل .

٥ – وسيطرت على الجمـــاعة هيئة عليا او مجلس أعلى اسمه السنهدرين والسنهدرين مستودع اسرار .

٦ – قبل المسيح بنحو قرن كان الجو قد تهيـــأ لدفق جديد فظهرت طلائع ما عرف بعدئذ بالتلمود وهو كما زعموا الشريعة الشفوية التي تركهـــا موسى الى جانب التوراة . ومن التلمود القبالة ومن القبالة حكماء صهيون .

١٠ – ورأى عزرا ان اختلاط اليهود بغيرهم من الاقوام في السبي مدعاة الى توهين الروح اليهودية ورابطتها ، وهذا التوهين يفل من العزم على العودة، فحرم عليهم الاختلاط بسواهم في زواج أو قربى او مصاهرة،ودعاهم للتسمي باسماء كلدانية مع الاحتفاظ باسمائهم العبرية . على نحو ما رأينا في قصة استير ، فهذا هو اسمها الفارسي او الكلداني ، أما اسمها في العبرية فهو « هدسّة » أي الكوكب او النجم .

١١ – امّا شريعة موسى ، فبعد ظهور التلمود الممثل للشريعة الشفوية ، اصبحت أثراً مقدساً لا أكثر ، وسارت الغرائب والخيال القبالي بالتلمود الى اقصى الحدود . فانهم اذا كانوا الى أيام مؤرخهم يوسيفوس [١] لا يجرأون على تغيير التوراة التي كانت بأيديهم ، الا ما نالوه بالتحريف ، ففي التلمود وجدوا اوسع مجال وأخصب تربة ، والسند هنا لا كتابي بل رواية معزوة عزواً ، ولما شرعوا في هذا كان قد انقضى على وفاة موسى لا اقل من ١٢ قرناً ، فتأمل . وقال لهم عزرا : لا سبيل لكم الى العودة الا اذا تمسكتم بشريعتكم وتراثكم وتقاليدكم وكل ما يتألف منه ماضيكم ، ولو تعرضتم للمهالك والنار والعذاب . وراحت هذه الروح تعتلج في صدورهم حتى اليوم . وانظر في قول كاتبهم الروائي « زنكويل » رفيق هرتزل ثم افترق عنه سنه ١٩٠٢ : « ان التاريخ ، وهو في معظمه ذوبان الاقليات في الاكثريات ، لم يسجل بين دفتيه ان شعباً ما ، كتب له البقاء بعد ان غمرته النكبات ، الا اذا كان طريق بقائه واحداً من اثنين : فاما التحصن بمكان حريز من الارض واما الاعتصام بدين في الصدور يستبرد في سبيل الحفاظ عليه لهب النار » .

---

(١) يوسيفوس المؤرخ كتب له ان يشهد تخريب الرومان لاورشليم والهيكل نحو سنة ٧٠ ب.م وهو اوّخ هذا التخريب ، وكتب تاريخه مشهور وهو يقول ان التوراة الى زمن كانت ٢٢ سفراً لا أكثر . وفي عصر يوسيفوس بدىء بوضع نسيج التلمود ومات يوسيفوس سنة ١٠٠ ب. م وعاش نحو ٦٣ سنة وقد مرّ ذكره في ص ١٩ و ٢٠ من هذا الجزء .

١٢ – وقال عزرا بضرورة الدين اليهودي لا لكي يتميزوا به دائماً عن الوثنيين وكفى، بل لكي يذكـّرهم بأنهم ينتمون الى عرق يهودي ودين يهودي. فصارت حياة اليهودي في السبي تنطبع بالطوابع اليهودية «العزراوية»، وكان عزرا دقيقاً في اتباع السنن اليهودية وتطبيقها في بيته ليكون قدوة الآخرين، او ليجعل من مسلكه ونظام معيشته ميسماً يتسم به كل يهودي في السبي .

١٣ – بهذه الطرائق صارت التوراة بعدئذ بنوعيها : المكتوب المدون والشفوي المتناقل، تتسلط على يهود السبي . والشفوي المتناقل تهيّأ ليكون اساس المادة التلمودية .

١٤ – جاء في سفر عزرا (ص ٧ : ١٠) : « لأن عزرا هيأ قلبه لطلب شريعة الرب والعمل بها، وليعلـّم اسرائيل فريضة وقضاء » ولكي تمهد الطريق من الآن فصاعداً للربيين حتى يجمحوا مع الغلو وشارد الخيال فقد قالوا : تلقى موسى التوراة في سيناء، واعطاها الى يشوع، ويشوع اعطاها الى الشيوخ (وهم الذين يطلق عليهم في التوراة اسم «القضاة» [١] ومدتهم نحو ٤٠٠ سنة والشيوخ اعطوها الى الانبياء، والانبياء اعطوها الى رجال الكنيس اي الكنيس الذي انشأه عزرا ، ومن الكنيس جاء السنهدرين وقد مر الكلام عليه .

١٥ – لما تغلبت دولة الفرس على دولة الكلدان البابلية التي منها نبوخذناصر ، كان اليهود قد لاذوا بكل مكيدة ليكونوا عيون الفرس على الكلدان، كشأنهم المعهود فيهم في كل دور يقع فيه انتقال الامر والسلطان من دولة الى دولة ، فاذا كانوا من رعية الدولة التي ستزول ، انبعثوا بطرائقهم ووسائل نسائهم في التقرب من الدولة المتوقع لها الغلبة فيكونوا اعوانها وعيونها ومن آلاتها في ضرب الدولة التي هم من رعاياها ، وهكذا فعلوا مع

---

(١) القضاة او الشيوخ خمسة عشر عهدهم بعد عهد يشوع ويشوع بعد موسى منهم شمشون وآخرهم صموئيل النبي الذي على يده انشئت المملكية وبدأت بشاول ثم داود ثم سليمان ثم انقسمت المملكة الى « يهوذا » و « اسرائيل » .

الفرس ، ثم بعد زهاء قرنين رأوا الاسكندر فراحوا يتقربون منه قبل وصوله الى بيت المقدس ، ثم رأوا خلفاء الاسكندر والرومـان وجميع هؤلاء كانوا يقتلون اليهود قتل الافاعي ، ولما فتح العرب جوانب العالم ومراكز حضارته القديمة وافريقيا والاندلس ، كان اليهود يجرون في تقديم عون العيون الى العرب الفاتحين ولا سيما عند فتح اسبانيا على نحو مـا صنعوا مع الفرس لما غزا هؤلاء بابل . وآخر ما شهد العالم من هذه الجبلة اليهودية في العصر الحديث انبثاثهم في اجهزة الدولة العثمانية لما آنسوا انها تنداعى للتفكك ، وامسكوا الخيوط مع رجال الدولة نفسها ، ومع المانيا على يد الامبراطور غليوم ، ومع بريطانيا ، حتى اذا وجدوا رياحهم تهب مع الغـالب تعلقوا به . ولما توغلوا في اجهزة الدولة العثمانية كان حكماء صهيون ، قد نظموا اوضاعهم الحديثة على دستور «البروتوكولات» ليغزوا فلسطين عند اول ضربة قاصمة تحل بالدولة .

١٦ - وفي اورشليم جمعهم عزرا في الهيكـل الذي ما جدد بناؤه على يد الفرس الا ليخرّب بعد عدة قرون على يد الرومان ، وقرأ عزرا على الجمع اسفار الشريعة التي جمعها في العراق ، واخذ عليهم العهد الا يختلطوا بسواهم . قيـل انه عاش ١٢٠ سنة ، واختلف في مكان مماته . وسفره في التوراة (مع سفر نحميا واستير) آخر الكتب التاريخية المتعلقة بالعهد القديم ومن الغلو فيه فقد نسبوا اليه انه هو مجدد عسقلان في فلسطـين ، وعسقلان كانت تعرف ايام عزرا «بني براق» وتجديد عسقلان على يد عزرا من الاسطورة والخيال .

* * *

(٣) نحميـــا

هو من الأنبياء الكبار كما تقدم . أبوه اسمه حلقيا ونحميا وعزرا فرسا رهان في حلبة العودة ، واعادة بناء الهيكل مع اسوار المدينة ، وبوتقـة اليهود في قالب انتهى الى الصيغة التلمودية فيما بعد . ولا يعرف ما صنعه الواحـد منهما إلا بمعرفة ما صنعه الآخر ايضاً ، لأن أوضاع اليهود لا يصح الحكم عليها من

ظواهرها ، فهي ذات ناحية باطنية مستورة . وكما ان حزقيال ودانيال ومردخاي واستير نراهم جميعاً يقومون بأدوارهم في بلاط ملوك الفرس بعد ذهاب الدولة البابلية ، كذلك نرى هذين الاثنين ، عزرا ونحميا ، كتوأمين برأس واحد ، في اورشليم ، ثم التردد بين اورشليم والعراق لمتابعة المهمة ، وهي أن يعود اهل السبي الى اورشليم . وقد علمنا ما صنعه عزرا الكاهن ، وقد تلاقى الاثنان في اورشليم ، فلنعلم ما صنعه نحميا ، وهما في سبيل واحد، وجميعهم في بابل واورشليم أشبه بالجذوع تمتص من البذور ، واذا كانت الجذوع مرئية فوق الارض ، فالجذور الممدّة بالغذاء مخفية تحت الارض في طبقات التربة . وفي التوراة سفر نحميا يرد بعد سفر عزرا مباشرة ، وقيل ان هذين السفرين كانا بالأصل واحداً ، وبعدهما سفر استير .

وسفر نحميا أخباره بعد التمحيص ذات قيمة كبيرة إذ تمكننا من ان نقف على كيفية العودة ، وهي الرواية ذات الحلقات المترابطة ، فبوقوفنا على أخبار عزرا ونحميا ، نستطيع ان نخرج بصورة مجملة لهذه المرحلة من تاريخ اليهود ، وهذه المرحلة اشتملت على منابت التلمود وجرثومة القبالة . اما من وجهة النظر العربيــة فعلى قدر ما نحن به معنيون في هذا الكتاب المتعلق بكشف الستار عن مخطط **حكماء صهيون** فاننا نرى في سفر نحميا خبر المقاومة العنيفة التي قام بها سنبلاط الحوروني [1] ، وطوبيا العبد العموني ، وجشم العربي ، لمنع نحميا من اعادة بناء الهيكل والسور وسيأتي الكلام على ذلك في محله من هذا الجزء .

* * *

١ ـ اول ما يعلمنا به نحميا انه كان ساقياً للملك ارتحشستا الفارسي ، وهذا منصب رفيع ، وهو احد المناصب العديدة التي وصل اليها

(١) هو زعيم اليهود السامريين الذين انشقوا عن يهوذا وبنيامين ورفضوا كل ما زيد في التوراة على الكتب الخمسة لموسى او المنسوبة اليه وبقيتهم في نابلس الى هذا اليوم وهم حول ١٥٠ نفساً .

اليهود في البلاط الفارسي في مدة قليلة ، وهذا مما يسترعي الانتباه ، ووثبات اليهود، وهم غرباء، الى اعلى مناصب الدولة ، لم يكن شيئاً عارضاً عابراً، ولا وليد المصادفات ، بل نتيجة مخطط محكم : ان يحفظوا سلامتهم وكيانهم فلا ينقرضون كما انقرضت الاسباط السابقة في السبي الاول للمملكة الشمالية ، اسرائيل. وبين السبيين ١٣٥ [١] سنة .

٢ – وبينما يقوم نحميا بعمله في بابل ، جاءه جماعة من اخوانه قادمين من اورشليم فسألهم عن حالهم وحال اخوانهم فقالوا انها غاية في البؤس والشقاء، وظاهرٌ أن هؤلاء الجماعة هم من ضعفة اليهود الذين تخلفوا في المدينة وبعض القرى . فارتمض نحميا ، وراح يبكي ويصلي ويصوم ، وخاطب ربه «اذكر الكلام الذي امرت به موسى عبدك قائلاً ان خنتم فاني افرقكم في الشعوب ، وان رجعتم الي وحفظتم وصاياي وعملتموها ، ان كان المنفيون منكم في اقصاء السموات فمن هناك اجمعهم وآتي بهم الى المكان الذي اخترت لاسكان اسمي فيه » (سفر نحميا الاصحاح الاول) .

٣ – وبعد مدة قليلة ، اسابيع او اشهر ، كان نحميا يسقي الملك وهو أي نحميا مكمد الوجه خلافاً لعادته ، فسأله الملك فقال : « ليحي الملك الى الابد ، كيف لا يكمدّ وجهي والمدينة بيت مقابر آبائي خراب ، وابوابها قد اكلتها النار . فقال لي الملك وماذا طالب انت ؟ فصليت الى اله السماء وقلت للملك اذا سرّ الملك واذا احسن عبدك امامك ترسلني الى يهوذا الى مدينة قبور آبائي فابنيها . فقال لي الملك والملكة جالسة بجانبه – تماماً كما في قصة هامان واستير واحشويروش – الى متى يكون سفرك ومتى ترجع ، فحسن لدى الملك ، وارسلني ، فعينت له زماناً . وقلت للملك ان حسن عند الملك فلتعط لي رسائل الى ولاة عبر النهر لكي يجيزوني حتى اصل الى يهوذا ،

(١) يقول المؤلف «هالي» صاحب كتاب «التوراة المختصرة المشروحة » :

في ٧٢١ق.م كان سبي مملكة اسرائيل . في ٦٠٦ ق.م كان سبي مملكة يهوذا في ٥٣٦ العودة من السبي .

ورسالة الى آساف حارس فردوس الملك لكي يعطيني اخشاباً لسقف ابواب القصر الذي للبيت ولسور المدينة وللبيت الذي ادخل اليه ، فاعطاني الملك حسب يد الهي الصالحة علي (ارميا الاصحاح : ٢) .

٤ — اليس عجباً ان نحميا ينال طلبته كلها عفواً ؟ الاذن بالسفر وتسهيل اسباب السفر ، والاخشاب ومواد البناء ؟ من كان وراء نحميا ؟ انه قد نال اكثر من ذلك ، فلنسمعه يتمم :

فأتيت الى ولاة عبر النهر واعطيتهم رسائل الملك وارسل معي الملك رؤساء جيش وفرساناً « المصدر السابق » .

٥ — ثم ينتقل نحميا فوراً بعد عبارته المتقدمة ليخبرنا بظهور المعارضة له بعيد وصوله الى اورشليم . وهنا هو اكتفى ، او اكتفى جامع السفر ، بمجرد الخبر عن هذه المعارضة . لكننا نسمع تفصيلاً فيما بعد . وجال في اورشليم الخربة ثلاثة ايام ، ومعه حرسه ، ويقول انه لم يطلع احداً على المخطط الذي في ذهنه وصدره . جال في المدينة البالية جولة متنكر راكباً بهيمته . لم يخبر الولاة عن جولانه هذا ، ولا احداً من اليهود . ثم لما فرغ من جولانه جمع وجوه الحكومة — المرزبان فارسي طبعاً ، ووجوه اليهود ، وبسط لهم غايته ، وابرز لهم الرسائل التي في جيبه . لكن سرعان ما هبت مقاومة سنبلاط ، وطوبيا العبد العموني ، وجشم العربي ، وهذه كلمات نحميا : —

« هزأوا بنا واحتقرونا ، وقالوا ما هذا الامر الذي انتم عاملون ؟ أعلى الملك تتمردون ؟ « المصدر السابق » .

٦ — ثم يذكر لنا كيف اشترك اليهود في عمل البناء ، فيذكر نوع العمل ومقداره واسماء من قام بذلك . وتم ارتفاع السور الى نصفه .

٧ — ثم يعود نحميا الى ذكر المقاومة وقد بلغت اشدها ، فتكلم سنبلاط امام اخوته وجيش السامرة وقال : « ماذا يعمل اليهود الضعفاء ؟ هل يتركونهم ؟ هل يذبحون ؟ هل يكملون في يوم ؟ هل يحيون الحجارة من كوم

التراب وهي محروقة ؟ (نحميا الاصحاح ٤) وقال نحميا « وكان طوبيـــا العموني بجانبه فقال ان ما يبنونه اذا صعد ثعلب فانه يهدم حجارة حائطهم « المصدر نفسه » .

٨ - ثم استمر نحيا يخبرنا عن حركة المقاومة وقد انضم اليها آخرون فقال : « ولمـــا سمع سنبلاط وطوبيا والعرب والعمونيون والاشدوديون ان اسوار اورشليم قد رممت والثّغر ابتدأت تسد ، غضبوا جداً وتآمروا جميعهم معاً ان يأتوا ويحاربوا اورشليم ويعملوا بها ضرراً » . ولما علم نحميا بالاستنفار تهيأ هو واستعد . السحر والقوة في الرسائل التي حملها في جيبه من ارتحشستا . « كقصاصة » وعد بلفور . ثم قال نحميا ان الاعداء لمـــا بلغهم استعدادنا توقفوا عن الهجوم .

٩ - وكانت المجاعة قد ايبست عروق اليهود ، وأكل بعضهم بعضاً بالربا . يتداينون ليقتاتوا بالضرورة . بناتهم عبدات . رجالهم عبيد . فحثهم نحمياً على اسقاط الربا ليعيشوا . واسعفهم بالقمح والزيت . وجمع الكهنة واستحلفهم ان يسهروا على هذا .

١٠ - وهنا السر : ان نحميا لما جاء من بلاط ارتحشستا ليبني مدينة قبور اجداده ، ويقوي الضعفة ، كانت له صفة الوالي الرسمي من قبل الملك ، هو الآن يمثل الملك ارتحشستا ، تماماً كما جـاء هربرت صموئيل اليهودي الصهيوني المندوب السامي الأول على فلسطين أول تموز ١٩٢٠ إلى بيت المقدس ! ممثلا « لصاحب الجلالة البريطانية » هذا في الظاهر ، وفي الواقـع كان من ورائه « حكماء صهيون » الذين بقوتهم الخفية نالوا وعد بلفور كما شاءوا وخططوا ، وشاءوا أيضـــاً في الوقت نفسه أن يختاروا هربرت صموئيل ليكون « امير اسرائيل الأول » .

١١ - ان السنة التي جاء فيها نحميا بهذه المهمة ، كانت ، كما يقول بعض الكتاب سنة ٤٤٥ ق.م. وبقي والياً على اليهودية ١٢ سنة ، وعاد إلى بابل

سنة ٤٣٣ ق م. وبعد مئة سنة تقريباً ظهر الاسكندر فتغيرت الدواليب كلها في الشرق الأوسط كله .

١٢ — وكانت مائدة نحميا ، كما يقول هو في سفره ، أو كما يقال في سفره عن لسانه ، يجلس اليها مئة وخمسون من الولاة وأفراد اليهود فضلاً عن الطارئين : « وكان ما يعمل ليوم واحد ، ثوراً وستة خراف مختارة » اما طعام نحميا خاصة : فقال : « وكان يعمل لي طيور ، وفي كل عشرة أيام كل نوع من الخمر بكثرة » .

١٣ ثم عاد نحميا إلى ذكر المقاومة « سنبلاط وطوبيا وجشم العربي وبقية أعدائنا » . ولما لم يبقَ إلا مصاريع الأبواب ارسل الي سنبلاط وجشم قائلين : « هلم نجتمع معاً في القرى في بقعة اونو [1] . وكانا يفكران أن يعملا بي شراً ، فأرسلت اليهما رسلاً قائلاً اني انا عامل عملاً عظيماً فلا أقدر ان انزل ... وأرسلا الي بمثل هذا الكلام اربع مرات ، وجاوبتهما بمثل هذا الجواب . فأرسل الي سنبلاط بمثل هذا الكلام مرة خامسة مع غلامه برسالة منشورة بيده مكتوب فيها :قد سمع بين الامم ، وجشم يقول ، انك انت واليهود تفكرون ان تتمردوا ، لذلك انت تبني السور لتكون لهم ملكاً حسب هذه الامور . وقد أقمت أيضاً أنبياء لينادوا بك في اورشليم قائلين في يهوذا ملك. والآن يخبر الملك (ملك فارس) بهذا الكلام. فهلم الآن نتشاور معاً فأرسلت اليه لا يكون مثل هذا الكلام الذي تقوله انت ، بل انما انت تختلقه من قلبك » .

١٤ — ان قول سنبلاط زعيم السامريين من أن نحميا أقام أيضاً أنبياء لينادوا به في اورشليم ، يفيد بوضوح نوع هؤلاء الأنبياء الذين هم أشبه بالانصار الذين في مواسم الانتخابات النيابية في أيامنا هذه يروجون بالدعاية في الشعب امر فلان ، فهم أدوات للاستغلال السياسي .

---

(١) اسم قرية لا تزال الى اليوم في قضاء الرملة واسمها « كفرعانه ».

١٥ - وبلغ نحميا عن لسان نوعديه « النبيّة » انه سيقتل وقال أن شمعيا ابن دلايا مستأجر من قبل سنبلاط وطوبيا وهذا حرك النبيّة . فانظر وظيفة هذه النبية ومهمتها (راجع الفقرة السابقة) .

١٦ - ثم رأى نحميا ان يحصي العائدين من السبي ، سبي نبوخذناصر ، وعادوا في القافلة الأولى مع زربابل وفي القافلة الثانية مع عزرا ، فكانوا ، حسب أرقام التوراة ، اربع مئة الف بل اكثر قليـــلا . وعلى ذكر أرقام التوراة في التعداد والاحصاء نقول ان داود بوقته أراد اجراء احصاء عاماً فكان في اسرائيل الشمال التسعة الاسباط ونصف السبط فكان عدّهم ٨٠٠ الف وفي يهوذا الجنوب السبطان ونصف السبط فكان عـــدّهم ٥٠٠ الف (٢صموئيل ٢٤ : ٩) وبقي في العراق عدد ضخم من أهل السبي لم يعودوا الى اورشليم ، وشأن هؤلاء في ايثارهم نعمة البقاء في العراق ، كشأن يهود اميركا وغربي اوروبا اليوم ، وموقفهم من الانتقال الى اسرائيل ، فهؤلاء وهم من حيث العدد الكثرة البالغة من اليهود جميعاً لا يتركون مواطنهم الاميركية الأوروبيـة ويأتون الى اسرائيل ، وانهم لن يأتوا ، ولن تستطيع اسرائيل بعد اليوم تحقيق اسطورة جلب الملايين .

١٧ - واجتمعوا في الساحـة ، نحميا الوالي (المندوب السامي) ولقبه الرسمي الترشاتا ، وعزرا الكاتب الكاهن ، والكهنـــة ، والشعب ، وصنع منبر لعزرا فارتقاه وقرأ عليهم ما قرأ ، وأخذ عليهم العهـــد (كما جاء في الكلام على عزرا وقد تقدم) .

١٨ - وطلب عزرا ان ينفصل اليهود عن الأمم ، وان تفسخ الزيجات ؛ وخطب خطبة تاريخية من اول قصة ابراهيم ذلك اليوم . « وعصوا وتمردوا عليك ، وطرحوا شريعتك وراء ظهورهم ، وقتلوا أنبياءك الذين اشهـــدوا عليهم ليردوا اليك وعملوا اهانة عظيمة ».

١٩ - وطلب عزرا ألا يعمل شيء في السبت ، ورأى في السوق معاملات أخذ وعطاء فأبطلها .

٢٠ – وأسكن العشر من الجماعة في اورشليم والتسعة الاعشار الأخرى خارج المدينة في القرى والارياف .

٢١ – وانتهى العمل في ترميم السور في ٥٢ يوماً آخرها ٢٥ أيلول . (نحميا ٦) .

٢٢ – والتشديد في الانفصال عن سائر الاقوام المجاورة جاء في ختام ما صنعه نحميا ، وتناول هذا التشديد العمونيين والمؤآبيين في شرق الاردن، ومع فسخ الزيجات تمت حلقة الانفصال . ووجد ان نساء اشدوديات (اشدود من المدن الخمس التي أنشأها الفلسطينيون في جنوبي فلسطين ، وعجز بنو اسرائيل عن اخذها ، واليوم هي قرية بين يافا وغزة ، والشين تحولت الى سين فيقال اسدود او سدود) وعمونيات ومؤابيات رجالهم يهود لا يتقنون العبرية ، فخاصمهم نحميا ولعنهم وجلد بعضهم ونتف شعورهم ، وقال لقومه: ان سليمان ما جره الى الخطيئة إلا تزوجه النساء الاجنبيات ، فهل نسمح لكم ونسكت ان تعملوا هذا الشر العظيم؟ (سفر نحميا وعزرا) .

٢٣ – الى هنا انتهى الخبر المأخوذ من سفر نحميا . لكننا نعلم من مواضع أخرى ان نحميا بعد ان قضى في المرزبانية – الولاية – ١٢ سنة عاد الى بابل ، وفي غيابه عاد اليهود فانتكسوا وارتكسوا، فرجع نحميا الى اورشليم ومكث هذه المرة ١٤ سنة . ويقال انه عاد الى بابل سنة ٤١٣ ، قبل ظهور الاسكندر بثمانين سنة .

٢٤ – ولما طلع الاسكندر ، طلع على فارس أولاً فمزقها ، ولما اتجه الى فلسطين ودنا من اورشليم ، خرج اليهود بأفخر ألبستهم يحسنون استقباله، ولما تقاسم خلفاء الاسكندر ملكه ، دخلت اورشليم في عراك رهيب مع السلوقيين في سوريا ، وتتالت الايام السود على اليهود ٣٠ سنة فظهرت في اليهود الحركة « المكابية » (١٦٨ – ٦٣ ق.م) ثم جاءتهم روما المدوّخة (١٦٣ ق.م – ٣٩٥ ب.م) ثم دولة الروم الشرقية (٣٩٥ – ٦٣٨ ب.م) ثم الفتح العربي ٦٣٨ ب.م.

(٤) دانيـــال

١ - لمـــا سبي دانيال من جملة السبي النبوخذ ناصري ، كان طفلاً لم يبلغ الخامسة بعد . يقول السفر الذي جمع باسمه انه هو مع ثلاثة آخرين من ابنـاء السبي ، وقع عليهم الاختيار ليكونوا « الشباب الناضر » مع حكمة ومعرفة ، في قصر الملك نبوخذ ناصر الكلداني ، وأجريت عليهـــم الارزاق من القصر « من طعام الملك ومن خمر شرابه » على ان يربوا هذه التربيةمدة ثلاث سنوات ثم بعدها يقفون أمام الملك ، اذ يكونون قد تدربوا على كل امر ورسم وعادة، ولا سيا تعلم اللغة الكلدانية وهي لغة القصر . وتفصيل هذا في الفصل الاول من السفر . وتمكن اليهود من الوصول الى القصور صناعة دقيقة اتقنوهـــا من اول الامر في تاريخهم كله ، ولا فرق بين الزمن القديم والحديث في اعـتمادهم على الصلات الدقيقة التي ينسجون خيوطها في القصور ، وحول القصور ، ثم يترتب على هذه الخيوط فيما بعد نتائج كبيرة يرمي اليها اليهود ، وعند ذلك تتغير مفترقات طرقهم ، فاما أن يفوزوا ويحققوا المراد ، واما ان يخذلوا ولا يلقون الا الفشل والبوار .

٢ - هؤلاء الاربعة من شباب السبي هم دانيـــال ، وحننيّا ، وميشائيل وعزريا . ويقول السفر ان الملك الكلداني أمر بهذا على ان يكون الشباب المختارون « من بني اسرائيل ومن نسل الملك ومن الشرفاء » - الترجمـــة الاميركية - او «من بني اسرائيل ومن النسل الملكي ومن الامراء » - الترجمة اليسوعية . ويستفاد من السفر ان هـــذا الاختيار لعدد من الشباب لم يكن مقصوراً على هؤلاء الاربعة من بني السبي ، بل كان هناك آخرون ايضاً غير يهود ، يختارون ويخرّجون ليكونوا في خدمة الملك .

٣ - ولعـــل هذا الامر في اختيار عدد من الشباب للخدمة الملكية في القصر ، كانت عادة توافق رغبات الملوك ، وفي رعاياهم بضاعات مختلفة من الشبان والشابات . ومثل هذا نرى في قصة استير ، لما احب احشويروش

الفارسي ، عملا بنصيحة الناصحين له ، وكان فيهم يهود ، ان يتخلى عن زوجته الملكة الجميلة «وشتي» ، لانها لم تنزل على امره الذي امرها به ، وهو ان تبرز في أحلى زينتها في يوم الوليمة الكبرى ليسر الناس باجتلاء محاسنها والنظر الى فتنة جمالها . وقال الناصحون للملك ان في مملكتك التي تنتظم فيها ١٢٧ ولاية فتيات باهرات ، فاجمع منهن عدداً ثم سمّن اجسامهن بأطايب الاطعمة مدة من الزمن ثم اختر منهن من تشاء . ومن هنا دخلت استير في المباراة ، وفازت وأصبحت الملكة محل « وشتي » المسكينة .

٤ – وقصة دانيال ورفقته الثلاثة لا تعطينا أي تفصيل واف لكيفية وصول دانيال واخوانه الى القصر سوى أن اختيارهم كان بأمر الملك ، ثم تجري القصة بعد ذلك مجرى يشبه ما في قصة استير ونحميا وعزرا . وكان السحر والتنجيم عند الكلدان من أهم وسيلة تفتقها الحيلة او العقل، للنظر في الخفايا ، وكشف المحجوب ، وتفسير الرؤى والاحلام ، وكل ما يتصل بهواجس النفس . وما كان عند بني اسرائيل قبل السبي من جنس هذه الوسيلة التي تشبه السحر والتنجيم ، كان شيئاً آخر : الانبياء على درجاتهم الثلاث – الكبار المتصلون بالملوك وتياراتهم ، و«الاواسط» وهم الذين يقال للواحد منهم «الرائي» ، وهو دون النبي المعترف به ، ثم الطبقة الثالثة هم الكذبة وكانوا يعدون بالمئات . والاواسط كانوا آلات الترويج لمآرب اشخاص أو ملوك او تنفيذ الاتجاهات السياسية أو المختصة بحركة ما يؤازرها نبي أو زعيم . وهؤلاء كما قلنا سابقاً اشبه الناس بالذين نراهم في يومنا هذا يعملون في ترويج المرشح للنيابة ، فيدعون الناس اليه والى انتخابه ويقولون فيه من اقوال الثناء والاطناب ما جاوز الحد . وكل فريق من هؤلاء المروجين في المضمار ، يقابلهم فريق آخر متعلق بمرشح آخر هو ند الاول أو ضده ، وكم تصور الحسنات سيئات ، والسيئات حسنات في بعض المنافسة للفوز بصوت «الناخب» ! يقابل هؤلاء جميعا في بلاط نبوخذ ناصر ما يطلق عليهم اسم السحرة والمنجمين ، وهؤلاء كانوا في كل قصر وصول ملك . وهم «اجهزة

الاعلام» في ايامنا هذه .

٥ – بدأ دانيال اول ما بدأ في القصر هو ورفقتـه» ان يظهر «يهوديته» وذلك عن طريق رفض الاطعمة المجراة عليه من القصر . قال السفر : « امـا دانيال فجعل في قلبه ألا يتنجس باطايب الملك وخمر شرابه» فطلب من رئيس الخصيان ان يعفى هو ورفقته من طعام القصر وشرابه وان يكون لهم بديل ذلك حبوب القطاني (كالعدس والحمص والماش والفول) ، فأجاب رئيس الخصيان انه يخشى اذا هو لبى هذا الطلب ألا تصح اجسامهم فتغدو «انحل من الفتيان اترابكم» – (الترجمة اليسوعية) او «اهزل من الفتيـان الذين من جيلـكم» – (الترجمة الاميركية)، فيتعرض رئيس الخصيان لغضب الملك وقـد يذهب رأسه . وهذه العبارة بالانـكليزية هي :

For why should he (the King) see your faces worse liking than the children which are of your sort.

ويستفاد من هذا كله ان رئيس الخصيان بعبارته هذه يشير الى «اترابكم» أو الى «الذين من جيلكم » وهو يعني آخرين في القصر هم زمـلاء وامثال لدانيال ورفقته قد اختيروا بأمر الملك – واستطردنا الى هذا لكي نخلص منه للترجيح ان دانيال مع كونه هو ورفقته من شباب بني السبي قـد اختيروا بأمر الملك ، فيبقى هناك – سر كبير من اسرار العمل اليهودي الخفي، وهو استطاعة دانيال ورفقته ان يصلوا الى القصر. فسبب هذا يبقى غامضاً علينا، وهذا «السر» يبقى من أمضى الاسلحة التي يستخدمها اليهود في قضاء مآربهم وتنفيذ مخططاتهم التي لها مظاهر وخوافٍ كما هو المشاهـد في كل عصر من عصور تاريخهم . وما الاوضاع الخفية «للقبالة » ، في هذا العصر الذي نعيشه اليوم ، سوى امتداد لهذا «السر» الرهيب .

اما وجود شباب آخرين في القصر «يأكلون من طعام الملك» فهذا واضح من قول دانيال لرئيس الخصيان ان يسمح له بأكل القطـاني عشرة ايام ثم

ينظر الى صحة اجسامهم بالمقابلة بينهم وبين «الفتيان يأكلون من طعام الملك» – الترجمة اليسوعية ، او «الفتيان الذين يأكلون من اطايب الملك» – الترجمة الاميركية . فنال دانيال طلبته ، واستطاع ان يتميز هو ورفقته الثلاثة عن سواهم في القصر ، وقد تحقق لهم هذا .

٦ – ومر بنا في الكلام على عزرا ، في الفقرة (١٠) ان عزرا مما دعاهم اليه في السبي ، ان يغيروا اسماءهم العبرية ، ويحتفظوا بها ، ويتخذوا اسماء كلدانية . ولهم مآرب في هذا . وهنا نرى تغيير اسماء دانيال ورفقته جرى هكذا ، وكما يقول السفر ، على يد رئيس الخصيان :

دانيال : صار اسمه بالكلدانية بلطشاصر
حننيا : « « « شدرخ
مشائيل : « « « ميشخ
عزريا : « « « عبد نغو[1]

٧ – ثم تبدأ فصول الرواية العملية من هنا : حلم نبوخذناصر حلماً مخيفاً، فاستدعي المجوسُ والسحرة والعرافون والكلدانيون ليفسروه له فعجزوا، اذ أراد الملك ان يعرفوا الحلم بعبارته وتعبيره ، دون أن يطلعهم على قصة الحلم . وهذا سر من أسرار القصة ، اذ لا يعقل ان نبوخذناصر أراد من المنجمين والسحرة ومن في صفهم ، ان يكشفوا له لا عن تأويل الحلم ، بل عن صورة الحلم ، فكأنه بهذا يطلب منهم الاطلاع على الغيب ، والغيب غيب ، ماضياً كان أم مستقبلاً . ونرجح ان هذا من خيوط القصة السرية . وجاء دور دانيال فقال له الملك ما قاله للآخرين ، فطلب مهلة يعود بعدها بالتعبير الكافي : فذهب دانيال واعلم رفقته ، فقضوا ليلتهم يتناجون كما يقول السفر ،

(١) هذا في الترجمة الاميركية ، أما في الترجمة اليسوعيه فهكذا :

دانيال « بلتنصر
حننيا « شدرك
ميشائيل « ميشك
عزريا « عبد نجو

والتنافس بين دولتي اليونان وبابل على اشده ، وقراءة ما في الجو ليس بالأمر المغلق ، وقلنا ان أنبياء اسرائيل بالأمس هم الذين يروجون «للسياسة» اليوم . وقد قامت القصور فزخرفتها اعشاش التجسس الخفي .

٨ – وجاء دانيـــال الى نبوخذناصر وسرد له ما في جعبته من تفسير مدروس متقن البداية والنهاية ، والغاية والمرمى : لباب الحلم : تمثال ضخم رأسه من ذهب ، ثم يكون سائر اجزائه من فضة ونحاس وحديد وخزف . ولا عبرة بما يقع للتمثال من مصير ، فيتكسر . اختباط الأوضاع السياسية الدولية في الشرق القريب ، فارس واليونان ومصر وبابل ، ما عـــدا الدول الصغرى ، اختباط اترع قلب نبوخذناصر بالمخـاوف والقلق ، فتحرك عقله الباطن . فسر نبوخذناصر من دانيال ، وقال السفر انه سجد لدانيال ، وأمر باكرامه . لكن هناك ما هو اهم من كل هذا : وهو ان دانيال تمكن من ان يجعل نبوخذناصر يعتقد بصحة آله بني اسرائيل . هنا بيت القصيد كلـــه . وعبارة السفر هــي هكذا : « حقاً انــ آلهكم آله ، ورب الملوك وكاشف الأسرار اذ استطعت على كشف هـــذا السر » (دانيال الفصل ٢ :) وكان نبوخذناصر لمـــا جمع المنجمين وطلب منهم ان يكشفوا له عن صورة الحلم فضلا عن تأويله ، هددهم بالابادة اذا هم عجزوا عن ذلك . فقالوا له أما ان نستكشف صورة الحـــلم فهذا لا سبيل لنا اليه فالاطلاع على الغيب لا يكون الا عند الآلهـة ، لا عند البشر . وهنا النقطة المركزية في القصة : فلما علم دانيال بذلك كله ، اتصل برئيس شرطة الملك ، ارنوخ ، وقـال له لا يمضي الملك بالابادة ، وهذا الأمر لا يحله الا رب السماء ، فاذهب الى الملك وقل له اني اخبره صورة الحلم وتعبيره . فدعاه الملك ثم كانت الأجوبة من دانيال على ما اشبع نفس نبوخذناصر بالعقيدة ان دانيال انما تلقى ذلك من ربه عن طريق الرؤيا .

٩ – صورة الحلم : رأى نبوخذناصر تمثـــالاً عظيماً هائلا ، رأسه من ذهب جيد ، وصدره وذراعاه من فضة ، وبطنه وفخذاه من نحاس ، وساقاه

من حديد وخزف . واذا بحجر ضخم يقطع من مكانه بغير يـــد قطعته ، وينطلق هذا الحجر نحو التمثال فيصيبه في قدميـه فيسحقهما ، واذا بكل ما هو حديد ونحاس وفضة وخزف وذهب يمسي كعصافة البيدر،واما الحجر فينقلب جبلاً كبيراً وجعل يضخم حتى شغل الارض كلها .

تعبيره : ١ – نبوخذناصر ملك ملوك ، مؤيد من آله السموات .

٢ – رأس التمثال الذهب هو نبوخذناصر .

٣ – تقوم مملكة اخرى وثالثة من نحاس تتسلط على كل الارض . ثم تكون مملكة رابعة صلبة كالحديد ، ثم مملكة من خزف وهذه تسحق وتفنى .

٤ – في أيام الملوك هؤلاء، يقيم رب السماء مملكة لن تنقرض وتتسلط على الممالك كلها .

وبعد ان وضع دانيال ، صاحبَ الحلم على هـــذا الصعيد ، تركه يهتدي بنفسه الى المصير الذي يختاره .

١٠ – يقول السفر ان نبوخذناصر بعد ان سجد لدانيـــال ، زاد في اكرامه وسلطه على كل ولاية بابل وجعـــله رئيس الولاة على جميع حكماء بابل ! وطلب دانيال من الملك أن يولي شدرخ وميشخ وعبد نغو على اعمال ولاية بابل،وكان دانيال في باب الملك وبهذا اصبحت بابل في قبضة دانيال ! وبعد مدة اقبلت الدولة الفارسية فمحت الدولة الكلدانية ، وهنا نرى عودة اهل السبي الى اورشليم قد تمت على يد الدولة الفارسية ، فتعلق اليهود بها ، وكانت قصة استير .

١١ – ثم رأى بلشاصر ، بن نبوخذناصر ، حلماً غريبـــاً على غرار حلم ابيه من قبـــل ، وعجز العرافون عن تعبيره ، فقالت الملكة للملك : عليك بدانيال . فلما حضر قال له الملك : « أأنت هو دانيال من بني سبي يهوذا الذي جلبه ابي الملك من يهوذا ؟ قد سمعت عنك ان فيك روح الآلهة وان

فيك نيرة ، وفطنة وحكمة فاضلة » .

١٢ – غير ان هذا الحلم هذه المرة كان في اليقظة ، واروع من سابقه : صنع الملك وليمة لعظماء المملكة ، « وشرب خمراً قدّام الألف » . ولما كان يحتسي كأسه ، خطر له ان يحضر آنيـة الذهب والفضة التي أخرجها نبوخذناصر ابوه من الهيكل ، ليشرب بها مع والعظماء وزوجاته وسراريه . فاحضرت الآنية وشرب الخمر . رقد رأينا دانيال في المرة الاولى لا يريد ان يتنجس بتناول طعام القصر الملكي ، وكله حتماً اطايب ، فآثر ان يعود الى ما اعتاده من حبوب القطـاني ، فكيف يطيق الآن ان يرى آنيـة الذهب المخرجة نهباً من الهيكل ، تستعمل في بابل وتنجس هذا التنجس ؟

١٣ – ما ابرع هذه المفاجأة ! فاذا باصابع يد انسان ، تمتد وتكتب على الحائط ،حائط القصر من داخل ، والملك بيلشاصر ينظر طرف اليد الكاتبة . فانحلّ وتقوّض ، واصطكت ركبتاه، وصاح يستنجد بالسحرة والمنجمـين والعرافين،ولا يُستثنى الكلدانيون،ففشلوا جميعاًوعجزوا وخافوا مصير رؤوسهم . لكن لما جاء دور دانيال ، وجاء على الوقت المناسب ،« وعده الملك » انه ان استطاع تفسير هذه الظاهرة الغريبة على الحائط ، فما عدا لباس الارجوان وقلادة الذهب ، فانه يصبح ثالث متسلط على المملكة .

وفي المرة الاولى جُعل على مدينة بابل ام الدنيا في عصرها ، وجعل رئيس الحكماء جميعاً !

وفي المرة الثانية الآن ، ثالث متسلط على المملكة ! واية مملكة هذه ! اليست هي بالامس سبت يهوذا السبي المعلوم ؟

١٤ – وهذا تفسير الكتابة الكلدانية التي ظهرت على الحائط :

١ – « اعطى الله اباك الملك والعظمة والجـلال ، يقتل من يشاء ويستحيي من يشاء ، فلما قست روحه وتصلب قلبه ، انحط عن كرسي ملكه ، وطرد من بـين الناس ، وتساوى قلبه

بالحيوان ، وساكن الحُمُر الوحشية ، حتى علم ان السلطان في مملكة الناس « لله العلي » (اي آله بني اسرائيل !)

٢ - وانت يا بيلشاصر ابنه فملت مثله. بل تعظمت على رب السماء، فاحضرت قدّامك آنية بيته وشربت بهـــا انت وعظماؤك وزوجاتك وسراريك .

٣ - « فاسمع » ! (ثم اورد السفر الكـــلام الكلداني ثم تفسيره ونحن نكتفي بتفسيره) « احصى الله ملكوتك وانهاه . وُزِنتَ بالموازين فوجدتَ ناقصاً . قُسِمَتْ مملكتك وأُعطيتْ لمـــادي وفارس » .

١٥ - قال السفر ان في تلك الليلة قتل بيلشاصر ، فاخذ المملكة داريوس المادي (وهو ابن ٦٢ سنة) .

١٦ - يقول بعض المؤرخين انه يحتمل ان يكون اليهود قد انشأوا العلاقة بينهم وبين داريوس ، مطلعينه على اسرار قصر بيلشاصر قبل اخراج الآنيـــة بوقت قليل . وفارس ارجعت اليهود الى اورشليم بعد ان استولت على بابل.

١٧ - والقصة الى مزيد : رأى داريوس كما يقول السفر ، ان يولي على المملكة ١٢٠ مرزباناً او والياً ، اذ ملكه يمتد من الهند الى الحبشة . وجعل على هؤلاء المرازبة ثلاثة وزراء مراقبين ، واحد الثلاثة دانيال . ومهمة الوزراء المراقبين ضبط المالية حتى لا يقع على خزانة الملك حيف . اصبح دانيال كأنه روتشيلد . وقال السفر ان دانيال فاق زميليه الوزيرين والمرازبة جميعاً فامسى الذروة ، فنفسوا عليه زيادة الفضل فيه ، فراحوا يطلبون علة للايقاع بـــه وزلزلته فلم يجدوها في مجال التبعات التي يمارسها في الادارة والتدبير وحسن الضبط للامور . فقالوا نجدها من جهة شريعة آلهه . هنا مشهد يشبه نوعـــاً ما ، ما كان بين هامان ومردخاي من حيث الصراع ، فماذا فعلوا ؟

١٨ - قالوا لداريوس : عش إلى الأبد أيهـــا الملك ! لقد أجمع الوزراء

والمرازبة والمشيرون والولاة والشحن، بعد التشاور والمناقشة، على أن يصدر مرسوم ملكي يوجب على كل من يطلب طلبـة حتى ٣٠ يوماً من آله وانسان الا منك يكون قد خالف شريعة مادي وفارس، فيجازى بأن يطرح في جب الأسود. فصدر المرسوم.

١٩ - فلما علم دانيال بامضاء المرسوم، كما علم مردخاي بتدبير هامان، ذهب إلى بيته، ونوافذ عليته مفتوحة على جهة اورشليم، فصلى ثلاث مرات في اليوم إلى إلهه، كما كان يفعل من قبل، فاجتمع من الرجال من شاهدوه يصلي صلاته اليهودية المعهودة، فنمي الخبر إلى الملك، فطرح دانيال في جب الأسود، ووضع حجر على فم الجب، وختم بخاتم الملك، وفي الصباح ذهب الملك وناداه فوجده حيـاً، والاسود لم تقترب منه! وقال دانيال: الهي أرسل ملاكه وسد أفواه الاسود! ففرح الملك، وأمر باخراجه، وأن يؤتى بالرجال الذين اشتكوا على دانيال، فطرحوا هم وأولادهم ونساؤهم في الجب، فما هووا حتى صاروا في أشداق الاسود. كمصرع هامان تماماً.

٢٠ – جـاء الحصيد: ثم كتب داريوس إلى كل الشعوب والامم في مملكته، بأن الآله الحي هـو آله دانيال، صانع العجائب، وهو الذي نجّى دانيال من جب الاسود. قال السفر بعد هـذا: « فنجح دانيـال في ملك داريوس وفي ملك كورش الفارسي ».

٢١ – وجاء الدور إلى دانيال نفسه، يحلم الاحلام، ويبلغ الملك معناها ومغزاها. ومـا معناها ومغزاها إلا علو دول وانخفاض دول، وكل حلم من أحلام دانيال يؤلف مسرحية برأسها، جميـلة، دقيقة، محكمة. ثم تفنن في الأحلام وصار يكشف الستار عن معان للارقام الحسابية، وهو الذي أتى بالمعاني « السبعية »، الاسبوع وسبعة أسابيع، وسبعين اسبوعاً. وبنيت على هـذه النظرية فيما بعـد أشياء ومعتقدات كثيرة عنـد كثير من الامم واصحاب المذاهب. ثم نراه في أحد مواقفه يستغني عـن الأحلام ويخاطب داريوس بلغـة أخرى: خطبة سياسية مكشوفة تتناول ايران والاغريق،

وقال انه انمـــا فعل ذلك لـكي يقوّي داريوس ويشدده . ومن جهة اخرى صارت تفسيراته مكشوفة تشبه مـــا ينشره الفلكيون اليوم في مطلع العام الجديد ، من تنبوءآت في الصحف والمجلات الاسبوعية . والشيء الأخـــير نستفيده من أقوال دانيـــال هو انه في الاصحاح الثاني عشر في السفر الذي يحمل اسمه ، اطلـــق دانيال لخياله العنان ووردت عنده هـــذه العبارة : « وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض ، يستيقظون ، هؤلاء إلى الحيـاة الأبدية ، وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي » . ثم بعد هذه عبارة أخرى هي عند« القبالة »أساس مذهبهم في رد مادتهم إلى ينبوع قديم : « والفاهمون يضيئون كضيـــاء الجلد والذين ردوا كثيرين إلى الـــبر كالكواكب إلى أبد الدهور » ومن هاتـين الكلمتين « الفاهمـون » و « يضيئون » خرجت بذرة « حكماء صهيون » كما خرجت البذرة الاخرى من عزرا. فيقول «القباليون» انهم هم المقصودون هنا بالفهم والضياء ، وعلى هذا يستقون من عزرا ودانيال ! و « القباليون » يقيمون وزناً كبيراً للرموز والأحلام ، وتفسير الأحلام .

امـا قبر دانيال فيقـال أن التنقيب الأثري الحديث عثر على مكانه في خوزستان او مدينة شوشان .

* * *

القس وليم هشلر ، كان مدة من الزمن قس السفارة البريطانية في ڤيينا ، وهذا الحادث جرى هناك سنة ١٨٩٦ :

كان القس هشلر من معتنقي عقيدة ظهور المسيـــح على حساب اليهود وطريقتهم ، وراح يتوسع في ذلك وينشر آراءه بمختلف الوسائل حتى صار يعرف معرفة لا بأس بهـا في مجتمع ڤيينا . وسنة ١٨٩١ القى محاضرة حول مصر القديمة ، ومما ذكره في محاضرته هذه قوله : « سألني بعضهم هـــذا السؤال : هل الآباء الأولون في العهد القديم عاشوا حقيقة الاعمار التي ذكرت بالسنين لكل منهم ؟ وأجيب الآن نعم انهم عاشوا تلك الاعمـار الطويلة ، ولكي اتوصل الى هذا فقد بدأت الحساب منذ الطوفان » .

وكان هشلر سنة ١٨٨٤ قبل المحاضرة بسبع سنوات ، قد طبع كراساً عنوانه « عودة اليهود الى فلسطين » وفي ذلك الوقت كان هرتزل في الرابعة والعشرين ، شاباً طويل القامة انيق المظهر واللباس ، صحافياً ، قاصّاً ، في ڤيينا ، وكانت عقيدته في حل معضلة اليهود هي «الاندماج»، لا الصهيونية .

وسنة ١٨٨٢ نقل هشلر رسالة خاصة من الملكة فكتوريا الى السلطان عبد الحميد ، ولم يذكر مؤلف كتـاب « دراسة منقبتين »خريسوفربن مارك سايكس ، ومن كتابه اخذنا هذا ، اي مزيد يفيد ماذا كان موضوع الرسالة الخاصة من فكتوريا الامبراطورة الى عبد الحميد الخليفة وربما احتوت هذه الرسالة رجاءً خاصّاً « انسانيّاً » يتعلّق بالسماح لمنظمة «عشاق صهيون » في روسيا بالاقامة في فلسطين ، اذ هم في مثل هذا الوقت (١٨٨١) وكانوا صرعوا القيصر اسكندر الثاني ، بدأوا يتوجهون الى فلسطين .

ثم ننتقل الى سنة ١٨٩٦ وفي هـــذه السنة ظهر كتاب هرتزل « الدولة اليهودية » فاطلع عليه هشلر والتهمه التهاماً ، اذ رأى فيه ما يبرد من لواذع اشواقه الروحية اليهودية. فجاء يزور هرتزل في ڤيينا فزاره ودار بين الاثنين حديث مسهب لخصه هرتزل بعباراته الموجزة على اسلوبه في تدوين مذكراته:

١٠ آذار ١٨٩٦

زارني القس وليم هشلر قس السفارة الانكليزية .

وهو رجل جذاب رقيق العاطفة ، يزدان وجهه بلحية خالطها البياض ، ويبدو بجملة محياه كأنه أحد الآباء الاقدمين . وهو مهتم بمشروعي المتعلق بحل المعضلة اليهودية . وزيادة على هذا فانه يرى في حركتي تحقيقاً للنبوآت ، وهو قد سبق له ان اخبر بهذا منذ سنتين . وقال ان هناك تنبؤاً وقع في ايام عمر بن الخطاب سنة ٦٣٧ تأويله انه بعد انقضاء اثنين واربعين اسبوعاً نبوياً (بمجموعه ١٢٦٠ سنة) يتمكن اليهود من العودة الى فلسطين . وبعد تعديل الحساب ، على الطريقة الخاصة ، خرجت منه النتيجة وهي ان تكون سنة

١٨٩٥ – ١٨٩٨ سنة العودة .

هذا ما قاله المؤلف كريستوفر سايكس من دراسته ومن نقله ما نقل من مذكرات هرتزل .

على انه في هذه السنة ، عقد المؤتمر الصهيوني العالمي الاول في سويسرا ، وكان هذا تحت هيمنة هرتزل . وفي هذا المؤتمر وضعت في الصيغة الحديثة « بروتوكولات حكماء صهيون » .

* * *

انتهى خبر دانيال . وحوادث هذا السفر ، وان كانت تعود بالزمن الى القرن الخامس والسادس ق.م. غير ان التحقيق العلمي الحديث ردّ مسألة جمعها وتدوينها الى سنة ١٩٠ ق.م لما كان اليهود في فلسطين تحت ضربات السلوقيين خلفاء الاسكندر . وكثير من اسفار التوراة الملحمية المعنى ، انما وضع في خلال هذه الفترة ، وفترة الحروب المكابية ، اذ بعد عودتهم من السبي لم يجدوا راحة الا نوبات قليلة ثم تنطفىء حتى يعودوا الى الويل . وهذا السفر لا يخلو من غرابة في كثير من وقائعه وحوادثه .

بعد السبي

وهم تحت الحكم الفارسي حتى فتح الأسكندر

٥٣٦ - ٣٣١ ق.م.

نعيد في اول هذا الفصل ما قلناه في اكثر من موضع سابق ، من ان اليهود (وقد صار يطلق عليهم اسم **اليهود** بعد سليمان وانقسام المملكة الى شطرين : **يهوذا** ومقرها اورشليم ، **واسرائيل** ومقرها السامرة في الشمال على الغالب) لما حلّ بهم السبي الثاني ، كان أهل السبي الأول أي سبي **اسرائيل** الشمالية ، قد فنوا واضمحلوا في أرجاء مملكة أشور وعاصمتها نينوى في شمال العراق (الموصل) . ولما وقع سبي **يهوذا** بعد قرن وثلث قرن تقريباً ، وانتهى أمر اليهود في فلسطين ، إلا بقايا قليلة مؤلفة من المزارعين والضعفة والعجّز ، انصرف يهود السبي الثاني بكل قواهم وأساليبهم لكي يتداركوا أمرهم فلا يدركهم من الأسباب ما يقضي بفنائهم ، وهم يأخذون العبرة من مصير السبي الاول . أما السبي الاول فبطله سرجون الثاني ملك أشور ، وأما السبي الثاني فبطله نبوخذناصر ، ثاني ملك في المملكة البابلية الثانية التي قامت على يد نابوبولاصر فأسقطت دولة نينوى الأشورية وجددت كيان بابل للمرة الثانية .

وبابل مهد الجنس البشري ، وبقيت نحو ألفي سنة وهي سيدة العالم ، ثم بعد ذلك عصرٌ امتدّ نحو الف سنة كان فيه تجاذب الحبال بين بابل وأشور جارتها الشمالية ، ثم كانت بعد ذلك مدة نحو ثلاثة قرون عادت فيها الى العظمة ، وهذه الثلاثمائة سنة تنتهي ٦٠٧ ق م. إذ قامت بابل في نهضتها

الثانية فقضت على أشور وبدأت بابل تبسط ظلها على معظم العالم حواليها .

هذا الدور الأخير لبابل لم يطل كثيراً ، ومن عجيب الاتفاقات التاريخية ان دولة بابل الثانية هـذه عاشت ٨٩ سنة تقريباً ، ففي بداية امرها سبت يهوذا ، وفي السنة الاولى لاستيلاء فارس عليها ، قامت فارس بالسماح لليهود فتقاربت مدة بقاء دولة بابل مع مدة السبي .

وبدأت بابل الثانيـــة ، وتسمى الجديدة ، على يد نابوبولاصر (٦٢٥ – ٦٠٦ ق.م.) فقد ظهر سنة ٦٢٥ وحرر بابل من أشور ، ثم قضى على أشور سنة ٦٠٧ . وقبل سنتين من هـــذا الوقت كان ابنه نبوخذناصر قد أصبح القائد الأعلى لجيوش أبيه ، وسنة ٦٠٦ أمسى مشاركاً لأبيـه في الملك ، وفي هذه السنة نفسها بدأ يدوّخ يهوذا ، واستمر يكرر ضرباته لها عشرين سنة ، فسباها اربع مرات والمرة الأخيرة كانت سنة ٥٨٦ ، ويقول المؤرخون انه كان بوسعه ان يقضي على يهوذا بضربة واحدة ، وجحافله تقتلع الممالك وتجرف جرفاً ، غير انه كان يود أخـذ الجزية على اوسع نطاق ممكن قبل ان يخرب ما يريد .

والمرات الأربع هي هذه :

١ – سنة ٦٠٦ ضرب نبوخذناصر يهوياكين ملك يهوذا ، وهذا ليس بعده من ملك إلا الأخير وهو صدقيـا . فاستولى الملك البابلي على كنوز الهيكل واستاق عدداً كبيراً أسرى فيهم الكثير من العائلة الملكية والأشراف ومن هؤلاء دانيال وكان صغيراً .

٢ – سنة ٥٩٧ جاء نبوخذناصر ثانيةً واستولى على ما كان باقيـــاً مخبئاً من كنوز الهيكل ، وأخذ يهوياكين أسيراً واستاقـــه الى بابل ومعه عشرة آلاف أسير فيهم معظم الشعب الا من لا يقوى على السير .

٣ – سنة ٥٨٦ عاد نبوخذناصر فاحرق المدينة وهدم أسوارهـــا وسمل عيني الملك صدقيا في أريحا واستاقه الى بابل ومعه ٨٣٢ أسيراً . وهذه المرة

بقي جيش نبوخذناصر لا أقل من ١٨ شهراً في محاصرة المدينة .

٤ – سنة ٥٨١ عـــاد الجيش الكلداني الى اورشليم الخربة واستاق ٧٤٥ اسيراً واستطاع فريق من اليهود ان يفر الى مصر لاجئاً ومع هؤلاء أرميا ، وأرميا لم يعد من مصر بعد ذلك .

وما بقي علينا ان نقوله عن بابل هو : ان نبوخذناصر (٦٠٦ – ٥٦١) هو أعظم ملوك هذه الدولة التي في عصرها السابق أنجبت المشترع العالمي الأول حمورابي العربي . بل كان نبوخذناصر اعظم ملوك الأرض بوقته . حـكم ٤٥ سنة وهو الذي شاد مجد المملكة ، وزين بابل بالعمران الباهر الى حد يقضي بالدهش ، وهذا كله تؤيده مكتشفات الآثار حديثاً منذ القرن الماضي ، فهو موقع السبي . وجاء بعد نبوخذناصر خمسة ملوك آخرهم بلشاصر ، وكان دانيال لا يزال حياً يسعى ويعمـــل ، فاتصل ببلشاصر وكانت بينهما الفصول التمثيلية مما اجملناه في ترجمة دانيال .

وكما ان نبوخذناصر جعل يسبي يهوذا في السنة الأولى من ملكه كذلك كورش الفارسي ففي السنة الأولى من ازالته دولة بابل سمح لليهود بالعودة !

أما عدد السبي فهو على كل حال اقل بمجموعه كله من سبي اسرائيل قبل قرن وثلث تقريباً . لكن لما عاد اليهود من بابل ، عادوا عشرات الألوف ، واثروا في بابل اثراء كبيراً ، وبقي منهم هناك بقية كبيرة لم تقبل ان تعود الى اورشليم وامّا ما ذكرناه في هذه الفقرات من تواريخ وارقام ، فمأخوذ من « موسوعة تاريخ العالم » و « التوراة المختصرة » لهالي .

* * *

والمدة التي قضاها اليهود في منطقة بيت المقدس تحت الحكم الفارسي الى مجيء الاسكندر تقسم الى دورين : الأول منذ ابتداء العودة من السبي الى انتهاء مراحل العودة والفراغ من اعادة بناء الهيكل وأسوار المدينة . وبدأت العودة في اول مراحلها سنة ٥٣٦ ق.م. بقيادة زربّابل احد رجالهم ويقـال

انه من البيت الداودي وملك فارس وقتئذ هو كورش [١] ، وكانت آخر مراحل العودة سنة ٤٣٢ على يد نحميا احد أنبيائهم وقد مرت ترجمته ، فمراحل العودة اقتضت قرنا وبعض سنين .

والقسم الثاني من المدة المذكورة هي بقاء اليهود تحت الحكم الفارسي نحو مئة سنة حتى فتح الاسكندر ، ويبدو تاريخ اليهود في خلال هذه المدة كلها غامضاً خاملا ، يمارس السلطة العليا الوالى الفارسي - المرزبان - ويتولى أمور اليهود محليا الكاهن الأكبر تحت رقابة الوالي ، ومساحة المنطقةاليهودية لا تزيد على بيت المقدس وتمتد شمالاً الى قرب رام الله ، وشرقاً الى نهر الشريعة وجنوباً قرب الخليل وغرباً السهول الساحلية .

* * *

وقد اجمل صاحب كتاب « مختصر التوراة » ، هنري هالي ، هذا كله على هذا الوجه مع التواريخ والحوادث والمراحل والادوار مما ننقله لفائدته للقارىء العربي (ص ٢١٢) من الطبعة العشرين ١٩٥٦ فقال :

* * *

عزرا ــ نحميا ــ استير

العودة من السبي ــ اعادة بناء بيت المقدس

ان هذه الاسفار الثلاثة هي خاتمة الاسفار التاريخية في العهد القديم ، وهي تخبرنا قصة عودة اليهود من بابل ، واعادة بناء الهيكل وبيت المقدس وتجديد الكيان اليهودي وحياتهم القومية في موطنهم الاول ، والمدة التي

---

(١) في الطبري انه تهود على يد مردخاي واستير ويذكره الطبري بلفظ كيرش .

تتناولها هذه الاسفار هي نحو من ١٠٠ سنة ٥٣٦ – ٤٣٢ [١] ق.م. وفي هـذه المدة كان الانبياء الثلاثة : حجي وزكريا وملاخي ، فعاشوا وعملوا في خلالها .

* * *

هناك دوران وكل منهما متميز عن الآخر

من ٥٣٦ – ٥١٦ ق.م. ٢٠ سنة ، وفي هذه المـدة كانت عودة اليهود بقيادة زربابل فكان هو الوالي ويشوع بن يوصادق الكاهن الاكبر ، فأعيد بناء الهيكل ، وهو محور حياة اليهود القومية . (عزرا اصحاح ٣ – ٦) وفي هذا الوقت كان من الانبياء حجي وزكريا .

٤٥٧ – ٤٣٢ ٢٥ سنة ، وفي هذه المدة كانت عودة نحميا ، فكان هو الوالي ، وعزرا الكاهن الاكبر . فاعيد بناء الأسوار ، والمدينة بحصونها. وفي هذا الوقت كان من الأنبياء ملاخي .

اما سفر عزرا فيحدثنا عن المدتين او الدورين .
اما نحميا فيحدثنا عن الدور الثاني .
اما استير ، فتتوسط الدورين .

العودة في ثلاث نوبات

٥٣٦ ق.م. عودة زربابل ومعه (٤٢٣٦٠) يهودياً و ٧٣٣٧ خادماً و٢٠٠ من المغنين و٤٣٥ جملاً ، و ٦٧٢٠ اتاناً، و ٥٤٠٠ قطعة الذهب والفضة (مما اخذه نبوخذناصر) .

---

(١) قلت : ويتلو هـذه المدة ، مدة اخرى هي مئة سنة الى الاسكندر ثم تنطوي صفحة الحكم الفارسي وينتقل اليهود الى حكم دول خلفاء الاسكندر .

٤٥٧ ق.م. عودة عزرا ومعه ١٧٥٤ من الرجال و ١٠٠ وزنة من الذهب و ٧٥٠ وزنة من الفضة ، وهـذا يشقل التقدمات والهـدايا من ملك فارس . ولا ذكر ان نساءكن مرافقات في هذه العودة ولا اطفالاً . قطعت المسافة في ٤ اشهر .

٤٤٤ ق.م. عودة نحميا وهـو الوالي ومعه حرس عسكري فقـام بتجديد بناء المدينة وحصونها وذلك على نفقة حكومة فارس .

تواريخ العودة ومراحل تجديد البناء

٥٣٦ ق.م. (٤٩،٨٩٧) عادوا من بابل الى بيت المقدس
٥٣٦ « في الشهر السابع تم بناء المذبح وقدمت القرابين
٥٣٥ « بدىء في بناء الهيكل ثم لم يلبث ان توقف [١]
٥٢٠ « استئناف عمل البناء على يد حجي وزكريا
٥١٦ « اتمام بناء الهيكل
٤٧٨ « استير تصبح ملكة فارس
٤٥٧ « عودة عزرا من بابل الى بيت المقدس
٤٤٤ « نحميا يجدد بناء الاسوار
٤٣٢ « نحميا يعود الى بابل

* * *

٧٢١ ق.م. سبي مملكة «اسرائيل» على يد سرجون الى بلاد اشور
٦٠٦ « سبي مملكة « يهوذا » الى بابل
٥٣٦ « فارس تسمح لليهود بالعودة

---

(١) هذا ما سنعنى ببيانه عما قريب ، وفيه قصة الامير « جشم العربي » ومعارضة الاقوام المحيطة بمنطقة القدس لليهود في اعادة البناء .

٧ ــ اعداء اليهود بعد العودة من السبي

سنبلّط الحوروني وطوبيا العبد العمّوني وجُشَم العربي

والدور الذي قاموا به لمنع اليهود من تجديد بناء الهيكل واورشليم

بعد ان احطنا علماً بكل ما تقدم ، علينا الآن ان ننتقل في الكلام الى ناحية خطيرة في تاريخ اليهود من حيث محاولتهم اعادة بناء الهيكل والمدينة مع اسوارها في ظل الحكم الفارسي ، وفارس وقتها تشبه في العظمة واتساع الرقعة الامبراطورية البريطانية التي صنعت لليهود في القرن العشرين ما صنعت فارس قبل ٢٥ قرناً ، بل زادت على ذلك ما هو اسوأ بكثير من الناحية العربية ، فكأن الخمسة والعشرين قرناً هذه،وهي امتداد متواصل للحضارة ، قد ردت الضمير البريطاني خمسين قرناً الى الوراء .

* * *

وكان هؤلاء الثلاثة ، زعماء الحركة المقاوِمة ومعهم احلاف آخرون ، واخبار هذه المقاومة وردت في سفري عزرا ونحميا بالتفصيل الذي اراده واضعو الاسفار وجامعوها . لكن ، قبل الدخول في الكلام على حركة المقاومة ، علينا ان نعلم من هم هؤلاء الثلاثة ، ومن يمثلون في الحركة وسبب العداء بينهم وبين اليهود، ومن انضاف الى الحركة من اقوام آخرين في فلسطين الساحلية ، وشرق الاردن ، فضلاً عن فلسطين الشمالية حيث السامرة،وهناك كانت مملكة اسرائيل سابقاً، بحيث ان الحركة كانت مطوقة لليهود ، وحدود المنطقة اليهودية ، ضيقة تمتد من الشمال الى قرب رام الله ،

نحو ١٥ ك.م.، ومن الشرق حتى نهر الشريعة،ومن الجنوب إلىقرب الخليل ، ومن الغرب إلى السواحل او سفوح الجبال المطلة عليها. ونتناول كل واحد من الثلاثة على حدة .

(١) سنبلط الحوروني اليهودي
زعيم السامريين اعداء اليهود

هو زعيم يهود السامرة المناوئين لسبطي يهوذا وبنيامين اللذين منهما كانت تتألف مملكة « يهوذا » الجنوبية ، وباقي الاسباط العشرة كانت تتألف منها مملكة « اسرائيل » في الشمال . وكانت الحروب بين المملكتين تكاد لا تنقطع واحياناً تتحالف هذه او تلك مع ملك سوريا او اشور لكي تتمكن من خضد شوكة ضرتها .

وكيف بقي عنصر من السامريين بعد سبي سرجون لمملكة السامرة ؟

فلما سبى سرجون ملك اشور مملكة اسرائيل او السامرة سنة ٧٢١ ق.م وساق السكان الى بلاد اشور وممتلكاتها ، فرّق المسبيين في انحاء مختلفة ، ولا سيا في الخابور وشمالي ايران ، واتى بأقوام وجماعات من بابل وسوريا وأسكنها مساكن المسبيين وهذهالجماعاتوثنية.لكن بقيتفي السامرة بقايا قليلة من اليهود الاصليين ، لم يستقها سرجون في السبي كما ساق غيرها ، والسبب ضعف تلك البقايا وقلة شأنها وهي في السامرة والارياف ، فلما جاءت الجماعات الجديدة واختلطت بتلك البقايا بطبيعة الحال ، صارت تلك الجماعات الوثنية تنتقل الى الدين اليهودي او الموسوي ومع الوقت امتزج العنصران معاً حتى صارا شيئاً واحداً ، ولهم نزعاتهم التي لا تماشي نزعات مملكة يهوذا التي عاشت نحواً من ١٤٠ سنة بعد سبي السامرة . بعد الرجوع من السبي جمعت اسفار التوراة ، وصارت الى وقت المؤرخ اليهودي يوسيفوس (القرن الاول للمسيح)٢٢ سفراً ، منها كتب موسى الخمسة والباقي انبياء وتواريخ واخبار. فهؤلاء السامريون لم يقبلوا إلا اسفار موسى الخمسة ، ورفضوا كل ما عداها ،

وتمسكوا بهذا حتى اليوم . فازدادت الشقة بين الفريقين ، وبعد سبي يهوذا ، انتعشت حـــال السامريين فنظموا أمورهم واستقلوا دينياً بكيانهم ، وأراد اليهود ان يخرجوا السامريين من حظيرة « اليهوديـة » فلم يستطيعوا ، وجعل السامريون كلما عيّرهم اليهود بأنهم من أصول غريبة يجيبون بأنهم هم من سبط يوسف ، وان التوراة هي الكتب الخمسة لموسى ولا كتب غيرها ، فيرد هؤلاء بأنهم هم عترة اليهود وهم سبط يهوذا وبنيامين ! والتوراة هي اكثر من كتب موسى !

* * *

وهنا بيت القصيد : فلما عاد يهود « يهوذا » من السبي بقيادة زربابل ، لاعادة بناء الهيكل والمدينة ، هب زعيم السامريين يعترض على ذلك، وتحالف معه في هـذه الحركة زعماء آخرون ، منهم طوبيا العبد العموني ، و « جشم العربي » والفلسطينيون الذين كانت بقاياهم في السواحل ومركزهم اشـدود ، وعرب شرق الاردن ، والعمونيون والمؤآبيون ، الى عناصر اخرى ، بحيث لا تذكر التوراة أحداً من اهل الجيرة كان راضياً عن حركة زربابل . وهذا طوق محكم حول المنطقة اليهودية آخذ بمخنقها ، والدولة الفارسية ــ البريطانية في القرن العشرين ــ حامية اليهود على ما سنرى في هذا المساق من الكلام .

* * *

والقارىء العربي اليوم على الجملة ، ومن العادة انه قليل الاطلاع على تاريخ اليهود ، والتوراة ، لا بد انه وهو يجتلي هذه الاسماء الثلاثة ، يسترعي انتباهه ذكر « جُشَم العربي » بهذا اللفظ والوصف ، وانه احد زعماء حركة المقاومة لليهود . وقد عنينا بكل هذا البحث ، وغايتنـــا منه ان نبين بأدلة التاريخ وبالتوراة ، ان العرب في ذلك الوقت ، كانوا :

١ ــ ببعض القبائل يقيمون في السامرة اذ اتى بهم سرجون الاشوري في خبر يختلف عن خبر اتيانه بالجماعات الاخرى ليحلوا محل المسبيين ، وهـذا سنأتي عليه عما قريب .

٢ – محيطين بفلسطين من الجنوب والشرق وبعض الشمال ، فاذا كان الطوق الاول المحيط بالمنطقة اليهودية يتألف من مختلف الاقوام ، الذين منهم بنو عمومة العرب في الدم كالادوميين والمؤآبيين والعمونيين ، فالطوق الثاني الذي يليه هو طوق العنصر العربي الخالد المالىء للجزيرة وبادية الشام والعراق ، وهذا العنصر ابتلع مع الايام العناصر كلها التي كانت في سيناء وشرقي سيناء ، وجنوب الاردن وشرق الاردن . ولا عبرة هنا بالاسماء التي تعيش زمناً ، ثم تتغير ، فيكون المسمون قد اندمجوا بمادة الارومة الاصلية – وهنا الارومة هي مادة العرب التي لا تفنى .

٣ – وما فعلته سنن الكون قبل ٢٥ قرناً من تعريض المنطقة اليهودية تحت الظلال الفارسية للاختناق والجفاف ، تفعله هذه السنن اليوم ، وهي سنن ثابتة لا تتغير ولا تتبدل .

و « جشم العربي » سنعلمه انه من عرب شمال الحجاز وكان أمير قومه وله سيف وسلطان .

* * *

سنبلط الحوروني

نعود الى سنبلّط الحوروني والسامريين . وراح اليهود العائدون من السبي ينظرون شزراً الى السامريين ، ويكيدون لهم ، وكان بين الفريقين صلات زواج ، فحرّم كهنة اليهود الزواج من السامريات واوجبوا ان تطلق السامريات المتزوجات من اليهود وهذا ما قام به عزرا ونحميا خاصة . فلنسمع نحميا نفسه يقول في آخر سفره : « وفي تلك الايام ايضاً رأيت يهوداً قد تزوجوا نساء اشدوديات (فلسطينيات) وعمونيات ومؤآبيات وكان نصف كلام اولادهم بلغة اشدود ، ولم يكونوا يحسنون التكلم باليهودية ، بل بلسان شعب وشعب . فخاصمتهم ولعنتهم وضربت منهم رجالاً ونتفت شعرهم واستحلفتهم بالله ان لا تعطوا بناتكم لبنيهم ولا تأخذوا بناتهم لبنيكم ولا لكم . . . وكان

واحد من بني يهوياداع بن الياشيب الكاهن العظيم صهراً لسنبلط الحوروني فطردته من عندي » ، وهذا بعدئذ انضم الى حلف سنبلط في مقاومة نحميا . وذكر عزرا في آخر سفره اسماء اكثر من مئة عائلة نساؤها غير يهوديات . فالانشقاق بين اليهود والسامريين وقع في أيام نحميا . ويذكر بعض الكتاب ان هذا وقع سنة ٤٣٧ ق.م .

والى ذلك الوقت ، لم يكن للسامريين هيكل . فقابلوا حركة الكيد من اليهود العائدين من السبي بانشاء هيكل لهم على جبل جرزيم (نابلس) واعتبروه بمثابة « جبل الطور » ، وبقوا على الاسفار الخمسة ، وتحول هذا الى عداء مرّ استمر القرون مما لا حاجة لنا الى متابعته في هذا الموطن ، وعلى الجملة راح السامريون يعينون كل فاتح بعد ذلك يدوّخ البلاد ويريد ضرب اليهود ، من الاسكندر الى الرومان وغيرهما ، وكان السامريون يقيمون في انحاء مختلفة في فلسطين بعد الفتح الاسلامي ، ثم تقلصوا حتى باتوا اليوم لا يزيدون على عائلة وموطنهم نابلس .

وكان سنبلط زعيمهم الاكبر يوم عاد اليهود من السبي يريدون تجديد بناء الهيكل والمدينة واسوارها . وذكر « قاموس الكتاب المقدس » (بيروت ١٩٦٤) في موجز ترجمته (لسنبلّط) : « وقد جاء في اوراق البردي التي اكتشفت في الجزيرة في اسوان انه كان حاكماً للسامرة قبل عام ٤٠٧ق.م. ».

* * *

(٢) طوبيا العبد العموني
احد الاركان الثلاثة في مقاومة حركة نحميا

هو احد الزعماء السامريين ، مثل سنبلط ، ومن وزنه ، الذين اعتصبوا حلفاً وقادوا حركة المقاومة لنحميا في اعادة بناء اورشليم والهيكل. والثالث في الحلف هو جُشَم العربي – بهذا اللفظ في السفر – واذ اوجزنا خبر سنبلط،

فلنعلم ما نستطيع علمه من امر طوبيا ، ثم نتناول جشم .

كان احد ابناء يوياداع بن الياشيب الكاهن الاكبر لليهود في اورشليم صهراً لسنبلط السامري ، والعداء مستحكم بين السامريين في السامرة ، واليهود في اورشليم ،والمسافة بينهما نحو ٧٥ كيلومتراً .

فقام نحميا وطرد حفيد الياشيب من الجماعة اليهودية جزاء له على مصاهرته لسنبلط . فانتقل هذا من القدس الى السامرة ، وانضم الى سنبلط في حركة المقاومة .

لكن كانت هناك علاقة قوية بين طوبيا والياشيب الكاهن ابي يوياداع ، نمت واستحكمت عراها في غيبة نحميا الى مملكة فارس ، فهيأ الياشيب مخدعاً خاصاً لطوبيا ينزل فيه عندما يكون هذا في بيت المقدس ، وهذا المخدع هو في داخل بناء الهيكل ، وكان مستعملاً سابقاً لغرض آخر ، وهو ان يحفظ فيه ما يتعلق بالهيكل من تقدمات وآنية ولبان ، وانصبة الكهنة اللاويين من العشور المفروضة لهم . وكان الياشيب هو متولي المحافظة على هذه الأشياء كلها بصفته الكاهن الاكبر ، فاخرجها ، كما يبـــدو من المخدع ، ليجعله نزلاً لطوبيا عند الحاجة .

فلما عاد نحميا من فارس ساءه ما صنع الياشيب ، فألقى بأمتعة طوبيا الى خارج واعلن سخطه . ويتضح من هذا ان الياشيب لما صنع ما صنع ، وهو الكاهن الاكبر ، لم يكن مقتنعاً بتطرف نحميا في مقاطعته السامريين في الزواج ، الى الحد الذي يريده نحميا . وتطرّف نحميا أدى الى الانفصال وترسيخه . فانظر الى نوع العلاقة بين اليهود العائدين من السبي ، وقد وصفنا اطوارهم ، وبين هؤلاء السامريين في الشمال ، ورغم المناوأة بين الفريقين من حيث اصل الارومة من جهة السامريين ، ومن حيث اعتبار كل فريق لاسفار التوراة اعتباراً يختلف عن الآخر ، فقد كان بين الفريقين مصاهرات ، وعلى هذا نقم عزرا ونحميا .

هؤلاء الثلاثة : سنبلط ، وطوبيا ، وجشم ، يؤخذ من سرد اسمائهم على هذا الترتيب في سفر نحميا الذي فيه كل هذا الموضوع ، ان نفوذ كل منهم كان مندمجاً بنفوذ زميله .

* * *

(٣) جُشَم العربي

نوجزه في هذا المساق :

١ — هو في الترجمة الاميركية « جَشَم » ، بفتح اوله ، وفي اليسوعية « جاشم » ، ونرى ان الصحيح الذي لا ريب فيه هو « جُشَم » وهو عندنا في العربية اليوم من الاعلام الممنوعة من الصرف ، ويذكر شاهداً في كتب النحو.

وهذا الممنوع من الصرف قال النحاة فيه انه معدول عن صيغة اخرى كزُحَل عن زاحل ، وزُمَر عن زامر ، ولما كان للممنوع من الصرف علتان توجبان ذلك ، وهي العَلَمية ، وهذا هو الاصل ، وعلة اخرى فرعية ، ولما جاؤوا الى جشم وزمر وعمر وقثم ، قالوا العلة الفرعية هنا هي كونه محولاً عن صيغة اخرى ، هي زامر وعامر وقاثم وجاشم الى آخر الامثلة ، وانتهوا في الاعتبار عند هذا الحد في العلة الفرعية ، وهذا ما سموه «العدل» وهو مصدر فعل «عدل» ، وعدل عن الامر او الطريق حاد عنه .

وقضية جشم تقتضينا زيادة التوضيح ، فهي على جانب كبير من الدقة والطرافة ، واي شيء ادق ، لعمري ، واطرف ، من ان نجتلي قدر المستطاع حقيقة امير عربي اصله من شمالي الحجاز ، آباؤه هنا في السامرة منذ نحو قرنين ، فرسخ في السامرة وامتدت جذوره ، وجشم اليوم نراه احد اركان الحلف لمقاومة اعادة بناء الهيكل والاسوار .

* * *

٢ – ولنحل اولاً مسألة «العدل» و«المعدول» والممنوع من الصرف، فالاسماء المعدولة عندنا في كتب الصرف والنحو محصورة معدودة وهي نحو ١٥ اسماً، وذكرنا بعضها في الفقرة المتقدمة، وهذه البقية : جُمَح، وقُزَح، ودُلَف، وعُصَم، وثُعَل، وحُجى، وبُلَع، ومُضَر، وهُبَل، وهُدَل . كلها على وزن فُعَل .

وقالوا : « ان العدل قسمان : تحقيقي، وهو ما كان خروجه عن اصل محقق يدل عليه دليل غير منع الصرف، وذلك في الصفات كأحاد وأُخَر، وتقديري، وهو ما كان خروجه عن اصل مقدر مفروض يكون الداعي الى تقديره وفرضه منع الصرف لا غير، ولا يكون هذا الا في الاعلام الخمسة عشر التي جاءت ممنوعة ولم يوجد فيها سبب ظاهر الا العلمية، فاعتبر فيها العدل تصحيحاً لمنعها، ولما توقف اعتبار العدل على وجود اصل، ولم يكن فيها دليل على وجوده، قدر لكل واحد اصل عدل عنه الى الصورة الحاضرة (بحث المطالب ص ١٥٩)

* * *

وقال ابن هشام الانصاري المصري المتوفي سنة ٧٦١ هـ في كتابه « شرح شذور الذهب» : «مثال العدل من العلمية : عُمَر وزُفَر وزُحَل وجُمَح ودُلَف، فانها معدولة عن عامر وزافر وزاحل وجامح ودالف، وطريق معرفة ذلك ان يتلقى من افواههم (افواه العرب) ممنوع الصرف، وليس فيه مع العلمية علة ظاهرة » (طبعة ١٩٥٣ ص ٤٥١)

* * *

٣ – ونرى ان هذا العدل انما جرى على اسماء علم انتهت الى العربية المضرية من لهجة عربية سابقة، وهنا قد يرجع الاسم الى اصل في لغة العمالقة او مدين او قيدار، او أي شعب عربي كان بين العراق وسيناء وشمال الجزيرة . ولذلك جعل علماء اللغة السبيل الى معرفته «السماع» كما قال ابن هشام الانصاري . واذا جئنا نفكر في ان عمر معدولة عن عامر، فلا

نجد منطقاً يسلم بأن « عـامراً » اسم منصرف متمكن امكن ، كما يقول الصرفيون والنحاة ، لمّا عدلنا به الى «عمر» امتنع هذا عن الصرف، ولماذا ؟

٤- والدليل على ان «السماع» هو السبيل الصحيح الى معرفته، قلة عدد الاسماء العلمية المعدولة .

٥ – اما ان يكون قد انتهى الينا اسماء عربية اخرى من الشعوب العربية القديمة المذكورة في التوراة ، فشيء وافر ، وهذا بعضه او معظمه :

مِبْسام ، مِسْماع ، تَيْما ، قِدْمة ، بَسْمة . (سفر التكوين فصل ٢٥)

شَمّة ، مِزّة (التكوين فصل ٢٦)

صَفْو ، عَماليق ، عَلْوان ، عَلْوة ، حَمْدان ،تَيْمان. (المصدر نفسه)

سَمْلة (بنت مسريقة) مهطبئيل بنت مَطْرِد بنت «ماء ذهب» (في ملوك ادوم) والشاهد هنا مطرد وماء ذهب (المصدر نفسه)

آوِي، راقِم، صور، حور، رابع،وهي اسماء ملوك مدين. (سفر العدد ٣٠)

زَبَح (في اليسوعية «زاباح»).. وصلمنّاع ، ملكامدين،غراب، ذئب، اميرا مِدْين (في اليسوعية عوريب وزيب).

٦ – قال الدكتور جواد علي في كتاب « تاريخ العرب قبل الاسلام » (ص ٣١٦ ج ٣) : « ووصلت الينا اسماء ثمودية كثيرة مثل اوس ، وسعد ، وعفير ، ووائل، وبارح ، وعياش ، واياس ، وقيس بن وائل وغيرها. »

وقال الدكتور جواد علي ايضاً ص ٣١٤ :« وقد عثر على كتابات ثمودية يرجع تاريخ عدد منها الى القرن السابع قبل الميلاد ، وهناك كتابات يظن انها اقدم عهداً منها غير ان اكثر ما عثر عليه من كتابات ثمودية يعود تاريخه الى ما بعد الميلاد » .

٧ – فنرى ان «جشم»العربي» وقد حفظته التوراة بهذا اللفظ ، ولا عبرة بأن الترجمة الاميركية جعلته «جَشَم» و«اليسوعية» «جاشم»، اذ هو هكذا « جُشَم » منذ القرون الخوالي ، وهو في السامرة في القرن الخامس قبل الميلاد ، احد الاسماء العربية الاصل التي عاشت الى اليوم . وهذا هو خبره قدر ما استطعنا جمعه وترتيبه .

٨ — « جُشم العربي »

زعيم العرب في السامرة في اواسط القرن الخامس ق . م

كيف وجد العنصر العربي في السامرة في تلك العصور ؟ ومن اين جـــاء « جُشَم » ، ووصفته التوراة « بالعربي » فلم تقل العماليقي ، كما قالت في هامان ، ولا المدياني ، ولا الاسماعيلي ، ولا القيداري ولا من « بني المشرق » ، وهو تعبير آخر في « العهد القديم » عن العرب الذين كانوا وراء ممالك ادوم وعمون ومؤآب (شرق الاردن) نعم ، لما جمعت اسفار التوراة ، وهذا بعد السبي لا قبله ، كانت كلمة (عرب) قـــد رسخت في معناها ومدلولها وشمولها ، وغطت على التعابير السابقة ، وصارت تستعمل في التوراة بالمعنى الذي هـو قريب من استعمالنـــا اليوم . وذكر العرب في « العهد القديم » وارد مراراً ، واما في التلمود فوارد ايضاً ، غير ان التلمود بدىء بوضعه بعد هـــذا الوقت بعد قرون . وامـــا نعت « جشم » « بالعربي » في سفر « نحميا » ، لم يكن من واضع السفر تبرعا او استحساناً ، بل مجاراة للواقع ، اذ جشم كان يلقب بالعربي ، اذ وجوده في السامرة ، او شرق الاردن ، ونحن نرجح في السامرة للاسباب القريبة الورود ، كان مع قبائل عربيـــة هو في ذلك العصر كان اميرها المطاع . ولندخل في القصة التاريخية :

جاء في قرميدة من القرميد المكتشف في العراق في الزمن الحديث مما يتعلق بفتوحات الملك سرجون الثاني ، ملك اشور ، مـــا يلي : « ان قبائل ثمود وعباديد مرسمان وخيابا من قبائل العرب سكان البادية الذين لم يصل خبرهم الى حكيم ولم يدفعوا الجزية لاحد قبلي ، كل هذه الامم غلبتها باسم الهي اشور ، ونقلت بقاياها الى سامريا » [1] .

---

(١) زيدان — تاريخ « العرب قبل الاسلام » ص ٩٢ وغلازر ص ١١٢ و ٣٢٧ .

والسبب في وصول سرجون الثاني الى اعالي الحجاز او شمالي الجزيرة هو ان عرب هذه البلاد كانوا قد غزوا السامرة ونهبوها قبل ذلك وكانت السامرة في حماية الاشوريين فعزم سرجون على الانتقام . على ان السامرة ، ويهوذا ، كانتا معرضتين لتغزوهما الشعوب المجاورة المختلفة مرة بعد اخرى، وما تاريخها الا هذا حتى السبي الثاني منذ انقسام المملكة بعد سليمان في القرن التاسع ق.م اذ المملكة اليهودية الصغيرة هي، مجردة عن كل وصف من اوصاف الغلو الذي ينفخ في ابواقه اليهود وفريق من الكتاب التوراتيين ، كناية عن فخذ دويلة تتحكم فيها دولتا الواديين الكبيرين : وادي الفرات من الشرق ، ووادي النيل من الغرب ، كما كان يتحكم فيها فريق ثالث لكن الى حد أقل ، هو ملوك سوريا الآراميين . وبين هذه القوى الثلاث كانت « يهوذا » و « اسرائيل » تأخذان بالمداهنة والملق والرياء تارة، والعصيان والتمرد طوراً ، لدى كل دولة من هذه الدول الثلاث ثم تحل بها الضربة . ولم يتسم تاريخ اليهود بغير هذا على طول المدى . وهذا واضح لا يحتاج الى دليل . فالغزو الذي قامت به القبائل العربية القوية الشكيمة ، في اعالي الحجاز ، للسامرة اليهودية ، في اثناء الثلث الاول من القرن الثامن ق.م لم يكن غزو دولة كدولتي الفرات والنيل ، لكنه عظيم الخطر اذ يدلنا على ما كانت عليه تلك القبائل من الصولة والمنعة حتى تقوم بذلك الغزو ، والسامرة في حماية ملوك اشور .

وسرجون الثاني مدته من ٧٢٢ – ٧٠٥ ق.م. واما سبي مملكة اسرائيل الشمالية او السامرة فقد كان في اول سني ملكه ٧٢١ ق.م. وبعد هذا بنحو سبع سنين او ٧١٥ ق.م. قام سرجون باكتساح بلاد العرب مجتازاً البوادي حتى يصل الى اماكن لم يصلها احد قبله . قال زيدان : « وذكر في جملة القبائل التي اخضعها او الملوك الذين ضرب عليهم الجزية: ثمود ويثعمر السبأي وشمسية ملكة العرب » – هذا على حدود مصر وسينا – وهذا نص القرميدة كما قرأوها ، فبعد ان ذكر فتوحه في الشام ومصر وبلاد العرب قال : « ووضعت الجزية على فرعون ملك مصر وشمسية ملكة العرب (عربي)

ويثعمر السبأي (او يثعمر السبأيين) واخـذت حاصلات الذهب من جبالهم والخيول والجمال » [١] .

وليست هذه المرة الوحيدة لغزو الاشوريين بلاد العرب او القبائل التي في اطراف الجزيرة فقد تكرر ذلك مراراً بين سنة ٩٠٠ – ٥٦٢ ق م. وقد قام بذلك تغـلات بلاصر الثالث (٧٤٥ – ٧٢٧) ثم سرجون الثاني (٧٢٢ – ٧٠٥) ثم سنحاريب (٧٠٥ – ٦٨١) ثم اسرحدون (٦٨١ – ٦٦٨) ثم اشور بانيبال (٦٦٨ – ٦٠٥) ثم نبوخذناصر (٦٠٥ – ٥٦٢) ق.م. (عند العرب بختنصر) وعلى يديه كان سبي مملكة يهوذا ، وبعد ذهاب دولتي اشور وبابل قامت دولة الفرس ، ثم الاسكندر .

وكان نقل القبائل او جانب من الشعب او السكان من موطنهم الى مهجر جديد عادة عند الدول القديمة الظافرة في حرب او محبة الانتقام والقصاص . ونقل سرجون تلك القبائل العربية الى السامرة كان من هذا النوع .

واما اين كانت تقيم تلك القبائل العربية قبل نقلها الى السامرة ، فهناك رأيان فإمّا في اعالي الحجاز القريبة من منطقة العقبة ، وهذا ما ذكره زيدان وذهب اليه ، وإمّا قرب خليج العقبة وهذا يجعلها اقرب مكاناً الى السامرة. قال الدكتور جواد علي صاحب « تاريخ العرب قبل الاسلام » [٢] : « ويرى

---

(١) المصدر نفسه . و « تاريخ العرب قبل الاسلام » للدكتور علي الجزء الثاني ص ٣١٢ - ٣١٧ .

(٢) « تاريخ العرب قبل الاسلام » لزيدان في جزء واحد ، صدر في العقد الاول من هـذا القرن،وكان اول مؤلف بحث في هذا الموضوع بحثاً علمياً منظماً مستنداً الى اقوال ثقات المؤرخين، وما كشفت عنه اعمال التنقيب والنقوش الكتابية في جزيرة العرب والشام والعراق ، فله منزلته الكبيرة الباقية لا ريب في هذا وبقي نصف قرن وهو اوثق مرجع . أما كتاب الدكتور جواد علي فيحمل العنوان نفسه « تاريخ العرب قبل الاسلام » انما جاء فتحاً جديداً جامعاً ، وافقاً مترعاً جعل كل وارد للحوض منه يستقي وله تابعاً ، وهذا المؤلف موسوعة في نحو عشرة اجزاء ضخمة ، زاخرة بمختلف النصوص والرسوم والنقوش والكتابات بحيث يمكن ان يقال انه لم تبق مادة تتعلق بتاريخ العرب كله قبل الاسلام الا جمعت ونخلت ووزنت في نفسها،وقوبلت بنظائرها وما يثبتها او يضعفها للجلاء والتصفية . وهذا الكتاب الفريد هو من مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، وصدر الجزء الاول منه سنة ١٩٥١ .

«موسل» ان هذه القبائل الاربع المذكورة في اخبار سرجون الثاني التي تعود الى سنة ٧١٥ قبل الميلاد ، وهي قبائل مَدْينية (مديانية) -بالترجمة الاميركية واما الترجمة اليسوعية فذكرتها مِدْينية نسبة الى مِدْين كما جاءت في القرآن الكريم- تدخل في ضمن مديان المذكورة في التوراة، وفي جملتها قبيلة ثمود. وأذا صح هذا الرأي، تكون الحملة التي قام بها سرجون الثاني قد وجهت الى قبائل كانت تقيم في العربية الحجرية المقابلة لخليج العقبة، وربما وصلت الى حدود تيما، وبناء على ذلك اضطر « يثع امر » السبئي الى دفع الجزية الى الاشوريين ، ولم يكن « يثع امر » هذا غير كبير على « ديدان » وقد امر سرجون بنقل عدد من رجال القبائل الى منطقة السامرة عقاباً لهم وقد كانت سياسة الترحيل الاجبارية من الخطط المتبعة عند الاشوريين وعند غيرهم من الحكومات »[1] .

* * *

وفي اي جانب من هذين الرأيين كانت الصحة او معظمها ، في معرفة المجال الذي كانت تقيم فيه تلك القبائل، أهو أعالي الحجاز امما هو اقرب منه الى السامرة قرب العقبة ، فـان « جشم العربي » ، على ما نستنتج هو سليل هؤلاء العرب في السامرة وفي ايام نحميا كان جشم اميراً على عرب السامرة ، اي بعد نقل قومه بنحو ٢٧٠ سنة .

وهذا ما يذهب اليه فريق من العلماء . قال الدكتور جواد علي : —

« ويخبر سفر نحميا ان «سنبلط الحوروني» وطوبيا العبد العموني « وجشم العربي» قد احتقروا اليهود حينما حاولوا بناء سور القدس واغتاظوا من ذلك ، وان سنبلط وطوبيا والعرب والعمونيين والاشدوديين غضبوا جدا وقرروا ان يحاربوا اورشليم ، وان سنبلط وجشم خاصة حاولا ابطال بناء السور ، لانهما خافا من تمرد اليهود ومن عودة ملكهم . فيظهر من سفر نحميا ان هؤلاء المذكورين كونوا جبهة حاولت منع نحميا من اعادة بناء سور القدس (اورشليم) وتحكيمه ، وذلك لانهم وجدوا في احكام المدينة خطراً يتهددهم

(١) الدكتور جواد علي الجزء الثالث ص ٣١٨ .

واحياء لمملكة يهوذا التي قضى عليها البابليون . وهذا مما يدل على ان العرب وحلفاءَهم قد استعادوا نفوذهم في فلسطين ، وانهم كانوا على ابواب القدس . ويظهر من هذا السفر ايضاً ان عدداً قليلاً من العبرانيين حاولوا الرجوع بعد السبي الى اورشليم على الرغم من سماح الفرس لهم بالعودة ومن الحاح الانبياء عليهم في طلب الرجوع » . (جواد علي ٣٦٢)

اما بشأن « جُشَم » العربي ، فقد قال جواد علي متمماً ما تقدم:

« واسم جُشَم من الاسماء المعروفة [١] ، ويرى بعض العلماء احتمال كونه من العرب الذين اجلاهم سرجون من ديارهم ونفاهم الى السامرة ، او انه من مشايخ الاعراب الذين كانوا يقطنون جنوب يهوذا ، ولهذا اشترك في الحلف الذي عقد لمنع نحميا من بناء سور اورشليم » .

* * *

وأورد « قاموس الكتاب المقدس[٢]» ترجمة « جُشَم» على ما في نحميا ، وانما جاء بكشف جديد يدل على ان « جشم » كان ملكاً على قبيلة قيدار : و « قد اكتشف مؤخراً نقوش في الجهة الشمالية الشرقية من مصر على وعاء فضي ويذكر ان جشم كان ملكاً على قبيلة قيدار [٣] » .

---

(١) قال الفيروز آبادي في « القاموس المحيط » في مادة « جشم » الاسم على وزن فُعَل ان في العرب احياء متعددة باسم «جشم» وهي من مضر ومن اليمن ومن تغلب ، وفي ثقيف وفي هوازن.

(٢) هذا الكتاب القيم حديث الوضع قام عليه « نخبة من الاساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين » كما جاء في صفحة الوسمة . وهيئة تحريره : الدكتور بطرس عبد الملك ، والدكتور جون الكساندر طمسن ، والاستاذ ابراهيم مطر . صدر الجزء الاول منه في بيروت سنة ١٩٦٤ يشتمل على المواد من حرف « الف » الى « سين » وقدم له الدكتور فيليب حتي الاستاذ الشرقي في جامعة برنستون . وهو على غرار « قاموس الكتاب المقدس » للدكتور جورج بوست الذي ظهر في بيروت بين ١٨٩٤ - ١٩٠١ .

(٣) قاموس الكتاب المقدس مادة « جشم» واورد كاتب هذه الترجمة : القس ابراهيم عبدالله « جشم » بفتح الجيم ، وقد سبق لنا ابداء الملاحظة على هذا . فهي « جُشم » والامر واضح .

وهذا كشف خطير في بابـــه ، وليت ملخص ترجمة جشم في قاموس الكتاب المقدس أعطانا تفصيلا اكثر ، اذا كان لديه ذلك ، ممـــا يتعلق بهذا الوعاء .

ومن هذا يؤخذ على ايجازه ان جشم كان أكبر من شيخ قبيلة ، وهـــذا الكشف يذكره بانه كان ملك قبيلة قيدار ، وقيدار لها خبر فصله الدكتور جواد علي في الجزء الثاني من كتابه « تاريخ العرب قبل الاسلام » ، ونأخذ عنه بإيجاز واقتضاب :

« قيدار » الولد الثاني من اولاد اسماعيل بن ابراهيم .

« قيدار » التوراة هو في التـــاريخ العربي (الطبري والمسعودي وابن خلدون) « قيذار » و « قيذر » و « قيدر » و « قاذر » قبيلة عربية ورد اسمها في النصوص الاشورية والمؤلفات الكلاسيكية (لمؤرخين رومان ويونان) فذكر بلينوس انها كانت تقيم على مقربة من النبط ، وقد حاربهم اشور بنبال (٧٦٨ — ٦٢٥ ق . م) وكان ملك قيدار في ذلك العهد الملك « أو أيطع » بن خزاعيل . وجاء ذكر قيدار في سفر حزقيال حيث جمع بينهم وبين العرب : « العرب وكل رؤساء قيدار » . ويظهر من الكتابات الاشورية ومن التوراة والكتب الكلاسيكية ان القيداريين كانوا شعباً قوياً ، تغلب عليهم البـداوة ، ويعيشون في الخيـام عيشة الاعراب . وقـد وصفت خيامهم في التوراة بانها خيـام سود ... وكانوا يعتنون بتربيـة المواشي .. وكان من القيـداريين حضر يسكنون المدن ، ومنهم من يقيم في منـاطق صخرية ، وقد اطلقت التوراة على المخيمات والأماكن التي اقاموا فيها كلمـة « حصور » وتعني هذه الكلمة ما تعنيه كلمة « حيرتا » في الارامية و« الحيرة » في العربية ... وقد يرجع تاريخهم الى ما قبل حملة اشور بنبال ، وقد يصل الى الالف الثانية قبل الميلاد . ويظهر انهم كانوا يهاجمون مع قبائل عربية اخرى حدود مملكة اشور والقوافل الاشورية لذلك جردت عليهم اشور تلك

الحملة ، وقد شهدوا نهاية حكومة اسرائيل وعاشوا الى ما بعد ذلك [١].

ونحصر الاستنتاج ان « جشم العربي » كانت له قوة ومنزلة توزنان وزناً كبيراً ، زمن نحميا اليهودي العائد من السبي يريد اعادة بناء أسوار اورشليم وزمن سنبلط الزعيم السامري اليهودي خصم نحميا ، بالوجوه التالية :

١ - ان يكون جشم وارثاً إرثاً سلالياً زعامة العرب في السامرة منذ نقل سرجون الاشوري تلك القبائل العربية الى السامرة قبل الآن بنحو ٢٧٠ سنة .

٢ - ان يكون جدوده قد علوا الى زعامة العرب في السامرة في اثناء هذه المدة حتى انتهت اليه الزعامة زمن نحميا وسنبلط .

٣ - اما ان نعتبره ملك قيدار ، كما جاء في الآنية المكتشفة في مصر ، فهذا مما يزيد معلوماتنا عنه على ما جاء في التوراة . فاذا صح هذا ، فيكون لجشم زعامة عربية تشمل السامرة وشرق الاردن .

٤ - ونعت « بالعربي » لأن مجموعة القبائل التي نقلها سرجون الى السامرة انما صارت تتميز بصفتها القومية الجنسية العربية العامة اكثر من امتدادها ان تعرف بأسماء قبائلية فرعية خاصة متفرقة . واذا كان الاسم القبائلي لم يتغير لفظه بين عرب السامرة أنفسهم وهم على كل حال ليسوا بالكثرة الكاثرة ، فهم في نظر نحميا « عرب » وكان العرب خصومه .

٥ - ومهما يكن من أمر ، فاننا نعتبر جشم زعيماً عربياً له وزنه وعلو شأنه ، ازاء نحميا في اواسط القرن الخامس قبل المسيح . ولننتقل بعد هذا الى خبر معارضة الحلف لنحميا .

---

(١) الدكتور جواد علي الجزء الاول ص ٢٩٠ ملخصاً .

٩ ــ مقاومة السامرة لليهود بعد العودة

من السبي على يد حلف كبير

هذا الحلف ، كما عرفنا ، مؤلف من سنبلط الحوروني (الحوروني نسبة الى قرية كانت تعرف « ببيت حورون » في السامرة وهي اليوم « بيت عور التحتا » و « بيت عور الفوقا » وطوبيـا العبد العموني ، وجُشَم العربي ، قد مر ذكرهم جميعـاً ، والعمونيين في شرق الاردن ، والاشدوديين في سهول فلسطين الساحلية الجنوبية ، لتطويق اليهود في المنطقة التي كانوا يقيمون فيها ، ويمنعوهم من اعادة بناء الهيكل والاسوار ، وكل هذا هدمه وخربه واحرقه نبوخذ ناصر كما رأينا .

* * *

بين عودة زربابل ، وهو اول قافـلة عادت من السبي في زمن كورش (كيرش عند العرب) الفارسي سنة ٥٣٦ ق.م. وعودة نحميا ، وهو ثالث قافلة وهي الاخيرة سنة ٤٤٤ ق.م. — ٩٢ سنة .

في خلال هذه المدة اجتاز اليهود الخطر المذهل الذي كان ينذرهم بالمحو والفناء ، جملةً وتفصيلاً ، وهو ان يفنوا في مملكة بابل الكلدانية بهذا السبي الثاني كما فني بنو قومهم من قبل وهم يهـود اسرائيل الشمالية ، وكان ذلك السبي على يد الملك سرجون الاشوري الثاني .

فالسبي الاول سنة ٧٢١ ق.م. جرف الاسباط العشرة التي كانت تقيم في السامرة وبعض اجزاء شرق الاردن ، واما كيف تلاشت هذه الاسباط تلاشياً تاماً بالسبي الاول ، وكيف وزعت في مملكة بابل ، حتى انطفأت اخبارهـا

بالمرة من الوجود ، فذلك كله لم تحفظ لنا اخباره في تواريخ بابل واشور وفارس ، حتى لم يستطع اليهود انفسهم ان يحفظوا شيئاً منه . والسبي الثاني ليهوذا شمل السبطين ، الباقيين من الاثني عشر سبطاً ، وهما يهوذا وبنيامين .

وقصة اليهود بعد ذلك محصورة بهذين السبطين ، ولولا يقظتهم العجيبة في السبي الثاني ومدته ٥٠ – ٧٠ سنة ، على يد « انبيائهم » واستير ومردخاي ولولا مساندة دولة فارس لهم ، لاضمحلوا من سفر الوجود ، ولما كان تاريخ العالم تعثر بهم مرة اخرى في عدة ادوار ، وهم ينسجون ، حتى الثورة الفرنسية في اواخر القرن الثامن عشر ، خيوطهـا السرية المشتقة من روح « التلمود » ، و « التلمود » مخطط الافساد البشري ، حتى انتظموا بالتالي « بالقبالة » السرية ، ومن « القبالة » خرج المخطط الحديث بشكله القديم بروحه وغايته وهدفه ، وهو « بروتوكولات حكماء صهيون » .

* * *

المقاومة لزربابل وعزرا ونحميا ، لكي لا يمكّنوا من تجديـد الهيكل والمدينة واسوارها ، تقسم الى قسمين .

فالاول ، هو مقاومة زربابل ؛ فأدى ذلك الى وقف العمل بأمر ملك فارس وبقي متوقفاً نحواً من ١٥ سنة حتى استؤنف سنة ٥٢٠ ق.م. بذهاب ملك ومجيء ملك في فارس ، واكمل البناء في مدى ٤ سنوات بعـد ذلك ، اي سنة ٥١٦ وهذا الهيكل ينسب الى زربابل بعد ان بقي خراباً نحو سبعين سنة . وبقي قائماً حتى جاء هيرودس الكبير ، الادومي الاصل ، والمعدود نصف عربي [١] ، فجدده وزاد فيه استرضاء لليهود لدى الرومان ، وبقي

---

(١) ابوه ادومي جاء من ناحية بئر السبع. وامه ابنة احد امراء العرب الانباط. الادوميون ، من نسل عيسو كما تقول التوراة ، وهم ابناء عمومة العرب . قال الدكتور علي جواد : « وقد ذهب مونتكومري الى ان الادوميين كانوا عرباً من حيث « الرس » وكانت عواطفهم مع العرب كذلك » (تاريخ العرب قبل الاسلام ص ٣٥٧ ج ٢) . مواطنهم من وادي عربة فشرقاً ، بين البحر الميت والعقبة ، ومما هو اليوم الطفيلة . والشوبك ، ومعان، ووادي موسى، في المملكة ←

هيرودس يعمل في تزيينه اكثر من ٤٠ سنة ، حتى جاء الرومان بسخطهم ونارهم على اليهود فدمروه والمدينة كلهـا سنة ٧٠ ب.م. وهذا آخر خراب حلّ به . وبعد هذا الوقت باكثر من ستة قرون بقليــل بدأ عبد الملك بن مروان الخليفة الاموي يبني مسجد الصخرة ثم المسجد الاقصى قائمين الى ما شاء الله ، وكل هذا حيث كان الهيكل وساحته . والقسم الآخر هو مقاومة عزرا ونحميا على يد « الحلف » واستغرقت المقاومة الثانية نحو ربع قرن .

* * *

وأخبار المقـاومة نأخذها بمعظمها من سفري عزرا ونحميا ، ومع ان كلا من هذين السفرين ينسب الى صاحبه ، وعزرا متقدم قليلا في الوقت على نحميا ، على انه يؤخذ من سياق الكلام والحوادث في كل منها ، ان بعض الكلام رتب

←الاردنية كان من ادوم سابقاً. والى شمال ادوم مباشرة بلاد مؤآب، والى الجنوب مباشرة مدين التي تمتد الى تبوك وشمال الحجاز ، وكان الادوميون اعداء بني اسرائيل واليهود مدى الدهر كله كالعرب تماماً ، وهم كالعمالقة حاربوا موسى يمنعونه من اجتياز بلادهم . ولهم ذكر في سجلات الفراعنة ، وكانت ايام قوتهم من القرن « ١٣ — ٦ » ق.م. اي سبعة قرون متمادية . وكان لهم ملوك وبنو اسرائيل في عبودية مصر . ومرة بعد قيام الملكية الاسرائيلية ذهب احد امراء ادوم واسمه « هدد » الى فرعون ، واستنصر به لكي يخاصم سليمان بن داود . ولما دمر نبوخذناصر بيت المقدس والهيكل اقام الادوميون مهرجان فرح . وفي القرن الخامس ق.م. بدأ الانباط يزحمونهم ويزاحمونهم في مواطنهم شرقي وادي عربة . وكان السبي الثاني قد وقع فانتقل بعضهم او معظمهم الى القسم الغربي المتاوح لبلادهم (١) ، وهو ارض يهوذا الجنوبية ، فورثوها واقاموا فيها . لكن لما جاء المكابيون اليهود في القرن الثاني ق.م. تناولوهم بالقهر والمذلة وحملوهم على الختان وارادوا تهويدهم . وبعد هذا بقليل كان منهم هيرودس الكبير ، اقامه الرومان ملكاً على اليهود ، فلا هو يهودي محض، ولا هو بريء من اليهودية، اما جملة اليهود فقد بقوا ينظرون اليه والى خلفائه من بعده الادوميين بازدراء . فلما جعل ملكاً (٣٧ — ٤) ب.م. راح يتقرب من اليهود محاولاً حملهم على الاذعان للرومان ، ومن هنا قام بتجديد الهيكل وبقي يعمل في هذا اكثر من اربعين سنة حتى جعله مترفاً بالمحاسن كلها . وهو المذكور في الانجيــل اذ في عصره ولد السيد المسيح والقصة مبسوطة هناك . وهو باني قيصرية (قيسارية) جنوبي حيفا ، وسبسطية (قرب نابلس) واختل عقله آخر حياته والهرادسة كلهم ينسبون اليه حتى خراب الهيكل الاخير .

(١) ما هو جنوبي « الخليل » وشرقه حتى وادي عربة .

وزيد بوقت لاحق ، فعزرا يتكلم عن ايامه وايام زربابل من قبل ، ونحميا يتكلم عن ايامه فقط ، وفي كلا السفرين يكون الكلام احياناً بصيغة المتكلم واحياناً بصيغة الغائب .

* * *

البوادر الاولى للمقاومة قالها عزرا، فأول ما بنوه ايام زربابل هو المذبح ، ولما اجتمع اليهود في بيت المقدس من مختلف النواحي لتقديم الذبائح ، كان « عليهم رعب من شعوب الاراضي » (الترجمة الاميركية) او « مع ما كان عليهم من الذعر من شعوب البلاد » (الترجمة اليسوعية) . والمقصود بشعوب الاراضي او شعوب البلاد جميع الاقوام المحيطة بالمنطقة اليهودية الصغيرة ، وهذه لا تزيد بمساحتها بين رام الله شمالاً والخليل جنوباً على نحو ٤٥ كـ.م . ويؤخذ من هذا ان الرأي العام ، ولا سيما في السامرة ، حيث تتمركز القوة المعادية ليهوذا وبنيامين ، اخذ يهتاج منذ عاد زربابل بخططه المسنود من ملك فارس . (عزرا : الفصل ٣) .

ولم يزد عزرا على هذا في ايراد هذه البادرة الاولى من بوادر المقاومة . ثم يعطينا تعبيراً آخر بعد قليل بقوله : « ولما سمع اعداء يهوذا وبنيامين ان بني السبي يبنون هيكلاً للرب ، تقدموا الى زربابل ورؤوس الآباء وقالوا لهم نبني معكم، ونعبد الهكم مثلكم ونحن نذبح له من ايام اسرحدون ملك اشور الذي صيرنا الى هنا » (عزرا الفصل ٤) .

ومن هذا يؤخذ مباشرة ، ان قائلي هذا القول هم اهل السامرة الذين نقلهم سرجون يوم السبي من مختلف الاقطار الى هنا ، وتروي التوراة في اخبارهم وأخبار هذا السبي ان الذين أتي بهم الى السامرة كانوا وثنيين يعبدون الاصنام ، فلما استقروا في بيئتهم الجديدة ، رأوا فوجدوا ان من الخير لهم ان يطلبوا من ملك اشور ان يرسل اليهم من يعلمهم عبادة اسرائيل فلبي طلبهم ، ومن هنا دخلوا في اليهودية . وقلنا في الكلام على منشأ الفرقة السامرية انها مؤلفة من عنصرين : الاول بقايا اليهود الضعفة الذين لم يحتملوا مشقة السفر

وقت السبي ، فهؤلاء رسبوا في البـلاد ، ثم انضاف اليهم الذين يقولون اليوم لزربابل تعال نبني معك فاننا نعبد الهكم منذ ايام اسرحدون ، واسرحدون مدته ٦٨١ – ٦٦٨ وقبله سنحاريب (٧٠٥ – ٦٨١) وقبله سرجون الثاني (٧٢٢ – ٧٠٥) الذي كان على يديه السبي . وهذا الـكلام من السامريين لزربابل ينبغي ان يكون في حدود ٥٣٥ ق.م. ، وربمـا في الشهر السابع من السنة اليهودية كما جاء في عزرا (٣ : ٨) فتوسلوا الى زربابل بأنهم على دين واحد هو اله اسرائيل .

فلم يقبل زربابل هذا الكلام فأجاب : « ليس لكم ولنا ان نبني معاً بيتاً لآلهنـــا ، ولكن نحن نبني للرب إله اسرائيل كما أمرنا الملك كورش ملك فارس » ، وينبغي ان تكون الحال قد تأزمت بين الفريقين .

ويقول عزرا بعد هذا مباشرة « وكان شعب الارض يرخون ايدي شعب يهوذا ويقلقونهم في البناء ، واستأجروا مشيرين ضدهم لابطال مشورتهم جميعهم ايام كورش ملك فارس الى أن ملك داريوس ملك فارس » .

وهذا معناه اشتداد حركة المقاومة حتى صار العمل في البنـــاء معرضاً لخطر الهجوم عليه ، فضلاً عن الدعاية المنتشرة من حول اليهود تفسد عليهم ما هم بسبيله .

اما داريوس الاول فمدتـــه ٥٢١ – ٤٨٥ ق.م. وبعده جـــاء مباشرة احشويروش صاحب استير (٤٨٥ – ٤٦٥) ويقول عزرا ان المقاومين كتبوا شكوى الى احشويروش في اول ايامه ولا يذكر عزرا شيئاً من النتيجة لذلك، وفي اول ايام احشويروش لم تكن استير قـد صارت ملكة بعد ويذكر عزرا (٤ : ٩) لا اقل من تسعة اجناس من الاقوام والامم الذين اجلاهم سرجون ، اعصوصبوا الآن معـــاً وارسلوا احتجاجاً الى ملك فارس ، وكان هو اليوم ارتحشستا (٤٦٥ – ٤٢٤) الذي جاء بعد احشويروش .

ويؤخذ من كلام عزرا (الفصـــل الرابع) ان الاحتجاج الذي رفع الى

ارتحششتا كان على نوبتين :

الاولى – من بشلام وميتردات ، وطبئيل وسائر صحابتهم والكتابة بالآرامية (ثم مترجمة الى الفارسية)

الثانية – من « رحوم » صاحب القضاء « وشمشاي » الكاتب ، باسم تسعة اقوام وسائر الامم التي اجليت الى السامرة، اي قبل هذا التاريخ باكثر من قرنين ونصف .

اما « بشلام » هذا فيقول قاموس الكتاب المقدس انه كان الحاكم على فلسطين من قبل الدولة الفارسية في مدة رجوع اليهود من السبي ، ولما ابتدأ الراجعون من السبي في ترميم هيكلهم ، ارسل كتابة ضدهم الى الملك ارتحششتا عما شرعوا فيه .

وقياساً على هذا ، يحتمل ان يكون متردات وطبئيل وسائر رهطهم المشتركين معهم في الاحتجاج ، هم من كبار موظفي الحكومة . ويظهر ان هؤلاء الموظفين لما ايقنوا بصحة ما يقوله المقاومون لليهود ، رأوا من واجبهم الرسمي ان يكتبوا الى الملك ففعلوا ومما يلفت النظر في خطورة هذا الاحتجاج ، قولهم « وسائر صحابتهم » ولما كان هذا الاحتجاج « تقريراً رسمياً » بلغة اليوم ، فهو يدل على ان الحكومة الفارسية في فلسطين ، كان رأيها كرأي السامريين في ان لليهود مرامي بعيدة اذا تحققت فتحققها يضر بمصلحة فارس .

اما «رحوم صاحب القضاء » ، فظاهرة منزلته العالية ، ومعه الكاتب شمشاي ، او ما نعبّر عنه اليوم بأمين الديوان او رئيسه ، اذ كلمة « كاتب » ليس معناها هنا الذي يكتب الرسائل بل معناها « السكرتير » الامين .

والمهم في احتجاج رحوم وشمشاي انه يمثل الاقوام التي في السامرة وهي تسع عدّا ولا فائدة من ذكرها هنا لانها غريبة على ذهن القارىء ، ما عدا قوله « والاركويين » نسبة الى «أرَك» ، وهي اليوم « وركة » في العراق لا

تزال تجري فيها اعمال تنقيب واسعة عن اقدم الآثار وبقية تلك الأقوام البابليون والعيلاميون .

ومن المفيد المعجب في هذا الموطن من عزرا ان جامع السفر اثبت صورة الاحتجاج الذي نظّمه رحوم وشمشاي، ونجمل محتواه وهو (مخاطباً الملك) :

١ – ان اليهود الذين خرجوا من عندك قـد وفدوا الينـا الى اورشليم المدينة المتمردة الشقية يبنون ويرممون اسوارها وقد فرغوا من الاساس .

٢ – ليكن معلوماً لدى الملك انه ان بنيت هذه المدينـة وتمت أسوارها فان أهلها (اليهود) لا يؤدون الخراج ولا الجزية ولا الخفارة المعتادة فيكون الملك قد أضرّ بخزانته .

٣ – ولما كنا قد أكلنا ملح الملك، فلا يليق بنا أن نسكت عن هـذه المساءة ، ولذلك كتبنا هذه الشكوى .

٤ – وليبحث الملك في السجلات ، فيجد ان هذه المدينة متمردة مسيئة الى الملوك والأقاليم .

٥ – وهؤلاء اليهود قد أثاروا شغباً في الأيام السابقـة ولذلك حلّ بهم بالتالي الخراب .

٦ – واذا مابنيت وأقيمت لهـا الأسوار فلا يكون للملك نصيب في عبر النهر (سوريا وفلسطين وفينيقيا) .

* * *

وكأن هذا الاحتجاج لو كُتب اليوم ، لما كشف عن جـديد من غرائز اليهود . وهذا الاحتجاج منذ خمسة وعشرين قرناً .

* * *

قال عزرا : فلما تليت نسخة رسالة الملك ارتحشستا أمام رحوم وشمشاي

الكاتب وصحابتها ، بادروا في الذهاب الى اورشليم الى اليهـــود وكفّوهم كفّ اليد بالقوة (بأمر الملك) .

ثم أنهى عزرا هذا الفصل بقوله :

« فتعطل عمل بيت الله الذي في اورشليم وبقي منقطعاً الى السنة الثانية من ملك داريوس » . وهذه المدة نحو من ١٥ سنة داريوس هو « دارا » في التاريخ العربي .

* * *

فلما جاء داريوس بعد الخمس عشرة سنة، وكانت استير قد بذرت بذورها فنمت وأثمرت ، جدد زربابل مساعيه ، والطرق الآن مفتوحة لديه ، فشرع يبني كما في النوبة الاولى ، واذا بلجنـــة تحقيق مؤلفة من :

تتناي — والي عبر النهر وهو فارسي .

شتر بوزناي ورفاقهما — (من كبار ممثلي الأقوام التسعة) يحضرون الى اورشليم ويجرون تحقيقاً هذا ايجاز محتواه :

١ — ليكن معلوماً اننا ذهبنا الى بلاد يهوذا . . واذا به يبنى بحجـارة عظيمة ، ويوضع خشب في الحيطان .

٢ — هذا العمل يعمل بسرعة .

٣ — سألنا الشيوخ : من أمركم ببناء هذا البيت وتكميل هذه الأسوار ؟

٤ — فأجابوا : بناه ملك عظيم لاسرائيل ، ثم وقع آباؤنا في المعـاصي فسلّط عليهم نبوخذناصر ملك بابل الكلداني فهـــدم الهيكل وسبى الشعب الى بابل .

٥ — في السنة الاولى لكورش اصدر أمره ببناء البيت ورد اليه الآنية من ذهب وفضة مما اخذه نبوخذناصر .

٦ — كلف كورش شيشبصر بنقل الآنية الى اورشليم وجعله والياً على

الاقليم ، ووضع حجر الاساس وشرع في البناء ولما يكمل .

٧ - الرجاء ان يفتش في السجلات هل هناك ما يثبت صدور الامر من كورش ببناء البيت ، وليرسل الملك الينا مراده .

* * *

لم يذكر زربابل شيئاً من السبب في توقف العمل في البناء وكان قد مضى على ذلك ١٥ سنة . ففتش في السجلات فوجدوا الامر من كورش بالبناء .
فصدر الامر من داريوس :

« أنا داريوس قد امرت فليفعل عاجلاً » .

قال عزرا : « وكمل هذ البيت في اليوم الثالث من شهر آذار في السنة السادسة من ملك داريوس (عزرا ٦ - ١٢) وهذا يوافق ٤١٦ ق.م .

* * *

والاحتجاجات الى ملكي الفرس صارت ثلاثة ، واحداً الى احشويروش صاحب استير ، واثنين الى ارتحشستا وينبغي ان يكون هذا في خلال بضعة اشهر . والى الآن لا ذكر لسنبلط ولا لطوبيا ولا لجشم العربي . فاخبارهم عند نحميا عما قريب .وهذا جواب ارتحشستا :

فانه وجه جوابه الى موقعي الاحتجاج والى الذين كتب باسمهم وبعد التحية والسلام ، كما تفتح الرسائل في عصرنا هذا ، قال ما نجمله مع المحافظة على تركيب الكلام الاصلي ما أمكن :

١ - ان الرسالة التي بعثتم بها الينا قد قرئت بين يدينا جهراً .

٢ - وقد امرتُ فبحث فوجد ان هذه المدينة في قديم الدهر قامت على الملوك وكان فيها تمرد وفتنة .

٣ - وقد كان على اورشليم ملوك اقوياء تسلطوا على جميع عبر النهر ، ورُفع اليهم الخراج والجزية والخفارة .

٤ – والآن اخرجوا امراً بتوقيف اولئك الرجال فلا تبنى هذه المدينة حتى يصدر امر مني .

٥ – واحذروا ان تتهاونوا في تنفيذ هذا لئلا يتفاقم الفساد لأذى الملوك (عزرا الفصل ٤) .

* * *

ولما كمل البناء ، جمع عزرا الشعب في اورشليم ، وأنذربأن من يتخلف عن الحضور يخرج من جماعة « السبي » ، فقام فيهم عزرا وجعـل يحرضهم الا يختلطوا« بالأجنبيات» في الزواج، وتليت اسماء من زوجاتهم غير يهوديات ، فكان عدد هؤلاء فوق المئة فحرم عليهم ذلك وطلب منهم القَسَم ، هذا هو القسم الاول من المقاومة ونستخلص من ذلك :

١ – ان الولاة الفرس في فلسطين كانوا هم انفسهم يرون رأي اهل السامرة في وجوب ابطال ما يعمله اهـل السبي العائدون ، من اعادة بناء الهيكل والمدينة بأسوارها .

٢ – كانت الجالية الفارسية على هذا الرأي ايضاً .

٣ – كان مستند الاحتجاج، ما لليهود فيماضي أيامهم من فتن ومكايـد ازاء الدول والملوك،وما كان هذا المستند الا ما هو مسجل في التواريخالقديمة.

٤ – لما امر داريوس بما امر ، كانت دولة « حكماء صهيون » قد ارسلت قواربها في النهر .

وانما الى الكشف عن هذه الخفايا نرمي في وضع هذه الصفحات .

* * *

والآن ، الى المقاومة على يد «الحلف» .

* * *

الحلف الذي قاوم نحميا

وبرز فيـــه جشم العربي

لما جاء نحميا الى بيت المقدس سنة ٤٤٤ عائداً من السبي ، كان زميله عزرا قد سبقه الى هناك ومضى عليه في بيت المقدس ١٣ سنة. وكان نحميا هو ساقي الملك ارتحشستا ، وهذا منصب عالٍ خطير في بلاط الملك الفارسي يقوم به يهودي مثل نحميا . وقد استوفينا هذه الناحية في ترجمة نحميا ، قـــدر الامكان ، فلتراجع ، ويقول «هالي» صاحب مختصر التوراة(٢١٦) ان المأثور عند اليهود ان عزرا هو واضع الاسفار الاربعة « اخبار الايام » الاول والثاني وعزرا ونحميا . ولما جاء بيت المقدس ، جاء وفي جيبه مرسوم الملك يجيز له بناء السور وتحصين المدينة .ومع هذا يقول «هالي» ان اليهود بقوا في موطنهم بعد العودة مئة سنة تقريباً ، وخلال هذه المدة لم يستطيعوا التقدم الا قليلاً ، وجل ما استطاعوه هو بناء الهيكل لكنه جاء هيكلا ضئيلاً للغاية، والسبب انهم كانوا كلما اقبلوا يعملون في السور ، داهمهم جيرانهم الذين هم أشد بأساً فعرقلوهم بالقوة والقهر ، أو استطاع هؤلاء الجيران ايصال صوتهم الى البلاط فيحصلون من الملك على أمر بتوقيف العمل » (المصدر نفسه ٢١٦) .

ويقول هالي : « لما كان ارتحشستا ملك فارس من ٤٦٥ – ٤٢٥ق.م. هو ابن احشويروش ، فأمسى بمثابـــة الابن الربيب لاستير الملكة اليهودية واستير اصبحت الملكة بعـــد البدء بالعودة بنحو ٦٠ سنة او بعـــد الفراغ من بنـــاء الهيكل بنحو ٤٠ سنة . وهـــذا الوضع ينبغي ان ينيل اليهود النفوذ الواسع في البلاط الفارسي ، ويحتمل ان استير كانت لا تزال في قيـــد الحياة، وشخصية واسعة النفوذ لما عاد عزرا ونحميا الى بيت المقـــدس » . ثم يقول هالي اخيراً : « ونعتقد انه يجب علينا شكر استـــير على ما أبداه ارتحشستا من حسن الشعور نحو اليهود وعنايته بأن يرى سور المدينة قـــد تمَّ بناؤه » ! هذا ما يقوله المؤلف هالي . ونقول ان القضيـــة في ما يجب من

الشكر لأستير على ما صنع ارتحشستا ، هي القضية عينها التي توجب الشكر لأستير على ما صنعت لأرتحشستا .

* * *

يقول نحميا في السفر المنسوب اليه :

« ولما سمع سنبلط الحوروني وطوبيا العبد العموني ساءهما مساءة عظيمة »، أي لما سمعا بقدمه من فارس ومعــه مرسوم الملك ، الى الولاة ، ورسالة الى آساف حارس غابـــة الملك ان يعطيه أخشاباً لسقف أبواب القصر ولسور المديـــنة .

وهذه أول مرة يشير فيها نحميا الى سنبلط الحوروني وطوبيا العبـــد العموني في أوائل سفره في الفصل الثاني منه .

وفي هذا الفصل نفسه بعد ان يصف ثلاثة أيامه الاولى في بيت المقـدس وتفقده المدينة والسور والوادي ، وقام بهذا البناء سراً دون أن يخبر الكهنة والولاة الفرس المسؤولين ، يقول انه جمع قومه وأطلعهم على مخططه ، وطلب منهم ان يكونوا متعاونين في العمل يداً واحدة . وهو ولا شك يعـلم جيداً الصعاب التي لاقاها زربابل من قبل ، قبل اليوم ب٩٢ سنة ،وهذا زميله عزرا هو في بيت المقدس الآن منذ ١٣ سنة يلقى الصعاب ، لكن المقـاومة اليوم لها شكل جديد ، وعناصرها هي أقوى عناصر في الاقليم كله (عبر النهر) بتعبير التوراة .

واذا بنحميا في الفصل الثاني يعود فيقول : « ولما سمع سنبلط الحوروني ، وطوبيا العبد العموني وجشم العربي ، هزأوا بنا واحتقرونا وقالوا ما هـذا الامر الذي انتم عاملون ؟ أعلى الملك تتمردون ؟ »

هنا يرد ذكر جشم العربي لأول مرة مع زميليه سنبلط وطوبيا .

ويمضي نحميا في وصف السير بالعمل حتى وصل الى الفصل الرابع فاذا به

يفتتحه هكذا :

« ولما سمع سنبلط أننا آخـذون في بناء السور ، غضب واغتاظ كثيراً ، وهزأ باليهود ، وتكلم أمام اخوته وجيش السامرة وقال : ماذا يعمل اليهود الضعفاء ، هل يُتركون ؟ هل يذبحون ؟ هل يكملون في يوم ؟ هل يحيون الحجارة من كوم التراب وهي محرقة ؟ »

وعلينا أن نلاحظ شدة النبرة الغضبية في كل كلمة من كلمات سنبلط وهو يقول هذا الكلام أمام رفقته وجيش السامرة ، وهذا يؤخذ إيذاناً بأن جيش السامرة سيتحرك . ثم تراه يصوّر اليهود على حقيقتهم وهو الضعف . ثم عاد يستصرخ : هل يترك هؤلاء يمضون في عملهم ؟ ثم وضعهم موضعهم من الجبن فقال : هل يذبحون ؟ أي هل اليهود رجال حتى يذبحوا عدوهم ، هم أجبن من ذلك . ثم استرعى انتباهه السرعة في العمل فقال : هل يكملون هذا العمل في يوم ، فلن يكملوه . ثم وزن المسألة كلها ، وبيت المقدس لا تزال خراباً ، فقال : هل يحيون الحجارة من كوم التراب؟ وهي هنا من وقت نبوخذناصر تحدّث بالويل .

* * *

ولما كان سنبلط يلقي هذا الكلام المحرّض ، على مسمع من رفقته والجيش السامري ، كان بجانبه طوبيا العموني فقال طوبيا :

« ان مـــا يبنونه اذا صعد ثعلب فانه يهدم حجارة حائطهم » . وكانت غاية نحميا ومن قبله ، ان يحصنوا المدينة تحصيناً عسكرياً تحت ستار الهيكل والدفاع عنه .

هذا كله ورد في الاعداد الستة الاولى من الاصحاح الرابع . ثم نرى نحميا ينفجر فجأة ليقول بعد هذا مباشرة :

« ولما سمع سنبلط وطوبيا والعرب والعمونيون والاشدوديون ان اسوار اورشليم قد رممّت والثُغَر ابتدأت تسدّ غضبوا جدا،وتآمروا جميعهم معاً ان

يأتوا ويحاربوا اورشليم ويعملوا بها ضرراً » .

هنا يذكر نحميا « الاعداء » فريقاً فريقاً ، وكانت الحركة على ما يظهر قد اتسعت حتى انتهت الى شرق الاردن ، والى الفلسطينيين الذين في السهول الساحلية ومركزهم اشدود . ولعل نحميا يقصد « بالعرب » لا جشم وحده بل عرب السامرة وعرب الاردن من الشرق .

فاستعد نحميا وأقام الحراس ، واما سواد اليهود فاخذهم الرعب وقالوا « قد ضعفت قوة الحاملين ، والتراب كثير ، ونحن لا نقدر ان نبني السور » .

وبلغ نحميا ان « الاعداء » سيبغتونهم ويأخذون اورشليم على حين غرة ، فازداد الخوف والهلع .

وكان اليهود الساكنون في السامرة جيرةً للسامريين ، يقومون باعمال التجسس ويأتون الى نحميا بكل شيء يطلعونه على صفة الحال في السامرة ، والسامرة هي مركز الحركة ، كما رأينا . فعاد نحميا الى الاستعداد العسكري وهو يقول: «فأوقفتُ الشعب من اسفل الموضع وراء السور، وعلى القمم، اوقفتهم حسب عشائرهم بسيوفهم ورماحهم وقسيهم ». وقال نحميا بعد ذلك محرضا على الدفاع: «وحاربوا من اجل اخوتكم وبنيكم وبناتكم ونسائكم وبيوتكم». وكان العمل على السور قد توقف كله استعداداً للدفاع المباغت . ويظهر ان اعمال التجسس التي كان يقوم بها اليهود الذين في السامرة ، وهم جيران السامريين او في قرى متشابكة الحدود ، كانت اعمالاً فظيعة ، شأن اليهود المعهود فيهم هذا على الدوام .

ولسبب ما ، لم يقع الهجوم المباغت . فعاد نحميا فجعل عمل البناء يستأنف ، وانما ابقى حَمَلة السلاح على سلاحهم وفي مراكزهم ، وامرهم بأنهم اذا سمعوا صوت البوق من ناحية فعليهم بالكرّة الى هناك ! وجعل الحراسة بالتناوب ليل نهار . وقال نحميا عن نفسه : « ولم اكن انا ولا اخوتي ولا غلماني ولا الحراس الذين ورائي نخلع ثيابنا . كان كل واحد يذهب بسلاحه

الى الماء » (عزرا الاصحاح ٤) .

* * *

واخذت الازمة المعيشية بخنق اليهود فصاحوا بوجه نحميا :

بنونا وبناتنا كثيرون فأين القمح لنأكل ونحيا ؟

حقولنا وكرومنا وبيوتنا هي في الرهن مقابل القمح لندرأ المجاعة .

خراج الملك (الفارسي) استقرضناه ورهنا حقولنا وكرومنا .

وها نحن نجعل بنينا وبناتنا عبيداً .

ليس لنا شيء فحقولنا امست لغيرنا .

وفي ابّان هذه الازمة، كان الربا هو العلق اليهودي يستنزف ويمتص الدم اليهودي ، فدعاهم نحميا وقال لهم :

«نحن افتدينا اخواننا اليهود الذين بيعوا للامم ، وافتديناهم قدر طاقتنا، واما انتم فتبيعون اخوانكم فيباعون لنا » . وطلب منهم اسقاط الربا والدين، وردّ رهون الحقول والزيتون والبيوت الى اهلها. واعطاهم القمح والقروض من الفضة ، والخمر والزيت (نحميا الفصل ٥)

ثم قال نحميا انه صار الآن والياً ، ومكث في الولاية ١٢ سنة فما هي تلك السلطة الخفية التي جلبت اليه منصب الولاية ؟ وهنا يحدثنا نحميا ما ذكرناه في ترجمته ، من ان مائدته كان عليها ١٥٠ من اليهود وموظفي الحكومة الفارسية ، فضلا عن القادمين طوارىء .

* * *

ولعل القارىء لاحظ ان نحميا يفتتح عبارته عند ذكر «الاعداء» بقوله « ولما سمع ... » وها هو يفتتح الفصل السادس بقوله : —

« ولما سمع سنبلط وطوبيا وجشم العربي وبقية اعدائنا اني قد بنيت السور ، ولم تبق فيه ثغرة — على اني لم اكن الى ذلك الوقت قد اقمت مصاريع

الأبواب ، ارسل سنبلط وجشم إليّ قائلين : هلمّ نجتمع معاً في القرى في بقعة «اونو» وكانا يفكران ان يعملا بي شراً » .

فلم يستجب نحميا لهذا الطلب .

وكرراه عليه خمس مرات ، فظل يرفض الاستجابة .

والمرة الخامسة أنفذ اليه سنبلط رسالة خاصة نقلهـا غلام سنبلط بيده . وفي هذه الرسالة يقول سنبلط لنحميا :« ان الامم تقول انك وقومك اليهود تفكرون ان تتمردوا، وتحصين المدينة بسورها القصد منه ان تصنعوا منكم ملكاً ، والدليل على هذا انطلاق الأنبياء بهذه الدعاية وقد أقمت أنبيـــاء لينادوا بك في اورشليم قائلين في يهوذا ملك ، فتعال نبحث ونتشاور .

هذا هو محتوى الرسالة الخاصة من سنبلط الى نحميا . فلم يستجب نحميا . غير ان الرسالة فيها شيء آخر ، فقد ذكر نحميا في أولهـــا ان الامم تقول هذا ، وهذا يقوله ايضاً جشم ، وظاهر ان قصد سنبلط من هذا ، ان يستند بالاضافة الى جيش السامرة ، الى قوة جشم ، ولذلك قال له : « قد سمع بين الامم وجشم يقول انك انت واليهود » الى آخر الرسالة .

وعلينا أن نلاحظ هنا عدة نقاط :

١ ــ هذا دليل على ما لجشم من القوة ، فذكره هنا سنبلط بهـــذا المعنى دون ان يذكر طوبيا . وسواء أكانت قوة جشم في السامرة ، منفردة أم مندمجة بجيش السامرة ، ام هي في شرق الاردن فمن الناحية العسكرية كان جشم قوة عربية يعتدّ بها . وهذا واضح .

٢ ــ اما « اونو » التي عينها سنبلط مكاناً للاجتماع ، فهي اليوم قريـــة للشرق من يافا على نحو مسافة ١٠ كلم. واسمها الحالي (كفرعانة) ، ونأخذ من هذا ان هذه المنطقة كانت في ذلك الحين خارج المنطقة اليهودية في الحكم الفـــارسي .

٣ - والمهم في قول جشم ان نحميا أطلق « أنبيـــاء » يبثون في سواد اليهود الدعاية ان اورشليم سترى ملكاً جديداً في يهوذا بعد السبي ، أما نوع هؤلاء « الأنبياء » فهم ، كما قلنا عند الكلام عليهم ، طبقة تستأجر للدعايـة السياسية ، او ما هو بمعنى بعض الصحف في أيامنا هذه. فهؤلاء هم « عملاء » لمن يستأجرهم ، والمستأجِر هنا هو نحميا. واما استناد هذه الدعاية الى ان اليهود سيرون ملكاً جديداً ، ففيه غرضان : اولاً هو هــــذا الذي يقوله جشم ، والآخر، تحريك مطامع اليهود ، وهم في شدق الأزمة الخانقـــة ، واشمال نوازعهم . ومن هنا نبتت الملاحم اليهودية الاسطورية ، وزادت وضخمت في عصر المكابيين بعد قرنين من الزمن ومن هذا نبت التلمود .

* * *

وكثرت المخاوف على نحميا ، وقد أبى الاجتماع في « اونو » والآن يحدثنا عن أمر آخر يتعلق بهذا. فيقول انه ذهب الى بيت شمعيا بن دلايا بن مهطبئيل احد الانبياء ، فوجد الباب مقفلاً ، فأجابه شمعيا بأن يجتمعا معــاً داخل الهيكل وتغلق الأبواب لأن القوم آتون لقتله في تلك الليلة ، فـلم يقبل نحميا الالتجاء الى الهيكل ، ثم هو يقول انه تحقق بعدئذ ان شمعيا لما تنبأ بمـا تنبأ به من مقتله ، انما فعل ذلك اذ كان مستأجراً من قبل طوبيا وسنبلط . ولا يذكر نحميا هنا ان جشم من مستأجري شمعيا . وهناك « نبية » اسمهـــا « نوعادية » فعلت مثل شمعيا ايضاً ، وقال نحميا انها مستأجرة ، كشمعيا . وهنا في هــذا الموطن ، لا نرى شمعيا ونوعادية إلا ناصحين لنحميا . فالمدة التي قضاها نحميا في الترميم والبناء هي ٥٢ يوماً ، كانت كلها رعباً على اليهود في اورشليم . ويصف نحميـــا نفسه كيف اشتدت به الأزمة بين الضيق الاقتصادي ، وعلق الربا ، والمخـــاوف من السامرة وغيرها، حتى اضطر الى جعل فريقٍ يبنون وفريقٍ على السلاح والحراس في كل مكان .

* * *

وبقوة خفية منسابة من البلاط الفارسي ، كالقوة التي كانت تنساب الى فلسطين من لندن أيام الانتداب، تمّ بناء السور في وسط هذه المخاوف المستمرة.

يقول نحميا انه فرغ من بناء السور في ٢٥ ايلول وفي ٥٢ يوماً وقد مرّ هذا في ترجمته (نحميا الفصل ٦) .

وكانت صفة نحميا الاخرى انه « الوالي » وهو بالفارسية « الترشاتا » ، وهذا يشبه « المندوب السامي » بمصطلح الانتداب .

وذكرنا في ترجمة نحميا اموراً اخرى ، تغنينا عن تكرارها هنا .

* * *

ومرة اخرى عاد الهيكل والسور، فخربا .

الى ما شاء الله .

١٠ ـــ الفرق اليهودية

١ ـ الصدّوقيون
٢ ـ الفرّيسيون
٣ ـ الأسينيّون او المغتسلون
٤ ـ الهيروديون
٥ ـ الجليليون

قبيل العهد المسيحي وبعده

مر بنا في الكلام على عزرا ما يتعلق بالشريعة الشفوية الى جانب الشريعة المكتوبة من موسى ، وصورة ذلك : تلقى موسى التوراة في سيناء فاعطاها الى يشوع ، ويشوع اعطاها الى « الشيوخ » (هم المعروفون « بالقضاة » وعصرهم بعد يشوع الى قيام الملكية في القرن الحادي عشر ق.م. ، وهم خمسة عشر قاضياً آخرهم صموئيل الذي هو أسّس الملكية مبتدئاً بشاول) والشيوخ اعطوها الى « الأنبياء » .

الانبياء بدأوا يظهرون في ايام الملكية ولعلّ اقدمهم ايليا (الياس) وعاموس ، ثم راحوا يتلون بعضهم بعضاً ، او يتعاصر اثنان او ثلاثة منهم في وقت واحد ، من كبارهم وصغارهم ، وتقع فترات ، لا نبي فيها ولا نبوة ويمتد عهد الانبياء الى ايام السبي البابلي ، وهذه مدة نحو خمسة قرون ، فعهد « القضاة » غير عهد الانبياء ، الاول قبل الملكية ، والآخر بعد الملكية ، والانبياء اعطوا التوراة الشفوية الى رجال الكنيس بعد خراب الهيكل الاول في القرن السادس ق.م. واصل منشأ الكنيس وواضع اسمه عزرا ، وقد سبق الكلام الوافي على عزرا .

وبذور التلمود كانت ، كما رأينا على يد عزرا ورفقائه في مدة السبي الثاني او السبي البابلي . والمشكلة في تاريخ اليهود ان هناك بعد عزرا مدة حوالي قرنين ونصف قرن ، غامضة ، مغلفة بالضباب ، وحقائقها المحسوسة تبدو هنا على شيء من الظهور ، وتبدو هناك مستخفية،مبعثرة في دهاليز من العقد . وعلى الجملة فان مدة الغموض هذه تكاد تنتقل بدارس تاريخ اليهود من عهد عزرا ونحميا ، الى عهد المكابيين توّاً ، القرن الثاني والاول قبل الميلاد .

وبعد عزرا نرى ما يسمّونه « السوفريم » ، وهذه اللفظة هي في ترجمة التوراة العربية « الكتبة » واول من لُقب بالكاتب هو عزرا ، فقيل عزرا الكاتب كما قيل عزرا الكاهن . وصار هؤلاء المعروفون بالكتبة ، طبقةً متميّزة ، يضمّون « العلماء » المفسّرين للشريعة ، وهم يزعمون عن طريق وصفهم والاشارة الى غايتهم ، انهم يطلبون « الروية في الحكم » ، وتكثير عدد التلامذة والتابعين ، واقامة السياج حول التوراة » . وقالوا : امّا الرويّة في الحكم ، فلكي يؤمن الاخذ من ينبوع التوراة ، وامّا تكثير سواد التلاميذ فلكي يكون منهم خَلَفٌ بعد سلف يتابعون حَمْل التوراة ، وامّا اقامة السياج حول التوراة ، فمعناه العمل باحكامها .

وبعبارة موجزة : أن من هذه الهيئة التي قالت بلسانها هذا القول ، انبثق التلمود الذي طار فوق التوراة في الغلوّ كل مطار .

ويختلف كتّاب اليهود اليوم في تعيين آخر عهد هذه الهيئة ، لكن آخر عهدها كان على كل حال بعد ايام عزرا بعدة قرون ، وفي خلال العهد المكابي، ويظهر انهم امتدوا الى ما بعد العهد المسيحي . فالكتبة كانوا في ايام المسيح ، واخبارهم في الانجيل مستفيضة ، وبقوا الى ما بعد ذلك . ويقال لهم في الانجيل « الناموسيون » او « اصحاب الناموس » اي الشريعة ، وكلمة « ناموس » يونانية لا عبرية . وكان هؤلاء الكتبة يحاجّون المسيح بالباطل ، ويدّعون ان لهم وحدهم تفسير الناموس اي الشريعة . واذا كانت كلمة « كاتب » زمن عزرا تعني المفكر غير الناسخ ، فمع الأيام صار معناها ما هو

طبيعيّ ان يكون مفادها : نسخ الكتب المقدسة .

وليس المراد هنا الكلام على ما نشأ من فِرَق يهودية بعد العودة من السبي الى وقت ظهور المسيح ، فذلك خارج عن المقصود من هذا الباب ، انما نريد من القول شيئاً مجملاً يفي بحاجتنا المطلوبة الى مساق الموضوع .

وهذه الفِرَق هي التي كان لها النفوذ ، وتردّد ذكرها في الانجيل ، وكانت بتأثيرها جسراً عبرت من فوقه اشياء الى ما بعد ايام المسيح بزمن طويل .

* * *

١ – **الصدّوقيون** : ولعل نسبتهم هذه هي الى رائدهم الاول « صدوق » او « صادق » . وارجح الاقوال في تعيين وقت ظهور هذه الفرقة ، هو عهد خلفاء الاسكندر ، وكان اليهود قد أمسوا تحت حكم بطالسة مصر تارةً ، والسلوقيين في سوريا طوراً ، وذاق اليهود من هؤلاء جميعاً العذاب الذي يستحقون . ومما يلفت النظر من امر هذه الفرقة ، اتجاهاتها وعقائدها ، وهي مؤلفة من طبقة الكهنة وبعض الكتبة ومن العنصر اليهودي الذي يميل الى مسالمة الرومان :

١ً – الصدّوقيون يرفضون كل ما يأتي به الشيوخ والكتبة مما هو خارج عن الوحي المدوّن في اسفار التوراة . ولهم في مجلس السنهدرين ممثّلون اقلّ من عشرين عضواً (من أصل ٧٠ عضواً) .

٢ً – هم يقتصرون من التوراة على اسفار موسى الخمسة . وهم في هذه الناحية يقفون مع « السامريين » على صعيد واحد ، اذ كلاهما لا يقبل من التوارة الا الاسفار الموسوية الخمسة ، لا غير .

٣ً – هم ينكرون البعث والنشور والقيامة . وقالوا انما هي الحياة الدنيا وكفى . وخلود النفس امسى عندهم باطلاً . ولا يعتقدون بالملائكة . وقالوا ان الانسان خالق لعمله باختياره . وفي تحليل معتقداتهم هذه ، يتضح انهم

بنوا شيئاً كثيراً من ذلك على فلسفة ابيقور اليوناني الذي جعل اللذة رأس النعيم للانسان وقاعدة الاخلاق ، ثم تطوّحت هـذه الفلسفة حتى دخلت الشهوات البدنية في المسألة . والصدّوقيون ادركهم يوسيفوس المؤرخ اليهودي المشهور في القرن الاول بعد المسيح . وهم كانوا قلة في العدد ، لكن كانت لهم الثروة المادية واليسر ، والبروز في المجتمع . ومن الصدّوقيين بعد تسعة قرون تقريباً،نبتت فرقة القرّائين في بغداد العباسية، والقرّاؤون لا يقولون بالتلمود. ومنهم في « اسرائيل » اليوم – الجزء المحتل من فلسطين – جماعة اشتهرت بالتزمّت حول الطقوس والسبت ، ومن وقت الى آخر تنقـل الصحف من اخبارهم ما به زيادة كشف عن أمورهم السياسية والاعتقادية .

(٢) **الفرّيسيّون** : هم يناقضون الصدّوقيين ، ولهم الكثرة في العدد وفي مقاعد السنهدرين ، وجمهرة العلماء من سوادهم ، ومعظم « الكتبة » ينتمون اليهم . يقبلون بالاضافة الى التوراة ، الاشياء الخارجـة عن الوحي ، ولذلك غزرت عندهم الاساطير . يتباهون بانهم حفظه شريعـة موسى ، وغالوا في ذلك تقيداً وتزمتاً ، حتى انغمسوا في المظاهر الكاذبـة في السلوك اليومي وقيامهم وقعودهم وكل ما يصنعون. فالقشور استغرقتهم حتى اعمت بصائرهم. وهؤلاء هم الذين عانى من امرهم السيد المسيح ما عانى ، وخبره معهم مفصل في الاناجيل ، فوصفهم بالمرائين وكـرّر ذلك فيهم . وشبههم بالقبور المكلّسة من خارج . لكن معاناته من الصدّوقيين لم تكن أقل مما عانى من هؤلاء.

واسم «الفرّيسيين» يدل على طبيعة امرهم وعقائدهم ، فهم لمغالاتهـم في كواذب المظاهر ، جعلوا أنفسهم كأنهم جماعه مفروزة عن عامـة الجمهور اليهودي او الشعب . وجذر الكلمة «فرز» بالعربية ومن شاء الاستزادة من اخبار هاتين الفرقتين ، ثم جماعة «العشّارين» في حياة السيد المسيح ، فليقرأ الانجيل . فان بولس الرسول كان من فرقة الفرّيسين قبل ان يشرق عليه الايمان المسيحي .

* * *

وهناك فِرَقٌ اخرى تأتي في المنزلة والشأن بعد الفرقتين المذكورتين .

٣ - **الأسينيون** او «المغتسلون»،وقد اجملنا خبرهم في موضع آخر من هذا الكتاب ، هم فرقة يهودية لا تصطف مع الفرقتين المذكورتين ، اعتزلت المدن واقام اتباعها رجالاً لا نساء بينهم ، قرب البحر الميت في الكهوف والمغاور ، ومحاجىء الصخور ، واتخذوا لهم نظاماً نسكياً خاصاً دقيقاً ، قائمـــاً على الصرامة والطاعة . كانوا بضعة آلاف وانقرضوا في القرن الاول المسيحي ، وقت تدمير الرومان للقدس . ومن الخصائص في نظامهم انهم يرفضون القَسَم وتقديم الذبائح والقرابين.وقد ذكرهم يوسيفوس المؤرخ اليهودي الذي عاصرهم. ويقال انه اقام بينهم وعاشرهم ثم فارقهم وكان لهم صبغة اشتراكية .

٤ - **الهيرودّيون** : نسبة الى هيرودوس ملك اليهود ، ادومي الاصل لا يهودي وقد اجملنا ما يتعلق بأمره في موضوع سابق ما به الكفاية . وكانت روما هي التي تعيّن الحاكم ، ولذلك نقم عليه اليهود رغم ما صنعه لمراضاتهم من بناء الهيكل بناءً فخماً جاوز فيه الغاية وهو يتقنه ويحسّنه مدة اكثر من اربعين سنة . وهيرودوس «نصف عربي» بدمه من جهـــة العرق الادومي ، وامه سيدة من عرب الانباط . والهيروديّون كانوا فرقة سياسية لا دينيةتمثـل الاتجاه الروماني وتيّار «الاندماج» ، اي على النقيض مما دعا اليه عزرا ونحميا بعيد الرجوع من السبي . وفي عهد هيرودوس ظهر السيد المسيح. والفريسيون كانوا على خصومة مـع الهيروديين . و «الهيروديون» لو التقوا اليوم « حكماء صهيون » لنابذوهم .

٥ - **الجليليون**:هم اتباعرجل اسمهيوذا الجليلي (نسبة الى منطقة الجليل) احدث فتنة في ايام اجراء الاحصاء للمواليد المسمّى في الانجيل «بالاكتتاب» وتبعه قوم وصار ينادي ان ليس لليهود ملك الا الله .

الجزء الرابع

يبحث في منشأ السنهدرين قبيل العهد المسيحي، ومنشأ التلمود بينابيعه الخيالية وانه شريعة موسى الشفوية غير المدوَّنة، ويقدم نماذج من أقواله في المسيحية وفي ان البشر ما عدا اليهود بَذْرٌ حيواني ويكشف الغطاء عن «القبالة» الرهيبة و«القهال» و«النحمانية» و«الميمونية» وكتاب «الاشراق» ــ او «الزوهر» ــ ويقدم تراجم يوسف منده، ومونتفيوري، ودزرائيلي؛ ويختتم بوصف موجز لحركة نقل «الكتاب المقدس» الى العربية في بيروت في القرن الماضي.



١ - مجمع السنهدرين ينبوع التلمود

« السنهدرين » [١] بمعناه العام ، هو « السينودس » او المجمع الديني الاعلى عند اليهود ، او هو ما يشبه السينودس في المجامع المسيحية . والكلام عليه يحتاج الى زيادة تبصرة ووعي من القارىء العربي اليوم ، لِمَا للسنهدرين من بالغ الخطورة الخفية في امر « حكماء صهيون » في ايامنا هذه ، بل يصح ان تكون لفظة « حكماء صهيون » و « السنهدرين » مترادفتين لمدلول واحد .

اصل الفكرة وظلالها ، واشواقها ، بنبضها الروحي الاول كل هذا يعود الى عزرا ونحميا . لكن ظهور السنهدرين باسمٍ اصلُهُ يوناني ، كان في اثناء الحروب المكابية ، او قبيلها ، واليهود كما قلنا بين شقي الرحى: البطالسة في مصر والسلوقيين في سوريا . ومرّ بنا ان من عادة اليهود انهم عندما تشتد بهم النكبات والجوائح ، وتعمل على محوهم او استئصالهم ، يجنحون بكل قواهم الى الاعتضاد بروح الملاحم لتقوية الروح المعنوية في سوادهم ورجالهم ، فتنبع عندهم الاساطير والغرائب وتحشى بالأقاصيص، ويخلقون لها الصور والاشباح. وبعد رجوعهم من السبي اشتدت فيهم هذه النزعة دوراً بعد دور ، ولا سيما في اثناء الحروب المكابية . كما اشتدت امورهم بين ان تدور على ظاهر وباطن، وبادٍ وخفيّ ، ومعلن ومستور ، لكي يتقوا عدوهم المحيط بهم ، وعدوهم لا ينتهي ، اذ هم بشكاستهم لا ينتهون .

---

(١) وتلفظ « السنهدريم » و « السنحدرين » وأصل الكلمة يوناني بمعنى المقعد او المجلس ، ولما كان هذا « السنود » او المجمع الاعلى قد ظهر في ايام خلفاء الاسكندر ، البطالسة في مصر والسلوقيين في سوريا ، فقد هوّد اليهود التلفّظ بهذا الاسم حتى بات يلوح كأن اصل الكلمة عبري وليس الامر كذلك .

وانما نشير الى هذه الحقيقة في هذا الموضع ، لأن السنهدرين كان من اول امره مطوياً على هذه الصفة الخادعة . وأمره حبر الرومان ، وهذا « السنهدرين » هو الذي حاكم السيد المسيح ، المحاكمة المبسوطة في الانجيل . والمعلوم ان السنهدرين في بيت المقدس الغي سنة ٥٧ ق.م. كما ذكر هذا مؤرخهم يوسيفوس ، إذ اراد الرومان إزالته وتصفية آثاره ، لكن هذا المجمع تمكن بعد ذلك من ان يستمر بكيانه ووجوده استمراراً خفياً ، واذا كان له رسم ظاهر للعيان ، فذلك مما يجوز احتماله في نظر الرومان لتجرد الهيئة في الظاهر من المعاني السياسية ، بينما المعاني السياسية هي لب اللباب في السنهدرين بقيت قابعةً مستمرّة. ومن السنهدرين انطلقت التيّارات العجيبة، وبذور المنظمات السرية التي تطلع على اوصافها في « بروتوكولات حكماء صهيون » .

* * *

هذا هو معنى السنهدرين امس واليوم . بالأمس هو المجمع الديني الأكبر ، والسياسة في باطنه تدبّ في اوكارها واعشاشها ، دبّاً خفياً ، واليوم هو نفسه لم يتغير منه شيء ، فأما الناحية الدينية فليس يهمنا هنا امرها سوى كونها آلة السياسة ، وأما الناحية الخطيرة فهي الحقيقة السياسية : هو معقد الرابطة اليهودية في العالم أجمع ، هو الرابط الخفيّ الذي يسيطر على « البروتوكولات » وتنفيذها . « السنهدرين » معناه اليوم امتداداً من القرون الماضية ، ولا سيّما من القرن السابع عشر ، عند الكتّاب والملمّين السياسيين الباحثين في شؤون اليهود ، الهيئة اليهودية السرية العليا ، لا يعلم اين مكانها ، ولا من هم رجالها ، ونوجز امره اليوم بما يلي :

١ – الكتّاب اليهود ، يحاولون ان يجعلوا بداية وجود السنهدرين على الاقل بعد الرجوع من السبي ، ومنهم من يعين البداية في خلال السبي . وهناك هيئتان باتتا بارزتين بعد الرجوع من السبي : نظام الهيئة العليا عند اليهود – اي السنهدرين – ونظام الكنيس ، وهذا يعزى اساسه كله الى عزرا

ونحميا . اما الكنيس فبروزه ظاهر ، واما السنهدرين ، فيظهر ويتوارى ، يضعف ثم يقوى ، ومن السنهدرين خرجت بذور التلمود ، ثم « القبالة »

٢ – يقول أ. كوهين صاحب كتاب « التلمود لكل مريد » ، ان بعد السبي ظهر الكتبة ، وقد مرّ وصفهم ، ثم السنهدرين ، وكوهين هذا يعرّف السنهدرين ، بقوله : « هو هيئة اخرى عُهِد اليها في رعاية شؤون اليهود في بلاد « اليهودية » [١] . ويقول كوهين أيضاً انه قد تعاقب على رياسة هذا المجمع خمسة ازواج من الرؤساء ، اذ كانت الرياسة تعطى لاثنين اثنين ، لا لواحد واحد ، والاثنان يعملان معاً ، وآخر رياسة لهلّيل وشمّاي ، وهذان كانا في عصر السيد المسيح ، ومن هذا يستنتج ان السنهدرين لم يعش في بيت المقدس اكثر من قرن . ونقول ان مراد المؤلف كوهين بهذا هو الكيان المعترف به من الرومان ، ثم بعد ذلك اتّشح الخفاء .

٣ – وكان يقال لاحد الاثنين في الرياسة «ناسي» بمعنى « رئيس » ويقال لندّه الآخر « اب بيت دين » ، اي رئيس المحكمة ، والاول له حق التقدم والصدارة. واما اطلاق هذا اللقب «ناسي» على كبراء آخرين من اليهود بعد انقضاء امر السنهدرين في بيت المقدس ، فقد حصر ذلك في عدد قليل [٢] . ثم يقول كوهين في امر السنهدرين : « لكن الدراسة التاريخية الحديثة تقول ان السنهدرين هيئة مؤلفة من الكهنة والعلمانيين ، ثم انقسم المجمع على نفسه في

---

(١) اليهودية هنا معناها جغرافي ، المنطقة المحيطة بالقدس وهذا هو اسمها زمن السيد المسيح .

(٢) من هؤلاء العظماء عند اليهود الذين نالوا لقب « ناسي » اي الرئيس ، « يوسف منده » وقد برز في السياسة العثمانية في القرن السادس عشر وكان عنصراً مهماً في النزاع الدموي على العرش بين سليم وبايزيد ابني سليمان ، ويوسف هذا اصله من يهود البرتقال ، ولما طُرد اليهود من اسبانيا جاء الى السلطان وتقرب منه ونال حظوته ، ومثّل يوسف ادواره تمثيلاً عجيباً ، ظاهره النصح للسلطان ، وباطنه تأريث نار الحرب بينه وبين من يريد يوسف الانتقام منهم بسبب الطرد من اسبانيا . وقصة « يوسف ناسي » هذا تعطينا اوضح نموذج من التصلب الخفي بالروح اليهودية ، وهو كان يرمي في كل خدماته للسلطان واحد اولاده ، ان تعطى له فلسطين لينقل اليها اليهود المطرودين من اسبانيا . ومن اجل كشف الغطاء عن هذا النموذج ، فقد جمعنا ليوسف منده ترجمة وافية هي الفصل الحادي عشر من هذا الجزء الرابع .

الرأي فصار قائماً على حزبين . اما الكهنة فذهبوا مذهباً فيه مسايرة الفكر الهيليني ، ولو كان ذلك على حساب الاخلاص التام للتوراة . واما العلمانيون فذهبوا مذهباً يناقض مذهب الكتبة ، وهؤلاء من نسل عزرا الكاتب ، وتمسكوا بالتوراة اي تمسّك ، وكان زعماؤهم الربيّون هم الذين عرفوا « بالاحامس » (المغالين المتعصبين) غير ان هذا الانقسام ارتفع من بينهم لمّا وقعت الثورة المكابية ، ولما انتهت الثورة عادوا الى الانقسام انقساماً اشدّ واحدّ ، ولا سيما لما جلس يوحنا هركانوس [1] المكابي (١٣٥ — ١٠٥ق.م.) ملكاً .

٤ — هذا الانقسام ظل يطّرد ويتسع حتى أدى بالتالي الى ظهور الحزبين اليهوديين الكبيرين وهما الصدوقيون والفريسيون . والفريسيون مع العشّارين هم الذين قاوموا المسيح وورد ذكرهم في الأناجيل . ثم يقول كوهين في صدد هذين الحزبين : « ومن جملة الفروق بينهما فرق كان له شأن خطير في تاريخ اليهودية : قدم الفريسيون الى الشعب اوامر واحكاماً ونواهي توارثوها عن اسلافهم ، لكنها ليست مكتوبة ولا مدوّنة في شريعة موسى . فرفض الصدوقيون ذلك وقالوا : ما واجب علينا ان نراعي إلا ما ورد في النص المدوّن ، ولا نأخذ بما جاءت به التقاليد الشفوية الموروثة من الآباء والأجداد. فكان هذا مثار خلاف شديد بين الفريقين. (راجع الفصل العاشر من الجزء الثالث حيث تناولنا الكلام بايجاز على الفرق اليهودية) .

٥ — وتابع كوهين كلامه فقال: «وهذا النزاع حول صحة التوراة الشفوية، حمل المدافعين عن ذلك على ان يدرسوها ثانيةً دراسة مدققة . فوجدوا ان التوراة السماعية الشفوية كانت جزءاً متمماً للتوراة المكتوبة ، فهما من مخرج

(١) توالى على الحركة المكابية ١٢ رجلاً ، خمسة زعماء غير « ملوك » ، لقّبهم اليهود « بالأحبار » ، وسبعة لقبوا أنفسهم بالملوك ، وهركانوس هذا هو آخر الزعماء ، ثم بعده الملوك الذين انتهى امرهم سنة ٣٧ ق.م. وأولهم جميعاً متاتياس والباقون اولاده واحفاده . والمدة كلها للعهد المكابي (١٦٧ — ٣٧ ق.م. أي ١٣٠ سنة) . ويقال للمكابيين « آل حشموناي »

واحـــد . ومن هذا الصراع الآن فتح الباب على مصراعيه أمام التلمـــود ليظهر وينمو » .

٦ – هذا الكلام الذي يقوله أ. كوهين في الفقرة السابقة جد واضح في بابه . فالفريسيون الذين لم يعجبهم إلا غلوّهم في أخيلتهم ، لم يذعنوا حتى للمسيح وهو يحاجّهم بالحسنى ، لما جاء المسيح بعد مدة . وهنا مسألة : اذا كان هذا كله قد وقع قبل ظهور المسيح، فلماذا لم يرد ذكر التلمود فيالأناجيل وفي كتب العهد الجـــديد ؟ ان التلمود اذا كانت بذوره الاولى كانت هنا ، ومناخه الروحي من ايام السبي ، فتكامله المبني على شريعة شفوية متناقلة من عهد موسى ، كما زعم الفريسيون ، لم يتم في نوبة واحدة او قرن واحد ، بل اقتضى ذلك خمسة قرون او ستة كما سنرى . وبعد خراب بيت المقدس سنة ٧٠ب.م.انتقل علماءاليهود الاحبار من الفريسيين الى«يبنة»او«يَبْنا»(قريةقرب يافا) ثم الى طبرية ثم الى العراق . كل هذا وهم يتابعون العمل ويتوسعون – سيأتي تفصيل ذلك عما قريب في البحث التالي – ويبنون على الروايات الشفوية . فلما كانوا لم يزالوا في الطريق في اول عهد المسيحية ، لم تكن كلمة تلمود قد أخذت استقرارها بعد ، لذلك لم يرد ذكره لا في الحوار بين المسيح والفريسيين ولا في الأناجيل فيما بعد . وفضلاً عن هذا ، فقد كان شأنه يتعلق بفريق من اليهـــود لا بهم جميعاً ، وكان الحوار يدور حول « الناموس » و « الأنبياء » ، او ما يعبر عنه كله بالشريعة « الموسوية » .

ويسأل ايضاً : إذاً ، ينتظر ان يكون قد ورد ذكر التلمود في القرآن الكريم او الحديث الشريف ، والرسالة الاسلامية متأخرة عن أختها المسيحية بضعة قرون . وهنا ايضاً لا ذكر للتلمود في الاناجيل ولا في القرآن الكريم ولا الأحاديث النبويـة ، فنقول ان اليهود اعتبروا التلمـود كتابهم الجامع للتوراة الشفوية ، والتوراة الشفوية كانوا حريصين على الاستئثار بها لأنفسهم ، لا يطلعون منها الى غيرهم إلا ما يرون فيه مؤيداً لخيالهم او نزعتهم . ولعلهم كانوا اذا تعاطوا التلمود تعلما وتعليمـــاً ، لم ينشروه في

الايدي نشر التوراة ، ومنشأ التلمود ومنشأ الكتب الدينية «الابوكريفا» متقارب ومعنى الابوكريفا الكتب المخفية او المستورة ، وهي لا شيء فيها يوجب الستر والتخفية وان كانت غير مصدقة كلها من حيث محتواها ، وغير مأخوذ بها عند جميع المسيحيين في ذلك الوقت واليوم . اذاً ، لم يكن التلمود وقت الرسالة الاسلامية في أوائل القرن السابع الميلادي ، شيئاً يريد اليهود نشره وهم ما كانوا يطلعون احداً من غير اليهود على التلمود الا ما يتناقلون من أقاصيصه واساطيره شفوياً وأما تكامله بالجمع والوضع والشرح والتبويب فذلك لم ينجز حقاً الا قبيل العهد الاسلامي .

وكلمة «تلمود» معناها «التعليم» وهذه الكلمة لم تقرر الا بعد ان سبقها كلمتان كانتا الاساس لكلمة « تلمود » . وهاتان الكلمتان هما « المشَنْا » و«الجمّارا» ومتعلّق المشنا الشريعة الشفوية المتوارثة من موسى ، و «الجمّارا» شرح للمشنا . فكان يقال اولا « تعليم مشنا» ، اي تعليم التوراة الشفوية ، هذا هو العمل الاول ، فلما احتاجوا بعد هذا الى شرح المشنا كانت الجمّارا ، او التكملة فكان هذا العمل الثاني ، وبعدئذٍ اطلقوا على مجموع الاثنين» المشنا» والجمارا ، من جهة التعليم ، كلمة «تلمود توراة» اي تعليم التوراة ، ثم اجتزأوا بكلمة تلمود ، فاستقر هذا الاسم ولم يتغير بعد . هذا ما استطعنا جمعه من التفصيل من مصادره ، في الكشف عن اصل منشأ الكلمة ، ولعل القارىء العربي لهذا الكتاب يتلقى هذا التفصيل بالوعي اذ لهذا الأمر التلمودي من النتائج الخطيرة ، شيء كثير .

* * *

واليك اموراً اخرى لنتمم الكلام على ان السنهدرين منبع التلمود ، وان بذور التلمود الاولى ومناخه الروحي الاول ، كل ذلك يعود الى زمن عزرا ونحميا ، كما تقدم القول غير مرة .

قال كوهين المؤلف لكتاب « التلمود لكل مريد» ، ان يوسيفوس المؤرخ

اليهودي المشهور ، ذكر ان الوالي الروماني على سوريا غابينوس ، الغى اوضاع اليهود سنة ٥٧ ق.م. ثم قسم البلاد الى خمس مناطق ، واقام في كل منطقة هيئة سنهدرينية محلية صغيرة ، واورشليم كانت العاصمة لولايتها، وهنا الهيئة السنهدرينية تعتبر الاولى . وفي التلمود «السنهدرين الاعلى» وهذا تمييزاً للاعلى عن الهيئات المحلية .

ويستفاد من كلام كوهين ان هيئة السنهدرين « لترزّمتها الشديد » كانت تجلس في بهو بناؤه من حجر، والحجارة أُتي بها من مقالع لم يعمل فيها ازميل حديد . ويذكر كوهين وهو يريد اضفاء هالة من الاشراق على الاوضاع اليهودية ، ان كان هناك ايضاً سنهدرين سياسي وكانوا يجتمعون في مبنى الهيكل ، ثم يقول : « وجميع المراجع التي تشير الى السنهدرين تعطيناتفصيلاً كافياً عن صلاحياته والمكانة التي كانت له، وصلاحياته كانت تضيق وتتسع من وقت الى آخر حسب مراد الرومان . من جملة ذلك ما صنعه غابينوس من قسمة البلاد الى خمس مناطق،وهذه الصلاحيات كانت تافهة في عهدهيرودوس وارخيلوس ، لكنها اتسعت بعد موتهما ، وصار مقود الحكومة بايدي السنهدرين ، تقريباً .

* * *

ونقول : القاريء العربي يجد هنا نقطتين مهمتين ، الاولى ان المؤلف كوهين ، وكتابه محيط بموضوعه ، يصرح بان كان هناك سنهدرين سياسي ، وهذا ما عنينا بان نؤكده للقاريء ، والناحية السياسية هذه في السنهدرين هي الخفيّة لا الظاهرة ، ولم تكن لتعمل جهاراً قط ، اذ لو عملت لضربها الرومان لان غاية السنهدرين ، كما يطلب اليهود ، المحافظة على الشريعة الموسوية ، والرومان وسّعوا عليهم في هذا ولم يبخلوا عليهم بشيء ، لكن ان يعمل السنهدرين في السياسة خفيةً ، فهذا هو التنزّي الصريح على السلطة

الرومانية . واذا كان السنهدرين هذه صفته ايام الرومان في بيت المقدس، فما احرى ان تظل هذه الصفة ملازمة له ، بعد ان تشتت اليهود في العالم بعد تخريب القدس سنة ٧٠ ب م. وهم يرون ان لا حياة لهم وهم شتات في الشعوب والامم ، الا بالتمسك باليهودية ، والتمسك باليهودية هو التمسك بالسنهدرين . والسنهدرين معناه اليوم، كما قلنا، عند الكتّاب المعنيين بشؤون اليهود ، الهيئة السرية السياسية الخفية ، لكن غلب تعبير « حكماء صهيون » بعد ظهور البروتوكولات منذ ما يقرب من سبعين سنة .

والنقطة الاخرى الجديرة بالملاحظة من قول كوهين هي ان صلاحيات السنهدرين كانت ضعيفة او ضيقة في عهد هيرودوس وارخيلوس ، ثم اتسعت بعد موتهما . والمراد قوله من ناحيتنا في هذا الموضع ان اوضاع اليهود من الآن الى تخريب بيت المقدس ، لم تبرح كاوية لليهود وهي مدة تقرب من سبعين سنة . ومعنى ان نطاق صلاحيات السنهدرين قد ضاق، ان بطشات الرومان باليهود اخذت تزداد ، وهذا معناه من الناحية الاخرى اليهودية ، ازدياد النشاط السياسي الخفي داخل اجهزة السنهدرين . وبالتالي طفح الكيل فدمر الرومان اورشليم تدميراً شراً من تدمير نبوخذناصر قبل نحو ستة قرون . ولما حاكم السنهدرين المسيح كان نفوذه عاتياً .

وهيرودس الكبير مات في السنة الاولى للميلاد .

* * *

وتناول كوهين ما كان للسنهدرين من صلاحيات في الامور الجزائية او العقوبات ، فقال : « كان المجمع – السنهدرين – يطبق قانون الجزاء والعقوبات وله سلطة نافذة على الشرطة ، ومن هنا سلطته في القاء القبض والسجن . وكان ينظر في القضايا التي عقابها دون الاعدام « اذ بقيت السلطة التي تقضي بالموت او الاعدام بيد الرومان» . ثم يقول كوهين : « اما سيسيل جون كادو ، مؤلف « حياة المسيح » ١٩٤٨ فقال في ص ٢٣ « كان السنهدرين يتألف من نحو ٧٠ عضواً – من الكهنة والكتبة ، وفي الحكم الروماني لم يكن للسنهدرين

سلطة الحكم بالاعدام . ومعلوماتنا قليلة عن كيفية تأليفه وتعيين اعضائه . ومع انه قد وضعت له في الازمنة اللاحقة انظمة مفصلة ، تبين وتحدد عمله ، ونطاق ادارته ، ففي زمن المسيح كان كل هذا غامضاً ، وكان الاحامس هم الجناح الايسر اليساري من الفريسيين ، وهؤلاء الاحامس دائماً مستعدون للثورة ضد روما ، متهيئون لسفك الدماء » .

وقلنا ان وقت صلب السيد المسيح كان السنهدرين موجوداً ، واسمه في الانجيل « الجمع » ، او مجمع الكهنة والكتبة ، ورئيساه بالازدواج هما قيافا وحنانيا ، وهما أثارا الجمهور بواسطة اولئك « الاحامس » - الغوغاء - وهؤلاء اشبه بعصابات في المدينة . ولم يكن من صلاحيات السنهدرين الحكم بالقتل كما سبق ايضاحه، لذلك كانوا يلحّون على الوالي بيلاطس البنطي بان يسلمهم المسيح ليقتلوه ، فالتسليم هو الموافقة على القتل ، وكأنه حكم بالقتل وهم تولوا التنفيذ . والتفاصيل المتعلقة بصلب السيد المسيح تعطينا صورة مصغرة للخلق اليهودي السنهدريني ، هو الخلق الذي تراه في كل قضية على المحك ، خلقاً يهودياً اتانياً يدور على محوره ، لا يتغير بجوهره ، وان تغير بعرضه . وهذا كله اجتمع بالتلمود ، وأخذ التلمود يسير في الخفاء ، ولم يُلْقِ عصا التسيار بعد ، وانما تهيأ للوثوب « بالبروتوكولات » .

* * *

حسب التقليد اليهودي ، ان اول سنهدرين كان في عهد موسى ، وهم السبعون رجلاً الذين دعاهم موسى ليعملوا معه لتسكين بني اسرائيل لمّا قاموا يتذمرون ويطلبون العودة الى مصر حيث « قد تذكرنا السمك الذي كنا نأكله في مصر مجاناً ، والقثاء والبطيخ والكرّاث والثوم والبصل » – (سفر العدد ١١ : ٤–٢٩) وبنى التلمود و « القبّاليون » عقائد دينية على الارقام منها عدد (٧٠) هذا . فالذين ترجموا التوراة من علماء اليهود في الاسكندرية « الترجمة السبعينية » كانوا ٧٠ عالماً ، ولا عبرة بأن زاد العدد اثنين ، اذ الزيادة لها معناها في التأويل عند اليهود . ولما جاء السنهدرين ، ومجيئه كان

بعد انجاز الترجمة السبعينية ، جعلوا عدد اعضائه (٧٠) والحادي والسبعين جعلوه الرئيس . ومن قَبْل ، لما فرّق الله الامم والشعوب في بابل جعلهم ٧٠ شعباً ولغة، الى غير هذا من ضروب التأويل المصطنع وهذا الفن المتعلق بالارقام انما اتقنه دانيال في العراق وقت السبي ، ومنه هذه البذور كلها ، وهي شيء واسع جداً ، ويكفينا هنا الاشارة الى هذا لتعلقه بغرائب التلمود ، والتلمود نتاج المناخ السنهدريني .

* * *

ان التشتيت الذي فرّق اليهود اوسع تفرقة في العالم ، هو الذي انزله بهم الرومان سنة ٧٠ ب.م ، وأما تخريب نبوخذناصر قبل ستة قرون لم تكن نتيجته سوى بعث الروح اليهودية وقت السبي والاستيقاظ العجيب على يد « انبيائهم » الذين اوجزنا ترجماتهم ، كي لا يفنى اليهود ، وهم سبطان ونصف السبط في بابل العراق ، كما فني اخوانهم الاسباط التسعة ونصف السبط قبل اكثر من قرن بقليل . ومنذ تشتيت الرومان ، والسنهدرين الخفيّ يتبع جماعات اليهود في كل بلاد ، ومنذ الثورة الفرنسية صار لهم سنهدرين عالمي له السلطة العليا على الحركة اليهودية في العالم كله . هم « حكماء صهيون » ودستورهم هو « البروتوكولات » .

(٢) التلمود

« المِشنا » : هي تفسير شريعة شفوية معزوّة الى موسى

« الجمّارا » : هي شرح المشنا

« التلمود » : هو الاسم الجامع للمشنا والجمّارا معاً

●

قال أ. كوهين في مقدمة كتابه « التلمود لكل مريد » : « ولما جاءت وسائل جديدة لتفسير التوراة ، وامست دراستها وتفسيرها امراً مختصاً بالعلماء ، سمي هؤلاء « بالتنائيم » ، أي المعلمين ، وسمي عملهم « بالمشنا » . والذي ترك اكبر أثر في هذا الباب هو هليّل . مولده في بابل ، وحسب الرواية السماعية هو من نسل داود عن طريق امه . هاجر الى فلسطين وبقي ٤٠ سنة وهو الحبر الذي لا ينازع . ويمثّل هليّل وجهة نظر الفريسيين . وقال كوهين ان تفسيرات هليّل كانت بحيث تتناسب والحاجات المستجدة مع الايام . ونحن نقول وهذا معناه الاسترسال في التأويل توسعة للتوراة الشفوية . وبقي الصدوقيون في حيزهم منابذين . وقال كوهين : « كان هليّل مؤسس مدرسة التنائيم ، يعاصره ندّه شمّاي ، وهذا انشأ ايضاً مدرسة أخرى ، وخلال العقود السبعة الاولى من القرن الأول المسيحي ، كانت هاتان المدرستان هما السائدتين بتياراتهما على عقول عامة الجمهور اليهودي تحت الظلّ الفرّيسي . ولكن كانت مدرسة هليّل متسامحة في التفسير ، ومدرسة شمّاي متزمتة . وسجل التلمود لا اقل من (٣٠٠) نقطة خلاف

بينهما ، وفي النهاية انتصر مذهب هليّل . وكان هليّل واسع الحفظ عن ظهر قلب على طريقة علماء الشرق ، وهو يعد الجامع الاول لمادة المشنا ، وحفظت اقواله الشفوية وهذا كله اصبح النسخة الاولى للمشنا . ونقول : من كلمات هليّل ، ما كان ينادي به اليهود خارج فلسطين في عصره وهو هذا الشعار : « من لم يساعد نفسه فلا نصير له » . وفي سنة ١٨٨٢ لما انشئت الجمعية اليهودية السرية في روسيا اثر اغتيال الارهابيين اليهود ، للقيصر ، واسمها المجتزأ « بيلو » (مقتطعة من عبارة معناها : هيا يا بيت يعقوب اقبل علينا فنقبل عليك) اذاعت هذه الجمعية منشوراً سرياً خطيراً على يهود العالم تدعوهم فيه للالتفاف حول فروع الجمعية التي مركزها الظاهر الآستانة ، وافتتحت المنشور بعبارة هليّل هذه . وفحوى المنشور « نريد وطناً في بلادنا » اما مركز الجمعية الاكبر فهو القدس كما يذكر المنشور [١] .

* * *

يقول كوهين : « ان الشخصية التي تلي هليل وشماي هي يوحنان بن زكّاي ، اصغر تلاميذ هليل . كان اكبر وعاء علم عند الفريسيين لما دمّر تيطس الهيكل . ولما أيقن بن زكّاي بالهلكة مطبقةً على بني قومه ، نصحهم بالتسليم ، فأبوا ، وهو كان يرى ان بقاء الدين اليهودي أهم من الاستقلال القومي . فلجأ الى وسيلة تحفظ الشعب من الدمار اذا ما انهارت قوة اليهود وهُدم الهيكل . وتقول القصة ان بن زكاي رام ان يصطنع طريقةً تحمل اليهود على الخروج من المدينة ، فاذا خرجوا منها وهي محاصرة صعب عليهم أن يرجعوا ، وعليها الحرس الشرس من اليهود المعبر عنهم « بالاحامس »

---

(١) هذا المنشور خطير في بابه ، اذ هو قبل ظهور كتاب هرتزل « الدولة اليهودية » باربع عشرة سنة . واما ان بيت المقدس كانت هي المركز الاكبر للجمعية ، فهذا في الخفاء لا في العلن، الا ان تكون الجمعية قد تمكنت واصطنعت الذل وادعت انها خيرية لاسعاف الفقراء ، وهذا هو اسلوب حكماء صهيون في منظماتهم في البلاد التي لا يعملون فيها الا خفية ، وهذا المنشور ذكره سوكولوف في كتابه « تاريخ الصهيونية » .

(وهم الجناح الأيسر من الفريسيين) ، فذاع في اورشليم ان بن زكاي قد مات. فحُمل في نعش ومشوا به الى المقبرة ، وكان عليهم ان يجتازوا بالنعش المزيف ، الابواب التي عليها حرس ، والرجل ليس بميت ، وانما أراد بهذه الطريقة الخدعة . لكن حيلته اكتشفت على الأبواب . قال كوهين : « ولولا ما له من حرمة لعاجله الحرس بطعنة تخترقه وتتركه هامداً ، لما اكتشفوا انه حي متماوت في التابوت ، وعرفوا قصده . فذهب الى القائد فسباسيان وطلب منه ان ينتقل هو وقومه اليهود الى قرية « يبنة او يبنا » قرب يافا ، فسمح له ، فأقام في « يبنا » وأنشأ مدرسة صغيرة لم تلبث ان نمت وصارت مركز التعليم اليهودي الفريسي بعد خراب القدس » . وحلت محل القدس من هذه الناحية ، وأنشىء في « يبنا » سنهدرين صغير وأمست يبنا عاصمة علمية لليهود فترة من الزمن . وبعد يبنا انتقل السنهدرين الى طبريا، وبقي هنالك الى القرن الرابع والخامس ، ثم تفرّق علماؤه فذهب فريق كبير منهم الى العراق ، حيث استأنفوا العمل في اكمال التلمـود فانتهى ذلك في القرن السادس ب.م.

هذا ما قاله كوهين في بن زكّاي . أما قصة ذهاب بن زكاي الى القائد الروماني فذهب وطلب منه ان يسمح له ولقومه بالخروج من المدينة المحاصرة، فلهدف القصة تكلة حسنة ذكرها « نفيل باربر » الانكليزي في كتابه : « Nisi Dominus » ص ٢١ ، وصفوتها ان بن زكاي لما ذهب الى القائد فسباسيان وهو يمثل الفريسيين ، والقائمون بالثورة على الحكم الروماني هم الفريسيون ، وجندهم هم (الأحامس Zealots) من جناحهم الأيسر ، وبّخه القائد بعبارات حادة ، ومما قال له : « ان ثوّاركم أشبه بالأفاعي التي تختبىء في جحورها ، ولا بد ان تستخرج هذه الأفاعي لتسحق وتداس » . وهذا على ما يبدو زاد بن زكاي اعتقاداً ان اليهود مأخوذون ، اذ كل محاصر مأخوذ ، مهما يطل ليله . وفي هذا الموضع بيّن نفيل باربر ان ثورة الفريسيين على الحكم الروماني كانت بلا مبرر ، وانما تنزّى اليهود على الرومان بالثورة

لأن السلطة الرومانية ما كانت تطلق للفريسيين الحبل على الغارب ليصنعوا ما يشاءون من تضليل الناس وهم وقتئـــذ كانوا ، وقد مضى نحو ٦٨ سنة على المسيحية ، يعملون على نشر أساطير التوراه الشفوية المزعوم تلقيها من موسى، لما رأوا ان تعاليم المسيح قد كشفت عن زيفهم في تمسكهم بالقشور من التوراة المكتوبة – الناموس والانبياء – وتلك الاساطير التي كانوا يزعمون انها توراة شفوية ، هي المادة التي نسج منها التلمود بعد قليل . فكأنهم جاءوا بالتلمـود وأساطيره مقابل التعاليم التي جاء بها السيد المسيح . فتأمل .

* * *

هذا مرجز الكلام على هؤلاء الثلاثة ، بن هليّل ، وشماي ، وبن زكـّاي، حوّلوا الاشواق « الاساطيرية » الى « المشنا » . واليهم يعزى وضع هـــذا الاساس ، امتداداً بالروح اليهودية من أيام عزرا ونحميا ودانيال .

ونتابع الاجمـال : ففي القرن الثاني ب م. ظهر اثنان استأنفـا العمل الذي وضع أساسه الثلاثة الأولون . هذان الاثنان هما اسماعيل بن اليشع الذي قتل في ايام الامبراطور هدريان (١١٧–١٣٨) واسماعيل هذا هو مؤسس مدرسة ، وقد توسع في قواعد هليل في التأويـل حتى صارت هذه القواعـد (١٣) بعد ان كانت (٧) وعدّت كتب اسماعيل بن اليشع من اساس المشنا ، والثاني هو عُقَيبة بن يوسف مات في قتال الرومان سنة ١٣٢ وكانت مهمـة عقيبة انه أرسى اصول التأويل والتفسير التلمودي على قواعد . وقال ان ليس هناك حرف واحد من التوراة يعدّ من الحشو أو مما لا معنى له . وجعل يعلـّم على هذه الطريقة . وقيل انه استطاع ان يردّ التوراة الى ينابيع في حلقات دورية ، ونظم احكامها حتى انتهى الى زمنه هو . ويقال فيه انه هو مهندس اوضاع المشنا ، الاوضاع التي برزت الى الوجود بعد قرن ، ولولا عمل عقيبة هذا – قالوا – لما كان هناك تلمود .

وكان لعقيبة تلاميذ اقتفوا اثره اهمهم مائير ، ومائير هذا كان عمله انـه

اعدّ نسخة من المشنا ، وهذه النسخة ارتضاها يهوذا ناسي اساساً لما تمّ بعد ، وذكر عزرا حداد اليهودي العراقي، وصاحب كتاب «رحلة بنيامين» ص١١٠ ان يهوذا هذا كان يقال له « الرباني الاكـبر » وهو سابع رؤساء السنهدرين ، والسنهدرين انتقل من يبنا الى طبرية ، وكان في القدس قبل يبنا كما مر بنا في الكلام عن بن زكاي . عاش يهوذا (١٣٥ – ٢٢٠ ب.م)

* * *

وقد جاء في التلمود المحدث بالاضافة بعد الاضافة الى المشنا ، انه لما مات عقيبة ، ولد يهوذا . ويقول كوهين في ترقيع هـذا القول ان هذا من قبيل التضخم المصادم للتاريخ الواضح ، إذ بين موت عقيبة ومولد يهوذا ٣ سنوات ومولد يهوذا سنة ١٣٥ ومات عقيبة سنة ١٣٢ . وما بدأه عقيبة اتمه يهوذا ، فاذا كان الاول المهندس فالثاني هو الباني . يهوذا هو ابن معلم مشهور، سيمون ابن غملائيل الثاني ، من عائلة غنية ولها جاه طويل . درس اليونانية وكان صديق الرومان ، ولقب ايضاً «بالناسي»وبقي على هذه المنزلة ٥٠ سنة . وهو الذي قام بجمع اشتات المجموعات السابقة ، وانتهت اليه نسخـة عقيبة ، فتم الآن «المشروع الكبير» وهو تدوين التوراة الشفوية فصارت المشنا مقابـل التوراة المكتوبة .

وعلى هذه الصورة، باتت المشنا اساس ما سمي بعدئذ بالتلمود .

* * *

وانك لتدهش حقاً إذ تعلم ان اساس المبـاحث في التلمود كله ، قائم على ستة ابواب فطرية ، بدائية، تدل على مجتمع في ابسط اطواره الاولى، وهذه الابواب هي :

(١) الفلاحة (٢) الاعياد والمواسم (٣) النساء ومـا يتعلق بهن من زواج وطلاق وحضانة ونذور وارث ووصية (٤) النواهي والعقوبات (٥) الذبائـح وما يتعلق بالتقدمات والقرابين ومراسم الهيكـل في ذلك (٦) الطهارة . ثم

اخذت الفروع تمتد من هذه الابواب الستة وتزداد الآراء والشروح جيلاً فجيلاً حتى رست مواد التلمود في (١٢) مجلداً ضخماً. وهذه الابواب فرّعت على ٦٧ مبحثاً في ٥٢٤ فصلاً أو حكماً.

هذا هو التلمود ، لكن لم يجاوز بعد دوره الاول ، وكيف جاءت الزيادات بعد ذلك ؟ اذ عاد يتضخم وينمو ويزيد ، وذلك انهم وجدوا ان المشنا على تفصيلها في الاصل الذي وضعوه ، تحتاج الى الشرح هي نفسها ، وسموا شرح المشنا «الجمّار» وهو بمعنى التكملة. وكما ان العلماء او الاحبار الذين وضعوا اصول المشنا سموا «بالتنائيم» وهذا في فلسطين ، فعلماء «التجمير» سموا «بالاموراثيم» وهذا في العراق على نحو ما كان في فلسطين . وكل هذا العمل من وضع المشنا والجمارا ، مما تم في فلسطين والعراق ، كان منه بالتالي تلمودان ، الفلسطيني ، واليهود يسمونه « بالاورشليمي » ، والعراقي ، ويسمونه «بالبابلي» . والتجمير او شرح المشنا لم يتناول التلمودين حتى ولا احدهما بشرح كامل يأتي على كل ابوابه . فالفلسطيني او الاورشليمي مجمّر منه ٣٩ باباً ، والعراقي او البابلي ٣٧ باباً. والمعتمد اليوم عند اليهود بالاكثر هو العراقي ، وذلك بسبب لغته في الدرجة الاولى. ولما أشتد ضغط الرومان على «السنهدرين» في طبرية ، هاجر العلماء المسمون بالاموراثيم الى العراق ، واستأنفوا هناك عملهم في التجمير او شرح المشنا ، وحسنت حال اليهود في العراق كأيام سبي نبوخذناصر فجعلوا يعاونون بقية زملائهم في طبرية بالمال ، وتمت مرحلة شرح الاموراثيم العراقيين اواخر القرن الثالث الميلادي . ولم يقفوا عند هذا الحد ، فانهم أنشأوا المدارس ايضاً ، واهتموا بتعليم التلمود فيها . وذكر عزرا حداد صاحب « رحلة بنيامين » ان من مشاهير العلماء العراقيين الذين عملوا في هاتين الناحيتين ، التجمير وانشاء المدارس ، الحبر ابو اريخا (مات ٢٤٧) والحبر مار صموئيل الفلكي (١٦٥ — ٢٥٧) وكان ختام التلمود البابلي سنة ٤٩٩ م على يد حبرين آشي ، وهذا مات ٤٢٧م وربينة بن هفاء وهذا مات ٤٩٠ وبهما انتهى دور الاموراثيم في العراق ، كما يقول عزرا حداد .

ولم يقف العمل بعد ، فخلّف الامورائيم ، طبقةً جديـــدة من العلماء عرفوا «بالسبورائيم» اي الشارحين ، وراحوا يعلقون على شرح الامورائيم من سنة ٥٠٠– ٥٥٠ م. وبهذا اختتمت صورة التلمود البابلي ، وما بعد هذا الا اضافات مما يشبه الفتاوى . وما جاءت اواخر الدولة الساسانية الفارسية الا والعذاب يحيط بيهود العراق ، واليوم لا مردخاي ولا استير . فلما جاء الفتح الاسلامي ، رتعوا في نعمه واجتروا في ظله ، حتى اذا مالت الدولة العباسية الى الضعف انتقلوا الى مصر والاندلس،وهنا ما لقوا الا النعمة والمقام الطيب. وفي ايام بغداد والقاهرة والاندلس لم يكن لليهود مراكز علمية في اوروبا فقط، وانما بدأ ذلك يكون لهم بعـــد ضعف العرب في الأندلس . وفي الدولتين الفاطمية والايوبيــة في مصر شملت اليهود نعمة ضافية : ابو الفرج يعقوب بن كلّس كان وزير المعز لدين الله الفاطمي ، ومنشا بن ابراهيم وزير العزيز ، وابو نصر صدقة بن يوسف الفلاحي ، وابو سعد التستري ، وموسى بن العازار طبيب المعز ، والرئيس صموئيل بن حنَنَيّة،والرئيس يحيى شالوم وابو المعالي وصهره ابو عمران بن ميمون ونثانيال بن صموئيـــل وكلا هذين الاخرين كانا طبيبي صلاح الدين .

* * *

وقع هذا في الاصل في نطاق محدود ، لكن الزيادات جملته ينمو حتى بلغ ١٢ مجلداً . وانتهى العمل التلمودي في القرن السادس الميلادي قبل ظهور الاسلام بقليل . لكن بعد القرن السادس لم تنقطع الزيادات والاضافـات ، وقد أمسى اليهود متفرقين في العالم ، وكل فريق من علمائهم في صقع يضيفون ويعلقون ويشرحون ، وبسبب هذه الكثرة تراكمت احكامه، وابهمت كلماته، وقتله النسّاخ قبل اختراع الطباعة بالتحشية ثم ادخال التحشية في متن الكلام فاضطربت حاله وأمسى كناية عن دهاليز ودياميس ، وزوايا ملئت بالخفايا ، والغرائب ، ومـــا يجاوز حدود العقل ، في كثير من المواضيع ، وصارت مغالقه والاقوال المختلفة فيه تحول دون الوصول الى جميع نصوصه ومحتوياته

بيسر وسهولة الا طبقة رجال الدين ، وصار يطلق عليهم في الزمن الحديث اسم «الحاخام» للواحد منهم ، وهي بالعبرية «الحكيم» ، فهؤلاء هم حمـلة التلمود ، واقفون على مكنوناته ، كما يقال .

ولما ثقلت هذه الحال، وجدوا ان الاختلاط والتراكم في نصوصه وشروحه كل هذا قد بلغ حداً جعله مغلقـاً ، فعادوا على يد علمائهم فحاولوا تهذيب محتوياته وتنظيم موارده ومسارده ، وهو خضم واسع ، فجعلوا منه نسخة سميت « بالماسورا » وعلى رأيهم ان ما صنعوه هو خير ما يمكن من الغربلة والتنظيم ، وقد تمّ هذا قبل القرن العاشر الميلادي ، واليهود في المشرق لا يزالون ينعمون بجاههم في ظل الدولة العربية في دمشق وبغداد والقاهرة والاندلس .

على ان موسى بن ميمون ، الفيلسوف اليهودي القرطبي الاندلسي الاصل، وتلميذ ابن رشد ، لما انتقل الى مصر ، واستقر فيها ، قام بعمل كبير في امر التلمود ، فانه اختصره وشرح المشنا شرحاً تلمودياً على مذهبه ، وسمى هذا المختصر « مشنا توراة » ، احياءً للاسم الاول الذي مر بنا ونحن نورد الكلام على منشأ الاسم وعُدّ اختصار موسى بن ميمون هـذا ، آخر ما صنع في سبيل تسهيل التلمود . وكانت العربية هي لسان اليهود في التخاطب وشؤون الحياة العملية ، والعبرية لا تجاوز حد الاعتبارات الدينية ، وامرها مقصور على طبقة من اليهود هم « العلماء » او « الحاخامون » . فوضع ابن ميمون اختصاره وشروحه بالعربية لفظاً وتعبيراً وباللغة الدارجة في مصر ، وجعل الكتابة بالحرف العبري . وعلى هذا جرى ايضـاً في كتابه المشهور « دلالة الحائرين » فهو بالعربية اما الحروف فعبرية .

والتلمود اليوم في اللغة الانكليزية ، باصوله ومتونه وشروحه وتعليقاته ، يبلغ ٣٦ مجلداً من القطع الوسط . وكل ما يمكن معرفته حتى اليوم من امر التلمود ، عند العرب ، بعد مرور نحو ١٤ قرناً على تكامل وضعه في العراق، كناية عن اوصاف سماعية ، وشذرات خطية قليلة . ولا احسب ان عربياً ما، مسلماً كان ام مسيحياً ، في العالم العربي كله ، قرأ مجلداً واحداً من التلمود ،

الا ان يكون ذلك الواحد دارساً مختصاً في معهد او جامعة . ولعل السبب الاول هو اللغة ، والثاني محاولة اليهود دائماً ابعاده عن اذهان غير اليهـود ، والثالث اعتقاد الجمهرة من مفكري العرب ان التلمود بضاعة قديمة بالية ، واذا ما ذكروا ، ذكروا التوراة ، وحتى التوراة قليل من العرب من عُني ويُعنى بالاطلاع عليها ليعلم ما فيها من صور اخلاق اليهود . ومن الغريب ان من العادة عند طلاّب العلم في الجامعات ان يضع الواحد منهم مـا يسمى بالاطروحة يطويها على بحث كامل يشهد له بالكفايـة في موضوعه فينال الشهادة الجامعية وتكون هذه الاطروحة بمثابة زكاة علمه وصحة بحثه . والى الآن لم نر بعد عربياً في العالم خطر له ان يتصدى للتلمود فيضع فيه اطروحةً ما . فاذا قيل ان هذا مستصعب في الجامعات الاوروبية والاميركية ، وقد يكون هذا صحيحاً الى حدّ ما ، فالامر ليس بعسير في الجامعات الشرقية والعربية . وقد حان الوقت في سنة ١٩٦٦ ان يعلم العربي ان التلمود هو مباءة « حكماء صهيون » ، اليه يرجعون وعنه يصدرون ، ومن روحه اشتقت (البروتوكولات) وصيغت في مقرّرات .

ثم جاء عصر الطباعة الآلية بعد عهود النسخ والمسخ ، فكانت اول طبعة كاملة للتلمودين ، الفلسطيني والعراقي ، سنة ١٥٢٠ – ١٥٢٤ في البندقيـة . وصدرت طبعات قيل انها طبعت في الخفاء تحتوي مجلداتها العبرية على ابذأ كلام ينال من كرامة السيد المسيح ، والبابوية ، فلما قامت القيامة على اليهود من اجل ذلك ، واحرقت كتبهم ، وفيها التلمود ، بالأحمال تجرّها خيول المركبات ، طُبعت كتب التلمود طبعة اخرى خالية بعض الشيء من الكلام البذيء ، وبقيت الطبعة الاولى الكاملة في حيازة اليهود سراً ، وهذا ما يؤكده المطلعون على خفايا اليهود .

ولغتا التلمودين ، الفلسطيني والعراقي ، مختلفتان، تمثلان لهجتين آراميتين اما « الجمارا » الفلسطينية فلهجتها آرامية غربية (شامية) وتشبه آرامية عزرا او دانيال ، واما الجمارا العراقية فلهجتها آرامية شرقية اقرب الى المندوية (عراقية) هذا ما يقوله العارفون .

(٣) «حتى بناء الهيكل المقدس في بيت المقدس لا يبرر اهمال قراءة التوراة والتلمود»

(الربي الدكتور اسرائيل برود في مقدمته للتلمود)

*

وضع الحاخام الدكتور برود مقدمة للتلمود في طبعة جديدة منه صدرت سنة ١٩٦٠ بالانكليزية ، وهي مقدمة تتجلى فيها روح التلمود خير تجلّ ، وفي هذا صورة مدهشة لعمل الغرائز اليهودية ، ونقول « الغرائز » ، لا كلمة اخرى غيرها ، لاننا نعني بالغرائز مـا لا يتبدل بحال من العنصر اليهودي الذي يستمد غذاءه من التلمود . والعنوان الذي يراه القارىء في اعلى هـذه الصفحه هو ليس لنا ، بل للحاخام برود واضع المقدمة . وانظر كيف تجري التوراة والتلمود عند الدكتور برود في ركب واحد لخدمـة « اسرائيل » و«اسرائيل» هي مناط الامل للاحياء اليهودي .

هذه الطبعة الجديدة من التلمود بالانكليزية يشرف على اخراجهـا عدد من كبار الربانيين ، بحيث يختص كل ربّاني بمجلد ، والمجـلد الذي نحن بصدده الآن هو الذي يتضمن باب «الذبائح والمقادس» واشرف على ترجمته من العبرية الى الانكليزية الرّبي دكتور أ . ابشتين .

وهذه مقاطع من كلام الدكتور برود في المقدمة .

« ان تيسير الوصول الى دراسة التوراة ، حقٌ لكل يهودي من اقـدم الازمنة ، وهي دراسة متصلة السير مدى الحياة واهمالها لا تقبل فيه المعاذير والعلل، من فقر مدقع،او غنى مشبع ، ولا يبرر هذا الاهمال شيء حتى بناء

الهيكل المقدس في اورشليم . «فالتوراة والمشنا والتلمود ، ثلاثة اسس لبناء واحد . وبينما نرى معظم الدارسين ، يأخذون بالتوراة والمشنا ، فالذين يدرسون التلمود [١] هم قلة لا يذكرون – قد لا يزيدون على واحد في الالف يتحملون ضنى المطالعه ليل نهار . هذا هو الشأن طول القرون الخالية. والحال باقية على هذا وستبقى على هـذه الوتيرة ، لن تتغير . وعدة العقود الاخيرة شهدت انقراض مراكز العلوم الدينية في شرق اوروبا . وكم من علماء احبار مشهورين بالتقوى ذهبوا ضحـايا الجزار، ومعهم مئات من تلاميذهم الابرياء المجتهدين » .

* * *

ثم يدخل صاحب المقدمة في ناحية اخرى،وهي انيشير الى خسارة العلماء اليهود الذين ذهبوا في الحرب الثانية على يد هتلر في المانيـا والنمسا ، ثم هو يشكر ما عمل يهود اميركا وبريطانيا في سبيل انقاذ المشردين .
ثم ينوّه باسرائيل مباشرة :—

« ولكننا اليوم ، وعلى قدر مـــا نستطيع ان نرى من خلال الحوادث وتفسير تياراتها ، نقول أنه يتعـين على اسرائيل في المقـام الأول – هي ومن ورائها الناطقون بالانـكليزية من اليهود في العالم – ان تكفل لنا التربة الصالحة والمجال الوافي لامتداد جذور « شجرة الحيــاة » ورسوخها في التربة بقوة . ذلك بعبارة أخرى ، ان الأقدار قد قضت بان امر الاحتفاظ بالقيم الروحية اليهودية ، واطراد نموها ، على غرار مـــا عرف في تراثنا وكتبنا ، ومنهج حياتنـــا ، تقع تبعته على عاتق « اسرائيل » ، ومن في صفهـــا من اليهود الناطقين بالانـكليزية، وها اننا نرى أن اسرائيل قد أصبحت اليوم كهفاً اميناً

---

(١) لعل القاريء العربي اصبح الآن ملماً الالمام الكافي بمعنى التلمود والمشنا ، على حـــد ما يذكره هنا الدكتور برود حتى يعلم الفرق بين تناول معظم الدارسين المشنا ، وبين القلة التي تطالع التلمود ، فالمشنا ، عبارتها فقرات ، فبوسع الدارس ان يدرس منها على قدر طاقته ، واما التلمود فمعناه المشنا والجمارا معاً ، ونسبة المشنا الى الجمارا كنسبة الجزء القليل الى المقدارالكبير ومن هنا صعب على المطالع ان يقرأ التلمود او لمشنا والجمارا معاً ، قراءة ً كاملة .

للتوراة . ويتحتم على « البقية » التي في خارج « الأرض المقدسة » ، من قبيل الواجب الذي لا مرد له ، ان تأخذ بكل مستطاع لترويج دراسة التوراة ، والتشويق إلى هذا وبث الوسائل التي يكون منها التيسير والتسهيل . وانما يعتبر هذا واجباً لا مناص منه ، احتراماً للتوراة ووفاءً بمنزلتها ، ولما فيه من العامل المؤثر في توجيه حياتنا » .

* * *

ثم يقول : « ان الكتب المقدسة وآثار الربانيين ، والتلمود والمشنا ، كل ذلك هو مجالي حضارة لها بالغ التأثير في أنفسنا تأثيراً شمل مظاهر وجودنا اليهودي ، وفسر معاني حياتنا . فالمصادر والينابيع التي كان منها كل هذا ، يجب علينا أن نستوعبها استيعاباً صحيحاً ، وهذا ما ينبغي أن يكون المهمة الاولى لدينا لا تعلوها مهمة أخرى ، عند المعلمين والطلاب والدارسين في كل مكان . وفي هذا الصدد ، وسيراً نحو هذه الغاية ، لا نرى في هـــذه الترجمة الانكليزية للتلمود الا كل سبب من أسباب التيسير المراد ، والانكليزية اليوم هي لسان نصف مجموع اليهود ، ان لم يكن اكثر من نصفهم ، في العالم ».

ثم يقول بشأن دراسة التلمود :

ومن الناحية الاخرى ، فان طالب دراسة التلمود يجد في هذه الترجمة المتمدة المتميزة بالصحة والدقة ، خـير معوان له في تحقيق ما يصبو اليه ويرغب فيه ، وذلك بما اشتملت عليه هذه الترجمـــة من حواشٍ شارحة وتعليقات تجلو الغوامض ، الى ايضاح ما ينبغي ايضاحـه من الاسماء والمصطلحات » ثم ختم بقوله : « والتلمود » ، رغم ما لحقه من التشويه والتحقير عمداً من اصحاب الغرض والقصد ، هو هو ، احد الكتب التي تحمل ثقافة عالمية ، وله من السعة ما يجعله اشبه بدائرة معارف هي الآن في متناول الدارس اليهودي » .

ولكي يقف القارىء العربي على شيء من روح التلمود ، نقدم اليه بعض نماذج من محتوياته .

٤ ـ نماذج من محتويات التلمود

ما قاله في العرب ، وامثلة من احكام المشنا والجمارا

١ ـ المخلوقات نوعان ، علوي وسفلي . العالم يسكنه سبعون شعباً بسبعين لغة . اسرائيل صفوة المخلوقات ، واختاره الله لكي تكون له السيادة العليا على بني البشر جميعاً ، سيادة الانسان على الحيوان المدّجن .

●

ما للعرب من ذكر ووصف في التلمود

٢ ـ ★ العرب ، الامة المحتقرة .

★ لم يتاجروا الا بالجلود وبعض الزيوت النباتية للتداوي بها .

★ من العار الزواج بعربية .

★ العرب يعبدون الاصنام .

★ العرب هم مرتكبو تسعة اعشار الجرائم في العالم .

★ (يقول اليهودي) : اهون عليّ ان يحكمني اسماعيلي (عربي) من ان يحكمني روماني ، واهون عليّ ان يحكمني روماني من ان يحكمني فارسي .

★شاهد يهودي عربيّاً في القرن الثالث الميلادي يذبح شاة فنزع كبدها ليتنبأ عليه .

★ العربي يعبد الغبار الذي يعلق بصندله .

★ في العبرية ١٢ كلمة عربية ممتزجة بعناصر آرامية ونبطية .
(دائرة المعارف اليهودية مادة Arabia)

★ في التقاليد اليهودية المتناقلة من القرون الاولى في المسيحية ان العرب هم كالرومان اعداء اليهود ، ويذكر التلمود خلافاً بين وفدين من « الاسماعيلية » واليهود في مجلس الاسكندر . فقال العرب ان ارض كنعان هي ميراثنا نحن . قال « نفيل باربر » معلقاً على هذا ، وقد اوردها في كتابه ، ان هذه الرواية تدل حتى في العصر التلمودي ، اي قبل القرن الخامس والسادس ميلادياً ، على ان اليهود يغصون بوجود العرب في فلسطين . (والميراث المقصود هنا العمالقة والكنعانيون) .

★ تقول التقاليد اليهودية ان نبوخذناصر لما استاق اليهود الى بابل سبياً تعرض لهم الاسماعيليون (العرب) في الصحراء والبادية . فقدم الاسماعيليون لقوافل المسبيين الطعام لكنه مالح ، فطلب الاسرى الماء فاعطوهم ظروفاً من جلود الماعز ، منتفخة ، وتبدو كأنها مملوءة ماء . فلما وضع الاسرى افواههم عليها ليشربوا ، والعطش يحرقهم ، فاذا بريح ساخن تخرج من الظروف ، فدخل الهواء امعاء الاسرى فقضوا مكانهم .

★ لما كان تيطس يهدم الهيكل الثاني الذي بناه هيرودس ، كان احد قواده العسكريين الاربعة عربياً ، وكان هذا القائد العربي مرّ العداوة لليهود . فراح يحضّ الجيش على الهدم حتى لا يبقى من الهيكل حجر على حجر . ولما رآه اليهود يفعل هذا نقموا عليه ، فاجابهم بانه انما يفعل ذلك من اجل خيرهم ومصلحتهم ، اذ ما دام الهيكل قائماً فالامبراطورية الرومانية « لا تبرح عدوّاً لكم » ، لكن

اذا زال الهيكل زالت تلك العداوة ». فقال له اليهود : انت عربي لا نؤمن بنصيحتك .

★ في قصة تتعلق بالرّبي يوحنان بن زكاى (حوالي ٧٥ ب.م.) وقد مرّ ذكره في صفحات قريبة ، ان العرب في ذلك الوقت كانوا يقيمون في عكاء ولهم الخيول لكنه نعتهم نعتاً جد قبيح .

★ اورد « باربر » بالاضافة الى ما تقدم القصة التالية : اخبر عربي يهودياً ان المسيح قد ولد يوم تدمير الهيكل ! وكان اليهودي يحرث حقله ، فمرّ به العربي ، ولما اقترب منه ، فاذا ببقرة اليهودي وهي تحت النير تبرك على الارض من تلقاء نفسها . فسأله العربي من انت ؟ يهوديّ انا ، اجاب اليهودي . فقال العربي : فكّ البقرة من النير والمحراث . ولماذا ؟ لان الهيكل قد هدم . وكيف عرفت هذا ؟ عرفته من بروك البقرة . واذا بالبقرة تبرك ثانية . ثم قال العربي : يا يهودي يا يهودي ! فك البقرة فقد ولد المسيح مخلص اليهود .

ولما علم هذا اليهودي بان الطفل هو في بيت لحم ، باع البقرة والنير والمحراث ، واشترى بالثمن البسة اطفال ، واتى بيت لحم وجعل ينادي مناداة البائع المتجول : واتى ام الطفل والح عليها بان تشتري منه ما تحتاج الى طفلها من البسة . ولما اعتذرت اليه بان لا نقود بيدها ، عرض عليها ان يبيعها ديناً ثم يأتي بعد مدة فيأخذ الثمن . فاشترت . ولما عاد ، قالت له ان ولدها قد مات . ولما سألها وكيف كان ذلك ، اجابت: بعد ان فارقتَ بيتي هبّت عاصفة اخذت الولد من بين يدي وطارت به ! انتهت الاسطورة . قال باربر : وبعد هذه القصة لا ذكر للعرب في التلمود » .

* * *

واما ما للعرب من ذكر في الكتب اليهودية ، ففي ثلاثة انواع :

١ ـ اسفار « العهد القديم » ، ففيها شذرات متفرقة عن العرب باسمهم

هذا ، او باسم العمالقة ، والاسماعيليين ، وقيدار ،وبني المشرق ، والمدينيين.
٢ - سفر المكابيين الاول والثاني ففيها اخبار الانباط خاصة .
٣ - التلمود ، وقد اوردنا نماذج من محتوياته .

* * *

نماذج من احكام التلمود

التلمود منظمة ابوابه وفصوله هكذا : فاسم الباب أولاً ، ثم الفصل الاول منه ، وهـذا كله بحروف بارزة . ثم اول سطر من اول فقرة كلمة « مشنا » بحروف سوداء ، ثم عبارات الفقرة الـتي تتضمن الحكم . وبعد هذا فاصل ، وبعد الفاصل يرد شرح المشنا ، المسمى « جمارا » فترد كلمة « جمـــارا » في اول السطر بحروف سوداء كما وردت كلمة «مشنا» ثم الشرح ، لمختلف العلماء.

وقد يكون الشرح في عشرين الى ثلاثـين صفحة او اكثر او اقل ، لحـكم واحد هو في عبارة المشنا في اسطر . ومن هنا تضخمت مجـلدات التلمود مع الزمن .

* * *

امثـــلة

(مشنا : اذا قال رجل اني اتعهد بان اقدم قرباناً منطعام مطبوخ بالفرن فليس له ان يأتي به مطبوخاً في غير الفرن ، كموقد الحجارة او « تنور » العرب . واذا قال : اني اتعهد بان آتي بتقدمة مخبوزة ، فليس له ان يأتي ببعضها مخبـــوزاً وببعضها الآخر فطيراً . ربي سيمون يجوّز هذا ، لان كلا النوعين يعودان الى اصل التقدمة) .

(جمارا : شرح مسهب لمختلف الربيين تفسيراً لما تقدم ، وتعليقاً عليه ، وذهاباً به مناحي مختلفة . وهذا الشرح لهذه المسألة المتعلقة بالتقدمة استغرق ٣ صفحات) .

(مشنا : الاسرائيلي الذي يشتري فلوأتان من وثـني [١] ، او يبيع فلواً من وثني ، او الاسرائيلي الذي يتشارك مع وثني[٢] (في حيوان) ، او يتفق مع الوثني على تربية الحيوان [٣] ، او الذي يقبل الحيوان لتربيته [٤] ، فهذا لا تنطبق عليه شريعة الحيوان اذا جاء « لان كل بكر هو لي يوم اهلكت كل بكر في ارض مصر قدّستُ لي كل بكر في اسرائيل من الناس والبهائم انهم لي يكونون انا الرب [٥] » ولكن ليس في الامم) .

(جمارا : ما الحاجة الى كل هذه الامثلة في المشنا ؟ وهـل من الضروري ايراد هذه الوجوه كلها ما دام النص يتناول الذي يشتري ؟ ولعل السبب هو اعتبار الحيوان طاهراً ، ولكن الذي يبيع من وثني ، وقد رفع يده عـــن الحيوان سبّب في ان تتعرض الطهارة للزوال فيجب قصاص الاسرائيلي لفعله ذلك) .

ثم يطّرد الشرح على هذا الحكم حتى يشغل ١٥ صفحة .

* * *

وجاء في احد الفصول هذا الكلام في اوله :

(هذا الفصل كله نصوص من المشنا ، يشتمل على وصف الهيكل الثـاني المقدس وما حواليه ، وذلك دقيق للغاية تفصيله . ولا ريب ان هذا الوصف قد وضع لما كان الهيكل المقدس لا يزال قائمـاً ، وكُتب ودوّن باليونانية ، وضم الى المشنا حتى يكون دليلاً ومرشداً عند اعادة بناء الهيكل) .

ثم يأتي شرح الجمارا في ٢٧ صفحة (مجلد ٢ ص ٢٤٠ فصاعداً) .

* * *

(١) (هذه الشروح هنا في حاشية الصفحة ليست من متن المشنا ، وانما هي شرح وتعليق) لانه ممنوع على الاسرائيلي ان يبيع حيواناً كبيراً من وثني، لان الوثني «يشغل» الحيوان في السبت.

(٢) كأن يشتركان في شراء حيوان ويكون لكل منهما حصة فيه .

(٣) مقابل تربية الحيوان يأخذ نصف النتاج ويبقى الحيوان للوثني .

(٤) كأن يأخذ الاسرائيلي نصف النتاج ويبقى الحيوان للوثني .

(٥) سفر العدد ٣ : ١٣ .

(مشنا : انقضاء السبت يكون على هذه الوجوه :

١ – يقف الفقير خارج الباب ، ورب البيت داخل الباب ، فاذا مـــدّ الفقير يده الى داخل الباب ووضع قطعة متـــاع في يد رب البيت ، او اذا تناول قطعة متاع من داخل البيت ومضى بها ، فالفقير آثم [1] ، ورب البيت لا اثم عليه .

٢ – اذا مدّ رب البيت يده خارج الباب ووضع قطعة متاع في يد الفقير او اذا تناول قطعة متاع من يد الفقير ومضى بها ، فرب البيت آثم ، والفقير لا اثم عليه .

٣ – اذا مـد الفقير يده الى داخل الباب وتناول رب البيت منـه قطعة متاع او اذا وضع الفقير قطعة متاع داخل الباب وتناول قطعة متـاع اخرى ومضى بها ، فلا اثم على كليهما .

٤ – اذا مدّ رب البيت يده الى خارج الباب وتناول الفقير قطعة متاع منه ، او اذا وضع الفقير قطعة متاع فنقلها رب البيت الى داخـل ، فلا اثم على احد منهما .

ثم يتلو شرح الجمارا في ٣١ صفحة

***

(مشنا : لا يخرج الخياط (من بيته او محل عمله) وبيـده ابرة الخياطة قبيل الغروب (مساء الجمعـة) ولا يخرج الكاتب ومعه الدواة ، ولا يبسط الواحد رداءه ، ولا يقرأ على ضوء قنديل) .

وفي الشرح قال فيما يتعلق بالقنديل ان السبب هو خشية ان يتضاءل الضوء فيعالج الفتيل ليصحّ انسياب الزيت او امتصاصه ، وهـذا يدخل في العمل الممنوع في السبت .

***

(١) (الحاشية في الاصل) انه دنس السبت .

لمحتويات التلمود صفتان « هلاكا » و « هجّادا »

او « العقل » و « القلب »

من عجائب التلمود في الحوادث المتخيّلة ، والارقام ، والصور البعيدة من التصور ، ما يخرج عن حدود العقل الانساني ، دع عنك ضروب التطوح في كل ناحية ، اذ الرواية السماعية من عهد موسى قد وسعت كل هذا . اما صفة « الهلاكا » فيعني بها الامور التي تتعلق بجهة الشريعة ومذاهب الرأي والفقه فيها . واما « الهجّادا » فمعناها القصة او الرواية او الحكاية ، فهي ما هبّ ودبّ من اقاصيص القصّاص ، منفلتين من التقيد باحكام شريعة موسى ، ويحصر استنادهم في ذلك بان هذه الامور والاقوال مرويّة منقولة بالسماع من عهد موسى . ولكن تُضْفي هالة عامة على كل هذا ، نوعي « الهلاكا » و « الهجادا » قالوا ان « الهلاكا » طريق العقل ، و « الهجادا » طريق القلب . وهذا معناه عندهم ان الاولى رأي وتدبر ونظر ، والثانية عاطفة وميل وهوى ، وفي النهاية وضعوا الصفتين هكذا :

هلاكا = نابعة من العقل

هجادا = نابعة من القلب

٥ـ التلمود وجهاً لوجه مع العرب والامم وهذه هي أقواله:

ومع المسيحية والاسلام، اما الاخلاق الانسانية فتشيح بوجهها عن كلماته

●

ما قاله التلمود في (٨٠) نموذجاً

« لا يعدّ المرء ناضجاً في السياسية او الكتابة ما لم يدرس القضية الصهيونية » .

هذه الكلمات هي للعلامة بولس حنا مسعد ، صاحب كتاب « همجية التعاليم الصهيونية » وقد وضعه سنة ١٩٣٨ ومما قال في مقدمته : « للمسيحي انجيله يبشر به العالم، وللمسلم قرآنه ينشره بين جميع الشعوب. اما الاسرائيلي فله كتابان : كتاب معروف وهو التوراة لا يعمل به ، وآخر مجهول عند العالم يدعى التلمود ، يفضله على الاول ، ويدرسه خفية ، وهو اساس كل مصيبة . ان النصارى يؤمنون بان الله هو ابو الجميع . والمسلمين يعترفون بان الله رب العالمين .

« اما الصهيونيون فلا يريدون ان يكون الآله الا لهم وحدهم . زد على ذلك ان التلمود ينص على ان جميع خيرات الارض ملك لبني اسرائيل ، وان النصارى والمسلمين وعبدة الاوثان ، خلقوا عبيداً لهم. هم (اليهود) متحدرون من الله كما يتحدر الابن من ابيه ، وشعوب الارض مشتقة من الارواح النجسة، ولم يعطوا صورة الانسانية الا اكراماً لبني اسرائيل. على هذا المنوال تعاليم

هذا الكتاب الموبوء ، وقد اتخذ له مبدأ : الغاية تبرر الوسيلة ، فلا عجب اذا قامت عليه قيامة المخلصين لبلادهم ، وطهروا حكوماتهم من اتباعه الصهيونيين . .

« والآن بعد ان اخفق اسرائيل في سائر انحاء العالم وعاد بصفقة المغبون ، رجع يفكر في احتلال فلسطين ، البلد المقدس ، مدّعياً ان الله وهبها له . فلا غرو بذلك ، فالذين يدّعون ملكية المعمورة ، الا يجرأون على المناداة بامتلاك بقعة صغيرة كفلسطين ! »

وقال المؤلف في نهاية المقدمة :

« تلك صورةٌ مصغرة أو جزءٌ من ألفٍ مما حواه كتابنا هذا ونحن لم نرجم بالغيب ، ولم نقل كلمة واحدة الا ّ اسندناها الى مرجعها الاصلي . وبما ان العثور على نسخ كاملة من التلمود صعب للغاية ، نظراً لما حذفه المتأخرون من الاقوال ، واستعاضوا عنها بدوائر هندسية او بصفحات بيضاء منقّطة ، فاننا اعتمدنا في ادراج النصوص ، وترجمتها ، على كتاب الاستاذ اغوست روهلنج » .

* * *

واختتم العلامة بولس حنا مسعد مقدمة كتابه بقوله : —

« إلى القارىء العربي العزيز ، هذا الكتاب المعبر عن عقيدة اسرائيل كما هي في التلمود بلا زيادة ولا نقصان ، والموضّح التعاليم الركيكة التي يتناقلها الابناء عن الآباء ، والشارح الخرافات المضحكة التي يقدسها ذلك الشعب المبغوض ، ولا غاية لنا من وراء ذلك الا نشر العلم الحقيقي الذي آلينا على نفسنا خدمته بكل ما في صدرنا من قوة وعزم وحماسة ونشاط » .

* * *

واطلعت مجلة « المقتطف » — شيخة المجلات العربية — على هذا الكتاب بعد طبعه باثنتي عشرة سنة ، فكتبت ، بعد ان اوردت بعض محتوياته تقول :

« ولكي تطلع على سائر امثال هذا التجديف الذي لا تحتمله نفس بشرية ، يجب ان تطلع على هذا الكتاب – كتاب الخوري بولس حنا مسعد – الذي نحن بصدده ، فـترى اقوالاً لا تخطر في بال المجانين والمخرفين والسكارى والارذال ، والذين فقدوا الصواب والعقل والادب والحيـاء بتاتاً » . انتهى قول مجلة « المقتطف » في عدد فبراير ١٩٥٠ .

وهذا ما نشرته « المقتطف » من اقوال التلمود ، غير ناقلة الكلام بعينه لشدة كفره وبذاءته ، بل تسوق الكلام بالوصف مكتفية بذلك :

« اليهود يصفون التلمود فوق التوراة ، والحاخام فوق الله (استغفر الله) والله يقرأ وهو واقف على قدميه . وما يقوله الحاخام يفعله الله. ان تعاليم اللاهوتيين في التلمود لهي اطيب من كلام الشريعة والخطايا المقترفة ضد التلمود لهي اعظم من المقترفة ضد التوراة » .

« يقسم (الله) النهـار الى ١٢ ساعة ، ففي الساعات الثلاث الاولى ، يجلس الله ويدرس الشريعة ، وفي الساعات الثلاث الثانية يدين الشعوب ، وفي الساعات الثلاث الثالثة يغذي العالم ، وفي الساعات الثلاث الاخيرة يلعب مع ملك الاسماك ، وملك الاسماك هذا طوله ثلاثمائة قدم يدخل في فمه فلا يتضايق » .

* * *

كتاب «همجية التعاليم الصهيونية» صغير الحجم واقع في (١١٥) صفحة يقرأ في ساعتين من الوقت . غير ان القارىء لا يلبث ان يشعر بالحاجـة في نفسه الى قراءة الكتاب مرة ثانية وثالثة ، والسبب في ذلـك انه في القراءة الاولى يستعظم ان يكون هذا الكلام في كتاب ديني ينتمي الى اي فريق من البشر ! وفي القراءة الثانية لعله يبتدىء يتأمل مطرقاً وقد تتفاعل عدة امور في نفسه . فاذا اقفل الكتيّب وطرحه امامه على سريره او منضدتـه ، او مكتبته ، ليعود اليه مرة اخرى ، وقع نظره على العبارة الـتي احب المؤلف ان يوجز بها الباب مقاصده فقال تحت وسمة الكتاب :

« لا يعدّ المرء ناضجاً في السياسة او الكتابة

ما لم يدرس القضية الصهيونية »

واذا كان القارىء العربي حيّا ، فيعلم ان المراد بالصهيونية التلمود، اذ هي منه ، ومن التلمود خرج ويخرج كل شيء يدخل في مخطط اليهود الذي يريدون به تحقيق احلامهم من اقامة دولة دينية داودية سليمانية اوتوقراطية ، عاتية مستبدة ، تحكم العالم . من روح التلمود خرجت البروتوكولات .

* * *

وكان العلامة بولس حنا مسعد حريصاً على ان يذكر المرجع لكل عبارة نقلها ، فأثبت في نهاية كل فصل من فصول الكتاب جدول المراجع بذكر الكتاب المقتبس منه مع رقم الصفحة باللغات الاجنبية ، ولا نرى أهل البحث العلماء يدقّقون اكثر من هذا . وفصول كتاب « **همجية التعاليم الصهيونية**» ١٩ فصلاً مختصراً ، وعــدد المقتبسات المثبتة المراجع بلغ (٢٦٣) مقتبساً . وعناوين الفصول المذكورة هي : المذهب التلمودي – كلمة التلمود – الوهية التلمود – آله التلمود – الملائكة – قصة الشياطين – الأسرار التلمودية – النفوس – النعيم والجحيم – قريب اليهودي – التملك – الخداع – الأشياء الملتقطة – الربا – الاشخاص – المرأة – اليمين – الحرم – الخلاصة .

* * *

ونكتفي هنا بنقل عبارات وفقَر من كتاب «**همجية التعاليم الصهيونية**» بعد ان وضعنا بين يدي القارىء هذا التفصيل ، لنزيده علماً بمحتويات العقائد التلمودية ، دون حاجة الى ذكر المصادر والمراجع في الكتب الأجنبية التي يستغرق ذكرها مجالاً فسيحاً ، فهي في كتاب العلاّمة بولس حنا مسعد لمن يريد الرجوع اليها .

المقتبسات :

١) « أما تهذيب الربانيين (الحاخاميين) الذين هم رؤساء اسرائيل فأساسه ومرجعه التلمود . لذلك قد افتتحت مدارس كثيرة لقراءة التلمود في جميع انحاء اوروبا تحت ادارة الربانيين، لتتيح لجميع أبناء اسرائيل الالمام بتعاليمه. حتى ان في برلين نفسها كانت توجد منذ خمس وثلاثين سنة جمعية من هذا النوع تجمع أعضاءها كل مساء لقراءة الكتب المقدسة . وبهذه الوسيلة يجد ، مثلا ، التجار اليهود الذين لا يعرفون شيئاً عن التلمود، اخواناً لهم اسرائيليين يفقهونهم بمعلوماتهم التلمودية. وهنا نتساءل : لم هذه الدروس ؟ ألم تكن الغاية منها وضعها موضع معمل في الحياة اليومية ... حتى ان منهم من يقول : نعترف جهاراً بسمو التلمود اكثر من كتاب الشريعة الموسوية » (ص ١١) .

٢) « ان الدكتور كورنر يلصق بالشريعة القديمة حوادث تجعلها أحط من التلمود ، فضلاً عن اننا نجد ألوفاً من الأدلة التلمودية التي تناقض على طول الخط أحكام التوراة . فاليهودي الذي يسرق المسيحي ، او يفضح امرأة اجنبية ، لا يعاقبه المجمع ، لأن التلمود يسمح له بذلك. ومع هذا فان اليهود يتبجحون بأنهم يحافظون على التوراة بحفظهم التلمود » . (ص ١١ و ١٢) . قلت : المجمع اليهودي هنا هو السنهدرين السري .

٣) « ان الرباني « راشي » يثبت هذه التعاليم بمثل ما أورده التلمود . رأى الرباني كرمة متهدّلة بالعناقيد الناضجة فقال لخادمه : اذا كانت هذه الكرمة لغريب فاقطف منها ، واذا كانت ليهودي فلا تمسها » (ص ٦٣) .

٤) « ان الوصية القائلة « لا تسرق » معناها عند النسر ابن ميمون : لا تسرق اليهودي. اما غير اليهودي فيسمح دون ما وحل بسرقته » (ص٦٣) .

٥) قال العالم « بفافركن » في هذا الصدد : ان ممتلكات النصراني بالنظر الى اليهودي ، هي ممتلكات لا مالك لها مثل رمال البحار . وأول يهودي يستولي عليها عنوة يكون هو مالكها الاصيل » (ص ٦٥) .

٦) « يقول التلمود بشدة : « كما ان ربة البيت تعيش من خيرات زوجها، هكذا أبناء اسرائيل يجب ان يعيشوا من خيرات امم الأرض دون ان يحتملوا عناء العمل » (ص ٦٥) .

٧) « وفي المجمع اليهودي المنعقد في بولونيا سنة ١٦٣١ قرروا بالاجماع ان العبارات التي تهين الاغيار يجب حذفها، والاستعاضة عنها اما بدوائر هندسية، واما بتركها بيضاء ، وان التعاليم القائلة مثلاً بان المسيحيين هم سافلو الاخلاق لا يستحقون المحبة او العدل ... لا يصحّ نشرها الا شفوياً في مدارسهم (اليهود) » . (ص ١٤و١٥) .

٨) « في كل عصر عدّ اليهود عموماً، ما عدا بعض المشاقين (كالقرائين) ، التلمودَ إلهيا ، كالتوراة . ولكن اذا فحصنا الحقائق بمنظار الروية وجدناهم يضعونه فوق التوراة نفسها » (ص ١٦) .

٩) « ان التوراة كالمياه ، والميشنا كالخمر ، والجيارا كالخمر المعطّر. فالعالم لا يمكنه الحياة بدون مياه وخمر ، وخمر معطر . والغني لا يدع واحدة منها تفوته. ولهذا السبب فان العالم لا يمكنه الثبات بدون التوراة والمشنا والجيارا. فالشريعة كالملح ، والميشنا كالبهار ، والجيارا كالتوابل . اما العالم فانه لن يعيش بدون الملح والبهار والتوابل» (ص١٦) .

١٠) « ان الذين يدرسون التوراة يحتمل ان يكون عملهم فضيلة . اما الذين يدرسون الميشنا فانهم يمارسون الفضيلة ويثابون عليها ، الا ان الذين يدرسون الجيار فانهم يكتسبون اعظم فضيلة واسماها» (ص١٦ و١٧)

١١) « يقول التلمود : من يحتقر كلمات الربانيين يستحق الموت» (ص١٧)

١٢) «ان تعاليم اللاهوتيين في التلمود لهي اطيب من كلام الشريعة (ص١٧)

١٣) « اذا كان احدكم يملك نسخة من التوراة والمشنا ولا يملك نسخة كاملة من التلمود فلا يجوز لكم ان تتعاطوا معه» (ص١٧)

١٤) «ويعلّم التلمود بهذه الالفاظ: ان الله قد انزل الشريعة على جبل سيناء كما وردت في التوراة. اما في الميشنا والجيمارا فقد جـــاءت بصورة القصص والأمثال، وذلك لان الله اراد ان يعطي التلمود متجسداً بصوته الحي. حتى اذا اخضعت الشعوب لابناء اسرائيل تبقى الفوارق قائمة بين اسرائيل وعبدة الاوثان» (ص١٨).

١٥) «لو اراد الله ان يكتب التلمود برمته على الورق، لما وسعته الارض صحفاً مكتوبة» (الصفحة ١٨).

١٦) ان الرباني مناحيم يطلعنا بالاتفـــاق مع كثير من العلماء على ان الله يأخذ رأي الربانيين العائشين على الارض في المشاكل التي تنشأ في السماء» (ص١٩)

١٧) «جاء في كتاب يهودي سنة ١٥٩٠: ان كلمات الربانيين لأشد عذوبة من كلمات الانبياء... وذلـــك لأن كلمات الربانيين هي كلمات الله الحية.. إذا قال لـــك الرباني ان يدك اليمنى هي اليسرى وان اليسرى هي اليمنى، فلا يجوز لك ان تنبذ كلامه. فكم يلزمك ان تحترمه اذا قال لك ان اليمنى هي اليمنى، واليسرى هي اليسرى» (ص١٩)

١٨) «اذا اتى صوت من السماء يبقى بغير قيمة حتى يحققه الرباني، وان الله اذا عضد ربانياً في مجادلة، فانه يعضـد خصمه في المجادلة نفسها لتكون الغلبة الكبرى للرباني» (ص٢١)

١٩) «ان الله تعالى قد تاب عن تركه بني اسرائيل يرتطمون في الشقاء، كمن يتوب عن اسم شخصي، فلذلك انه يهمر كل يوم دمعتين سخيتين في البحر، تسببان قرقعة شديدة تسمع من اقصى العالم الى اقصاه، وفي كثير من الاحيان تنزل قواتها الهزات العنيفة بالمسكونة» (ص٢٧).

٢٠) «والتلمود يقول في غير محل ان الله عندما يقسم في كل مرة بدون مبرر معقول، فمن اللازم ان يحل قسمه بقسم آخر نظيره، وهذا يثبته ان احد الحكماء في اسرائيل قد سمع يوماً الله يصرخ: يا لشقائي! من ينقذني من

قسمي هذا ؟ » (ص٢٧)

٢١) « ان الله قد اقسم بغير عدل، وارتكب خطيئة الكذب لكي يلقي السلام والوئام بين ابراهيم وسارة. وهذا هو المسوّغ الذي يخوّل بني اسرائيل الكذب لاعادة السلام الى نصابه» . (ص٢٨)

٢٢) « ان واحداً وعشرين الفاً (من الملائكة) يحرسون الاعشاب لأن على الارض واحداً وعشرين الف نوع من العشب» (ص ٣٠)

٢٣) « ان عمل الملائكة الرئيسي سكب النوم على عيون البشر، وحراستهم في الليل . اما في النهار فانهم يصلّون عن البشر ، ولذلك يجب ان نلتجىء اليهم . إلا أن الملائكة لا يفهمون السريانية والكلدانية وهذا هو السبب الذي يمنعهم من سماع طلبات وصلوات ابناء هاتين اللغتين» (ص٣١)

٢٤) «ان الشياطين مركبون من الماء والنار ومنهم من خلقوا وفيهم شيء من الهواء وغيرهم من التراب . اما نفوسهم فقد صنعت من مادة محفوظة حول القمر ، ولا يجوز استعمالها لغير ذلك . ان بعض الشياطين تحدروا من صلب آدم الذي بعد ان لعنه الرب رفض الدنو من حواء لكيلا يلد نسلاً شقياً، وفي ذلك الوقت بانت امامه شيطانتان فعرفهما ، وولدتا منه شياطين جديدين » (ص٣٣) .

٢٥) « قال ساحر فرنسي كبير يدعى «اليفاس ليفي» : «ان التلمود هو الكتاب الاساسي لكل انواع السحر» (ص٢٦).

٢٦) «ان الرباني العازار كان يحوّل حقله المزروع قرعاً وبطيخاً الى ظباء وجداء» (ص٣٦)

٢٧) « يعتقد اصحاب التلمود ان ابراهيم ابا الآباء كان يستعمل السحر وعلّمه لغيره حتى كان يربط في عنق كل مريض حجراً ، يرد له صحته ... ويخبرنا التلمود ان ربانياً قطع رأس افعى بسنّه ولمسها ثانية بحجره فعادت اليها الحياة . بل انه كان يلمس بهذا الحجر الطيور التي ماتت فتعود اليها

الحياة وتطير ثانية » (ص ٣٧) .

٢٨) « ان الرباني فابيوس من ليون اوضح في خطابه يوم عيد رأس السنة العبرية(١٨٤٣م.)ان الديانة اليهودية تعلوعلى المسيحية وغيرهامن الاديان،وذلك لعدم وجود اسرار فيها ، فان كل شيء في الديانة اليهودية هو نور وعقل ، بعكس المسيحية التي تكبّل العقل وتسترسل وراء الافكار الجنونية » (ص ٣٩) .

٢٩) « كان آدم كبيراً جداً حتى لامس برأسه قبة السماء . ولما كان ينام كان رأسه يبلغ آخر العالم من الجهة الشرقية ، ورجلاه تصلان الى الغرب من الجهة الثانية . وصنع الله له كوّة كان يرى من خلالها العالم بأسره . لكن لما اخطأ آدم صغّره الله ومسخه بالهيئة البشرية الحاضرة » (ص ٣٩) .

٣٠) « ابراهيم اكل اربعة وسبعين رجلاً وشرب دماءهم دفعة واحدة ، ولذلك كانت له قوة اربعة وسبعين رجلاً » (ص ٤١) .

٣١) « ان نفوس جميع البشر التي وجدت والتي ستوجد حتى انتهاء العالم قد خلقها الباري في أيام التكوين الستة ، ثم خزن هذه النفوس في مخازن السماء وأمرها بألا تغادر مسكنها إلا عندما تكون الأمهات على وشك وضع مولود جديد في العالم » (ص ٤٢) .

٣٢) « أوجد الله في البدء ست مئة الف نفس يهودية ، لأن كل آية في التوراة تحتمل ست مئة الف تفسير ، وكل تفسير جدير بنفس واحدة » (ص ٤٢) .

٣٣) « ان نفوس اليهود منعمٌ عليها بأن تكون جزءاً من الله فهي تنبثق من جوهر الله كما ينبثق الولد من جوهر أبيه » (ص ٤٢) .

٣٤) » هذا السبب يجعل نفس اليهودي اكثر قبولاً وأعظم شأناً عند الله من نفوس سائر شعوب الارض ، لأن هؤلاء تشتق نفوسهم من الشيطان وهي مشابهة لنفوس الحيوانات والجماد . ولهذا يقول التلمود : ان زرع الرجل غير اليهودي ١, زرع حيواني » (ص ٤٢) .

٣٥) « تنتقل نفس اليهودي بعد موته الى جسد آخر ، وعندما يلفظ المتقدم في السن انفاسه ، تسرع نفسه الى جنين في بطن امه » (ص ٤٣) .

٣٦) « كان لقايين ثلاث نفوس : الاولى انتقلت الى يثرو والثانية الى قورح ، والثالثة الى المصري الذي قتله موسى » (ص ٤٣) .

٣٧) « اما نفس يافت فقد انتقلت الى شمشون ، ونفس تارح الى ايوب ، ونفس حواء الى اسحق ، ونفس خادم راحاب الزانية الى حبرو ، ونفس جايل الى الياس ، ونفس عيسو الى المسيح .. » (ص ٤٣) .

* * *

في هذا الموضع اجاب مؤلف « همجية التعاليم الصهيونية » على قول التلمود هذا بقوله : —

« نحن نجلّ قلمنا عن ايراد هذه النتيجة السمجة . انما نحيل ابناء اسرائيل الى انجيل المسيح لكي يروا بأعينهم اية حياة طاهرة عاشها مؤسس الديانة المسيحية ، واي حياة طاهرة يطلبها من اتباعه . اما اليهود الذين يمرقون من دينهم ، او يقتلون احد ابناء ملتهم ، فان نفوسهم بعد الموت تسير تواً الى الحيوانات والنباتات وتقطن بها ، ثم بعد حياة شقية يرسلون الى الجحيم ليحتملوا الوان العذاب اثني عشر شهراً ، وعند انتهاء المدة يبعثون احياء وينتقلون متجسدين في الحيوان وعبدة الاوثان وعندما يطهرون يعودون الى اليهودية » (ص ٤٣).

* * *

٣٨) « يقول التلمود ان النعيم عبارة عن مكان تعيش فيه اذكى الروائح والطيوب ، فان ايليا قد ضمّخ في ذات يوم ثوب كاهن باوراق شجر الفردوس فظل العبير منتشراً من الثوب حتى تهرّأ واخيراً باعه بثلاثماية قطعة من الفضة» (ص ٤٤) .

٣٩) « وجهنم هي ارض موحلة فاسدة لا فرح فيهـــا ولا سرور ، بل بكاء وظلام . وكل مسكن في الجحيم يشتمل على ستة آلاف صندوق وكل صندوق فيه ستة آلاف برميل من الحنظل والاسفنتين » (ص ٤٥) .

٤٠) « المشروبات السماوية هي الخمور الفاخرة المعتقة المحفوظة من يوم الخليقة السادس ، وهذه الجنة اللذيذة لا يدخلها الا اليهود الصالحون ، امـــا الباقون فيزجون في جهنم النار » (ص ٤٥) .

٤١) « ان جهنم هي اكبر من السماء بستـــين مرة ، وهي سجن القلف (من لا ختان لهم) وفي مقدمتهم اتباع المسيح بن مريم لان هؤلاء يحركون ايديهم كثيراً برسم اشارة الصليب على ذواتهم . ويأتي بعد النصارى المسلمون لانهم لا يغسلون سوى ايديهم وارجلهم وافخـــاذهم وعوراتهم . كل هؤلاء يحشرون حشراً في جهنم ولا يغادرونها الى الابد » (ص ٤٦) .

٤٢) « يقول التلمود ان المسيح عندما يأتي تنتج الارض حلوى واثواباً من الصوف وحنطة خصبة الحبة الواحدة منها تزن ثقل كلية ثور فحـــل » (ص ٤٧) .

٤٣) « ان المسيح يعيد قضيب الملك الى اسرائيـــل فتخدمه الشعوب وتخضع له الممالك » .

« وعندئذ يمتلك كل يهودي الفين وثمانمايـــة عبد وثلاثمائة وعشرة ابطال يكونون تحت امرته .

« المسيح لا يأتي ما لم ينقرض ملك الشعوب غير اليهودية .

« ذلك لان اسرائيل اذا كان صالحاً يجب عليه ان يعمل بغير هوادة في ان ينبذ المتسلطين على الشعوب نبذ النواة ، لان السلطة على الشعوب غير اليهودية هي من نصيب اليهود فقط وفي كل مكان يدخله اليهود يجب ان يكونوا هم المتسلطين ، وطالما هم بعيدون عن تحقيق هذه الفكرة فيعتبرون نفوسهم غرباء ومنفيين » (ص ٤٧) .

* * *

نود ان نستوقف القارىء العربي لحظات في هـذا الموضع لنلفت نظره الى الحقائق الرهيبة التالية :

١ - كل ما يتعلق بمخطط اليهود للاستيلاء على العالم ، وتعمل له اليهودية العالمية الخفية بأجهزتها السياسية والاقتصادية ، العلنية والخفية ، خطوطه في التلمود .

٢ - لا نرى بنا من حاجة الى ان ننقل الى هـذه الصفحات هنا متن البروتوكولات التي نصت على هذا كله بالتفصيل الكافي الوافي . وان كان مذهلاً امر هذا المخطط . فاننا عنـد ما نقرأه في التلمود ، نقرأه اساطير واوهاماً وتخاليط وما اشبه ، ولكن عندما ننتقل الى متن البروتوكولات ونمعن النظر فيها بروية ، نجد ان اساطير اليهود صارت تتحول الى برامج محكمة . ونقول : ان ما بلغته اليهودية العالمية حتى اليوم من تحقيق جزء من مخططها هذا ، برفضه العربي ، وكل مسلم ومسيحي من ابناء الامة العربية ولا يقبله دليلاً على ان اليهودية العالمية قادرة على ان تمضي طويـلاً بعد اليوم في اجتياز المراحل نحو تحقيق الغاية الكبرى وهي احراز السلطة العالميـة وصولاً الى الملك الداودي السليماني ، ومحو انظمة الدول ، والاديان ، وجعل اليهودية المادية هي الدين السائد على جميع الامم في العالم . فيعود الامر الى ما يشبه الاساطير. فمع الاعتقاد الراسخ من ان « اسرائيل» هي القفاز الخارجي الموقت لليهودية العالمية - يجب ان يؤخذ بخناقها حتى تهمد ، علينا ان ننتبه بقوة جبارة الى الاجزاء المقبلة من المخطط اليهودي.

٣ - لذلك نلفت نظر القارىء الى ان يقابل بين ما يقوله التلمود هنا ، وما هو مبسوط من هذا المخطط في البروتوكولات وهي :

السابع عشر ، والثامن‌عشر، والتاسع عشر ، والعشرون ، والحادي والعشرون ،والرابع والعشرون ، وهذا كله بين يدي القارىء .

* * *

٤٤) « قبل أن تضمحل شعوب العالم وتستعبد ، وقبل أن يصـير اليهود أسياد مدنهم ، وقبل بدء الملكوت المسيحي ، ستنشب حرب طويلة تشيب لهولها الاطفال ، فتزهق ثلثي العالم . ويمكث اليهود سبع سنوات يحرقون الاسلحة المكتسبة ، وعندئذ تتضخم أسنان أعداء اسرائيل القدماء وتبتعـد عن أفواههم بعرض اثنين وعشرين قدماً ، وفي انتظار ذلك يعيش اليهود في حرب مستمرة مع الشعوب الغريبة » (ص ٤٨) .

٤٥) « عندما يعقد لواء الظفر النهائي يرتضي المسيح بكل الشعوب إلا أنه يرفض المسيحيين منهم ، وفي ذلك الوقت يصبح أبناء اسرائيل أغنيـاء كباراً لأن كنوز الشعوب تسقط بين أيديهم . ان هـذه الكنوز تملأ قصوراً وسيعة ، حتى ان ثلاثمائة دابة لا تكفي لحمـل مفاتيح الأبواب والخزائن » (ص ٤٨) .

٤٦) « في ذاك الوقت يعتنق الجميع الإيمان اليهودي ، إلا أن المسيحيين لا شركة لهم في هذه النعمة ، بل انهم يستأصلون عن وجـه الارض ، لأنهم متحدرون من الشيطان ، وعندئذ تشبع رغائب اليهود ، لأن المسيح الذي ينتظرونه ويستعدون للقـائه هو اسرائيل نفسه ، أي ان الشعب اليهودي يملك على باقي الشعوب وقت مجيء المسيح » (ص ٤٨) .

* * *

وعلـّق المؤلف على هذا الكلام الهمجي الصهيوني بقوله :

« والعجب الغريب ان الحكومات المسيحية والاسلامية تسمح لليهود بأن ينشروا هذه السفاسف والخزعبلات وأن يلصقوا أمثال هذه السماجات بالسيد المسيح ، واضعينه بين عبدة الاصنام وقائلين عنه انه ابن .... » (ص ٤٩) . والكلمة التي أشرنا اليهـا بنقاط نأبى أن نوردها هنا وان اثبتها المؤلف في كتابه .

٤٧) « أن اليهود أحب الى الله من الملائكة فالذي يصفع اليهودي كمن

يصفع العناية الالهية سواء بسواء . وهــذا يفسر لنا استحقاق الوثني وغير اليهودي الموت اذا ضرب يهودياً » (ص ٥٢) .

٤٨) « يعلمنا التلمود انه لولا اليهود لامتنعت البركة من الارض ، وانقطع المطر واحتجبت الشمس ، لذلك لا تستطيع شعوب الارض الحيـاة بدون الاسرائيليين » (ص ٥٢) .

٤٩) « ان المفاضلة لموجودة بين جميع الاشياء فكما ان الانسان يعلو البهيمة كذلك اليهود هم ارفع من شعوب الأرض ، لأن زرع الاغراب كزرع الحصان » (ص ٥٢) .

٥٠) « ان مدافن غير اليهود تثلج صدور ابناء اسرائيل لان اليهود وحدهم هم بشر . امـــا الشعوب الاخرى فليست سوى أنواع مختلفة من الحيوانات » (ص ٥٢) .

٥١) « ان غير اليهود كلاب عند اليهود بحسب تعليم التلمود المستند الى الآية السادسة عشرة من الفصل ١٢ من سفر الخروج وقد جـاء فيه ان الاعياد المقدسة وضعت لاسرائيل وليس للاغراب والكلاب » (ص ٥٢ و ٥٣) .

٥٢) « قال الرباني موسى بن نحمان لكم وليس للنجسين ، لكم وليس للكلاب وضعت أعياد مقدسة » (ص ٥٣) . (قلت : اقرأ الفصل السابع في هذا الجزء ففيه ترجمة بن نحمان) .

٥٣) « لا يسمح باعطاء اللحم لغير اليهودي بل للكلب لانه افضل من غير اليهودي» (ص ٥٣) .

٥٤) « ان بيوت غير اليهود زرائب للحيوانات » (ص ٥٣)

٥٥) « رأى الرباني ايدل : ان غير اليهودي لا يختلف بشيء عن الخنزير البري . فالمرأة اليهودية التي تخرج من الحمّام عليها ان تستحم ثانية اذا وقع نظرها لاول مرة على نجس كالكلب والحمـار والمجنون وغير اليهودي والجمـل والخنزير والحصان والابرص » (ص ٥٤) .

٥٦) « من الفطنة الانقطاع عن المراقص لان في ذلك خصلتين : اثواب الراقصات تثير كوامن الشهوات القبيحة ، وجماهن الذي يسترق منا عبارات الثناء ، وهذان الأمران ممنوعان بتاتاً اذا كانت الراقصات غير يهوديات » (ص ٥٥ و ٥٦) .

٥٧) « ان عبدة الاوثان الذين لا يعتنقون الدين اليهودي ، والمسيحيين المؤمنين بيسوع المسيح والمسلمين التابعين للنبي محمد ، هم في نظر اليهود اعداء الله واعداء اليهود » (٥٦) .

٥٨) « يسمح التلمود لاصدقاء الله وأقاربه في أن يضلـّوا الاشرار لانه مكتوب : كن تقياً مع الأتقياء وشريراً مع الأشرار » (ص ٥٧) .

٥٩) « ممنوع السلام على الكفار . يجب على الانسان ان يوارب ابداً في خوف الله . اذا سلـّم اليهودي على غير اليهودي فحباً للسلام والوئام ودفعاً للمشاحنات والمشاجرات » (ص ٥٧) .

٦٠) « يقول الرباني بيشاي : ان الرياء مسموح به » (ص ٥٧) .

٦١) « ان هؤلاء الاشرار هم شعوب الارض قاطبة وكل الذين ليسوا على شيء من اليهودية يقول التلمود: كل خير يصنعه اسرائيل ، وجميع الاحسانات التي يوزعونها على الاغيار ، والمحبة التي يستعملونها نحوهم ، هذه كلها خطايا على اليهود لانهم يعملونها تباهياً وتبجحاً ، فضلاً عن ان اهل الغرلة (الذين ليس عندهم ختان) وثنيون لا ذمة لهم ولا ذمام ، وكذلك اهل الختان من المسلمين لا يشذون عن هذه القاعدة لانهم ليسوا اخياراً » (ض ٥٨) .

٦٢) « يقول التلمود : « يمكنك ان تغش الغريب وتدينه بالربا الفاحش ولكن اذا بعت او اشتريت شيئاً لقريبك (اليهودي) فلا يجوز لك ان تراوغه وتساومه » (ص ٦٧)

٦٣) يقول التلمود : «عندما يقيم يهودي قضية على غير يهودي ، عليك ان تعضده وتقول للغريب : هذا ما تريده شريعتنا منا . واذا كانت شريعة

الغريب تشدّ أزر اليهودي ، فيجب عليك ان تساعد اخاك ليكون له الحكم في الدعوى ، وتقول للغريب : هذا مـا تريده شريعتك منك . واذا لم يكن الامر كذلك (أي اذا لم يكن لليهود قضاة في البلاد ولم يكن لهم شرائـع خاصة بهم) فعندئذ يتحتم عليك ان تحوك حول الغريب احابيـــل الخداع وتوقعه بها حتى يظهر اليهودي عليه» (ص ٦٧)

(٦٤) «يقول التلمود ان الرباني اسماعيل كان يحلل سرقة غير اليهودي . وهو نفسه ، الرباني اسماعيل ، اخذ آنية ذهبية بسعر طفيف لان صاحبهاغير اليهودي كان يظنها نحاساً ، ومع ذلك فان الرباني اسماعيل لم يدفع له ثمنهـــا البخس كاملاً » (ص ٦٨)

٦٥) « اشترى الرباني كاهانا مئة وعشرين برميلاً نبيذاً من رجل غـــير يهودي . لكنه لم يدفع له من الثمن سوى ثمن مئة برميل .

٦٦) « رباني آخر ، بعد ان باع لرجل غريب جذوع شجرة، أمر خادمه قائلاً : « اذهب واحفظ شيئاً من كل جذع لان سرقة غير اليهودي جائزة » (ص ٦٨)

٦٧) «قال الرباني موسى: « اذا غلط غير اليهودي في عملية حسابية وكان الغلط على الغريب ، ولليهودي لا عليه ، فعلى اليهودي ان يقول ولو اكتشف الغلط : أنا لا أعرف شيئاً . لكن لا يليق ان يغلـّط الغريب ، اذا كان هذا يحاول تجربته اختياراً ، وذلك لئلا يفتضح الامر » (ص ٦٩)

٦٨) «كتب الشيخ برناتز » في مؤلف يقول : عندما يركض اليهودي ، ويبحث في كل مكان طول الاسبوع عن نصراني ليغشه ، فان عمله يماثـل يوم السبت المقدس ، ويحق له ان يفاخر بعمله ويقول: يجب انتزاع قلب النصراني من جسده واهلاك علـّية القوم منهم » (ص ٦٩)

٦٩) «جاء في التلمود : اذا ردّ احد الى غريب ما اضاعه فالرب لا يغفر له ابداً . ممنوع عليك ردّ ما فقده الغريب ولو وجدته . الرباني موسى يعلم

تلاميذه:لا يجوز رد الأشياء الضائعة الى الهراطقة وعبدة الاصنام ومن يدنّس يوم السبت جهاراً » (ص ٧٠)

٧٠) «اذا اعطى يهودي معلومات عن يهودي هارب من وجه غريب له عليه دين مستحق،فالهارب لا يستوجب الادانة اكثر من اخيه الذي سعى به، وعلى هذا الذي سبب الوشاية ان يعوض على اخيه ما خسره بسبب الوشاية » (ص ٧٠)

٧١) «قد كتب على شعوب الأرض : لحومكم من لحوم الحمير ، وزرعكم من زرع الحيوانات . ولهذا السبب فالمباركون اولاد الحق هم اليهود واورومتهم التي تضمخت على جبل سيناء تبعد عنهم كل قذارة» (ص٧٩)

٧٢) « يقول التلمود : اقتل عبدة الاوثان ولو كانوا من اكثر الناس كمالاً . من يرفع وثنياً من حفرة وقع فيها فانه يبقي على رجل من عبّاد الاوثان » (ص ٨٠) .

٧٣) « اذا وقع وثني في حفرة فاسددها عليه بحجر كبير . وقال النسر ابن ميمون : محرّم عليك ان تأخذك الشفقة على وثني بل عندما تراه قد تدهور في نهر او زلّت به قدمه فكاد يموت ، اجهز عليه ولا تخلصه » (ص ٨٠) .

٧٤) « يقول التلمود : اقتل الجاحد بيدك ان استطعت . من يسفك دم الكفار بيده يقدم قرباناً مرضياً لله . قال الرباني عازار : هذا يعني يسوع واتباعه . ويقول الرباني يوشافاط : هذا يعني كل الاجانب ايضاً بغير استثناء ، ان الوصية القائلة (لا تقتل) معناها : لا يجوز لك ان تقتل اسرائيلياً . وقال ابن ميمون : ان من ينكر التعليم اليهودي ، وخصوصاً النصارى ،تتحتم ابادتهم عن بكرة ابيهم واهراق دمهم يكون دائماً من الأعمال المحمودة . واذا كان التنكيل بهم غير مستطاع فالوشاية بهم واجبة » (ص ٨٢) .

٧٥) « اذا ولدٌ اجنبيٌ شتّام وعابد للاصنام ، قتل اجنبياً آخر وضاجع

امرأته ، يتبرّر اذا اعتنق الدين اليهودي. لكن اذا قتل يهودياً واعتنق الدين اليهودي بعد ذلك فانه يظل دائماً مجرماً يستحق القتل » (ص ٨٣) .

٧٦) « اذا اضلّ يهوديٌّ رجلاً اجنبياً غير يهودي وجمله يصدقه انه غير يهودي ، فهذا جائز . اما اليهودي الذي يقبل العمادة (التنصير) ولو رياء ، ويتزوج مسيحية ، ويمارس عبادة الاصنام مثل اهل زوجته ، فهذا يناله ما ينال النصارى من العذاب المخلد في حفرة لا يصعد منها الى الابد » (ص ٨٣)

٧٧) « قال موسى (لا تشته امرأة قريبك) ومن يرتكب الفحشاء مع امرأة قريبه يستحق الموت . التلمود يعلم ان الله يحرم على اليهودي ارتكاب الفحشاء الا مع امرأة قريبه اليهودي فقط . اما نساء الاجانب فمباحة له » . (ص ٨٧) .

ان للربانيين راشي ولاوي وجرسن وغيرهم ، رأياً واحداً في هذا : ان اليهودي لا يؤمن بأنه يرتكب الفحشاء عندما يفض بكارة فتاة مسيحية ويصرح ابن ميمون في مؤلفاته ان لليهودي حقاً في ان يتمتّع بامرأة غير مؤمنة اي اجنبية » (ص ٨٧ و ٨٨) .

٧٨) في كتاب شرح لرباني عاش في فرنسا في القرن ١٣ هذا الكلام : «ان الرباني « تام » يعلم بان تجارة البغاء بالاجنبي او الاجنبية ليست اثماً ، لان الشريعة هي براءٌ منها ، كما قيل زرعهم من زرع البغال ، ولهذا السبب يسمح في بعض ظروف لليهودية ان تتزوج نصرانياً حتى تسلبه دينه بمساكنتها له مساكنة غير شرعية ومع أن الشريعة تأمر أمراً محتماً بزواج المومسات ، الا انها تسمح بهذا العار في هذا الظرف لان مساكنة المسيحي هي مساكنة حيوانية ، وهكذا تعد علاقتها الزوجية به » (ص ٨٨) .

٧٩) « يقول التلمود : من يحلم انه ارتكب الفحشاء مع امه يمكنه ان يصير حكيماً لانه جاء في سفر الامثال « دعوت الحكمة امّا » . ومن يحلم انه ارتكب الفحشاء مع خطيبته ، له امل كبير في الحصول على صداقة

الشريعة . ومن يحلم انه ارتكب الفحشاء مع شقيقته له امل كبير باثارةنفسه. ومن يحلم انــه ارتكب الفحشاء مع امرأة قريبه يحصل على السعادة الخالدة » (ص ٨٨) .

٨٠) « يقول التلمود ان البنت التي لها من العمر ٣ سنوات ويوم واحـــد تكون خطبتها بالمضاجعة ، ولكن إذا كان عمرها اقــل من ٣ سنوات يلتزم خطيبها بازالة بكارتها» (ص ٨٩) ويشرح التلمود في محل آخر ان جمهوراً من الحكماء الاولين كالرباني راب ونشمال وغيرهما كانوا ينادون جهاراً في كل مدينة ينزلون فيها ولا يجدون لهم امرأة : مَنْ من النساء تريد أن تكون امرأة لهم بضعة ايام (ض٨٩) .

* * *

قلنا ان النصوص الواردة في التلمود ، تتعلق بالفحشاء على هذه الوجوه ووجوه غيرها ، وهي اكثر من أن تحصى ، ونجمل القلم يتعفف عن ذكــر مزيد اكثر من نماذج هذه الاخلاق، وان كانت صفحات كتاب «همجيةالتعاليم الصهيونية» قد احسنت كثيراً باستيفاء ما استوفتــه من النصوص التلمودية ، حتى يتأمل في هذا كل قارىء يود الوقوف على نماذج من محتويات التلمود بمثل هذه التعاليم التيلم يكشف عنها الغطاء للعالم العربي قبلعدة عقود . والنصوص التلمودية التي اثبتتفي كتاب «همجية التعاليم الصهيونية»شغلت منه ٩ صفحات، والكتاب كله مع المقدمة وفهارس المراجع الأجنبية باللغات الاجنبية (١١٦) صفحة ، لا اكثر .

* * *

وهذا ما نضيف الى ما تقدم من هذه النماذج :

وهذه واقعــة نموذجية من الخلق اليهودي في كل عصر ومصر ، وشرق وغرب ، وقديم وحديث ، ذكرها ابو حيّان التوحيدي (من أعــلام رجال الادب والفقــه والفلسفة في القرن الرابع الهجري ٩٢٢ - ١٠٢٣ ميلادي في

بغداد وكتبه اليوم نفائس ، وهو طراز معلم في اخبار الخلفاء والوزراء وأهل العلم وسائر الناس وله نظرات واعية في مجتمع عصره) في كتابه « الامتاع والمؤآنسه » ج ٢ ص ١٥٧ طبعة مصر ١٩٣٩ ، قال :

« حدثني ابو الحسن علي بن هارون الزنجاني القاضي صاحب المذهب قال: اصطحب رجلان في بعض الطرق مسافرين : مجوسيّ من أهل الريّ ، والآخر يهودي من ارض جيّ – تسمى الآن شهرستان في ناحية اصبهان – وكان المجوسي راكباً بغلة له عليها سفرة من الزاد والنفقة وغير ذلك ، وهو يسير مرفّهاً وادعاً ، واليهودي يمشي بلا زاد ولا نفقة . فبينما هما يتحدثان ، اذ قال المجوسي لليهودي : ما مذهبك وعقيدتك يا فلان ؟ قال اليهودي :

« اعتقد ان في هذه السماء آلهاً هو إله بني اسرائيل . وانا اعبده واقدسه واضرع اليه ، واطلب فضل ما عنده من الرزق الواسع ، والعمر الطويل ، مع صحة البدن والسلامة من كل آفة ، والنصرة على عدوي ، واسأله الخير لنفسي ولمن يوافقني في ديني ومذهبي ، فلا اعبأ بمن يخالفني ، بل اعتقد أن من يخالفني دمه لي يحل ، وحرام علي نصرته ونصيحته ، والرحمة به .

« ثم قال المجوسي : قد اخبرتك بمذهبي وعقيدتي وما اشتمل عليه ضميري ، فخبّرني انت ايضاً عن شأنك وعقيدتك وما تدين به ربك ؟ فقال المجوسي :

« اما عقيدتي ورأيي ، فهو اني اريد الخير لنفسي وابناء جنسي ، ولا اريد لاحد من عباد الله سوءاً ، ولا اتمنّى له ضرّاً ، لا لموافقي ولا لمخالفي . فقال اليهودي : وان ظلمك وتعدى عليك ؟ قال : نعم ، لأني أعلم ان في هذه السماء الهاً خبيراً عالماً حكيماً لا تخفى عليه خافية من شيء ، وهو يجزي المحسن باحسانه ، والمسيء باساءته . فقال اليهودي : يا فلان ، لست اراك تنصر مذهبك وتحقق رأيك . قال المجوسي : كيف ذاك ؟ قال : لأني من أبناء جنسك ، وبشر مثلك ، وتراني امشي جائعاً نصباً مجهوداً ، وانت راكبٌ وادع مرفّه شبعان . فقال صدقت ، وماذا تبغي ؟ قال : اطعمني

من زادك ، واحملني ساعة ، فقد كللت وضعفت. قال : نعم وكرامة . فنزل ومدّ من سفرته واطعمه واشبعه ، ثم اركبه ، ومشى ساعة يحدثه .فلما ملك اليهودي البغلة وعلم ان المجوسي قد اعيا ، حرّك البغلة وسبقه، وجعل المجوسي يمشي ولا يلحقه ، فناداه : يا فلان، قف لي وانزل ، فقد انحسرت وانبهرت. فقال اليهودي : الم اخبرك عن مذهبي وخبرتني عن مذهبك، ونصرته وحققتَه؟ فأنا اريد ايضاً ان احقق مذهبي وانصر رأيي واعتقادي . وجعل يحرك البغلة، والمجوسي يقفوه على ظلع وينادي : قف يا هذا واحملني ، ولا تتركني في هذا الموضع فيأكلني السبع وأموت ضياعـــاً ، وارحمني كما رحمتك . واليهودي لا يلوي على ندائه واستغاثته ، حتى غاب عن بصره . فلمـا يئس المجوسي منه واشفى على الهلكة ، ذكر اعتقاده وما وصف به ربه ، فرفع طرفه الى السماء وقال : الهي قد علمتَ اني اعتقدت مذهباً ونصرته ، ووصفتك بما انت اهله، وقد سمعتَ وعلمتَ فحقق عند هذا الباغي عليّ ما مجدتك به،ليعلم حقيقة ما قلت . فما مشى المجوسي الا قليلاً حتى رأى اليهودي وقـد رمت به البغلة ، واندقت عنقه وهي واقفة ناحية منه تنتظر صاحبها. فلما ادرك المجوسي بغلته ركبهـــا ، ومضى لسبيله ، وترك اليهودي معالجاً لكرب الموت . فنـاداه اليهودي : يا فلان ، ارحمني واحملني ولا تـتركني في هذه البرية اهلك جوعاً وعطشاً، وانصرمذهبك ، وحقق اعتقادك... قال المجوسي : قد فعلت ذلك مرتين ، ولكنك لم تفهم ما قلتُ لك، ولم تعقل ما وصفتُ . فقال اليهودي: وكيف ذلك ؟ قال : لاني وصفت لـك مذهبي فلم تصدقني في قولي ، حتى حققته بفعلي ، وذاك اني قلت : « ان في هذا السماء الهاً خبيراً عادلاً لا يخفى عليه شيء ، وهـــو وليّ جزاء المحسن باحسانه ، والمسيء باساءته . قال اليهودي . قـــد فهمتُ ما قلتَ ، وعلمتُ ما وصفتَ . قال المجوسي : فما الذي منعك من أن تتعظ بما سمعت ؟ قال اليهودي : اعتقادٌ نشأت عليه ، ومذهبٌ تربيت به، وصار مألوفاً معتاداً كالجبلة بطول الدأب فيه ، واستعمال ابنيته ، اقتداء بالآباء والاجداد والمعلمين من اهل ديني ومن اهـــل مذهبي ، وقد صار ذلك كالأس الثابت ، والأصـل النابت ، ويصعب ما هذا وصفه

ان يترك ويرفض ويزال .

« فرحمه المجوسي وحمله معه حتى وافى المدينة ، وسلمه الى اوليائه محطماً موجعاً ، وحدّث النـــاس بحديثه وقصته ، فكانوا يتعجبون من شأنها زماناً طويلاً .

«وقال بعض الناس للمجوسي بعد : كيف رحمته بعد خيانته لك وبعـد احسانك اليه ؟ قال المجوسي : اعتـذر بحاله التي نشأ فيهـــا ، ودأب عمره في اعتقادها ، وسعى لها واعتادها ، وعلمتُ ان هذا شديد الزوال عنـــه ، وصدقته ورحمته ، وهذا مني شكر على صنع الله بي حين دعوته عندما دهاني منه ، وبالرحمة الاولى اعانني ربي، وبالرحمة الثانية شكرته على ما صنع بي».

انتهت الواقعة.

* * *

ونقول :

١ – ان امثال هذه النماذج لما يملأ مجلدات ، حقاً .

٢ – غير اننا نرى اليهودي لما تركه المجوسي بعد الخيانة، وصف للمجوسي السبب الذي لا يساعده على ان يكون انساناً ، وذلـــك ما نشأ عليه نشأة خالطت دمه اباً عن جد ، جيلاً بعد جيل ، وكان اليهودي بهذا الكشف عن حقيقة نفسه في المأزق الحرج ، انما يكشف عن شيء وان كان عاراً بنفسه ، غير انه هو الحقيقة التي لا ريب فيها ، واعتقد اليهودي ان الكشف عن هـذه الحقيقة لا بد ان تقنع المجوسي وقد كان ذلك .

٣ – اما المهم في وجهة نظرنا اليوم فهو هذا : ان ما وصف به اليهودي نفسه ، هذا الوصف المعرّي للانسان من انسانيتـــه ، هو من روح التلمود ، والقبالا، وهذا ما يدأب الحاخامون يلقنونه في المدارس اليهودية ، والكنيس، ويحاذرون ان يكشفوه لغير اليهود .

٤ – وهذا قبل اليوم بألف سنة! وهذا الخلق لا يفنى بالموت، بل ينتقل بالوراثة كما قال مؤرخهم المشهور يوسيفوس قبـل الفي سنة . كل هذا تجلـّت روحه في البروتوكولات .

(٦) القبّالا او القبّالة

روح التلمود أو عصيره

هذا بحث غريب في جدته العربية ، وعويص في استلال خيوطه من العنكبوتيات التلمودية ، ظاهره انه يروح ويجيء في نطاق الخرافات ويغرّب ويشرّق في افق الاوهام ، واليهود حتى يفرغوا عليه مسحة من التغطية والتضليل قالوا انه « التصوف اليهودي » المغرق في الروحانيات ، وجاراهم في هذا كثير من كتبة الفرنج ، والعرب عن هذا غافلون ؛ وباطنه الذي لا ريب فيـــه انه هو يجسّد روح التلمود وعصيره ، وسترى الآن مصداق هذا وتحليله وتعليـــله . والعرب قد خلت كتبهم وتواريخهم ، وصحفهم ومجلاتهم ، ومجالات ابحاثهم ، في القديم والحديث من الزمن ، من ذكر القبالا التي هي هذا التجسيد لغايات التلمود في «بروتوكولات حكماء صهيون» وقد ذكرتها البروتوكولات صريحـــاً واشارت اليها في آخر البروتوكول السابع عشر[١] .

ففي هذا البروتوكول «السابع عشر» تناول الحكماء مسألة التجسس ونظامه في الدولة الداودية (الموهومة) المقبلة ، بعد استئصـــال المسيحية والاسلام ، وتعقيم العقول الكبيرة عند الامم والشعوب غير اليهود ، وقد زالت دولهـــا وحكوماتها ومختلف منظماتها في المجتمع . ومما قرره الحكماء في تعيين العقاب

---

(١) نقاط هذا البروتوكول تشمل : المحاماة ونظامها في الدولة الداودية ـ القضـــاء على نفوذ رجال الدين عند الغوييم (غير اليهود) ـ البلاط البابوي ـ ملك اليهود محل الاب البابوي ـ كيف تكافح الكنيسة ـ واجبات الصحف في الدولة الداودية ـ منظمة البوليس ـ التجسس على منوال التجسس المعمول به في منظمات القبالا ،

والجزاء لمن لا يبلّغ الحكومة ما يطلع عليه من امور ضارة بالدولة اليهودية، ان يكون ذلك الجزاء على غرار ما هو جارٍ اليوم عند «القبـــالا»[٢]. ومن المفيد ان ننقل الفقرة المعنية في البروتوكول ١٧ وهي : —

« وكما تجري الامور من هذه الناحية الاخبارية في بيئتنا اليوم (اي بيئة القبالا) كذلك تجري في المستقبل وتبقى على صفتها هـذه . فاخواننا اليوم (اي اليهود) مكلفون ، تحت طائلة اخذهم بالمسؤولية والحساب العسير في حالة الاهمال والتقصير ، بأن يبلّغوا هيئة « القبالا » عما يقع لهم ان يطلعوا عليه من حوادث الارتداد عن الدين اليهودي من اقربائهم ، أو ما يرونـه من شغب على هيئة القبالا أو قذفها بتهمة ، كذلك سيكون الامر في مملكتناعلناً في ارجاء العالم كله ، ويمسي من الواجب على رعايانا ، بلا استثناء ، ملاحظة هذه الخدمة للدولة » . انتهى . اي ان ما يجب على اليهودي في هـذا الأمر من التطوع بالتجسس ، يجب ايضاً على كل مسيحي ومسلم عندما تقوم الدولة الداودية (الموهومة) .

* * *

القبالا تابعة من التلمود ، ولذلك جاء دورهـا الفعّال في العصور التالية لعصر ظهور التلمود ، لا في عصر ظهور التلمود ، وكل هذا تعود بذوره الأولى الى عزرا وحزقيال ونحميا ودانيال واستير ومردخاي ، في القرن الخامس قبل المسيح ، ايام السبي الثاني النبوخذناصري ، يوم خشي اليهود المسبيون من اورشليم ، وقد خربت اورشليم ، وخرب الهيكل ، ونقلت كنوزه الى بابل، ان يحلّ بهم في هذا السبي الجارف وهم سبطان ونصف السبط ، ما قد حلّ قبل قرن ، وبعض القرن ، باخوانهم يهود السامرة الذين سباهم سرجون الثاني الاشوري الى العراق ، وهم تسعة اسباط ونصف السبط ، فاضمحلوا وبادوا ، وخفيت حتى عن بقية اليهود في فلسطين اخبـــارهم ، وانقلبت قصتهم في النهاية الى اسطورة ، تتعلق بكيفية اضمحلال اهل السبي الأول . هذا مـا

(٢) هو القتل او «الاعدام» وهذا مصرح به في مواطن عديدة في البروتوكولات .

اقام اهل السبي الثاني واقعدهم ، فراحوا بمختلف قواهم الشريرة يختلقون اسباب البقاء ، مما اوجزنا اخباره في تراجم اولئك الزعماء اليهود الكبار المسمين بالانبياء (١) . فصنع عزرا ونحميا في بيت المقدس ما صنعا ، وقدسبق ايجازه في فصول تراجم الانبياء ، وكان بعد ذلك نشوء الفرق اليهودية بعد فتح الاسكندر ، وظهور فرقة الفريسيين التي منها ومن غيرها كان يؤلف المجمع الاكبر المسمى « بالسنهدرين » ، والسنهدرين ظل ينتقل من مكان الى مكان ، فبعد خراب القدس سنة ٧٠ ب م. انتقل الى بلدة يبنا « قرب يافا» ومن يبنا الى طبرية ، وفي طبرية بدأ الحكماء يضعون اساس التلمود ، زاعمين انه هو شريعة موسى الشفوية ، والشريعة الشفوية هي في القوة كالشريعة المكتوبة ، وذكرنا قصة نشوء التلمود ، فلما ظهرت القبالا ، اعطتنا موجة جديدة رهيبة من موجات الروح اليهودية الخفية ، وبقيت القبالا الى اليوم ، قائمة ، مستترة ، محجوبة ، هي المنظمات التي يعيش في بيئاتها حكماء صهيون فلما بحثنا قصة التلمود وما اليه ، فقد جئنا الان نبحث قدر ما نستطيع قصة القبالا .

ومن دهاليز القبالا خرجت الأفاعي الجديدة في الثورة الفرنسية ، ومنذ الثورة الفرنسية ، وفي اواخر القرن الماضي ، انتظم القباليون التلموديون في مؤتمر ١٨٩٧ تحت رياسة هرتزل ، وفي هذا المؤتمر اتخذت المقررات المسماة « بالبروتوكولات » .

* * *

ونرى انه من التيسير على القارىء العربي ، ان نفرغ الكلام في فقرات ، كل فقرة تشتمل على معنى مفرد ، او ناحية ، ليسهل تحصيل الصورة العامة في الذهن ، ثم لا يكون من الصعب بعد ذلك ان يعلم القارىء من مجموع ما

---

(١) يلاحظ القارىء العربي اننا كثيراً ما كررنا الاشارة الى هذه الناحية في هذه الاجزاء ، لانها في نظرنا نقطة اعتبار خطيرة في متابعة هذه الروح اليهودية الى ينابيعها ومصادرها الاولى.

يطلع عليه في هـذه الكتب ، مـــا هي اليهودية العالمية اليوم وراء المظاهر المضللة .

* * *

١) منشئو القبالا يردون اصلهم « المعنوي » الروحي ، الى كلمـات في سفر دانيال ، ودانيال كما نعلم ، كان من رجال السبي (القرن ٥ و ٤ ق.م.) اشتهر بتفسير الهواجس النفسية ، والاحـــلام والرؤى وقراءة المستقبـــل السياسي ، مطلاًّ من وراء كبريات الحوادث الواقعة في دول الشرق الاوسط وقتئذٍ ، من الفرس او دولة مادي وفارس ، والكلدان ، او الدولة البابلية الثانية ، والاغريق ، والفراعنة .

وسفر دانيـــال لذيذة مطالعته لمـــا فيه من ذكر التنبوءآت الفلكية ، والكلدان زها عندهم علم التنجيم ومراقبة الحركات الفلكية زهواً رفيعـــاً ، واشتقوا من هـــذا علوماً ؛ فالسحر كله او معظمه من هنا ، وعمّ السحر العـــالم القديم ، حتى استقر في الاذهان كأنه قوة ضرورية في الأرض . ولم يكن دانيال بعد أن أُخذ في السبي ، الا بارعاً في هذه العلوم كلها . ومـــا جرى عليه اليهود من امر العمل لحفظ كيانهم بالتوراتين : المكتوبة والشفوية، وكلتاهما من موسى كما يقولون .

٢) دانيال كان في مسوح عالم ، منجم فلكي ، سياسي ، طموح ، يعمل في سبيل العودة الى اورشليم هو وقومه . سفره مؤلف من ١٢ فصلاً في نحو من ٢٥ صفحة لا اكثر . وفي الفصلين الاخيرين تكلم عن ملك الشمال وملك الجنوب ، وعن المركبات والسفن والفرسان ، والحرب وذهاب دولة ، وقيام اخرى ، وهو يريد من خلال هذا كله ان يرمز الى عودة اليهود ، لكن من خلال ماذا ؟ من خلال الحروب الكبرى بين تلك الدول . وهذا ما رآه العالم المعاصر من امر اليهود في الحربين العالميتين في خلال الثلثين الاولين من هـذا القرن ، بعد دانيال بخمسة وعشرين قرناً ، فتأمل .

دانيال يرمز ايضاً الى نوع من الرجال اليهود، هم الذين سيقومون بالعبء، ووصف هؤلاء وصفاً مبهجاً . وبعد ان قال دانيال عبارته التي حشاها ما شاء من رموز ، نطق مباشرة : « اما انت يا دانيال فأخفِ الكلام واختم السفر الى وقت النهاية ، كثيرون يتصفحونه والمعرفة تزداد » . ولما ودّع دانيال « الرجل اللابس الكتان » كانت آخر كلماته: « اذهب يا دانيال لان الكلمات مخفية ومختومة الى وقت النهاية » . (راجع الفصلين الاخيرين من سفر دانيال) .

٣) اما كلمات دانيال التي اتخذها القباليون دستورهم وقالوا : انما نحن المعنيون بهذا ، لا غيرنا ، فهي هذه : « والفاهمون يضيئون كضياء الجَلَد ، والذين ردوا كثيرين الى البر كالكواكب الى ابد الدهور » (فصل ١٢ : ٣ الترجمة الاميركية) اما في الترجمة اليسوعية فالكلام هو هذا : « ويضيء العقلاء كضياء الجلد والذين جعلوا كثيرين ابراراً كالكواكب الى الدهر والابد».

عندنا الآن لفظتا « الفاهمون » في الترجمة البروتستنتية ، و « العقلاء » في الترجمة اليسوعية . وليست لدينا نسخة من ترجمة احمد فارس الشدياق لنعلم بماذا كانت ترجمته هو . اما هذه الكلمة « بالانكليزية فهي Wise وبالعبرية « مسكليم » . ونعتقد انه كان اصح لو ترجمت هذه اللفظة « بحكماء » . فاذا كانت ملاحظتنا هذه في محلها ، فتصبح عبارة الترجمة هكذا : « والحكماء يضيئون » ، او « ويضيء الحكماء » .

* * *

٤) وقال القباليون انما نحن « الحكماء » الذين اشار اليهم دانيال . وتطّرد قافلة « الحكماء » بعد ذلك ، تلموديين وقباليين ، حتى نصل الى الحكماء المحدثين ، آخر حلقة : « حكماء صهيون » في هذا العصر .

٥) معنى « القبالة » في العربية ، نقلاً لمعناها عند اليهود ، القبول او التلقي للرواية الشفوية . قال لويس غنزبرغ L. Ginsberg استاذ التلمود في

المدرسة اللاهوتية في نيويورك (سنة ١٩٠٢) : القبالة مصطلح يراد به التعليم الباطني المتعلق بالله والكائنات ، ونزل هذا وحياً على اكرم القديسين في الزمن القديم الاقدم ، واحتفظ به عدد قليل من الاخيار » . وقال غنزبرغ ايضاً : « كانت القبالة في مراحلها الاولى تدعى « الحكمة المستورة »
The Hidden Wisdom

واطلق على دارسيها « طلاب النعمة » وقال صاحب كتاب « تاريخ اليهود من اقدم الازمنة الى العصر الحديث » ، هـ . هـ . فلمان : « القبالة سر فوق الاسرار . ادعت القدم ، والوحي والرواية عن الاوائل . والقبالة كانت قائمة على علم التنجيم السحري ، تعاطاه كثيرون فسمّوا « الحكماء » ، وجعلوا هذا الاسم يتضمن المعنى الباطني لتفسير « الناموس والانبياء » . درسوا التلمود ثم اجتازوه الى تعاليم هي اعلى وابعد . كان كتابهم « الاشراق »[١] (الزوهر) دستورهم المقدس . والقبالة السرية تبدو على طول المدى انها كشفت عن اسرارها للعالم الخارجي[٢] . وقال فلمان في موضع آخر وهو يشرح معنى القبالة : « يعنى بكلمة قبالة عادة تلك الطريقة الفلسفية الشرقية الغريبة التي ادخلت في وقت غير معلوم التاريخ ، على المذاهب اليهودية ، وبعبارة اوضح ، تحتوي القبالة على جميع آراء الربانيين في الشؤون الدينية والمدنية . واما معناها الخاص بوجه الحصر فهي تعني تلك المعرفة التي رَشَحَتْ تقاليدها من الاسرار الخفية الموجودة في حروف الشريعة وكلماتها، وعدد المرات التي وردت فيها ، ومواضع ذلك . وحتى موسى بن ميمون كان يستعمل كلمة القبالا كمترادف للتفسير الشفوي (المنقول بالرواية عن موسى) . والقبالة تعلّم جميع المعاني الرمزية « لتجسيم الله » تعليماً مفصلاً (ص ٤٢٤) .

٦) وقال البروفسور فرانك صاحب كتاب « القبالة والفلسفة الدينية

(١) سيأتي بعد قليل الكلام على هذا الكتاب الذي هو مستودع اسرار القبالا .
(٢) ص (٤٣٧) من كتاب تاريخ اليهود ـ المصدر السابق .

عند العبرانيين [١] » ما نورده بايجاز :

★ ربما عادت القبالة بأوليتها الى ايام السبي ، واذا لم ينطبق هذا على كلها فانه ينطبق على بعضها .

★ اما القبالة في شكلها الذي انتهى الينا ، وبمعناها الحاصل اليوم ، فهي تعود الى القرن الاول (الميلادي) .

★ القباليون يدعون ان كتاب « التكوين » عندهم مستمد من موسى وموسى استمده من ابراهيم ، اذا لم يكن من آدم ، او ممن هو اعلى من آدم واقدم . واما كتاب « الاشراق » — « الزوهر » — عندهم ومعناه الضياء اوالنور فيرجع الى عصر احدث .

★ اصل منشأ القبالة يعود الىذلك الزمن الذي كان فيه العقل اليهودي في خلال السبي ، منغمساً في الآراء الشرقية ودين الفرس وزردشت .

★ من اوليات مباديء القبالة وتعاليمها وعقائدها ، ولا سيما ما اخذوه من اساطير التلمود ، ما يتفق تماماً مع « زندافستا » [٢] اتفاقاً مقنعاً.

(١) طبع في باريز سنة ١٨٤٣ .

(٢) زند (Zend) اصل معناها التفسير او الشرح ، وهي لغة الفرس القديمة ، وينابيعها الجذرية تلتقي كثيراً واللغة السنسكريتية ، وفي لغة الزند كتبت تعاليم زردشت الذي صار يعرف اتباعه « بعبدة النار » وبقاياهم الى اليوم طائفة في الهند ولا سيا بومبي . وفي العربية فارس مقابل Parsi او Parsees

اما زردشت فكان في زمن (٦٠٠ ؟ — ٥٣٨ ؟) وعلى قول علماء آخرين (٧٥٠ ؟ — ٥٠٠ ق٠م ، تقريباً) وهو بأول امره مصلح ديني لما كان عليه الفرس من عبادة الطبيعة . وعنده ان « اهورا مزدا » Ahura Mazda او هرمز ، هو رئيس آلهة الخير ، كما ان اهريمان Ahrima هو رئيس آلهة الشر ، او هو الشيطان . والتنازع المستمر بين هذين الاثنين هو مصدر قوى الكائنات ، وفي النهاية ينتصر هرمز . وازدهر هذا الدين في عهد الدولة الاخمينية (٦٠٠ — ٥٥٠ ق.م. تقريباً) ثم تضعضع واضطرب بفتح الاسكندر لفارس ثم انتعش في الدولة الساسانية (٢٢٦ — ٦٥١ ب٠م. التي ذهبت بالفتح الاسلامي) وتقول بقية الفرس من عبدة النار الذين في الهند انهم هم لا يعبدون النار ، وانما يقدسونها تقديساً ، والغموض يكتنف عقائد عبدة النار حتى اليوم .

★ اسست القبالا اول موطن لها في فلسطين بعد العودة من السبي . ومن فلسطين انتقلت الى الاسكندرية حيث ترى آثار هـــذا في الترجمة السبعينية للتوراة ، وفي كتب فيلو[١] .

★ تعاليم القبالة لمّا مر بها فيلو عجنها ومزج بعضهـــا ببعض ، مستعيناً بالفلسفة اليونانية ، مما تحوّل بالتالي وتطور الى مذهب صوفي باطني . ومع هذا فلا يصح ان يقال ان الاسكندرية هي مصدر القبالة .

★ القبالة نتاج يهودي من حيث العنصر الاساسي فيهـا ، وما عدا فيلو فالقباليون يجهلون اليونانية وفلسفتها .

★ رغم ما أخذت القبالة من الزردشتية من جموح وخيال وتطوح ، ممـا اعطاها صفة ميثولوجية ، فقد بقيت في جوهرها موسوية يهودية .

★ القبالة ترفض المثنوية او الشرك ، مما وصلت اليه عقائد فارس .

★ من غرائب القبالة :

اللانهاية تمثلها الكثرة في الزمان والمكان . كان الواحـــد من القدماء

---

(١) Philo او Philon فيلو على الغالب وفيلون على الاقـــل ، فيلسوف يهودي عاش في الاسكندرية، تقريباً من سنة ٢٠ ق.م – ٥٠ ب.م. ولعله اول يهودي قيل له فيلسوف . اتخذ الشريعة الموسوية اساساً لآرائه مستعيناً بمصطلحات الفلسفة اليونانية للتعبير عن افكاره وللتوفيق بين الفلسفة والتوراة ، وكان عنده للرموز شأن كبير ، وربما كان من هذه الناحية متأثراًبدانيال، وعنده ان الله خلق العالم لا خلقاً توآً بل رَشَّح الى العالم رَشْحاً من قدرته وصفاته . وبتعاليم فيلو تأثرت الكنيسة الاولى ، وبعض فلاسفة العـرب بعد قرون لما درسوا الفلسفة اليونانية . وكان فيلو يرى ان اليهود في زمنه يصعب عليهم بسبب ضخامة عددهم ان يجتمعوا ويعيشوا معاًفي بلد واحد . فمواطنهم المختلفة التي كانوا وقتئذ يقيمون فيها ينبغي ان تكون مواطنهم المعاشية، واما القدس حيث الهيكل المقدس فهي عاصمتهم الروحية ، ولا ينبغي ان تكون العاصمة الزمنية المادية . وفي ذلك الوقت كانت المطامـح اليهودية ترمي الى ترسيخ اقدامهم في شمال افريقياوقبرص وشرقي البحر المتوسط ، لكي يحلوا محل قرطاجنة ويخلفوا الرومان في الشرق . ونسترعي انتباه القارىء العربي الى هذا .اما هرتزل فكان مخططه على النقيض من رأي فيلو ، ومثل هرتزل جميع حكماء صهيون واضعي البروتوكولات .

الاولين طول وجهه اكبر من عشرة آلاف عـالم بثلاث مئة وسبعين مرة ، ولون وجهه يضيء اربع مئـة الف عالم . وكل يوم ينبثق من عقله اربع مئـة الف عالم ، وهـــذا هو ميراث الفائزين في الآخرة (ص ٢٧١ المصدر السابق)

★ للانسان عند القبالة منزلة عالية، فهو صورةالله وهو ادنى من الملائكة. والشياطين والعفاريت ما هي الا اسمـاء اخرى لشهواته واستكباره وقسوته ، وهنا تختلف القبالة عن الزردشتية .

★ الزردشتية هي ميثولوجيا ، والقبالة فلسفة .

★ في القبالة شرر من علم الطبيعة ، وفيهـــا كما في التلمود ، ان الارض كروية ، وتدور على محور ، ولها قطب .

★ ثم انحطت القبالة كما انحطت الافلاطونية الجديدة ، حتى أمست اخيراً، سحراً وشعوذةً وطلاسم وتدجيلاً من كل ضرب . فأوّلوا التوراة ، ووضعوا للاعداد ٧ - ١٠ - ١٢ - ٣٢ - معاني رمزية خاصة .

★ تعزى القبالة في كثير من اوضاعها الى الربي عقيبة وسمعان بن يوشاي، وهما قد صنعا الأعاجيب من كلمات التوراة واستخراج الرموز منها.

★ لكن حملة التلمود ، لما رأوا القبـــاليين ، يصولون ويجولون ، حتى فاقوهم في التطوح ، اخذوا ينظرون اليهم بعين الحسد ، وقالوا ان القباليين يتلاعبون بالاشياء المنهي عنها ، ويودون معرفـــة المغلقات والمغيبات ، ويمارسون فنوناً محرمة (قلنا : التلمود، على نحو ما رأينا، ايعرف المحرمات!!) واستغرقت القبالة في السحر والشعوذة والتنجيم. راجع ما قلنا في دانيال .

★ تأثرت اوربا بالقبالة في القرون الوسطى ، فالى جانب القبالة اليهودية صار هناك قبالة مختلطة بظواهر العلوم .

★ وفي الاندلس اختلطت بالفلسفة العربية . (ص ٤٤٣ و ٤٤٤ المصدر السابق).

* * *

قلنا ، ومعنى «القبالا» في المعاجم الاوروبية، لا شيء من المعاني الصوفية، الا كأحد المعاني الجمة الاخرى . اما البارز من معانيها المعجمية فهو الطغمة التي تتشح بالظلام وتعمل بالمؤامرات الخفية ، وحبـك الدسائس ، حتى اذا قلت : هذا «قبالي» ، فكأنك قلت هوذا الرجل الغـامض لا يؤمن له ويجب أن يتقى شره . وكيف لا يكون هذا والقباليون جعلوا لكل حرف وكلمة من التوراة معنى باطنياً رمزياً . فانظر وتأمل. وظلوا في سيرهم حتى انتظموا في الزمن الحديث هم ورفقتهم في الحظيرة الكبرى للقباليين : «حكماء صهيون» وهذه البروتوكولات من ثمارهم .

٧ ـ النحمانية والميمونية في القبالا

(موسى بن نحمان وموسى بن ميمون)

جاء في كتاب « دراسات في اليهودية » [١] .

« وهذه سجايا المعلمين الكبيرين في اليهودية : ابن ميمون ونحمان . فان كليهما انبثقا من جبين آدم ، واخذ القباليون ينسجون حول هـذه الفكرة الهالات المتلألئة : ابن ميمون كان جوهره في خصلة الشعر للجهة اليسرى من آدم ، وهـذه يوم القيامة الحساب والعذاب ، ونحمان كان جوهره في خصلة الشعر للجهة اليمنى ، وهذه تمثل اللطف والرحمة (ص ٩٩) .

وقال المؤلف : « وقد اخترت هذه الفاتحة ، ومن هنا ابتدىء ، حتى لا اخطىء الهدف : نحمان كان تلموديا عظيماً، وعالماً محيطاً بالتوراة ،وفيلسوفاً مجادلاً ، وربما كان أيضاً طبيباً، وبكلمة موجزة : انه كان رأساً في كل شيء.

« ولد في جيرونة (اسبانيا) حوالي ١١٩٥ ميلادية . وجيرونة بليدة في اقليم قشتالة ، ومع انهـا في اسبانيا ، فانها لم تشتهر بفلاسفتها وشعرائها كما اشتهرت غرناطة وبرشلونة وطليطلة . ولوقوعها في الشمال من اسبانيا ، فقـد كانت تتأثر بميول وعواطف من النفوذ الفرنسي اليهودي . اما افتخارها فهو بما انجبته من علماء التلمود مثل زراحيا اللاّوي ، وعزرا بن بكـّار . واطلع نحمان على كتاب « حكمة سليمان » في السريانيه،وهذا الكتاب موضوع منتحل

---

(١) Studies in Jadaism لمؤلفه س . شختر « جمعيـة النشر اليهودية » في بنسلفانيا . الطبعة الاولى سنة ١٨٩٦ والثانية ١٩١٥ وقال المؤلف ان هـذه الابحاث سبق نشرها في مجلتي « جويش كرونكل » (التاريخ اليهودي) « وجويش كوارتلي » المجلة الدورية الربع سنوية .

(ابو كريفا) وقد جاء فيه :

« فصلّيت وأعطيتُ الحكمـة . وسألت الله فنزّل علي روح الحكمة ، اذ اعطاني معرفة لا تخطىء اخذتُ منها كيف خلق الله العالم ، ووقفت على حركة الافلاك ، وسير الزمن في ازليته وابديته وما بينهما ، ودوران الشمس وانتقالها في ابراجها ، واختلاف الفصول ، وطبائع المخلوقات الحية من انسان وحيوان ، وقوة الارواح والقوة العقلية في الانسان ، واختلاف انواع النبات، وفضائل الجذور في التربة ، وكل ما هو ظاهر وباطن من العلوم قـد اصبته » (ص ١٢٦) .

« والملك الحكيم الذي يستمد منه كل هذا ، هو برأى نحهان « التوراة » والتوراة هي هذه الحكمة بعينها ، والحكمة هـذه كائنة قبل الخليقة ، وبها خطّط الله العـالم والكائنات ، ولذلك تحوي التوراة علوم الدنيـا بأسرها . واذا قـال : « اطلعني الملك على المكنون عنده » فهو يعني بالملـــك التوراة والاسرار العظيمة » (ص ١٢٧) .

ثم قال المؤلف شختر : « وعلينا ان نكتفي بهـــذه القبسات القليـلة او الشرارات الضئيلة من النار المتقدة من هذه الاسرار ، لكي ندل بهـــذا على شخصية نحهان . ولا اود مرافقة هذا الصوفي الى المخادع العظيمة ، « مخادع الملك »، حتى لا نصل بالتالي الى دياميس كلها مصطلحات غامضة ومستعصية على الافهام ، فنرى امامنا « الابواب الخمسين » للمعرفة ، « والمائتين والواحد والثلاثين لرموز الحروف الهجائية » ، وهذا كله له مفاتيـح لا افقه منها شيئاً. وهذه امور اشك في انها تستحق بذل العناء في سبيلها ، ولا سيما عندما يرى الواحد منا عند القبالا مثل هذه الاسماء المتراكمة المقفلة الغامضة .

« الأرض ؟ الحياة؟ ارض الموعد ؟ رب العالم ؟ حجر الاساس ؟ صهيون؟ الأم ؟ – البنت ؟ – الاخت ؟ جماعة اسرائيل؟الوردتان التوأمان ؟ العروس؟ الازرق ؟ النهاية ؟ الشريعة الشفوية ؟ البحر ؟ الحكمة ؟ وهذا كله يدل على

موصوف واحد ، شيء واحد بعينه ، فلا بد للباحث ان يشك ويرتاب، وهو امام جرف من الكلمات المعمّاة ، ويعترف بانه عاجز عن فهمها » .

* * *

« عند الربيين ان من لا عقب له فهو في حكم الميت . وعند القبالا ان من يموت بلا عقب فيعد محروم الرزق في الدنيا ، وسيولد ثانية على الارض حتى يولد له ولده ، وهذه غاية الانسان » (ص ٢٨٣)

و«يقول الربيون انه لما جعل الرجال يعطون الذهب والحلي ليصنع منه العجل الذهبي ، امتنعت النساء عن العطاء ، فكوفئن على عملهن هذا بأن أعطين يوم راحة . ويقول بعض القباليين ، زيادة على ما تقدم ، أن الذين عبدوا العجل الذهبي لم يزالوا على الأرض ، وارواحهم تنتقل من جسد الى جسد ومع هذا الجزاء فقد جعلت النساء مسيطرات عليهم» (ص٣١٥) .

انتهى ما نقلناه من «شختر» .

* * *

موسى بن ميمون

موسى بن ميمون كما ذكرته مصادر يهودية جمة ، فيلسوف تلمودي فلكي طبيب . ولد في قرطبة ١١٣٥ ميلادية ومات في القاهرة ١٢٠٤ وهو في الكتب العربية للتراجم : ابو عمران موسى بن ميمون بن عبدالله «واما كتاب «تاريخ موسى الثاني» الموضوع في وصفه فأكثره أساطير . كان عمر موسى بن ميمون ١٣ سنة لما استولى « الموّحدون » على قرطبة ، والموحدون مفرطون في عصبيتهم الاسلامية ، فتعين على موسى وقومه اما الاسلام واما الجلاء ، فاختاروا الجلاء ، وبقي ١٣ سنة يعيش في حلّ وترحال في أسبانيا هائماً لا يستقر له قرار .

وفي سنة ١١٦٠ جاء فاس والقى عصاه فيها ، وفي وهمه انه يستطيع

الاجتياز والمرور اذا تظاهر بالاسلام تظاهراً ، فعرّضه هـذا الى مزيد من ملاقاة الاخطار ، لكن لما صار اسم الميمونية يشيع ، انتبهت له السلطات الرسمية وما عسى ان تكون حقيقته ، وما شأنه وشأن طريقته . واتّهم بانه ارتد عن الاسلام ولولا شفاعة صديق له مسلم ، شاعر متصوف ، لكان مصير موسى الهلكة ، وكذلك مصير يهوذا بن شاشان ، بضرب عنقيهما . وهذا ما دعاه للهجرة من فاس سنة ١١٦٥ بعد ان اقام فيها حوالي خمس سنين . فجاء عكاء وبيت المقدس ، ثم استقر في الفسطاط (القاهرة) .

هذا ما ورد في مجمل ترجمته في دائرة المعارف اليهودية. وبعد هذا الكلام وصف مطول لفلسفته مع نماذج من خطـه باللفظ العربي والحرف العبري في كتابه «دلالة الحائرين» . وأما صاحب كتاب « دراسات يهودية » فقد ذكر ان اهم اعتراضات المعترضين على موسى بن ميمون غلوه في التفسيرات العقلية عما يتعلق بالوحي ، وتأويلاته للتوراة ، حتى كاد يبلغ به الامر ان ينكر الوحي . واتهم بانكار البعث بالاجساد .

لكن واضع الترجمة لموسى بن ميمون في دائرة المعارف اليهودية ، تجاهل ناحية مهمة في حياة بن ميمون في مصر ، كما هو شأن كتّاب اليهود ان يفعلوا مثله ، وهو ان يتجاهلوا نعمة العرب عليهم ، فقد عطف السلطان صلاح الدين على بن ميمون وقرّبه واتخذه طبيبه الخاص. واما عمل موسى بن ميمون في العقائد القبالية فقد كان قبالياً فحلاً كبيراً ، وامتد بقباليته الى حدود جعلته يؤلف كتابه «دلالة الحائرين» فأما اللفظ فعربي واما الكتابة فبحروف عبرية، لكي يخفي عن المسلمين المقيم في كنفهم وحمى سلطانهم ما يريـد ان يبثه في كتابه من عقائد قبالية لو كشف عنها الغطاء ، لطاحت بعنقة .

هذا قبالي ينبغي ان يعد قبل اليوم بأكثر من ٨٠٠ سنة احد « الحكماء » الذين نتكلم عنهم في هذا الكتاب. وقد ورد ذكر موسى بن ميمون في مواضع اخرى من هذا الكتاب .

٨ ـ كتاب «الاشراق»
هو دستور «القبالا»
اسمه في العبرية «الزوهر»
وشبتاي لاوي المسيح الكذاب في القرن السابع عشر

في القرن الثالث عشر للميلاد ، ظهر في اسبانيا كتاب « الاشراق » وهو كتاب غريب النوع ، والمحتويات غرابة القبّالا نفسها وما لها من مذاهب . رأينا ان نورد صفوتها في هذا الكتاب :

« الاشراق » متخم بأخبار خلق العالم ، وطبيعة الله ، والمعاني الباطنية في التوراة ، والرموز الخفية في كل حرف وكلمة ، مما يظهر أسرار الوجود وعلل الكون . يعتقد ان واضعه الربي سمعان بن يوشاي في القرن الثاني للميلاد . وأما أعداء سمعان والمخالفون له فيقولون ان هذا الكتاب موضوع ومزوّر ، وكان تزويره في القرن ١٣ » .

ومضت عدة قرون بعد ظهوره فلم يكن له عند اليهود شأن يذكر ، لكن بعد طردهم من اسبانيا اواخر القرن الخامس عشر ، بدت أمور جديدة ، فقيل ان هذه النكبة بشير لليهود بقرب مجيء المسيح ، « مسيا » ، المخلص المنقذ ، وما بعد الظلام الدامس إلا الفجر . وقام واحد بعد آخر من الأدعياء الكذبة المدجلين ادعى كل منهم انه المسيح ، واستثاروا الشعور اليهودي نحو فلسطين ثم كانت حركاتهم تنتهي بالشعوذة والفشل . في هذه الأوقات علا كتاب « الاشراق » ، وأقبل عليه اليهود لغرائبه واستبداده بالشعور « الصوفي » ، فوجدوا فيه متنفساً لآمالهم ، وتعزيــة لهم عما كانوا فيه من

ويل وانحلال ونكبة . وغبَّر « الاشراق » في وجــه التلمود ، كما ان التلمود غبّر في وجه التوراة . ويقول بعض كتاب اليهود ان حركته الروحية كانت اقوى حركة ظهرت بعد خراب الهيكل . ونسترعي انتباه القارىء ان كلمة « صوفي » و « تصوف » ما يراد بها إلا التستر والتضليل ، ابتغاء التدجيل .

شبتاي بن لاوي

والحركة وقتئذ سارت مسيراً واسعاً في اوروبا ودهش لها العالم ، وهبَّ إعصارها على يهودي اسمه شبتاي لاوي من ازمير ، وبعد ذكر هـذا الرجل تصبح القصة قصته ، لا قصة كتاب «الاشراق» . او كأن كتاب «الاشراق» ظل يهيج من شعور اليهود حتى ظهر مسيح كذّاب بشخص شبتاي لاوي ، وهذا الحادث يظهر لنا أشياء سَحرية بالنظر الدقيق في امر اليهـــود الذين في تركيا اليوم ، وهم فيهـــا منذ خرجوا من اسبانيا مطرودين في آخر القرن السادس عشر ، ويسمون « بالدونمة » وهم مسلمون في الظاهر .

١ — ولد شبتاي لاوي في ازمير سنة ١٦٢٦ في بيئة تلمودية متزمتة . وكان ابوه مردخاي وكيل شركة انكليزية . فشبّ شبتاي ، وقد استهواه تعلق اليهود بالمسيح الموعود ، وبكتاب «الاشراق» . ودخل في عقائد القبالا فاستغرقته ، وتوغّل في متاهاتها ، حتى صار يحب التعرض للشدائد ، وجعل يعذب جسده ، وأولع بالسباحة في البحر صيفاً وشتاء ليغالب الصعاب. وكان كثيراً ما يقضي الليل ساهراً منشداً اشعاراً قبالية بالعبرية والآرامية. وأضيف الى مجموع صفاته هذه ، انه اكتسب هيبة في هيئته الشخصية واتقن الآلة كلها حتى بات مرموقاً في جملة حاله ومنظره .

٢ — سنة ١٦٦٣ قام بسياحة الى فلسطين ومكث في القدس مدة وصرف في هذه السياحة سنتين . وكان في القدس الرجل الذي خضع شبتاي لتوجيهه. ومـا ذاك الرجل الا « ناثان » وهو من غزّة ، واشتبكت الامور كثيراً بين « ناثان » وشبتاي . وبعد قليل نرى فتاة بولونية اسمها « سارة » فقدت اهلها

في بعض المذابح ، فأخذت الى أحد الأديرة ونُصّرت ، لكنها فرّت وجاءت الى فلسطين ، وكانت زوجة شبتاي لاوي الذي هو في الطريق ليكون المسيح الكذاب .

٣ - هذه المعلومات المتعلقة بسارة وناثان وشبتاي ، ليست موجودة في مصادر عربية اطلاقاً ، على ما نعـــلم . وانما نقلها من كتاب « موجز تاريخ الشعب اليهودي من ١٦٠٠ – ١٩٣٥ » لمؤلفه سيسل روث [١] اليهودي .

٤ - سياحة شبتاي لاوي الىفلسطين،واتصاله بناثان الغزاوي ، وزواجه من سارة البولونية اليهودية المتنصرة كذبــاً ، وطيران اخباره الى البيئات اليهودية ، جعل التلفت اليه يزيد ويتضخم . اينما حل تلقاه اليهود بالترحيب والمناصرة . آمنوا به وصاروا يعتبرونه على مستوى النبوة ، وهو متقن عمله في التضليل والتدجيل الى ما وراء الغاية .

٥ - من هـــذه الناحية : ناحية تلقي اليهود له بالتعظيم ، والاتجاه اليه بالآمال المنقذة ، لم يعهد ان يهودياً آخر لقي مثل ما لقي شبتاي ، حتىتيودر هرتزل لـما امتطى ذروة النفوذ بعد مؤتمر بازل الصهيوني العالمي الاول سنة ١٨٩٧ لم ينل من الالتفاف حوله مثل ما نال شبتاي في القرن السابع عشر .

٦ - فانتشرت التوبة بين اليهود ، وكان منهم أناس انقطعوا عن الدنيا . منشورات شبتاي جابت كل بلد فيها يهود . توقفت الاعمال التجارية في بعض الاماكن . تجـار تبرعوا بالذخيرة والاطعمة لتشحن الى فلسطين في البحر . تجار كبار في امستردام توقيعاتهم المالية انفذ من القوانين ، قدموا الى شبتاي الكذاب عريضة يؤكدون له فيها انهم مستعدون لعونه . في همبورغ في المانيا صار اليهود يرقصون في الكنيس .

---

(١) اسمه بالانكليزية :

A Short History of the Jewish People,
1600 — 1935
by Cecil Ruth, Macmillà, London, **1936**

٧ – اشتد هوس شبتاي . فقسّم فلسطين ، وقسم العالم الى ٣٨ مملكة ، وعين ملكاً من قبله على كل منها . وصارت صلوات اليهود في الكنيس تفتتح « بيا سيدنا ومولانا » و « يا ملكنا – المقدس التقي شبتاي لاوي مسيح رب اسرائيل ! » وأغفل الدعاء لسلطان بني عثمان .

٨ – سئل بندكت دي سبينوزا ، الفيلسوف اليهودي في هولندة ، عن رأيه في المسيح شبتاي لاوي فقال انه لا يرى سبباً عقلياً يمنع امكان اعادة الحكم الزمني الى اليهود . وسبينوزا اصله من يهود اسبانيا ، وجرته فلسفته الى ان حرمه الكنيس اليهودي قصاصاً له على بعض آرائه ، فلم يبال بل بقي على مذهبه . وانظر في جوابه هذا وتأمل . ثم تدرك من جواب سبينوزا مبلغ ما وصل اليه شبتاي من الاستئثار بعواطف اليهود . (سبينوزا ١٦٣٢-١٦٧٧).

٩ – السلطان العثماني في ذلك الوقت كان محمد الرابع (١٦٤٨-١٦٨٧) وكانت له الادعية في المعابد عند جميع الطوائف في المملكة ، فصار اليهود يسكتون في الكنيس عن الدعاء للسلطان وبدلاً من ذلك راحوا يدعون للمسيح شبتاي بن لاوي . وصار شبتاي يوقع منشوراته السرية : « شبتاي بن داود وسليمان » .

١٠ – الا يهودياً واحداً في لندن ، كما روت اخبار هذه الحركة ، قام وجهر بصوته باسم جماعته اليهود في لندن قائلاً : اني اراهن على ان الشخص الذي في ازمير ، شبتاي لاوي ، ما هو الا دجال !! صدق هذا اليهودي ، ولا تروي الاخبار ان احداً غير يهودي لندن من يهود العالم وقف مثل هذا الموقف في الجهر بان شبتاي دجال منافق .

١١ – وهذه التفاصيل الى هنا تنتهي بنا الى ان نرى شبتاي قد وصل استنبول ، ايام السلطان محمد الرابع ، ثم تختصر المصادر اليهودية القصة بعد ذلك بعبارة ان شبتاي ما كاد يصل البوسفور في طريقه الى فلسطين ، حتى دخل السجن او قتل بأمر السلطة . وليست هذه النهاية التي تقولها المصادر اليهودية الا كذباً ، لا تقلّ ضخامة عن ضخامة تدجيل شبتاي نفسه . الى

هنا تنتهي رواية المصادر اليهودية ، آخذين منها ما يقتضيه المساق .

١٢ – ان لشبتاي لاوي من باقي القصة في استنبول ، بعد وصوله اليها ، ومعه قافلة من اتباعه، ولعله كان ينوي التوجه بهم الى فلسطين لاعلان ملكيته العالمية المدجلة ، ما هو في الواقع الذي لا ريب فيه ، اروع بكثير من كل ما علمنا من امره حتى الآن .

وقصة شبتاي هذا ، في استنبول ، وهنا الخاتمة ، في القرن السابع عشر ، ما كان لنا او لغيرنا ان يتسنى له الاطلاع عليها على هذه الصورة ، في النصف الثاني من القرن العشرين ، او بعد ثلاثة قرون من حادثة شبتاي لو لم يظهر منذ عشر سنوات في التركية كتاب « الخطر المحيط بالاسلام او الصهيونية وبروتوكولاتها » للجنرال جواد رفعت . وهذا الكتاب متخم بالمعلومات الكاشفة عن حقائق اليهود وتاريخهم وعن الماسونية في تركيا خاصة ، والماسونية اداة يهودية عالمية [١] .

---

(١) ترجم هذا الكتاب الى العربية في بغداد الاستاذ وهبي عز الدين السنة الماضية (١٩٥٥)، واطلعنا عليه فوجدناه حرياً بان يقرأه كل عربي ، من مسلم ومسيحي ، لجزالة محتوياته من المعلومات التي لا تجدها في مواطن اخرى ، ومما يزيد فصول الكتاب قيمة ان المؤلف ، جرت على يديه حوادث جمة منذ الحرب العالمية الاولى ، اذ كان «ضابط الاستخبارات» في جبهة فلسطين وسمع كثيراً من الروايات المهمة من افواه اصحابها الذين هم المصادر الاولى لها . فنوجز نقاط اللباب من هذا الكتاب من صفحة ٧٤ فما بعد .

اما الجنرال جواد فهذه صفوة ترجمته كما هي « في سطور » على الغلاف الخارجي من الكتاب وفي بعض المواضع نجتزىء الكلام اجتزاء .

* الجنرال جواد رفعت ضابط تركي مسلم ، كان ضابط الاستخبارات في جبهة فلسطين في الحرب العالمية الاولى ، وله كتاب عن جبهة جواسيس فلسطين مترجم الى عدة لغات .
* ساهم في حرب الاستقلال التركي ، فقاد قوات الحركة الشعبية في جبهة بارتين وغيرها .
* اسس جمعية الشرق الاكبر للدفاع عن القيم الاسلامية والتراث التركي الاسلامي .
* كان رئيساً للحزب الديموقراطي الاسلامي في تركيا .
* له مؤلفات عديدة حول الحركات الهدامة عبر التاريخ والتي استهدفت الاديان عامة والدين الاسلامي خاصة ، ومن موضوعات هذه الكتب الماسونية ، واليهودية العالمية والصهيونية واخطار اسرائيل . وكتاب « اسرار الماسونية » ترجم الى العربية. (لم نطلع على هذا ←

١٣ — اتضح للسلطة العثمانية في استنبول ان شبتاي ما هو الا كذاب متلاعب باسم الدين فصدر الأمر باعدامه . ولكن لاسباب ما ، لم يبسطها المؤلف الجنرال جواد رفعت،اذ ليست متيسرة له كما نعتقد ، لم يعدم شبتاي. وعندنا ان عدم اعدامه سر من اسرار القوة اليهودية الخفية . والقوة اليهودية الخفية هذه لا حد لوسائلها ، وكلها وسائل شيطانية . والسر في عدم اعدام شبتاي الكذاب مستتر لكنه غير مستعص على القارىء ، كالسر الذي جعل محمد علي باشا في مصر سنة ١٨٤٠ يعفو عن اليهود المجرمين من يهود دمشق الذين ذبحوا الراهب الاب توما الكبوشي فحوكموا على مشهد من قناصل الدول الأجنبية ، وبعضهم اعترف بالجناية ، وقام العـــالم اليهودي وقعد ، فجاء « مونتفيوري » الى محمد علي وكان السحر ! قلنا : لاحظ هــذا في ترجمتنا لمونتفيوري في الفصل ١٢ من هذا الجزء الرابع .

١٤ — وحوكم شبتاي في « سراي ادرنـــة » ، وكان المترجم للقاضي الطبيب مصطفى حياتي ، وهذا مسلم في الظاهر وحقيقته المستورة انه من « الدونمة » او اليهود الذين استجاروا بحمى السلطان لما طردوا من اسبانيا ، فأجارهم السلطان ، واقاموا في كنفه ، وأخذوا يسلمون اسلاماً خادعاً دون ان ينتبه اليهم ، فأمسوا يهوداً متلبسين الاسلام للتضليل . والطبيب مصطفى حياتي كان احد هؤلاء الدونمة . ونراه الآن يترجم لشبتاي .

١٥ — لما بدأت المحاكمة تزلزل شبتاي . فقال له رئيس المحكمة انك تدعي انك المسيح المنتظر وتدعو الناس لتصديقك واتباعك ، فارنا معجزة منك ،

← الكتاب) .

* زار الجمهورية العربية المتحدة والقى في الاندية الكبرى محاضرات في اخطار اليهودية العالمية.

* كان نائب رئيس جمعية محاربة الصهيونية في المانيا قبل الحرب العالمية الثانية .

امـــا من حيث الترجمة العربية لهذه الكتاب ، فمع الشكر للمترجم الفاضل ، فان القارىء العربي يود لو ان هذه الترجمة جاءت خاليةً مما علق بها من الشوائب ، التي لا يسع القارىء الا ان يلاحظها وعسى ان يتدارك هذا في الطبعة الثانية ان شاء الله .

وهي ان تتعرض ببدنك عارياً لثمانية من رماة النبل ، فاذا لم يؤثر النشاب في جسمك قامت لك الحجـة . وكان اليهود يشيعون هـذا عنه بأمر منه ، فطلبت منه الحكمة ان يثبت صحة مـا يدعيه هو وجماعته . فأجاب وهو متهاو منهار ، ينكر صحة صدور هذا القول منه ، ويعزوه الى وشاية من بعض اليهود الذين لا يحبونه ، فقيل له اعلن اسلامك . ويقول المؤلف جواد رفعت ان المراد بهذا انه اذا اسلم قام عليه اليهود واسقطوه ، ثم يستخف المؤلف هذه العقلية في الدولة العثمانية في ذلـك الوقت . والحق مع المؤلف جواد رفعت .

١٦ – وهنا سر آخر : لما كان شبتاي لا يتقن التركية ، وكان الذي يترجم له الى الاسبانية – اذ عائلة شبتاي من اسبانيا – هو الضابط الطبيب مصطفى حياتي ، اليهودي بثوب مسلم ، فقد كلفت المحكمة المترجم بان يبين لشبتاي ان الامر جد ، فتمكن مصطفى حياتي من ان يأخذ ويعطي مع شبتاي بالاسبانية حتى اقنعه بان اعلان اسلامه لا يحول دون المضي بدعوته الى انه المسيح المنتظر ، بل سيتسنى له من الفرصة للعمل في سبيل ذلك وهو بثوب مسلم خادع ، اكثر مما يتسنى له وهو بثوب المدعي انه المسيح المنتظر. لقد تم هذا في المحكمة والمحكمـة لم تشعر بشيء ، واسلم شبتاي ، واطلق عليه « محمد أفندي » ، وليس الجبة والعمامة البيضاء ، وعين له مرتب مالي شهري من السراي السلطانية . غير ان العقلاء من الاتراك وهم اعزة الاسلام ادركوا ان في الامر لعبة .

١٧ – في اثناء هذه الحوادث ، كان اتباع شبتاي في بيت المقدس وصفد قد اشاعوا « ان شخصية شبتاي قد عرجت الى السماء ، وحل محلها بامر الله مسيح يرتدي ثوب مسلم » .

١٨ – في الوقت نفسه ظهر في الشام نبي كاذب لليهود اسمه ناثان (اهو ناثان غزة متنكراً ، ام ناثان جديد ، من يدري ، وكلاهما محتمل) ووزع

بياناً على اليهود يطلب منهم فيه ان يظلوا على ايمانهم ، والا تأخذهم الحيرة من أمر شبتاي ، فشبتاي شبتاي !!

١٩ – فطلب شبتاي من الحكومة مساعدة مالية ، اذ يريد ان يطوف كنائس اليهود ويدعوهم الى الاسلام ! فلبّي طلبه ! يا للغفلة ، امس ، كما يا للغفلة حتى الى هذا اليوم ! .

٢٠ – وجعل ينبه اخوانه اليهود الى انه ما اسلم الا خدعـــة ، وراح يقنعهم بان يفعلوا فعلته فيرتدوا هــذا الثوب ، وتبقى يهوديتهم في قلوبهم . وجعلوا يلبون رغبته . فاسلموا . هؤلاء هم الذين يقال لهم « الدونمة» وهم الى اليوم في تركيا ، اسلامهم رياء ، ومكايدهم لا تنقطع ، وهم اوتاد يهوديـة تحت الجبة والعمامة والقبعة . كانوا المعول الاول في الهدم ، ونقل الترك المغرورين من العثمانية الاسلامية الى الفكرة الطورانية في اول هذا القرن . ومن هنا بدأ انحلال الدولة العثمانية.وفي حرب البلقان سنة ١٩١٣ كان الدونمة مسببي هزيمة الدولة . ويرى الجنرال جواد رفعت في هذا الباب وقائع مذهلة وما هو اشد اذهالاً الغفلة المتمادية لا في تركيا وبلاد العرب فقط، بل فيمعظم العالم ، عن فتح العيون على حقائق اليهودية العالمية والبروتوكولات .

٢١ – فتح الباب امام شبتاي . فاذا به يبعث رسائله ومناشيره بالعبرية الى الجماعات اليهودية ، يحضهم على الثبات معه والى جانبه في كونه هوالمسيح المنتظر ، ولما سأله الصدر الاعظم – رئيس الوزراء – ما هذا يا شبتاي ؟ اجاب شبتاي : انما ادعو بقية اليهود لكي يسلموا اسلامي ! .

٢٢ – وهنا ينطلق المؤلف ينتقد عقلية الدولة في تعليل حركة شبتاي في ذلك الوقت . وكل ما قاله المؤلف في محله .

٢٣ – حتى امسكوا شبتاي في احد الكنائس ، يعظ بالعبرية ، عظة اليهودي الماكر ، ويخون الاسلام ، ولم يستطع ان ينكر هذا التلبيس .فروُي ان يقطع رأسه . واذا بشيخ الاسلام يتشفع له ، ووجه الشفاعة ان شبتاي ،

اذا قطع رأسه طارت الاشاعات انه صعد الى السماء ، فنفتق من حيث نريد ان نرتق . ومرةً ثانيةً نجا شبتاي ، وبقي رأسه بين كتفيه .

٢٤ – نُفي شبتاي الى البانيا ، فاستقر في سلانيك وتزوج من امرأة يهودية ، وعدنا لا نعلم شيئاً عن سارة ، ولا عيون عليه وهو في سلانيك ، فباض وافرخ ، وانقلب يحرض اليهود على التوغل في المجتمع التركي الاسلامي لتوهين عراه ، وفك روابطه ، وغزوه باليهودية اللابسة العمامه والجبة . وهكذا كان .

٢٥ – لم يقتل شبتاي ، ولم يقطع رأسه ، ولا قلامة ظفر منه ، وبقي على خطته ، والغفلة عنه نائمة تغط في نومها لا تستيقظ ، حتى اذا تلفتنا بعد قليل ، نرى من ثمار اعمال شبتاي ان كل كنيس يهودي في المدن ، واليهود لا يسكنون الا المدن ، يصطنع صلوات هي مزيج من الاسبانية والتركية ينشدها اليهود والدموع تنهمر من عيونهم تعلقاً بشبتاي . ويقدم المؤلف وصف هذا في عدة صفحات . ثم يختفي شبتاي في الافق . كيف اختفى ؟ لا ندري . واما الطقوس المبطنة التي يمارسها اليهود في كل كنيس في تركيا حتى اليوم فعجب اي عجب ! المواعظ السرية ! الرموز ! الصلوات ! ينقلها اليك المؤلف حرفاً حرفاً بالفاظها الاسبانية والعبرية بحروف عربية .

* * *

هؤلاء « الدونمة » في تركيا لا يزالون على جميع خصائصهم اليهودية . من ذلك انهم لا يتزاوجون مع غير جماعتهم حتى اليوم . راجع الفصل ٢٤ و ٢٥ من الجزء الاول حيث تفصيل اخبار هؤلاء الدونمة .

يروي المؤلف هــذه الواقعة في خلال الحرب العالمية الاولى في دمشق : كان لمصطفى الشامي في الشام ، ومصطفى هذا يهودي من « الدونمة » ، ابنتان أحبت احداهما ضابطاً تركياً وفرت معه . فقامت القيامة حتى انتهت المسألة الى مجلس الوزراء ووقعت من اجل الفتاة « سويم » مناقشة حادة بين أنور باشا

وزير الحربية ، المسلم التركي ، وجاويد بك المسلم اليهودي (الدونمي) وظهرت روح جاويد اليهودية بكل قرونها . والفتاة الاخرى أحبت شاباً من اهـالي قونية اسمه «فهيم» ، وهو اليوم في ادارة كهرباء الآستانة ، وبعد اربعين سنة تماماً ، راجعت المرأة هذه المحاكم طالبة الطلاق من زوجها ، وكانت قضيتها هذه لم يفصل فيها بعد حتى تاريخ وضع المؤلف كتابه سنة ١٩٥٤ . امـا مصطفى الشامي ابو الفتاتين فظل يأكله الكمد ، حتى ذاب وقضى . قلنا : راجع النماذج التلمودية وقد مررت بها .

٩ ـ الفرقـة البعلشامية في المـانيا

نشأت في القرن السادس عشر وهي تستمد من كتاب

« الاشراق » و « القبـــالا » الغيب والتدجيل

مؤسس هذه الفرقة هو اسرائيل بَعْلشام ، ومعنى البعلشامية القدرة على اتيان المعجزات باسم الله . وأول ما ظهر هـذا الاسم كان ظهوره في يهود المانيا وبولونيا عن طريق القباليين ، وذلك في القرن السادس عشر ، والقبالة وقتئذ في ازدهارهـا ، وكان البعلشاميون يمارسون الطب التدجيلي ، مفرغين عليه ما استطاعوا وشاءوا من « الشعوذات » التي قالوا انها مستمدة من كتاب « الاشراق » . واليهودي التي يأتي بالمعجزات على الطريقـة البعلشامية ينظر اليه كأنه متصل بروح الربي سمعان بن يوشاي في القرن الثاني الميلادي . والربي سمعان هذا هو أحد جامعي التلمود الأوائل ، وهو أحد الذين عرفوا بالقدرة على إتيـــان المعجزات البعلشامية ، ويقولون ان عدد هؤلاء المختصين بلغ احد عشر رجلاً ، كما جاء في دائرة المعارف اليهودية في ترجمة بعلشام .

كتب البعلشاميـــة تبحث في كل شيء غامض ، في الكائنات ، والنفس البشرية ، والخير والشر . ومن يريد الدخول في البعلشامية عليه ان يكون في مجلسه ساكناً صامتاً ، متربعاً ، مستغرقاً في التأمل ، قارئاً صلواته . وعليه أن يجتاز سبع حالات ، وبعد اجتياز كل حالة يصل المريـد او الطالب الى منزلة سماوية عليا تسمى « الهيكل » ، وكل هيكل لاحق يختلف عن سابقه حتى يدرك السابع الاخير ، وهذا لا لون له ، وهنا يفقـد المتأمل شعوره . ويضربون مثلاً على هذا كما في كتاب « الاشراق » :

« قال الربي سمعان بن يوشاي : استغرقتُ يوماً في التأمل حتى أبصرت بالتالي انبثاقاً نورانياً شديد الوهج، في كل وهجة ٣٢٥ دائرة نورانية صغرى، ثم بدا لبصري ان في وسط هذا النور بقعة سوداء تسبح في بحر النور هذا، ثم أخذتْ هذه البقعة السوداء تتحول الى بيضاء، وتعوم وتطوف على سطح الماء النوراني حيث احتشدت صور العظمة على ما يأخذ العقـــل. فسألت عن معنى هذه الرؤيا فقيل لي ان هذا يمثل غفران الخطايا والذنوب».

* * *

وكتاب « الاشراق » هو مصدر كل هذا، لجميع القباليين والبعلشاميين، فما كاد ينقضي خمسون سنة على ظهوره في اسبـــانيا حتى تلقفه القباليون التلموديون والتهموه. وقال القباليون ان كتاباً مثل هـــذا لا يمكن ان يضعه انسان ان لم يكن مؤيداً من الله، ولذلك جعلوه في القداسة كالتوراة، كان له أثره في تطور الشعائر الدينية. ولمـا قال الميمونية ان الانسان جزء صغير من الكائنات، وخلوده موقوف على درجة ترقي عقله الفعال، قال اصحاب « الاشراق » ان الانسان سيد الكائنات وخلوده موقوف على فنائه، فجعلوا الفناء سبب الخلود.

ثم ان هؤلاء جميعاً ينحدرون من التلمود.

وترسب هذه البعلشامية ما وراء الستار هيئة سرية قبالية ملثمة.

١٠ – القهال

منظمة سرية امها القبالا وابوها التلمود

ومظهرها الخارجي انها صلة بين الحكومات وجماعات اليهود

القَهَال لفظة عبرية معناها الهيئة او المجلس او الجماعة ، كانت حتى القرن التاسع عشر تستعمل للتعبير عن الهيئات اليهودية المحلية في لتوانيا وبولونيا وروسيا . ومبدأ كيانها في اوروبا ، وربما قبل الحروب الصليبية ، كما تقول المصادر اليهودية .

واما معناها اليوم في الكتابات العالمية السائرة ، فينصرف الى ما هو هيئة سرية غامضة ، كالقبالة ، والبعلشامية ، ويقول النقاد ان معظم الناس لا يفرقون بين القبالة والقهال .

ومن وجهة النظر الخارجية في هذه المسألة ، اي التمييز بين يهودي قبالي ، ويهودي بعلشامي ، ويهودي قهالي ، فهذا كله في الواقع مترادفات تنصب على شيء واحد ، هو منظمة « حكماء صهيون » التي هي القطب والمدار ، وما باقي المنظمات الا روافد تنتهي اليها . وتكاد تلمح ان البعلشامية التي تكلمنا عنها في الفصل السابق تشبه في صورة تركيبها طريقة من الطرق الدينية في الشرق ، هذا في مظهرها الخارجي ، واما في داخل جهازها فهي شيء آخر ، وما اتخذ الشكل الظاهر الا ليكون ستراً لما في الداخل . هذه هي الحقيقة الكبرى تتجلّى لكل دارس لبواطن الحركة اليهودية العالمية . وتأتي الماسونية العالمية ونراها لا تعدو هذه القاعدة ايضاً من حيث اختلاف ما بين

الظاهر منها والخفي. ثم تنقلب بالتالي الاداة الفعالة الاولى بيد اليهودية العالمية. وفي البروتوكولات تفصيل هذا كله.

وكثيراً ما يقع المطالع للروايات والقصص الغربية على كلمة « القهال » في مساق الرواية، فلا يحصل من معناها الا الاشباح الغامضة وما تسوقه اليه القرينة، ومعنى القهال على الجملة هيئة مريبة تعيش في الزوايا والسراديب، ومثل هذا مـا يحصله من معنى « القبالا » ولفظة « كاباليست » في اللغات الاوروبية. لكن هذه الحجب كلها تتمزق عندما تتسلط عليها حقيقة واحدة رهيبة: ان عادة الحصول على الذبائح البشرية او خطـف اليهود للمسيحيين والمسلمين لاستنزاف دمائهم واستعمال الدماء في طقوس يهودية منـذ القدم، ونقل اجزاء من الدم المعجون بمادة اخرى الى اقطار اخرى حيث لا يستطيع يهود تلك الجهة ممارسة الخطف والاستنزاف في بلادهم، ان هذه العادة تفرض على كل يهودي تلمودي ان يمارسها عندما يطلب منه ذلك. ومن يطلب منه؟ طبقة « الحاخامين » في المجتمع اليهودي، وعلى الغالب انما يقع على« الحاخامين» العبء الاكبر من جرم ارتكاب هذه الجنايات الوحشية، بل نعت الوحشية اقل من ان يدل على فظاعتها، اذ لو استعملناها لوصف الخلق اليهودي المجرم الجاني، فماذا ابقينا من الوصف للوحش البري الذي هو اقل وحشية من طالبي القرابين البشرية ومرتكبي جرائم الدم والاستنزاف؟ وطبقة الحاخامين موجودة في كل منظمة يهودية ظاهرة ومستترة، فعلينا ان ننظر الى القاسم المشترك بـين هؤلاء جميعاً، على اختلاف اسمائهم، فنجد ان الطبقة الحاخامية هي السلسلة الفقارية في الجهاز كله. ومعظم الرجـال اليهود في فلسطين، منذ اخذ اليهود يحاولون الاقامـة في فلسطين واستيطانها، من ايام السلطان عبد الحميد، – معظم هؤلاء اليهود، ونعني البارزين المسؤولين منهم، عندما نقرأ تراجمهم، نرى كل واحـد منهـم ابوه « حاخام » ونرى تخرّجـه كان أولاً من مدرسة « دينية » او حاخامية، وقلما ذهب احـد هؤلاء الى مدرسة عامـة ولو يهودية، قبل ان يمر في نشأته على المدرسة « الحاخامية »

التي تغذي الناشئين بالتعاليم والاسرار التي لا تذاع للناس . ومـــا اختلاف المنظمات عندهم بالاسماء ، الا من نوع اختلاف العناوين لمـا هو وراء العناوين شيء واحد . وانما نقول هذا هنا ، اذ مررنا بذكر التلمود ، بعد التوراة ، ومررنا بالقبالا ، ثم اتينا الى النحمانية والميمونية ، ورأينا كتاب « الزوهر » أو كتاب « الاشراق » ، والبعلشامية مدعية اتيـــان المعجزات ، وحططنا رحالنا في هـــذا الفصل في ساحة « القهال » . وحتى لا يدخل شيء من الابهام على ذهن القارىء، فقد رأينا من المفيد ان نسترعي انتباهه الى ما قلناه هنا . وما كل قارىء من العرب يحتاج الى هذا . وبعد الاطلاع على كل هذه المناحي المشتملة عليها هـــذه الكتب التي بيد القارىء ، وبعد الوقوف على « البروتوكولات » والتمعن فيها ، لا يبقى بالعربي حاجة على ما نعتقد ، الى ان يرجىء عنايته بدراسة اليهودية العالمية عن طريق التوراة والتلمود ، ليدرك اي واجب عليه نحو نفسه وولده وذريته ، ونحو وطنه وتاريخه ، من العمل في سبيل المكافحة لكل ما هو بمعنى « يهودي » او اسرائيلي في فلسطين.

* * *

نعود الى تكملة الكلام على القهال . فيقول النقاد في هـذه الحركة انـــه ان لم يمكن ردها في قدم المنشأ الى ما هو ابعد من القرن العاشر الميلادي ، فاستمدادها من التلمود هي والبعلشامية شيءٌ واحد . تنحدران من التلمود ثم تتخذ كل واحدة طريقها . وهناك شيء آخر وهو ان تظهر منظمة القهال مظهر جهاز « تلمودي » لمن يراها من الخارج ، ثم هي في الحقيقة ستار للقبالة الكبرى ، والقبالة ما لهـــا الا تاريخ اسود في اوروبا كلها ، فاحتاجت في القرون الاربعة او الخمسة الاخيرة الى ما يستر امرها قدر الامكان ، فكانت منظمة القهال القفاز الخارجي ، وتقوم مقام الصلة الظاهرة بين الحكومات في اوروبا الوسطى ، واوروبا الشرقية خاصة ، وبين الجماعات اليهودية الملتفـة على نفسها ، وعليها ان تدفع الضرائب الرسمية الحكومية ، وتقضي معاملاتها المدنيـة ، فقامت المنظمة القهالية بكل هذا حتى اخذت تنفطم وتنتهي في

القرن الماضي ، اذ جاءت التنظيمات اليهودية الجديدة ، بعد حركة كارل ماركس في منتصف القرن الماضي ، فدخلت الحركة اليهودية العالمية في دور جديد ، وهذا حتى قبل ان يولد هرتزل .

* * *

ويبدو للدارس لقضية اليهودية العالمية ان المجال الواسع لنشاط منظمة القهال كان في روسيا وبولونيا ولتوانيا ، وسائر بلدان شرق اوروبا. ومسألة تأدية الضرائب المدنية للحكومات كانت اهم وظائف القهالة ، ولا يغيب عنا ان انكماش اليهود على انفسهم في احياء خاصة بهم في المدن تدعى عادة Chetto باللغات الاوروبية ، انكماشاً هم فيه مختارون لا مكرهون ، انسياقاً مع غريزتهم في الانفراد والعزلة عن المجتمع غير اليهودي ، ساعد اجهزة القهال في الانسياب في عملها ، واستفادت اليهودية العالمية السرية من هذا ، اذ هذا الوضع سترٌ للمنظمات اليهودية وتخفية وحجب ، وهذا رأس مال النشاط اليهودي . ويقول بعض النقاد ان وظائف منظمة القهال كانت اشبه بنظام البلديات في المدن ، هذا في الظاهر . ونحن الآن ليس بوسعنا الاستطراد الى ما يزيد المساق فروعاً وشعاباً ، والغاية الكبرى لنا في هذا الفصل استيفاء الكلام على صفة القهال كما فعلنا في زميلاتها من البعلشامية والقبالة. ولا ندخل هنا في الكلام على ناحيتين مهمتين : « الحي اليهودي » الاوروبي ، واللاسامية وكلاهما في نظرنا شيء واحد ، رغم ما يحاول كتاب اليهود القول في اللاسامية انها حركة مخلوقة على يد « الغوييم » غير اليهود ، لمناهضة اليهود . لكن مسألة الحي « اليهودي » في شرقي أوروبا وهو عش الغرائز اليهودية ، فلا بأس ان نوجز فيه الكلام ايجازاً .

هذه الكلمة غيتو أو جيتو ، يقول المعجم الانكليزي على الراجح انها من اصل ايطالي (Borghetto) تصغير Borgo اي « الحي » من المدينة او البلدة . وهذا في الانكليزية Borough وتطور الاستعمال حتى اختصت هذه الكلمة بالحي الذي يسكنه اليهود دون سواهم في اي بلد اوروبي . وكما قلنا

ان اليهود انكمشوا الى هـذا انكماشاً ولم يساقوا اليه بالاكراه . ويستفاد ان أول ما نشأ هذا في ايطاليا ، في القرن الحادي عشر ، والقرن الحادي عشر كانت فيه الحروب الصليبية في مطالعها ، وكانت ايطاليا مباءة النشاط في تلك الحروب من جهة البابا،واليهود يكيدون في الخفاء للكثلكة، ولعل هنا في ايطاليا صار اليهود اول من ينكمشون الى احياء خاصة بهم . ثم شاع هذا في اوروبا ، في المانيـا وبافاريا واوستريا وبلاد الانكليز حتى القرن التاسع عشر . ومع بقاء كلمة « غيتو » تعني الحي اليهودي خاصة ، فقد توسع هذا المعنى وامتد حتى صار يستعمل اليوم للتعبير عن كل جماعة سرية او علنية تنعزل في ناحية خاصة بها وقد يكون العدد ضخماً ، وقـد يكون الانعزال انعزال « اقلية » يهوداً كانوا ام غير يهود . امـا في البلاد العربية والاسلامية ، فاليهود هنا ايضاً جروا على الطريقة نفسها ، وهـذا دليل آخر على ان السبب في انكماشهم ليس السبب في المضايقة من الدولة او من مخالفيهم ، بل هم في هذا مستجيبون لغرائزهم اليهودية . ويقال عنـدنا « الحي اليهود » او « حارة اليهود » تبعاً للمصطلح الدارج في العاصمـة او المدينة ، غير ان اقامة اليهود في البلاد العربية الاسلامية والشرقية كانت نعمة عليهم لم يروا شبهاً لها في أي بلد اوروبي .

* * *

ونعود الى القهال ومنظماتهم : واذا كان خيراً لليهود ، ان يتولى امرهم ومعاملاتهم المدنية مع حكومات البلدان التي يقيمون فيها ، جماعـة مسؤولة منهم ، فهذا كان خيراً ايضاً للحكومات فتجد أمامها هيئة يهودية مسؤولة ، تحصر امر التعامل معها . واذا كان هـذا بات لا يصلح اليوم مع مستوى حكومات العصر ففي الماضي كان تدبيراً عملياً هو أصلح ما يمكن للسير عليه في معاملة اليود .

ويقول النقاد ان هيئات القهال مرت بأدوار مختلفة من فوضى وفساد وانحلال . وكانت هيئاتها تنتخب مرة في كل سنة . ومنذ القرن الثامن عشر

أخذت تنحل وتتفكك شيئاً فشيئاً ، ويضيق نطاق صلاحياتها ، واليهود لا يهنأ لمنظـماتهم من عيش إلا اذا كانت الجهة الأخرى من أجهزتهـم هي الظلام والخفاء .

فصارت أجهزة القهال تتحول شيئاً فشيئاً الى منظمات سريـة ، يتولى أمرها ويسيطر عليها الحاخامون ، حملة التلمود ، وسَيْفهم الخفي مصلت فوق الرقاب ، فمن ارتكب جرماً بحق « القبالة » والقبـالة هي الفلك الأعلى ، قتل بلا هوادة . وما كانت حكومات شرق اوربا يهمها هذا داخل الاجهزة اليهودية ويقول النقاد ايضاً ان هيئات القهال كانت لها جهة داخلية سرية أيام كانت القهالة في الازدهار ، فكيف الآن وقـد ضُويقت وشد من حول عنقها الخناق . وبالتالي استغرقت هيئات القبالة هيئات القهال في الظاهر ، فما عاد للقهال من وجود ظاهر . أما في الخفاء فالقهال بوسعـه أن يعمل ما يشاء ، إذ انقلب الى قوة مندمجة اندماجاً تاماً في أجهزة القبالة .

١١ - كتاب جاكوب « برافمان »

من نوع البروتوكولات ظهر سنة ١٨٦٩

في سنة ١٨٦٩ وضع جاكوب برافمان Jacob Brefman كتاباً شرح فيه اسرار هذه الهيئات ، وما تمارسه من وسائل لابقاء الجو التلمودي مسيطراً على اذهان اليهود سيطرة مخيفة ، فكان كتاب برفمان هـــذا ، اشبه بظهور البروتوكولات بعد هذا الوقت بنحو ٣٩ سنة ، تفضح « حكماء صهيون » في مؤآمراتهم على الاديان ، المسيحية والاسلام ، والممالك الاوروبية ، والبابوية ، ثم المملكة العثمانية .

ثم اختفى كتاب برفمـــان اختفاءً عجيباً ، ولا وجود له اليوم ، الا في مواضع الله اعلم بها .

وبقيت الصحافة الروسية مـــدة طويلة ، تنشر اشياء غريبة من كتاب برفمان ، حتى اختفى وغاب .

ولكي يقلل اليهود من امر هـــذا الكتاب الفاضح لهم ، اخترعوا قولاً وراحوا يذيعونه بمختلف وسائل النشر ، من ان برفمان اعتنق اليهوية اعتناقاً مصطنعاً ثم ارتد عنها وما كتب هذا الكتاب الا طلباً للشهرة لنفسه والنقّاد يرفضون هذا القول ، ويعتقد فريق منهم ان كتاب برافمان تناول اسرار الذبائح البشرية . غير ان هـــذه المحاولة لاطفاء نار الفضيحه لم تجد القهالين شيئاً ، ذلك لان ما يشاهده الناس من امور القهالة لا يمكن اخفاؤه ، وجل ما اتى به كتاب برافمان انه كشف الغطاء ، كجريمة فظيعة وقعت وظلت تفاصيلها مبهمة ، والتهم تدور حول زيد وعمرو ، حتى صاح التحقيق هذه

هي الجريمة وتصويرها ، وهؤلاء هم المجرمون . وايضاً ما وقع لبرافمان وقع مثله في امر البروتوكولات . فكتاب اوروبا المعنيون بالقضية اليهودية يعطون اول دليل على صحة البروتوكولات هو ان المخطط الذي تستند اليه اليهودية العالمية ، وتطبقه مرحلةً بعد اخرى ، ليتمّ لها المراد بعد نهاية قرن من الزمان (آخره القرن العشرون هذا) هو ظاهر بارز في الحروب الدولية ، والانقلابات والازمات الاقتصادية المفتعلة ، وافساد الضمائر التي تستطيع اليهودية العالمية الاستيلاء عليها ، او اخذها تحت جناحها بواسطة الماسونية العالمية . ومـا يحتاجه العرب اليوم اشتد احتياج ليس البراهين على صحة البروتوكولات ولا على صفة المخطط اليهودي ، بل هم محتاجون الى فهم هذا ووعيه ، وتوعية الاجيال العربية الجديدة على حقائق اليهودية والاحاطة بهذا بطريقة مجدية ، لا بمجرد تسلية ، او عبث عابر .

١٢ ـ الحاخام نافيطوس المتنصر

وكتابه المطبوع سنة ١٨٦٩ في بيروت

ان قصة كتاب برافمان لها شقيقة يهودية ، حذوك النعل بالنعل . وهذه صفوتها :

في سنة ١٨٦٩ اي سنة ظهور كتاب برافمان في اوروبا الشرقية ، ظهر كرّاس صغير الحجم بقدر الكف او ما هو اصغر ، في العربية ، في سوريا ولبنان ، مطبوع بحرف « جسم ٢٤ » يشبه كل الشبه حرف المطبعة الاميركية في بيروت في ذلك الوقت . عنوان هذا الكراس : « الصحيفة الرضية اللماعية في انهدام الديانة العبرانية » وهذا العنوان لا يدل على حقيقة المحتوى ، لا تغطية وبعداً من التصريح ، بل اعتقاداً من مؤلفه الذي بسطه في الكرّاس يقع تحت فلك الديانة اليهودية . فاضاف الموضوع الى الدين العبراني ، وهذا صحيح ، واقعاً وشكلاً . اما الموضوع نفسه ومن حيث هو ، فاخطر واكبر واعظم . وهو ما عبّر عنه المؤلف في اول عبارته بعد صفحة الوسمة فقال ان الكراس يبحث في :

« السر المكتوم من اليهود عن الدم الذي يسفكونــــه من المسيحيين واسبابه الثلاثة » .

ثم يمضي المؤلف في شرح هذا واسبابه والغاية منه ، ومن يمارس هــذه الجناية من اليهود .

ويكاد شعر الرأس يقف من فظاعة ما هو مبسوط في هذا الكراس الواقع

في (٥٥) صفحة من ممارسة هذه الجناية الوحشية . ويظهر ان هذا الكراس ، لمـا طبع سنة ١٨٦٩ كانت الاذهان في بيروت أخذت تتفكك من قيود الجمود ، تطلب الخروج الى النور ، وكانت حركة المعلم بطرس البستاني في التنوير قد قامت على سوقها، والجامعة الاميركية (الكلية السورية الانجيلية) في سنواتها الاولى ، وحركة نقل الكتاب المقدس الى العربية تنمو وتلتمع . فلا نعتقد ان هذا الكتيب طبع سراً ، ومطبعة الجامعة الاميركية اذا صدق الظن أن هذا الحرف الطباعي هو حرفها - لا ترى سبباً لكي تتولى طباعة أي شيء بطريقة خفية، ولا سيما في الكشف عن فضائح لها صلة بالدين الموسوي . زد على هذا ان في آخر صفحة هذه العبارة : « وكان الفراغ من طبعها سنة ١٨٦٩ . ثمنها ثلاث غروش ٣» فهذا يدل على ان هذا الكراس كان يباع في الاسواق . لكن يجب ألا يغيب عنا ان قبل ظهور هذا الكراس بنحو ٣٠ سنة ، كانت قد وقعت في دمشق الحادثة المروعة التي حتى اليوم كلما ذكرت جمد الدم في العروق وهي خطف الاب توما الكبوشي[١]، هو وخادمه

(١) الأب توما جاء دمشق من ايطاليا سنة ١٨٠٧ واقام في البلاد ٣٣ سنة يخدم المساكين والفقراء والمرضى بخلق رضي ، حتى اشتهر أمره في الشام واحبه الناس ، ثم ذهب دمه على شفار السكاكين بطريقة خاصة للذبح . فهو بلا ريب اكبر ضحية انسانية . عالجت مجلة « اسرار العالم» في بيروت هذا الموضوع بعد الحرب العالمية الثانية . فكتب المؤرخ الاستاذ يوسف يزبك بحثاً في العدد الثاني (غير مؤرخ) طواه على حقائق الجناية مما اثبته التحقيق ، واوراق التحقيق واردة في كتاب « الاصول العربية لتاريخ سورية» . وننقل هنا العبارات التي قدمت بها المجلة هذا البحث الى القراء ، فقالت :

« كانت امهاتنا يحذرننا في طفولتنا من الابتعاد عن منازلنا والدنو من احياء اليهود ، لأن هؤلاء في زعمهم يخطفون الأولاد الصغار ويضعونهم في «سرير الشوك» لينزف دمهم ، فيعجنون منه خبزهم المسمى «خبز الفطير» عملاً بطقوس مذهبهم ... وكثيراً من كنا نضحك لهذه الرواية ونسميها خرافة . غير ان وقائع القضية العجيبة التي يعرضها الكاتب الكبير من الأسئلة المحيرة والشكوك المثيرة » قلنا وكراس الحاخام نافيطوس لا يحتاج الشاك والمرتاب بعد الاطلاع عليه ، الى اي برهان آخر .

وذبحها واستنزاف دمها ، في طسوت خاصة ، ورمي العظام في نهر دمشق ، ثم ثبوت هذه الجناية على نحو ١٠ رجال من اعيان يهود دمشق منهم الحاخامون طبعاً . وكان لهذه الحادثة الوحشية صدى واسع في العالم ، والتحقيق الرسمي اثبت كل التفاصيل المروعة ، وحكم على الجناة بالاعدام . فتحركت اليهودية العالمية في اوروبا ، وكان وقتئذ موسى مونتفيوري ، اليهودي الانكليزي ، المثري الكبير من صدور «حكماء صهيون» وكان هذا الرجل قد اتصل بمحمد علي في مصر وفاوضه بشأن استئجار معظم فلسطين ، وفلسطين وقتها بيده وَقبِل محمد علي ان يقطع مونتفيوري ما أراد . وفي غضون ذلك وقعت حادثة الأب توما والحكم على الجناة ، فنُدب مونتفيوري ليأتي من لندن ، ومعه جيب مترع ، ليطلب من محمد علي اصدار العفو عن الجناة ، فنجح مونتفيوري. اما المضي بعد ذلك في «استئجار» فلسطين لمدة ٩٩ سنة فقد قضى عليه انسحاب ابراهيم بن محمد علي من بلاد الشام . وتجد ذكر هذا في ترجمتنا لمونتفيوري في الفصل ١٢ من هذا الجزء .

* * *

ان مؤلف هذا الكراس ليس مسيحياً ولا مسلماً ، ولا بوذياً ولا ملحداً ولا برهمياً ولا وثنياً . بل هو « من الحاخام نافيطوس الذي رفض المعتقد العبراني واعتنق الايمان المسيحي في السنة الثامنة والثلاثين من عمره ودخل في عيشة النساك راهباً قانونياً» . وما هذه العبارة الا عبارته .

هذه هي عبارته ، عبارة الحاخام نافيطوس ، نقلناها بالحرف . ثم هو يقول بعد ذلك مباشرة ما ننقله مبقين على اغلاطه الاملائية :

« قد طبعت باللغة المذكورة (الملدافيــة) سنة ١٨٠٣ ثم استخرجت الى اليوناني ، ثم الى الايتاليياني سنة ١٨٣٤ في مدينة نابولي من اقليم برومانيا في مطبعة يوحنا جاورجيوس تحت تسمية انهزام الديانــة العبرانيــة . واخيراً استخرجت في هذه السنين الى العربية» . ثم يبتدىء في شرح ما يريد وهو يسمي موضوعاته «بالاسباب» اي اسباب سفك الحاخامين لدم المسيحيين .

وهذا الحاخام نافيطوس ، ولا ندري ما كان اسمه قبل ذلك ، هو ابن حاخام ، ويظهر انه الابن الاكبر لأبيه ، اذ يقول ان الحاخامين من شدة حرصهم على كتمان مسألة الدم ، يختارون من اولادهم من يتوسمون فيه القدرة على كتم السر ليتسلم هذه «الصناعة» الانسانية الراقية ! ويبين نافيطوس ان سائر أفراد البيت ، بيت الحاخام ، لا يطلعون على الأسرار المتعلقة بكيفية ممارسة الجناية ، وينتقل هذا من والد الى ولده المختار ، لا الى أي من ابنائه.

* * *

وهذا الكراس لعله حتى اليوم موجودة نسخ منه في بعض البيوت في سوريا ولبنان وغير مكان . اما نحن ، فقد أطلعنا على نسخة منه في دمشق سنة ١٩٥٥ وسمح لنا ان ندرسها ، وقد قمنا بهذا ، وقيدنا ما رأينا تقييدهمن ملاحظات حول محتوياته . غير اننا هنا لسنا بصدد ذلك الى ابعد مما قلنا ، وكان كتاب برافمن هو الموضوع الذي نسوق الكلام عليه . غير انه من المحتمل ان نعالج مسألة الاب توما ، الراهب الطبيب المحسن الانساني، معالجة مفردة قائمة برأسها في كراس على حدة . ونعتقد ان كل ما كتب في الصحف من تفاصيل حول « الجناية » في العشرين سنة الاخيرة ، هو في محله . لكن القضية ، من جهة الكشف عن وحشية الغرائز اليهودية ، تنجلي انجلاء اوسع وألمع ، اذا طبقنا تفاصيل الجناية على ما ذكره نافيطوس .

* * *

ومع محاولة اليهود تعمية اخبار الخطف واستنزاف الدم، كلما وقعت حادثة بربرية وحشية من هذا النوع ، في ناحية من انحاء العالم ، ومع ان في دائرة المعارف اليهودية (المطبوعة (١٩٠٤ — ١٩٠٥) ذكراً لاكثر من اربعين حادثة في اوروبا والشرق ، فالتنصل الكاذب لا يغير من الوقائع ، شيئاً ، ونعتقد ان حادثة الاب توما الكبوشي على بشاعتها فليست هي من حيث الفظاعة افظع حادثة من نوعها ، والتحقيق الرسمي واستقصاء حتى اصغر اجزاء الحادث ،

واكتشاف الهياكل البشرية الملقاة في نهر دمشق ، والاعترافات التي أدلى بها الجناة ، وشهـــادات الشهود والاطباء الرسميين ، وكل هذا تحت مراقبة قناصل الدول في دمشق ، كل هذا بلغ حده وانتهى الى ما لا نهاية بعده من الاثبات. وهناك حوادث عديدة يستطيع اليهود ان يطمسوا آثارها، ويطفئوا اخبارها ، فتندرج في الدهاليز ، والعالم غافل عنها . الا اذا سبق للحادث ان انتشرت انباؤه الى الآفاق قبل ان يتمكن اليهود من خنق ذلك ، فحينئذ يعمدون الى التنصل ، والانكار والتضليل .

وفي سنة ١٩٦٣، وهذا قريب جداً، نشرت جريدة «هاارتس» اليهودية في الجزء المحتل من فلسطين شيئاً من المفيد ان يطلع عليـــه القارىء العربي . و«هاارتس» هذه هي كبرى الصحف اليهودية فيما يسمى « اسرائيل » ، وهي تمثل الجناح اليميني من المخطط الصهيوني . قالت: «ان اليهود في منطقة طشقند في روسيا متهمون باختطاف اطفال المسلمين لعجن فطائر عيد الفصح اليهودي بدمائهم وقد طالبت سيدة ، هي عضو في مجلس الاتحاد الاعلى في طشقند ، بطرد جميع اليهود الموجودين في هذه المدينة ، وعددهم يزيد على خمسين الفاً ، بعد ان كانت ابنتها ضحية لليهود الذين استنزفوا الدم من اذنيها ليعجنوا به فطائر عيد الفصح [1] » .

ثم لا أخبار بعد ذلك عما جرى في طلب السيدة أم الطفلة ، هل حقق أم لا ، والى أين ذهب الخمسون الفاً من اليهود ، ونعتقد انهم بقوا حيث هم الى هذه الساعة . وكنا نود لو أن مكاتب الجامعة العربية تنتبه الى هذه الحوادث وتستقصي انباءها حادثة حادثة .

* * *

وانما أتينا بهذه التفاصيل البشعة الموضوع ، لتعلق حوادثها بالشيء الذي

---

(١) راجع جريدة «الشرق» التي تصدر في بيروت عددها ٢/٢/٦٣ .

من واجبنا استرعاء انتباه القارىء اليه، وهو الروح الجنائية في الفطرة اليهودية من التلمود فنازلاً ، فالقبالة ، فالكهال ، فحكماء صهيون ، فالبروتوكولات . تبرز رؤوس هذه الجنايات متفرقة هناوهناك في مختلف الاقطار والبقاع ، في الشرق والغرب، أوروبا وآسيا ، غير انها في الجوهر منحدرة عن نبع واحد ، كما ترى . وتتجلّى صور الوحشية الصهيونية في المذابح التي ينزلها اليهود بعرب فلسطين تجلياً يتفق وكل هذه الغرائز اليهودية .

١٣ ـ اليهودي يوسف منده الملقب بالناسي (١)

نموذج من « الحكماء » في القرن السادس عشر

هو ، كما يقول مترجموه اليهود « سياسي عثماني » ومن ارباب الثروة والجاه والحقيقة انه سياسي يهودي من « حكماء صهيون » ، وسنرى في سيرته الموجزة هنا انه حاول ان يكون علقاً ممتصاً لدماء الدولة العثمانية فاستطاع هذا ، وحاول الاستيلاء على فلسطين ، وفي سيرته عبرة للقارىء العربي . واما غرضه الاول والاخير ، فرمي الدولة بالحروب بينها وبين دول اخرى ، لكي يجد يوسف منده الفرصة من خلال ذلك ليتوجه بقومه المطرودين من اسبانيا والبرتغال ، الى فلسطين او قبرص . هو يقضم العروش كما يقضم الفار السنابل . وفي هذه الترجمة يوسف منده او يوسف ناسي واحد .

* * *

ولد في البرتغال في بداية القرن السادس عشر ، ومات في استنبول سنة ١٥٧٩ . وهو الاخ الاكبر لفرنسيسكو ، و « دياغو – منده » من اسرة مارانو التي فرت من اسبانيا الى البرتغال ، آخر القرن الخامس عشر ، ولكي ينجو من الاضطهاد في البرتغال ، هاجر فوراً الى « انفرس » مع عمه دياغو . وهناك انشأ مع قريب لهما ، شركة صرافة على نطاق واسع ، واتسعت شهرة يوسف ، ثم قربته الملكة ماري الوصية على عرش « الارض الواطئة » . ثم

---

(١) لقب تعظيم عند اليهود ينادى به عدد من الذين يعدونهم عظماء كرؤساء مجمع «السنهدرين» وكبراء الاحبار ، ولعل الذين نُعتوا « بالناسي » لا يجاوز عددهم العشرة احدهم يوسف منده هذا . ولم يسمع بهذا اللقب الا زمن المكابين وما بعد ، وبعد منده لم يسمع بيهودي آخر نال هذا اللقب . وقد شرحنا معنى هذا اللقب في مواضع اخرى من هذا الكتاب .

جاءت عمته « غراسيا » الى انفرس سنة ١٥٣٦ وكانا يتظاهران بالنصرانية ، فانكر عليهما الناس هذا ، اذ علموا بانهما يهوديان من يهود البرتغال فهبطا في عيون الجمهور فانتقلا بالتالي الى تركيا . وفي سنة ١٥٤٩ وصلا الى البندقية بعد مشقة شديدة . ويبدو انهما كانا مطاردين ، ومن الصعب استخلاص قصتهما استخلاصاً جلياً من تضاعيف الكتابات المختلفة . وهناك دلائل وقرائن على انهما كانا كالخائف المترقب يفرّان من بلد الى بلد .

* * *

وفي البندقية كان يقيم فريق من بيت مارانو ، فاضطربت امورهم من كثرة دسائسهم ، فلم يكن بد من نفيهم ، فنفوا ثاني سنة وصول غراسيا ويوسف ابن اخيها ، هذا اذا كان يوسف حقاً ابن اخيها ، لان الغموض يعطي مجالاً لهذا الاحتمال وهو ان القرابة بينهما على هذا الوجه قد لا تكون صحيحة .

وابرز سبب في هذا الاحتمال تضارب الاقوال في تعيين درجة القربى بين « غراسيا » و « يوسف » . ثم ان القارىء يلمح بغاية السهولة الحلقات المتقطعة في سلسلته وسيرته ، بين ان يكون نافذ الكلمة في مكان تارة ، وان يتوارى فجأة ويترك المسرح ، طوراً . فهو بين بروز وهروب ، وعلو وانخفاض ، يوماً عند الملوك،ويوماً آخر يلاحقه منهم الغضب ، ويلمح القارىء هذا الغموض في اكثر من دور من ادواره . وتقول سيرته في المراجع اليهودية انه وهو في البندقية طلب من رئيس جمهوريتها ان يقطعه احدى الجزر القريبة ، لتكون ملجأ لليهود للفارين من البرتغال فرفض طلبه . ثم اننا نرى غراسيا قد سجنت بسبب سوء سلوك ابن اخيها او ابن اختها ، ونراها هنا ارتدّت الى اليهودية فصودرت املاكها ، ثم تنتقل القصة بنا الى ان ترينا يوسف يستنجد بالسلطان سليمان القانوني (١٥٢٠ — ١٥٦٦) والغموض يجعلنا حقاً نتساءَل عما كان ليوسف وقتها من مكانة ، وهو يهودي تنصّر ثم صبأ عن النصرانية ، هو وعمته او خالته ، ترفع به الى حد مخاطبة سليمان القانوني ، السلطان الذي كانت هيبته وقتئذٍ ملء اوروبا والشرق ، ويستنجد

به ، وهو اليهودي الفار من البرتغال ، المتنصّر، المرتد الى اليهودية فيالبندقية المصادرة املاكه هناك ، الخائف المذعور . سليمان القانوني سنة ١٥٢٩ ضرب اول حصار على فينا ، فمن هو هذا اليهودي الذي يستنجد به فرداً ضعيفاً ؟ الجواب : هو يوسف ، نعم ، وهو على هذه الصفة التي ذكرنا ، اما السر في امره فظاهر في البروتوكولات ، اذ هذه البروتوكولات ليست آراء مرتجلة في اواخر القرن الماضي ، ارتجلها نحو ٣٠٠ قطب من اقطاب اليهـود في العالم . وانما هي الدستور الدائم لليهود من ايام نحميا وعزرا واستير ومردخاي . هذا الدستور هو هو في كل دور ، وعصر ، لا يتغير وروحه واحدة لا تتبدل ما اهون على اليهود الذين في رتبة « الحكماء » ان يصلوا الى كل بلاط في العالم ، في الشرق والغرب ، في بلاط الفرس كما في بلاد بني عثمان . «الحكماء» قد أوتوا من الوسيلة الخادعة والطريقة المصنوعة الكاذبة ، ما يمكنهم من ان يدقوا في اي بلاط يريدون ، وَتَداً بعد وتد، حتى يبلغوا القربى والزلفى من الجالس على العرش ، ثم تبتدىء الحجارة تنهار حجراً بعد حجر .

ويبقى اليهودي على مكذوب الولاء ، حتى اذا وقع قومه في ضنك ، او يريدون تفريج ازمة آخذة منهم بالمخنق ، او يريدون الوصول الى غرض ، طلبوا من صاحب العرش ان يقضي لهم مطالبهم ، ويستعطفون في البداية ، ويتوسلون ، ويبكون ، فاذا لم ينزل صاحب العرش على مبتغاهم ، تدحرج الى قعر الوادي . واذا لم يستمع الملك اليهم في اثنــــاء الحوار او الضراعة ، رموه بالمرأة والذهب ، فان لم يفد هذا شيئاً ، انقطعوا الى التدمير . وهــذا مكرّر في تاريخهم ، وبارز محسوس . واسرار القصور عند اليهود ابجديات سهلة ، والمفاتيح تارة من حديد وطوراً من ذهب .

* * *

ثم لا نستطيع ان نعلم كيف تمهدت السبل لغراسيا ويوسف حتى نراهما ينتقلان الى تركيا .

جل ما نعلم ، ان سليمان القانوني كان عنده وتد يهودي لما كان يوسف

وغراسيا يستنجدان به . هذا الوتد هو طبيب السلطان ، يهودي اسمه موسى هامون . ولا نسمع بهذا الوتد الا الآن . ومن اتى به الى السلطان ، وكيف كان اختياره ليكون الطبيب لابن عثمان ؟ وكيف صدّق السلطان ولاءه ؟ وموسى هذا ، حادَثَ السلطان بشأن يوسف وغراسيا . غير ان موسى هامون ، « الحكيم » بزي طبيب ، ينبغي ان يكون مزوداً بالاشياء المهمة التي عليه ان يبسطها للسلطان ويقنعه بها . عليه ان يعلم من هم اصدقاء السلطان ومن هم اعداؤه . ماذا يحب السلطان وماذا يكره . وما يسره في مباهجه الخاصة وما لا يودّ رؤيته او سماعه . ويظهر ان موسى بسط للسلطان ما في جعبته بسطاً مستهوياً اخاذاً ، وجذاباً :

١ – آل ناسي وجه اليهود في العالم

٢ – يوسف وغراسيا ليس لحكتهما مثيل .

٣ – اذا انتقلا الى كنف السلطان فما وراء هذا الا الخير .

٤ – المنافع التجارية والمالية .

٥ – يضعان كل كفايتهما تحت تصرف السلطان .

٦ – ممالك السلطان لا تغيب عنها الشمس ، فلا تضيق بحفنة من اليهود ، وفلسطين مقاطعة نائية كادت تكون مهجورة من قلة السكان فما أحوجها الى الإعمار ومضاعفة الاعشار .

٧ – لكن غراسيا ويوسف هما الآن في السجن او الاعتقال في البندقية ، وليسا حرين واقفين على الحدود ليدخلا اذا سمح السلطان لهما بالدخول .

٨ – وهنا في جعبة موسى هامون « تعليمات » الحكماء : فما زال هذا الموسى يفتل من سليمان في الذروة والغارب حتى حمله على أن يرسل سفيراً من قبله الى البندقية فيطلب اطلاق سراح « المعتقلين » ورد املاكهما اليهما .

٩ – امام البندقية طريقان لا ثالث لهما : إما التلبية والاستجابة ، وإما التعرض للحرب بعد قليل مع « السلطان » .

* * *

معلوماتنا هذه كلها من مصادر يهودية مما يتعلق بالوقائع ، ولا مصادر غيرها حتى الآن . فعلينا ان نلاحظ ونعتبر . وأهم ما نلاحظه انه انقضت سنتان اثنتان قبل أن تنجح المفاوضات . فتمطّت وكان لتمطّيها سبب ، ولا ندريه وبعد سنتين جاءت غراسيا وحدها الى السلطان، وكيف تمّ ذلك ؟ لا ندري . وبعد سنة أتى يوسف ، سنة ١٥٥٣ ، وكان قد انقضى على سليمان ٣٣ سنة خاقان الخواقين ، وسيد المشرقين والمغربين ، ؛ ويتضح من الحوادث ان غراسيا ويوسف كانا باقيين في الظاهر على النصرانية ما داما في البندقية . فلما استقرّا في حمى السلطان ، ارتدا الى اليهودية ، وكان يوسف متخذاً اسماً آخر ، فعاد الآن الى اسمه الحقيقي يوسف هاناسي (الهاء أل التعريف) وتخلى عن اسمه المسيحي ، وتزوج الفتاة الفتانة الحسناء « رينا » التي كان أمرها بيد غراسيا . ومن هي هذه الخلابة رينا ؟ لا ندري . ولما جاء يوسف من البندقية كان يحمل في جيبه وصاة ، ممن ؟ لا ندري ! أمن البندقية ؟ ليس هذا معقولاً . فقرّبه السلطان ووثق به . ثم نلاحظ ان الستار اخذ يسدل شيئاً فشيئاً على غراسيا . والقارىء أعقل من ان يظن ان غراسيا في هذا التواري ، والاحتجاب ، قد ضعفت سلطتها . كلا . « الحكمة » تقضي عليها بذلك ، لكي تستطيع تمثيل الادوار كلها من وراء الستار .

* * *

هنا درس وعبرة :

لا بد ان القارىء قد لاحظ موسى هامون وهو يحسّن للسلطان أمر يوسف وغراسيا ، وهما سجينان في البندقية ، من جهة المنافع التي تحصل عليها الدولة العثمانية من وجودهما في حمى السلطان ، إذا أذِنَ لهما بالمجيء والاقامة في دولة بني عثمان ، بعد ان طوّفا ما طوّفا في اوروبا ، وعرفا ما عرفا من دخائل امورها، في جيوشها وقصورها «ومحاصيلها، واساطيلها وما بين الملوك من سرّاء وضراء ، ومطامع ومطامح ، وظلّ السلطان هو المرهوب !

* * *

لما قام هرتزل سنة١٨٩٧ بخططه الجديد بعد المؤتمر الصهيوني العالمي الاول، يطلب ان يعطى فلسطين ليكون لبني قومه فيها دولة ، بعد شتات ١٩ قرناً، اخذ هرتزل يتقرب من ثلاث دول ، الواحدة بعد الاخرى :

فأولاً ، تقرب من عبد الحميد ، وعرض عليه المغريات كلها ، والتي هي من المفروض ان تجعل عبد الحميد يرقص لها طرباً :

١ – انشاء جامعة علمية في القدس تغني الشباب التركي عن الذهاب الى اوربا للتحصيل العالي ، فيكون التحصيل هنا في جامعة القدس «عثمانياً» ، لحمته وسداه الولاء للسلطان . وبهذا تجف مادة «الأحرار» الشاربين والذين يشربون من مياه «مدحت» وتختنق شعارات «الحرية» .

٢ – الصهيونية تجعل سياستها الخارجية تسير على المخطط الذي يرتضيه السلطان بوجه عام .

٣ – تساعد الصهيونية الخزانة العثمانية في بناء اسطول وتجديد اسطول ، وتقوية السلاح الحربي .

٤ – تكون الصهيونية في فلسطين درعاً للسلطان ، اذا ناوأه يوماً العرب وطلبوا منه ما فيه ازعاج له .

٥ – تقوم الصهيونية بمساعدة السلطان في قضاياه الدولية ، مع الدول الكبار .

هذا ما تناقلته المصادر من ضروب مغريات هرتزل المعروضة على عبد الحميد قبل اليوم بسبعين سنة .

* * *

فلما فشل هرتزل في هذا انقلب الى بريطانيا وجعل معروضاته المغرية هكذا:

١ – تكون «الصهيونية» شرقي ترعة السويس ، في فلسطين ، قاعدة لحماية الترعة في أي وقت .

٢ – نشر التجارة البريطانية في الشرق .

٣ – والثقافه الانكليزية ايضاً .

فلما فشل هرتزل في هذا انقلب الى المانيا وجعل معروضاته المغرية هكذا:

١ – مصالح المانيا والمصالح الصهيونية يمكن أن تكون في اتجاه واحد .

٢ – اذا كانت المانيا بحاجة الى قاعدة مقابل ترعة السويس ، ففلسطين بيد الصهيونية هي هذه القاعدة .

٣ – نشر التجارة الالمانية على أوسع نطاق ممكن .

٤ – اما الثقافة الالمانية ، افليس ان الالمانية وقد كانت اللغة المعتمدة في المؤتمرات الصهيونية ، هي الدليل على ان الصهيونية تنشر هذا في العالم الشرقي نشراً تقصر عنه ثقافات اخرى ؟

٥ – وهذه المساعدة من المانيا للصهيونية تجعل المانيا نائلة قصب السبق في الانسانية الراقية .

ولما جاء نابليون مصر قبل اليوم بنحو ١٦٩ سنة ، وخال اليهود انه قاطع على الانكليز طريق الهند، ولاح لهم ان الرجل سيقلب تاريخ الشرق، عرضوا عليه ، اذا اعطاهم فلسطين ، فهم يقدمون :

١ – أي تعويض مالي يريده نابليون .

٢ – اليهود يحصرون التجارة التي بينهم وبين الهند ، بينهم وبين التجار الفرنسيين فقط .

فلم يتم وقتها شيء من تحقيق احلام نابليون ولا احلام اليهود .

فانظر كيف يدورون مع كل دولة المدار الذي يماشي مصالحها ولو كان ذلك على النقيض مما عرضوه على الأخرى في الوقت نفسه .

* * *

نعود الى غراسيا ويوسف .

وما كاد يوسف يحط رحاله على ضفـاف البوسفور ، « اسلامبول » حتى اعلن ارتداده الى اليهودية ، وهنا «اليهودية» انفع لسليمان من « المسيحية » ولا حاجة بيوسف الى ان «يسلم» . لكن هرتزل لما كان يفاوض عبد الحميد ، قال له مما قال : « ان اليهود حلفاء طبيعيون للمسلمين ضد النصارى » . ويقال ان هرتزل جعل هذه «العاطفة» تقدم الى السلطان في آخر سلاسل الحوار . بين قصة يوسف منده مع سليمان ، وقصة هرتزل مع عبدالحميد ٣٤٤ سنة .

* * *

وما نوجزه الآن بعضه من المصادر اليهوديـــة وبعضه الآخر من دائرة المعارف البريطانية :

لما وقع النزاع على العرش العثماني بـين ابني سليمان ، سليم وبايزيد ، وسليم في ولاية كوتاهية ، وبايزيد اصغر من اخيه وألمع ، تبنى يوسف منده قضية السلطان من البداية ، ونجح في ان اكتسب عطف السلطان وثقته في دفقات غزيزة ، لا رشفات . وجنح الى سليم . ولما وقعت المعركة المنيفة الحاسمة في قونيه ، ُهزم بايزيد وفرّ الى بلاد العجم (ايران) وهناك اغتيل مـــع ابنائه الاربعة ، فكافأ سليم ،مستشاره الحكيم يوسف بأن جعله في الحرس السلطاني. هذا ما تقوله المصادر اليهودية ، في اخطر «لعبة» يهودية في بلاط سليمان القانوني . والقارىء مهما يكن يقظاً قد تخدعه الروايات اليهوديه ، وهذا الذي ذكرناه من امر مكافأة يوسف وارد في دائرة المعارف اليهودية وكتب يهودية اخرى . وقد يحسب القارىء ان هـذه المكافأة ليس وراءها شيء ، فعادة الملوك والسلاطين والامراء ان يمنحوا الجوائز والمكافئآت ، وقـد علا يوسف منده في اخلاصه وولائه لسليمان وسليم ، افلا يكافأ ؟ بلى ، ولماذا لا ، لكن علينا ان ننتظر ما في الغيب . فقد يكون هناك ما هو ادهش مـــا لا يزال تحت الغطاء ، لان الحوادث المخططة انما العبرة بنتائجها ، والنتائج ، لا تقع الا باوقاتها ، ولا عبرة ان طال الوقت بين مرحلة واخرى، او حلقة واخرى

من حلقات السلسلة . وكم من مكايد يهودية في القصور دفنت ولم تزل حيث هي لم يفتح تابوتها بعد ، ولم يعلم الناس عنها شيئاً ، فعلينا الآن ان نسأل : امكن ان نعلم شيئاً من صحة قول نابليون الذي قاله بعد هذا التاريخ بأكثر من قرنين من الزمن : «فتش عن المرأة» ، ولو كانت البروتوكولات ظهرت في حياته لقال « فتش عن المرأة اليهودية » او اقرأ البروتوكولات اذ نابليون نفسه انقلب عليه اليهود بالتالي وكانوا اكبر عامل خفي في هزيمته النهائية في معركة «واترلو» في بلجيكا سنة ١٨١٥ ، وفي البروتوكولات تبجح يهودي بان مهندسي الثورة هم يهود ، والثورة الفرنسية كانت عواملهـــا الخفية بيد الجمعيات اليهودية السرية ، وكان مركز هذه الجمعيات في المانيا .

***

توفي سليمان القانوني في ٥ سبتمبر (ايلول) ١٥٦٦ فكانت مدته ٤٦ سنة ، وهذه من المدد الطوال لبعض سلاطين بني عثمان . ويكون يوسف منده قد عاش لا اقـل من ١٣ سنة الى جانب سليمان القانوني ، وما هذه المدة بالقليلة حقـاً !

قلنا انه بعد ان ظفر سليم باخيه بايزيد في كوتاهية ، قام سليمان وسليم بان جعلا يوسف في الحرس السلطاني ، وهذه هي الرواية اليهودية . لكن المكافأة كانت اعظم من هذا واضخم: كانت كاشفة عن مآرب يوسف منده في فلسطين وتكمّل الرواية اليهودية خبر المكافأة فتقـول بعد ذلك مباشرة ان السلطان سليمان اعطى يوسف طبريا مع سبع قرى مجاورة ، وملّكه كل هـذا الاقليم ليستغله يوسف ويستعمره ويستثمره لمصلحة اليهود . ثم تقف الرواية اليهودية عند هذا الحد ، وتنتقل فوراً لتخبرنا ماذا صنع يوسف في طبريا، في مشروعه لنقل اليهود المطرودين من اسبانيا والبرتغال الى فلسطين عن طريق ايطاليا ، واين افلح واين فشل ، واسباب ذلك ، ثم تظل الرواية اليهودية ماضيـــة باخبارها عنه حتى نهاية حياته ، مسدلة الستار عما تريد ستره او تخفيته .

اما استيفاء بقية اخبار يوسف من الرواية اليهوديـــة فضروري ، لكننا

قبل ذلك نوجز من المصادر غير اليهودية ما نستطيع العثور عليه ومعظمه من حوادث سليمان وابنه سليم .

ذكرت دائرة المعارف البريطانية ان السلطان سليمان لانه كان وحيداً كان في عافية من فتن التنافس على العرش ، وبدأ عهده باطلاق سراح الاسرى ، واعادة الاموال المصادرة الى اربابها التجار الذين كانوا يتاجرون مع ايران ايام ابيه . لكن سليمان لطخ سيرته بقتله ولديه . اما ما يتعلق بمقتل الاكبر ، مصطفى ، فالسبب استقواء نفوذ السلطانة « خرّم » زوجة سليمان المشهورة وهي المعروفة في التاريخ الاوروبي باسم « روكسلانة » ، حتى لا تدع لولديها منافساً . وفي عهد روكسلانة بدأ ان يكون للنساء تدخل ونفوذ في شؤون الدولة. ويقال انه كان لروكسلانة يد في مقتل الصدر ابراهيم باشا حتى ينتقل النفوذ الى صهرها رستم باشا .

وذكرت « موسوعة تاريخ العالم » ان السنوات الاخيرة من حياة سليمان كانت مرّة بسبب المشاحنات العائلية ونصب المكايد . فقامت زوجته روكسلانة [١] وصهرها الصدر الاعظم (رئيس الوزراء) رستم باشا ، بتسميم افكاره من جهة ولده مصطفى فقتله سنة ١٥٥٣ ثم شجر الخلاف بين ابني روكسلانة ، سليم وبايزيد ، فقام بايزيد بالسلاح سنة ١٥٥٩ وطلب الامر لنفسه ، لكنه هزم في قونية وفر الى ايران فاغتيل هناك كما سبق ذكر هذا في الصفحات القريبة ، والذي قام بالاغتيال اعطاه سليمان جائزة مالية . ثم اخذت الازمات تستشري في السلطنة ، وهي اعظم امبراطورية في اووربا ، وبلغت الذروة فلاحاً وتقدماً ، فلما مات سليمان كانت مملكته قد اصبحت معرضة للهجوم عليها من الدول الاوروبية واستلابها املاكها ، وما حال دون هذا الا انغماس تلك الدول في النزاع السلالي والخلاف الديني المسيحي .

---

(١) دائرة المعارف البريطانية تقول ان روكسلانة من سبي روسي ، ويحتمل ان تكون ابنة قسيس ، وتقول الموسوعة لعلها من سبي روسي ايضاً . لكن اصحيح انها ابنة قسيس روسي ام انها من اصل يهودي ؟ وهي تشبه استير في بلاد احشويروش الفارسي في تمثيل ادوارها في البلاط العثماني ، ويوسف ناسي هو مردخاي ، لكن هنا لا هامان العربي العماليقي ، الذي دبر محو اليهود فلقي الفشل .

هذا ما تقوله « موسوعة تاريخ العالم » . ثم تمضي فتقول ايضاً :

« اما السلطان سليم الثاني (١٥٦٦ — ١٥٧٤) فكان ذكياً ألمعياً لكنه مفرط في تعاطي الخمرة . وانتاشه نفوذان يتجاذبانه : الاول الصدر الاعظم محمد صوقللي (١٥٦٠ — ١٥٧٩) واتجاهه استمرار توطيد السلم مع البندقية، واستمرار الحرب مع اسبانيا (وكان انعقد صلح بين سليم ومكسيميليان سنة ١٥٦٨) والجاذب الآخر هو يوسف ناسي (وصار يقال له في الموسوعة « الدوق » ، ويظهر ان لقب ناسي لعبريته اندمج بالاسم يوسف اندماجاً لا يتبين معه ان « ناسي » لقب لا اسم علم) زعيم اليهود المطرودين من اسبانيا وايطاليا والمقيمين اليوم في الآستانة وسلانيك وأدرنة وغيرها من المدن العثمانية ويعدون بعشرات الالوف [١] .

* * *

وتمضي الموسوعة فتقول : « امـا دوق نكسوس (نكسوس اسم احدى الجزر) فقد جـاء الآستانة سنة ١٥٥٣ وموّل سليماً في حروبه مع اخيه بايزيد ، ومقابل هذا ، فان سليماً اغرى سليمان اباه بأن يهبه الاقليم المحيط ببحيرة طبريا، حيث كان يوسف يدبر هناك مشروعاً لاسكان اليهود المطرودين من ايطاليا في تلك النواحي . وفي سنة ١٥٦٦ منحه سليم لقب حاكم نكسوس والجزائر الاخرى في بحـر ايجه ، وكان ناسي يحمل عداوة شديدة لفرنسا والبندقية لاسباب شخصية . (لا نعتقد ان الاسباب شخصية بل تتعلق بمصالح اليهود) « فالموسوعة التاريخية » تصرح بأن يوسف قد موّل سليماً ، فهذا سكتت عنه المصادر اليهودية .

وسنة ١٥٧٠ حرّض يوسف، او دوق نكسوس ، السلطان على ان يحارب البندقية اثر رفضها ان تتخلى عن قبرص ، وقبرص كان ناسي يريدها لنفسه ،

(١) راجـع « رحلة بنيامين » لعزرا الحداد : مادة سلانيك ، والقسطنطينية حيث تجد تفصيلاً لوجود اليهود الواسع في هذه الاماكن بعد الطرد من اسبانيا .

فبعد ان تهزم البندقية وتؤخذ منهـــا قبرص ، يضع يده هو على الجزيرة ، ويتخذها ملاذاً وملجأً لاخوانه المطرودين من اسبانيا ، وأجّجت نار الحرب فعلاً ، وحالفت اسبانيا البندقية في غمراتها البحرية ولكن التحالف لم يكن محصف العقدة ، فكانت حركته جد بطيئة ، ومـــا وصلت الأساطيل الى قبرص الا متأخرة ، وفي السنة التالية ١٥٧٨ نجح البابا بيوس الخامس في شن حرب صليبية على الاتراك بقيادة دون جوان النمسا ، ولم يستطع الاتراك أخذ «فماغوستا» الا بعد حصار استمر ١١ شهراً وهجوم عنيف تكرر ست مرات. وبعد نحو شهرين ، احتشدت الاساطيل المتحدة ، مقـــابل اساطيل الاتراك بقيادة عالي باشا ، فدارت الدائرة على الاتراك وكانت هذه الموقعة البحريـة اشد موقعة بعد موقعـــة « اكتيوم » (قبل الآن بنحو ١٦ قرناً) فترنحت اوروبا طرباً لكنه كان طرباً عابراً ، اذ سرعان ما عاد التنافس بين الاسبان والبنادقة اشدّ منه سابقاً ، غير ان الاتراك استطاعوا بسرعة فائقة ان يبنوا اسطولاً جديداً ، وبقيت قبرص بيد الـترك حتى ١٨٧٨ اي نحو ٣٠٠ سنة حتى قدّمها عبد الحميد شبه هدية الى بريطانيا في يونيو من تلك السنة . ألا ترى يوسف ناسي يروح ويغدو وراء كل هـــذا لـكي يصل الى قبرص ، ثم فلسطين ؟

بعد هذه المدة بقليل اختفى يوسف ناسي في الظاهر ، لكن بقيت شباكه تلقى واصابعه تلعب ، وتوفي السلطان سليم سنة ١٥٧٤ ثم جاء السلطان مراد الثالث (١٥٧٤ — ١٥٩٥) فانعقد الصلح بين تركيـــا واسبانيا ، وفي ايام السلطان مراد دخلت المملكة في دور التقلص والجزر . وصار السلاطين وراء مشتهياتهم ، وفسدت الاحكام ، والامر بيد وزراء ينهش بعضهم بعضاً ، ثم ظهر دور الطغمات المتحكة ولا سيا من اليهود واليونان، واستقوت الانكشارية، والنساء بطانة كل مكيدة . وكان صوقللي حصيفاً مصلحاً ، ووقف في وجه يوسف ناسي ، غير ان السلطان مراداً اعرض عن نصائح صوقللي ، فدبّت

الفوضى ، وبعد قليل اغتيل صوقللي ، واتهم السلطان بقتله ، لكن اصابع طغمة ويوسف ناسي بارزة مرئية . وآخر مـــا نذكره من اعمال اليهود قبل العودة الى تكملة سيرة يوسف ناسي ، هو هذا : بينما الفوضى عامة والفساد ضارب اطنابه ، والناس في مخاوف ، ظهر بطريقة مريبة نَقْدٌ سمي «بالنقد اليهودي » او « العملة اليهودية » ، فاشتبه الناس بذلك فرفضوا التعامل بذلك النقد ، وكان الانكشارية اول من رفض ذلك ، وكانت بعد ذلك فتن صماء ، واستمرت الحال على هـــذا المنوال الى سنة ١٥٩٣ وكان يوسف ناسي وراء احبولة ذلك النقد . ولنعد الى مساق الكلام على هذا الرجل « الحكيم » من « حكماء صهيون » .

* * *

وقفنا في الاخذ من المصادر اليهودية عند منحه طبريا وجوارها من السلطان، ونعلم بعد ذلك من هذه المصادر ان يوسف اوفد الى طبريا رجلا اسمه يوسف بن أضرات يثق بـــه ويعتمد عليه ، مزوداً بفرمان سلطاني ، ومحمّلا المقادير [illegible]ة من المال ، ومعظم هذا المال من ثروة غراسيا – (غراسيا ! [illegible] قبل عدة مراحل ، ما عدنا سمعنا بها [illegible]ن فاين كانت ؟ كانت وراء الستار) – ومهمة ابن اضرات ان يجدد سور المدينة ، طبرية [1] ولما شرع في ذلك ، انبرى لمقاومته – وهنا ننقل الكلام حرفياً : « العمال العرب الذين حركهم الحسد من ناحية ، والتحريض من احد المشايخ الكبار من ناحية اخرى ، لكن ابن اضرات تمكن بالتالي من اتمام العمل بمساعدة والي دمشق . وفي اثنـــاء الحفر عثر على سلالم درج من حجر ، يؤدي الى كنيسة بناؤها من عقود ، وفي

---

(١) طبرية يقدسها اليهود لا لعلة دينية في الاصل ، بل لانها اصبحت بعـــد خراب القدس والهيكل مقر السنهدرين من القرن الثاني الى الرابع وقرب الخامس بعد الميلاد . وطبرية احدى المدن الاربع في فلسطين يقدسها اليهود وهي القدس والخليل وطبرية وصفد . باني طبرية الملك هيرودس انتيبا سليل هيرودس الادومي النصف عربي سنة ١٦ ميلادية تكريماً للقيصر طيباريوس وفي « حطين » قرب طبرية ، انتصر صلاح الدين على الصليبيين انتصاره الكبير المدهش .

الكنيسة مقادير كبيرة من تماثيل رخام وثلاثة اجراس يرجع تاريخها الى الملوك الصليبيين في القدس ، فسبكت هذه الاجراس مدافع . ولكي يرقّي يوسف الصناعات في فلسطين فقد قام بادخال زراعة التوت لجني الحرير واستجلب النسيج والقماش من البندقية .واصدر منشوراً الى اليهود يخبرهم ان كل مضطهد منهم بيده صنعة او له ميل لتعاطي الزراعة ، بوسعه الآن ان ينتقل الى فلسطين ويقيم فيها .. فانتقل اليهود الذين كانوا قد لاقوا العذاب في عهد البابا بولس الرابع (١٥٥٥ — ٥٩) في البندقية وجاؤا طبرية في سفن يملكها يوسف ناسي .

ثم تمضي هذه المصادر بوصف التدابير المتعلقة بنقل المطرودين الى طبريا حتى تقول ان البابا بيوس الخامس (١٥٦٦ — ١٥٧٢) اصدر مرسوماً هو المرسوم المشهور (١٥٦٩/٢/٢٦) يقضي بطرد اليهود من الممالك البابوية ، وحتى تقول ايضاً ان سفينة كانت تقل اكثر من مئة مطرود اصطادها قراصنة مالطة وباعوا من فيها من اليهود بيع الرقيق .

* * *

ولما تسنم سليم العرش ١٥٦٦ بعد وفاة ابيه ، وكان سليم يحب اللهو ، ولنلاحظ هذا ، وصل نفوذ يوسف ناسي الذروة ، ولما عاد سليم من بلغراد ، منح يوسف الولايه على جزيرة نكسوس مع عدة جزر اخرى في بحر ايجه ، فتولى يوسف الحكم على هذه المجموعة بواسطة وكيل له مسيحي اسباني اسمه فرنسيسكو كورونلو ، وانما اختار وكيله مسيحياً لكي يحول هذا المسيحي دون وقوع النزاع بين يوسف واهل الجزر[1] اليونان . وراح يتحبب الى السكان اليونان بتخفيف الضرائب عنهم ، فما رتب عليهم للخزانة السلطانية اكثر من

(١) قلنا : هذا كلام للتغطية ، والامر ظاهر ، فان كراهة اهل الجزر ليوسف ، وليس من الغرابة هذه الكراهة ، أخافته مع ما هو عليه من اللياذ بكنف السلطان ، فحرصاً منه على حياته ومصالحه ومصالح قومه اليهود ، جعل الحكم عن طريق وكيله المسيحي . اذ متى كان اليهودي ويهودي مثل يوسف ناسي يؤثر مسيحياً على يهودي ؟

١٤ الف دوكة سنوياً (الدوكة عملة كانت شائعة في معظم اوربا فاذا كانت من ذهب ساوت نصف جنيه وان كانت من فضة ساوت ثلث الذهب تقريباً) ومنحه السلطان ما يجبى من رسوم الخمور المستوردة من البحر الاسود .

وتقول الرواية اليهودية ، انه مع الحسد والمكايد من الصدر الاعظم محمد صوقللي ، فقد كان نفوذ يوسف عند السلطان سليم من الضخامة بحيث كانت اليه المراجعات من ممثلي الدول الاوربية ، فيرون احياناً ان يوسطوه في قضاء مصالحهم لدى السلطان . ولما رغب مكسيميليان امبراطور المانيا في عقد الصلح مع السلطان (١٥٦٧) لم يغفل عن اصدار الامر الى سفيره بأن يقدم هدايا الى يوسف كما يقدم الى غيره من اركان الدولة. لكن السفير لم يفعل هذا بل اقترض من يوسف مالاً وفي سنة ١٥٧١ أرسل اليه الامبراطور كتاب شكر بخط يده .

* * *

وفي سنة ١٥٦٦ شجع يوسف مجلس البروتستنت في انفرس ليقاوموا الملك الكاثوليكي في اسبانيا، واظهر لهم عداوة السلطان سليم له . فأرسل وليم اورانج (١٥٦٩) رسولاً سرياً الى يوسف يعلمه ان قيام اهل البلاد الواطئة بالثورة على ملك اسبانيا ينبغي ان يقرن بحرب من السلطان يشنها على اسبانيا ، حتى تضطر اسبانيا الى سحب جيوشها من البلاد ، وجرت بين يوسف «وسجسموند اوغست» الثاني ملك بولونيا مراسلات ودية حارة ، واقترض الملك منه مبالغ كبيرة سنة ١٥٧٠ فكافأه على ذلك بمنحه امتيازات تجارية واسعة ، رغم ان مجلس مدينة لمبرغ احتج على منح تلك الامتيازات .

* * *

وفي اول ايلول ١٥٦٩ شبت حرائق شديدة في البندقية، فألح يوسف على السلطان باحتلال قبرص وفتحها . ودخل سليم في حرب مع البنادقة وسلبهم قبرص سنة ١٥٧١. وهناك رواية ان سليم وهو يوماً غارق في سكره وملذاته،

وعد يوسف بلقب ملك قبرص ، فعلّق يوسف شعار السلاح الملكي في بيته ونقش اسمه فيه . ومهما يكن أمر فان سليماً لم ينفذ وعده .

* * *

وفي سنة ١٥٦٩ ايضاً منح السلطان يوسف حق مصـادرة جميع السفن الفرنسية الماخرة في المياه العثمانية ، وحق ارتهانها ، حتى يستوفي (يوسف) ما له من دين على فرنسا وهو ١٥٠ الف سكودي (السكودي عملة ايطالية قديمة تساوي نحو اربعة شلنات) وكانت فرنسا تماطل في الوفاء ، فضبط يوسف السفن في الاسكندرية وباع وسقها بسداد دينه ، هذا رغم احتجاج السفير الفرنسي الى السلطان . وحاولت فرنسا الانتقام استرداداً لشرفها فَرَشَتْ رجلاً يهودياً حقيراً اسمه داود لكي يتهم يوسف بالخيانة العظمى ، ولما اطلع ناسي على هذه المكيدة أقنع السلطان بصحة ولائه له ، فنفي داود ومن يناصره الى رودس وطلب يوسف من الحاخامين أن يرموا داود ورفقته بالحرم الديني فحرموه .

* * *

ولما توفي السلطان سليم (١٢ كانون الاول ١٥٧٤) فقـدَ يوسف نفوذه السياسي مع انه قد استبقي في ديوانه وهو باقٍ على مرتباته ، وقضى بقية حياته في عزلة في قصره في بلفردي ، ومات بلا عقب ، فاستولى السلطان مراد على تركته باغراء محمد صوقللي . ورثاه الشاعر سعديا « اليهودي التلمودي » وألف أحدهم كتاباً في ذكراه .

وكان يوسف ناسي سنداً وعضداً لعلماء التلمود الذين في الاستانة وهم تابعون لمعهد اسمه « يوسف بن لب » نزولاً عند رغبة غراسيا . وكان ليوسف مكتبة في بيته ، وأباح للجمهور الاستفادة من كتبها المخطوطة ، وأسس مطبعة يهودية في الاستانة فعاشت زمناً قصيراً . ويقال انه نتيجة لما كان يقع في قصره من المناقشات والمحاورات ، فقد حمله ذلك على ان يضع كتاباً منطوياً

على علم الكلام اليهودي أثبت فيه ان التوراة أصح من الفلسفة اليونانيـــة . وكأنه أراد بهذا السير في ظلال فلسفة فيلو اليهودي الفيلسوف الذي كان في الاسكندرية وكانت له آراء في أن اليهود الموزعين في شرقي البحرالمتوسط (المملكة الرومانية) اوطانهم انما هي البلدان التي يقيمون فيها ويعتاشون ، وأما بيت المقدس فهو مركزهم الروحي لا اكثر . أما يوسف منده وحكماء صهيون فيريدن تطبيق مخطط يهودي عالمي مركزه فلسطين ، وانمـــا أراد ابن منده بتأليف هذا الكتاب الاعلاء من شأن التوراة

* * *

ولا نحسب ان القارىء يحتاج الى مزيد اكثر مما تقدم ليستخرج من سيرة يوسف منده هذه نموذجاً واسعاً من العقل الاحتيالي اليهودي الجبار ، وفي كل جزء من هذه التفاصيل الغزيرة ، موضع عبرة ودرس . هذه قوافل « حكماء صهيون» ! عنصر المكيدة ، والأنانية ، واحدٌ من عهد استير الى عهد غراسيا وما بعد وهو اللعب بالسلاطين ، وشهوات النفوس فن احتكره اليهود . وفي النهاية بوسعنا ان نضع يوسف منده في هذا الاطار :

١ – هو صورة من روح التلمود ، وتعاليمه الخفية .

٢ – يرينا انه يعمل بدأب وراء غاية ولا يتراجع عنها ، ويظل مرصداً لها الحيلة ، والعقل ، والمال ، والجمال والمرأة ، حتى يظفر بمراده .

٣ – انظر ! فان رئيس الوزراء محمد صوقللي كان يتعب بسببه .

٤ – « السنهدرين » الذي تكلمنا عنه ، لم ينقطع وجوده في الخفـــاء ، فيوسف منده لا ريب ينبغي أن يكون هو رأس السنهدرين في زمنه ولقب ناسي لم يعطَ إلا لرؤساء السنهدرين وبعض كبار الاحبار كما قلنا ، لا غير .

٥ – انظر كيف كان يتلاعب بالسلطان ومشتهياته ، وقد موّل السلطان في حربه مع اخيه . ومن اغتال بايزيد في إيران ؟

٦ - « حكماء صهيون » اليوم هم في العالم السنهدرين المتسلط على الاجهزة الخفية نعلمهم من أعمالهم ومخططهم .

٧ - قوة « اسرائيل » في الجزء المحتل في فلسطين مستمدة من نبعين : الأول الكيان الدولي الباطل الظاهر ، مستوية فيه مع سائر الدول مثيلاتها في الحجم والوزن. والثاني أجهزة اليهودية العالمية الخفية وهذا هو السر الأول والاكبر . وفي الأمة العربية كامن القوة في آسيا وافريقيا ، ما هو كفيل بأن يجعل العالم يشهد على ايدي العرب تعطيل الآلة اليهودية ، الجرمة المخربة ، ظاهرها وخفيتها ، في المستقبل المطل على العرب بآيات جديدة . يتحرك التاريخ ، ولا يحركه في الشرق إلا العرب .

١٤ – موسى مونتفيوري

١٧٨٤ – ١٨٨٤

في سطور قليلة أولاً :

- بين سور المدينة ، بيت القدس ، ومحطة سكة الحديد للجنوب من المدينة تسير الطريق العامة الى بلدة خليل الرحمن .
- هنا عند السور ساحة من ساحات المدينة تسمى « باب الخليل » .
- في الطريق الى محطة سكة الحديد ، وتبتدىء من ساحة باب الخليل ، بناية قديمة مستطيلة ساذجة لايواء فقراء اليهود . هذه البناية انشأها موسى مونتفيوري في الربع الاخير من القرن الماضي .
- عاش هذا الرجل من « حكماء صهيون » مئة سنة .
- كان غنياً كبيراً ، وبعد الاربعين من عمره ، انقطع عن جمع المال وعكف على احياء اليهودية في فلسطين .
- لاحت له الفرصة ان يحقق مشروعه ، لما كان ابراهيم بن محمد علي في الشام مدة نحو ٩ سنوات آخرها ١٨٤٠ وقصته تشبه قصة يوسف منده .
- كان مشروع مونتفيوري ان يستأجر من محمد علي ١٠٠ – ٢٠٠ قرية في شمالي فلسطين ، صفد وطبرية وما اليها ، لمدة ٩٠ سنة على ان يدفع الاعشار المقررة كل سنة سلفاً دفعة واحدة وبزيادة ١٠ – ٢٠ بالمئة على معدل تخمين الاعشار وقتئذ . فوافق محمد علي . وما منع تنفيذ المشروع

سوى : حادث اليهود في الشام من خطف الاب توما الكبوشي وخطف خادمه واستنزاف دمهما وهو حادث هزّ العالم ، وانسحاب ابراهيم من الشام .

- لمونتفيوري قصة مع « دوق كنت » والد الملكة فكتوريا تتعلق بوراثة العرش البريطاني وهي قصة مكر يهودي عظيم .
- لما حكم على اليهود الجناة في قضية الاب توما ، وهم نحو (١٠) والحكم بالاعدام ، استغلّ مونتفيوري الصلة التي له مع القصر ، وحصل سنة ١٨٤٠ على رسالة شفاعة من الملكة فكتوريا الى محمد علي . هذه الرسالة مع المال ، اطلقا سراح الجناة . وهذه التوصية من فكتوريا مكافأة له على ما سبق له صنعه مع والدها على ما نرى الآن .
- سيرة مونتفيوري سيرة احد « حكماء صهيون » .

* * *

ولد مونتفيوري في ايطاليا سنة ١٧٨٤ وعاش مئة سنة ومات في لندن سنة ١٨٨٤ . ويؤخذ من سيرته ان عمه كفله ورباه ، كما كفل مردخاي استير والقصة بين ما صنع مردخاي واستير ، وما صنع مونتفيوري متشابهة، لكن هنا لا يدخل مخطط محو اليهود على يد هامان العماليقي العربي ، بل اليهود اراد مونتفيوري ان يجمعهم في فلسطين .

لما شب عن الطوق ، نقله عمه الى لندن ، ووضعه في اعمال مصرفية على غرار ما صنع يوسف منده وعمته الفاتنة غراسيا ، او استير المستترة في بلاط سليمان القانوني ، وابنه سليم . وضعه عمه في اعمال مصرفية ، وهذه الاعمال من ادق الاساليب عند « حكماء صهيون » للتخريج والتدريب ، وانما جعل عليه رقابته الدقيقة ، ويمده بالارشاد والملاحظات. وتولى مناصب مالية دقيقة في خزانة البلاط البريطاني ، وكانت مهنة الصيرفة العالية الطراز في لندن محصورة في عدد قليل قد لا يزيد عددهم على اثني عشر صرّافاً كبيراً ، وهذه

المهنة تحتاج الى رخصة عاليه ، فحصل مونتفيوري على هذا كله . وهـــذه الرخصة تمهّد الطريق للاتصال بالقصر .

ولما بلغ موسى مونتفيوري حدود الاربعين ، اي حوالي سنة ١٨٢٤ كان قد اسطاع ان يجمع ثروة طائلة . وهنا ، فانه بدلاً من اطّراده في العمـــل المصرفي ، استزادةً للمال ، كما هو المألوف المتوقع في الطبع اليهودي ، انقطع عن ذلك وفطم جشعه في الظاهر ، وختم على اكياسه ، لكن لا عن تحوّل في الغريزة ، بل استجابة لواجب اليهودية .

وقصته تبتدىء وتنتهي رائعة. جبروتها في قوتها الخفية.فكان مونتفيوري صيّاد ملوك كيوسف منده وامثاله ، ممن نقدم نماذج من تراجمهم الموجزة في هذا الكتاب . ونقطة البيكار اصطياد الملوك ، وهم او عروشهم في المآزق الحرجة . والعقدة في جمع ما يمكن جمعـــه من اخبار « حكماء صهيون » في تراجمم ، انهم ، عمداً منهم في القديم والحديث من الزمن ، يخفون مخططهم ، فتخفى على العالم الخارجي اخبارهم ، ولا يذيعون منها الا ما يريدون هم،وعلى الصورة التي يؤثرون،فتدخل الزيادة ويدخل التشويه ، والاختلاق،والتخفية. هذا يوسف مندة ، المثل الذي مررنا به ، وهذا مونتفيوري وسيأتي دزرائيلي وامثالهما العشرات ، بل كل « حكماء صهيون» . غير ان المقدار الذي يحصل عليه العالم الخارجي من اخبار «الحكماء» ، في أي بلد كان ، كافٍ للدلالة على القضايا المبحوث فيها . والامور الباطنية المستورة عند اليهود لا استقصاء لها ولا نهايـــة ، على كل حال ، والوصول اليهـا من الالف الى الياء ، مستحيل في نظرنا .

* * *

وهذا مصدر يهودي فيه قبصة من المعلومات تتعلق بمونتفيوري ، فنقرأ ، ونزن ، ونتأمل . ومن هو هذا المصدر ، الى جانب مـــا عندنا من اخبار مونتفيوري ، واسم مونتفيوري في القدس معروف ؟ هو كتاب « يقظة العالم اليهودي » ليهودي من مصر اسمه « ايلي ليفي ابو عسل » وايلي هو « ايليا »

وليفي هو «لاوي» وابو عسل برهن على انه زقّوم وغسلين . كما سترى الآن
هذا الكتاب ظهر في مصر سنة ١٩٣٤ فيطبعته الاولى(وطبع بمطبعة«النظام»
واطلع عليه كثير من العرب) ومما قال مؤلفه في المقدمة :«واني أشعر بشيء
فيه كثير من الغبطة لبلوغي هذه الامنية ، اي لكشفي النقاب عن حقائق
كانت في ظلمات التاريخ ، فظهرت في وضح الضحى سافرة الوجه يراها
ويتمعنها كل من له ألمام باللغة العربية اية كانت عقيدته » .

والكتاب في نحو ٣١٥ صفحة ، مرماه وغايته الاشادة بذكر اليهودية
والصهيونية والاشادة بسير الوطن القومي في فلسطين وايجاز تراجم عدد كبير
من الشخصيات اليهودية الصهيونية ، والنقطة الكبرى في الكتاب كله هي
نسجهالة لماعة حول الصهيونية وهي تبني « القوطن القومي اليهودي » في
فلسطين ، وممن تناولهم هذا الكتاب موسى مونتفيوري .

١ – تبتدىء القصة بالملك جورج الثالث (١٧٦٠ – ١٨٢٠) فقد انتابته
شدائد جعلته ينحلّ فخولط في عقله،وفي سنة ١٨١١ نحّيعنالملك ، وجيء
« بالبرنس اوف وايلس » وصياً على العرش ومات الملك جورج الثالث سنة
١٨٢٠ .

٢ – تولى العرش بعد جورج الثالث ، ابنه جورج الرابع سنة ١٨٢٠ ،
وهذا كان قد تزوج من « كارولين اوف برنسويك » سنة ١٧٩٥ زواجاً لم
يرض عنه الشعب وبعد زواجه انفصل عن أبيه ، ولما ارتقى العرش سنة
١٨٢٠ كانت زوجته تقيم في القارة ، فجاءت لتكون الملكة ، فتلقاها الشعب
بالنقمة والسخط فطلقها الملك . وبقي جورج الرابع على العرش الى ١٨٣٠

٣ – بعد جورج الرابع تولى العرش اخوه وليم الرابع (١٧٦٥ – ١٨٣٧)
ولما مات ١٨٣٧ جيء بفكتوريا (١٨١٩ – ١٩٠١) وهي ابنة «امير كنت
(او دوق كنت) جدها جورج الثالث وكل من جورج الرابع ووليم الرابع
عمها . وتولت العرش من (١٨٣٧ – ١٩٠١) اربعاً وستين سنة ، وبها
انطبع عصر بكامله في بلاد الانكليز . وموسى مونتفيوري انما كانت«حكمته»

« ويهوديته » يدوران حول فكتوريا ، وأخبار كهذه تكمن في زوايا القصور لا تجد سبيلهــا الى التاريخ الا بعد مدة ، وبعد التمحيص والغربلة ، لترتبط الحوادث بأسبابها الطبيعية الصحيحة .

٤ – من المفيد ان نجلو مسألة فكتوريا ، وكيف انتهت الى العرش ، وهـــذا الجلاء يلقي ضوءاً ليس بالقليل على استعداد العقل اليهودي العَلـَقي الممتص ، للانسياب الى الزوايا في القصور ، وعرض الولاء والخدمة ، وهذا كله بذور ، لكي تجنى من ذلك الثمرات في يوم مقبل .

٥ – فكتوريا اسمها الكامل « الكسندرينا فكتوريا » بنت دوق كنت ، ابن الملك جورج الثــالث . جورج الثالث هو حفيد جورج الثاني ابن جورج الاول الالماني الاصل ، اذ كان امير هانوفر في المانيا . والدة فكتوريا ، لويزا فكتوريا بنت دوق الماني ، واخت ليوبولد الاول ملك البلجيك . فكتوريا ، وقـــد ولدت في ٢٤ مايس ١٨١٩ ، مات والدها وهي في الثانية ، فقامت والدتها على تربيتها احسن تربية ، واختارت لتربيتها البارونة لهزن ، وهذه المانية من أعقل المربيات في العالم . لمــا بلغت فكتوريا الحادية عشرة تعلمت عدة لغات من المانية وفرنسية وايطالية حتى اللاتينية ، وأتقنت آداب اللغة الانكليزية . وبرعت في الفنون الجميلة ، واعتنت بالدين خاصة . فتكامل لهـا من حسن الشمائل النسوي ما اهّلها للملك ، خير تكامل .

٦ – وما نقوله هنا في هذه الفقرة ، على غاية الاهمية . ولنتذكره عندما نأتي الى مونتفيوري وثعلبيته . فان والدة فكتوريا ادركت ان العرش سيؤول الى ابنتها :

فعمها جورج الرابع مات بلا عقب .

وخلفه عمها الآخر وليم الرابع ، وهذا كان له بنتان ماتتا في حياته .

فجعلت امها ، والبارونة المربية ، تذكران على مسمع منها في المناسبات الجميلة ، انهـــا ستكون الملكة يوماً ما . ويوماً ما ، وقع نظر فكتوريا على

« شجرة » الملك ، في ورقة وضعت في كتـــاب كانت تحب المطالعة فيه ، فلاحظت من « الشجرة » انها هي المطلة على العرش . فقالت : انني اقرب مما كنت اظن . ثم قالت : ان الملك شيء عظيم ومجده كبير ، لكن اعباءه أكبر وأعظم . ثم قالت للبارونة المربية : « الآن علمت سبب الحاحك علي ان أتعلم اللاتينية » .

٧ – مات عمها في منتصف الليل (٢٠ يونيو ١٨٣٧) فحضر اليها رئيس الاساقفة ، ومركيز ، وأحد الاطباء ، وكانوا قد حضروا موت عمها . ولما اوقظت ، وعلمت بالخبر طلبت من الاسقف ان يصلي . وأول آية من آدابها ، انها تناولت ورقاً وكتبت رسالة تعزية الى امرأة عمهـا ، خاطبتها فيها بلقب « صاحبة الجلالة » ، حتى لا تكون هي اول من خاطب امرأة عمهـــا بغير هذا اللقب بعد وفاة زوجها الملك . ونودي بها الملكة في اليوم الثاني،واحتفل بالتتويج بعد سنة .

٨ – من حسن الفأل يوم تتويجها ، بأبّهة فائقة ، ان ذلك اليوم كان مطيراً ، والغيوم متلبدة ، والقوم في الـكنيسة ، وهي في كرسيّها ، وبعد قليل سيوضع التاج المرصع بالجواهر على رأسها ، واذا بالغيوم تنقشع لحظات ويسطع نور الشمس من النوافذ ، ويقع الشعاع على التاج وهو يوضع على رأسها فتألقت الجواهر ، فعجب الناس من هذا ، وعدّوه بشائر خير .

٩ – زوجها هو ابن خالها ، ليوبولد ملك البلجيك ، والزواج كان سنة ١٨٤٠ . ولما كانت حفلة مراسم الزواج تقام في الكنيسة ، وتهيـــأ الاسقف ليقرأ من الكتاب المقدس الفصل الذي تؤمر فيه المرأة بطاعة الزوج ، سألها هل تبيح له ان يقرأ ذلك الفصل فأجابته برزانـــة : « انني اقترن امرأةً لا ملكةً فلا تتخطى شيئاً من كلام الكتاب» وكانت تعامل زوجها معامـــلة الزوجة الفاضلة ، وعاشت معه ٢١ سنة .

١٠ – ومما يروى : ان شيئاً من الاغبرار وقع بينهما – الزوج والزوجة – وهذا قلما يخلو منه بيت ، وبينما هو في مكتبه احبت ازالة الاغبرار ، فجاءته

وقرعت الباب فسأل : من ؟ فأجابت : الملكة . فاستمهلها ومضى يعمل الى منضدته . وانتظرت ثم عادت فقرعت الباب ثانية ، فسأل : من ؟ فأجابت : الملكة وامبراطورة الهند ، فاستمهلها ثانية . ثم عادت فقرعت الباب لثالث مرة فسأل : من ؟ فأجابت فكتوريا زوجتك ! فهب لاستقبالها بحفاوة قائلاً : اهلاً بسيدتي وزوجتي العزيزة !

١١ – من كلامها المأثور عنها : « السر في عظمة بريطانيا هو الكتاب المقدس » . « التجارة وحدها لا تجعل الامة عظيمة وسعيدة ، وانكلترا انما بلغت من العظمة بمعرفة الاله الحقيقي » .

١٢ – من عظماء الانكليز الذين كانوا من وزرائها : لورد ملبورن . سر روبرت بيل (جد لورد بيل رئيس لجنة التحقيق الملكية في فلسطين ١٩٣٦ – ٣٧) . لورد جون رسل . لورد بالمرستون . لورد بيكنسفيلد – (هو دزرائيلي او «بن اسرائيل» اليهودي المتنصّر ، الآتية ترجمته بعد هذا) ارل اوف دربي . غلادستون . لورد روزبري لورد سالسبري .

١٣ – جاءها رئيس الوزراء يوماً بمشروع خطير للتوقيع عليه بالموافقة وكانت هي غير مقتنعة به ، وراح رئيس الوزراء يحاول اقناعها وان المشروع عظيم الخطورة للأمة ، وهي تستمع اليه ، فلما فرغ من الكلام قالت له : ان اخطر المسائل لدي واهمها ان اوقع على مشروع لم اقتنع به .

١٤ – وفي عصرها تضخم العمران الامبراطوري الاستعماري ، وازدادت مساحة الاملاك نحو ٣ ملايين ميل مربع ، والرعايا من ١٦٨ مليون الى ٤٠٠ مليون ، وكان دخل الخزانة من بلادها ٥٠ مليوناً ومن الهند ٢٥ مليوناً فصارا من بلادها ١٢٠ مليوناً و ٧٠ مليوناً من الهند و ٣٠ مليوناً من اوستراليا و ٢٠ مليوناً من باقي المستعمرات ومجموع هذا الدخل (٢٤٠) مليوناً بعد ان كان ٧٥ مليوناً .

١٥ – وعند الانكليز يقولون « عصر فكتوريا » وكان لها صداقات مع

كثير من الملوك والرؤساء والسلاطين . وكانت رسائلها تحل من عويص المشكلات ما لا يحله الوزراء والسفراء . ومرة ارسلت رسالة خاصة الى عبد الحميد لما كان هرتزل يراجعه بشأن فلسطين ، ولم يعرف فحوى تلك الرسالة .

١٦ – جملت زواج بنيها ، سبب رابطـــة تقارب بين البيت المالك في بريطانيا والبيوت المالكة الاخرى في كل من روسيا والمانيـا والدانيمرك واليونان ورومانيا . ومدة حكمها ، اطول مدة ، على كل حال ، في التاريخ الانكليزي .

١٧ – لما قضت نحبها سنـة ١٩٠١ نشرت صحف العالم ترجمتها ونوّهت بفضائلها ، وهذا في العالم العربي خاصة . ورثاها الشعراء العرب ، وممن رثاها حافظ ابراهيم شاعرالنيل وجرى في رثائه على نمط حكيم ؛ وفي سيرتهاوضعت الكتب عند الانكليز ، وترجمت خلاصة بعضها الى العربية .

* * *

– وطراز فكتوريا شاع في بـلاد الانكليز في افـق العادات ، والالبسة والفكر ، ومظاهر الفنون : وكان القرن الماضي قرن اقتسام افريقيا ، والتوسع الاستعماري ، فسميت اشياء كثيرة باسم فكتوريا ، من مستعمرات وبحيرات ومعارض ، واستحدثت الاوسمة ، واطلق اسمها على الشلالات ، والسفن الفخمة ، والاندية الى آخر ما يظهر من شارات الاستعمار ، والعمران الممتص من شرايين آسيا وافريقيا .

– وسنرى الآن في ترجمة مونتفيوري ان هذا « الحكيم » من « حكمـاء صهيون » لما جاء الى محمد علي « ليلعب » به اللعبة الذهبية ويطلب منه العفو عن اليهود المجرمين قتلة الراهب الاب توما الكبوشي في دمشق ، ونال مونتفيوري ، ما اراد ، كان في جيبه كتاب وصاة من فكتوريا الى محمد علي .

١٨ – نعود الى مونتفيوري ، ولعبته هذه هي : جاء في ترجمة « يقظـة

العالم اليهودي » ما يشبه هالة من العاب العنكبوت حول اسم مونتفيوري ، وقال « ابو عسل » ، وهو يصنف ما يلقي اليه من المراجع الصهيونية في مصر وفلسطين وقتئذ، انه لما اشتدت وطأة المرض بالملك جورج الثالث سنة ١٨٢٦ (كان مرضه متمادياً نحو ٩ سنين) كان « دوق كنتوت » قد غادر البلاد بعد ان بدّد ثروة ضخمة، وحرم من الاقامة في القصر الملكي، فاقام في بروكسل ، وبعد سنتين تزوج « البرنس فان لنجن » وهو في الحادية والاربعين . وليس غريباً ان تحلّ به ازمات مالية .

١٩ - فينهض اليهودي الثري الغني ، الواسع النفوذ على اليهود ، وهو رأس من رؤوسهم ، او مقدم «حكمائهم» موسى مونتفيوري ، ويحشو حقيبته مالاً ، ويأتي دوق كنوت في بروكسل ، ويثير لديه اهم قضية تقيم وتقعد ، قضية العرش البريطاني ، ويبين له الوضع : الملك ينتظر موته بين يوم وآخر (جورج الثالث) ، وابنه جورج في مرض شديد وليس لجورج من ولد ، واما البرنس وليم فلسبب ما فلا ينتظر ان يكون له ولد . فاذا حصل هذا كله ، وهو شديد الاحتمال ، فالعرش البريطاني سيؤول الى دوق كنوت . هذه هي الصفوة التي كانت في جعبة مونتفيوري ، ولا ريب انها نتاج تفكير طويل ، وتحليل وتعليل ، وحسابات ، ودراسة عميقة ، وقد قلّبها ظهراً لبطن ، وطحنها وزناً وتقديراً ، لينفذ من كل هذا الى غايته اليهودية التي يحملها في صدره ، حمله المال في جيبه .

* * *

٢٠ – ولماذا هذا الامر يتصدى للنظر فيه ويبحثه يهودي ، ولو كان غنياً ، ويأتي من لندن الى بروكسل بهذه الفكرة الى دوق كنت ؟ ايخفى هذا كله على دوق كنت ؟ كلاّ . أمن غيرة مونتفيوري على العرش البريطاني؟ وهناك الوزراء ومجلس النواب ، وأهل الحل والعقد من رجالات الانكليز ، وهم أولى ان يكونوا مباشري هذه الفكرة مع دوق كنت . أتبقى هذه المسألة هاجعة ، حتى ينهد لها مونتفيوري ؟ فما يقوله كتاب « يقظة العالم

اليهودي ، من ولاء مونتفيوري للعرش ، موضعه سلة المهمــلات ! فلنتناول ناحية أخرى ، قد تكون صحيحة : فان دوق كنت ربما كان في ازمة مالية خاصة ، وعلى فرض ان الدوق كان من تلقاء نفسه يود الانتقال الى لندن بعد زواجه ، حتى اذا رزق ولداً ، كان هذا الولد ، بحكم قانون العرش ، يحق له تولي العرش ، فاذا كان هذا معقولاً ، فالدوق لا مال له ، فمـــا يفيده الفكر الغني مع الجيب الفارغ ؟ ثم ان مونتفيوري لما كان يتعاطى الصيرفة العالية الطراز في لندن ، مكنته الصيرفة من الاطلاع على خفايا القصر .

٢١ – انكشفت الحقيقـة ، وزالت عنهـــا الطلسمات !! فان اليهودي مونتفيوري جاء يستغل الازمة المالية لدوق كنت ، ويشوّقه الى العرش الذي سيؤول الى ولده ، لكن هـذا الولد لا يحق له ان يتولى العرش اذا لم يكن قــد ولد في بلاد الانكليز لا في بلد اجنبي . فلما اقتنع دوق كنت بوجوب انتقاله الى لندن ، قدم اليه مونتفيوري المال . هذا هو السحر كله .

٢٢ – وانتقل الدوق، وولدت فكتوريا، وربيت التربية المؤهلة لها لتولي الملك ، وتوجت ، وتزوجت ، وهذا لا يمنع ان تكون واقفة على الحقيقة : لما انتقل ابوها من بروكسل الى لندن ، اعانه مونتفيوري بالمال . وتبقى هذه القصة في زاوية القصر . اما مقدار المال ، وكيف استوفاه مونتفيوري ومـا الى ذلك ، كل هذا لا ندري منه شيئاً .

٢٣ – تزوجت الملكة فكتوريا سنة ١٨٤٠ .

في هـذه السنة وقعت حادثة خطف الاب توما الكبوشي واستنزاف دمه في دمشق ، هو وخادمه ، وفي هذه السنة جعل ابراهيم بن محمد علي ينسحب من سوريا مكرهاً .

وكان مونتفيوري في شغل شاغل من امر فلسطين !

ففي ايام احتـــلال ابراهيم للشام ، سنة ١٨٣٧ زار مونتفيوري فلسطين

ودرس احوالها وزراعتها وتربتها ومستقبلها ، في جهات صفد وطبرية، فرأى ان يحقق فكرة له : وهو ان يستأجر من محمد علي ١٠٠ – ٢٠٠ قرية لمدة ٩٩ سنة وهو يدفع اعشارها لمحمد علي سلفاً كل سنة في اسكندرية مع زيادة ١٠ – ٢٠ بالمئة على معدل الاعشار العادية على ان تكون الاراضي خلال مدة الاجارة لا يد لاحد عليها ، واليهود احرار في التصرف في الانتاج داخل فلسطين وخارجها [١] .

وفي السنة التالية ١٨٣٨ قام برحلة ثانية الى فلسطين ، وسجّل كل هذا في مذكراته الخاصة وما اوردناه في الفقرة السابقة منقول من مذكراته المكتوبة ١٨٣٩ . ثم جاء مرة ثالثة سنة ١٨٣٩ .

٢٤ – ولما رأى مونتفيوري و « حكماء صهيون » ان الحكم بالموت على نحو (١٠) رجال من يهود دمشق ، فيهم وجوه واعيان وحاخام ، في حادثة الاب توما، سيكشف الغطاءعن شيء كثير،زمّ حقائبه وحشاها بالمال، كما حشاها لما اتى دوق كنوت في بروكسل . وتناول من الملكة فكتوريا ، « الصديقة بنت الصديق » ، رسالة خاصة الى محمد علي في الاسكندرية ، وفي الرسالة ان يعفو محمد علي عن الجناة !

٢٥ – وكان محمد علي وابنه ابراهيم يجتازان شرّ ازمةٍ سياسية واقتصادية، وبريطانيا هي الملحّة على محمد علي بوجوب الانسحاب من الشام . وليس يهم محمد علي وقتها كثيراً ، ان يعدم الجناة او يعفى عنهم ، وانما يختار احد الوجهين الذي فيه مراضاة خاطر الملكة فكتوريا . فالرسالة شخصية ، وهو بحاجة الى ما في حقيبة مونتفيوري ، فأمر بالعفو . واطلق سراح الجناة ، الا من مات منهم في السجن .

---

(١) يقول كتاب « يقظة العالم اليهودي » ان مونتفيوري زار فلسطين مراراً وطافها دارساً سبع مرات . واحب مونتفيوري اغتنام الفرصة ايام محمد علي وحاجة هذا الى المال . فيعقد الصفقة معه لا مع السلطان . واما معدل الاعشار وضرائبها فمع زيادة ٢٠ بالمئة يبقى هذا المعدل قليلاً عندما تتحسن الاراضي بعد قليل ولا اشارة الى مصير الارض بعد ٩٩ سنة .

٢٦ – امـا التقدم بمشروع استئجار المئتي قرية من شمالي فلسطين لِ ٩٩ سنة،فتوقف اذ جعل ابراهيم ينسحب بعد قليل وقبل عقد الصفقة،فانسحب.

٢٧ – لكن بعد ١٨٧٠ بقليـــل ، انشأ مونتفيوري بناءً لايواء فقراء اليهود، في ضاحية خارج سور القدس ، وقيل لهذا البناء « حارة مونتفيوري » وكانت لا تزال قائمة الى ١٩٤٨ . وهي التي اشرنا اليها في اول هذا الفصل .

٢٨ – ثم مضى مونتفيوري يعيش ويلتفت الى الوراء عاداً ايامه ، حتى صار يعد من عمره مئة سنة ! وفي هذه السنة المئوية احبت فكتوريا الزيادة في اكرامه ، فاذا بالبريد الملكي يحمل اليه من اميركا مئة رسالة تهنئة بالقرن الكامل وهذه الرسائل من الاقطاب والعظماء ، من مئة صديق وهم «الحكماء» . وظلت الملكة فكتوريا تذكر تفريجه ازمة ابيها .

وقلنا ان فكتوريا زودت مونتفيوري برسالة شفاعة الى محمد علي ، وهذه الرسالة مع الذي في الحقيبة نجّت الجنـــاة . ومرة اخرى ارسلت فكتوريا رسالة خاصة الى عبد الحميد ، وهــذه بشأن هرتزل وفلسطين وبين الرسالتين نحو من ستين سنة ، فتأمّل .

٢٩ – لما قضى مونتفيوري نحبه ١٨٨٤ ، كان هرتزل لم يطل بعد ، وانما اطل بعد هذا الوقت بأربع عشرة سنة . وكان السير فرنسيس مونتفيوري ، وارث عمه موسى في المال والحال والجـــاه ، والقفاز الابيض ، هو رئيس « الجمعية الانجلو – يهودية » في لندن وقت اعطاء وعد بلفور ١٩١٧ .

٣٠ – وكان فرنسيس على صلة بهرتزل ، بل معوانه في كبار الامور ، وربما كان يقدم اليه مالاً . وكان هرتزل يرشحه في احد المؤتمرات الصهيونية لنيابة الرياسة ، اي نائب هرتزل . وكان الفريق اليهودي الروسي لا يفتأ ينتقد هرتزل ويفنّد مخططه بعد ان مال الى قبول عرض بريطانيا في «كينيا» شرق افريقيا . واليهود الصهيونيون الروس كانوا يرفضون هــذا العرض ، وهرتزل يعتبره صالحاً وتعتبر كينيا بعدئذ مستعمرة لفلسطين بعد ان ينزل

اليهود فلسطين . وكان ويزمن على رأس المناهضين لهرتزل في مشروع كينيا . ولمـــا راح هرتزل يبدي لياقة فرنسيس مونتفيوري لنيابة الرياسة ، اجابه ويزمن : « دكتور هرتزل ! لكن هذا الرجل شبه معتوه !! » فأجابه هرتزل بعد اطراقة عميقة وبلهجة غير مستعجلة : « لكنه هو الذي يفتح لي ابواب القصور ! » .

٣١ - وهناك كلود مونتفيوري ، فانه كان يعارض انشاء وطن قومي في فلسطين على اساس « السياسة » و « الدولة اليهودية » ، وهناك جمعية اخرى ايضـــاً كانت تقول بقول الاولى ، رئيسها السير دافيد اسكندر ومن رأي الجمعيتين ان اليهود لا ينبغي ان يطلبوا في فلسطين الا صورة مركز ثقافي روحي ، وفق ما اعلنته الصهيونية سنتي ١٩١١ و ١٩١٣ من انها لا تبتغي غير هذا من حركتها ، ومن يقول بأن الغرض هو انشاء دولة سياسية فذاك القائل جاهل او حاقد .

* * *

وهذا الاختلاف كله يتناول الاساليب والطرق مع اتحاد جميع اليهود في الهدف والغاية . اما رأينا ، الصهيونيين يعلنون هم انفسهم في مؤتمراتهم العامة وعلى مسمع من العـــالم انهم لا يريدون دولة سياسية في فلسطين ؟ والخداع لا يزال عندهم سلاحاً من امضى الاسلحة .

١٥ – دزرائيلي (بن اسرائيل)

١٨٠٤ – ١٨٨١

يهودي تنصر وبقي يهوديا ليخدم الصهيونية

على طريقة « حكماء صهيون »

١) « اليهودي ، هو القوة وراء كل عرش في بلاد اوروبية »
لمن هذا القول ؟
هو لدزرائيلي الذي اسمه الحقيقي « بن اسرائيل »
« كتاب الحكومة الخفية ص ٥٦ »
Hidden Covernment

٢) « انما يحكم العالم ويسيره اشخاص هم وراء الستار يختلفـون كل الاختلاف عن الاشخاص الذين على المسرح امام الستار » .
« دزرائيلي – المصدر السابق »

٣) قال بلزاك (١٧٩٩ – ١٨٥٠) : – « المعركة الاخـيرة لظفر المسيحية هي معركة المال ، ومن الآن الى ان تحل مشكلة المـال فالمسيحية اعجز من ان ترى احكامها العملية نافذة مطبقة تطبيقاً عالمياً » .

٤) قال قطب من اقطاب روتشيلد قبـل ١٠٠ سنة : « اعطني سلطة اصدار النقد ومراقبته ، ولا ابالي بعد ذلك بمن يسن الشرائع والقوانين » .
راجع البروتوكولات

قال هيلر بلوك Hilaire Belloc في كتابه « اليهود » ، يصف اليهود في بلاد الانكليز ، وما كانوا عليه وما صاروا اليه : –

« وتلفّت اليهودي ، فوجد ان جميع ما يطلبـــه شعبه من « الغوييم »

موجود في الدولة البريطانية . وهنا يمكنه ان يكون على حال لم يحلم بها او بمثلها في اي بلد آخر في العالم . فالكراهية التي كان يلاقيها من قبل ، قد زالت وفتحت امامه مناصب الدولة ، وصار عدد كبير من اليهود من اصحاب السلطة التنفيذية في الدولة ، وبرسوخ هذا الوضع وامتداده ونموه ، صار المجتمع ممتزجاً بهم بتبادل الزواج بين الاسر الانكليزية التي كانت سابقاً ارستقراطية اباً عن جد ، وبين الاسر اليهودية التجارية الغنية ، بحيث لم يبق من الاسر البريطانية المحافظة على نقاوة دمها القديم ، دون ان يخالطها الدم اليهودي ، الا القليل . وصارت كل حكومة تعطي اليهود نصيبهم من كراسيها فانتظموا في السلك الدبلوماسي ، واحتلوا مقاعدهم في مجلس اللوردة ، ومجلس النواب ، والجامعات والمعاهد . واستولوا على الصحافة ثم على المراكز التجارية المهمة » .

وفي رأي هايمسون في كتاب « تاريخ اليهود » ان هذا كله قد تم في خلال المئة سنة الاخيرة . وفي « موسوعة تاريخ العالم » ان آخر القيود التي كانت على اليهود في بلاد الانكليز ازيلت سنة ١٨٥٨ وفي هذا الوقت كان دزرائيلي رئيس الوزارة .

* * *

أهم البنود في « قانون اليهود » في بلاد الانكليز سنة ١٢٧٥

١ – ان يحصروا سكناهم في اماكن معينة .
٢ – ان يمنعوا من تعاطي الربا .
٣ – ان يمنعوا من شراء الأراضي .
٤ – ان يمنعوا من الاختلاط بأهل البلاد (المسيحيين) .
٥ – ان يجبروا على تعليق الشرائط الصفراء على اكمامهم ليعرفوا انهم يهود.

بعد صدور هذا القانون بـ ١٥ سنة امر الملك ادوار الاول بطردهم من البلاد فطردوا وبقوا خارج البلاد ٣٦٧ سنة حتى اعادهم اليفر كرمويل ، وكرمويل موّله منسى بن اسرائيل وموسى قراجا، دون ان يلغي قانون الطرد.

* * *

دزرائيلي

سياسي بريطاني ومسيحي في الظاهر، تولى رياسة الوزراء غير مرة، ومن اخطر «حكماء صهيون» في الحقيقة والباطن، ووصل الى ذروة الشهرة اثر مؤتمر برلين ١٨٧٨ وهو المؤتمر الدولي الذي انعقد بعد الحرب الروسية العثمانية ، ووقعت فيه الدولة العثمانية بين ايدي الجزّارين من ساسة اوروبا[1]، فقطعوا أوصالها في اوروبا، وما بقي

(١) وهم في مؤتمر برلين هكذا :
عن بريطانيا : دزرائيلي وسالسبوري .
« المانيا : بسمرك ، ولقّب «بالمسمار الشريف»
« روسيا : غورشاكوف وشوفالوف
« النمسا : اندراسي
« فرنسا : ودنتون
« ايطاليا : كونت كورتي.
« تركيا : كاراديوتوري اليوناني .
وكان عبد الحميد قد ارتكب جناية بابعاد مدحت باشا «ابي الاحرار» ، وكان مدحت يساوي عشرات الرجال في العقل والحكمة والاخلاص فثقبت سفينة عبدالحميد وصارت تهوي الى القاع.

لها من املاك في الناحية الاوروبية الا رقاع صغيرة لا تذكر ، واخذت الشعوب البلقانية طريق الاستقلال من هذا المؤتمر ، وكان دزرائيلي وبسمرك بطلنيه الاولين .

١ – ولد بنيامين بن اسرائيل (تحول الى دزرائيلي) في لندن ١٨٠٤ ايام بداية عراك محمد علي في مصر. وختن ختاناً يهودياً في اليوم السابع من ميلاده ويقول ايلي ليفي ابو عسل مؤلف كتاب «يقظة العالم اليهودي» ان بنيامين لما ولد حوّطه ابوه ، اسحق بن اسرائيل ، بكتب مقدسة وهي بالعبريـــة ومن جملة تلك الكتب كتاب « العبقرية اليهودية » . وامّ بنيامين من ايطاليا، وفي سنة ١٨١٧ بعد ميلاد بنيـامين بنحو ١٣ سنة ، اعتنق ابوه اسحق المسيحية وتبعه ابنه ، وقـــال ابو عسل : « لاسباب ما برحت منضوية تحت اجنحة الخفاء الى يومنا هذا » قلت : هذا يهودي يحاول ان يتكلم بمكر ومراوغة . فغاية التنصر واضحة ، وهي شبكة للاصطياد .

٢ – اصل بيت دزرائيلي (بن اسرائيل) من يهود اسبانيا ، وبعد الطرد من اسبانيا لجأت الاسرة الى ايطاليا وأقامت فيها الزمن الطويل حتى قام جد دزرائيلي صاحب الترجمة ، واسمه بنيامين ايضاً ، فانتقل الى لندن بأعمـــاله المصرفية ، وهذا في القرن الثامن عشر . لاحظ الشبه بين قصة دزرائيلي وقصة مونتفيوري .

٣ – ولما برز دزرائيلي بروزه المعلوم في منتصف القرن الماضي فصاعداً ، رقي الى رتبـة اللوردية ومنح لقب « ارل بيكنسفيلد » ، وفي أثناء توليـه الوزارة وقعت الحرب الروسية العثمانية ، وحرب الانكليز والافغان، وحرب الزولو في جنوب افريقيا .

٤ – وفي حقيقة انتحاله المسيحية هو وأبوه ، قال ابو عسل : « وبالرغم من اعتناق المسيحية. . . كان باذلاً روحه ومهجته في سبيل تعزيز قوة انكلترا ، وترسيخ قدمها في تلك الاصقاع (فلسطين) ، لتحقيق مطامع اليهود ومراميهم عندما تسنح له الفرصة بذلك . ومن الغريب ان هذا الرجل كان جامعـــاً

شعائر الانكليز الخاصة الى شعائر اليهود وتقاليدهم جمعاً وثيقاً . وقد صرح سوكولوف [١] غير مرة ان دزرائيلي هو الرجل الذي يمثل الحركة الصهيونية تمثيلاً حقيقياً ».

٥ – وقال ابو عسل ايضاً ليؤكد ان دزرائيلي هذا ، او ارل اوف بيكنسفيلد ، بقي يهودياً على الحقيقة : « فاذا اراد الانسان سبر غور عواطف بيكنسفيلد ، وجس نبضه في نزعاته وميوله ، لمعرفة ما اذا كان هذا الرجل بقي يتغذى خفية بلبان عقيدته الاولى ، او اذا كان اتخذ المسيحية ذريعة ، توصلاً لاكتساب المعالي ... وتحقيق المطامع الكبرى التي كان يصبو اليها وهو في ريعان شبابه ، فعليه بمطالعة تاريخ حياته ، فهو المرجع الوحيد الذي لا يوارب ولا يداجي ... فالحوادث التي تخللت حياته ، ابانت لنا ان روح هذا الرجل كانت تحوم حول اليهود ، وتفيض بالعطف عليهم ، وكانت الأوتار الحساسة الكامنة ابداً في مزاجة وطبيعته تهتز اهتزازاً شديداً . وكان يرقب حركاتهم وسكناتهم في غدوه ورواحه ، الا ان ذلك ما كان ليمنعه من تأدية فرائضه الدينيه المسيحية » .

٦ – حدثتنا « موسوعة تاريخ العالم » بقصة اليهودي باسيفيكو وهو تحت أجنحة دزرائيلي ، حديثاً ممتعاً ! وفي بضعة اسطر : الدون باسيفيكو يهودي من (مراكش) المغرب العربي ، ولكنه يحمل الجنسية الانكليزية . وتتركه الموسوعة هنا رجلاً غامضاً ، ومن جاءه هذا الاسم باسيفيكو ؟ للتخفية طبعاً وكان هذا اليهودي المراكشي في خدمة اليهود ، وكانت له صلات تجارية مع الحكومة اليونانية افضت الى خلاف بينه وبينها وصار له دين عليها ، ولما جاء يطالب بدينه استعمل الفظاظة والتنمر ، الامر الذي دعا الفريق اليوناني للحملة عليه ليهوديته « الشيلوخية » وشرهه . ووراءه دزرائيلي . فقررت الوزارة البريطانية انفاذ عمارة بحرية من الاسطول البريطاني الى « بيروس »

---

(١) وردت ترجمته الوافية في الجزء الاول ، المجلد الاول .

لتكره حكومة اليونان على تلبية مطالب باسيفيكو حامل الجنسية البريطانية، فاستعظمت حكومة اليونان ان تفعل الحكومة البريطانية هذه الفعلة من اجل هذا اليهودي الجائر المكابر، فازدادت رفضاً لمطالبه وابدت العناد، والصمود على وجهة نظرها، فاذا بالاسطول البريطاني يتقدم ويصادر القطع البحرية اليونانية في حوض بيروس سنة ١٨٥٠، وبعد فشل وساطة فرنسية، لم يكن لليونان بد من تأدية ما طلب منهم تأديته. واثيرت ضجة واسعة في بلاد الانكليز احتجاجاً على ما عمله الأسطول الانكليزي، فاضطر بالمرستون ان يلقي في البرلمان خطبة عاطفية ضرب فيها على نغمة المحافظة على الكبرياء البريطانية، فما اعجب الملكة فيكتوريا عمل الاسطول ولا خطبة بالمرستون، من اجل اليهودي المراكشي، فوقع أخذ ورد بينها وبين بالمرستون من اجل هذا، فاصدرت اوامر ملكية بانه لا يحق للوزارة، بعد ان توافق الملكة على شكل ما، لحل معضلة ما، ان تعود الوزارة فتغير من ذلك وتبدله، متجاهلةً نصائح الملكة.

ولكن علينا الا ننسى ان اليهودي المراكشي، ما كان الا الرجل الذي يقف أمام الستار، كما يقول دزرائيلي، وما الرجل الذي وراء الستار الا دزرائيلي نفسه. وعلينا ان نتذكر ايضاً ان في تلك الغضون الغيت بقايا القيود التي كانت على اليهود في بريطانيا. والعامل على ذلك دزرائيلي نفسه. وتبقى القصة بعد هذا كله غامضة لان نواحيها الاخرى الحقيقية خافية علينا.

٧ ـ صدق دزرائيلي لما قال، وقد ذكرنا قوله في أول هذا الكلام، من أن العالم يديره رجال هم وراء الستار، وكأنه يعني بهذا نفسه باعتباره أحد «حكماء اسرائيل». وما هي اتجاهاته في السياسة البريطانية الخارجية المستوحاة من وراء الستار، الجامعة بين مصلحة بريطانيا ومصلحة الصهيونية؟ ليس من المغلق علينا ان نعلم هذا بغاية اليقين. فان دزرائيلي هو احد رجال لا اكثر من ثمانية تناوبوا على توجيه السياسة البريطانية، فيما يتعلق بالدولة العثمانية ومسألتها الشرقية المزمنة، وذلك خلال المدة التي كان يعمل فيها

دزرائيلي في الوزارة والسياسة الخارجية ، ولنحسب هذا من ١٨٤٦ الى نهاية حياته وهذا نحو ٣٥ سنة مطردة . فالذين تولوا الوزارة في خلال هذه المدة هم ملبورن ، وبيل (جد لورد بيل الذي كان رئيس اللجنة الملكية لدراسة ثورة فلسطين ١٩٣٦) ورسل ، ودربي ، وابردين ، وبالمرستون ، وغلادستون ، وكل واحد من هؤلاء تولى رياسة الوزارة مرتين وبعضهم ثلاث مرات .

٨ — حاول اليهود ان يخدعوا نابليون ويتمكنوا بواسطته وعدائه لبريطانيا ان يصلوا الى فلسطين ففشلوا . بعد هذا بنحو ٣٥ سنة حاول اليهود بمساعي زعيمهم مونتفيوري الوصول الى فلسطين على يد محمد علي وولده ابراهيم فلم يفلحوا . ولكن حوادث الشام في النصف الاول من القرن الماضي ، جعلت اليهود يتقنون استغلال الشيعة البرتستانتية المتهودة ، وعلمنا ان الحكومة البريطانية أنشأت قنصلية لها في القدس في ايام ابراهيم بن محمد علي ، وبعد انسحابه بقيت القنصلية ماشية ، والغرض منها حماية المصالح اليهودية في فلسطين ، وكان انشاء هذه القنصلية من عمل العناصر البروتستانتية . ونرى السياسة البريطانية بعد ذلك تنشىء لها تقاليد مضحكة ، وهي بقاء السلطنة العثمانية قائمة ، دفعاً لاطماع الطامعين فيها من الدول الاخرى ، حتى لا تذهب فلسطين ، فيما اذا انحلت الدولة ، الى دولة لا يميل اليهود اليها . وهنا اجتمعت مصلحة بريطانيا التي أخذت منذ انسحاب ابراهيم من الشام وفلسطين ١٨٤٠ تمد لنفسها بحبل الاطماع في احتلال مصر ، ومصلحة اليهود فهذا قبل قصة السويس بزمان .

وفي هذا المعنى قال نفيل باربر في كتابه Nisi Domiuus (ص ٤٩) : « وكانت كتابات اليهودي المتنصر دزرائيلي رئيس الوزارة البريطانية ذات تأثير عظيم في اجتذاب العطف على اليهود ، وكان توجيهه للسياسة البريطانية في شرق البحر المتوسط يهدف فيه الى غاية معينة . فقد برز دزرائيلي يقاوم روسيا في محاولتها نشر نفوذها في الشرق ، وهذا ما كانت توده الصهيونية ، لأن بقاء فلسطين تحت الادارة التركية المتخلفة الى ان تحين الفرصة لليهود لاقتناصها ، هو الواقي لها من الانتقال الى يد دولة اخرى ، غير بريطانيا » .

وهذا ما صنعه دزرائيلي . وقد عرفت الصهيونية له فضل هذا العمل . وقلنا في موضع آخر مما يتعلق بعرض هرتزل على الامبراطور غليوم اواخر القرن الماضي ، ان تتبنى المانيا الصهيونية في فلسطين وتضعها تحت حمايتها – وقد فشل هذا العرض – فلم يؤثر أي تأثير سيء في الصلة الوثقى بين الصهيونية وبريطانيا ، وخاصة الشيعة البروتستنت .

* * *

٩ – انشاء ترعة السويس كبّد مصر الشدائد . أوليات هذا المشروع كانت بعيد انسحاب ابراهيم من الشام ١٨٤٠ ، وكان اسماعيل الخديوي ، المبذر المتلاف ينادي بأنه يريد « ان يجعل مصر قطعة من اوروبا » ، وكانت هناك صداقة وثيقة بين محمد علي ونابليون الثالث ، وهذا ما سهل على دي لسبس الحصول على الامتياز . ولمّا بدأ المشروع ، اقتضى انجازه ١٠ سنوات ، وافتتحت الترعة رسمياً في ١٦ نوفمبر ١٨٦٩ ، فاختصرت الطرق البحرية بين اوروبا والشرق، واما بريطانيا فقد رأت في مشروع ترعة السويس من الخطورة ما جعلها ترمي باطماعها نحو مصر على مستوى اعلى من المستوى الذي قيّمت عليه مصالحها قبل الآن بثلاثين سنة . ولم يكن للانكليز يد في المشروع ، بل كانوا يعارضونه ، لكن بعد ان تم تحقيقه وتجلت خطورته ، تغيرت اوضاع سياستهم تجاهه ، بحيث صاروا يشرهون الى السيطرة عليه عن طريق الشركة ، او على الاقل ان يكون لهم فيها يد نافذة [١] . وبعد ان مضى ٥ سنوات على افتتاح ترعة السويس حصل شيء آخر .

***

١٠ – سنة ١٨٧٥ كان هنري اوبنهام صاحب جريدة « الديلي نيوز » يقوم بسياحة في فرنسا ، وجاء مصر بعد ذلك ، فبلغه سراً ان الخديوي

---

(١) بعد ان نال المهندس دي لسبس الامتياز من الخديوي سعيد باشا ابن محمد علي (١٨٥٤ - ١٨٦٣) تألفت شركة عامة سنة ١٨٥٨ باسهم وافرة العدد ، ومن هنا كان لفرنسا النصيب الاكبر فيها .

اسماعيل في ضنك مالي ، وهو يريد ان يستدين برهن اسهمه المالية التي له في شركة القناة ، وكان له ٤٤ بالمئة من اسهمها ، ويريد ان يكون رهن الاسهم في باريز . فادرك اوبنهام ما لهذا الامر من خطورة . فاسرع الى لندن ، واطلع صديقه فردريك جرينوود صاحب جريدة « بال مال غازيت » على ما في جعبته ، فخفّ هذا الى وزير الخارجية لورد دربي ، وقص عليه النبأ ، فجاء دربي الى دزرائيلي رئيس الوزراء ومده وزارته الثالثة . فشمر دزرائيلي عن ساعديه وجعل اجهزة الاعلام البريطانية تنطلق بكل وسيلة تشتم له الاخبار وتوافيه بها . فعلم ان اربعة ملايين جنيه كافية لصفقة اسماعيل على ان تُشترى السهام منه شراء ويدفع المبلغ كله نقداً . ومما قيل ان شركة فرنسية كادت هي ان تظفر باسهم اسماعيل ، لكن الابرة الخفية غيرت هذا . فان بيت روتشيلد في باريز ، ومنهم « الحكماء » ، فاوفد دزرائيلي لورد روتن ، امينه الخاص ، الى البارون دي روتشيلد . وفي ثمانية ايام تمّ عقد الصفقة ، وشرع دزرائيلي يعضّ عليها ، متخذاً على عاتقه المسؤولية امام البرلمان ، وابرز الاسباب في تبرير ما عمل انه لم يكن هناك وقت لطرح المسألة امام البرلمان ، والقضية يجب الا تضيع فرصة اغتنامها . ولما اطلع البرلمان على الصفقة ، وما معناها ومغزاها في سياسة بريطانيا في البحر المتوسط ، شكر عاقدها ، وبعد سنة رقي دزرائيلي الى اللوردية ، ودعي « ارل بيكونسفيلد » وبقي في دست الحكم الى ١٨٨٠ ومات ١٨٨١ .

ويعقب ايلي ابو عسل صاحب « يقظة العالم اليهودي » ، ويبدو ان المعلومات التي استعملها هذا اليهودي في كتابه هذا ، ملقاة اليه من المراجع اليهودية – يعقب على ما تقدم بقوله ان ظفر بريطانيا على يد دزرائيلي اليهودي المتنصر ، بأسهم اسماعيل [1] ، ظفر له خطورته ، اذ كان من شأنه ان قوّى جذور المصالح البريطانية ، ومن هذا الوضع البريطاني في شركة القناة ، ثم

---

(١) ان الاربعة ملايين جنيه هذه ، لم تصل الى اسماعيل الا ناقصة بعد ان اخذ منها ما انتاشه السماسرة ، واعاصير اسماعيل لا تهب الا على رياح السماسرة .

ما تبعه من احتلال مصر بعد قليل ، انفتح الباب الآن لفكرة الوطن القومي في فلسطين تمهيداً للاستيلاء عليها بالتالي . هذا هو دزرائيلي .

* * *

١١ - وعقد مؤتمر سري ، بين يدي مؤتمر برلين ، بين بريطانيا وتركيا ، وتركيا اصبحت الآن مهيضة الجناح ، وبوسع روسيا ان تهددها في الاناضول او آسيا الصغرى ، ومفاد ذلك الاتفاق السري ان بريطانيا تساند تركيا في وجه روسيا اذا ما توجهت هـــذه الى الاناضول العثماني . ولا بد لهذا من ثمن لا ريب فيه . فوافق عبد الحميد على السماح لبريطانيا باحتلال قبرص فاحتلتها بعد قليل . فتجهم وجه فرنسا ، فوعدت بتونس ، فاحتلتها بعد ثلاث سنين، وبحلقت ايطاليا بعينيها ، فوعدت بالتوسع في البانيا ، وسنة ١٩١٢ - ١٩١٣ غزت ايطاليا طرابلس وبرقة (ليبيا) .

* * *

أرأيت كيف يعمل « حكماء صهيون » ؟

خذ امثلة من يوسف منده مع السلطان سليم والسلطان سليمان ، ومن مونتفيوري مع محمد علي، ومن هرتزل مع عبد الحميد ، ومن دزرائيلي مع عدة جهات .

* * *

والجولات الاخيرة ، وقـد عاصرها المعمرون من ابناء هذا الجيل ، هي التي كانت بين هذا المثلث :

« عبد الحميد بين غليوم وهرتزل » وليس لهذه الناحية الدقيقة موضع في هذا الكتاب ، وعسى ان تستوفى في مناسبة مقبلة . والله من وراء القصد .

١٦ – الكتاب المقدس

الترجمات الثلاث :

١ – البروتستانتية – الاميركية (١٨٦٠ – ١٨٦٤) } بيروت
٢ – اللاتينية – اليسوعية (١٨٧٨ – ١٨٨٠) } بيروت

٣ – الترجمة التي قام بها احمد فارس الشدياق في لندن في منتصف القرن الماضي بطلب من « جمعية ترقية المعارف المسيحية » (١٨٥١) .

* * *

١ – عالي سمث
كرنيليوس ڤانديك
الشيخ ناصيف اليازجي
المعلم بطرس البستاني
الشيخ يوسف الاسير

* * *

٢ – الاب روديت اليسوعي
الشيخ ابراهيم اليازجي

* * *

٣ – احمد فارس الشدياق

* * *

الكتاب المقدس في العربية
لماذا نضع هذا المجمل؟

لا نحسب القارىء العربي الا وفي نفسه نزعة طيبة الى ان يعلم ولو علماً مجملاً ، متى نُقل الكتاب المقدس الى العربية النقل الكامل الذي هو بأيدي الناس اليوم في ترجمته البروتستانتية المعروفة بالاميركية ، واللاتينية المعروفة باليسوعية . وهذه الناحية عالية المنزلة في نظرنا لعدة اسباب .

الاول : ان الكتاب المقدس في العربية في هذا العصر يفسح المجال للمطالع العربي فيطلع منه على اخبار بني اسرائيل في جميع ادوارهم حتى بداية العهد المسيحي ، وبعد ذلك انقطع تاريخ اليهود ، فبات اقله في بقاياهم التي بقيت في فلسطين ولا شأن لها، ومعظمه في جماعاتهم التي تفرقت في العالم والامم فيطلب في تاريخ كل امة نزلوا بلادها واقاموا في حماها .

والثاني : ان كل شعب في العالم انتظم في سلك الحضارة الانسانية في دور من الادوار ، يمكنك ان تقرأ ما يتعلق بتاريخه ودينه ، وخلقه ، ولون نفسيته ، وروح تطوره ، وصعوده وهبوطه ، في كتب مصدرها ابناء ذلك الشعب ، كما يصح لك ان تقرأ ذلك ، ولو بتفصيل اقل ، في كتب وضعها مؤلفون من غير ابناء ذلك الشعب . اما الشعب الاسرائيلي او اليهودي فلا ينطبق عليه هذا ، وهو شاذّ منفرد في تاريخه، فلا سبيل لك الى اكتناه اللباب من الجبلة الاسرائيلية منذ القدم الى اليوم ، والى كشف الستار عن خفايا نفسية اليهودي ، ونفسيته خاضعة لعاملين : عامل ظاهر وعامل باطن، الا اذا قرأت اولاً ما كتبه انبياؤهم ، الكبار وهم اربعة انبياء ، والصغار وهم اثنا عشر نبياً ، وهؤلاء اسفارهم في العهد القديم . ومعظم انبياء بني اسرائيل

كانوا الى جانب ملوكهم ، ويقفون في وجه ملوكهم ولذلك تجـــد في أسفار نبواتهم الاتجاهات السياسية والاجتماعية ، فضلاً عن الدينية ، ممـا نراه اليوم يعالج في كتب مفردة، كل كتاب وموضوعه،مستقلاًعن الدين تمام الاستقلال.

والثالث : ان الاطلاع على هـــذا لا تكون الفائدة منه ذات جدوى ، و « اسرائيل » تصطنع الحياة اصطناعاً منذ ١٩٤٨ ، الا اذا كان اطلاعـــاً كاملاً ، حتى تستبين الحقائق الكبرى كلها في قافلة واحدة ، ويمكن ملاحظة عامل « الانفرادية » اليهودية في مجرى تاريخهم كله. وهذا على غاية الخطورة. والعهد القديم في « الكتاب المقدس » حوى هـــذا من الفه الى يائه . فالخلق اليهودي وحـدة لا تتجزأ ، لا يفعل فيها زمن ولا اقليم ولا مكان ، وانمـــا تستخفي وتتلون ، مع بقائها على عنصرها الاصلي لا تتبدل . وهذا لعمري من اهم الاسباب في التماسك اليهودي المشهود في العالم كله ، على اختلاف القارات والبقاع . وهذا التماسك فيهم هو سر بقاء « اليهودية » في افرادهم وجماعاتهم، وهذا هو المسيطر على هيئاتهم ومنظماتهم واتجاهاتهم، وما يبطنون من مخططهم وما يعلنون .

والرابع : هو ان نقـل الكتاب المقدس الى العربية في بيروت (لبنان) في القرن الماضي ، لا بـــد انه يتخذ نصيبه الوافر من البيان العربي الناصع . ومن هذه الناحية الجديرة بالاعتبار، نرى ان نقل الكتاب المقدس الى العربية، ما عدا مـــا له بنفسه من منزلة دينية عالية ، اضافة ضياء جديد من البيان الضادي الى اللغة المضرية [١] .

* * *

(١) واضيف الى التراث العربي في العقد الاول من هـــذا القرن ثروة اخرى من البيان عن طريق الترجمة ، وهي ترجمة سليمان البستاني لالياذة هومير او هوميروس . واذا كان نقـل الكتاب المقدس تعاون فيه جماعة هنا وجماعة هناك ، فان نقل الالياذة ، وهو عمل له نصيبه ايضاً من قوة اهل العزائم ، قد اضطلع به البستاني وحده .

وليس لدينا في العربية ، على ما نعلم ، كتاب افرد الكلام فيه على هـذا الموضوع بوجه الاستقلال ، الا اذا كان هناك مثل هذا الكتاب لم يقع لنا ان نطلع عليه . وانما هناك شذرات، ومقالات متفرقة كتبت في مناسبات قليلة، والقس سيكل سيل صاحب « المرشد الى الكتاب المقدس » ، وقد اشرنا اليه في غير موضع سابق من كتابنا هـذا ، عقد الفصل الثاني عشر من كتابه على «الترجمة العربية للكتاب المقدس» غير ان هذا لم يشغل من كتابه الا صفحات معدودات . فنأخذ منه ما نحتاج اليه من اللباب ونعرضه على القارىء مع ما يبدو لنا من ملاحظات على نقاط البحث ، وما لدينا من مزيد وتكملة .

* * *

يقول القس سيكل سيل : « ولا نسمع عن ترجمة عربية قبل الترجمة التي ترجمها يوحنا اسقف اشبيلية من اعمـال اسبانية سنة ٧٥٠ ب.م. والتي نقلها عن ترجمة ايرونيموس اللاتينية التي شاعت في اسبانيا في القرن السابع فمـا بعد . وقـد قام يوحنا المذكور بترجمة كل الكتاب المقدس ، و « ماريانا » اليسوعي وجد جملة نسخ من تلك الترجمة في ايامه ، والظاهر انها لم تطبع قط ولم تعرف في سورية » . (المرشد ص ٦٢) .

ونقول : هذا المراد منه الترجمة الكاملة للكتاب المقدس، اما الترجمة لبعض اجزاء من العهدين ، فلا يعقل ان العرب النصارى في العراق والشام كانوا الى القرن الثامن ، لا يقرأون الانجيل ، في العربية وهذا ، مثلاً ، القديس يوحنا الدمشقي (٦٧٦ - ٧٤٩) فهو من اساتذة المسيحية زمن بني امية ، وهو له فضل ، ونضال في سبيلها ، وابوه كان من الذين تولوا الاعمـال المالية للدولة الاموية ، وللقديس يوحنا عدة مؤلفات في العربية منها الايمان المستقيم ، فبأي لغة كان يقرأ الانجيل هو وقومه ؟

وقد كانت وفاته في مطلع الدولة العباسية .

* * *

ثم يقول هذا المؤلف أيضاً : « والحاخام سعديا المعلم المشهور في مدرسة بابل، ترجم من العبرانية كل العهد القديم او اكثره في القرن التاسع (الميلادي) لمنفعة اليهود الذين كانوا يتكلمون العربية ، فطبع جزء من هذه الترجمة ، وهو الاسفار الخمسة في القسطنطينية سنة ١٥٤٦ بالاحرف العبرانية ، ثم طبع في باريس سنة ١٦٤٥ وفي لندن سنة ١٦٥٧ بالحروف العربية» (المصدر السابق).

ونقول : ان سعديا هذا هو سعيد بن يوسف الفيومي ولد في مصر في العقد الاخير من القرن التاسع الميلادي ومات في بغداد سنة ٩٤٢ او ٩٤٤ . ويقول صاحب « رحلة بنيامين » عزرا حداد - وكلاهما يهودي : فان بنيامين صاحب الرحلة يهودي من اسبانيا في القرون الوسطى ، وحداد يهودي عراقي معاصر - ان سعديا كان معدوداً بين كبراء العلمـــاء اليهود وفلاسفتهم ومن مؤلفاته معجم عبري وترجمة عربية للتوراة وله كتاب فلسفة عنوانه (الامانات والاعتقادات) فهو من اهل القرن العاشر . (رحلة بنيامين ص ١٤٧) .

وقال القس سيكل سيل : « وقـــد تُرجم الزبور (المزامير) ترجمات عديدة . فالترجمة التي في أيـــدي الكاثوليك الملكيين الآن ترجمها عبدالله بن الفضل من اليونانية قبل القرن الثاني عشر ، ثم طبعت في حلب سنة ١٧٠٦ وفي لندن سنة ١٧٢٥ وطبعت ترجمة أخرى في جنوى سنة ١٥١٦ وفي رومية سنة ١٦١٤ وطبعت ايضاً ترجمة ثالثة مطابقة للسريانية في الشوير في جبـل لبنان سنة ١٦١٠ » (المصدر السابق) وقال هذا المؤلف ايضاً انه في أوائل القرن السابع عشر استأذن سركيس الرزي مطران حلب، من البابا في اخراج نسخة مضبوطة من الكتاب المقدس وقام المطران بذلك مع فريق من العلماء ، وبعد وفاته طبعت الترجمة سنة ١٦٧١ في ثلاثة مجلدات مع الترجمة اللاتينية ، وهـــذه الترجمة كانت تطبع في لندن بكثرة ، لكنها مجردة عن كتب الابوكريفا ، هذه لمحة تاريخية لكنها جد مقتضبة .

* * *

الترجمتان الكاملتان للكتاب المقدس
في القرن التاسع عشر في بيروت

١ — الترجمة الاميركية — البروتستانتية ١٨٦٠ — ١٨٦٤

٢ — الترجمة اليسوعية — اللاتينية ١٨٧٨ — ١٨٨٠

الترجمة الاميركية

قام بها المرسلون الاميركان في بيروت فنسبت بالاسم الشائع اليهم ، وهي من عمل خمسة علماء اعلام ، اثنان اميركان وهما عالي سمث وكرنيليوس فانديك، وثلاثة لبنانيون هم الشيخ ناصيف اليازجي، والمعلم بطرس البستاني ، والى حد ما الشيخ يوسف الاسير الحسيني .

* * *

عالي سمث	(؟ — ١٨٥٧)
كرنيليوس فانديك	(١٨١٨ — ١٨٩٥)
الشيخ ناصيف اليازجي	(١٨٠٠ — ١٨٧١)
المعلم بطرس البستاني	(١٨١٩ — ١٨٨٣)
الشيخ يوسف الاسير	(١٨١٧ — ١٨٨٩)

اما عالي سمث ، فكان متقناً للعربية وواقفاً تمام الوقوف على اللاتينية واليونانية ، وكان يعمل عمله التبشيري في مالطة، فنقل الى بيروت سنة ١٨٢٧ او قبل هذا التاريخ بقليل ، وبعد سنوات شرع في انشاء المطبعة التي سميت بالمطبعة الاميركية المشهورة . واما فانديك فاستاذ في الطب والعلوم الطبيعية والرياضيات وبلغ من تضلعه من العربية انه الف كتاباً في علم العروض واخذ

العربية عن بطرس البستاني والشيخ يوسف الاسير . وهو هولندي الاصل ، اميركي المنشأ ، لبناني الدار منذ هبط بيروت سنة ١٨٤٠ الى آخر حياته ١٨٩٥ فيكون قد صرف في لبنان لا اقل من ٥٥ سنة ، وهذه المدة كانت فترة التفاعل الذهني العميق في لبنان ، وانتقاله من عهد الاقطاع الى العهد الحديث ولما جاء فانديك بيروت كان عالي سمث قد مضى عليه هنا لا اقل من ١٣ سنة .

* * *

ولدينا من اخبار فانديك الشيء الوافر . ولا نعلم مستعرباً ، لا في لبنان وحده، بل في العالم العربي، اندمج في الحياة العربية اللبنانية اندماجه وانسجم مع طبيعتها انسجامه ، لا في العادات واساليب المعيشة واعراف المجتمع وكفى ، بل ايضاً في استطياب الوان الاطعمة اللبنانية واستحسان اللباس الشرقي، واطلاق اللحية وطرق المعاشرة الراقية ، وحب المستملحات من نادر النكات البارعة . ولا يزال الناس حتى اليوم يتحدثون عنه ، وله ذكر في المنازل والبيوت . وكان في الطب طبيباً انسانياً ممتازاً، وهو يدرّس الطب في الجامعة الاميركية، وله عدة مؤلفات قيمة في العربية . وسكن في القرية الجميلة « عيناب » المطلة على البحر ، والمنزل الذي كان يقيم فيه لا يزال شاخصاً بمجمل هيكله حتى اليوم . وقد مررت به سنة ١٩٤٩ لاشاهد الماثل من بقاياه . وفي المرحلة الاخيرة من حياته ، انفصل فانديك عن الجامعة الاميركية لان الجامعة بدلاً من المضي في التعليم بالعربية، وهذا هو رأيه، عدلت عن ذلك الى الانكليزية، وقد كان هذا من الجامعة بعيد ان احتلت بريطانيا مصر ١٨٨٢ .

* * *

واما الشيخ ناصيف اليازجي فامام العربية وشهاب من شهب الفكر الثاقب ، والعصامية القليلة النظير ، وهو وعاء الادب العالي في القرن الماضي ، وانتشرت مراسلاته مع اقطاب الادب في الشام والعراق ومصر وغير اقطار ، وهو لم يتخرج من مدرسة، بل لجأ الى مكتبات الاديرة، وجعل يعتصر منها،

وحفظ القرآن الكريم ، واوغل عن طريق الكتب في مصاحبة رجال التراث العربي من المتقدمين ايغالاً موفقاً زاهياً غزيراً . ووجد مدة في ديوان الامير بشير الثاني ، مع زميليه بطرس كرامي ونقولا الترك ، من عيون شعراء القرن الماضي . وبعد انصراف اليازجي من قصر بشير ، اقام في بيروت حوالي ٣٠ سنة حتى آخر حياته سنة ١٨٧١ . ولا تزال كتبه في الصرف والنحو والبيان والشعر تدرس في المدارس حتى اليوم . وجمع لباب لغة العرب في مؤلفات عديدة ، طبع بعضها في حياته، وبعضها الآخر بعد وفاته، وقد تولى ذلك ابنه الشيخ ابراهيم، والتوفيق الذي ادركه الشيخ ناصيف لا في نفسه فقط ، بل ايضاً في اسرته وبنيه وبناته جميعاً ، توفيق واسع الافق ، فقد رزق ١٢ ولداً من بنين وبنات ، وبعض هؤلاء جميعاً ان لم يكن كلهم من بنين وبنات – اتوا من وراء الغاية في النجابة والاشراق والالمعية . وفي البنين لعل ابنه الشيخ ابراهيم كان العَلَم المفرد وفي بناته « وردة » (١٨٣٨ – ١٩٢٤) الشاعرة المتوهجة برقة العاطفة وشجى الحنين ، كانت ند اخيها ابراهيم ، وديوانها « حديقة الورد » لا ينفد عطره .

* * *

واما المعلم بطرس البستاني فعلم شامخ في توطيد الحركة الثقافية العلمية ، ونشر المعارف ، وغرس الروح الوطنية عن طريق المجلات والصحف ومدرسته المشهورة – المدرسة الوطنية – في بيروت. وامّا في الدراسة وطرق التحصيل فقد تيسر للبستاني ما لم يتيسر مثله لليازجي ، فقد درس البستاني في مدرسة «عين ورقة» وبرحها الى بيروت سنة ١٨٤٠ .

وفي هذا الوقت هبط اليازجي منقصر الامير بشير كما تقدم ، فكأن هذين القطبين ، اليازجي والبستاني ، على موعد عن طريق القدر ، ليلتقيا معاً في بيروت ويكونا العمادين الكبيرين للنهضة الأدبية العلمية ، متعاونين متساندين، الاول في الأدب واللغة والبيان مع التأليف والتدريس ، والآخر في العلوم الطبيعية والرياضيات والصحافة ، مع التدريس والتأليف ايضاً . وسارا على

خطين شبه متوازيين الى نهاية الشوط غير ان لقاء القدر جمع ثلاثة لا اثنين ، اذ في هذا الوقت ايضاً ، كان قد حل فانديك ببيروت ، كما رأينا ، وتيسر للبستاني ان يحصل الانكليزية من اختلاطه بالانكليز والاميركان ، وكان في «عين ورقة» قد حصل نصيباً جيداً من السريانية واللاتينية والايطالية الحديثة. ولم يلبث في بيروت ان انعقدت الصحبة المؤكدة بينه وبين فانديك العالم الانساني الفعال ، وعمل معه اولاً في انشاء مدرسة «عبيه» — في مقاطعة الغرب — سنة ١٨٤٦ ثم في بيروت والآن شقّ البستاني طريقه ، والى جانبه ابنه سليم ، وكان منه لابيه ما كان من ابراهيم لابيه الشيخ ناصيف . واتسعت حلقة البستاني مع عالي سمث ايضاً ، وجعل يعلم فانديك العربية ، ويستفيد منه في الانكليزية. وفي هذه الفترة يظهر ان لاحت له الفرصة ، وطالب العلم نهم ، فدرس ما استطاع من اللغات القديمة ، الآرامية والعبرية واليونانية ، فامتلأ حوضه من الوقوف على اللغات ، وهذا بالاضافة الى ما كان قد حصله في عين ورقة. وما نريد ان نعنى به الآن من نواحي البستاني هو ناحية صلته بزملائه الذين قاموا بترجمة الكتاب المقدس ، اما جملة خبره بعد هذا ، فانه مع اشتغاله بترجمة التوراة ظل يسير سيرة الجبار ، فانشأ (نفير سوريا) الصحيفة الوطنية بعد ١٨٦٠ ثم المدرسة الوطنية ، الاولى من نوعها في لبنان سنة ١٨٦٣ ثم بعد ذلك عكف على وضع المعجمين «محيط المحيط» و«قطر المحيط» ، ثم ولج باب «دائرة المعارف» العربية ، وهو اول مشروع من نوعه في العربية ، لكنه عظيم ضخم ، ولا سيما قبل اليوم بتسعين سنة والنهضة في مدارجها الاولى ، وجملة ما صدر من «الدائرة» ١١ جزءاً بالغة كلمة «عثمانية» وصدر اول جزء سنة ١٨٨٣ والحادي عشر سنة ١٩٠٠ ، وتعاون في هذا العمل مع المعلم بطرس ، ابناؤه سليم ونجيب ونسيب ، وابن عمها سليمان البستاني «معرب الالياذة» فستة اجزاء اصدرها المعلم بطرس وولده سليم في سنتي ١٨٨٣ و ١٨٨٤ والباقي صدر في خلال الستة عشرة السنة التالية[1] .

(١) كتاب «المعلم بطرس البستاني» في نحو ١٢٥ صفحة للاستاذ ميخائيل صوايا (بيروت ١٩٦٣) كتاب وجيز حوى لباب سيرة المعلم بطرس ، مطالعته مفيدة لذيذة .

قال القس سيكل سيل ، وهو يعتمد في هذا على مقالات الدكتور جون طمسون ، في وصف طريقة النقل: ان المعلم بطرس كان يقوم بترجمة النصوص ثم يدقق هذه الترجمة عالي سمث من حيث مطابقة معانيهـــا على الاصل ، ثم يتولى الشيخ ناصيف الصياغة العربية. بعد هذا يقوم سمث بطبع المادة المترجمة في كراريس ، ويوزع هذه الكراريس على المختصين من المرسلين البروتستانت في بلاد العرب ، وايضاً على عدد من العلماء الالمان في المانيا ، لابـداء الرأي والملاحظة . ثم يعود الشيء كله الى سمث فيعيد فيه النظر لاقرار الصيغـــة النهائية ، وبهذا تصبح الترجمة مهيأة وممدة للطبع . وقد قام هـذا الرهط : البستاني – سمث – اليازجي بترجمة اسفار موسى الخمسة واجزاء مختلفـة من « الانبياء » والعهد الجديد على هذا المنوال .

وبعد ان شرع في طبع العهد القديم،ادركت المنية عالي سمث سنه ١٨٥٧ فانتقل العمل الى فانديك .

فاستعان بالشيخ يوسف الاسير استاذه ، فنقحا ترجمة العهد الجديد الـــتي تركها سمث . تم طبع ذلـك سنة ١٨٦٠ واما العقد البديم فتمت ترجمته سنة ١٨٦٤ وطبعه ١٨٦٥ .

وقال صاحب « المرشد » ان سمث كان مذهبه في البيان « الميل الى ايثار الاسلوب الفصيح ، مع اختيار المفردات القريبة المنال . امـا فانديك فمذهبه ان طبقة الفصاحة تتبع اسلوب الكلام وروحه وتتنوع بتنوع الاسلوب، وفي التوراة اساليب مختلفة شتى» ،وكنا نود لو ان تفصيلات اوسع من هذه ، قد حفظت لنا عن هذا العمل الخطير .

الشيخ يوسف الاسير

الشيخ يوسف بن عبد القادر الأسير[1] الحسيني ، من رجالات العلم والادب والفكر والتحرير ، طبقةً اولى ، في لبنان وديار الشام في القرن الماضي . ولد في صيدا ، وكان والده يتعاطى التجارة امّا المترجم فعزف عن ذلك وجارى ميله الى العلم والادب ، وفي صدره نوازع نبل وطموح . درس في بلده اول نشأته ثم انتقل الى دمشق ودرس في « المدرسة المرادية » مدة قليلة ، فتوفي والده فانقطع عن الدرس وجاء بلده ليرعى امور اخوته وشؤون عائلته ، ولمّا اسعفته الاسباب عاد الى تحقيق مطمحه فرحل الى مصر فأقام في «الازهر» سبع سنين حتى ارتوى وكان من النبغاء في العلوم النقلية والعقلية ولم يلبث ان امسى في كل هذا اماماً وهو في مطلع حياته العملية ، ولبنان يجتاز ادواراً كلها تطور وانتقال . ثم اننا نرى الشيخ الاسير بعد ذلك ، الى نهاية حياته التي امتدت الى اول العقد الاخير من القرن الماضي ، على ثلاث دروب ، ويدخل بعضها في بعض ، وهي :

١ – تولي المناصب الرسمية، والشرعية ، في بيروت وطرابلس وعكاء والاستانة . وكانت حالته الصحية تحمله احياناً على النقلة من مكان الى آخر انتجاعاً للعافية .

٢ – عمله في نشر كل ما يؤول الى اليقظة الذهنية العامة ، وبث روح العلم ، والتآخي الوطني وتغذية النهضة ولا سيما بعد سنة ١٨٦٠ .

---

[1] قال الزركلي في « الاعلام » ان « الاسير » لقب لأحد جدود المترجم وقع في اسر الافرنج في مالطة فلما عاد الى وطنه صار يلقب بالاسير .

٣ – عمله في الصحافة العربية وهي في ادوارها الاولى . تولى رياسة تحرير مجلة « ثمرات الفنون » الشهيرة ، وعمل في «لسان الحال[١]» . وتولى التدريس في عدة معاهد كبيرة منها « مدرسة الحكمة » و « الجامعة الاميركية » التي كانت تعرف وقتئذٍ « بالكلية السورية الانجيلية » . هذا الى التأليف فوضع عدة كتب في الأدب ، والعلوم الشرعية .

ومن مميزات الاسير رقة الشمائل وزكاوة الخلق ، ولما ظهرت حركة نقل الكتاب المقدس الى العربية في بيروت ، كان من الاعلام ، كما قلنا ، في لبنان وديار الشام ، وهو وقتئذٍ في الكهولة الريّانة . وقبل ان أخذ يسهم في تنقيح الترجمة العربية مع فانديك ، كان فانديك يدرس عليه اللغة العربية .

(١) « الاعلام » للزركلي في ترجمة « الاسير » .

٢ ـ الترجمة اليسوعية

الترجمة اليسوعية ليس لدينا الا القليل من التفصيل حولها . وصفوة هـذا القليل ، ما ذكره الاب شيخو اليسوعي، وهو يترجم لرهط الأسرة اليازجية في كتابه « الآداب العربية في القرن التاسع عشر » فقال :

« ولما عمد الآباء اليسوعيون الى تعريب الاسفار المقدسة من اصلها العبراني واليوناني ، رأوا ان امانة التعريب لا تفي بالمرام ان لم يُغمَطَ المعرّب حقه من الفصاحة والبلاغة ، بتنقيح العبارة ، وسبك الكلام ، وكان اذ ذاك الشيخ ابراهيم (اليازجي) نال بعض الشهرة ، فدعوا به الى مدرستهم في غزير سنة ١٨٧٢ وباشروا معه في العمل، وكان الاب اوغستين روده الذي درس العربية في الجزائر وعلّم العلوم الكتابية في فرنسة ، ينقل الكتب المقدسة فصلاً فصلاً وآية آية ، بعـد مراجعة تفاسير الآباء والمعلمين ، والترجمات الشرقية العديدة منها ثلاث ترجمات عربية . فاذا اتمّ عمله نظر فيه الشيخ نظراً مدققاً فعرض على المعرب ملحوظاته ، ثم تفاوض كلاهما الى ان يتفقا على رأي واحـــد ، فيدونانه بالكتابـة ، ثم يعرضان شغلهما على اربعة اساتذة من الآباء المتضلعين بالعلوم العربية ومعرفة اللغات الشرقية ، فلا يطبع شيء الا بعـد مصادقتهم على كمال الترجمة .

« واشتغل الشيخ ابراهيم في تنقيح التوراة العربية نحو ٩ سنوات في غزير وبيروت ، وقد علّم سنين طويلة في المدرسة البطريركية، فتخرج عليه كثيرون من احداثها اشتهر بعضهم بالتأليف » . ثم يمضي الاب شيخو بايجـــاز ترجمة الشيخ ابراهيم . (الآداب العربيـة في القرن التاسع عشر ص ٣٥ و ٣٦ الجزء الاول) .

ولا نعلم متى بدأ المترجمون اليسوعيون عملهم ولعله سنة ١٨٧٢. غير ان صاحب «المرشد» يقول (ص٦٠) ان العهد الجديد طبع سنة ١٨٧٨ و«العهد العتيق» سنة ١٨٨٠ . ووفاة الشيخ ناصيف كانت سنة ١٨٧١ .

ونلفت النظر الى « معجم اعلام الشرق والغرب » في « المنجد » فنجد شيئين حريين بالذكر ، اولاً كلمة موجزة تتعلق بالترجمة اليسوعية تحت مطلب « الكتاب المقدس » : « هو كتاب الوحي المسيحي . اشهر ترجماته العربية – المعروفة بترجمة اليسوعيين – تعتبر طرفة في الادب العربي . وضع نصوصها نخبة من علماء الكتاب المقدس ، ثم نقح عبارتها الشيخ ابراهيم اليازجي ، وصدرتها المطبعة الكاثوليكية ، وسجل طبعها تقدماً جريئاً في الفن الطباعي العربي » .

وقال المعجم في ذكر الشيخ ابراهيم : – (.. من ائمة النهضة الادبية والعلمية لا سيا بابحاثه اللغوية . اخذ علوم العربية عن ابيه الشيخ ناصيف . حفظ القرآن . وتوسط حلقات التعليم في المدرسة البطريركية . اتقن اللغات الغربية وألم بالعبرية والسريانية . صنع بيده امهات الاحرف العربية للمطابع. نقح نصوص العهد القديم التي ترجمها اليسوعيون . أسس مجلة « الضياء » وحرر القسم الاكبر منها . «والضياء» كانت بين ١٨٩٧ و ١٩٠٦ وكانت مجلى عبقرية الشيخ ابراهيم في نصوص البيان العربي والابحاث اللغوية) .

ومما ذكره المعجم حول ترجمة الكتاب المقدس ، نعلم ان الذين تعاونوا فيه « نخبة من علماء الكتاب المقدس » ولا زيادة من العلم على هذا ، وهذا يدل على ان الاب روديث لم يكن منفرداً .

والبيت اليازجي ، ويا للغرابة ، بدأ يضيء ويشرق بالشيخ ناصيف وجعل يخبو بوفيات اولاده وبناته من بعده واحداً بعد آخر ، فما جاء آخر الربع الاول من هذا القرن ، الا واليازجيون خالدون في الكتب الى ما شاء الله . وليس منهم احد اليوم يدب في الدنيا والخلود انما هو هذا : في الكتب ، وآخر ما نذكر من سلالتهم ان أحد احفاد الشيخ ناصيف ، وهو حبيب ،

عاش الى ما بعد الحرب العالمية الاولى بقليل ، وكأن قد هالته الـكثرة في النسل اليازجي ! فأحب ان يترهب فينقطع النسل بالمـــرة ، وكان في مصر الصحافي الاجتماعي النقريس ، سلـيم سركيس ، صاحب « مجلة سركيس » فناداه : « الا انت يا حبيب ! » ، اي : كل غيرك يدخل الدير الا انت . ثم انطفأت القناديل كلها . « ووردة » الشاعرة ابنة الشيخ ناصيف توفيت في مصر سنة ١٩٢٤ .

* * *

وقد يسأل قارىء: وأين هذا الذي اوردناه بايجاز عن البستاني واليازجيين ورهط المستعربين الاميركان ، من قافلة الكلام على ترجمة «الكتاب المقدس» ؟ والجواب : ان الشوامخ البناة في التراث العربي ، في اي عصر كانوا ، علينـا ان نلم بكل ما يمكن من اخبـــارهم . والذين اضطلعوا بترجمة الكتـــاب المقدس ، هم اولى الناس بان نعرف مـــن اخبارهم على الاقل هذا الموجز . جزاهم الله خيراً .

امثلة من عبارة الترجمتين : الاميركية البروتستانية واليسوعية اللاتينية

الاميركية-البروتستانتية

(١) وعمل بنو اسرائيل الشر في عيني الرب فدفعهم الرب ليد مديان سبع سنين (٢) فاعتزت يد مديان على اسرائيل . بسبب المديانيين عمل بنو اسرائيل لانفسم الكهوف التي في الجبال والمغاير والحصون (٣) واذا زرع اسرائيل كان يصعد المديانيون والعمالقة وبنو المشرق يصعدون عليهم (٤) وينزلون عليهم ويتلفون غلة الارض الى مجيئك الى غزة ولا يتركون لاسرائيل قوت الحياة ولا غنماً ولا بقراً ولا حميراً (٥) لانهم كانوا يصعدون بمواشيهم وخيامهم ويجيئون كالجراد في الكثرة وليس لهم ولجمالهم عدد . ودخلوا الارض لكي يخربوها (٦) فذل اسرائيل جداً من قبل المديانيين . وصرخ بنو اسرائيل الى الرب .

(سفرة القضاة ٦ : ١—٦)

اليسوعية - اللاتينية

(١) وصنع بنو اسرائيل الشر في عيني الرب فدفعهم الرب الى ايدي مدين سبع سنين (٢) وقويت ايدي مدين على اسرائيل فاتخذ بنو اسرائيل لانفسهم المغاور التي في الجبال والكهوف والحصون من وجه مدين (٣) وكان اذا زرع اسرائيل يصعد المدينيون والعمالقة وبنو المشرق ويخرجون عليهم (٤) ويجيئون عليهم ويفسدون غلة الأرض الى مدخل غزة ولا يبقون ميرة في اسرائيل ولا غنماً ولا بقراً ولا حميراً (٥) لانهم كانوا يصعدون بماشيتهم وخيامهم ويأتون في مثل كثرة الجراد بحيث لا يعدون هم ولا جمالهم ويأتون الأرض ويفسدونها (٦) فذل اسرائيل جداً امام مدين وصرخ بنو اسرائيل الى الرب .

(سفرة القضاة ٦ : ١—٦)

الاميركية - البروتستانتية

(١) وعرف آدم حواء امرأته فحبلت وولدت قايين وقالت اقتنيت رجلاً من عند الرب (٢) ثم عادت فولدت اخاه هابيل . وكان هابيل راعياً للغنم وكان قايين عاملاً في الأرض (٣) وحدث من بعد ايام ان قايين قدم من اثمار الأرض قرباناً للرب (٤) وقدم هابيل ايضاً من ابكار غنمه ومن سمانها فنظر الرب الى هابيل وقربانه .

(سفر التكوين ٤ : ٤١)

اليسوعية - اللاتينية

(١) وعرف آدم حواء امرأته فحملت وولدت قاين فقالت قد رزقت رجلاً من عند الرب (٢) ثم عادت فولدت اخاه هابيل راعي غنم وقاين كان يحرث الأرض (٣) وكان بعد ايام ان قاين قدم من ثمر الارض تقدمة للرب (٤) وقدم هابيل ايضاً شيئاً من ابكار غنمه ومن سمانها فنظر الرب الى هابيل وتقدمته .

(سفر التكوين ٤ : ١-٤)

***

(١) حكمة المرأة تبني بيتها والحماقة تهدمه بيدها (٢) السالك باستقامته يتقي الرب والمعوج طرقه يحتقره (٣) في فم الجاهل قضيب لكبريائه . اما شفاه الحكماء فتحفظهم .

(الامثال ١٤ : ١ — ٣)

(١) المرأة الحكيمة تبني بيتها والسفيهة تهدمه بيديها (٢) السائر باستقامته يتقي الرب والذي طرقه ملتوية يستهين به (٣) في فم السفيه قضيب الكبرياء وشفاه الحكماء تحفظهم .

(الامثال ١٤ : ١ — ٣)

* * *

(١) للانسان تدابير القلب ومن الرب جواب اللسان (٢) كل طرق الانسان نقية في عيني نفسه والرب وازن الارواح (٣) الق على الرب اعمالك فتثبت افكارك (٤) الرب صنع الكل لغرضه والشرير ايضاً ليوم الشر

(الامثال ١٦ : ١ — ٤)

(١) للانسان اعداد القلب ومن الرب جواب اللسان (٢) جميع طرق الانسان زكية في عينيه والرب وازن الارواح (٣) فوض الى الرب اعمالك فتثبت مقاصدك (٤) الرب صنع الجميع لاجله والمنافق أيضاً ليوم السوء .

(الامثال ١٦ : ١ — ٤)

الاميركية – البروتستانتية

(٨) هلمي معي من لبنان يا عروس معي من لبنان . انظري من « رأس امـانة [١] » من رأس شَنِير [٢] وحَرْمون من خدور الاسود من جبل النمور (٩) قد سبيت قلبي يا اختي العروس قد سبيت قلبي باحدى عينيك بقلادة واحدة من عنقك (١٠) ما احسن حبك يا اختي العروس كم محبتك اطيب من الخمر وكم رائحة ادهـانك اطيب من كل الاطياب .

(نشيد الانشاد ٤ : ٨ – ١٠)

اليسوعية – اللاتينية

(٨) هلمي معي من لبنان ايتها العروس معي من لبنان . انظري من « رأس امـانة [١] » من « رأس سنير [٢] » وحرمون من مرابض الاسود من جبال النمور (٩) قد خلبت قلبي يا اختي العروس قد خلبت قلبي باحدى عينيك وقلادة من عنقك (١٠) ما ألطف حبك يا اختي العروس ان حبك الذ من الخمر وعَرْق ادهانك فوق جميع الاطياب .

(نشيد الانشاد ٤ : ٨ – ١٠)

* * *

الاميركية – البروتستانتية

(١٠) حبيبي ابيض واحمر مُعْلَمٌ بين ربْوة (١١) رأسه ذهب ابريز . قصصه مسترسلة حالكـة كالغراب (١٢) عيناه كالحمـام على مجاري المياه مغسولتان باللبن جالستان في وَقْبَيْهما (١٣) خدّاه كخميلة الطيب وأتْلاَم رياحين ذكية . شفتاه سوسن تقطران مراً مائعاً (١٤) يداه حلقتان من ذهب مرصعتان بالزبرجد ، بطنه عاج ابيض

اليسوعية – اللاتينية

(١) حبيبي ابيض واشقر عَلَم بين ربوة (١١) رأسه نُضَارٌ ابريز وغدائره كسعف النخل حالكة كالغراب (١٢) عيناه كحمامتين على انهار المياه تغتسلان باللبن وهما جاثمتان في وَقْبَيْهما (١٣) خدّاه كروضة أطياب وخضيلة رياحين وشفتاه سوسن تقطران مراً ذكياً (١٤) يداه حلقتان من ذهب مرصعتان بالزبرجد وجسمه عاج يغشّيه

---

(١) قال قاموس الكتاب المقدس: «امانة» كلمة عبرية معناها « الثبات » وهي اسم لجبل لبنان الصغير . وربما يقع نبع نهر ابانة ، الذي يسمى ايضاً امانة ، في هذا الجبل

(٢) سنير او شنير واحد . قال قاموس الكتاب المقدس : « اسم اموري ربما كان معناه جبل السنا او النور وهو الاسم الذي اطلقه الاموريون على جبل حرمون .

الاميركية - البروتستانتية

مغلف بالياقوت الازرق (١٥) ساقاه عمودا رخام مؤسستان على قاعدتين من ابريز . طلعته كلبنان . فتى كالارز .
(نشيد الانشاد) ٥ : ١٠-١٥)

اليسوعية - اللاتينية

اللازورد (١٥) ساقاه عمودا رخام موضوعتان على قاعدتين من ابريز وطلعته كلبنان . هو مختار كالارز .
(نشيدالانشاد : ٥ : ١٠-١٥)

* * *

الاميركية - البروتستانتية

(٣) لان بني اسرائيل وبني يهوذا انما صنعوا الشر في عيني منذ صباهم . لأن بني اسرائيل انما اغاظوني بعمل ايديهم يقول الرب (٣١) لأن هذه المدينة قد صارت لي لغضبي ولغيظي من اليوم الذي فيه بنوها الى هذااليوم لانزعها من امام وجهي(٣٢) من اجل كل شر بني اسرائيل وبني يهوذا الذي عملوه ليغيظوني به هم وملوكهم ورؤساؤهم وكهنتهم وانبياؤهم ورجال يهوذا وسكان اورشليم .
(ارميا ٣٢ : ٣٠-٣٢)

اليسوعية - اللاتينية

(٣٠ فان بني اسرائيل وبني يهوذا انما هم صانعو شر في عيني منذ صَبَآئهم اذ اسخطني بنو اسرائيل بعمل ايديهم يقول الرب (٣١) لان هذه المدينة كانت عرضة لغضبي وحنقي من يوم بنوها الى هذا اليوم حتى احقها من امام وجهي (٣٢) لأجل جميع شر بني اسرائيل وبني يهوذا الذي صنعوه ليسخطوني هم وملوكهم ورؤساؤهم وكهنتهم وانبياؤهم ورجال يهوذا وسكان اورشليم .
(ارميا ٣٢ : ٣٠-٣٢)

١٧ ــ احمد فارس الشدياق

١٨٠٤ ــ ١٨٨٧

- ترجمته للكتاب المقدس في لندن ١٨٥١ .
- « صقر لبنان » لمارون عبود في الشدياق .
- صفوة ترجمة احمد فارس الشدياق ووصف آثاره .
- لماذا طويت هذه الطبعة ولم تعرف في العالم العربي ؟
- مناجاة مارون عبود للشدياق في يوبيل الذكرى الخمسيني .

احمد فارس الشدياق

١٨٠٤ ـ ١٨٨٧

ترجمته الكاملة للكتاب المقدس سنة ١٨٥١

قد يدهش القارىء اذ يعلم ، وهو يتابع هذه الصفحات ، ان هناك ترجمة عربية ثالثة « للكتاب المقدس » ، قام بها امام العربية احمد فارس الشدياق في لندن وطبعت في لندن في منتصف القرن الماضي . واين هي اليوم هذه الترجمة، ولماذا لم تظهر للناس في اي رقعة من العالم العربي، وما صفوة خبرها؟

* * *

اما الامام احمد فارس الشدياق ، فهو في « النهضة الادبية الحديثة » « رجلها الاول » ، كما وصفه بهذا مترجمه ومؤرخه مارون عبود في كتابه « صقر لبنان » [١] (بيروت ١٩٥٠) .

---

(١) « صقر لبنان » كتاب صغير الحجم في اقل من ٢٢٥ صفحة ، وهو على ايجازه ، الكتاب الكافي الوافي في ترجمة احمد فارس الشدياق ، وذلك لان المترجم والمؤرخ هو مارون عبود الدائر في فلك وحده . واما تسمية هذا الكتاب « بصقر لبنان » فسببها تسمه من مارون عبود نفسه، فقال في صفحة مفردة بعد صفحة الوسمة : « اخي القارىء ! ربما ذكرك قولنا « صقر لبنان » بقولهم « صقر قريش » ، وهو كذلك . فكما في السياسة كذلك في الادب . فرّ عبد الرحمن من الشام فشيد مملكة طريفة نسميها اليوم « الفردوس المفقود » . وفر احمد فارس الشدياق من لبنان فاحيا دولة ادبية ما زال رأسها سالماً . ليس للبنان فرد صقر. قد اهتدى بهذا العلم صقور ونسور، وكان ما كان » .

مجمل سيرته واعماله الكبرى

سيرته تختلف عن سيرة انداده الائمة في لبنان الذين قاموا بعبءالترجمتين ، الاميركية والسوعية . وهو لبنـــاني ، ومن اسرة الشدياق المشهورة بانجاب العباقرة من رجال الدين والدنيا ، وولد في عشقوت (كسروان – لبنان) .

ونحن هنا لسنا في صدد ترجمته الا مجملاً . وخير ما يفعل القارىء العربي ، اذا شاء الالمام الحسن بحقائق حياته ، ان يقرأ « صقر لبنان ».

وعلى من يريد ايجاز صورته فليعلم اين يبتدىء ، فالرجل لا يسترعي انتباه القارىء اذا سلط عليه المقاييس العادية في وزن الرجـــال الذين يعلون حتى يصبحوا في فلك العباقرة . فالشدائد التي ذاقها في حياته ذاقها غيره. والحياة لا تصفو لاحد . لكن تتجلى قيم احمد فارس الشدياق في النهاية . بعد ان انهى الشوط كله ، وخلف وراءَه دنيا مترعة بالفكر المتلألىء والنقد، وفن الكتابة الحرة ، والعبارة السلسة، حتى امست العربية في ذهنه وصدره وعلى لسانه ، كأنهـــا اشياء طبيعية ولدت معه بالفطرة ، تخالط انفاسه ، وتمتزج بروحه ، وهو كيفما دار وتحرك وسكن ، وتحول واتجـه ، اعطاك فيضاً من عبقريته الدائمة الاشعاع والتضوع . رجل عجيب حقاً .

* * *

هو نيزك لبنان في القرن التاسع عشر . في مستوى نبوغه كأنه هبط من فوق .

توفي في استنبول ، ونقل جثمانه الى بيروت ، ودفن « في مقبرة عائلته ، ثم نقـــل الى مقبرة خاصة بجوار مدافن « المتصرفين [١] » في « الحازمية »

(١) حكام لبنان زهاء ٥٤ سنة ، بعيد سنة ١٨٦٠ الى اوائل الحرب العظمى الاولى سنة ١٩١٤ وهذا تعبير تركي « والمتصرف » دون « الوالي » ، وربما كان « المحافظ » اليوم دون المتصرف .

وحدث اخيراً ١٩٣٧ انه بينما كان العمال يحفرون (في اصلاح الطريق العام في الحازمية حيث مدفن الشدياق) عثروا على نعش من الرصاص ، ففتحوه فإذا به يضم جثمان احمد فارس الشدياق .

« الجثمان على حاله – ولشد مـا كانت دهشة العمال عندما وجدوا الجثمان لا يزال على حاله ، كأن العلامة الشدياق ميت منذ يومين فقط . فلحيته باقية، وحاجباه باقيان ايضاً ، ولم يطرأ على شعره وعلى وجهه اي تبدل او تغير ، وليس هـــذا فقط . بل ان الكفن الذي لف به ، وهو من الحرير المعروف « بالتفتا » لا يزال على حاله ايضاً ، كما ان ختم دائرة الصحة في استنبول ما برح موجوداً على التابوت » . (صقر لبنان ص ٢٠٦ و ٢٠٧ و٢١٥ و ٢١٦)

* * *

وأعيد الى مثواه ، وأقيم له مهرجان يوبيل خمسيني ، قام بعبئه عصبة في طليعتها اثنان مارون عبود وفؤاد حبيش، ومارون كان اوفى لبناني في تخليد ذكرى الفارياق .

* * *

قالوا : اذا نظرت اليه عبقريــاً ، فيؤخذ عليه في بعض المواطن النقد اللاذع الممزوج بالمجون. اجاب مارون عبود على هذا الاعتراض،فارجع اليه في « صقر لبنان » ان شئت .

وصفته جريدة (البورص اجبسيان) في ٢٦ تموز ١٩٣٧ وجعلت منه ومن « فكتور هيغو » كفتي ميزان ، وفرسي رهان ، فقالت :«ما بين ١٨٠٢ و ١٨٨٧ نشأ رجلان ، ان اختلفا موطناً ولغةً ، فقد اتفقا في الاتجاه والمثل الأعلى . من المفيد جداً ان نعلم ان هذين الرجلين اللذين لم يتعارفا ابداً ، قد جريا لغاية واحدة طول حياتهما . فهذان الرجلان هما المعلمان المطلقان للغتهما،

قد تصرفا بها كما شاءآ بسهولة عجيبة . اسخطهما محيطهما فماشا يهجوان شعراً ونثراً المتسلطين في عصرهما ، مقبحين الاساءة والجور : فيكتور هيغو وأحمد فارس الشدياق ».ولد احمـــد فارس الشدياق (١٨٠٤) في ايام الامير بشير الثاني الكبير .

وخرج من لبنان الى مصر سنة ١٨٢٥ وهو في الحادية والعشرين، وما في صدره هو ما حصله من المعارف في مدرسة « عينورقة » وما اخذه عن اخيه اسعد . قال الشعر قبل ان يبلغ العاشرة . ومن فطرته كان مولعاً بالنمط الجيد الصحيح الفصيح من العربيـــة . وفي مصر ، ازداد وتبحر ، واوعب واستوعب ، فعينته الحكومة المصرية محرراً او مصححاً للجريدة الرسمية التي كانت تسمى « الوقائع المصرية » فبرز في عمله وأخذ اسمه وذكره يلتمعان . وفي مصر تزوج بنت « الصولي » وهي من اسرة سورية وجيهة . وفي مصر ايضـاً اتصل به المرسلون الاميركان للاستفادة من لغته وبيانه . ثم نقل الى مالطة لعمل مع الاميركان اوسع مسؤولية من عمله في مصر ، بعد ان قضى في وادي النيل ٣ سنوات ، ومالطة كانت مركزاً تبشيرياً للاميركان ، فعمل معهم في مالطة مدة لا تقل عن ١٤ سنة مطردة .

* * *

قال مؤرخه وواضع سيرته الجبار مارون عبود ، ان الشدياق لمـا كان في مالطة ، استدعته وزارة خارجية انكلترا لمعاون « الدكتور لي » في ترجمة التوراة وتنقيحها ، فاقام في لندن وضواحيها سنوات ، فوصفها لنـا اطرف وصف في « كشف المخبّا » ، وقد جاءت ترجمته للتوراة اصح الترجمات بشهادة علامة زمانه المطران يوسف الدبس الشهير . اما شيخنا الشدياق ، فـلم يكن راضياً كل الرضى عنها ، وقد وصف لنا ما كان يعترض طريقه عند الدكتور لي »(صقر لبنان ص ٩٤) وسنعود الى هذه المسألةالتي هي من غاية المراد في كلامنا على ترجمة الكتاب المقدس .

وتوفي ابن له في لندن اسمه « فايز » ، فتجمل في فقده بصبر جميل . ومن

لندن انتقل الى باريس ، وواتاه الحظ بأن لقي فيها احمد باشا باي تونس ، فدعاه (الباي) الى بلاده فقبل الدعوة شاكراً ، وبعد عودة الباي الى تونس ارسل باخرة خاصة تقل الشدياق وعائلته من مرسيليا الى تونس الخضراء . وهنا نقطة مهمة ، فان الشدياق احمد فارس ، لما هاجر من لبنان سنة ١٨٢٥ الى مصر انما كان السبب في هجرته هذه ، ما خشي على حياته في لبنان من مصير غامض يفاجئه بعد النازلة التي حاقت باخيه اسعد واودت به سنة ١٨٣٠ . وقصة اخيه اسعد مأساة بدأت سنة ١٨٢٣ وفي هذه السنة بدأ المرسلون الاميركان يفدون على بيروت من مالطة ، فاتصلوا باسعد للاستفادة من علمه وادبه وكفايته في الترجمة وما اليها ، وادّى هذا به الى اعتناقه البروتستانتية ، فلم ترضَ عنه الكنيسة المارونية فطالت قصته وكانت مأساة في النهاية وبعد سنتين من بدء هذه القصة هاجر اخوه احمد فارس الى مصر شبه فار ، وفي مصر محمد علي ، وفي لبنان الامير بشير ، ولما وضع الشيخ طنوس الشدياق ، اخو احمد فارس واسعد ، تاريخه « اخبار الاعيان في جبل لبنان » وبلغ به ما يقرب من سنة ١٨٥٩ لم يذكر شيئاً من مأساة اخيه اسعد، وانما مر به بعبارة موجزة . ولما طبع الكتاب واطلع عليه احمد فارس ، عاتب اخاه الشيخ طنوس على اغفاله قصة اسعد . والقصة حقاً شائكة لمن يريد ان يؤرخها ويبسط تفاصيلها امس واليوم .

* * *

هذا هو الوجه الاول للنقطة المهمة ، ولها وجه آخر وهو: ان حياة احمد فارس في لبنان كانت بين الاصطراعات الاقطاعية والامير بشير، واسرته منذ القرن١٧ في المضمار، مليئة بالمخاوف والبؤس والشقاء، وهو، احمد فارس ، وصف كل هذا في كتابه المشهور « الفارياق » وصفاً واقعياً لكن على مستوى رجل الدهر الفيلسوف . ولما هاجر ، واخذ يتنقل بين مصر ومالطة ولندن وتونس

والاستانة ، جمل الدهر يبسم له افقاً بعد افق ، وهو يزداد علواً واشراقاً ، الى آخر حياته .

* * *

ولهذا ، قال واصف عبقريته وسادن كعبته ، مارون عبود مشيراً الى تعالي استاذه (احمد فارس) في الرتب والنعم ، بين باي تونس ، والخليفة : «وجاء تونس ، فغرق في نعمة الباي . قلده اسمى المراتب ، وعهد اليه برئاسة تحرير جريدة « الرائد التونسي » و « مديريـة المعارف » . ثم اسلم وتسمى احمد ، وتكنى « بأبي العباس » ، وطار صيته في الشرق والغرب ، فطمعت الآستانة به ، فطلبه جلالة السلطان من سمو الباي ، فجاء الآستانـة مكرماً مبجلاً، بعد سير وراء ذلك الحمار بين «بسوس» «وبشامون» «وعين‌عنوب»[١] وغيرها ، فها هو في قصور اسطمبول ينعم غارقاً بين الزهور والعطور بعد ما كان يسير وراء حمار وصفه بقوله ...» (صقر لبنان ص ٩٧).

* * *

بلغ احمد فارس ذروة مجده في الآستانـة ، مقرباً من السلطان الخليفة ، مرموقاً بالتجلة من كل ناحية ، فأكرمه السلاطين ولا سيما عبد الحميد، فأحاطه بالرعاية والاوسمة والرتب ، فضخم اسم احمد فارس وبَعُد صيته ، وانطلقت مواهبه فوق كل انطلاق سابق ، وأصدر جريدة «الجوائب» التي كانت تصدر من ضفاف البسفور وتجوب العالم الاسلامي،وعواصم العالم الغربي، وهناك ثلاث صحف اسلامية بلغن السنام الاعلى في الذيوع والانتشار في الربع الاخـير من القرن الماضي : «الجوائب» لأحمد فارس في الآستانة ، « والمؤيد » للشيخ علي يوسف في القاهرة ، « وثمرات الفنون » للسيد عبد القادر القباني في بيروت ، وتعاصرت هـذه الصحف مدةً ما . وتولى بالاضافة الى اصدار « الجوائب » ادق عمل ثقافي في ذلك الوقت ، وهو تصحيح « الطباعة الشاهانية » وهذه تحتاج الى كفاية علمية نادرة . وطبع من كتب التراث العربي شيئاً كثيراً ،

---

(١) قرى في قضاء عاليه من لبنان .

واتّسمت مطبوعات « الجوانب » بالرونق والاتقان الى ما وراء الغاية ، وبمثل هذا ايضاً امتازت مطبوعات اليسوعية في الوقت نفسه . وظلت « الجوائب » تصدر نحواً من ٢٣ سنة حتى احتجبت سنة ١٨٨٤ قبل وفاة صاحبها بنحو ٣ سنين .

* * *

انطفأ نيزك لبنان بعد قليل تاركاً وراءه من الكنوز ما لم يستطع ان يتركه احد غيره .

* * *

ترجمة احمد فارس الشدياق للكتاب المقدس

نعود الى ترجمة احمد فارس الشدياق للكتاب المقدس .

وأول ما ينبغي الاشارة اليه ، هو ان احمد فارس قام بهذه الترجمة قبل ان يسلم ويتسمى احمد ، ويكنى بأبي العباس .

ونستطيع الآن ان نعلم جملة مراحل حياته بعد خروجه من لبنان [١] :

١ – خرج من لبنان الى مصر سنة ١٨٢٥ وهو في الحادية والعشرين ليجتنب مصيراً سيئاً بسبب اخيه اسعد .

٢ – أقام في مصر نحواً من ٣ سنين ثم انتقل الى مالطة سنة ١٨٢٧–١٨٢٨.

٣ – في مالطة أقام ١٤ سنة . في مصر جعل يلتمع وفي مالطة يزداد التماعاً .

---

(١) يقول مارون عبود ان الفارياق عاد الى لبنان خلسة سنة ١٨٣٧ (اي ايام مقامه في مالطة ، ووجود ابراهيم بن محمد علي في الشام) ولم يطل مكثه في لبنان وفي احد المجالس قال لجلسائه : « ان رأس الفقير ليس باضيق ولا اصغر من رأس الامير . وان يكن هذا اكبر عمامة واغلظ قذالاً . ارفعوا فرق المذاهب من بينكم ، فذلك ادعى لكم الى الحظ والسرور . اعلموا ، هداكم الله، ان فرق الآراء في الاديان لا يمنع من الالفة والمخالّة (الفارياق طبع باريز ص ٤٦٣) .

٤ - حوالي ١٨٤٢ طلبته وزارة الخارجية ليعاون « الدكتور لي » في ترجمة الكتاب المقدس ، فذهب الى لندن وأقام فيها سنوات وقام بهذا العمل الخطير ، خير قيام .

٥ - بعد اقامته في لندن ، تحول الى باريز ، وليس لدينا تاريخ ذلك ، ولا ندري ايضاً كم بقي في باريز حتى لقي بأي تونس ، وبعد اقامته في تونس السني التي كتبت له هناك ، وبعد اسلامه ، لبى دعوة السلطان فنراه سنة ١٨٦١ في الآستانة وهو يرتقي الى أعلى أوج من عز بلغه . وتصدر « الجوائب » في الاستانة ١٨٦١ وامتد به الشوط الى نهاية حياته في الاستانة .

* * *

وذكر مارون عبود من اسماء مؤلفات الفارياق (اكثر من ٢٠) مؤلفاً ، اهمها « سر الليال في القلب والابدال » ، و « الجاسوس على القاموس » و « منتهى العجب في خصائص لغة العرب » وهذه في اسرار العربية علا فيها علواً ضاهى به الأئمة المتقدمين وله « غنية الطالب »في الاعراب والقواعد والصرف والنحو .

هذه قافلة . واما « الساق على الساق فيما هو الفارياق » في عدة اجزاء فدنيا وحدها . وهذا الكتاب طار كل مطار ، وغيثه مدرار وهو صفحة الرجل من ألفه الى يائه في طبعه وعلمه وملاحظته ومجونه . طبع في باريز ، ثم في مصر بعد الحرب العالمية الاولى ، وعلم انه يطبع في بيروت اليوم طبعة انيقة . هذا الكتاب قافلة ثانية ويجري وحده .

القافلة الثالثة هي كتبه التي طواها على وصف الحضارة وعاداتها ومجتمعها في رجالها ونسائها . « كشف المخبا عن فنون اوروبا » و « الواسطة في معرفة احوال مالطة » .

والرابعة بقية كتبه في الادب والشعر والنوادر والمقالة الصحفية اللامعة ،

وجمع من مقالاته وطبع سبعة اجزاء تؤلف ثروة فكرية سياسية ادبية ليس لها نظير .

والقـــافلة الخامسة كتاب خطير حول التوراة ، لم ينشر قط ، ويقول مؤرخه ابو محمد مارون عبود ان هذا الكتاب مفقود .

وقافلته الكبرى ، ترجمة الكتاب المقدس ، وهذا ما انتهى بنا الكلام اليه بعد ان استوفينا من الفارياق جملة مناحيه المتقدمة .

* * *

هذا الموضوع المتعلق بترجمة احمد فارس الشدياق للكتاب المقدس ، يهمنا من ناحية الادب العربي ، او التراث ، او تعدد العبـــارة المترجمة للتوراة . ونكرر ، انه حري بالقارىء العربي ان يحيط بمجمل هذا الامر كله ، قدر المستطاع .

ونوزع الكلام فقرة وكل فقرة تنطوي على معنى او ناحية :

١ – لترجمة الكتاب المقدس اليوم عبارتان في العربية ، عبارة الترجمـة الاميركية ، وعبارة الترجمة اليسوعية ، وقد تقدم الكلام على كل منهما .

٢ – ترجمة احمد فارس الشدياق لم نقف عليهـــا ، ولا هي في الوجود المحرز ، ولا في اي متناول ، على ما هو ظاهر ، ولا نعلم احداً من العرب المعاصرين في لبنان قد وقف عليها ، ولا نعلم شيئاً من السبب فى احتجابها بعد ان طبعت ، الا ما يجوز تقديره ، وللقارىء رأيه في ما نقوله في هـذا الصدد . ولو كانت هذه الترجمة في المتناول اليوم ، لكان للترجمة ثلاث عبارات ، واذا جاز لنا ان نضيف كل عبارة الى صاحبها من حيث البيان ، كانت هذه العبارات الثلاث تنصرف هذا المنصرف :

١ – عبارة الشيخ ناصيف اليازجي والشيخ يوسف الاسير الحسيني في الترجمة الاميركية .

٢ – عبارة الشيخ ابراهيم اليازجي في الترجمة اليسوعية .
٣ – عبارة الشيخ احمد فارس الشدياق في الترجمة التي تولتها « جمعيه ترقية المعارف المسيحية » البروتستانتية في لندن .

٣ – ترجمة احمد فارس الشدياق هي اسبق الجميع في الظهور ، لكن في بلاد الانكليز لا في بلاد العرب .

٤ – مصادر علمنا عن ترجمة احمد فارس الشدياق ، التواتر المتواصل منذ منتصف القرن الماضي وقليل من المصادر المطبوعة .

٥ – اسباب انطواء ترجمة الفارياق ، تدخل طبعاً في بحث هذا الموضوع بحثاً علمياً مجرداً . غير اننا هنا لسنا في هذا الصدد بشيء ، ولا سبله ميسورة اذا ابتغيناه ، وهذه الاسباب نقدرها تقديراً وهي، على ما يظهر ، ان الجمعية التي كان يمثلها «الدكتور لي» في لندن لترجمة الكتاب المقدس ، لما رأت ان المترجم قد «اسلم» في تالي حياته ، وهو وحده كان مضطلعاً بعبء العمل، مع الدكتور لي ، فرأت أنه اولى بالترجمة ان تطوى، بعد ان طبعت ، ولا توضع في التداول . يرّد على هذا : وهذا الشيخ الاسير ، قد اشترك مع فانديك في تنقيح ما تركه الشيخ ناصيف، فكيف يحلل الأمر في بيروت ويحرم في لندن. والجواب ان هناك فرقاً بارزاً لا ينكر بين شركة الأسير الجزئية في بيروت، والمقدم بعد كل حساب هو فانديك ، وبين استقلال الفارياق بالعمل وحده وهو لا شريك له ، ولا رأي ينسخ رأيه ، او يعدله ، او يأبى قبوله الا الدكتور لي ومباشر الترجمة هو احمد فارس . ثم هناك فرقاً بين البيئة الفكرية في لبنان وبيئة الدكتو لي في لندن .

٦ – وضع الفارياق كتاباً ضخماً طواه على آرائه في قضايا كثيرة وردت في التوراة . وهذا الكتاب لم يطبع قط ، واختفت نسخته المخطوطة . وقد تكون آراء الفارياق في بعض المسائل الواردة في التوراة لا تتفق ورأي غيره من الناس . فاذا اضفنا هذا الى ما قلناه في الفقرة السابقة كان من الاثنين وجهة نظر لها وزنها عند فريق الدكتور لي .

٧ – كان الفارياق يذهب في تفسير القضايا الدينية ، في المسيحية والاسلام مذهباً عقلياً ، او «معتزلياً» ، اذا جـاز التعبير . وهناك نقاد في كل عصر للمسائل الدينية ، على هذا الغرار . اما في الاسلام، فقد قال مؤرخه مارون عبود ابو محمد انه لا يؤمن بالوحي ويخطّيء مـــا لا يسلّم به العقل » (صقر لبنان ص ١٠٧) .

٨ – عبارته الناقدة ، اللاذعة ، الحريفة ، شائعة في ادبه ، وهو لو جرّد من هذا الطبع لهبطت قيمه الأدبية الى ما فوق القعر بقليل . وعند ناقديـه من رجال الدين ، هذه هي علته ، وعند قارئيه من العلمانيين هذه هي ميزته في ادبه ، وشارته في تصاويره ، الا ما بلغ الغلو فهذا على الجملة غير مستملح ولا مستحب كما يقول فريق . أما مؤرخه الصيرفي الجهبذ الخبير ، الحار المتحرر ، مارون عبود ، فمع استاذه الفارياق ، اشراقاً باشراق ، ومشتاقاً بالعقل الى مشتاق. هذه هي الحقيقة ودع عنك سجعـــة «الساق على الساق» فالشرر المتطاير من مطرقة الحداد على السندان ، غير الوميض من البرق في الابراق .

٩ – هذا التقدير الذي نعرضه في هذا المعرض للاسباب التي حالت دون السماح لترجمة الفارياق في الانطلاق، ودعت الى استردادها وجمعها وطيها بعد ان بلغت الاسواق ، مدة محدودة ، اذا جمعنـا بعضه الى بعض لعله يفسر لنا ما يسأل عند القاريء العربي . وقد نرى عما قريب بحثاً مستفيضاً في هـذه المسألة لغيرنا ، يكشف فيه من الستار ما تظهر معه خوافي الاسرار .

* * *

١١ – وما قلناه حول ترجمة الفارياق للكتاب المقدس ، انما يتعلق بالناحية الادبية البيانية في التراث العربي ، لا اكثر . واما انكماش ترجمـــة الفارياق فخسارة لا في بلاد الانكليز بل في بلاد العرب .

قال القس سيكل سيل صاحب « المرشد الى الكتاب المقدس » في نهايـة الفصل الذي عقده على الترجمات العربية الحديثة . وجعل هذا ختام كلامه :

« وقد ترجم الكتاب كله المعلم فارس الشدياق بعناية ونفقة الجمعية الانكليزية المعروفة بجمعية ترقية المعارف المسيحية ، وطبع العهد الجديد عن هذه الترجمة سنة ١٨٥١ ، ثم طبع العهدان ايضاً سنة ١٨٥٧ في مدينة لنـدن » (المرشد ص ٦٤) .

ونرى ان القس سيكل سيل ، مع ايجازه القصة هذا الايجاز ، لم يتطرق بشيء الى ناحية المصير الذي لاقته ترجمة الفارياق .

وقد ذكر مارون عبود في « صقر لبنان » نماذج مستطابة ، لذيـذة ، فكهة ، من مذهب « الدكتور لي » في اختيار العبارة بحيث لا تكون موشاة بشيء مما يشبه القرآن الكريم او الحديث الشريف فارجع الى هذا اذا شئت (ص ٩٤ – ٩٦) واضحك !

* * *

اما اجمال الكلام ، لا اشباعه ، في عبقريات الفارياق فيحتاج الى كراريس قد تبلغ الكراديس ، ويظل الرجل كلما اقبلت على افق منه انجلى لك منـه افق آخر ، وآفاقه لا تنتهي . من شاء ان يزوره ، فضريحه بجانب الطريـق العام في الحازمية .

* * *

قال العبقري ابو محمد مارون عبود في نهاية (صقر لبنان) : —

« وشاع عند العوام ان الشدياق قديس (هذا لما فُتح التابوت فاذابالفارياق بعد خمسين سنة كأنه ما فارق : صورته كاملة ، لكنها صامتة ، وشعر لحيته وحواجبه هو هو !) لان جسده لم يبل . فخطر لي ان اكتب كلمة حول الموضوع ، وتخيلت انني اخطب الناس على قبر الشدياق يوم يوبيله ، فكتبت :

قلت : وهذا الذي كتبه ابو محمد يقع في نحو من صفحتين من كتابه « صقر لبنان » ، طواه على عتبة ابي العباس ومناجاته ، في عبارات يتضوع منهـا

ارج الوفاء . وليس هذا هو الميزان . بل لا اعتقد ان احــداً يقوى على مثل هذه المناجاة ، غير ابي محمد ، وهو بالغ اعلى درجات السلم ، في العالم قاطبة ، لا في لبنان وحده ، في معرفة قدر المناجى العظيم . واول تحية جميلة رقيقة، اسديت الى الفارياق بعد خمسين سنة من وفاته،هي هذه العبارات في الصفحتين ونصف الصفحة من « صقر لبنان » . رحم الله ابا العباس ، وابا محمد مارون

ومارون عبود في جماع ما كتب ونقد ، قطعة من الفارياق ، ومــا اشبه المعدن بالمعدن ، وبعد خمسين سنة قد يغدو الناس يتكلمون في موضوع رصانة الفكر والادب ، من جهة ابي محمــد ، كما تكلموا ولا يزالون يتكلمون من جهة ابي العباس .



مُلحَقُ صُوَر



نيلوس

البروفسور سرجي نيلوس من رجال الكنيسة الارثوذكسية في روسيا ومن ثقات العلماء. قضى نحو ٥ سنوات في دراسة نصوص المضابط التي سمّيت بالبروتوكولات، حتى استطاع ان يعدّ منها الطبعة الأولى بالروسية قبل سنة ١٩٠٥ ثم أصدر طبعة ثانية سنة ١٩٠٥ ومن هذه الطبعة وصلت نسخة الى مكتبة المتحف البريطاني كانت سنة ١٩٢٠ النافذة التي خرجت منها قصة بروتوكولات حكماء صهيون الى العالم. وفي سنة ١٩١٧ كان نيلوس قد فرغ من إعداد الكتاب لطبعة ثالثة لكن وقعت «ثورة مارس» في روسيا وجاء عهد كيرنسكي ومعه كان يعمل اليهودي الصهيوني فنحاس روتنبرغ، فاعتقل نيلوس وسجن وعذّب ونفي الى فلادمير وتوفي في منفاه في ١٩٢٩/١/١٣ واختفت نسخ الطبعتين الأولى والثانية كما اختفت أوراق الطبعة الجديدة الثالثة المهيأة للطباعة، وكان الاعدام جزاء لمن توجد في حيازته نسخة عن البروتوكولات في روسيا. ثم جاء روتنبرغ الى فلسطين. راجع قصة نيلوس في ص ٣١ ــ ٣٣، وقصة روتنبرغ في ص ١٥٦ ــ ١٦٤ من الجزء الأول.



مارسدن

السيد فيكتور مارسدن ناقل البروتوكولات من الروسية الى الانكليزية.
راجع ص ٣١ ــ ٣٣ من الجزء الأول.

Сергѣй Нилусъ.

Великое въ маломъ и Антихристъ,

как̀ъ близкая политическая возможность.

Записки православнаго.

Изданіе второе, исправленное и дополненное.

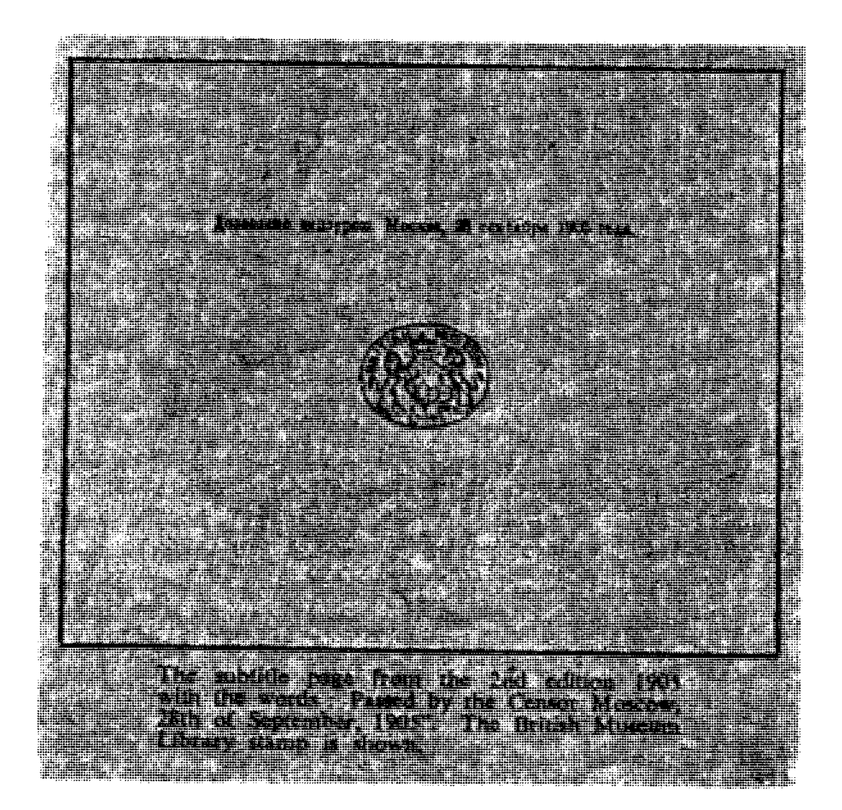
Царское Село.

هذه العبارات والكلمات ظهرت في صفحة الوسمة سنة ١٩٠٥: سرجي نيلوس (اسم المؤلف)

والعنوان: خطير ينتهي الى حقير ــ المسيح الدجال ــ حادث سياسي محتمل الوقوع

مذكرات مؤمن مستقيم (ارثوذكسي) الطبعة الثانية منقحة مزيدة

«القرية القيصرية» ــ مطبعة القرية القيصرية التابعة للجنة الصليب الأحمر ١٩٠٥.



ختم مكتبة المتحف البريطاني

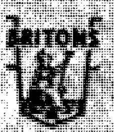
عبارة إجازة الطبعة الثانية من رقيب المطبوعات الروسي في موسكو في ٢٨ أيلول ١٩٠٥، مع ختم «مكتبة المتحف البريطاني».

WORLD CONQUEST
THROUGH
WORLD GOVERNMENT

PROTOCOLS
OF THE LEARNED
ELDERS OF ZION

Translated from the Russian
of Sergyei A. Nilus
by

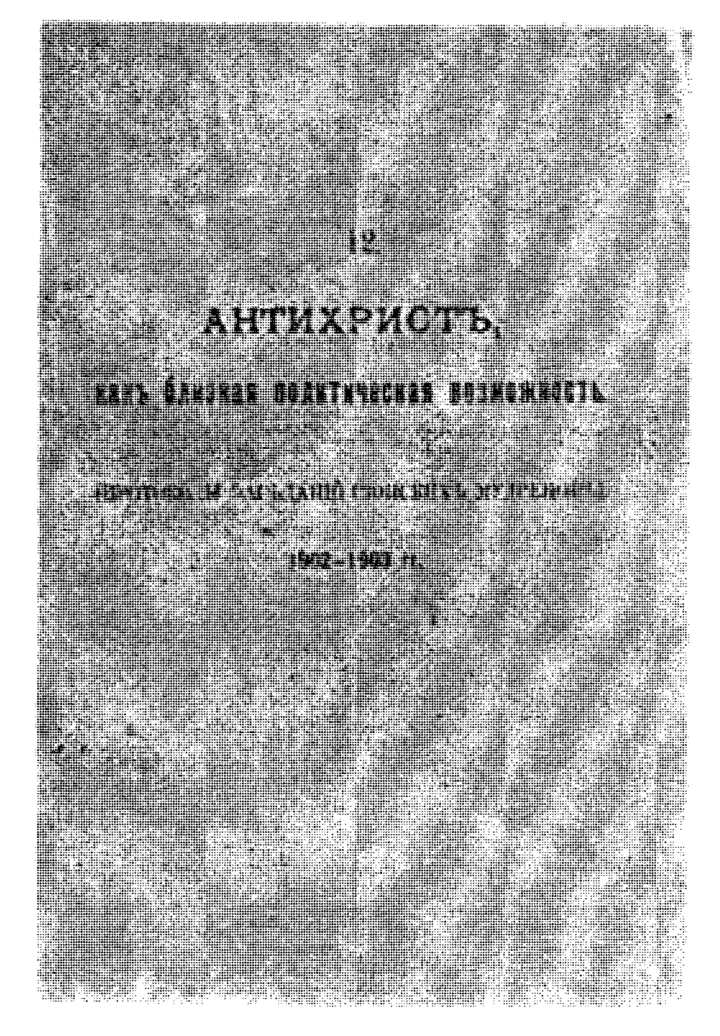
VICTOR E. MARSDEN



BRITONS PUBLISHING SOCIETY
Beamish House
~~74 PRINCEDALE ROAD~~ · LONDON · ~~W.11~~ 2
111a WESTBOURNE GROVE

وسمة كتاب مارسدن

صورة لكامل صفحة الوسمة من كتاب مارسدن:
«الاستيلاء على العالم بحكومة عالمية: بروتوكولات حكماء صهيون».


12

АНТИХРИСТЪ,

какъ близкая политическая возможность

1902-1903 гг.

صفحة وسمة الكتاب

خطير ينتهي الى حقير ـ المسيح الدجال
حادث سياسي محتمل الوقوع
بروتوكولات اجتماعات حكماء صهيون
١٩٠٢ ـ ١٩٠٣

falling lower. *Freedom of conscience has* been declared everywhere, *so that now only years divide us from the moment of the complete wrecking of that Christian religion*; as to other religions we shall have still less difficulty in dealing with them, but it would be premature to speak of this now. We shall set clericalism and clericals into such narrow frames as to make their influence move in retrogressive proportion to its former progress.

When the time comes finally to destroy the papal court the finger of an invisible hand will point the nations towards this court. When, however, the nations fling themselves upon it, we shall come forward in the guise of its defenders as if to save excessive bloodshed. By this diversion we shall penetrate to its very bowels and be sure we shall never come out again until we have gnawed through the entire strength of this place.

The King of the Jews will be the real Pope of the Universe, the patriarch of an international Church.

But, *in the meantime*, while we are re-educating youth in new traditional religions and afterwards in ours, we *shall not overtly lay a finger on existing churches, but we shall fight against them by criticism calculated to produce schism* . . . .

ما قاله البروتوكول السابع عشر في البلاط البابوي كما هي عبارته بالنص الانكليزي.
راجع صفحة ٢٦٢ و٢٦٣ من الجزء الثاني.



مَـرَاجِـعُ



أولاً: المراجع العربية

ــ القرآن الكريم.

ــ الكتاب المقدس (الترجمة اليسوعية).

ــ الكتاب المقدس (الترجمة الأميركية).

ــ قاموس الكتاب المقدس. تحرير بطرس عبد الملك وآخرون. جزءان. بيروت: مكتبة المشعل الانجيلية، ١٩٦٤.

ــ اتيلغان، الجنرال جواد جودت. «الخطر المحيط بالاسلام: الصهيونية وبروتوكولاتها». ترجمه عن التركية وهبي عز الدين. بغداد: مطبعة الجاحظ، ١٩٦٥.

ــ اختر، محمد. «وعد بلفور». ترجمة محمد يونس الحسيني. القدس: جريدة مرآة الشرق، ١٩٢٩.

ــ أدهم، علي. «الجمعيات السرية». القاهرة: دار المعارف بمصر، ١٩٥٤.

ــ بارودي، رياض. «اليهودية العالمية: من زمن ابراهيم الى وقتنا الحاضر». بيروت: دار الثقافة، [١٩٦٠].

ــ البستاني، المعلم بطرس. «دائرة المعارف»، عدة أجزاء، بيروت، دار المعرفة.

ــ بنيامين، الرحالة الربي بنيامين بن يونه الأندلسي. «رحلة بنيامين». ترجمها عن العبرية عزرا حداد. الطبعة الأولى. بغداد: المطبعة الشرقية، ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م.

ــ «تاريخ فلسطين السياسي تحت الادارة البريطانية». (المذكرة التي قدّمتها الحكومة البريطانية ١٩٤٧ الى لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين). ترجمة فاضل حسين. بغداد، ١٩٥٦.

ــ تايلور، آلان ر. «مدخل الى اسرائيل: الأعمال التحضيرية للجريمة الدبلوماسية الصهيونية ١٨٩٧ ــ ١٩٤٧». تعريب شكري محمود نديم. بغداد: وزارة الثقافة والارشاد، ١٩٦٥.

- «تقرير اللجنة الملكية، ١٩٣٧».
- الزمخشري، الإمام محمود بن عمر. «الكشاف: عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل». ترتيب وتصحيح مصطفى حسين أحمد. ٤ أجزاء. الطبعة الثانية. القاهرة: مطبعة الاستقامة، ١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م.
- زيدان، جرجي. «العرب قبل الاسلام». عدة أجزاء. الطبعة الثالثة. القاهرة: مطبعة الهلال، ١٩٣٩.
- سيجال، م ص. «حول تاريخ الأنبياء عند بني اسرائيل». ترجمه عن العبرية وعلق عليه حسن ظاظا. بيروت: منشورات جامعة بيروت العربية، [١٩٦٦].
- صالح، زكي. «فلسطين والتقرير الانكليزي الأميركي لعام ١٩٤٦». (نقد وتعريف). بغداد: دار الفكر العربي، ١٩٤٧.
- الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير. «تاريخ الطبري». تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم. عدة أجزاء. القاهرة: دار المعارف بمصر، ١٩٦٨.
- العقاد، عباس محمود. «ابو الأنبياء الخليل ابراهيم». القاهرة: دار اخبار اليوم، ١٩٥٣.
- علي، جواد. «تاريخ العرب قبل الاسلام». عدة أجزاء. بغداد: مطبوعات المجمع العلمي العراقي، ١٩٥٠ ــ ١٩٦٠.
  - «فلسطين والغزو التتري الجديد». بغداد: وزارة الثقافة والارشاد، ١٩٦٤.
- مسعد، بولس حنا. «همجية التعاليم الصهيونية». القاهرة: مطبعة كوستانسوماس، ١٩٣٨.
- «المنار» (مجلة)، لصاحبها السيد محمد رشيد رضا. القاهرة: ١٨٩٨ ــ ١٩٣٥.
- نصّار، نجيب الخوري. «الصهيونية: تاريخها غرضها أهميتها». (ملخصا عن الانسيكلوبيديا اليهودية). حيفا: مطبعة الكرمل، ١٩١١.

ثانيا: المراجع الأجنبية

١ ـ حول البروتوكولات ومحورها والمخطط اليهودي العالمي

— Marsden, Victor E. *World Conquest Through World Government: Protocols of the Learned Elders of Zion.* Translated from the Russian of Sergyei A. Nilus. 81st. Impression. London: Britons Publishing Society, 1958.
— Ramsay, Captain A.H.M. *The Nameless War.* London: Britons Publishing Company, 1962.
— Scott, Lieut. Colonel J. Chreagh. *The Hidden Government.* 3rd. Edition. London: Britons Publishing Society, 1960.
— Young, Wing Commander Leonard. *Deadlier Than The H. Bomb.* London: Britons Publishing Society, 1956.

٢ ـ المذكرات

— Kisch, Lt. Colonel F.H. *Palestine Diary.* London: Victor Gollancz, 1938.
— Newton, Frances E. *Fifty Years In Palestine.* Wrotham-England: Coldharbour Press, 1948.
— Samuel, Viscount. *Memories.* 2nd. Printing. London: The Cresset Press, 1945.
— Storrs, Ronald. *Orientations.* Definitive Edition. London: Nicholson & Watson, 1945.
— Weizman, Chaim. *Trial and Error.* 4th. Edition. London: Hamish Hamilton, 1950.

٣ ـ مراجع تاريخية مختارة

— Barbour, Nevill. *Nisi Dominus: A Survey of the Palestine Controversy.* London: George Q. Harrap and Company, 1946.
— Berger, Elmer. *Who Knows Better Must Say So!* New York: American Council for Judaism, 1955. Reprinted by the Institute for Palestine Studies (Beirut, 1970).
— Jastrow, Morris. *Zionism and the Future of Palestine: The Fallacies and Dangers of Political Zionism.* New York: The Macmillan Company, 1919.
— Mallison, William Thomas. *The Zionist — Israel Juridical Claims to Constitute «the Jewish People» Nationality Entity and to Confer Membership in it: Appraisal in Public International Law.* Washington: W.T. Mallison, 1964. (Originally published: *The George Law Review,* Vol. 32, 1964, pp. 983-1075).

(كتاب Jastrow وكتاب Berger أعلاه، ينتمي مؤلفاهما الى المجلس اليهودي الأميركي المناهض للصهيونية وغايتها ان الصهيونية باطلة تناقض اليهودية المستقيمة. أما Barbour، وقد أشرنا اليه مرارا، فكتابه من خيرة الكتب في وصف التواء السياسة البريطانية الموالية لليهود والكشف عن شرور الصهيونية؛ أما Mallison فبحثه احدث بحث واقعي علمي في بابه في ضوء القانون الدولي.)

٤ ـ مراجع عامة

— Bernadotte, Count Folke. *To Jerusalem*. Translated from the Swedish by Joan Bulman. London: Hodder and Stoughton, 1951.
— Encyclopaedia Britannica.
— Halley, Henry H. *Bible Handbook: An Abbreviated Bible Commentary*. 20th Edition. Chicago: Henry H. Halley, 1956.
— Jewish Encyclopaedia, 1904-1905.
— Sykes, Christopher. *Two Studies In Virtue*. London: Collins, 1953.

فهـرسـت

لما كان الجزء الثاني يتضمن ترجمة نصوص البروتوكولات، وقد كثر فيها ورود الأسماء المجردة، وأسماء كـ «الماسونية» و «الغوييم»، فان مارسدن في كتابه الانكليزي قد سهّل على المطالـع الاحاطة المفصّلة بالنقاط المبحوثة في كل بروتوكول، بأن جرّد هـذه النقاط في مـطلع كل بروتوكول ووصفها بعبارات موجزة في صدر الكلام وهذا زيادة في التيسير. ولمّا كان في إمكان القارىء العودة الى هذه العبارات بالعربية في مطلـع كل بروتوكول، فقد استثني الجزء الثاني من الفهرست.



ـ أ ـ